

بحار الأنوار
الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام
تأليف
العلم العلامة الحجة فخر الأمة المولى
الشيخ محمد باقر المجلسي قدس سره
طبعة منقحة ومزدانة بتعاليق
العلامة الشيخ علي النمازي الشاهرودي قدس سره
المجلد العاشر
١٩ـ٢٠
منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان




بحار الأنوار
الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام
١٩ - ٢٠



بحار الأنوار

الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام

تأليف

العلم العلامة الحجة فخر الأمة المولى

الشيخ محمد باقر المجلسي قدس سره

تحقيق وتصحيح

لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين

طبعة منقحة ومزدانة بتعاليق

العلامة الشيخ علي النمازي الشاهرودي قدس سره

الجزء التاسع عشر

منشورات

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - لبنان

ص ب ٧١٢٠

الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م



مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - طريق المطار - قرب سنتر زعرور

هاتف:٤٥٠٤٢٦ / ٠١ - فاكس:٤٥٠٤٢٧ / ٠١

صندوق بريد: ٧١٢٠

Published by Aalami Est.

Beirut Airport Road

Tel:01/450426 Fax:01/450427

P.O.Box.7120

E-mail:alaalami@yahoo.com
http://www.alaalami.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

٥ - باب دخوله الشعب وما جرى بعده إلى الهجرة، وعرض نفسه على القبائل، وبيعة الأنصار، وموت أبي طالب وخديجة رضي الله عنهما

١ - عم، ص: اجتمعت قريش في دار الندوة وكتبوا صحيفة بينهم أن لا يؤاكلوا بني هاشم ولا يكلّموهم، ولا يبايعوهم، ولا يزوّجوهم، ولا يتزوّجوا إليهم، ولا يحضروا معهم حتّى يدفعوا إليهم محمّداً فيقتلونه، وأنّهم يد واحدة على محمّد يقتلونه غيلة أو صراحاً، فلمّا بلغ ذلك أبا طالب جمع بني هاشم ودخلوا الشعب وكانوا أربعين رجلاً، فحلف لهم أبو طالب بالكعبة والحرم والركن والمقام إن شاكت محمّداً شوكة لأثبنّ عليكم يا بني هاشم، وحصن الشعب، وكان يحرسه باللّيل والنهار، فإذا جاء اللّيل يقوم بالسيف عليه، ورسول الله صلى الله عليه وآله مضطجع، ثمّ يقيمه ويضجعه في موضع آخر فلا يزال اللّيل كلّه هكذا، ويوكّل ولده وولد أخيه به يحرسونه بالنهار فأصابهم الجهد، وكان من دخل مكّة من العرب لا يجسر أن يبيع من بني هاشم شيئاً ومن باع منهم شيئاً انتهبوا ماله، وكان أبو جهل والعاص بن وائل السهميّ والنضر ابن الحارث بن كلدة وعقبة بن أبي معيط يخرجون إلى الطرقات التي تدخل مكّة، فمن رأوه معه ميرة نهوه أن يبيع من بني هاشم شيئاً، ويحذّرون إن باع شيئاً منهم أن ينهبوا ماله، وكانت خديجة رضي الله عنها لها مال كثير فأنفقته على رسول الله صلى الله عليه وآله في الشعب، ولم يدخل في حلف الصحيفة مطعم بن عديّ بن نوفل بن عبد المطّلب بن عبد مناف، وقال: هذا ظلم، وختموا الصحيفة بأربعين خاتماً ختمها كلّ رجل من رؤساء قريش بخاتمه، وعلّقوها في الكعبة، وتابعهم على ذلك أبو لهب، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يخرج في كلّ موسم فيدور على قبائل العرب، فيقول لهم: تمنعون لي جانبي حتّى أتلو عليكم كتاب ربّكم، وثوابكم الجنّة على الله، وأبو لهب في أثره فيقول: لا تقبلوا منه، فإنّه ابن أخي وهو كذّاب ساحر، فلم يزل هذا حالهم، وبقوا في الشعب أربع سنين، لا يأمنون إلا من موسم إلى موسم، ولا يشترون ولا يبايعون إلا في الموسم، وكان يقوم بمكّة موسمان في كلّ سنة: موسم العمرة في رجب، وموسم الحجّ في ذي الحجّة، فكان إذا اجتمعت المواسم تخرج بنو هاشم من الشعب فيشترون ويبيعون، ثمّ لا يجسر أحد منهم أن يخرج إلى الموسم الثاني، وأصابهم الجهد وجاعوا، وبعثت قريش إلى أبي طالب: ادفع إلينا محمّداً حتّى نقتله، ونملّكك علينا، فقال أبو طالب رضي الله عنه قصيدته اللّاميّة يقول فيها:

ولـمّـا رأيـت الـقـوم لا ودّ فـيـهـم ... وقـد قـطـعـوا كلّ الـعـرى والـوسـائـل

ألـم تـعـلـمـوا أنّ ابـنـنـا لا مـكـذّب ... لـديـنـا ولا يـعـنـى بـقـول الأبـاطـل

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للأرامل
يطوف به الهلّاك من آل هاشم ... فهم عنده في نعمة وفواضل
كذبتم وبيت الله يبزى محمد ... ولما نطاعن دونه ونقاتل
ونسلمه حتّى نصرع دونه ... ونذهل عن أبنائنا والحلائل
لعمري لقد كلّفت وجداً بأحمد ... وأحببته حبّ الحبيب المواصل
وجُدت بنفسي دونه وحميته ... ودارأت عنه بالذرى والكواهل
فلا زال في الدنيا جمالاً لأهلها ... وشيناً لمن عادى وزين المحافل
حليماً رشيداً حازماً غير طائش ... يوالي إله الحقّ ليس بماحل
فأيّده ربّ العباد بنصره ... وأظهر ديناً حقّه غير باطل

فلمّا سمعوا هذه القصيدة أيسوا منه، وكان أبو العاص بن الربيع - وهو ختن رسول الله - يأتي بالعير باللّيل عليها البرّ والتمر إلى باب الشعب، ثمّ يصيح بها فتدخل الشعب فيأكله بنو هاشم، وقد قال رسول الله ﷺ: «لقد صاهرنا أبوالعاص فأحمدنا صهره، لقد كان يعمد إلى العير ونحن في الحصار فيرسلها في الشعب ليلاً» ولمّا أتى على رسول الله في الشعب أربع سنين بعث الله على صحيفتهم القاطعة دابّة الأرض فلحست جميع ما فيها من قطيعة وظلم، وتركت «باسمك اللّهمّ» ونزل جبرئيل على رسول الله ﷺ فأخبره بذلك، فأخبر رسول الله أبا طالب، فقام أبو طالب ولبس ثيابه ثمّ مشى حتّى دخل المسجد على قريش وهم مجتمعون فيه، فلمّا أبصروه قالوا: قد ضجر أبو طالب، وجاء الآن ليسلّم ابن أخيه، فدنا منهم وسلّم عليهم فقاموا إليه وعظّموه وقالوا: قد علمنا يا أبا طالب أنّك أردت مواصلتنا، والرجوع إلى جماعتنا، وأن تسلّم ابن أخيك إلينا، قال: والله ما جئت لهذا، ولكنّ ابن أخي أخبرني ولم يكذبني أنّ الله تعالى أخبره أنّه بعث على صحيفتكم القاطعة دابّة الأرض فلحست جميع ما فيها من قطيعة رحم وظلم وجور، وترك اسم الله، فابعثوا إلى صحيفتكم فإن كان حقّاً فاتّقوا الله وارجعوا عمّا أنتم عليه من الظلم والجور وقطيعة الرحم وإن كان باطلاً دفعته إليكم، فإن شئتم قتلتموه، وإن شئتم استحييتموه، فبعثوا إلى الصحيفة وأنزلوها من الكعبة وعليها أربعون خاتماً، فلمّا أتوا بها نظر كلّ رجل منهم إلى خاتمه ثمّ فكّوها فإذا ليس فيها حرف واحد إلا «باسمك اللّهمّ» فقال لهم أبو طالب: يا قوم اتّقوا الله، وكفوا عمّا أنتم عليه، فتفرّق القوم ولم يتكلّم أحد، ورجع أبو طالب إلى الشعب[١].

٢ - عم: وقال في ذلك قصيدته البائية الّتي أوّلها:

ألا من لهمّ آخر اللّيل منصب ... وشعب العصا من قومك المتشعّب

(١) اعلام الورى، ص ٦٦، قصص الأنبياء للراوندي، ص ٣٢٧.

وفيها :

وقد كان في أمر الصحيفة عبرةٌ — متى ما يخبّر غائب القوم يعجب
محا الله منها كفرهم وعقوقهم — وما نقموا من ناطق الحقّ معرب
وأصبح ما قالوا من الأمر باطلاً — ومن يختلق ما ليس بالحقّ يكذب
وأمسى ابن عبد الله فينا مصدّقاً — على سخط من قومنا غير معتب
ولا تحسبونا مسلمين محمّداً — لذي عزّة منّا ولا متعزّب
ستمنعه منّا يدٌ هاشميّة — مركّبها في النّاس خير مركّب(١)

٣ - ص: وقال عند ذلك نفر من بني عبد مناف وبني قصيّ ورجال من قريش ولدتهم نساء بني هاشم منهم مطعم بن عديّ بن عامر بن لؤيّ - وكان شيخاً كبيراً كثير المال له أولاد - وأبو البختري بن هشام، وزهير بن أميّة المخزوميّ في رجال من أشرافهم: نحن برآء ممّا في هذه الصحيفة، فقال أبو جهل: هذا أمر قضي بليل، وخرج النبيُّ ﷺ ورهطه من الشعب وخالطوا النّاس، ومات أبو طالب بعد ذلك بشهرين، وماتت خديجة ﷺ بعد ذلك، وورد على رسول الله ﷺ أمران عظيمان، وجزع جزعاً شديداً، ودخل على أبي طالب وهو يجود بنفسه وقال: يا عمّ ربّيت صغيراً، ونصرت كبيراً، وكفّلت يتيماً، فجزاك الله عنّي خير الجزاء أعطني كلمة أشفع لك بها عند ربّي.

قال ابن عبّاس: فلمّا ثقل أبو طالب رئي يحرّك شفتيه، فأصغى إليه العبّاس يسمع قوله، فرفع العبّاس [عنه] رأسه وقال: يا رسول الله والله قد قال الكلمة الّتي سألته إيّاها.

وعن ابن عبّاس ﷺ قال: إنّ رسول الله ﷺ عارض جنازة أبي طالب فقال: وصلت

---

(١) اعلام الورى، ص ٦٨. أقول: ما ورد في نصرة أبي طالب لرسول الله ﷺ يداً ولساناً، وذبّه عنه ﷺ فهو أكثر من أن يذكر، ولقد صدق ابن أبي الحديد في قوله:

ولولا أبو طالب وابنه — لما مثل الدين شخص فقاما
فذاك بمكّة آوى وحامى — وذاك بيثرب جسّ الحماما

قلت: ولقد اقتدى بهما في ذلك سيّدنا ومولانا العبّاس بن أميرالمؤمنين ﷺ في نصرته لابن رسول الله ﷺ ومواساته له، فأشبه فعاله فعال آبائه. فانظر إلى قول أبي طالب:

فلا تحسبونا خاذلين محمّداً — لدي غربة منا ولا متقرّب
ستمنعه منّا يد هاشميّة

ثمّ انظر إلى قول ناقلته أبي الفضل العبّاس:

والله إن قطعتم يميني — إنّي أحامي أبداً عن ديني
وعن إمام صادق اليقين — نجل النبي الطاهر الأمين

إلى غير ذلك ولعلّ إلى ذلك اشير في زيارته المنقولة عن الشيخ المفيد وغيره: فألحقك الله بدرجة آبائك في دار النعيم. [مستدرك السفينة ج ٦ لغة «طلب»].

رحماً، وجزيت خيراً يا عم[1].

٤ - عم: وذكر محمّد بن إسحاق بن يسار أنّ خديجة بنت خويلد وأبا طالب ماتا في عام واحد، وتتابعت على رسول الله المصائب بهلاك خديجة وأبي طالب، وكانت خديجة وزيرة صدق على الإسلام، وكان يسكن إليها.

وذكر أبو عبد الله بن منده في كتاب المعرفة أنّ وفاة خديجة كانت بعد وفاة أبي طالب بثلاثة أيّام، وزعم الواقديّ أنّهم خرجوا من الشعب قبل الهجرة بثلاث سنين، وفي هذه السنة توفّيت خديجة وأبو طالب وبينهما خمس وثلاثون ليلة[2].

٥ - عم: في كتاب دلائل النبوّة عن الزهريّ قال: كان رسول الله يعرض نفسه على قبائل العرب في كلّ موسم، ويكلّم كلّ شريف قوم لا يسألهم مع ذلك إلا أن يؤووه ويمنعوه، ويقول: لا أكره أحداً منكم على شيء، من رضي منكم بالذي أدعوه إليه فذاك، ومن كره لم أكرهه، إنّما أريد أن تحرزوني ممّا يراد بي من القتل حتّى أبلّغ رسالات ربّي، وحتى يقضي الله عزّوجلّ لي ولمن صحبني بما شاء الله، فلم يقبله أحد منهم، ولم يأت أحداً من تلك القبائل إلا قال: قوم الرجل أعلم به، أترون أنّ رجلاً يصلحنا وقد أفسد قومه ولفظوه؟ فلمّا توفّي أبو طالب اشتدّ البلاء على رسول الله أشدّ ما كان، فعمد لثقيف بالطائف رجاء أن يؤووه فوجد ثلاثة نفر منهم هم سادات ثقيف يومئذ وهم إخوة: عبد ياليل بن عمرو، وحبيب بن عمرو، ومسعود بن عمرو، فعرض عليهم نفسه وشكا إليهم البلاء وما انتهك منه قومه، فقال أحدهم: أنا أسرق أستار الكعبة إن كان الله بعثك بشيء قطّ، وقال الآخر: أعجز على الله أن يرسل غيرك؟ وقال الآخر: والله لا أكلّمك بعد مجلسك هذا أبداً، والله لئن كنت رسول الله لأنت أعظم شرفاً من أن أكلّمك، ولئن كنت تكذب على الله لأنت شرٌّ من أن أكلّمك، وتهزأوا به، وأفشوا في قومهم الّذي راجعوه به، فقعدوا له صفّين على طريقه، فلمّا مرّ رسول الله بين صفّيهم كان لا يرفع رجليه ولا يضعهما إلا رضخوهما بالحجارة، وقد كانوا أعدّوها حتّى أدموا رجليه، فخلص منهم ورجلاه تسيلان الدماء، فعمد إلى حائط من حوائطهم واستظلّ في ظلّ حبلة، وهو مكروب موجع، فإذا في الحائط عتبة بن ربيعة، وشيبة ابن ربيعة، فلمّا رآهما كره مكانهما لما يعلم من عداوتهما لله ولرسوله، ولمّا رأياه أرسلا إليه غلاماً لهما يدعى عداس وهو نصرانيّ من أهل نينوى معه عنب، فلمّا جاءه عداس قال له رسول الله : من أيّ أرض أنت؟ قال: أنا من أهل نينوى، فقال : من مدينة الرجل الصالح يونس بن متى؟ فقال له عداس: وما يدريك من يونس بن متى؟ فقال له رسول الله - وكان لا يحقّر أحداً أن يبلغه رسالة ربّه -: أنا رسول الله، والله تعالى أخبرني خبر يونس بن متى، فلمّا أخبره بما أوحى الله إليه من شأن يونس بن متى خرّ عداس ساجداً لله

(١) قصص الأنبياء، ص ٣٢٩.
(٢) اعلام الورى، ص ٧٠.

وجعل يقبّل قدميه وهما تسيلان الدماء، فلمّا بصر عتبة وشيبة ما يصنع غلامهما سكتا، فلمّا أتاهما قالا له: ما شأنك سجدت لمحمّد، وقبّلت قدميه ولم نرك فعلته بأحد منّا؟ قال: هذا رجل صالح أخبرني بشيء عرفته من شأن رسول بعثه الله إلينا يدعى يونس بن متى، فضحكا وقالا: لا يفتننّك عن نصرانيّتك فإنّه رجل خدّاع، فرجع رسول الله ﷺ إلى مكّة.

قال عليّ بن إبراهيم بن هاشم: ولمّا رجع رسول الله ﷺ من الطائف وأشرف على مكّة وهو معتمر كره أن يدخل مكّة وليس له فيها مجير، فنظر إلى رجل من قريش قد كان أسلم سرّاً فقال له: ائت الأخنس بن شريق فقل له: إنّ محمّداً يسألك أن تجيره حتّى يطوف ويسعى فإنّه معتمر، فأتاه وأدّى إليه ما قال رسول الله، فقال الأخنس: إنّي لست من قريش، وإنّما أنا حليف فيهم، والحليف لا يجير على الصميم، وأخاف أن يخفروا جواري فيكون ذلك مسبّة، فرجع إلى رسول الله فأخبره، وكان رسول الله في شعب حراء مختفياً مع زيد، فقال له: ائت سهيل بن عمرو فاسأله أن يجيرني حتّى أطوف بالبيت وأسعى، فأتاه وأدّى إليه قوله، فقال له: لا أفعل، فقال له رسول الله: اذهب إلى مطعم بن عديّ فاسأله أن يجيرني حتّى أطوف وأسعى، فجاء إليه وأخبره، فقال: أين محمد؟ فكره أن يخبره بموضعه، فقال: هو قريب، فقال: ائته فقل له: إنّي قد أجرتك، فتعال وطف واسع ما شئت، فأقبل رسول الله ﷺ وقال مطعم لولده وأختانه، وأخيه طعيمة بن عديّ: خذوا سلاحكم فإنّي قد أجرت محمداً، وكونوا حول الكعبة حتّى يطوف ويسعى، وكانوا عشرة فأخذوا السلاح وأقبل رسول الله حتّى دخل المسجد، ورآه أبو جهل فقال: يا معشر قريش هذا محمّد وحده، وقد مات ناصره، فشأنكم به، فقال له طعيمة بن عديّ: يا عمّ لا تتكلّم فإنّ أبا وهب قد أجار محمداً، فوقف أبو جهل على مطعم بن عديّ فقال: أبا وهب أمجير أم صابئ؟ قال: بل مجير، قال: إذاً لا نخفر جوارك، فلمّا فرغ رسول الله ﷺ من طوافه وسعيه جاء إلى مطعم فقال: أبا وهب! قد أجرت وأحسنت، فردّ عليّ جواري، قال: وما عليك أن تقيم في جواري؟ قال: أكره أن أُقيم في جوار مشرك أكثر من يوم، قال مطعم: يا معشر قريش إنّ محمّداً قد خرج من جواري.

قال عليّ بن إبراهيم: قدم أسعد بن زرارة وذكوان بن عبد قيس في موسم من مواسم العرب وهما من الخزرج، وكان بين الأوس والخزرج حرب قد بقوا فيها دهراً طويلاً وكانوا لا يضعون السلاح لا باللّيل ولا بالنهار، وكان آخر حرب بينهم يوم بعاث، وكانت للأوس على الخزرج، فخرج أسعد بن زرارة وذكوان إلى مكّة في عمرة رجب يسألون الحلف على الأوس، وكان أسعد بن زرارة صديقاً لعتبة بن ربيعة فنزل عليه فقال له: إنّه كان بيننا وبين قومنا حرب وقد جئناك نطلب الحلف عليهم، فقال له عتبة: بعدت دارنا من داركم، ولنا شغل لا نتفرّغ لشيء، قال: وما شغلكم وأنتم في حرمكم وأمنكم؟ قال له عتبة: خرج فينا رجل يدّعي أنّه رسول الله، سفّه أحلامنا وسبّ آلهتنا، وأفسد شبّاننا، وفرّق جماعتنا، فقال له أسعد: من هو منكم؟ قال: ابن عبد الله بن عبد المطّلب من أوسطنا شرفاً، وأعظمنا بيتاً،

وكان أسعد وذكوان وجميع الأوس والخزرج يسمعون من اليهود الّذين كانوا بينهم: النضير وقريظة وقينقاع أنّ هذا أوان نبيّ يخرج بمكّة يكون مهاجره بالمدينة لنقتلنكم به يا معشر العرب فلمّا سمع ذلك أسعد وقع في قلبه ما كان سمع من اليهود، قال: فأين هو؟ قال: جالس في الحجر، وإنهم لا يخرجون من شعبهم إلا في الموسم، فلا تسمع منه ولا تكلّمه فإنّه ساحر يسحرك بكلامه، وكان هذا في وقت محاصرة بني هاشم في الشعب فقال له أسعد: فكيف أصنع وأنا معتمر لا بدّ لي أن أطوف بالبيت؟ قال: ضع في أذنيك القطن، فدخل أسعد المسجد وقد حشا أذنيه بالقطن، فطاف بالبيت ورسول الله جالس في الحجر مع قوم من بني هاشم، فنظر إليه نظرة فجازه، فلمّا كان في الشوط الثاني قال في نفسه: ما أجد أجهل منّي! أيكون مثل هذا الحديث بمكّة فلا أتعرّفه حتّى أرجع إلى قومي فأخبرهم، ثمّ أخذ القطن من أذنيه ورمى به، وقال لرسول الله: أنعم صباحاً، فرفع رسول الله ﷺ رأسه إليه وقال: قد أبدلنا الله به ما هو أحسن من هذا، تحيّة أهل الجنّة: السلام عليكم، فقال له أسعد: إنّ عهدك بهذا لقريب، إلى ما تدعو يا محمّد؟ قال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، وأدعوكم إلى ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾﴾[1].

فلما سمع أسعد هذا قال له: أشهد أن لا إله إلا الله. وأنك رسول الله، يا رسول الله بأبي أنت وأمّي، أنا من أهل يثرب من الخزرج، وبيننا وبين إخوتنا من الأوس حبال مقطوعة، فإن وصلها الله بك، ولا أجد أعزّ منك، ومعي رجل من قومي فإن دخل في هذا الأمر رجوت أن يتمّم الله لنا أمرنا فيك، والله يا رسول الله لقد كنا نسمع من اليهود خبرك، ويبشّروننا بمخرجك، ويخبروننا بصفتك، وأرجو أن يكون دارنا دار هجرتك عندنا، فقد أعلمنا اليهود ذلك، فالحمد لله الّذي ساقني إليك، والله ما جئت إلا لنطلب الحلف على قومنا، وقد آتانا الله بأفضل ممّا أتيت له ثمّ أقبل ذكوان فقال له أسعد: هذا رسول الله الّذي كانت اليهود تبشّرنا به، وتخبرنا بصفته، فهلمّ فأسلم، فأسلم ذكوان، ثمّ قالا: يا رسول الله ابعث معنا رجلاً يعلّمنا القرآن، ويدعو الناس إلى أمرك، فقال رسول الله لمصعب بن عمير، وكان فتى حدثاً مترفاً بين أبويه يكرمانه ويفضّلانه على أولادهم ولم يخرج من مكّة، فلمّا أسلم جفاه أبواه، وكان مع رسول الله في الشعب حتّى تغيّر وأصابه الجهد، وأمره رسول الله بالخروج مع أسعد، وقد كان تعلّم من القرآن كثيراً، فخرجا إلى المدينة ومعهما مصعب بن عمير فقدموا

---

(١) سورة الأنعام، الآيتان: ١٥١-١٥٢.

على قومهم وأخبروهم بأمر رسول الله وخبره، فأجاب من كلّ بطن الرجل والرجلان، وكان مصعب نازلاً على أسعد بن زرارة، وكان يخرج في كلّ يوم فيطوف على مجالس الخزرج يدعوهم إلى الإسلام فيجيبه الأحداث، وكان عبد الله بن أبيّ شريفاً في الخزرج، وقد كان الأوس والخزرج اجتمعت على أن يملّكوه عليهم لشرفه وسخائه، وقد كانوا اتّخذوا له إكليلاً احتاجوا في تمامه إلى واسطة كانوا يطلبونها، وذلك أنّه لم يدخل مع قومه الخزرج في حرب بعاث، ولم يعن على الأوس، وقال: هذا ظلم منكم للأوس، ولا أعين على الظلم، فرضيت به الأوس والخزرج، فلمّا قدم أسعد كره عبد الله ما جاء به أسعد وذكوان وفتر أمره، فقال أسعد لمصعب: إنّ خالي سعد بن معاذ من رؤساء الأوس وهو رجل عاقل شريف مطاع في بني عمرو بن عوف، فإن دخل في هذا الأمر تمّ لنا أمرنا فهلمّ نأتي محلّتهم، فجاء مصعب مع أسعد إلى محلّة سعد بن معاذ فقعد على بئر من آبارهم، واجتمع إليه قوم من أحداثهم، وهو يقرأ عليهم القرآن، فبلغ ذلك سعد بن معاذ، فقال لأسيد بن حضير وكان من أشرافهم: بلغني أنّ أبا أمامة أسعد بن زرارة قد جاء إلى محلّتنا مع هذا القرشيّ يفسد شبّاننا، فائته وانهه عن ذلك فجاء أسيد بن حضير فنظر إليه أسعد فقال لمصعب: إنّ هذا رجل شريف فإن دخل في هذا الأمر رجوت أن يتمّ أمرنا، فاصدق الله فيه، فلمّا قرب أسيد منهم قال: يا أبا أمامة يقول لك خالك: لا تأتنا في نادينا، ولا تفسد شبّاننا، واحذر الأوس على نفسك، فقال مصعب: أوتجلس فنعرض عليك أمراً، فإن أحببته دخلت فيه، وإن كرهته نحّينا عنك ما تكره، فجلس فقرأ عليه سورة من القرآن فقال: كيف تصنعون إذا دخلتم في هذا الأمر؟ قال: نغتسل ونلبس ثوبين طاهرين، ونشهد الشهادتين، ونصلّي ركعتين، فرمى بنفسه مع ثيابه في البئر، ثمّ خرج وعصر ثوبه ثمّ قال: اعرض عليّ، فعرض عليه شهادة «أن لا إله إلا الله وأن محمّداً رسول الله» فقالها ثمّ صلّى ركعتين، ثمّ قال لأسعد: يا أبا أمامة أنا أبعث إليك الآن خالك، وأحتال عليه في أن يجيئك، فرجع أسيد إلى سعد بن معاذ فلمّا نظر إليه سعد قال: أقسم أنّ أسيداً قد رجع إلينا بغير الوجه الّذي ذهب من عندنا، وأتاهم سعد بن معاذ فقرأ عليه مصعب ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢﴾ فلمّا سمعها قال مصعب: والله لقد رأينا الإسلام في وجهه قبل أن يتكلّم، فبعث إلى منزله وأتى بثوبين طاهرين، واغتسل وشهد الشهادتين، وصلّى ركعتين، ثمّ قام وأخذ بيد مصعب وحوّله إليه، وقال: أظهر أمرك، ولا تهابنّ أحداً، ثمّ جاء فوقف في بني عمرو بن عوف وصاح: يا بني عمرو بن عوف لا يبقينّ رجل ولا امرأة ولا بكر ولا ذات بعل ولا شيخ ولا صبيّ إلاّ أن خرج، فليس هذا يوم ستر ولا حجاب، فلمّا اجتمعوا قال: كيف حالي عندكم؟ قالوا: أنت سيّدنا، والمطاع فينا، ولا نردّ لك أمراً، فمرنا بما شئت، فقال: كلام رجالكم ونسائكم وصبيانكم عليّ حرام حتّى تشهدوا أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمّداً رسول الله، فالحمد لله الّذي أكرمنا بذلك، وهو الّذي كانت اليهود تخبرنا به، فما بقي دار من دور بني عمرو بن عوف في ذلك اليوم إلاّ وفيها مسلم أو

مسلمة، وحوّل مصعب بن عمير إليه، وقال له: أظهر أمرك، وادع الناس علانية، وشاع الإسلام بالمدينة، وكثر، ودخل فيه من البطنين جميعاً أشرافهم، وذلك لما كان عندهم من أخبار اليهود، وبلغ رسول الله ﷺ أنّ الأوس والخزرج قد دخلوا في الإسلام، وكتب إليه مصعب بذلك، وكان كلّ من دخل في الإسلام من قريش ضربه قومه وعذّبوه، فكان رسول الله ﷺ يأمرهم أن يخرجوا إلى المدينة فكانوا يتسلّلون رجلاً فرجلاً فيصيرون إلى المدينة، فينزلهم الأوس والخزرج عليهم ويواسونهم.

قال: فلمّا قدمت الأوس والخزرج مكّة جاءهم رسول الله ﷺ فقال لهم: تمنعون لي جانبي حتّى أتلو عليكم كتاب ربكم، وثوابكم على الله الجنّة، قالوا: نعم يا رسول الله، فخذ لنفسك ولربّك ما شئت، فقال: موعدكم العقبة في اللّيلة الوسطى من ليالي التشريق، فلمّا حجّوا رجعوا إلى منى وكان فيهم ممّن قد أسلم بشر كثير، وكان أكثرهم مشركين على دينهم، وعبدالله بن أبيّ فيهم، فقال لهم رسول الله في اليوم الثاني من أيّام التشريق: فاحضروا دار عبد المطّلب على العقبة، ولا تنبهوا نائماً وليتسلّل واحد فواحد، وكان رسول الله ﷺ نازلاً في دار عبد المطّلب وحمزة وعليّ والعبّاس معه، فجاءه سبعون رجلاً من الأوس والخزرج فدخلوا الدار فلمّا اجتمعوا قال لهم رسول الله ﷺ: تمنعون لي جانبي حتّى أتلو عليكم كتاب ربّي، وثوابكم على الله الجنة؟ فقال أسعد بن زرارة والبراء بن معرور وعبدالله بن حزام: نعم يا رسول الله، فاشترط لنفسك ولربّك. فقال رسول الله: تمنعونني ممّا تمنعون أنفسكم وتمنعون أهلي ممّا تمنعون أهليكم وأولادكم؟ قالوا: فما لنا على ذلك؟ قال: الجنّة، تملكون بها العرب في الدنيا، وتدين لكم العجم، وتكونون ملوكاً، فقالوا: قد رضينا، فقام العبّاس بن نضلة وكان من الأوس فقال: يا معشر الأوس والخزرج تعلمون على ما تقدمون عليه؟ إنّما تقدمون على حرب الأحمر والأبيض، وعلى حرب ملوك الدنيا فإن علمتم أنّه إذا أصابتكم المصيبة في أنفسكم خذلتموه وتركتموه فلا تغرّوه، فإنّ رسول الله وإن كان قومه خالفوه فهو في عزّ ومنعة. فقال له عبد الله بن حزام وأسعد بن زرارة وأبو الهيثم بن التيهان: ما لك وللكلام؟ يا رسول الله! بل دمنا بدمك، وأنفسنا بنفسك فاشترط لربّك ولنفسك ما شئت، فقال رسول الله ﷺ: أخرجوا إليّ منكم اثني عشر نقيباً يكفلون عليكم بذلك، كما أخذ موسى عليه السلام من بني إسرائيل اثني عشر نقيباً، فقالوا: اختر من شئت، فأشار جبرئيل إليهم، فقال: هذا نقيب، وهذا نقيب، وهذا نقيب حتّى اختار تسعة من الخزرج، وهم أسعد بن زرارة، والبراء بن معرور، وعبدالله بن حزام أبو جابر بن عبد الله، ورافع بن مالك، وسعد بن عبادة، والمنذر بن عمرو وعبدالله بن رواحة، وسعد بن الربيع، وعبّادة بن الصامت، وثلاثة من الأوس وهم أبو الهيثم بن التيهان، وكان رجلاً من اليمن، حليفاً في بني عمرو بن عوف، وأسيد بن حضير، وسعد بن خيثمة، فلمّا اجتمعوا وبايعوا رسول الله صاح بهم إبليس: يا معشر قريش والعرب هذا محمّد والصباة من الأوس والخزرج

على جمرة العقبة يبايعونه على حربكم فأسمع أهل منى فهاجت قريش وأقبلوا بالسلاح وسمع رسول الله النداء فقال للأنصار: تفرّقوا، فقالوا: يا رسول الله إن أمرتنا أن نميل عليهم بأسيافنا فعلنا، فقال رسول الله ﷺ: لم أؤمر بذلك ولم يأذن الله لي في محاربتهم، فقالوا: يا رسول الله فتخرج معنا، قال: أنتظر أمر الله، فجاءت قريش على بكرة أبيها قد أخذوا السلاح، وخرج حمزة ومعه السيف فوقف على العقبة هو وعليّ بن أبي طالب، فلمّا نظروا إلى حمزة قالوا: ما هذا الّذي اجتمعتم عليه؟ قال: ما اجتمعنا، وما ههنا أحد، والله لا يجوز أحد هذه العقبة إلا ضربته بسيفي، فرجعوا وغدوا إلى عبد الله بن أبيّ وقالوا له: قد بلغنا أنّ قومك بايعوا محمّداً على حربنا، فحلف لهم عبد الله أنّهم لم يفعلوا ولا علم له بذلك، وأنّهم لم يطلعوه على أمرهم فصدّقوه، وتفرّقت الأنصار ورجع رسول الله إلى مكّة(١).

بيان: الحبلة بالضمّ: الكرم، أو أصل من أصوله، ويحرّك، والسبّة بالضمّ العار، والمسبّة: الّذي يسبّ النّاس، وقال الفيروز آباديّ: بعاث بالعين وبالغين كغراب ويثلّث: موضع بقرب المدينة، ويومه معروف، قوله: إنّ عهدك بهذا لقريب، لعلّ المعنى أنّك قريب العهد بالتحيّة الّتي حيّيتك بها، فإنّها كانت عادة قومك، أو بهذه التحيّة، أي ابتداءها، فاصدق الله فيه، أي ابذل جهدك في هدايته لتكون صادقاً عند الله فيما تدّعي من نصرة دينه، وانسلّ وتسلّل: خرج في استخفاء، وقال الجزريّ: في الحديث جاءت هوازن على بكرة أبيها، هذه كلمة للعرب يريدون بها الكثرة وتوفّر العدد، وأنّهم جاءوا جميعاً لم يتخلّف منهم أحد، وليس هناك بكرة في الحقيقة، وهي الّتي يستقى عليها الماء، فاستعيرت في هذا الموضع.

٦ - **كا:** عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي نصر، عن إبراهيم بن محمّد الأشعريّ، عن عبيدة بن زرارة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا توفّي أبو طالب رضي الله عنه نزل جبرئيل على رسول الله ﷺ فقال: يا محمّد اخرج من مكّة، فليس لك بها ناصر، وثارت قريش بالنبيّ ﷺ، فخرج هارباً حتّى جاء إلى جبل بمكّة يقال له الحجون فصار إليه(٢).

٧ - **قب:** توفّي أبو طالب بعد نبوّته بتسع سنين وثمانية أشهر، وذلك بعد خروجه من الشعب بشهرين، وزعم الواقديّ أنّهم خرجوا من الشعب قبل الهجرة بثلاث سنين، وفي هذه السنة توفّي أبو طالب، وتوفّيت خديجة بعده بستّة أشهر وله ستّ وأربعون سنة وثمانية أشهر وأربعة وعشرون يوماً، ويقال: وهو ابن سبع وأربعين سنة وستّة أشهر وأيّاماً.

أبو عبد الله بن منده في كتاب المعرفة: إنّ وفاة خديجة بعد موت أبي طالب بثلاثة أيّام.

المعرفة: عن النسويّ توفّيت خديجة بمكّة قبل الهجرة من قبل أن تفرض الصلاة على الموتى، وسمّي ذلك العام عام الحزن، ولبث ﷺ بعدهما بمكّة ثلاثة أشهر، فأمر أصحابه

---

(١) اعلام الورى، ص ٧٠.

(٢) اصول الكافي، ج ١ ص ٢٦٩ باب مولد النبي ﷺ، ح ٣١.

بالهجرة إلى الحبشة، فخرج جماعة من أصحابه بأهاليهم، وذلك بعد خمس من نبوّته، وكان حصار الشعب وكتابة الصحيفة أربع سنين، وقيل: ثلاث سنين، وقيل: سنتين، فلمّا توفّي أبو طالب خرج إلى الطائف وأقام فيه شهراً، وكان معه زيد بن الحارث، ثمّ انصرف إلى مكّة، ومكث فيها سنة وستّة أشهر في جوار مطعم بن عديّ، وكان يدعو القبائل في المواسم، فكانت بيعة العقبة الأولى بمنى[1]، فبايعه خمسة نفر من الخزرج، وواحد من الأوس في خفية من قومهم، وهم جابر بن عبد الله، وقطنة بن عامر بن حزام، وعوف بن الحارث وحارثة ابن ثعلبة، ومرثد بن الأسد، وأبو أمامة ثعلبة بن عمرو، ويقال: هو أسعد بن زرارة، فلمّا انصرفوا إلى المدينة وذكروا القصّة وقرؤوا القرآن صدّقوه، وفي السنّة القابلة وهي العقبة الثانية أنفذوا معهم ستّة أخرى بالسلام والبيعة، وهم أبو الهيثم بن التيهان، وعبادة بن الصامت، وذكوان بن عبد الله ونافع بن مالك بن العجلان، وعبّاس بن عبادة بن نضلة، ويزيد ابن ثعلبة حليف له، ويقال: مسعود بن الحارث، وعويم بن ساعدة حليف لهم، ثمّ أنفذ النبيّ ﷺ معهم ابن عمّه مصعب بن هاشم، فنزل دار أسعد بن زرارة فاجتمعوا عليه وأسلم أكثرهم إلا دار أميّة بن زيد وحطمة ووائل وواقف، فإنّهم أسلموا بعد بدر وأحد والخندق، وفي السنة القابلة كانت بيعة الحرس كانوا من الأوس والخزرج سبعين رجلاً وامرأتين، واختار ﷺ منهم اثني عشر نقيباً ليكونوا كفلاء قومه، تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس، فمن الخزرج أسعد وجابر والبراء بن معرور وعبدالله بن حزام وسعد بن عبادة والمنذر بن قمر وعبدالله بن رواحة وسعد بن الربيع، ومن القوافل عبادة بن الصامت، ومن الأوس أبو الهيثم وأسيد بن حضير، وسعيد بن خيثمة[2].

٨ - يج: من معجزاته ﷺ أنّ قريشاً كلّهم اجتمعوا وأخرجوا بني هاشم إلى شعب أبي طالب، ومكثوا فيه ثلاث سنين إلا شهراً، ثمّ أنفق أبو طالب وخديجة جميع مالهما، ولا يقدرون على الطعام إلا من موسم إلى موسم، فلقوا من الجوع والعري ما الله أعلم به وإنّ الله قد بعث على صحيفتهم الأرضة فأكلت كلّ ما فيها إلا اسم الله، فذكر ذلك رسول الله ﷺ لأبي طالب، فما راع قريشاً إلا وبني هاشم عنق واحد قد خرجوا من الشعب، فقالوا: الجوع أخرجهم، فجاءوا حتّى أتوا الحجر وجلسوا فيه، وكان لا يقعد فيه صبيان قريش، فقالوا: يا أبا طالب قد آن لك أن تصالح قومك، قال: قد جئتكم مخبراً ابعثوا إلى صحيفتكم لعلّه أن يكون بيننا وبينكم صلح فيها، فبعثوا إليها وهي عند أمّ أبي جهل، وكانت قبل في الكعبة، فخافوا عليها السراق فوضعت بين أيديهم وخواتيمهم عليها، فقال أبو طالب: هل تنكرون

---

(١) ذكر بيعة العقبة الأولى والثانية مع النبيّ ﷺ وعدد من بايع والنقباء الأثني عشر وأسمائهم، كتاب الغدير ج ٧ ص ٢٦٢ [النمازي].

(٢) مناقب ابن شهرآشوب، ج ١ ص ٢٢٣.

منها شيئاً؟ قالوا: لا، قال: إنّ ابن أخي حدّثني ولم يكذبني قط أنّ الله قد بعث على هذه الصحيفة الأرضة فأكلت كلّ قطيعة وإثم، وتركت كلّ اسم هو لله فإن كان صادقاً أقلعتم عن ظلمنا، وإن يكن كاذباً ندفعه إليكم فقتلتموه، فصاح النّاس: أنصفتنا يا أبا طالب، ففتحت ثمّ أخرجت فإذا هي مشربة كما قال ﷺ فكبّر المسلمون وامتقعت وجوه المشركين، فقال أبو طالب: أتبيّن لكم أيّنا أولى بالسحر والكهانة؟ فأسلم يومئذ عالم من النّاس، ثمّ رجع أبو طالب إلى شعبه، ثمّ عيّرهم هشام بن عمرو العامريّ بما صنعوا ببني هاشم[1].

٩ - **قب:** روى الزهريّ في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ﴾[2] الآيات قال: لمّا توفّي أبو طالب لم يجد النبيّ ﷺ ناصراً، ونثروا على رأسه التراب، قال: ما نال منّي قريش شيئاً حتّى مات أبو طالب، وكان يستتر من الرمي بالحجر الّذي عند باب البيت من يسار من يدخل، وهو ذراع وشبر في ذراع إذا جاءه من دار أبي لهب ودار عديّ بن حمران وقالوا: لو كان محمد نبيّاً لشغلته النبوّة عن النساء ولأمكنه جميع الآيات، ولأمكنه منع الموت عن أقاربه، ولما مات أبو طالب وخديجة فنزل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ﴾ الآية[3].

الزهريّ في قوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾[4] الآية. لمّا توفّي أبو طالب واشتدّ عليه البلاء عمد إلى ثقيف بالطائف رجاء أن يؤووه سادتها، فلم يقبلوه وتبعه سفهاؤهم بالأحجار، ودموا رجليه، فخلص منهم واستظلّ في ظلّ حبلة منه وقال: اللّهمّ إنّي أشكو إليك من ضعف قوّتي، وقلّة حيلتي وناصري وهواني على النّاس يا أرحم الراحمين. ثمّ ذكر حديث عداس كما مرّ في رواية الطبرسيّ[5].

ابن مسعود: لمّا دخل النبيّ ﷺ الطائف رأى عتبة وشيبة جالسين على سرير فقالا: هو يقوم قبلنا، فلمّا قرب النبيّ منهما خرّ السرير ووقعا على الأرض فقالا: عجز سحرك عن أهل مكّة فأتيت الطائف[6].

١٠ - **شي:** عن محمّد الحلبيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: اكتتم رسول الله ﷺ بمكّة سنين ليس يظهر وعليّ معه وخديجة، ثمّ أمره الله أن يصدع بما يؤمر، فظهر رسول الله ﷺ فجعل يعرض نفسه على قبائل العرب، فإذا أتاهم قالوا: كذّاب امض عنّا[7].

١١ - **أقول:** قال الكازرونيّ في المنتقى وغيره: في سنة ثمان من نبوّته ﷺ تعاهد قريش وتقاسمت على معاداة رسول الله ﷺ، وذلك أنّه لمّا أسلم حمزة وحمى النجاشيّ من عنده من المسلمين، وحامى رسول الله ﷺ عمّه أبو طالب وقامت بنو هاشم وبنو عبد المطّلب

---

(١) الخرائج والجرائح، ج ١ ص ٨٥ ح ١٤١.
(٢) سورة الأحقاف، الآية: ٢٦.
(٣) سورة الرعد، الآية: ٣٨.
(٤) سورة التوبة، الآية: ١٢٩.
(٥) مناقب ابن شهرآشوب، ج ١ ص ٩٩.
(٦) مناقب ابن شهرآشوب، ج ١ ص ١٧٢.
(٧) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٢٧٢ ح ٤٧ من سورة الحجر.

دونه وأبوا أن يسلموه فشا الإسلام في القبائل، واجتهد المشركون في إخفاء ذلك النور، ويأبى الله إلا أن يتمّ نوره، فعرفت قريش أنّه لا سبيل إلى محمّد ﷺ اجتمعوا على أن يكتبوا فيما بينهم على بني هاشم وبني عبد المطّلب أن لا يناكحوهم، ولا يبايعوهم، فكتبوا صحيفة في ذلك وكتب فيها جماعة وعلّقوها بالكعبة، ثمّ عدوا على من أسلم فأوثقوهم وآذوهم واشتدّ البلاء عليهم، وعظمت الفتنة فيهم، وزلزلوا زلزالاً شديداً، وأبدت قريش لبني عبد المطّلب الجفاء وثار بينهم شرّ وقالوا: لا صلح بيننا وبينكم، ولا رحم إلا على قتل هذا الصابئ، فعمد أبو طالب فأدخل الشعب ابن أخيه وبني أبيه ومن اتّبعهم، فدخلوا شعب أبي طالب وآذوا النبيّ والمؤمنين أذياً شديداً، وضربوهم في كلّ طريق، وحصروهم في شعبهم وقطعوا عنهم المارّة من الأسواق، ونادى مناد الوليد بن المغيرة في قريش: أيما رجل منهم وجدتموه عند طعام يشتريه فزيدوا عليه، فبقوا على ذلك ثلاث سنين حتّى بلغ القوم الجهد الشديد حتّى سمعوا أصوات صبيانهم يتضاغون - أي يصيحون من الجوع من وراء الشعب - وكان المشركون يكرهون ما فيه بنو هاشم من البلاء حتّى كره عامة قريش ما أصاب بني هاشم، وأظهروا كراهيتهم لصحيفتهم القاطعة الظالمة حتّى أراد رجال أن يبرأوا منها، وكان أبو طالب يخاف أن يغتالوا رسول الله ﷺ ليلاً أو سرّاً وكان النبيّ ﷺ إذا أخذ مضجعه أو رقد جعله أبو طالب بينه وبين بنيه خشية أن يقتلوه، ويصبح قريش وقد سمعوا أصوات صبيان بني هاشم من اللّيل يتضاغون من الجوع، فيجلسون عند الكعبة فيسأل بعضهم بعضاً فيقول الرجل لأصحابه: كيف بات أهلك البارحة؟ فيقولون: بخير، فيقول: لكنّ إخوانكم هؤلاء الّذين في الشعب باتت صبيانهم يتضاغون من الجوع، فمنهم من يعجبه ما يلقى محمّد ورهطه، ومنهم من يكره ذلك، فأتى من قريش على ذلك من أمرهم في بني هاشم سنتين أو ثلاثاً حتّى جهد القوم جهداً شديداً لا يصل إليهم شيء إلا سرّاً ومستخفى به ممّن أراد صلتهم من قريش، حتّى روي أنّ حكيم بن حزام خرج يوماً ومعه إنسان يحمل طعاماً إلى عمّته خديجة بنت خويلد وهي تحت رسول الله ﷺ في الشعب، إذ لقيه أبو جهل فقال: تذهب بالطعام إلى بني هاشم؟ والله لا تبرح أنت ولا طعامك حتّى أفضحك عند قريش، فقال له أبو البختري ابن هشام بن الحارث: تمنعه أن يرسل إلى عمّته بطعام كان لها عنده؟ فأبى أبو جهل أن يدعه، فقام إليه أبو البختريّ بساق بعير فشجّه ووطئه وطئاً شديداً، وحمزة بن عبد المطّلب قريب يرى ذلك، وهم يكرهون أن يبلغ ذلك رسول الله وأصحابه فيشمتوا بهم، وحتى روي أنّ هشام بن عمرو بن ربيعة أدخل على بني هاشم في ليلة ثلاثة أحمال طعام، فعلمت بذلك قريش فمشوا إليه فكلّموه في ذلك، فقال: إنّي غير عائد لشيء يخالفكم، ثمّ عاد الثانية فأدخل حملاً أو حملين ليلاً، وصادفته قريش وهمّوا به، فقال أبو سفيان: دعوه رجل وصل رحمه ا إنّي أحلف بالله لو فعلنا مثل ما فعل كان أجمل بنا، ووفّق الله هشاماً للإسلام يوم الفتح.

قال: وفي سنة عشر من نبوّته ﷺ توفّي أبو طالب، قال ابن عبّاس: عارض رسول الله ﷺ جنازة أبي طالب، فقال: وصلتك رحم، وجزاك الله خيراً يا عمّ.

وفي هذه السنة توفّيت خديجة بعد أبي طالب بأيّام، ولمّا مرضت مرضها الّذي توفّيت فيه دخل عليها رسول الله فقال لها: بالكره منّي ما أرى منك يا خديجة، وقد يجعل الله في الكره خيراً كثيراً، أما علمت أنّ الله قد زوّجني معك في الجنّة مريم بنت عمران، وكلثم أخت موسى، وآسية امرأة فرعون، قالت: وقد فعل الله ذلك يا رسول الله؟ قال: نعم، قالت: بالرفاء والبنين، وتوفّيت خديجة وهي بنت خمس وستّين، ودفنت بالحجون، ونزل رسول الله ﷺ قبرها ولم يكن يومئذ سنّة الجنازة والصلاة عليها، وروي عن عبد الله بن ثعلبة بن صغير قال: لمّا توفّي أبو طالب وخديجة وكان بينهما شهر وخمسة أيّام اجتمعت على رسول الله ﷺ مصيبتان فلزم بيته، وأقلّ الخروج، ونالت منه قريش ما لم تكن تنال ولا تطمع، فبلغ ذلك أبا لهب فجاءه فقال: يا محمّد امض لما أردت، وما كنت صانعاً إذ كان أبو طالب حيّاً فاصنعه، لا واللّات لا يوصل إليك حتّى أموت، وسبّ ابن غيطلة النبيّ ﷺ فأقبل عليه أبو لهب فنال منه، فولى يصيح: يا معشر قريش: صبأ أبو عتبة، فأقبلت قريش حتّى وقفوا على أبي لهب فقال: ما فارقت دين عبد المطّلب، ولكنّي أمنع ابن أخي أن يضام حتّى يمضي لما يريد، قالوا: أحسنت وأجملت ووصلت الرحم، فمكث رسول الله ﷺ كذلك أيّاماً يذهب ويأتي لا يتعرّض له أحد من قريش، وهابوا أبا لهب إذ جاء عقبة بن أبي معيط وأبو جهل إلى أبي لهب فاحتالا حتّى صرفاه عن نصرته ﷺ.

وفي هذه السنة خرج إلى الطائف وإلى ثقيف، عن محمّد بن جبير قال: لمّا توفّي أبو طالب تناولت قريش من رسول الله ﷺ، فخرج إلى الطائف ومعه زيد بن حارثة وذلك في ليال بقين من شوّال سنة عشر من النبوّة، فأقام بها عشرة أيّام، وقيل: شهراً، فآذوه ورموه بالحجارة، فانصرف إلى مكّة، فلمّا نزل نخلة صرف الله إليه النفر من الجنّ، وروي أنّه لمّا انصرف من الطائف عمد إلى ظلّ حبلة من عنب فجلس فيه وقال: «اللّهمّ إنّي أشكو إليك ضعف قوّتي، وقلّة حيلتي، وهواني على النّاس، أنت أرحم الراحمين، أنت ربّ المستضعفين، وأنت ربّي إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهّمني، أو إلى عدوّ ملّكته أمري؟ إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الّذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بي غضبك، أو يحلّ عليّ سخطك، لكن لك العتبى حتّى ترضى، ولا حول ولا قوّة إلا بك».

قال: ولمّا دخل مكّة كان يقف بالموسم على القبائل فيقول: يا بني فلان إنّي رسول الله إليكم، يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وكان خلفه أبو لهب فيقول: لا تطيعوه، وأتى رسول الله ﷺ كندة في منازلهم فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ فأبوا، وأتى كلباً في منازلهم فلم يقبلوا منه، وأتى بني حنيفة في منازلهم فردّوا عليه أقبح ردّ.

وفي هذه السنة تزوّج رسول الله بعائشة وسودة، وكانت عائشة بنت ستّ سنين حينئذ، وروي لمّا هلكت خديجة جاءت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون فقالت: يا رسول الله ألا تتزوّج؟ قال: من؟ قالت: إن شئت بكراً، وإن شئت ثيّباً قال: فمن البكر؟ قالت: بنت أبي بكر، قال: ومن الثيّب؟ قالت: سودة بنت زمعة قد آمنت بك واتّبعتك على ما تقول، قال: فاذهبي فاذكريهما عليّ، فذهبت إلى أبويهما وخطبتهما فقبلا وتزوّجهما.

وفي سنة إحدى عشرة من نبوّته كان بدء إسلام الأنصار، وذلك ما روي أنّ رسول الله ﷺ خرج في الموسم يعرض نفسه على القبائل فبينا هو على العقبة إذ لقي رهطاً من الخزرج، فقال: من أنتم؟ فقالوا: من الخزرج، قال: أفلا تجلسون أكلّمكم؟ قالوا: بلى، فجلسوا معه فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ، وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن، وكان أولئك يسمعون من اليهود أنّه قد أظلّ زمان نبيّ يبعث، فلمّا كلّمهم قال بعضهم لبعض: والله إنّه للنبيّ الّذي يعدكم به اليهود فلا يسبقنّكم إليه، وانصرفوا راجعين إلى بلادهم وقد آمنوا، وكانوا ستّة أنفس: أسعد بن زرارة، وعون بن الحارث وهو ابن عفراء، ورافع بن مالك بن عجلان، وقطبة بن عامر بن حديدة، وعقبة بن عامر، وجابر بن عبد الله، فلمّا قدموا المدينة على قومهم ذكروا لهم رسول الله ﷺ ودعوهم إلى الإسلام حتّى فشا فيهم دينهم فلم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر رسول الله ﷺ.

وفي سنة اثنتي عشرة من نبوّته كان المعراج، وفي هذه السنة كانت بيعة العقبة الأولى، وذلك أنّ رسول الله ﷺ خرج عامئذ إلى الموسم، وقد قدم من الأنصار اثنا عشر رجلاً، فلقوه بالعقبة وهي العقبة الأولى فبايعهم رسول الله ﷺ. قال عبادة بن الصامت: بايعنا رسول الله ليلة العقبة الأولى، ونحن اثنا عشر رجلاً أنا أحدهم فلمّا انصرفوا بعث معهم مصعب بن عمير إلى المدينة يفقّه أهلها ويقرئهم القرآن.

وفي سنة ثلاث عشرة كانت بيعة العقبة الثانية، وذلك أنّ رسول الله ﷺ خرج إلى الموسم فلقيه جماعة من الأنصار، فواعدوه العقبة من أوسط أيّام التشريق، قال كعب بن مالك: اجتمعنا في الشعب عند العقبة ونحن سبعون رجلاً ومعهم امرأتان من نسائهم: نسيبة بنت كعب أمّ عمّار، وأسماء بنت عمرو بن عديّ وهي أمّ منيع فبايعنا وجعل علينا اثنا عشر نقيباً منّا: تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس، ثمّ أمر رسول الله ﷺ أصحابه بالخروج إلى المدينة، فخرجوا أرسالاً، وأقام هو بمكّة ينتظر أن يؤذن له.

بيان: الأرسال بالفتح جمع الرسل بالتحريك وهو القطيع من كلّ شيء، أي زمراً زمراً، ويحتمل الإرسال بالكسر وهو الرفق والتؤدة.

١٢ - **يه:** دخل رسول الله ﷺ على خديجة وهي لما بها، فقال لها: بالرغم منّا ما نرى بك يا خديجة، فإذا قدمت على ضرائرك فأقرئيهنّ السلام فقالت: من هنّ يا رسول الله؟ قال ﷺ: مريم بنت عمران، وكلثم أخت موسى، وآسية امرأة فرعون، قالت: بالرفاء يا

رسول الله[1].

بيان: قوله: هي لما بها، اللّام ظرفيّة، أو بمعنى إلى، والمعنى أنّها كانت في الاحتضار، قوله ﷺ: بالرغم منّا ما نرى بك، قوله: «ما نرى» مبتدأ، وبالرغم خبر، أي ما نرى بك متلبّس بالرغم والكراهة منّا، والرفاء بالكسر: الاتّفاق والالتئام والبركة والنماء.

١٣ - **مصبا:** في السادس والعشرين من شهر رجب كانت وفاة أبي طالب رحمة الله عليه على قول ابن عياش[2].

١٤ - **ص:** إنّ أبا طالب رضي الله عنه توفّي في آخر السنة العاشرة من مبعث رسول الله ﷺ، ثمّ توفّيت خديجة رضي الله عنها بعد أبي طالب بثلاثة أيّام، فسمّى رسول الله ذلك العام عام الحزن، فقال: ما زالت قريش قاعدة عنّي حتّى مات أبو طالب[3].

١٥ - **قب:** كان النبيّ ﷺ يعرض نفسه على قبائل العرب في الموسم، فلقي رهطاً من الخزرج فقال: ألا تجلسون أحدّثكم؟ قالوا: بلى، فجلسوا إليه فدعاهم إلى الله، وتلا عليهم القرآن، فقال بعضهم لبعض: يا قوم تعلمون؟ والله إنّه النبيّ الّذي كان يوعدكم به اليهود، فلا يسبقنّكم إليه أحد، فأجابوه، وقالوا له: إنّا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشرّ مثل ما بينهم، وعسى أن يجمع الله بينهم بك، فستقدم عليهم وتدعوهم إلى أمرك، وكانوا ستّة نفر، قال: فلمّا قدموا المدينة فأخبروا قومهم بالخبر فما دار حول إلا وفيها حديث رسول الله ﷺ حتّى إذا كان العام المقبل أتى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً، فلقوا النبيّ ﷺ فبايعوه على بيعة النساء ألا يشركوا بالله شيئاً، ولا يسرقوا، إلى آخرها، ثمّ انصرفوا، وبعث معهم مصعب بن عمير يصلّي بهم، وكان بينهم بالمدينة يسمّى المقرئ فلم يبق دار في المدينة إلا وفيها رجال ونساء مسلمون إلا دار أميّة وحطيمة ووائل وهم من الأوس، ثمّ عاد مصعب إلى مكّة، وخرج من خرج من الأنصار إلى الموسم مع حجّاج قومهم، فاجتمعوا في الشعب عند العقبة ثلاثة وسبعون رجلاً، وامرأتان في أيّام التشريق بالليل، فقال ﷺ: أبايعكم على الإسلام، فقال له بعضهم: نريد أن تعرّفنا يا رسول الله ما لله علينا، وما لك علينا، وما لنا على الله، فقال: أمّا ما لله عليكم فأن تعبدوه، ولا تشركوا به شيئاً، وأمّا ما لي عليكم فتنصرونني مثل نسائكم وأبنائكم، وأن تصبروا على عضّ السيف وإن يقتل خياركم، قالوا: فإذا فعلنا ذلك ما لنا على الله؟ قال: أمّا في الدنيا فالظهور على من عاداكم، وفي الآخرة رضوانه والجنّة، فأخذ البراء بن معرور بيده ثمّ قال: والّذي بعثك بالحقّ لنمنعك بما نمنع به أُزرنا، فبايعنا يا رسول الله فنحن والله أهل الحروب، وأهل الحلقة، ورثناها كباراً عن كبار، فقال أبو الهيثم: إنّ بيننا وبين الرجال حبالاً، وإنّا إن

---

(١) من لا يحضره الفقيه، ج ١ ص ٥٥ ح ٣٨٣.

(٢) مصباح المتهجد، ص ٥٦٣.

(٣) قصص الأنبياء، ص ٣١٧.

قطعناها أو قطعوها فهل عسيت إن فعلنا ذلك ثمّ أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟ فتبسّم رسول الله ﷺ، ثمّ قال: بل الدم الدم، والهدم الهدم، أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم، ثمّ قال: أخرجوا إليّ منكم اثني عشر نقيباً، فاختاروا، ثمّ قال: أبايعكم كبيعة عيسى بن مريم للحواريّين كفلاء على قومهم بما فيهم، وعلى أن تمنعوني ممّا تمنعون منه نساءكم وأبناءكم، فبايعوه على ذلك، فصرخ الشيطان في العقبة: يا أهل الجباجب هل لكم في محمّد والصباة معه؟ قد اجتمعوا على حربكم، ثمّ نفر النّاس من منى، وفشا الخبر فخرجوا في الطلب فأدركوا سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو، فأمّا المنذر فأعجز القوم، وأمّا سعد فأخذوه وربطوه بنسع رحله، وأدخلوه مكّة يضربونه، فبلغ خبره إلى جبير بن مطعم والحارث بن حرب بن أمية فأتياه وخلّصاه، وكان النبيّ ﷺ لم يؤمر إلا بالدعاء والصبر على الأذى، والصفح عن الجاهل، فطالت قريش على المسلمين، فلمّا كثر عتوّهم أمر بالهجرة، فقال ﷺ: إنّ الله قد جعل لكم داراً وإخواناً تأمنون بها فخرجوا أرسالاً حتّى لم يبق مع النبيّ ﷺ إلا عليّ وأبو بكر، فحذرت قريش خروجه، وعرفوا أنّه قد أجمع لحربهم، فاجتمعوا في دار الندوة وهي دار قصيّ بن كلاب يتشاورون في أمره وساق الحديث إلى آخر ما سيأتي في الباب الآتي برواية الشيخ عن ابن أبي هالة[1].

بيان: يسمّى المقرئ لأنّه كان يقرئهم القرآن. وقال الجزريّ: في حديث بيعة العقبة: لنمنعك ممّا نمنع منه أزرنا، أي نساءنا، وأهلنا، كنّى عنهن بالأزر وقيل: أراد أنفسنا، وقد يكنى عن النفس بالأزر، وقال في قوله: والهدم الهدم: يروى بسكون الدال وفتحها، فالهدم بالتحريك، القبر، يعني أنّي أقبر حيث تقبرون، وقيل: هو المنزل، أي منزلكم منزلي، وفي الحديث الآخر: المحيى محياكم، والممات مماتكم، أي لا أفارقكم، والهدم بالسكون والفتح أيضاً هو إهدار دم القتيل، يقال: دماؤهم بينهم هدم، أي مهدرة، والمعنى إن طلب دمكم فقد طلب دمي، وإن أهدر دمكم فقد أهدر دمي لاستحكام الألفة بيننا، وهو قول معروف للعرب يقولون: دمي دمك وهدمي هدمك، وذلك عند المعاهدة والنصرة، وقال: في حديث بيعة الأنصار: نادى الشيطان، يا أصحاب الجباجب، هي جمع جبجب بالضمّ، وهو المستوي من الأرض ليس بحزن، وهي ههنا أسماء منازل سمّيت به، قيل: لأنّ كروش الأضاحي تلقى فيها أيّام الحجّ، والجبجبة الكرش، يجعل فيها اللحم يتزوّد في الأسفار.

٦ - باب الهجرة ومباديها، ومبيت علي عليه السلام على فراش النبي ﷺ، وما جرى بعد ذلك إلى دخول المدينة

الآيات، النساء «٤»: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ

(١) مناقب ابن شهرآشوب، ج ١ ص ٢٣١.

مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾.

الأنفال «٨»: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ «٣٠».

وقال تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ ۚ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ «٣٤».

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا ۚ وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنْكُمْ ۚ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾﴾.

التوبة «٩»: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ «٤٠».

النحل «١٦»: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾﴾.

وقال تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾ - إلى قوله تعالى: - ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾.

الحج: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾﴾.

العنكبوت «٢٩»: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ - إلى قوله تعالى: - ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾﴾.

محمد: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ «١٣».

المزمل «٧٣»: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ «١٠».

تفسيره قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ قال الطبرسيّ رحمه الله: قال أبو حمزة الثماليّ: بلغنا أنّ المشركين يوم بدر لم يخلفوا إذ خرجوا أحداً إلا صبيّاً أو شيخاً كبيراً أو مريضاً، فخرج معهم ناس ممّن تكلّم بالإسلام، فلمّا التقى المشركون ورسول الله صلى الله عليه وآله نظر الّذين كانوا قد تكلّموا بالإسلام إلى قلّة المسلمين فارتابوا فأصيبوا فيمن أصيب من المشركين، فنزلت فيهم الآية، وهو المرويّ عن ابن عبّاس والسدّيّ وقتادة، وقيل: إنّهم قيس بن الفاكهة بن المغيرة[1]، والحارث بن زمعة بن الأسود وقيس بن الوليد بن المغيرة، وأبو العاص بن المنبّه بن الحجّاج، وعليّ بن أميّة بن خلف، عن عكرمة، ورواه أبو الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام، قال ابن عبّاس: كنت أنا من المستضعفين، وكنت غلاماً صغيراً، وذكر عنه أيضاً أنّه قال: كان أبي من المستضعفين من الرجال، وكانت أمّي من المستضعفات من النساء، وكنت أنا من المستضعفين من الولدان. ﴿تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ أي تقبض أرواحهم ﴿فِيمَ كُنتُمْ﴾ أي في أيّ شيء كنتم من دينكم على وجه التقريرأو التوبيخ ﴿مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي يستضعفنا أهل الشرك بالله في أرضنا وبلادنا يمنعوننا من الإيمان ﴿قَالُوا﴾ أي الملائكة ﴿فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾ أي فتخرجوا من أرضكم، وتفارقوا من يمنعكم من الإيمان ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ أي الّذين استضعفهم المشركون ويعجزون عن الهجرة لإعسارهم وقلّة حيلتهم ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ في الخلاص من مكّة ﴿مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ أي متحوّلاً من الأرض وسعةً في الرزق، وقيل: مزحزحاً عمّا يكره وسعة من الضلالة إلى الهدى، وقيل: مهاجراً فسيحاً ومتّسعاً ممّا كان فيه من الضيق ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ﴾ قيل: لمّا نزلت آيات الهجرة سمعها رجل من المسلمين وهو جندع، أو جندب بن ضمرة، وكان بمكّة فقال: والله ما أنا ممّن استثنى الله، إنّي لأجد قوّة، وإنّي لعالم بالطريق، وكان مريضاً شديد المرض، فقال لبنيه: والله لا أبيت بمكّة حتّى أخرج منها، فإنّي أخاف أن أموت فيها، فخرجوا يحملونه على سرير حتّى إذا بلغ التنعيم مات، فنزلت الآية، عن أبي حمزة الثماليّ وعن قتادة وعن سعيد بن جبير، وقال عكرمة: وخرج جماعة من مكّة مهاجرين فلحقهم المشركون وفتنوهم عن دينهم فافتتنوا، فأنزل الله فيهم: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ فكتب بها المسلمون إليهم، ثمّ نزلت فيهم: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ مهاجراً من أرض الشرك فارّاً بدينه إلى الله ورسوله ﴿ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ﴾ قبل بلوغه دار الهجرة ﴿فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ أي ثواب عمله وجزاء هجرته على الله، وروى الحسن، عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: من فرّ بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبراً من الأرض استوجب الجنّة، وكان رفيق إبراهيم ومحمّد صلّى الله عليهما وآلهما[2].

---

(١) في المصدر: قيس بن الفاكه بن المغيرة وهو الصحيح. (٢) مجمع البيان، ج ٣ ص ١٦٩.

وقال رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ﴾ قال المفسّرون: إنّها نزلت في قصّة دار الندوة، وذلك أنّ نفراً من قريش اجتمعوا فيها وهي دار قصيّ بن كلاب وتآمروا في أمر النبيّ صلى الله عليه وآله، فقال عروة بن هشام: نتربّص به ريب المنون، وقال أبو البختريّ: أخرجوه عنكم تستريحوا من أذاه، وقال أبو جهل: ما هذا برأي، ولكن اقتلوه بأن يجتمع عليه من كلّ بطن رجل فيضربوه بأسيافهم ضربة رجل واحد، فترضى حينئذ بنو هاشم بالدية، فصوّب إبليس هذا الرأي وكان قد جاءهم في صورة شيخ كبير من أهل نجد، وخطّأ الأوّلين فاتّفقوا على هذا الرأي وأعدّوا الرجال والسلاح، وجاء جبرئيل فأخبر رسول الله صلى الله عليه وآله فخرج إلى الغار وأمر عليّاً عليه السلام فبات على فراشه، فلمّا أصبحوا وفتّشوا عن الفراش وجدوا عليّاً وقد ردّ الله مكرهم، فقالوا: أين محمّد؟ قال: لا أدري، فاقتصّوا أثره وأرسلوا في طلبه فلمّا بلغوا الجبل ومرّوا بالغار رأوا على بابه نسج العنكبوت، فقالوا: لو كان ههنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه، فمكث فيه ثلاثة أيّام ثمّ قدم المدينة ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وهم مشركو العرب، ومنهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة، والنضر بن حارث، وأبو جهل بن هشام، وأبو البختري ابن هشام، وزمعة بن الاسود، وحكيم بن حزام، وأميّة بن خلف وغيرهم ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾ أي ليقيّدوك فيثبتوك في الوثاق أو في الحبس ويسجنوك في بيت، وقيل: ليثخنوك بالجراحة والضرب عن أبان بن تغلب وغيره ﴿أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ أي من مكّة إلى طرف من أطراف الأرض، وقيل: أو يخرجوك على بعير ويطردونه حتّى يذهب في وجهه[(١)].

قال: ولمّا همّوا بقتل رسول الله صلى الله عليه وآله وأخرجوه من مكّة أنزل الله سبحانه: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾ الآية، فعذبهم الله بالسيف يوم بدر ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ﴾ أي ما كان المشركون أولياء المسجد الحرام وإن سعوا في عمارته، وما أولياء المسجد الحرام إلّا المتّقون عن الحسن، وهو المرويّ عن أبي جعفر عليه السلام، وقيل ما كانوا أولياء الله إن أولياء الله إلا المتّقون. وقال رحمه الله في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا﴾ قيل: نزلت في الميراث، وكانوا يتوارثون بالهجرة، وجعل الله الميراث للمهاجرين والانصار دون ذوي الأرحام، وكان الّذي آمن ولم يهاجر لم يرث من أجل أنّه لم يهاجر ولم ينصر وكانوا يعملون بذلك حتّى نزل: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ فنسخت هذا، وصار الميراث لذوي الارحام المؤمنين، عن ابن عبّاس والحسن وقتادة ومجاهد والسديّ ﴿وَالَّذِينَ آوَوا﴾ أي النبيّ صلى الله عليه وآله والمهاجرين بالمدينة وهم الأنصار ﴿أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ في النصرة أو التوارث، وقيل: في نفوذ أمان بعضهم على بعض، وعن أبي جعفر عليه السلام أنهم كانوا يتوارثون بالمؤاخاة الأولى ﴿وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾ أي إن طلب المؤمنون الّذين لم يهاجروا منكم النصرة لهم على الكفّار وإعانتهم في الدين ﴿فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ﴾ والمعونة لهم في الدين

(١) مجمع البيان، ج ٤ ص ٤٥٧.

﴿إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾ أي إلاّ أن يطلبوا منكم النصرة على قوم من المشركين بينكم وبينهم أمان وعهد يجب الوفاء به فلا تنصروهم عليهم لما فيه من نقض العهد ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ أي أنصار بعض أو أولى ببعض في الميراث ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾ أي ما أمرتم به في الآية الاولى والثانية ﴿تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ على المؤمنين الّذين لم يهاجروا، والفتنة: المحنة بالميل إلى الضلال، والفساد الكبير: ضعف الإيمان[1].

وقال في قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾: أي إن لم تنصروا النبيّ ﷺ على قتال العدوّ فقد فعل الله به النصر ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من مكّة فخرج يريد المدينة ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ يعني أنّه كان هو وأبو بكر في الغار ليس معهما ثالث، وأراد به هنا غار ثور، وهو جبل بمكّة ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ﴾ أي إذ يقول الرسول ﷺ لأبي بكر: ﴿لَا تَحْزَنْ﴾ أي لا تخف ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ يريد أنّه مطلع علينا، عالم بحالنا، فهو يحفظنا وينصرنا، قال الزهريّ: لمّا دخل رسول الله ﷺ وأبو بكر الغار أرسل الله زوجاً من الحمام حتّى باضا في أسفل الثقب، والعنكبوت حتّى نسج بيتاً، فلمّا جاء سراقة بن مالك في طلبهما فرأى بيض الحمام وبيت العنكبوت قال: لو دخله أحد لانكسر البيض وتفسّخ بيت العنكبوت فانصرف، وقال النبيّ ﷺ: «اللّهمّ أعم أبصارهم» فعميت أبصارهم عن دخوله، وجعلوا يضربون يميناً وشمالاً حول الغار. وقال أبو بكر: لو نظروا إلى أقدامهم لرأونا، ونزل رجل من قريش فبال على باب الغار، فقال أبو بكر: قد أبصرونا يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: لو أبصرونا ما استقبلونا بعوراتهم ﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾ يعني على محمّد ﷺ، أي ألقى في قلبه ما سكن به ﴿وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ أي بملائكة يضربون وجوه الكفّار وأبصارهم عن أن يروه، وقيل: قوّاه بالملائكة يدعون الله تعالى له، وقيل: أعانه بالملائكة يوم بدر، وقال بعضهم: يجوز أن يكون الهاء في ﴿عَلَيْهِ﴾ راجعة إلى أبي بكر، وهذا بعيد، لأنّ الضمائر قبل هذا وبعده تعود إلى النبيّ ﷺ بلا خلاف، فكيف يتخلّله ضمير عائد إلى غيره هذا وقد قال سبحانه في هذه السورة ﴿ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ وقال في سورة الفتح كذلك، فتخصيص النبيّ في هذه الآية بالسكينة يدلّ على عدم إيمان من معه ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ﴾ المراد بكلمتهم وعيدهم النبيّ ﷺ وتخويفهم له، أو كلمة الشرك، وكلمة الله وعده بالنصر، أو كلمة التوحيد[2].

وقال في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ﴾: نزلت في المعذّبين بمكّة مثل صهيب وبلال وعمّار وخبّاب وغيرهم، مكّنهم الله في المدينة، وذكر أنّ صهيباً قال لاهل مكّة: أنا رجل كبير إن كنت معكم لم أنفعكم، وإن كنت عليكم لم أضرركم، فخذوا مالي ودعوني،

---

(١) مجمع البيان، ج ٤ ص ٤٦١. (٢) مجمع البيان، ج ٥ ص ٥٧.

فأعطاهم ماله، وهاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال له أبو بكر: ربح البيع يا صهيب ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ أي بلدة حسنة وهي المدينة، أو حالة حسنة وهي النصر على الاعداء[1].

وقال في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ﴾ نزل في جماعة أكرهوا، وهم عمّار وياسر أبوه وأُمّه سميّة، وصهيب وبلال وخبّاب عذّبوا، وقتل أبو عمّار وأمّه فأعطاهم عمّار بلسانه ممّا أرادوا منه، ثمّ اخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال قوم: كفر عمّار، فقال صلى الله عليه وآله: كلا إنّ عمّاراً ملئ إيماناً من قرنه إلى قدمه، واختلط الإيمان بلحمه ودمه، وجاء عمّار إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يبكي فقال صلى الله عليه وآله: ما وراك، قال: شرٌّ يا رسول الله، ما تركت حتّى نلت منك، وذكرت آلهتهم بخير فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله يمسح عينيه ويقول: إن عادوا لك فعد لهم بما قلت، فنزلت الآية، عن ابن عبّاس وقتادة، وقيل: نزلت في ناس من أهل مكّة آمنوا وخرجوا يريدون المدينة فأدركهم قريش وفتنوهم فتكلّموا بكلمة الكفر كارهين عن مجاهد وقيل: إنّ ياسر وسميّة أبوا عمّار أوّل شهيدين في الإسلام، وقوله: «من كفر بالله، ومن شرح بالكفر صدراً» هو عبد الله بن سعيد بن أبي سرح من بني عامر بن لؤي، وأمّا قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ الآية، قيل: إنّها نزلت في عبّاس بن أبي ربيعة أخي أبي جهل من الرضاعة، وأبي جندل بن سهيل بن عمرو والوليد بن المغيرة، وغيرهم من أهل مكّة، فتنهم المشركون فأعطوهم بعض ما أرادوا ثمّ إنّهم هاجروا بعد ذلك وجاهدوا فنزلت الآية فيهم ﴿وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ﴾ أي ساكن ﴿بِالْإِيمَانِ﴾ ثابت عليه، فلا حرج عليه في ذلك ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا﴾ أي من اتسع قلبه للكفر وطابت نفسه به ﴿مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا﴾ أي عذبوا في الله وارتدوا على الكفر فأعطوهم بعض ما أرادوا ليسلموا من شرهم ﴿ثُمَّ جَاهَدُوا﴾ مع النبيّ صلى الله عليه وآله ﴿وَصَبَرُوا﴾ على الدين والجهاد ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا﴾ أي من بعد تلك الفتنة أو الفعلة الّتي فعلوها من التفوه بكلمة الكفر[2].

وقال في قوله تعالى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾: قيل: إنّها نزلت في المستضعفين من المؤمنين بمكّة، أمروا بالهجرة عنها، ونزل قوله: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ﴾ في جماعة كانوا بمكّة يؤذيهم المشركون، فأمروا بالهجرة إلى المدينة، فقالوا: كيف نخرج إليها وليس لنا بها دار ولا عقار؟ من يطعمنا ومن يسقينا؟ ﴿إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ﴾ فاهربوا من أرض يمنعكم أهلها من الإيمان والاخلاص في عبادتي.

وقال أبو عبد الله عليه السلام: معناه إذا عصي الله في أرض أنت فيها فاخرج منها إلى غيرها ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ﴾ أي وكم من دابّة لا يكون رزقها مدّخراً معدّاً، وقيل: معناه لا يطيق حمل رزقها لضعفها، وتأكل بأفواهها[3].

---

(١) مجمع البيان، ج ٦ ص ١٥٨.
(٢) مجمع البيان، ج ٦ ص ٣٠٣.
(٣) مجمع البيان، ج ٨ ص ٣٧.

وفي قوله تعالى: ﴿مِن قَرْيَتِكَ﴾: يعني مكّة ﴿الَّتِيَ أَخْرَجَتْكَ﴾ أي أخرجك أهلها، والمعنى كم من رجال هم أشدّ من أهل مكّة ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ يدفع عنهم إهلاكنا إيّاهم، فما الّذي يؤمن هؤلاء أن أفعل بهم مثل ذلك[1].

قوله تعالى: ﴿وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ ذهب المفسّرون إلى أنّ المراد مجانبتهم ومداراتهم وعدم مكافاتهم[2]، ولا يبعد أن يكون المراد الهجرة من مكّة إلى المدينة.

١ - فس: ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ﴾ يعني قريشاً ما كانوا أولياء مكّة ﴿إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ﴾ أنت وأصحابك يا محمّد، فعذّبهم الله بالسيف يوم بدر فقتلوا[3].

٢ - فس: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا﴾ إلى قوله: ﴿أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ فإنّ الحكم كان في أوّل النبوة أنّ المواريث كانت على الأخوّة لا على الولادة، فلمّا هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة آخى بين المهاجرين والمهاجرين، وبين الأنصار والانصار وآخى بين المهاجرين والأنصار، فكان إذا مات الرجل يرثه أخوه في الدين ويأخذ المال، وكان ما ترك له دون ورثته، فلمّا كان بعد بدر أنزل الله: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا﴾ فنسخت آية الأخوّة ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾. قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا﴾ الآية فإنّها نزلت في الأعراب، وذلك أنّ رسول الله ﷺ صالحهم على أن يدعهم في ديارهم ولا يهاجروا إلى المدينة، وعلى أنّه إن أرادهم رسول الله ﷺ غزا بهم ولم يكن لهم في الغنيمة شيء، وأوجبوا على النبيّ ﷺ أنه إن أرادهم الأعراب من غيرهم أو دهاهم دهم من عدوّهم أن ينصرهم إلاّ على قوم بينهم وبين الرسول ﷺ عهد وميثاق إلى مدة ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ يعني يوالي بعضهم بعضاً، ثمّ قال: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾ يعني إن لم تفعلوه، فوضع حرف مكان حرف ﴿تَكُن فِتْنَةٌ﴾ أي كفر في الأرض ﴿وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ قال: نسخت قوله: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾[4].

٣ - فس: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ﴾ أي هاجروا وتركوا الكفّار في الله ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾ أي لنثبتنهم[5].

٤ - فس: في رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ﴾ يقول: لا تطيعوا أهل الفسق من الملوك، فإن خفتموهم أن يفتنوكم عن دينكم فإن أرضي واسعة[6].

---

(١) مجمع البيان، ج ٩ ص ١٦٧.
(٢) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ٣٣٩.
(٣) تفسير القمي، ج ١ ص ٢٧٦.
(٤) تفسير القمي، ج ١ ص ٢٧٨.
(٥) تفسير القمي، ج ١ ص ٣٨٨.
(٦) تفسير القمي، ج ٢ ص ١٢٨.

٥ - فس: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾ الآية قال: إنّ الّذين أهلكناهم من الأمم السالفة كانوا أشدّ قوّة من قريتك، يعني أهل مكّة الّذين أخرجوك منها، فلم يكن لهم ناصر[1].

٦ - أقول: قال في المنتقى: كانت الهجرة سنة أربع عشرة من المبعث، وهي سنة أربع وثلاثين من ملك كسرى برويز، سنة تسع لهرقل، وأوّل هذه السنة المحرّم، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله مقيماً بمكّة لم يخرج منها، وقد كان جماعة خرجوا في ذي الحجّة، وقال محمّد بن كعب القرظيّ: اجتمع قريش على بابه وقالوا: إنّ محمّداً يزعم أنكم إن بايعتموه كنتم ملوك العرب والعجم، ثمّ بعثتم بعد موتكم فجعل لكم جنان كجنان الأرض وإن لم تفعلوا كان لكم من الذبح ثمّ بعثتم بعد موتكم فجعلت لكم نار تحرقون بها، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله فأخذ حفنة من تراب ثمّ قال: نعم أنا أقول ذلك، فنثر التراب على رؤوسهم وهو يقرأ ﴿يسٓ﴾ إلى قوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾[2] فلم يبق منهم رجل وضع على رأسه التراب إلا قتل يوم بدر، ثمّ انصرف إلى حيث أراد فأتاهم آت لم يكن معهم فقال: ما تنتظرون ههنا؟ قالوا: محمداً، قال: قد والله خرج محمّد عليكم ثمّ ما ترك منكم رجلاً إلا وقد وضع على رأسه التراب وانطلق لحاجته فوضع كلّ رجل منهم يده على رأسه فإذا عليه التراب، ثمّ جعلوا يطلعون فيرون علياً على الفراش متشحاً ببرد رسول الله صلى الله عليه وآله، فيقولون: إنّ هذا لمحمّد نائم عليه برده. فلم يبرحوا كذلك حتّى أصبحوا، فقام عليّ من الفراش فقالوا: والله لقد صدقنا الّذي كان حدّثنا به.

وروى الواقديّ عن أشياخه أنّ الّذين كانوا ينتظرون رسول الله صلى الله عليه وآله تلك الليلة من المشركين أبو جهل، والحكم بن أبي العاص، وعقبة بن أبي معيط، والنضر بن الحارث، وأميّة بن خلف، وابن الغيطلة، وزمعة بن الاسود، وطعمة بن عديّ وأبو لهب، وأبيّ بن خلف، ونبيه ومنبّه ابنا الحجّاج، فلمّا أصبحوا قام عليّ عليه السلام من الفراش فسألوه عن رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: لا علم لي به.

وروي أنّهم ضربوا علياً وحبسوه ساعة ثمّ تركوه.

وأورد الغزاليّ في كتاب إحياء العلوم أنّ ليلة بات عليّ بن أبي طالب عليه السلام على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله أوحى الله تعالى إلى جبرئيل وميكائيل إنّي آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر، فأيكما يؤثر صاحبه بحياته؟ فاختار كلّ منهما الحياة وأحبّاها، فأوحى الله تعالى إليهما: أفلا كنتما مثل عليّ بن أبي طالب عليه السلام، آخيت بينه وبين محمّد، فبات على فراشه يفديه بنفسه، ويؤثره بالحياة، اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه، فكان جبرئيل عند رأسه، وميكائيل عند رجليه، وجبرئيل عليه السلام ينادي: بخ بخ، من مثلك يابن أبي طالب يباهي الله بك الملائكة! فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي

---

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٧٨.

(٢) سورة يس، الآية: ٩.

نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾(١).

أقول: وساق حديث الغار إلى أن قال: كان رسول الله ﷺ حين أتى الغار دعا بشجرة فأتته فأمرها أن تكون على باب الغار، وبعث الله حمامتين فكانتا على فم الغار، ونسج العنكبوت على فم الغار، ثمّ أقبل فتيان قريش، وكان أبو جهل قد أمر منادياً ينادي بأعلى مكّة وأسفلها: من جاء بمحمّد أو دلّ عليه فله مائة بعير، أو جاء بابن أبي قحافة أو دلّ عليه فله مائة بعير، فلمّا رأوا الحمامتين ونسج العنكبوت على فم الغار انصرفوا فدعا النبيّ ﷺ للحمام، وفرض جزاءهنّ، وانحدرن في الحرم، ونهى عن قتل العنكبوت، وقال: هي جند من جنود الله.

وروي عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه أنّ النبيّ ﷺ كان لا يتطير، وكان يتفأل، وكانت قريش جعلت مائة من الإبل فيمن يأخذ نبيّ الله ﷺ فيردّه عليهم حين توجّه إلى المدينة، فركب بريدة في سبعين راكباً من أهل بيته من بني سهم، فتلقى نبيّ الله ﷺ، فقال نبيّ الله ﷺ: من أنت؟ قال: أنا بريدة، فالتفت إلى أبي بكر فقال: يا أبا بكر برد أمرنا وصلح، ثمّ قال: وممن أنت؟ قال: من أسلم قال ﷺ: سلمنا، قال: ممن؟ قال: من بني سهم، قال: خرج سهمك، فقال بريدة للنبي ﷺ: من أنت؟ فقال: أنا محمّد بن عبد الله رسول الله، فقال بريدة: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله، فأسلم بريدة وأسلم من كان معه جميعاً فلمّا أصبح قال بريدة للنبيّ ﷺ: لا تدخل المدينة إلاّ ومعك لواء، فحلّ عمامته ثمّ شدها في رمح، ثمّ مشى بين يديه فقال: يا نبيّ الله تنزل عليّ؟ فقال له النبيّ ﷺ: إنّ ناقتي هذه مأمورة، قال بريدة: الحمد لله أسلمت بنو سهم طائعين غير مكرهين.

بيان: قال في الفائق: برد أمرنا، أي سهل، من العيش البارد، وهو الناعم السهل، وقيل: ثبت، من برد لي عليه حقّ، خرج سهمك: أي ظفرت، وأصله أن يجيلوا السهام على شيء، فمن خرج سهمه حازه.

ثمّ قال في المنتقى: وروي بالإسناد المتّصل عن حزام بن هشام بن جيش عن أبيه، عن جدّه صاحب رسول الله ﷺ أنّ النبيّ ﷺ لمّا خرج مهاجراً من مكّة خرج هو وأبو بكر ومولى أبي بكر عامر بن فهيرة، ودليلهم عبد الله بن الأريقط فمروا على خيمة أُمّ معبد الخزاعيّة، وكانت برزة جلدة تحتبي بفناء الخيمة، ثمّ تسقي وتطعم، فسألوها تمراً ولحماً يشترون، فلم يصيبوا عندها شيئاً من ذلك، فإذا القوم مرملون مستنون، فقالت: والله لو كان عندنا شيء ما أعوزناكم القرى، فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة في كسر الخيمة، فقال: ما هذه الشاة يا أُمّ معبد؟ فقالت شاة خلّفها الجهد من الغنم، قال: هل بها من لبن؟ قالت: هي

(١) حديث ليلة المبيت ونزول قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ في حقّ مولانا أمير المؤمنين ﷺ، في كتاب الغدير ج ٢ ص ٤٧ طبعة الأعلمي. [النمازي].

أجهد من ذلك، قال: أتأذنين أن أحلبها؟ قالت: نعم بأبي أنت وأمّي إن رأيت بها حلباً فاحلبها، فدعا بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فمسح بيده ضرعها، وسمّى الله عزّ وجلّ ودعا لها في شاتها، فتفاجّت عليه ودرّت واجترّت، ودعا بإناء يربض الرهط فحلب فيه ثجّاً حتّى علاه البهاء ثمّ سقاها حتّى رويت وسقى أصحابه حتّى رووا، ثمّ شرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم آخرهم ثمّ أراضوا ثمّ حلب ثانياً بعد بدء حتّى امتلأ الإناء، ثمّ غادره عندها، ثمّ بايعها، وارتحلوا فقلّ ما لبثت حتّى جاء زوجها أبو معبد يسوق أعنزاً عجافاً يتساوكن هزالاً، مخاخهنّ قليل، فلمّا رأى أبو معبد اللبن عجب وقال: من أين لك هذا اللبن يا أمّ معبد، والشاة عازب حيال ولا حلوبة بالبيت؟ قالت: لا والله إلا أنّه مرّ بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا، قال: صفيه لي يا أمّ معبد، قالت: رأيت رجلاً ظاهر الوضاءة أبلج الوجه، حسن الخلق، لم تعبه ثجلة، وفي رواية: نحلة، ولم يزريه صقلة وسيم قسيم، في عينيه دعج، وفي أشفاره غطفة، وفي صوته صهل، وفي عنقه سطع، وفي لحيته كثافة أزجّ أقرن، إن صمت فعليه الوقار، وإن تكلّم سما به وعلاه البهاء أكمل النّاس وأبهاه من بعيد، وأحسنه وأعلاه من قريب، حلو المنطق فصل، لا نزر ولا هذر، كأنّ منطقه خرزات نظم يتحدّرن، ربعة لا يأس من طول ولا تقتحمه العين من قصر، غصن بين غصنين، فهو أنضر الثلاثة منظراً، وأحسنهم قدراً، له رفقاء يحفّون به، إن قال نصتوا لقوله، وإن أمر تبادروا إلى أمره، محفود محشود، لا عابس ولا مفنّد.

قال أبو معبد: هذا والله صاحب قريش الّذي ذكروا لنا من أمره ما ذكر بمكّة، ولقد هممت أن أصحبه ولأفعلنّ إن وجدت إلى ذلك سبيلاً، فأصبح صوت بمكّة عالياً يسمعون الصوت، ولا يدرون من صاحبه أبياتاً منها:

فيا لقصيّ ما زوى الله عنكم ... به من فعال لا يجازى وسؤدد
ليهن بني كعب مقام فتاتهم ... ومقعدها للمؤمنين بمرصد
سلوا أختكم عن شاتها وإنائها ... فإنّكم إن تسألوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فتحلّبت ... عليه صريحاً ضرّة الشاة مزبد
فغادرها رهناً لديها لحالب ... يردّدها في مصدر ثمّ مورد

فأصبح القوم قد فقدوا نبيّهم وأخذوا على خيمتي أمّ معبد، فلمّا سمع بذلك حسّان بن ثابت نشب يجاوب الهاتف:

لقد خاب قوم زال عنهم نبيّهم ... وقدّس من يسري إليهم ويغتدي
ترحّل عن قوم فزالت عقولهم ... وحلّ على قوم بنور مجدّد
هداهم به بعد الضلالة ربّهم ... وأرشدهم من يتبع الحقّ يرشد
نبيّ يرى ما لا يرى النّاس حوله ... ويتلو كتاب الله في كلّ مشهد
ليهن بني كعب مقام فتاتهم ... ومقعدها للمؤمنين بمرصد

بيان: قوله: برزة، أي كبيرة السنّ تبرز للناس، ولا تستتر منهم، وفي النهاية يقال: امرأة برزة: إذا كانت كهلة لا تحتجب احتجاب الشوابّ، ومع ذلك عفيفة عاقلة تجلس للناس وتحدّثهم، من البروز وهو الظهور والخروج، جلدة أي عاقلة والاحتباء نوع للجلوس معروف، والمرملون: الّذين فنيت أزوادهم، وأصله من الرمل كأنّهم لصقوا بالرمل، كما قيل للفقير: الترب، والمستون: الّذين لم يصب أرضهم مطر فلم تنبت شيئاً، والتاء الّتي في آخره بدل من حروف العلّة الملقاة وصارت كالأصلية فيه، وكسر الخيمة بكسر الكاف وفتحها: الشقّة السفلى من الخباء ترفع وقتاً وترخى وقتاً، وقيل: هي في مقدم الخيمة، وقيل: في مؤخرها، وقيل: لكلّ بيت كسران عن يمين وشمال، خلّفها الجهد بالفتح، أي المشقّة والهزال، والتفاجّ المبالغة في التفريج ما بين الرجلين، درّت: أرسلت اللّبن، واجترّت من الجرّة وهي ما يخرجها البهيمة من كرشها يمضغها، وإنّما يفعل ذلك الممتلئ علفاً، فصارت هذه الشاة كذلك مع ما بها من قلّة الاعتلاف، يربض أي يروّي الرهط حتّى يربضوا أي يقعوا على الأرض للنوم والاستراحة، يحكي سعة الإناء وعظمه، والثجّ: السيلان، أي لبناً سائلاً كثيراً، والبهاء: وبيض رغوة اللّبن، ثمّ أراضوا - وفي بعض الروايات حتّى أراضوا - أي شربوا عللاً بعد نهل حتّى رووا، من أراض الوادي: إذا استنقع فيه الماء، وقيل: أراضوا، أي ناموا على الارض، وهو البساط، وقيل: حتّى صبّوا اللبن على الارض، قوله: ثمّ بايعها، أي أعطاها ثمن اللّبن، أو اشترى منها شيئاً آخر، ويحتمل البيعة أيضاً، عازب، أي بعيدة المرعى، لا تأوي إلى المنزل في اللّيل، غادره أي تركه، يتساوكن هزالاً، أي يتمايلن من الضعف، وفي بعض رواياتهم تساوك هزالاً، وفي بعضها: ما تساوك، يقال: تساوكت الابل: إذا اضطربت أعناقها من الهزال، ويقال أيضاً: جاءت الإبل ما تساوك هزالاً، أي ما تحرك رؤوسها والمخاخ جمع مخّ مثل كم وكمام، وإنّما لم يقل قليلة لأنّه أراد أنّ مخاخهنّ شيء قليل، قال عبيد الله بن حرّ الجعفيّ:

إلى الله نشكو ما نرى من جيادنا ... تساوك هزلى مخّهنّ قليل.

وقلّة المخّ ورقّته تدلّ على الهزال. حيال، أي لم تحمل، والوضاءة: الحسن، أبلج الوجه: مشرقه وليس المراد بلج الحاجب وهو نقارة بين الحاجبين لأنّها وصفته بالأقرن، نحلة، من رواه بالنون والحاء قال: من نحل جسمه نحولاً، ومن رواه بالثاء والجيم قال: هو من قولهم: رجل أثجل، أي عظيم البطن، ولم يزريه صقلة أي لم يصر سبباً لحقارته ونحوله، وقيل: أرادت أنّه لم يكن منتفخ الخاصرة جدّاً ولا ناحلاً جدّاً، ويروى بالسين بالإبدال من الصاد. ويروى بالصاد والعين، وهي صغر الرأس، والوسامة والقسامة: الحسن، والغطف بالغين المعجمة: طول الاشفار وانعطافها وروي بالعين وهو التثنّي. وقيل، أي طول كأنّه طال وانعطف، وفي رواية وطف وهو الطول أيضاً، صهل أي حدّة وصلابة، من صهيل الخيل، وفي رواية صحل بالحاء وهو كالبحّة في الصوت، والسطع: طول العنق، وسما به

أي علا به وارتفع أي بكلامه على من حوله، وقيل: علا برأسه أو بيده. فصل أي بيّن ظاهر، يفصل بين الحقّ والباطل، والنزر: القليل، والهذر من الكلام: ما لا فائدة فيه، قوله: لا يأس أي لا يؤيس من طوله، لأنّه كان إلى الطول أقرب منه إلى القصر، وروي لا يأس قيل: معناه لا ميؤوس من أجل طوله، فاعل بمعنى مفعول، أي لا ييأس مباريه من مطاولته، وروي لا باين من طول، أي لا يجاوز النّاس طولاً، لا تقتحمه أي لا تحقره، أنضر الثلاثة من النضرة وهي الحسن والنعمة، محفود، أي مخدوم، محشود أي تجتمع النّاس حواليه، ولا مفنّد أي لا ينسب إلى الجهل، وروي ولا معتد، أي ظالم، واللام في قوله يا لقصيّ للتعجب، نحو يا للماء، قوله: ما زوى الله عنكم، أي ما قبضه منكم، ومنعه عنكم، قوله: ليهن أصلها الهناء، وطرح الهمزة منه تخفيف وتمهيد لوزن الشعر، والصريح: اللبن الخالص الّذي لم يمزج، والضرّة: الضرع وقيل لحمه، والمزبد: الّذي علاه الزبد، وهو معنى قوله: حتّى علاه البهاء، وهو صفة الصريح، وإعرابه بخلاف إعرابه، وقيل: إنّه جرّ على الجوار، قوله: فغادرها رهناً، أي ترك الشاة لتكون معجزة له عند من أراد حلبها، وتصديقاً لحكاية أمّ معبد عنه، والمرصد موضع الرصد، وهم القوم الذين يرصدون الطرق، قوله نشب بالنون، أي أخذ في الشعر وعلق فيه، ويروى شبّب أي ابتدأ في جوابه من تشبيب الكتب، وهو الابتداء بها والأخذ فيها، وليس من تشبيب النساء في الشعر.

٧ - ل: قال أمير المؤمنين عليه السلام في جواب اليهوديّ الّذي سأل عمّا فيه من علامات الأوصياء فقال فيما قال: وأمّا الثانية يا أخا اليهود فإنّ قريشاً لم تزل تخيّل الآراء، وتعمل الحيل في قتل النبيّ صلى الله عليه وآله حتّى كان آخر ما اجتمعت في ذلك يوم الدار: دار الندوة، وإبليس الملعون حاضر في صورة أعور ثقيف، فلم تزل تضرب أمرها ظهراً لبطن حتّى اجتمعت آراؤها على أن ينتدب من كلّ فخذ من قريش رجل، ثمّ يأخذ كلّ رجل منهم سيفه، ثمّ يأتي النبيّ صلى الله عليه وآله وهو نائم على فراشه فيضربونه جميعاً بأسيافهم ضربة رجل واحد فيقتلوه، فإذا قتلوه منعت قريش رجالها ولم تسلمها فيمضي دمه هدراً، فهبط جبرئيل عليه السلام على النبيّ صلى الله عليه وآله فأنبأه بذلك، وأخبره بالليلة الّتي يجتمعون فيها، والساعة الّتي يأتون فراشه فيها، وأمره بالخروج في الوقت الّذي خرج فيه إلى الغار، فأخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله بالخبر، وأمرني أن أضطجع في مضجعه وأقيه بنفسي، فأسرعت إلى ذلك مطيعاً له مسروراً لنفسي بأن أُقتل دونه، فمضى صلى الله عليه وآله لوجهه، واضطجعت في مضجعه، وأقبلت رجالات قريش موقنة في أنفسها أن تقتل النبيّ صلى الله عليه وآله، فلمّا استوى بي وبهم البيت الّذي أنا فيه ناهضتهم بسيفي، فدفعتهم عن نفسي بما قد علمه الله والناس، ثمّ أقبل على أصحابه فقال: أليس كذلك؟ قالوا: بلى يا أمير المؤمنين[1].

---

(١) الخصال، ص ٣٦٦ باب السبعة ح ٥٩.

٨ - عم، ص، فس: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ فإنها نزلت بمكّة قبل الهجرة، وكان سبب نزولها أنّه لمّا أظهر رسول الله ﷺ الدعوة بمكّة قدمت عليه الأوس والخزرج، فقال لهم رسول الله ﷺ: تمنعوني وتكونون لي جاراً حتّى أتلو عليكم كتاب ربّي وثوابكم على الله الجنّة؟ فقالوا: نعم، خذ لربّك ولنفسك ما شئت، فقال لهم: موعدكم العقبة في اللّيلة الوسطى من ليالي التشريق، فحجوا ورجعوا إلى منى، وكان فيهم ممّن قد حجّ بشر كثير، فلمّا كان اليوم الثاني من أيّام التشريق قال لهم رسول الله ﷺ: إذا كان اللّيل فاحضروا دار عبد المطّلب على العقبة، ولا تنبّهوا نائماً، ولينسلّ واحد فواحد، فجاء سبعون رجلاً من الأوس والخزرج، فدخلوا الدار، فقال لهم رسول الله ﷺ: تمنعوني وتجيروني حتّى أتلو عليكم كتاب ربّي وثوابكم على الله الجنّة؟ فقال أسعد بن زرارة والبراء بن معرور وعبدالله بن حزام: نعم يا رسول الله، اشترط لربّك ولنفسك ما شئت، فقال: أمّا ما أشترط لربي فأن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأشترط لنفسي أن تمنعوني ممّا تمنعون أنفسكم وتمنعون أهلي ممّا تمنعون أهاليكم وأولادكم، فقالوا: فما لنا على ذلك؟ فقال: الجنّة في الآخرة وتملكون العرب وتدين لكم العجم في الدنيا وتكونون ملوكاً في الجنّة فقالوا قد رضينا، فقال: أخرجوا إليّ منكم اثني عشر نقيباً يكونون شهداء عليكم بذلك كما أخذ موسى عليه السلام من بني إسرائيل اثني عشر نقيباً، فأشار إليهم جبرئيل فقال: هذا نقيب، وهذا نقيب، تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس، فمن الخزرج أسعد بن زرارة، والبراء بن معرور، وعبدالله بن حزام أبو جابر بن عبد الله، ورافع بن مالك، وسعد بن عبادة، والمنذر بن عمر، وعبدالله بن رواحة، وسعد بن الربيع، وعبادة بن الصامت، ومن الأوس أبو الهيثم بن التيهان، وهو من اليمن، وأسيد بن حضير وسعد بن خيثمة، فلمّا اجتمعوا وبايعوا لرسول الله صاح إبليس يا معشر قريش والعرب هذا محمّد والصباة من أهل يثرب على جمرة العقبة يبايعونه على حربكم، فأسمع أهل منى وهاجت قريش، فأقبلوا بالسلاح، وسمع رسول الله ﷺ النداء فقال للأنصار: تفرقوا، فقالوا: يا رسول الله إن أمرتنا أن نميل عليهم بأسيافنا فعلنا، فقال رسول الله ﷺ: لم أؤمر بذلك. ولم يأذن الله لي في محاربتهم، قالوا: فتخرج معنا؟ قال: أنتظر أمر الله، فجاءت قريش على بكرة أبيها قد أخذوا السلاح وخرج حمزة وأمير المؤمنين عليه السلام ومعهما السيف فوقفا على العقبة، فلمّا نظرت قريش إليهما قالوا: ما هذا الّذي اجتمعتم له؟ فقال حمزة: ما اجتمعنا وما ههنا أحد، والله لا يجوز هذه العقبة أحد إلا ضربته بسيفي فرجعوا إلى مكّة وقالوا: لا نأمن أن يفسد أمرنا ويدخل واحد من مشايخ قريش في دين محمّد، فاجتمعوا في دار الندوة وكان لا يدخل دار الندوة إلا من أتى عليه أربعون سنة فدخلوا أربعين رجلاً من مشايخ قريش، وجاء إبليس في صورة شيخ كبير فقال له البوّاب: من أنت؟ قال: أنا شيخ من

أهل نجد لا يعدمكم منّي رأي صائب، إنّي حيث بلغني اجتماعكم في أمر هذا الرجل فجئت لأشير عليكم، فقال: ادخل، فدخل إبليس فلمّا أخذوا مجلسهم قال أبو جهل: يا معشر قريش إنّه لم يكن أحد من العرب أعزّ منّا، نحن أهل الله تفد إلينا العرب في السنة مرّتين ويكرموننا، ونحن في حرم الله لا يطمع فينا طامع، فلم نزل كذلك حتّى نشأ فينا محمّد بن عبد الله، فكنا نسميه الأمين لصلاحه وسكونه وصدق لهجته حتّى إذا بلغ ما بلغ وأكرمناه ادّعى أنّه رسول الله، وأنّ أخبار السماء تأتيه، فسفّه أحلامنا وسبّ آلهتنا، وأفسد شبّاننا، وفرّق جماعتنا، وزعم أنّه من مات من أسلافنا ففي النّار، فلم يرد علينا شيء أعظم من هذا، وقد رأيت فيه رأياً، قالوا: وما رأيت؟ قال رأيت أن ندس إليه رجلاً منّا ليقتله، فإن طلبت بنو هاشم بدمه أعطيناهم عشر ديات، فقال الخبيث: هذا رأي خبيث، قالوا: وكيف ذاك؟ قال: لأنّ قاتل محمّد مقتول لا محالة. فمن هذا الّذي يبذل نفسه للقتل منكم، فإنّه إذا قتل محمّد تعصّب بنو هاشم وحلفاؤهم من خزاعة، وإنّ بني هاشم لا ترضى أن يمشي قاتل محمّد على وجه الارض، فيقع بينكم الحروب في حرمكم وتتفانوا، فقال آخر منهم: فعندي رأي آخر، قال: وما هو؟ قال: نلقيه في بيت ونلقي إليه قوته حتّى يأتيه ريب المنون، فيموت كما مات زهير والنابغة وامرؤ القيس، فقال إبليس: هذا أخبث من الآخر، قال: وكيف ذاك؟ قال: لأنّ بني هاشم لا ترضى بذلك، فإذا جاء موسم من مواسم العرب استغاثوا بهم، واجتمعوا عليكم فأخرجوه، قال آخر منهم: لا ولكنّا نخرجه من بلادنا، ونتفرّغ نحن لعبادة آلهتنا، فقال إبليس: هذا أخبث من الرأيين المتقدّمين، قالوا: وكيف؟ قال: لأنّكم تعمدون إلى أصبح النّاس وجهاً، وأنطق النّاس لساناً، وأفصحهم لهجة، فتحملوه إلى بوادي العرب فيخدعهم ويسحرهم بلسانه، فلا يفجأكم إلا وقد ملأها عليكم خيلاً ورجلاً فبقوا حائرين، ثمّ قالوا لإبليس: فما الرأي فيه يا شيخ؟ قال: ما فيه إلاّ رأي واحد، قالوا: وما هي؟ قال: يجتمع من كلّ بطن من بطون قريش وقبائل العرب ما أمكن ويكون معهم من بني هاشم رجل، فيأخذون سكّينة أو حديدة أو سيفاً فيدخلون عليه فيضربونه كلّهم ضربة واحدة حتّى يتفرق دمه في قريش كلّها، فلا يستطيع بنو هاشم أن يطلبوا بدمه، وقد شاركوه فيه فإن سألوكم أن تعطوهم الدية فأعطوهم ثلاث ديات، فقالوا: نعم وعشر ديات، ثمّ قال: الرأي رأي الشيخ النجديّ، فاجتمعوا فيه ودخل معهم في ذلك أبو لهب عمّ النبيّ صلى الله عليه وآله، ونزل جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله وأخبره أنّ قريشاً قد اجتمعت في دار الندوة يدبّرون عليك وأنزل الله عليه في ذلك:

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾

واجتمعت قريش أن يدخلوا عليه ليلاً فيقتلوه وخرجوا إلى المسجد يصفرون ويصفقون ويطوفون بالبيت، فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾ فالمكاء: التصفير، والتصدية: صفق اليدين وهذه الآية معطوفة على قوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ

ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وقد كتبت بعد آيات كثيرة، فلمّا أمسى رسول الله ﷺ جاءت قريش ليدخلوا عليه، فقال أبولهب: لا أدعكم أن تدخلوا عليه باللّيل، فإنّ في الدار صبياناً ونساءً، ولا نأمن أنّ تقع يد خاطئة، فنحرسه اللّيلة، فإذا أصبحنا دخلنا عليه، فناموا حول حجرة رسول الله ﷺ، وأمر رسول الله ﷺ أن يفرش له، ففرش له، فقال لعليّ بن أبي طالب عليه السلام: افدني بنفسك، قال: نعم يا رسول الله، قال: نم على فراشي، والتحف ببردتي، فنام على فراش رسول الله ﷺ والتحف ببردته وجاء جبرئيل فأخذ بيد رسول الله فأخرجه على قريش وهم نيام وهو يقرأ عليهم: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ وقال جبرئيل: خذ على طريق ثور، وهو جبل على طريق منى، له سنام كسنام الثور، فدخل الغار، وكان من أمره ما كان، فلمّا أصبحت قريش وثبوا إلى الحجرة وقصدوا الفراش، فوثب عليّ عليه السلام في وجوههم، فقال: ما شأنكم؟ قالوا له: أين محمد؟ قال: أجعلتموني عليه رقيباً؟ ألستم قلتم: نخرجه من بلادنا؟ فقد خرج عنكم، فأقبلوا على أبي لهب يضربونه، ويقولون: أنت تخدعنا منذ الليلة، فتفرّقوا في الجبال، وكان فيهم رجل من خزاعة يقال له: أبوكرز يقفو الآثار، فقالوا: يا أبا كرز اليوم اليوم، فوقف بهم على باب حجرة رسول الله ﷺ، فقال: هذه قدم محمّد، والله لإنّها لأخت القدم الّتي في المقام، وكان أبو بكر استقبل رسول الله ﷺ فردّه معه، فقال أبوكرز: وهذه قدم أبي قحافة أو ابنه، ثمّ قال: وههنا غير ابن أبي قحافة، فما زال بهم حتّى أوقفهم على باب الغار، ثمّ قال: ما جازوا هذا المكان، إمّا أن يكونوا صعدوا إلى السّماء، أو دخلوا تحت الارض، وبعث الله العنكبوت فنسجت على باب الغار، وجاء فارس من الملائكة حتّى وقف على باب الغار، ثمّ قال: ما في الغار أحد، فتفرّقوا في الشعاب، وصرفهم الله عن رسول الله ﷺ ثمّ أذن لنبيّه في الهجرة[١].

بيان: قال الجزريّ: فيه جاءت هوازن على بكرة أبيها، هذه كلمة مثل للعرب يريدون بها الكثرة وتوفّر العدد، وأنّهم جاءوا جميعاً لم يتخلّف منهم أحد، وليس هناك بكرة في الحقيقة، وهي الّتي يستقى عليها الماء، فاستعيرت في هذا الموضع، وقال الجوهريّ: الندوة والنادي: مجلس القوم ومتحدّثهم، ومنه سمّيت دار الندوة بمكّة الّتي بناها قصيّ، لأنّهم كانوا يندون فيها، أي يجتمعون فيها للمشاورة انتهى والدسّ: الاخفاء. والدسيس: من تدسّه ليأتيك بالاخبار. قوله: وههنا غير ابن أبي قحافة، لعلّه استفهام إنكاريّ، أي ليس ههنا أحد يشبه قدمه هذا القدم إلاّ ابن أبي قحافة، وفي بعض النسخ عير بالعين المهملة والباء الموحّدة كما في (عم) وهو أصوب أي أشار إلى موضع عبوره أو مبدأ لحوقه، وعلى الأوّل يحتمل أن لا يكون استفهاماً إنكارياً، بل يكون إشارة إلى موضع قدم شخص آخر تبعهما إلى الغار ثمّ رجع كما سيأتي.

---

(١) اعلام الورى، ص ٧٣، قصص الأنبياء، ص ٣٣٤، تفسير القمي، ج ١ ص ٢٧١.

٩ - **شي**: عن زرارة وحمران ومحمّد بن مسلم، عن أحدهما عليهما السلام أنّ قريشاً اجتمعت فخرج من كلّ بطن أُناس، ثمّ انطلقوا إلى دار الندوة ليشاوروا فيما يصنعون برسول الله صلى الله عليه وآله، فإذا هم بشيخ قائم على الباب، وإذا ذهبوا إليه ليدخلوا قال: أدخلوني معكم، قالوا: ومن أنت يا شيخ قال: أنا شيخ من مضر، ولي رأي أشير به عليكم، فدخلوا وجلسوا وتشاوروا وهو جالس، وأجمعوا أمرهم على أن يخرجوه، فقال: ليس هذا لكم برأي، إن أخرجتموه أجلب عليكم الناس فقاتلوكم، قالوا: صدقت ما هذا برأي، ثمّ تشاوروا فأجمعوا أمرهم على أن يوثقوه، قال: هذا ليس بالرأي إن فعلتم هذا ومحمّد رجل حلو اللّسان أفسد عليكم أبناءكم وخدمكم، وما ينفعكم أحدكم إذا فارقه أخوه وابنه أو امرأته، ثمّ تشاوروا فأجمعوا أمرهم على أن يقتلوه، يخرجون من كلّ بطن منهم بشاهر فيضربونه بأسيافهم جميعاً عند الكتفين، ثمّ قرأ الآية: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ﴾ إلى آخر الآية[1].

١٠ - **فس**: أبي، عن بعض رجاله، رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا كان رسول الله صلى الله عليه وآله في الغار قال لأبي بكر: كأنّي أنظر إلى سفينة جعفر في أصحابه يعوم في البحر. وأنظر إلى الأنصار محتبين في أفنيتهم، فقال أبو بكر: وتراهم يا رسول الله؟ قال: نعم، قال: فأرنيهم، فمسح على عينيه فرآهم، فقال في نفسه: الآن صدّقت أنّك ساحر، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: أنت الصدّيق[2].

١١ - **ما**: جماعة، عن أبي المفضّل، عن أحمد بن سفيان بن العبّاس، عن أحمد بن عبيد ابن ناصح، عن محمّد بن عمر بن واقد الاسلميّ، عن إبراهيم بن إسماعيل، عن داود بن حصين، عن أبي غطفان، عن ابن عبّاس قال: اجتمع المشركون في دار الندوة ليتشاوروا في أمر رسول الله، وأتى جبرئيل رسول الله فأخبره الخبر، وأمره أن لا ينام في مضجعه تلك الليلة، فلمّا أراد رسول الله صلى الله عليه وآله المبيت أمر عليّاً عليه السلام أن يبيت في مضجعه تلك الليلة، فبات عليّ عليه السلام، وتغشّى ببرد أخضر حضرميّ كان لرسول الله صلى الله عليه وآله ينام فيه، وجعل السيف إلى جنبه، فلمّا اجتمع أُولئك النفر من قريش يطيفون ويرصدونه يريدون قتله، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وهم جلوس على الباب خمسة وعشرون رجلاً، فأخذ حفنة من البطحاء ثمّ جعل يذرها على رؤوسهم وهو يقرأ ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢﴾ حتى بلغ ﴿فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ فقال لهم قائل: ما تنتظرون؟ قالوا: محمداً، قال: خبتم وخزيتم قد والله مرّ بكم، فما منكم رجل إلاّ وقد جعل على رأسه تراباً، قالوا: والله ما أبصرناه قال: فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾[3].

---

(١) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٥٨ ح ٤٢ من سورة الأنفال. (٢) تفسير القمي، ج ١ ص ٢٨٩.

(٣) أمالي الطوسي، ص ٤٤٥ مجلس ١٦ ح ٩٩٥.

١٢ - ما: جماعة، عن أبي المفضّل، عن محمّد بن أحمد بن يحيى بن صفوان، عن محفوظ بن بحر، عن الهيثم بن جميل، عن قيس بن الربيع، عن حكيم بن جبير، عن عليّ بن الحسين عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ قال: نزلت في عليّ عليه السلام حين بات على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله[1].

١٣ - ما: جماعة، عن أبي المفضّل، عن محمّد بن العبّاس النحويّ، عن الخليل بن أسد، عن سعيد بن أوس قال: كان أبو عمرو بن العلاء إذا قرأ ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ قال: كرم الله عليّاً عليه السلام فيه نزلت هذه الآية[2].

١٤ - ما: جماعة، عن أبي المفضّل، عن محمّد بن محمّد بن سليمان، عن محمّد بن الصبّاح، عن محمّد بن كثير، عن عوف الأعرابيّ من أهل البصرة، عن الحسن بن أبي الحسن، عن أنس بن مالك قال: لمّا توجه رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الغار ومعه أبو بكر أمر النبيّ صلى الله عليه وآله عليّاً أن ينام على فراشه ويتغشى ببردته، فبات عليّ عليه السلام موطّناً نفسه على القتل، وجاءت رجال قريش من بطونها يريدون قتل رسول الله صلى الله عليه وآله، فلمّا أرادوا أن يضعوا عليه أسيافهم لا يشكّون أنّه محمّد فقالوا: أيقظوه ليجد ألم القتل، ويرى السيوف تأخذه، فلمّا أيقظوه فرأوه عليّاً تركوه، وتفرقوا في طلب رسول الله صلى الله عليه وآله، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾[3].

١٥ - ما: جماعة، عن أبي المفضّل، عن محمّد بن الحسين بن حفص، عن محمّد بن عبيد، عن أبي يحيى التيميّ، عن عبد الله بن جندب، عن أبي ثابت، عن أبيه، عن مجاهد قال: فخرت عائشة بأبيها ومكانه مع رسول الله صلى الله عليه وآله في الغار فقال عبد الله بن شداد بن الهاد: وأين أنت من عليّ بن أبي طالب حيث نام في مكانه وهو يرى أنّه يقتل؟ فسكتت ولم تحر جواباً[4].

أقول: سيأتي في باب أحوال إبليس، عن جابر الأنصاريّ، عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: تمثّل إبليس لعنه الله في أربع صور - إلى أن قال: - تصوّر يوم اجتماع قريش في دار الندوة في صورة شيخ من أهل نجد، فأشار عليهم في النبيّ صلى الله عليه وآله بما أشار، فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية.

١٦ - ما: أبو عمرو، عن ابن عقدة، عن الحسين بن عبد الرحمن الازديّ عن أبيه، عن عبد النور بن عبد الله بن المغيرة القرشيّ، عن إبراهيم بن عبد الله بن معبد، عن ابن عبّاس قال: بات عليّ عليه السلام ليلة خرج رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المشركين على فراشه ليعمّي على قريش، وفيه نزلت هذه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾[5].

---

(١) - (٤) أمالي الطوسي، ص ٤٤٥ مجلس ١٦ ح ٩٩٦ و٩٩٧ و٩٩٨ و٩٩٩.

(٥) أمالي الطوسي، ص ٢٥٢ مجلس ٩ ح ٤٥١.

١٧ - **ما:** جماعة، عن أبي المفضّل، عن عبيد الله بن الحسين، عن إبراهيم العلويّ، عن محمّد بن عليّ بن حمزة العلويّ، عن أبيه، عن الحسين بن زيد، عن عبدالله بن محمّد بن عمر ابن عليّ بن أبي طالب، عن أبيه، عن جدّه، عن جعدة بن هبيرة، عن أمّه أمّ هانئ بنت أبي طالب عليها السلام قالت: لمّا أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله بالهجرة وأنام علياً عليه السلام على فراشه وسجّاه ببرد حضرميّ ثمّ خرج فإذا وجوه قريش على بابه، فأخذ حفنة من تراب فذرّها على رؤوسهم فلم يشعر به أحد منهم ودخل على بيتي، فلمّا أصبح أقبل عليّ وقال: أبشري يا أمّ هانئ فهذا جبرئيل يخبرني أنّ الله عزّ وجلّ قد أنجى علياً عليه السلام من عدوّه، قالت: وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله مع جناح الصبح إلى غار ثور، فكان فيه ثلاثاً حتّى سكن عنه الطلب، ثمّ أرسل إلى عليّ عليه السلام وأمره بأمره وأداء الأمانة[1].

بيان: لعلّ المراد بجناح الصبح أوّله، شبه أوّل امتداد ظهوره بالجناح المبسوط وفي القاموس جنوح الليل: إقباله، والجناح: اليد، والعضد، والجانب، ونفس الشيء، ومن الدرّ: نظم يعرض، أو كلّ ما جعلته في نظام، والكنف، والناحية والطائفة من الشيء انتهى. وربّما يناسب بعض تلك المعاني مع تكلّف.

١٨ - **ما:** أخبرنا جماعة، عن أبي المفضّل قال: حدّثنا أبوالعباس أحمد بن عبيد الله بن عمّار الثقفي سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة قال: حدّثنا عليّ بن محمّد بن سليمان النوفليّ سنة خمسين ومائتين، قال: حدّثني الحسن بن حمزة أبو محمّد النوفليّ قال: حدّثني أبي، وخالي يعقوب بن الفضل بن عبد الرحمن[2] بن العبّاس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلّب، عن يزيد بن سعيد الهاشميّ، قال: حدثنيه أبو عبيدة بن محمّد بن عمّار بن ياسر رضي الله عنه بين القبر والروضة، عن أبيه، وعبيد الله بن أبي رافع جميعاً، عن عمّار بن ياسر رضي الله عنه وأبي رافع مولى النبيّ صلى الله عليه وآله، قال أبو عبيدة: وحدّثنيه سنان بن أبي سنان الدئليّ، وكان ممّن ولد على عهد النبيّ صلى الله عليه وآله، فأخبرني سنان بن أبي سنان أنّ هند بن أبي هند بن أبي هالة الاسيديّ، حدّثه عن أبيه هند بن أبي هالة ربيب رسول الله صلى الله عليه وآله وأمّه خديجة رضي الله عنها زوج النبيّ وأخته لأمه فاطمة صلوات الله عليها، قال أبو عبيدة: وكان هؤلاء الثلاثة هند بن أبي هالة، وأبو رافع، وعمّار ابن ياسر جميعاً يحدثون عن هجرة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله بالمدينة ومبيته قبل ذلك على فراشه قال: وصدر هذا الحديث عن هند بن أبي هالة، واقتصاصه عن الثلاثة: هند، وعمّار وأبي رافع، وقد دخل حديث بعضهم في بعض، قالوا: كان الله عزّ وجلّ ممّا يمنع نبيه صلى الله عليه وآله بعمه أبي طالب عليه السلام فما يخلص إليه امرؤ

---

(١) أمالي الطوسي، ص ٤٤٧ مجلس ١٦ ح ١٠٠٠.

(٢) الصحيح يعقوب بن الفضل عن عبدالرحمن بن العبّاس، فإنّ المذكور في الرّجال هو يعقوب بن الفضل ابن يعقوب. [النمازي].

بسوء من قومه مدّة حياته فلمّا مات أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ بغيتها، وأصابته بعظيم من الاذى حتّى تركته لقى، فقال ﷺ: لأسرع ما وجدنا فقدك يا عمّ، وصلتك رحم، وجزيت خيراً يا عمّ، ثمّ ماتت خديجة بعد أبي طالب بشهر، واجتمع بذلك على رسول الله ﷺ حزنان حتّى عرف ذلك فيه، قال هند: ثمّ انطلق ذوو الطول والشرف من قريش إلى دار الندوة ليرتأوا ويأتمروا في رسول الله ﷺ، وأسرّوا ذلك بينهم، فقال بعضهم: نبني له علماً، ونترك فرجاً نستودعه فيه فلا يخلص من الصباة فيه إليه أحد، ولا نزال في رفق من العيش حتّى يتضيفه ريب المنون، وصاحب هذه المشورة العاص بن وائل وأمية وأبي ابنا خلف، فقال قائل: كلاّ ما هذا لكم برأي، ولئن صنعتم ذلك ليتنمّرن له الحدب الحميم، والمولى الحليف، ثمّ ليأتين المواسم والأشهر الحرم بالأمن، فلينتزعنّ من أنشوطتكم، قولوا قولكم.

فقال عتبة وشيبة وشركهما أبو سفيان، قالوا: فإنّا نرى أن نرحّل بعيراً صعباً ونوثق محمّداً عليه كتافاً، ثمّ نقطع البعير بأطراف الرماح، فيوشك أن يقطّعه بين الدكادك إرباً إرباً، فقال صاحب رأيهم: إنّكم لم تصنعوا بقولكم هذا شيئاً، أرأيتم إن خلص به البعير سالماً إلى بعض الافاريق فأخذ بقلوبهم بسحره وبيانه وطلاقة لسانه فصبأ القوم إليه، واستجابت القبائل له قبيلة فقبيلة فليسيرن حينئذ إليكم بالكتائب والمقانب، فلتهلكنّ كما هلكت أياد ومن كان قبلكم. قولوا قولكم. فقال له أبو جهل: لكن أرى لكم أن تعمدوا إلى قبائلكم العشرة فتنتدبوا من كلّ قبيلة منها رجلاً نجداً، ثمّ تسلحوه حساماً عضباً، وتمهد الفتية حتّى إذا غسق اللّيل وغوّر بيّتوا بابن ابي كبشة بياتاً فيذهب دمه في قبائل قريش جميعاً، فلا يستطيع بنو هاشم وبنو المطّلب مناهضة قبائل قريش في صاحبهم، فيرضون حينئذ بالعقل منهم، فقال صاحب رأيهم: أصبت يا أبا الحكم، ثمّ أقبل عليهم فقال: هذا الرأي، فلا تعدلن به رأياً، وأوكئوا في ذلك أفواهكم حتى يستتب أمركم، فخرج القوم عزين، وسبقهم بالوحي بما كان من كيدهم جبرئيل عليه السلام فتلا هذه الآية على رسول الله ﷺ ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ﴾(١) فلما أخبره جبرئيل بأمر الله في ذلك ووحيه وما عزم له من الهجرة دعا رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب لوقته، فقال له: يا عليّ إنّ الروح هبط عليّ بهذه الآية آنفاً، يخبرني أنّ قريشاً اجتمعت على المكر بي وقتلي، وإنّه أوحى إليّ عن ربّي عزّ وجلّ أن أهجر دار قومي، وأن أنطلق إلى غار ثور تحت ليلتي وإنّه أمرني أن آمرك بالمبيت على ضجاعي - أو قال: مضجعي - لتخفي بمبيتك عليه أثري، فما أنت قائل وصانع؟ فقال عليّ عليه السلام: أوتسلمنّ بمبيتي هناك يا نبيّ الله؟ قال: نعم، فتبسم عليّ عليه السلام ضاحكاً، وأهوى إلى الأرض ساجداً، شكراً لما أنبأه به رسول الله ﷺ من

(١) سورة الأنفال، الآية: ٣٠.

سلامته، فكان عليّ عليه السلام أوّل من سجد لله شكراً، وأوّل من وضع وجهه على الأرض بعد سجدته من هذه الأمّة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، فلمّا رفع رأسه قال له: امض لما أُمرت، فداك سمعي وبصري وسويداء قلبي، ومرني بما شئت أكن فيه كمسرّتك واقع منه بحيث مرادك، وإن توفيقي إلا بالله، وقال: وأن أُلقي عليك شبه منّي، أو قال: شبهي، قال: إن يمنعني نعم، قال: فارقد على فراشي، واشتمل ببردي الحضرميّ، ثمّ إنّي أخبرك يا عليّ أنّ الله تعالى يمتحن أولياءه على قدر إيمانهم ومنازلهم من دينه، فأشدّ النّاس بلاءً الأنبياء ثمّ الأمثل فالأمثل، وقد امتحنك يابن أمّ وامتحنني فيك بمثل ما امتحن به خليله إبراهيم عليه السلام والذبيح إسماعيل عليه السلام، فصبراً صبراً، فإنّ رحمة الله قريب من المحسنين، ثمّ ضمه النبيّ صلى الله عليه وآله إلى صدره وبكى إليه وجداً به، وبكى عليّ عليه السلام جشعاً لفراق رسول الله صلى الله عليه وآله، واستتبع رسول الله صلى الله عليه وآله أبا بكر بن أبي قحافة وهند بن أبي هالة، فأمرهما أن يقعدا له بمكان ذكره لهما من طريقه إلى الغار، ولبث رسول الله صلى الله عليه وآله بمكانه مع عليّ عليه السلام يوصيه ويأمره في ذلك بالصبر حتّى صلّى العشاءين، ثمّ خرج صلى الله عليه وآله في فحمة العشاء، والرصد من قريش قد أطافوا بداره ينتظرون أن ينتصف اللّيل وتنام الأعين، فخرج وهو يقرأ هذه الآية: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾[1] وكان بيده قبضة من تراب فرمى بها في رؤوسهم، فما شعر القوم به حتّى تجاوزهم، ومضى حتّى أتى إلى هند وأبي بكر، فنهضا معه حتّى وصلوا إلى الغار، ثمّ رجع هند إلى مكّة بما أمره به رسول الله صلى الله عليه وآله، ودخل رسول الله صلى الله عليه وآله وأبو بكر إلى الغار، فلمّا خلق اللّيل وانقطع الأثر أقبل القوم على عليّ عليه السلام قذفاً بالحجارة والحلم، فلا يشكّون أنّه رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى إذا برق الفجر، وأشفقوا أن يفضحهم الصبح هجموا على عليّ عليه السلام، وكانت دور مكّة يومئذ سوائب لا أبواب لها فلمّا بصر بهم عليّ عليه السلام قد انتضوا السيوف وأقبلوا عليه بها يقدمهم خالد بن الوليد بن المغيرة وثب به عليّ عليه السلام فختله وهمز يده، فجعل خالد يقمص قماص البكر، وإذا له رغاء فابذعر الصبح وهم في عرج الدار من خلفه، وشدّ عليهم عليّ عليه السلام بسيفه، يعني سيف خالد، فأجفلوا أمامه إجفال النّعم إلى ظاهر الدار وتبصروه، فإذا عليّ عليه السلام، قالوا: وإنّك لعليّ؟ قال: أنا عليّ، قالوا: فإنا لم نردك، فما فعل صاحبك؟ قال: لا علم لي به، وقد كان علم - يعني علياً - أنّ الله تعالى قد أنجى نبيّه صلى الله عليه وآله بما كان أخبره من مضيّه إلى الغار واختبائه فيه، فأذكت قريش عليه العيون، وركبت في طلبه الصعب والذلول، وأمهل عليّ عليه السلام حتّى إذا أعتم من الليلة القابلة انطلق هو وهند بن أبي هالة حتّى دخلا على رسول الله صلى الله عليه وآله في الغار، فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله هنداً أن يبتاع له ولصاحبه بعيرين، فقال أبو بكر: قد كنت أعددت لي ولك يا نبيّ الله راحلتين نرتحلهما إلى يثرب، فقال: إنّي لا آخذهما ولا أحدهما إلّا بالثمن،

---

(١) سورة يس، الآية: ٩.

قال: فهي لك بذلك، فأمر ﷺ علياً عليه السلام فأقبضه الثمن، ثمّ وصاه بحفظ ذمّته وأداء أمانته، وكانت قريش تدعو محمّداً ﷺ في الجاهليّة الأمين، وكانت تستودعه وتستحفظه أموالها وأمتعتها، وكذلك من يقدم مكّة من العرب في الموسم، وجاءته النبوّة والرسالة والأمر كذلك، فأمر علياً عليه السلام أن يقيم صارخاً يهتف بالأبطح غدوة وعشيّاً: من كان له قبل محمّد أمانة أو وديعة فليأت فلنؤدّ إليه أمانته، قال: فقال ﷺ: إنّهم لن يصلوا من الآن إليك يا عليّ بأمر تكرهه حتّى تقدم عليّ، فأدّ أمانتي على أعين النّاس ظاهراً، ثمّ إنّي مستخلفك على فاطمة ابنتي ومستخلف ربّي عليكما ومستحفظه فيكما، فأمره أن يبتاع رواحل له وللفواطم ومن أزمع للهجرة معه من بني هاشم.

قال أبو عبيدة: فقلت لعبيد الله يعني ابن أبي رافع: أوكان رسول الله ﷺ يجد ما ينفقه هكذا؟ فقال: إنّي سألت أبي عمّا سألتني، وكان يحدّث لي هذا الحديث فقال: وأين يذهب بك عن مال خديجة عليها السلام؟ قال: إنّ رسول الله ﷺ قال: ما نفعني مال قطّ ما نفعني مال خديجة، وكان رسول الله ﷺ يفكّ في مالها الغارم والعاني، ويحمل الكلّ، ويعطي في النائبة، ويرفد فقراء أصحابه إذ كان بمكّة، ويحمل من أراد منهم الهجرة، وكانت قريش إذا رحلت غيرها في الرحلتين يعني رحلة الشتاء والصيف كانت طائفة من العير لخديجة عليها السلام وكانت أكثر قريش مالاً، وكان ﷺ ينفق منه ما شاء في حياتها، ثمّ ورثها هو وولدها، قال: وقال رسول الله ﷺ لعليّ عليه السلام وهو يوصيه: فإذا أبرمت ما أمرتك من أمر فكن على أهبة الهجرة إلى الله ورسوله، وسر إليّ لقدوم كتابي عليك ولا تلبث، وانطلق رسول الله ﷺ لوجهه يؤم المدينة، وكان مقامه في الغار ثلاثاً، ومبيت عليّ عليه السلام على الفراش أوّل ليلة.

قال عبيد الله بن أبي رافع: وقد قال عليّ بن أبي طالب عليه السلام يذكر مبيته على الفراش ومقام رسول الله ﷺ في الغار:

وقيت بنفسي خير من وطئ الحصى ... ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر
محمّد لمّا خاف أن يمكروا به ... فوقاه ربّي ذو الجلال من المكر
وبتّ أراعيهم متى ينشرونني ... وقد وطنت نفسي على القتل والأسر
وبات رسول الله في الغار آمناً ... هناك وفي حفظ الإله وفي ستر
أقام ثلاثاً ثمّ زمّت قلائص ... قلائص يفرين الحصى أينما تفري

ولمّا ورد رسول الله ﷺ المدينة نزل في بني عمرو بن عوف بقباء، فأراده أبو بكر على دخوله المدينة وألاصه في ذلك، فقال: فما أنا بداخلها حتّى يقدم ابن أمّي وأخي وابنتي، [يعني] علياً وفاطمة عليهما السلام[1].

---

(١) الزيادة من المصدر.

قالا : قال أبو اليقظان : فحدّثنا رسول الله صلى الله عليه وآله ونحن معه بقباء عمّا أرادت قريش من المكر به، ومبيت عليّ عليه السلام على فراشه، قال: أوحى الله عزّ وجلّ إلى جبرئيل وميكائيل عليهما السلام : إنّي قد آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر صاحبه، فأيّكما يؤثر أخاه؟ وكلاهما كره الموت، فأوحى الله إليهما : عبداي ألا كنتما مثل وليّي عليّ آخيت بينه وبين محمّد نبيّي، فآثره بالحياة على نفسه؟ ثمّ ظلّ - أو قال: رقد - على فراشه يقيه بمهجته، اهبطا إلى الأرض جميعاً فاحفظاه من عدوّه، فهبط جبرئيل فجلس عند رأسه، وميكائيل عند رجليه، وجعل جبرئيل يقول: بخ بخ، من مثلك يا ابن أبي طالب والله عزّ وجلّ يباهي بك الملائكة! قال: فأنزل الله عزّ وجلّ في عليّ عليه السلام وما كان من مبيته على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾[1].

قال أبو عبيدة: قال أبي وابن أبي رافع: ثمّ كتب رسول الله صلى الله عليه وآله إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام كتاباً يأمره فيه بالمسير إليه، وقلّة التلوّم، وكان الرسول إليه أبا واقد الليثي، فلمّا أتاه كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله تهيّأ للخروج والهجرة، فآذن من كان معه من ضعفاء المؤمنين فأمرهم أن يتسلّلوا ويتخفّفوا - إذا ملأ اللّيل بطن كلّ واد - إلى ذي طوى، وخرج عليّ عليه السلام بفاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وأمّه فاطمة بنت أسد بن هاشم، وفاطمة بنت الزبير بن عبد المطّلب، وقد قيل: هي ضباعة، وتبعهم أيمن ابن أمّ أيمن مولى رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأبو واقد رسول رسول الله صلى الله عليه وآله ، فجعل يسوق بالرواحل فأعنف بهم، فقال عليّ عليه السلام ارفق بالنسوة أبا واقد ! إنّهن من الضعائف، قال: إنّي أخاف أن يدركنا الطالب - أو قال: الطلب - فقال عليّ عليه السلام : أربع عليك، فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لي: يا عليّ إنّهم لن يصلوا من الآن إليك بأمر تكرهه، ثمّ جعل - يعني عليّاً عليه السلام - يسوق بهنّ سوقاً رفيقاً وهو يرتجز ويقول:

ليس إلاّ الله فارفع ظنّكا	يكفيك ربّ النّاس ما أهمّكا

وسار فلمّا شارف ضجنان أدركه الطلب سبع فوارس من قريش مستلئمين وثامنهم مولى الحارث بن أمية يدعى جناحاً، فأقبل عليّ عليه السلام على أيمن وأبي واقد وقد تراءى القوم فقال لهما: أنيخا الإبل واعقلاها، وتقدّم حتّى أنزل النسوة، ودنا القوم فاستقبلهم عليّ عليه السلام منتضياً سيفه، فأقبلوا عليه فقالوا: ظننت أنّك يا غدّار ناج بالنسوة، ارجع لا أبا لك، قال: فإن لم أفعل؟ قالوا: لترجعنّ راغماً، أو لنرجعن بأكثرك سعراً، وأهون بك من هالك، ودنا الفوارس من النسوة والمطايا ليثوروها فحال عليّ عليه السلام بينهم وبينها، فأهوى له جناح بسيفه، فراغ عليّ عليه السلام عن ضربته، وتختّله عليّ عليه السلام فضربه على عاتقه، فأسرع السيف مضياً فيه حتّى مسّ كاثبة فرسه، فكان عليّ عليه السلام يشد على قدمه شد الفرس، أو الفارس على فرسه، فشد عليهم بسيفه وهو يقول:

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٠٧.

خلّوا سبيل الجاهد المجاهد آليت لا أعبد غير الواحد

فتصدّع القوم عنه، فقالوا له: اغن عنّا نفسك يا ابن أبي طالب، قال: فإنّي منطلق إلى ابن عمّي رسول الله ﷺ بيثرب، فمن سرّه أن أفري لحمه وأهريق دمه فليتبعني، أو فليدن منّي، ثمّ أقبل على صاحبيه أيمن وأبي واقد فقال لهما: أطلقا مطاياكما، ثمّ سار ظاهراً قاهراً حتّى نزل ضجنان، فتلوّم بها قدر يومه وليلته، ولحق به نفر من المستضعفين من المؤمنين، وفيهم أمّ أيمن مولاة رسول الله ﷺ، فصلّى ليلته تلك هو والفواطم: أمّه فاطمة بنت أسد رضي الله عنها، وفاطمة عليها السلام بنت رسول الله ﷺ، وفاطمة بنت الزبير، يصلّون لله ليلتهم ويذكرونه قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم، فلن يزالوا كذلك حتّى طلع الفجر، فصلّى عليّ عليه السلام بهم صلاة الفجر، ثمّ سار لوجهه، فجعل وهم يصنعون ذلك منزلاً بعد منزل يعبدون الله عزّ وجلّ ويرغبون إليه كذلك حتّى قدم المدينة، وقد نزل الوحي بما كان من شأنهم قبل قدومهم: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا﴾ إلى قوله: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ الذكر: عليّ عليه السلام، والأنثى فاطمة عليها السلام، ﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ يقول: عليّ من فاطمة أو قال: الفواطم، وهنّ من عليّ ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَـٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾[1] وتلا ﷺ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ قال: وقال له: يا عليّ أنت أوّل هذه الأمّة إيماناً بالله ورسوله، وأوّلهم هجرةً إلى الله ورسوله، وآخرهم عهداً برسوله، لا يحبّك والّذي نفسي بيده إلاّ مؤمن قد امتحن الله قلبه للإيمان، ولا يبغضك إلاّ منافق أو كافر[2].

بيان: اللقى: الملقى على الأرض وقيل: أصل اللقى أنّهم كانوا إذا طافوا خلعوا ثيابهم وقالوا: لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها فيلقونها عنهم، ويسمّون ذلك الثوب لقىً فإذا قضوا نسكهم لم يأخذوها وتركوها بحالها ملقاة، والرنق بالتحريك: الكدورة، ويقال: تضيّقته أي نزلت به. وتنمّر: تمدّد في الصوت عند الوعيد، وتشبّه بالنمر وله تنكّر وتغيّر، وأوعده، وحدب بالكسر: تعطّف، والانشوطة كأنبوبة: عقدة يسهل انحلالها كعقد التكّة، وكتف فلاناً: شدّ يديه إلى خلفه بالكتاف، وهو حبل يشدّ به، والدكادك جمع الدكداك وهو أرض فيها غلظ، ومن الرمل: ما تكبّس أو ما التبد منه بالأرض، والإرب بالكسر: العضو، والأفاريق جمع أفراق وهو جمع فرق، وهو جمع فرقة، والطلاوة مثلثة: الحسن والبهجة، والقبول. والمقانب جمع المقنب بالكسر، وهو جماعة الخيل والفرسان، والنجد بالفتح

(١) سورة آل عمران، الآيات: ١٩١-١٩٥.

(٢) أمالي الطوسي، ص ٤٦٣ مجلس ١٦ ح ١٠٣١.

وككتف: الشجاع الماضي فيما يعجز عنه غيره، والعضب: القطع، والتغوير والتغوّر: الدخول في الشيء، وناهضه: قاومه، وتناهضوا في الحرب: ينهض كلّ إلى صاحبه، والعقل: الدية، ويقال: أوكى على سقائه: إذا شده بالوكاء، وهو ما يشدّ به رأس القربة، واستتبّ الأمر: تهيأ واستقام، والعزة الفرقة من الناس: والجمع عزون ومنه قوله تعالى: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ﴾[1] وسويداء القلب: حبّته، والجشع أشدّ الحرص، والرصد بالتحريك القوم يرصدون ويرقبون.

قوله: فلمّا خلق اللّيل، أي مضى كثير منه، كما أنّ الثوب يخلق بمضيّ الزمان عليه، قوله: والحلم، قال الفيروز آبادي: الحلمة: شجرة السعدان، ونبات آخر، وفي بعض النسخ بالخاء المعجمة، قال: هو مربض الظبية أو كناسها. قوله سوائب، تسييب الدوابّ: إرسالها تذهب وتجيء كيف شاءت، استعير هنا لعدم المنع من الدار، وكونها بلا باب، ونضا السيف وانتضاه: سلّه من غمده، قوله: ختله بالتاء، أي خدعه، وفي بعض النسخ بالباء الموحّدة، أي حبسه ومنعه، والهمز: الغمز، والضغط، والنخس، والدفع، والضرب، والعضّ، والكسر.

والقمص: الضرب بالرجل، والبكر بالضمّ والفتح: ولد الناقة، أو الفتيّ منها، ويقال: رغا البعير يرغو رغاء: اذا ضجّ، وابذعرّ: تفرّق، قوله: في عرج الدار، أي منعطفها أو مصعدها وسلّمها، وأجفل القوم: هربوا مسرعين، ويقال: أذكيت عليه العيون: إذا أرسلت عليه الطلائع، قوله: أعتم، أي دخل في العتمة، وأزمع على الامر: ثبت عليه عزمه، والعاني: الاسير، والكلّ: العيال والثقل والنائبة: المصيبة، والنازلة، وما يقع على القوم من الديات وغيرها، والقلائص جمع القلوص، وهي الناقة الشابّة، وفرى الارض: سارها وقطعها، وفي الديوان المنسوب إليه صلوات الله عليه بيت آخر:

أردت بـه نـصـر الالـه تـبـتّـلاً وأضمرته حتّى أوسّد في قبري

وقال الجوهريّ: يقال: ألاصه على كذا، أي أداره على الشيء الّذي يرومه منه انتهى.

أقول: إنّما قال لعليّ عليه السلام ابن أمي لأنّ فاطمة عليها السلام كانت مربّية له صلى الله عليه وآله، وكان يلقّبها بالأمّ، ولذا قال صلى الله عليه وآله حين قال له أمير المؤمنين عليه السلام ماتت أمي: بل والله أمّي.

والتلوّم: الانتظار والتمكّث، قوله: أن يتسلّلوا، أي يذهبوا خفية، ويتخفّفوا، أي لا يحملوا معهم شيئاً يثقل عليهم، وربع كمنع: وقف وتحبس، ومنه قولهم: أربع عليك، أو على نفسك، أو على ظلعك، قوله عليه السلام: «ليس إلاّ الله» أقول: في الديوان:

لا شـيء إلاّ الله فـارفـع هـمّـكـا

---

(١) سورة المعارج، الآية: ٣٧.

واستلأم الرجل أي لبس اللأمة وهي الدرع، والروغ: الحيد والميل، قوله: وتخلّله، لعلّ المراد هنا أنّه أخذ السيف من يده، والكاثبة من الفرس: مقدم المنسج حيث تقع عليه يد الفارس.

١٩ - ص: أقام ﷺ بعد البعثة بمكّة ثلاثة عشر سنة، ثمّ هاجر منها إلى المدينة بعد أن استتر في الغار ثلاثة أيّام ودخل المدينة يوم الاثنين الحادي عشر من شهر ربيع الاوّل، وبقي بها عشر سنين(١).

٢٠ - عم، ص: بقي رسول الله ﷺ في الغار ثلاثة أيّام، ثمّ أذن الله تعالى له في الهجرة، وقال: اخرج عن مكّة يا محمّد فليس لك بها ناصر بعد أبي طالب، فخرج رسول الله ﷺ وأقبل راع لبعض قريش يقال له: ابن أريقط، فدعاه رسول الله ﷺ فقال له: يا ابن أريقط أئتمنك على دمي؟ فقال: إذاً والله أحرسك وأحفظك، ولا أدلّ عليك، فأين تريد يا محمّد؟ قال: يثرب، قال: لأسلكنّ بك مسلكاً لا يهتدي فيها أحد، فقال له رسول الله ﷺ: ائت عليّاً وبشره بأنّ الله قد أذن لي في الهجرة فهيّئ لي زاداً وراحلةً، وقال له أبو بكر: ائت أسماء ابنتي وقل لها: تهيّئي لي زاداً وراحلتين، وأعلم عامر بن فهيرة أمرنا - وكان من موالي أبي بكر، وكان قد أسلم - وقل له ائتنا بالزاد والراحلتين، فجاء ابن أريقط إلى عليّ عليه‌السلام فأخبره بذلك، فبعث عليّ بن أبي طالب عليه‌السلام إلى رسول الله ﷺ بزاد وراحلة، وبعث ابن فهيرة بزاد وراحلتين، وخرج رسول الله ﷺ من الغار، وأخذ به ابن أريقط على طريق نخلة بين الجبال، فلم يرجعوا إلى الطريق إلّا بقديد فنزلوا على أمّ معبد هناك وقد مرّ حديث شاة أمّ معبد والمعجزة الّتي ظهرت فيها في أبواب المعجزات، وكذا حديث سراقة ابن مالك بن جعشم المدلجي، ورسوخ قوائم فرسه في الأرض وغيرهما من المعجزات فرجع عنه سراقة فلمّا كان من الغد وافته قريش فقالوا: يا سراقة هل لك علم بمحمد؟ فقال: بلغني أنّه خرج عنكم وقد نفضت هذه الناحية لكم، ولم أر أحداً ولا أثراً فارجعوا فقد كفيتكم ما ههنا، وقد كانت الأنصار بلغهم خروج رسول الله ﷺ إليهم، وكانوا يتوقعون قدومه إلى أن وافى مسجد قبا، ونزل، فخرج الرجال والنساء يستبشرون بقدومه(٢) إلى آخر ما سيأتي في الباب الآتي.

٢١ - ير: عبد الله بن محمّد، عن إبراهيم بن محمّد، عن عمرو بن سعيد الثقفيّ، عن يحيى بن الحسين بن الفرات، عن يحيى بن المساور، عن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه‌السلام قال: لمّا صعد رسول الله ﷺ الغار طلبه عليّ بن أبي طالب عليه‌السلام وخشي أن يغتاله المشركون، وكان رسول الله ﷺ على حراء، وعلي عليه‌السلام على ثبير، فبصر به النبيّ ﷺ فقال: ما لك يا عليّ؟ قال: بأبي أنت وأمّي خشيت أن يغتالك المشركون فطلبتك، فقال

(١) قصص الأنبياء، ص ٣١٧.
(٢) إعلام الورى، ص ٧٩، قصص الأنبياء، ص ٣٢٧.

النبيّ صلى الله عليه وآله : ناولني يدك يا عليّ فزحف الجبل حتّى خطا برجله إلى الجبل الآخر، ثمّ رجع الجبل إلى قراره[1].

ختص: إبراهيم بن محمّد مثله[2].

بيان: زحف إليه كمنع: مشى قدماً، وفي بعض النسخ بالراء المهملة والجيم أي تحرّك.

٢٢ - **ير:** ابن عيسى وابن أبي الخطّاب معاً، عن ابن محبوب، عن ابن رئاب، عن الكناسيّ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لمّا كان رسول الله صلى الله عليه وآله في الغار ومعه أبو الفصيل، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إنّي لأنظر الآن إلى جعفر وأصحابه الساعة، تعوم بهم سفينتهم في البحر، إنّي لأنظر إلى رهط من الأنصار في مجالسهم محتبين بأفنيتهم، فقال له أبو الفصيل: أتراهم يا رسول الله الساعة؟ قال: نعم، قال: فأرنيهم، قال: فمسح رسول الله صلى الله عليه وآله على عينيه، ثمّ قال: انظر، فنظر فرآهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : أرأيتهم؟ قال: نعم، وأسرّ في نفسه أنّه ساحر[3].

بيان: أبو الفصيل: أبو بكر، وكان يكنّى به في زمانه أيضاً لأنّ الفصيل ولد الناقة، والبكر: الفتيّ من الإبل، والعوم: السباحة، وسير السفينة.

٢٣ - **ير:** موسى بن عمر، عن عثمان بن عيسى، عن خالد بن نجيح قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام : جعلت فداك سمّى رسول الله صلى الله عليه وآله أبا بكر الصدّيق؟ قال: نعم، قال: فكيف؟ قال: حين كان معه في الغار، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إنّي لأرى سفينة جعفر بن أبي طالب تضطرب في البحر ضالة، قال: يا رسول الله وإنك لتراها؟ قال: نعم، قال: فتقدر أن ترينيها؟ قال: ادن منّي، قال: فدنا منه، فمسح على عينيه، ثمّ قال: انظر، فنظر أبو بكر فرأى السفينة وهي تضطرب في البحر ثمّ نظر إلى قصور أهل المدينة، فقال في نفسه: الآن صدّقت أنّك ساحر، فقال رسول الله: الصدّيق أنت[4].

٢٤ - **يج:** من معجزاته صلى الله عليه وآله ما هو مشهور، وهو أنّه في توجّهه إلى المدينة أوى إلى غار بقرب مكّة يعتوره النزّال، ويأوي إليه الرعاء قلّما يخلو من جماعة نازلين يستريحون به، فأقام صلى الله عليه وآله به ثلاثاً لا يطوره بشر، وخرج القوم في أثره، فصدّهم عنه بأن بعث عنكبوتاً فنسجت عليه فآيسهم من الطلب فيه، وانصرفوا وهو نصب أعينهم[5].

بيان: قال الجزريّ: في حديث عليّ عليه السلام : والله لا أطور به ما سمر سمير، أي لا أقربه أبداً.

---

(١) بصائر الدرجات، ص ٣٧٧ ج ٨ باب ١٣ ح ٩. (٢) الاختصاص، ص ٣٢٤.

(٣) - (٤) بصائر الدرجات، ص ٣٩٢ ج ٩ باب ١ ح ١٣-١٤.

(٥) الخرائج والجرائح، ج ١ ص ٢٥.

٢٥ - يج: روي أنّ نفراً من قريش اجتمعوا وفيهم عتبة وشيبة وأبو جهل وأميّة بن أبي خلف، فقال أبو جهل: زعم محمّد أنكم إن اتّبعتموني كنتم ملوكاً فخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وآله فقام على رؤوسهم وقد ضرب الله على أبصارهم فقبض بقبضة من تراب فذرّها على رؤوسهم، وقرأ: يسّ حتّى بلغ العشر منها، ثمّ قال: إنّ أبا جهل هذا يزعم أنّي أقول: إن خالفتموني فإنّ لي فيكم ريحاً، وصدق، وأنا أقول ذلك، ثمّ انصرف فقاموا ينفضون التراب عن رؤوسهم ولم يشعروا به ولا كانوا رأوه[١].

٢٦ - يج: من معجزاته صلى الله عليه وآله أنه لمّا كانت اللّيلة الّتي خرج فيها رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الغار كانت قريش اختارت من كلّ بطن منهم رجلاً ليقتلوا محمداً، فاختّارت خمسة عشر رجلاً من خمسة عشر بطناً، كان فيهم أبو لهب من بطن بني هاشم ليتفرّق دمه في بطون قريش فلا يمكّن بني هاشم أن يأخذوا بطناً واحداً، فيرضون عند ذلك بالدية فيعطون عشر ديات، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله لأصحابه: لا يخرج اللّيلة أحد من داره، فلمّا نام الرسول قصدوا جميعاً إلى باب عبد المطلب، فقال لهم أبو لهب: يا قوم إنّ في هذه الدار نساء بني هاشم وبناتهم، ولا نأمن أن تقع يد خاطئة إذا وقعت الصيحة عليهن فيبقى ذلك علينا مسبة وعاراً إلى آخر الدهر في العرب، ولكن اقعدوا بنا جميعاً على الباب نحرس محمّداً في مرقده، فإذا طلع الفجر تواثبنا إلى الدار فضربناه ضربة رجل واحد وخرجنا، فإلى أن تجتمع النّاس، وقد أضاء الصبح فيزول عنّا العار عند ذلك فقعدوا بالباب يحرسونه، قال عليّ عليه السلام: فدعاني رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: إنّ قريشاً دبّرت كيت وكيت في قتلي، فنم على فراشي حتّى أخرج أنا من مكّة، فقد أمرني الله بذلك، فقلت له: السمع والطاعة، فنمت على فراشه، وفتح رسول الله صلى الله عليه وآله الباب وخرج عليهم وهم جميعاً جلوس ينتظرون الفجر، وهو يقول: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ ومضى وهم لا يرونه، فرأى أبا بكر قد خرج في اللّيل يتجسّس من خبره، وقد كان وقف على تدبير قريش من جهتهم فأخرجه معه إلى الغار، فلمّا طلع الفجر تواثبوا إلى الدار وهم يظنّون أنّي محمّد صلى الله عليه وآله، فوثبت في وجوههم وصحت بهم، فقالوا: عليّ؟ قلت: نعم، قالوا: وأين محمد؟ قلت: خرج من بلدكم، قالوا: إلى أين خرج؟ قلت: الله أعلم، فتركوني وخرجوا، فاستقبلهم أبو كرز الخزاعيّ وكان عالماً بقصص الآثار، فقالوا: يا أبا كرز اليوم نحبّ أن تساعدنا في قصص أثر محمّد، فقد خرج عن البلد، فوقف على باب الدار فنظر إلى أثر رجل محمّد صلى الله عليه وآله، فقال: هذه أثر قدم محمّد، وهي والله أخت القدم الّتي في المقام، ومضى به على أثره حتّى إذا صار إلى الموضع الّذي لقيه فيه أبو بكر، قال: هنا قد صار مع محمّد آخر، وهذه قدمه، إمّا أن تكون قدم أبي قحافة أو قدم ابنه، فمضى على ذلك إلى باب الغار، فانقطع عنه الأثر، وقد بعث الله قبجة

---

(١) الخرائج والجرائح، ج ١ ص ٥٨.

فباضت على باب الغار، وبعث الله العنكبوت فنسجت على باب الغار، فقال: ما جاز محمّد هذا الموضع، ولا من معه، إمّا أن يكونا صعدا إلى السماء أو نزلا في الأرض، فإنّ باب هذا الغار كما ترون عليه نسج العنكبوت، والقبجة حاضنة على بيضها بباب الغار، فلم يدخلوا الغار، وتفرّقوا في الجبل يطلبونه.

ومنها: أنّ أبا بكر اضطرب في الغار اضطراباً شديداً خوفاً من قريش فأراد الخروج إليهم، فقعد واحد من قريش مستقبل الغار يبول، فقال أبو بكر: هذا قد رآنا، قال: كلاّ لو رآنا ما استقبلنا بعورته، وقال له النبيّ صلى الله عليه وآله: «لا تخف إنّ الله معنا» لن يصلوا إلينا فلم يسكن اضطرابه، فلمّا رأى صلى الله عليه وآله ذلك منه رفس ظهر الغار فانفتح منه باب إلى بحر وسفينة، فقال له: اسكن الآن، فإنّهم إن دخلوا من باب الغار خرجنا من هذا الباب وركبنا السفينة، فسكن عند ذلك، فلم يزالوا إلى أن يمسوا في الطلب فيئسوا وانصرفوا، ووافى ابن الأريقط بأغنام يرعاها إلى باب الغار وقت اللّيل يريد مكّة بالغنم، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: أفيك مساعدة لنا؟ قال: إي والله، فوالله ما جعل الله هذه القبجة على باب الغار حاضنة لبيضها، ولا نسج العنكبوت عليه إلاّ وأنت صادق، فأنا أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأن محمّداً رسول الله، فقال: الحمد لله على هدايتك، فصر الآن إلى عليّ فعرّفه موضعنا، ومرَّ بالغنم إلى أهلها إذ نام الناس، ومر إلى عبد أبي بكر، فصار ابن الأريقط إلى مكّة وفعل ما أمره رسول الله صلى الله عليه وآله، فأتى عليّ عليه السلام وعبد أبي بكر، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أعدَّ لنا يا أبا الحسن زاداً وراحلة، وابعثها إلينا، وأصلح ما نحتاج إليه، واحمل والدتك وفاطمة والحقنا بهما إلى يثرب، وقال أبو بكر لعبده مثله، ففعلا ذلك، فأردف رسول الله صلى الله عليه وآله ابن الاريقط، وأبو بكر عبده.

ومنها: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لمّا خرج وهؤلاء أصبحوا من تلك الليلة الّتي خرجوا فيها على حيّ سراقة بن جعشم، فلمّا نظر سراقة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله قال: أتخذ يداً عند قريش، وركب فرسه وقصد محمداً صلى الله عليه وآله قال: قد لحق بنا هذا الشيطان، فقال: إنّ الله سيكفينا أمره، فلمّا قرب قال صلى الله عليه وآله: «اللّهمّ خذه» فارتطم فرسه في الأرض فصاح: يا محمّد خلص فرسي، لا سعيت لك في مكروه أبداً، وعلم أنّ ذلك بدعاء محمّد صلى الله عليه وآله، فقال: «اللّهمّ إن كان صادقاً فخلصه» فوثب الفرس فقال: يا أبا القاسم ستمرّ برعائي وعبيدي فخذ سوطي، فكلّ من تمرّ به فخذ ما شئت فقد حكمتك في مالي، فقال: لا حاجة لي في مالك، قال: فسلني حاجة، قال: ردّ عنّا من يطلبنا من قريش، فانصرف سراقة فاستقبله جماعة من قريش في الطلب فقال لهم: انصرفوا عن هذا الطريق، فلم يمرّ فيه أحد، وأنا أكفيكم هذا الطريق، فعليكم بطريق اليمن والطائف.

ومنها: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله سار حتّى نزل بخيمة أمّ معبد فطلبوا عندها قرى فقالت: ما يحضرني شيء، فنظر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى شاة في ناحية الخيمة قد تخلّفت من الغنم لضرّها،

فقال: أتأذنين في حلبها؟ قالت: نعم ولا خير فيها، فمسح يده على ظهرها فصارت من أسمن ما يكون من الغنم، ثمّ مسح يده على ظهرها فأرخت ضرعاً عجيباً، ودرّت لبناً كثيراً، فقال: يا أمّ معبد هاتي العس، فشربوا جميعاً حتّى رووا، فلمّا رأت أمّ معبد ذلك قالت: يا حسن الوجه إنّ لي ولداً له سبع سنين وهو كقطعة لحم لا يتكلّم ولا يقوم فأتته به، فأخذ تمرة وقد بقيت في الوعاء ومضغها وجعلها في فيه فنهض في الحال ومشى وتكلّم، وجعل نواها في الأرض فصارت في الحال نخلة وقد تهدّل الرطب منها، وكان كذلك صيفاً وشتاءً، وأشار من الجوانب فصار ما حولها مراعي، ورحل رسول الله ﷺ. ولمّا توفّي ﷺ لم ترطب تلك النخلة وكانت خضراء، فلمّا قتل عليّ عليه السلام لم تخضر بعد وكانت باقية، فلمّا قتل الحسين عليه السلام سال منها الدم فيبست، فلمّا انصرف أبو معبد ورأى ذلك فسأل عن سببه قالت: مرّ بي رجل من قريش من حاله وقصته كذا وكذا، قال: يا أمّ معبد إنّ هذا الرجل هو صاحب أهل المدينة الّذي هم ينتظرونه، ووالله ما أشك الآن أنّه صادق في قوله: إنّي رسول الله، فليس هذا إلاّ من فعل الله، ثمّ قصد إلى رسول الله ﷺ فآمن هو وأهله(١).

٢٧ - يج: روي أنّ ابن الكوّا قال لعليّ عليه السلام: أين كنت حيث ذكر الله أبابكر فقال: ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾؟ فقال عليه السلام: ويلك يا ابن الكوّا كنت على فراش رسول الله ﷺ وقد طرح عليّ ريطته، فأقبل قريش مع كلّ رجل منهم هراوة فيها شوكها، فلم يبصروا رسول الله ﷺ فأقبلوا عليّ يضربونني حتّى تنفّط جسدي، وأوثقوني بالحديد، وجعلوني في بيت، واستوثقوا الباب بقفل وجاءوا بعجوز تحرس الباب، فسمعت صوتاً يقول: يا عليّ، فسكن الوجع فلن أجده وسمعت صوتاً آخر يقول: يا عليّ، فإذا الحديد الّذي عليّ قد تقطع، ثمّ سمعت صوتاً: يا عليّ فإذا الباب فتح وخرجت والعجوز لا تعقل(٢).

بيان: الريطة: الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ولم تكن لفقين، والنفطة: الجدري، والبثرة، وقد نفطت كفه كفرحت قرحت عملاً أو مجلت، وأنفطها العمل.

٢٨ - قب: عليّ بن إبراهيم بن هاشم: ما زال أبو كرز الخزاعيّ يقفو أثر النبيّ ﷺ فوقف على باب الحجر، يعني الغار، فقال: هذه قدم محمّد، والله أخت القدم الّتي في المقام، وقال: هذه قدم أبي قحافة أو ابنه، وقال: ما جازوا هذا المكان إمّا أن يكونوا صعدوا في السّماء، أو دخلوا في الارض، وجاء فارس من الملائكة في صورة الإنس فوقف على باب الغار وهو يقول لهم: اطلبوه في هذه الشعاب، فليس ههنا، وتبعه القوم فعمّى الله أثره وهو نصب أعينهم، وصدّهم عنه وهم دهاة العرب وكان الغار ضيّق الرأس، فلمّا وصل إليه النبيّ ﷺ اتّسع بابه، فدخل بالناقة فعاد الباب وضاق كما كان في الاوّل.

---

(١) الخرائج والجرائح، ج ١ ص ١٤٣-١٤٦. (٢) الخرائج والجرائح، ج ١ ص ٢١٥.

الواقدي: لمّا خرج النبيّ صلى الله عليه وآله إلى الغار فبلغ الجبل وجده مصمتاً فانفرج حتّى دخل رسول الله صلى الله عليه وآله الغار.

زيد بن أرقم وأنس والمغيرة: أمر الله شجرة صغيرة فنبتت في وجه الغار، وأمر العنكبوت فنسجت في وجهه، وأمر حمامتين وحشيّتين فوقفتا بفم الغار.

وروي أنّه أنبت الله تعالى على باب الغار ثمامة وهي شجرة صغيرة.

الزهريّ: ولمّا قربوا من الغار بقدر أربعين ذراعاً تعجّل بعضهم لينظر من فيه، فرجع إلى أصحابه فقالوا له: ما لك لا تنظر في الغار؟ فقال: رأيت حمامتين بفم الغار فعلمت أن ليس فيه أحد، وسمع النبيّ صلى الله عليه وآله ما قال فدعا لهنّ، وفرض جزاءهنّ، فانحدرن في الحرم.

ورأى أبو بكر واحداً يبول قبلهم، فقال: قد أبصرونا، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله لو أبصرونا لما استقبلونا بعوراتهم[1].

٢٩ - شي: عن سعيد بن المسيّب، عن عليّ بن الحسين عليه السلام قال: كانت خديجة ماتت قبل الهجرة بسنة، ومات أبو طالب بعد موت خديجة بسنة فلمّا فقدهما رسول الله صلى الله عليه وآله شنأ المقام بمكة، ودخله حزن شديد، وأشفق على نفسه من كفّار قريش، فشكا إلى جبرئيل ذلك، فأوحى الله إليه: يا محمّد اخرج من القرية الظالم أهلها، وهاجر إلى المدينة، فليس لك اليوم بمكّة ناصر، وانصب للمشركين حرباً، فعند ذلك توجه رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المدينة[2].

٣٠ - شي: عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: أمّا قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ فإنها نزلت في عليّ بن أبي طالب عليه السلام حين بذل نفسه لله ولرسوله صلى الله عليه وآله ليلة اضطجع على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا طلبته كفّار قريش[3].

٣١ - شي: عن ابن عبّاس قال: فدى عليّ عليه السلام بنفسه، لبس ثوب النبيّ صلى الله عليه وآله ثمّ نام مكانه، فكان المشركون يرمون رسول الله، قال: فجاء أبو بكر وعليّ عليه السلام نائم، وأبو بكر يحسب أنّه نبيّ الله، فقال: أين نبيّ الله؟ فقال عليّ: إنّ نبيّ الله قد انطلق نحو بئر ميمون فأدرك، قال: فانطلق أبو بكر فدخل معه الغار، وجعل عليه السلام يرمى بالحجارة كما كان يرمى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يتضور قد لفّ رأسه، فقالا: إنّك كنت، لو كان صاحبك لا يتضور قد استنكرنا ذلك منك[4].

بيان: قال الجزريّ: فيه أنّه دخل على امرأة وهي تتضوّر من شدّة الحمّى أي تتلوّى وتصيح

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب، ج ١ ص ١٧٠.

(٢) تفسير العياشي، ج ١ ص ٢٨٤ ح ١٩٢ من سورة النساء.

(٣) - (٤) تفسير العياشي، ج ١ ص ١٢٠ ح ٢٩٣-٢٩٤ من سورة البقرة.

وتتقلّب ظهراً لبطن، وقيل: تتضوّر: تظهر الضور بمعنى الضرّ يقال: ضاره يضوره ويضيره.

٣٢ - قب: تاريخ الطبرسيّ: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام نزل بقباء على أمّ كلثوم بنت هدم وقت الهجرة ليلتين أو ثلاثاً، فرآها تخرج كلّ ليلة نصف الليل إلى طارق وتأخذ منه شيئاً، فسألها عن ذلك فقالت: هذا سهل بن حنيف قد عرف أنّي امرأة لا أحد لي، فإذا أمسى عدا على أوثان قومه فكسرها ثمّ جاءني بها، وقال: احتطبي بهذا، فكان أمير المؤمنين عليه السلام يحترمه بعد ذلك[1].

٣٣ - شي: عن عبد الله بن محمّد الحجّال قال: كنت عند أبي الحسن الثاني عليه السلام ومعي الحسن بن الجهم، فقال له الحسن: إنّهم يحتجون علينا بقول الله تبارك وتعالى: ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ قال: وما لهم في ذلك؟ فوالله لقد قال الله: ﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ﴾، وما ذكره فيها بخير، قال: قلت له أنا: جعلت فداك وهكذا تقرأونها؟ قال: هكذا قرأتها.

قال زرارة: قال أبو جعفر عليه السلام: ﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ﴾ ألا ترى أنّ السكينة إنّما نزلت على رسوله ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ﴾ فقال: هو الكلام الّذي يتكلّم به عتيق. رواه الحلبيّ عنه[2].

٣٤ - م: إنّ الله تعالى أوحى إلى النبيّ: يا محمّد إنّ العليّ الأعلى يقرأ عليك السلام، ويقول لك: إنّ أبا جهل والملأ من قريش قد دبّروا يريدون قتلك، وآمرك أن تبيّت عليّاً في موضعك، وقال لك: إنّ منزلته منزلة إسماعيل الذبيح من إبراهيم الخليل، يجعل نفسه لنفسك فداء، وروحه لروحك وقاء، وآمرك أن تستصحب أبابكر، فإنّه إن آنسك وساعدك ووازرك وثبت على ما يعاهدك ويعاقدك كان في الجنّة من رفقائك، وفي غرفاتها من خلصائك، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام: أرضيت أن أطلب فلا أوجد وتوجد، فلعلّه أنّ يبادر إليك الجهّال فيقتلوك؟ قال: بلى يا رسول الله رضيت أن يكون روحي لروحك وقاء، ونفسي لنفسك فداء، بل رضيت أن يكون روحي ونفسي فداء لأخ لك أو قريب أو لبعض الحيوانات تمتهنها، وهل أحب الحياة إلاّ لخدمتك والتصرّف بين أمرك ونهيك، ولمحبّة أوليائك، ونصرة أصفيائك، ومجاهدة أعدائك؟ لولا ذلك لما أحببت أن أعيش في هذه الدنيا ساعة واحدة، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله على عليّ عليه السلام فقال له: يا أبا حسن قد قرأ عليّ كلامك هذا الموكّلون باللوح المحفوظ وقرأوا عليّ ما أعدّ الله لك من ثوابه في دار القرار ما لم يسمع بمثله السامعون، ولا رأى مثله الراؤون، ولا خطر مثله ببال المتفكّرين، ثمّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله لابي بكر: أرضيت أن تكون معي يا أبابكر تطلب كما أطلب، وتعرف بأنّك

---

(١) مناقب ابن شهر آشوب ج ٢ ص ١٦٧.

(٢) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٩٤ ح ٥٨ من سورة التوبة.

أنت الّذي تحملني على ما أدّعيه فتحمل عنّي أنواع العذاب؟ قال أبو بكر: يا رسول الله أمّا أنا لو عشت عمر الدنيا أعذّب في جميعها أشدّ عذاب لا ينزل عليّ موت مريح ولا منهج متيح وكان ذلك في محبّتك لكان ذلك أحبّ إليّ من أن أتنعم فيها وأنا مالك لجميع ممالك ملوكها في مخالفتك، وهل أنا ومالي وولدي إلّا فداؤك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا جرم إن اطّلع الله على قلبك ووجد ما فيه موافقاً لما جرى على لسانك جعلك منّي بمنزلة السمع والبصر والرأس من الجسد، ومنزلة الروح من البدن، كعليّ الّذي هو منّي كذلك، وعليّ فوق ذلك لزيادة فضائله وشرف خصاله، يا أبا بكر إنّ من عاهد ثمّ لم ينكث ولم يغيّر ولم يبدّل ولم يحسد من قد أبانه الله بالتفضيل فهو معنا في الرفيق الأعلى، وإذا أنت مضيت على طريقة يحبّها منك ربّك ولم تتبعها بما يسخط ووافيته بها إذا بعثك بين يديه كنت لولاية الله مستحقّاً ولمرافقتنا في تلك الجنان مستوجباً، انظر أبابكر، فنظر في آفاق السماء فرأى أملاكاً من نار على أفراس من نار، بأيديهم رماح من نار، وكلّ ينادي: يا محمّد مرنا بأمرك في مخالفيك نطحطحهم، ثمّ قال: تسمّع على الارض، فتسمّع فإذا هي تنادي: يا محمّد مرني بأمرك في أعدائك أمتثل أمرك، ثمّ قال: تسمع على الجبال فسمعها تنادي: يا محمّد مرنا بأمرك في أعدائك نهلكهم، ثمّ قال: تسمّع على البحار فأحضرت البحار بحضرته وصاحت أمواجها: يا محمّد مرنا بأمرك في أعدائك نمتثله ثمّ سمع السماء والأرض والجبال والبحار كلّ يقول: يا محمّد ما أمرك ربّك بدخول الغار لعجزك عن الكفار، ولكن امتحاناً وابتلاءً ليخلص الخبيث من الطيّب من عباده وإمائه بأناتك وصبرك وحلمك عنهم، يا محمّد من وفى بعهدك فهو من رفقائك في الجنان، ومن نكث فإنّما ينكث على نفسه، وهو من قرناء إبليس اللعين في طبقات النيران.

ثمّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام يا عليّ أنت منّي بمنزلة السمع والبصر والرأس من الجسد، والروح من البدن، حبّبت إليّ كالماء البارد إلى ذي الغلّة الصادي ثمّ قال له: يا أبا حسن تغشّ ببردتي، فإذا أتاك الكافرون يخاطبونك فإنّ الله يقرن بك توفيقه وبه تجيبهم، فلمّا جاء أبو جهل والقوم شاهرون سيوفهم قال لهم أبو جهل: لا تقعوا به وهو نائم لا يشعر، ولكن ارموه بالاحجار لينتبه بها ثمّ اقتلوه، فرموه بأحجار ثقال صائبة، فكشف عن رأسه، وقال: ماذا شأنكم، فعرفوه فإذا هو عليّ عليه السلام فقال أبو جهل: أما ترون محمّداً كيف أبات هذا ونجا بنفسه لتشتغلوا به وينجو محمّد، لا تشتغلوا بعليّ المخدوع لينجو بهلاكه محمّد، وإلاّ فما منعه أن يبيت في موضعه إن كان ربّه يمنع عنه كما يزعم؟ فقال عليّ عليه السلام: أَلي تقول هذا يا أبا جهل؟ بل الله قد أعطاني من العقل ما لو قسّم على جميع حمقاء الدنيا ومجانينها لصاروا به عقلاء ومن القوّة ما لو قسّم على جميع ضعفاء الدنيا لصاروا به أقوياء، ومن الشجاعة ما لو قسّم على جميع جبناء الدنيا لصاروا به شجعاناً، ومن الحلم ما لو قسّم على جميع سفهاء الدنيا لصاروا به حلماء، ولولا أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أمرني أن لا أحدث حدثاً

حتّى ألقاه لكان لي ولكم شأن، ولأقتلنكم قتلاً، ويلك يا أبا جهل إنّ محمّداً قد استأذنه في طريقه السماء والارض والجبال والبحار في إهلاككم فأبى إلاّ أن يرفق بكم، ويداريكم، ليؤمن من في علم الله أنّه ليؤمن منكم، ويخرج مؤمنون من أصلاب وأرحام كافرين وكافرات، أحبّ الله أن لا يقطعهم عن كرامته باصطلامهم، ولولا ذلك لأهلككم ربّكم، إنّ الله هو الغنيّ وأنتم الفقراء لا يدعوكم إلى طاعته وأنتم مضطرون، بل مكنكم بما كلّفكم وقطع معاذيركم فغضب أبو البختري بن هشام أخو أبي جهل فقصده بسيفه، فرأى الجبال قد أقبلت لتقع عليه، والأرض قد انشقت لتخسف به، وأمواج البحار نحوه مقبلة لتغرقه في البحر، ورأى السماء انحطّت لتقع عليه، فسقط سيفه وخرّ مغشياً عليه واحتمل ويقول أبو جهل: دير به لصفراء هاجت به، يريد أن يلبّس على من معه أمره، فلمّا التقى رسول الله ﷺ مع عليّ عليه السلام قال: يا عليّ إنّ الله رفع صوتك في مخاطبتك أبا جهل إلى العلو، وبلغه إلى الجنان، فقال من فيها من الخزّان والحور الحسان: من هذا المتعصّب لمحمّد إذ قد كذّبوه وهجروه؟ وقيل لهم: هذا النائب عنه، والبائت على فراشه يجعل نفسه لنفسه وقاءً، وروحه لروحه فداءً، فقال الخزّان والحور الحسان: يا ربّنا فاجعلنا خزّانه، وقالت الحور الحسان: فاجعلنا نساءه فقال الله تعالى: فأنتم له ولمن اختاره، وهو من أوليائه ومحبّيه يقسّمكم عليهم بأمر الله على من هو أعلم به من الصلاح، أرضيتم؟ قالوا: بلى ربّنا وسيّدنا[1].

بيان: متيح بضمّ الميم: أي مهيّء للنجاة، وفي النسخ المصحّحة: منج، وهو أظهر معنى، وطحطحت الشيء: كسرته وفرّقته، والغلّة بالضمّ: حرارة العطش والصدى العطش.

٣٥ - **عم:** قال ابن عبّاس: لمّا انطلق النبيّ ﷺ إلى الغار أنام عليّاً في مكانه وألبسه برده، فجاءت قريش تريد أن تقتل رسول الله ﷺ، فجعلوا يرمون عليّاً عليه السلام وهم يرون أنّه النبيّ ﷺ، فجعل يتضور، فلمّا نظروا إذا هو عليّ عليه السلام.

وروى عليّ بن هاشم، عن محمّد بن عبد الله بن أبي رافع، عن أبيه، عن جدّه أبي رافع قال: كان عليّ عليه السلام يجهز النبيّ ﷺ حين كان في الغار يأتيه بالطعام والشراب، واستأجر له ثلاث رواحل للنبيّ ﷺ ولأبي بكر، ولدليلهم رقيد، وخلّفه النبيّ ﷺ ليخرج إليه أهله، فأخرجهم، وأمره أنّ يؤدّي عنه أماناته ووصاياه وما كان بمؤتمن عليه من مال، فأدّى عليّ عليه السلام أماناته كلّها.

وقال له النبيّ ﷺ: إنّ قريش لن يفتقدوني ما رأوك، فاضطجع على فراش رسول الله ﷺ، فكانت قريش ترى رجلاً على فراش النبيّ ﷺ، فيقولون هو محمّد، فحبسهم الله عن طلبه، وخرج عليّ عليه السلام إلى المدينة ماشياً على رجليه فتورّمت قدماه، فلمّا قدما المدينة رآه النبيّ ﷺ، فاعتنقه وبكى رحمة ممّا رأى بقدميه من الورم وإنّما يقطران دماً،

(١) تفسير الإمام العسكري، ص ٤٦٥.

فدعا له بالعافية، ومسح رجليه فلم يشكهما بعد ذلك(١).

٣٦ - **فض، يل:** لمّا آخى سبحانه وتعالى بين الملائكة آخى بين جبرئيل وميكائيل فقال سبحانه وتعالى: إنّي آخيت بينكما، وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر، فأيّكما يؤثر أخاه بالحياة على نفسه فاختار كلاهما الحياة فقال الله عزّ وجلّ: أفلا تكونا مثل عليّ بن أبي طالب آخيت بينه وبين حبيبي محمّد فآثره بالحياة على نفسه في هذه الليلة، وقد بات على فراشه يفديه بنفسه؛ اهبطا فاحفظاه من عدوّه، فهبطا إلى الأرض فجلس جبرئيل عند رأسه، وميكائيل عند رجليه، وهما يقولان: بخ بخ لك يابن أبي طالب، من مثلك وقد باهى الله بك ملائكة السماوات وفاخر بك(٢)؟.

٣٧ - **كنز:** روى أحمد بن حنبل، عن عمير بن ميمون قال: قوله عزّ وجلّ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ﴾ وذلك حين نام عليّ عليه السلام على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله ألبسه ثوبه، وجعله مكانه، وكان المشركون يتوهمون أنّه رسول الله صلى الله عليه وآله.

وروى الثعلبيّ في تفسيره قال: لمّا أراد النبيّ صلى الله عليه وآله الهجرة خلّف عليّاً عليه السلام لقضاء ديونه، وردّ الودائع الّتي كانت عنده، وأمره ليلة خرج إلى الغار وقد أحاط المشركون بالدار، وقال له: يا عليّ اتّشح ببردي الحضرميّ، ثمّ نم على فراشي فإنّه لا يخلص إليك منهم مكروه إن شاء الله، ففعل ما أمره، فأوحى عزّ وجلّ إلى جبرئيل وميكائيل: إنّي قد آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخر، فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة؟ فاختار كلّ منهما الحياة، فأوحى الله عزّ وجلّ إليهما: ألا كنتما مثل عليّ بن أبي طالب؟ آخيت بينه وبين محمّد صلى الله عليه وآله فبات على فراشه يفديه بنفسه، ويؤثره بالحياة، اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوّه، فنزلا فكان جبرئيل عند رأسه، وميكائيل عند رجليه، وجبرئيل يقول: بخ بخ من مثلك يابن أبي طالب، يباهي الله بك ملائكته فأنزل الله عزّ وجلّ على رسوله صلى الله عليه وآله وهو متوجه إلى المدينة في شأن عليّ بن أبي طالب عليه السلام: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ﴾ الآية.

وروى أخطب خوارزم حديثاً يرفعه بإسناده إلى النبيّ صلى الله عليه وآله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: نزل عليّ جبرئيل صبيحة يوم الغار، فقلت: حبيبي جبرئيل! أراك فرحاً، فقال: يا محمّد وكيف لا أكون كذلك وقد قرّت عيني بما أكرم الله به أخاك ووصيّك وإمام أمتك عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فقلت: بماذا أكرمه الله؟ قال: باهى بعبادته البارحة ملائكته، وقال: ملائكتي انظروا إلى حجّتي في أرضي بعد نبيّي وقد بذل نفسه، وعفّر خدّه في التراب تواضعاً لعظمتي، أشهدكم أنّه إمام خلقي ومولى بريّتي(٣).

٣٨ - **مصبا:** في أوّل ليلة من شهر ربيع الأوّل هاجر النبيّ صلى الله عليه وآله من مكّة إلى المدينة سنة

---

(١) إعلام الورى، ص ١٩٨.
(٢) الفضائل لابن شاذان، ص ٩٣.
(٣) تأويل الآيات الظاهرة، ص ٩٥.

ثلاث عشرة من مبعثه، وفيها كان مبيت أمير المؤمنين عليه السلام على فراشه، وكانت ليلة الخميس، وفي ليلة الرابع منه كان خروجه من الغار متوجّهاً إلى المدينة(١).

٣٩ - فر: الحسين بن الحكم، عن يحيى بن عبد الحميد، عن أبي عوانة، عن أبي بلج، عن عمرو بن ميمون، عن ابن عبّاس رضي الله عنه قال في عليّ بن أبي طالب عليه السلام لمّا انطلق النبيّ صلى الله عليه وآله إلى الغار فأنامه النبيّ صلى الله عليه وآله في مكانه وألبسه برده، فجاء قريش يريدون أن يقتلوا النبيّ صلى الله عليه وآله فجعلوا يرمون عليّاً عليه السلام وهم يرون أنّه النبيّ صلى الله عليه وآله وقد ألبسه النبيّ صلى الله عليه وآله برده، فجعل يتضور، فنظروا فإذا هو عليّ عليه السلام فقالوا: إنّك لنائم؟! لو كان صاحبك ما تضوّر لقد استنكرنا ذلك منك(٢).

٤٠ - كا: حميد بن زياد، عن محمّد بن أيّوب، عن عليّ بن أسباط، عن الحكم بن مسكين، عن يوسف بن صهيب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أقبل يقول لأبي بكر في الغار: اسكن فإنّ الله معنا، وقد أخذته الرعدة وهو لا يسكن، فلمّا رأى رسول الله صلى الله عليه وآله حاله قال له: تريد أن أريك أصحابي من الأنصار في مجالسهم يتحدّثون، وأريك جعفراً وأصحابه في البحر يغوصون؟ قال: نعم، فمسح رسول الله صلى الله عليه وآله بيده على وجهه، فنظر إلى الأنصار يتحدّثون ونظر إلى جعفر رضي الله عنه وأصحابه في البحر يغوصون، فأضمر تلك الساعة أنّه ساحر(٣).

٤١ - كا: عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن معاوية بن عمّار، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا خرج من الغار متوجّهاً إلى المدينة وقد كانت قريش جعلت لمن أخذه مائة من الإبل، فخرج سراقة بن مالك بن جعشم فيمن يطلب فلحق برسول الله صلى الله عليه وآله، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «اللّهمّ اكفني شر سراقة بما شئت» فساخت قوائم فرسه فثنى رجله ثمّ اشتدّ، فقال: يا محمّد إنّي علمت أنّ الّذي أصاب قوائم فرسي إنّما هو من قبلك، فادع الله أن يطلق لي فرسي، فلعمري إن لم يصبكم خير منّي لم يصبكم منّي شرّ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله فأطلق الله عزّ وجلّ فرسه، فعاد في طلب رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى فعل ذلك ثلاث مرّات، كلّ ذلك يدعو رسول الله فيأخذ الأرض قوائم فرسه، فلمّا أطلقه في الثالثة قال: يا محمّد هذه إبلي بين يديك فيها غلامي، وإن احتجت إلى ظهر أو لبن فخذ منه، وهذا سهم من كنانتي علامة، وأنا أرجع فأرد عنك الطلب، فقال: لا حاجة لي فيما عندك(٤).

٤٢ - نهج: من كلام له عليه السلام اقتصّ فيه ذكر ما كان منه بعد هجرة النبيّ صلى الله عليه وآله ثمّ لحاقه به: فجعلت أتبع مأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله فأطأ ذكره حتّى انتهيت إلى العرج.

في كلام طويل فقوله عليه السلام: فأطأ ذكره، من الكلام الّذي رمي إلى غايتي الإيجاز

---

(١) مصباح المتهجد، ص ٥٥٠. (٢) تفسير فرات الكوفي، ج ١ ص ٦٥ ح ٣٣.

(٣) - (٤) روضة الكافي المطبوع مع الاصول، ص ٧٩٦ ح ٣٧٧ و٣٧٨.

والفصاحة، وأراد أنني كنت أعطي خبره صلى الله عليه وآله من بدء خروجي إلى أن انتهيت إلى هذا الموضع، فكنّى ذلك بهذه الكناية العجيبة(١).

٤٣ - فس: في رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَـٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾(٢) وذلك أنّ الرجل كان إذا أراد الهجرة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله تعلّق به ابنه وامرأته، فقالوا: ننشدك الله أن تذهب عنّا وتدعنا فنضيع بعدك، فمنهم من يطيع أهله فيقيم، فحذّرهم الله أبناءهم ونساءهم ونهاهم عن طاعتهم ومنهم من يمضي ويذرهم ويقول: أمّا والله لئن لم تهاجروا معي ثمّ جمع الله بيني وبينكم في دار الهجرة لا أنفعكم بشيء أبداً، فلمّا جمع الله بينه وبينهم أمره الله أن يبوء بحسن وبصلة فقال: ﴿وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٣).

٤٤ - ن: الحسين بن أحمد البيهقيّ، عن محمّد بن يحيى الصوليّ، عن أحمد بن محمّد ابن إسحاق الطالقانيّ، عن أبيه قال: حلف رجل بخراسان بالطلاق أنّ معاوية ليس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أيام كان الرضا عليه السلام بها، فأفتى الفقهاء بطلاقها فسئل الرضا عليه السلام فأفتى أنّها لا تطلق، فكتب الفقهاء رقعة فأنفذوها إليه وقالوا له: من أين قلت يا ابن رسول الله أنّها لم تطلق؟ فوقّع عليه السلام في رقعتهم: قلت هذا من روايتكم عن أبي سعيد الخدريّ أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لمسلمة الفتح وقد كثروا عليه: «أنتم خير، وأصحابي خير ولا هجرة بعد الفتح» فأبطل الهجرة ولم يجعل هؤلاء أصحاباً له، فرجعوا إلى قوله(٤).

٤٥ - شي: عن زرارة وحمران ومحمّد بن مسلم، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام قالوا: سألناهما عن قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَـٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟﴾ قالا بأنّ أهل مكّة لا يرثون أهل المدينة(٥).

٤٦ - كا: عليّ بن إبراهيم، عن هارون، عن ابن صدقة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ عمّار بن ياسر أكرهه أهل مكّة وقلبه مطمئن بالإيمان فأنزل الله عزّ وجلّ فيه: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ﴾ فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله عندها: يا عمّار إن عادوا فعد، فقد أنزل الله عذرك وأمرك أن تعود إن عادوا(٦).

٤٧ - كا: عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن جميل، عن محمّد بن مروان قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: ما منع ميثم رحمه الله من التقيّة؟ فوالله لقد علم أنّ هذه الآية نزلت في عمّار وأصحابه: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ﴾(٧).

---

(١) نهج البلاغة، ص ٤٨٠ خطبة ٢٣٣.
(٢) سورة التغابن، الآية: ١٤.
(٣) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٥٥.
(٤) عيون أخبار الرضا، ج ٢ ص ٩٣ باب ٣٢ ح ٣٤.
(٥) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٧٣ ح ٨١ من سورة الأنفال.
(٦) - (٧) أصول الكافي، ج ٢ ص ٤٥٠ باب التقية ح ١٠ و١٥.

٤٨ - أقول: في تفسير النعمانيّ بسنده المذكور في كتاب القرآن عن الصادق عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا هاجر إلى المدينة آخى بين أصحابه من المهاجرين والانصار جعل المواريث على الاخوّة في الدين لا في ميراث الارحام، وذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ إلى قوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا﴾[1] فأخرج الاقارب من الميراث، وأثبته لأهل الهجرة وأهل الدين خاصّة، ثمّ عطف بالقول فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ فكان من مات من المسلمين يصير ميراثه وتركته لأخيه في الدين دون القرابة والرحم الوشيجة فلمّا قوي الإسلام أنزل الله: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾[2] فهذا معنى نسخ آية الميراث.

٤٩ - ل: عن عامر بن واثلة في خبر الشورى قال أمير المؤمنين عليه السلام: نشدتكم بالله هل فيكم أحد وقى رسول الله صلى الله عليه وآله حيث جاء المشركون يريدون قتله؟ فاضطجعت في مضجعه وذهب رسول الله صلى الله عليه وآله نحو الغار وهم يرون أنّي أنا هو، فقالوا أين ابن عمّك؟ فقلت: لا أدري، فضربوني حتّى كادوا يقتلونني. قالوا: اللّهمّ لا[3].

٥٠ - ج: عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام يوم الشورى: نشدتكم بالله هل فيكم أحد كان يبعث إلى رسول الله الطعام وهو في الغار ويخبره الاخبار غيري؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد اضطجع على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله حين أراد أن يسير إلى المدينة ووقاه بنفسه من المشركين حين أرادوا قتله غيري؟ قالوا: لا[4].

٥١ - قل: ذكر ما فتحه الله علينا من أسرار هذه المهاجرة وما فيها من العجائب الباهرة:

منها: تعريف الله جلّ جلاله لعباده لو أراد قهر أعداء رسوله محمّد صلوات الله عليه ما كان يحتاج إلى مهاجرة ليلاً على تلك المأثرة، وكان قادراً أن ينصره وهو بمكّة من غير مخاطرة، بآيات وعنايات باهرة، كما أنّه كان قادراً أن ينصر عيسى ابن مريم عليه السلام على اليهود بالآيات والعساكر والجنود، فلم تقتض الحكمة الالهية إلّا رفعه إلى السماوات العلية، ولم يكن له مصلحة في مقامه في الدنيا بالكلية فليكن العبد راضياً بما يراه مولاه له من التدبير في القليل والكثير، ولا يكن الله جلّ جلاله دون وكيل الإنسان في أموره الّذي يرضى بتدبيره، ولا دون جاريته أو زوجته في داره الّتي يثق إليها في تدبير أموره.

---

(١) سورة الانفال، الآية: ٧٢.
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٦.
(٣) الخصال، ص ٥٦٠ باب ما فوق الأربعين ح ٣١.
(٤) الاحتجاج، ص ١٤١.

ومنها: التنبيه على أنّ الّذي صحبه إلى الغار على ما تضمّنه وصف صحبته في الاخبار ما كان يصلح في تلك الحادثات إلاّ للهرب، ولا في أوقات الذلّ والخوف من الاخطار إلاّ للتي يصلح لها مثل النساء الضعيفات والغلمان الّذين يصيحون في الطرقات عند الهرب من المخافات، وما كان يصلح للمقام بعده ليدفع عنه خطر الاعداء، ولا أن يكون معه بسلاح ولا قوّة لمنع شيء من البلاء.

ومنها: أنَّ الطبريّ في تاريخه وأحمد بن حنبل رويا في كتابيهما أنَّ هذا الرجل المشار إليه ما كان عارفاً بتوجه النبيّ صلى الله عليه وآله وأنّه جاء إلى مولانا عليّ عليه السلام فسأله عنه فأخبره أنّه توجّه، فتبعه بعد توجهه حتّى ظفر به، وتأذّى رسول الله صلى الله عليه وآله بالخوف منه لمّا تبعه، وعثر بحجر فلق قدمه، فقال الطبريّ في تاريخه ما هذا لفظه: فخرج أبو بكر مسرعاً ولحق نبيّ الله صلى الله عليه وآله في الطريق، فسمع جرس أبي بكر في ظلمة اللّيل فحسبه من المشركين، فأسرع رسول الله صلى الله عليه وآله يمشي فقطع قبال نعله ففلق إبهامه حجر وكثر دمها فأسرع المشي، فخاف أبو بكر أن يشقّ على رسول الله صلى الله عليه وآله حين أتاه، فانطلقا ورجل رسول الله صلى الله عليه وآله تسيل دماً حتّى انتهى إلى الغار مع الصبح، فدخلاه، وأصبح الّذين كانوا يرصدون رسول الله صلى الله عليه وآله فدخلوا الدار، وقام عليّ عليه السلام على فراشه، فلمّا دنوا منه عرفوه فقالوا له: أين صاحبك؟ قال: لا أدري، أورقيباً كنت عليه؟ أمرتموه بالخروج فخرج فانتهروه وضربوه وأخرجوه إلى المسجد فحبسوه ساعة، ثمّ تركوه ونجا رسول الله صلى الله عليه وآله.

أقول: وما كان حيث لقيه يتهيّأ أن يتركه النبيّ صلى الله عليه وآله يبعد منه خوفاً أن يلزمه أهل مكّة فيخبرهم عنه وهو رجل جبان، فيؤخذ النبيّ صلى الله عليه وآله ويذهب الإسلام بكماله، لأنَّ أبا بكر أراد الهرب من مكّة ومفارقة النبيّ صلى الله عليه وآله قبل هجرته على ما ذكره الطبريّ في حديث الهجرة، فقال ما هذا لفظه: وكان أبو بكر كثيراً ما يستأذن رسول الله صلى الله عليه وآله في الهجرة، فيقول له رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تعجل.

أقول: فإذا كان قد أراد المفارقة قبل طلب الكفّار له فكيف يؤمن منه الهرب بعد الطلب؟ وكان أخذه معه حيث أدركه من الضرورات الّتي اقتضاها الاستظهار في حفظ النبيّ صلوات الله وسلامه عليه من كشف حاله لو تركه يرجع عنه في تلك الساعة، وقد جرت العادة أنَّ الهرب مقام تخويف يرغب في الموافقة عليه قلب الجبان الضعيف، ولا روي فيما علمت أنَّ أبا بكر كان معه سلاح يدفع به عدوّاً عن النبيّ صلى الله عليه وآله ولا حمل معه شيئاً يحتاج إليه، وما أدري كيف اعتقد المخالفون أنَّ لهذا الرجل فضيلة في الموافقة في الهرب وقد استأذنه مراراً أن يهرب، ويترك النبيّ صلى الله عليه وآله في يد الاعداء الّذين يتهددونه بالعطب؟ إنّ اعتقاد فضيلة لابي بكر في هذا الذلّ من أعجب العجب.

ومنها: التكدير على النبيّ صلى الله عليه وآله بجزع صاحبه في الغار، وقد كان يكفي النبيّ صلى الله عليه وآله تعلّق

خاطره المقدّس بالسلامة من الكفّار، فزاده جزع صاحبه شغلاً في خاطره، ولو لم يصحبه لاستراح من كدر جزعه، واشتغال سرائره.

ومنها: أنّه لو كان حزنه شفقة على النبيّ ﷺ أو على ذهاب الإسلام ما كان قد نهي عنه، وفيه كشف أنّ حزنه كان مخالفاً لما يراد منه.

ومنها: أنّ النبيّ ﷺ ما بقي يأمن إن لم يكن أوحي إليه أنّه لا خوف عليه أن يبلغ صاحبه من الجزع الّذي ظهر عليه إلى أن يخرج من الغار ويخبر به الطالبين له من الأشرار، فصار معه كالمشغول بحفظ نفسه من ذلّ صاحبه وضعفه، زيادةً على ما كان مشغولاً بحفظ نفسه.

ومن أسرار هذه المهاجرة أنّ مولانا عليّاً عليه السلام بات على فراش المخاطرة وجاد بمهجته لمالك الدنيا والآخرة ولرسوله ﷺ فاتح أبواب النّعم الباطنة والظاهرة، ولولا ذلك المبيت واعتقاد الأعداء أنّ النائم على الفراش هو سيّد الأنبياء ﷺ لمّا كانوا صبروا عن طلبه إلى النهار حتّى وصل إلى الغار، فكانت سلامة صاحب الرسالة من قبل أهل الضلالة صادرة عن تدبير الله جلّ جلاله بمبيت مولانا عليّ عليه السلام في مكانه، وآية باهرة لمولانا عليّ عليه السلام شاهدة بتعظيم شأنه، وأنزل الله جلّ جلاله في مقدس قرآنه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ فأخبر أنّ لمولانا عليّ عليه السلام كانت بيعاً لنفسه الشريفة، وطلباً لرضاء الله جلّ جلاله دون كلّ مراد، وقد ذكرنا في الطرائف من روى هذا الحديث من المخالف، ومباهاة الله جلّ جلاله تلك الليلة بجبرئيل وميكائيل في بيع مولانا عليّ عليه السلام بمهجته، وأنّه سمح بما لم يسمح به خواصّ ملائكته.

ومنها: أنّ الله جل جلاله زاد مولانا عليّاً عليه السلام من القوّة الالهيّة والقدرة الربّانية إلى أنّه ما قنع له أن يفدي النبيّ ﷺ بنفسه الشريفة، حتّى أمره أن يكون مقيماً بعده في مكّة مهاجراً للاعداء قد هربه منهم وستره بالمبيت على الفراش، وغطاه عنهم، وهذا ما لا يحتمله قوّة البشر إلاّ بآيات باهرة من واهب النفع ودافع الضرر.

ومنها: أنّ الله جل جلاله لم يقنع لمولانا عليّ عليه السلام بهذه الغاية الجليلة حتّى زاده من المناقب الجميلة، وجعله أهلاً أن يقيم ثلاثة أيّام بمكّة لحفظ عيال سيدنا رسول الله ﷺ، وأن يسير بهم ظاهراً على رغم الاعداء وهو وحيد من رجاله، ومن يساعده على ما بلغ من المخاطرة إليه.

ومنها: أنّ هذا الاستسلام من مولانا عليّ عليه السلام للقتل وفديه النبيّ ﷺ أظهر مقاماً وأعظم تماماً من استسلام جدّه الذبيح إسماعيل لإبراهيم الخليل عليه وعليهما السلام، لأنّ ذلك استسلام لوالد شفيق يجوز معه أن يرحمه جلّ جلاله ويقيله من ذبح ولده كما جرى الحال عليه من التوفيق، ومولانا عليّ عليه السلام استسلم للأعداء الّذين لا يرحمون ولا يرجون لمسامحة في البلاء.

ومنها: أنّ إسماعيل كان يجوّز أنّ الله جلّ جلاله يكرم أباه بأنّه لا يجد للذبح ألماً، فإنّ الله تعالى قادر أن يجعله سهلاً رحمةً لأبيه وتكرماً، ومولانا عليّ عليه السلام استسلم للّذين طبعهم القتل في الحال على الاستقصاء وترك الإبقاء والتعذيب إذا ظفروا بما قدروا من الابتلاء.

ومنها: أنّ ذبح إسماعيل بيد أبيه الخليل عليه السلام ما كان فيه شماتة ومغالبة ومقاهرة من أهل العداوات، وإنّما هو شيء من الطاعات المقتضية للسعادات والعنايات، ومولانا عليّ عليه السلام كان قد خاطر بنفسه لشماتة الاعداء والفتك به بأبلغ غايات الاشتفاء والاعتداء والتمثيل بمهجته الشريفة والتعذيب له بكلّ إرادة من الكفّار سخيفة.

ومنها: أنّ العادة قاضية وحاكمة أنّ زعيم العسكر إذا اختفى واندفع عن مقام الأخطار وانكسر علم القوّة والاقتدار فإنّه لا يكلّف رعيّته المتعلّقون عليه أن يقفوا موقفاً قد فارقه زعيمهم، وكان معذوراً في ترك الصبر عليه، ومولانا عليّ عليه السلام كلّف الصبر والثبات على مقامات قد اختفى فيها زعيمه الّذي يعوّل عليه وانكسر علم القوّة الّذي تنظر عيون الجيش إليه، فوقف مولانا عليّ عليه السلام وزعيمه غير حاضر فهو موقف قاهر، فهذا فضل من الله جلّ جلاله لمولانا عليّ عليه السلام باهر بمعجزات تخرق عقول ذوي الالباب، ويكشف لك أنّه القائم مقامه في الأسباب.

ومنها: أنّ فدية مولانا عليّ عليه السلام لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله كانت من أسباب التمكين من مهاجرته ومن كلّ ما جرى من السعادات والعنايات بنبوّته، فيكون مولانا عليّ عليه السلام قد صار من أسباب التمكين من كلّ ما جرت حال الرسالة عليه ومشاركاً في كلّ خير فعله النبيّ صلوات الله عليه، ويلغ حاله إليه، وقد اقتصرتُ في ذكر أسرار المهاجرة الشريفة النبويّة على هذه المقامات الدينيّة، ولو أردت بالله جلّ جلاله أوردت مجلّداً منفرداً في هذه الحال، ولكن هذا كافٍ شافٍ للمنصفين وأهل الإقبال[1].

٥٢ - **الفائق للزمخشري:** خرج من مكّة مهاجراً إلى المدينة وأبو بكر ومولى أبي بكر عامر بن فهيرة ودليلهما الليثيّ عبد الله بن أريقط، فمروا على خيمتي أمّ معبد، وكانت برزة جلدة تحتبي بفناء القبّة، ثمّ تسقي وتطعم، فسألوها لحماً وتمراً يشترونه منها، فلم يصيبوا عندها شيئاً من ذلك، وكان القوم مرملين مشتّين - وروي مستين - فنظر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى شاة في كسر الخيمة، فقال: ما هذه الشاة يا أمّ معبد؟ قالت: شاة خلّفها الجهد عن الغنم، فقال: هل بها من لبن، قالت: هي أجهد من ذلك، قال: أتأذنين أن أحلبها؟ قالت: بأبي أنت وأمّي إن رأيت بها حلباً فاحلبها.

وروي أنّه نزل هو وأبو بكر بأمّ معبد وذفان مخرجه إلى المدينة، فأرسلت إليهم شاة فرأى

---

(١) إقبال الأعمال، ص ٧١.

فيها بصرة من لبن، فنظر إلى ضرعها فقال: إنّ بهذه لبناً، ولكن ابغيني شاة ليس فيها لبن، فبعثت إليه بعناق جذعة فدعا بها رسول الله ﷺ فمسح بيده ضرعها وسمى الله ودعا لها في شاتها فتفاجت عليه ودرّت واجترّت.

وروي أنّه قال لابن أمّ معبد: يا غلام هات قرواً، فأتاه به فضرب ظهر الشاة فاجترّت ودرّت، ودعا بإناء يربض الرهط، فحلب فيه ثجّاً حتّى علاه البهاء وروي الثمال.

ثمّ سقاها حتّى رويت وسقى أصحابه حتّى رووا، وشرب آخرهم ثمّ أراضوا عللاً بعد نهل، ثمّ حلب فيه ثانياً بعد بدء حتّى ملأ الإناء، ثمّ غادره عندها ثمّ بايعها ثمّ ارتحلوا عنها، فقلّما لبثت حتّى جاء زوجها أبو معبد يسوق أعنزاً عجافاً تشاركن هزلاً - وروي تساوك وروي تساوق - مخّهن قليل، فلمّا رأى أبو معبد اللبن عجب وقال: من أين لك هذا يا أمّ معبد والشاء عازب حيال ولا حلوب في البيت؟ قالت: لا والله، إلاّ أنّه مرّ بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا، قال: صفيه لي يا أمّ معبد، قالت: رأيت رجلاً ظاهر الوضاءة، أبلج الوجه، حسن الخلق، لم تعبه ثجلة، ولم تزر به صقلة - وروي صعلة، وروي لم يعبه نحلة ولم تزر به صقلة - وسيماً قسيماً، في عينيه دعج وفي أشفاره عطف، أو قال: غطف، وروي وطف، وفي صوته صحل، وفي عنقه سطع، وفي لحيته كثاثة، أزجّ أقرن، إن صمت فعليه الوقار، وإن تكلم سما وعلاه البهاء، أجمل النّاس وأبهاه من بعيد، وأحسنه وأجمله من قريب، حلو المنطق، فصل لا نزر ولا هذر، كأنّما منطقه خرزات نظم يتحدّرن، ربعة لا يأس من طول، ولا تقتحمه عين من قصر، غصن بين غصنين، فهو أنضر الثلاثة منظراً، وأحسنهم قدراً، له رفقاء يحفّونه، إن قال أنصتوا لقوله، وإن أمر تبادروا إلى أمره، محفود محشود، لا عابس ولا معتد.

قال أبو معبد: هو والله صاحب قريش الّذي ذكر لنا من أمره ما ذكر بمكّة لقد هممت أن أصحبه، ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلاً، ولقد أصبح صوت بمكّة عالياً يسمعون الصوت ولا يدرون من صاحبه:

جزى الله ربّ النّاس خير جزائه ... رفيقين قالا خيمتي أمّ معبد
هما نزلاها بالهدى واهتدت بهم ... فقد فاز من أمسى رفيق محمّد
فيا لقصيّ ما زوى الله عنكمُ ... به من فعال لا يجازى وسؤدد
ليهنئ بني كعب مقام فتاتهم ... ومقعدها للمؤمنين بمرصد
سلوا أختكم عن شاتها وإنائها ... فإنّكم إن تسألوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فتحلبت ... له بصريح ضرّة الشاة مزبد
فغادرها رهناً لديها بحالب ... يردّدها في مصدر ثمّ مورد

ثمّ قال الزمخشريّ: البرزة: العفيفة الرزينة الّتي يتحدّث إليها الرجال فتبرز لهم وهي كهلة

قد خلا بها سنّ فخرجت عن حد المحجوبات، وقد برزت برازة، المرمل: الّذي نفد زاده، وفرقت حاله وسخفت، من الرمل، وهو نسج سخيف، ومنه الأرملة لرقة حالها بعد قيّمها، المشتي: الداخل في الشتاء، والمسنت: الداخل في السنة وهي القحط، وتاؤه بدل من ياء، الكسر بالكسر والفتح: جانب البيت.

وذفان مخرجه، أي حدثان خروجه، وهو من توذّف: إذا مرّ مراً سريعاً. البصرة: أثر من اللبن يبصر في الضرع. التفاجّ: تفاعل من الفجج وهو أشدّ من الفحج، ومنه قوس فجّاء.

وعن ابنة الخس في وصف ناقة: ضبعة عينها هاجّ وصلاها راجّ و تمشي وتفاجّ.

القرو: إناء صغير يردّد في الحوائج، من قروت الأرض: إذا جلت فيها وتردّدت، الإرباض: الإرواء إلى أن يثقل الشارب فيربض.

انتصاب ثجّاً بفعل مضمر، أي يثجُ ثجّاً، أو يحلب، لأنّ فيه معنى ثجّ، ويحتمل أن يكون بمعنى قولك: ثاجّاً نصباً على الحال، المراد بالبهاء وبيض الرغوة، والثمال جمع ثمالة، وهي الرغوة، أراضوا من أراض الحوض: إذا استنقع فيه الماء، أي نقعوا بالريّ مرّة بعد أخرى. تشاركن هزلاً، أي عمّهن الهزال، فكأنّهنّ قد اشتركن فيه والتساوك: التمايل من الضعف. تساوق الغنم: تتابعها في المسير كأنّ بعضها يسوق بعضاً، والمعنى أنّها لضعفها وفرط هزالها تتخاذل ويتخلّف بعضها عن بعض، والحلوب: الّتي تحلب، وهذا ممّا يستغربه أهل اللغة زاعمين أنّه فعول بمعنى مفعولة نظراً إلى الظاهر، والحقيقة أنّه بمعنى فاعله، والأصل فيه أنّ الفعل كما يسند إلى مباشره يسند إلى الحامل عليه والمطرق إلى إحداثه ومنه قوله: إذا ردّ عافي القدر من يستعيرها، وقولهم: هزم الأمير العدوّ، وبنى المدينة، ثمّ قيل على هذا النهج: ناقة حلوب، لأنّها تحمل على احتلابها بكونها ذات حلب، فكأنّها تحلب نفسها لحملها على الحلب، ومن ذلك: الماء الشروب، والطريق الركوب وأشباههما.

بلج الوجه: بياضه وإشراقه، ومنه، الحقّ أبلج.

الثجلة والثجل: عظم البطن، والصقلة والصقل: طول الصقل وهو الخصر، وقيل: ضمره وقلّة لحمه، وقد صقل، وهو من باب قولهم: صقلت الناقة: إذا أضمرتها بالسير، والمعنى أنّه لم يكن بمنتفخ الخصر، ولا ضامره جداً.

والنحل: النحول، والصعلة: صغر الرأس، يقال: صعل وأصعل، وامرأة صعلاء. القسام: الجمال، ورجل مقسم الوجه، وكأن المعنى أخذ كلّ موضع منه من الجمال قسماً فهو جميل كلّه ليس فيه شيء يستقبح.

العطف: طول الأشفار وانعطافها، أي تثنّيها والغطف: انعطافها، وانعطف وانغطف وانغضف أخوات والوطف: الطول، الصحل: صوت فيه بحّة لا تبلغ أن تكون جشّة وهو يستحسن، لخلوّه عن الحدّة المؤذية للصماخ، السطع: طول العنق ورجل أسطع وامرأة

سطعاء، وهو من سطوع النّار، سما قيل: ارتفع وعلا على جلسائه، وقيل: علا برأسه أو بيده، ويجوز أن يكون الفعل للبهاء أي سماه البهاء وعلاه على سبيل التأكيد للمبالغة في وصفه بالبهاء والرونق إذا أخذ في الكلام، لأنّه كان ﷺ أفصح العرب، فصل مصدر موضوع موضع اسم الفاعل، أي منطقه وسط بين النزر والهذر فاصل بينهما، قالوا: رجل ربعة فأنّثوا، والموصوف مذكّر على تأويل نفس ربعة، ومثله غلام يفعة، لا يأس من طول يروى أنّه كان فريق الربعة، فالمعنى أنّه لم يكن في حدّ الربعة غير متجاوز له، فجعل ذلك القدر من تجاوز حدّ الربعة عدم يأس من بعض الطول، وفي تنكير الطول دليل على معنى البعضيّة، وروي ربعة لا يائس من طول.

يقال في المنظر المستقبح: اقتحمته العين، أي ازدرته كأنّها وقعت من قبحه في قحمة وهي الشدّة.

محفود: مخدوم، وأصل الحفد: مداركة الخطو، محشود: مجتمع عليه، يعني أنّ أصحابه يزفّون في خدمته ويجتمعون عليه.

خيمتي نصب على الظرف أجرى المحدود مجرى المبهم كبيت الكتاب كما عسل الطريق الثعلب.

اللّام في لقصيّ للتمجّب، كالّتي في قولهم: يا للدواهي ويا للماء، والمعنى تعالوا يا قصيّ ليتعجّب منكم فيما أغفلتموه من حظّكم، وأضعتموه من عزّكم بعصيانكم رسول الله، وإلجائكم إيّاه إلى الخروج من بين أظهركم.

وقوله: ما زوى الله عنكم تعجّب أيضاً معناه أي شيء زوى الله عنكم؟ الضرّة أصل الضرع الّذي لا يخلو من اللّبن، وقيل: هي الضرع كلّه ما خلا الأطباء.

٧ - باب نزوله ﷺ المدينة، وبناؤه المسجد والبيوت وجمل أحواله إلى شروعه في الجهاد

١ - عم: روي عن ابن شهاب الزهريّ قال: كان بين ليلة العقبة وبين مهاجر رسول الله ﷺ ثلاثة أشهر، كانت بيعة الأنصار رسول الله ﷺ ليلة العقبة في ذي الحجّة، وقدوم رسول الله ﷺ المدينة في شهر ربيع الأوّل لاثنتي عشرة ليلة خلت منه يوم الاثنين، وكانت الأنصار خرجوا يتوكّفون أخباره، فلمّا أيسوا رجعوا إلى منازلهم، فلمّا رجعوا أقبل رسول الله ﷺ، فلمّا وافى ذا الحليفة سأل عن طريق بني عمرو بن عوف فدلّوه فرفعه الآل، فنظر رجل من اليهود وهو على أطم إلى ركبان ثلاثة يمرّون على طريق بني عمرو بن عوف، فصاح: يا معشر المسلمة هذا صاحبكم قد وافى، فوقعت الصيحة بالمدينة، فخرج الرجال والنساء والصبيان مستبشرين لقدومه يتعادون فوافى رسول الله ﷺ وقصد مسجد قباء ونزل،

واجتمع إليه بنو عمرو بن عوف وسرّوا به واستبشروا واجتمعوا حوله، ونزل على كلثوم بن الهدم شيخ من بني عمرو، صالح مكفوف البصر، واجتمعت إليه بطون الأوس، وكانت بين الأوس والخزرج عداوة فلم يجسروا أن يأتوا رسول الله ﷺ لما كان بينهم من الحروب، فأقبل رسول الله ﷺ يتصفّح الوجوه فلا يرى أحداً من الخزرج، وقد كان قدم على بني عمرو بن عوف قبل قدوم رسول الله ﷺ ناس من المهاجرين فنزلوا فيهم.

وروي أنّ النبيّ ﷺ لمّا قدم المدينة جاء النساء والصبيان فقلن:

طلع البدر علينا من ثنيّات الوداع   وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

وكان سلمان الفارسيّ عبداً لبعض اليهود وقد كان خرج من بلاده من فارس يطلب الدين الحنيف الّذي كان أهل الكتب يخبرونه به، فوقع إلى راهب من رهبان النصارى بالشأم، فسأله عن ذلك وصحبه، فقال: اطلبه بمكّة فثمّ مخرجه واطلبه بيثرب فثمّ مهاجره، فقصد يثرب فأخذه بعض الأعراب فسبوه، واشتراه رجل من اليهود، فكان يعمل في نخله، وكان في ذلك اليوم على النخلة يصرمها فدخل على صاحبه رجل من اليهود فقال: يا أبا فلان أشعرت أنّ هؤلاء المسلمة قد قدم عليهم نبيّهم؟ فقال سلمان: جعلت فداك ما الّذي تقول؟ فقال له صاحبه: ما لك وللسؤال عن هذا؟ أقبل على عملك، قال: فنزل وأخذ طبقاً فصيّر عليه من ذلك الرطب وحمله إلى رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ: ما هذا؟ قال: هذه صدقة تمورنا، بلغنا أنكم قوم غرباء قدمتم هذه البلاد فأحببت أن تأكلوا من صدقاتنا فقال رسول الله ﷺ: سمّوا وكلوا، فقال سلمان في نفسه وعقد بأصبعه: هذه واحدة يقولها بالفارسيّة، ثمّ أتاه بطبق آخر فقال له رسول الله ﷺ: ما هذا؟ فقال له سلمان: رأيتك لا تأكل الصدقة وهذه هديّة أهديتها إليك، فقال ﷺ: سمّوا وكلوا، وأكل عليه السلام، فعقد سلمان بيده اثنتين، وقال: هذه آيتان، يقولها بالفارسيّة ثمّ دار خلفه فألقى رسول الله ﷺ عن كتفه الإزار، فنظر سلمان إلى خاتم النبوّة والشامة فأقبل يقبّلها، فقال له رسول الله ﷺ: من أنت؟ قال: أنا رجل من أهل فارس قد خرجت من بلادي منذ كذا وكذا، وحدّثه بحديثه. وله حديث فيه طول. فأسلم وبشّره رسول الله ﷺ فقال له: أبشر واصبر فإنّ الله سيجعل لك فرجاً من هذا اليهوديّ.

فلمّا أمسى رسول الله ﷺ فارقه أبو بكر، ودخل المدينة، ونزل على بعض الأنصار، وبقي رسول الله ﷺ بقباء نازلاً على كلثوم بن الهدم.

فلما صلّى رسول الله ﷺ المغرب والعشاء الآخرة جاءه أسعد بن زرارة مقنّعاً فسلّم على رسول الله وفرح بقدومه ثمّ قال: يا رسول الله ما ظننت أن أسمع بك في مكان فأقعد عنك، إلاّ أنّ بيننا وبين إخواننا من الأوس ما تعلم، فكرهت أن آتيهم، فلمّا أن كان هذا الوقت لم أحتمل أن أقعد عنك، فقال رسول الله ﷺ للأوس: من يجيره منكم؟ فقالوا: يا رسول الله

جوارنا في جوارك فأجره، قال: لا بل يجيره بعضكم فقال عويم بن ساعدة وسعد بن خيثمة: نحن نجيره يا رسول الله، فأجاروه، وكان يختلف إلى رسول الله ﷺ فيتحدّث عنده ويصلّي خلفه، فبقي رسول الله خمسة عشر يوماً فجاءه أبو بكر فقال: يا رسول الله تدخل المدينة فإن القوم متشوّقون إلى نزولك عليهم، فقال ﷺ: لا أريم من هذا المكان حتّى يوافي أخي عليّ عليه السلام، وكان رسول الله قد بعث إليه أن احمل العيال وأقدم، فقال أبو بكر: ما أحسب عليّاً يوافي قال: بلى ما أسرعه إن شاء الله، فبقي خمسة عشر يوماً فوافى عليّ عليه السلام بعياله.

فلما وافى كان سعد بن الربيع وعبدالله بن رواحة يكسران أصنام الخزرج وكان كلّ رجل شريف في بيته صنم يمسحه ويطيبه، ولكل بطن من الأوس والخزرج صنم في بيت لجماعة يكرمونه ويجعلون عليه منديلاً، ويذبحون له، فلمّا قدم الاثنا عشر من الأنصار أخرجوها من بيوتهم وبيوت من أطاعهم، فلمّا قدم السبعون كثر الإسلام وفشا، وجعلوا يكسرون الأصنام.

قال: وبقي رسول الله ﷺ بعد قدوم عليّ عليه السلام يوماً أو يومين ثمّ ركب راحلة فاجتمعت إليه بنو عمرو بن عوف فقالوا: يا رسول الله أقم عندنا فإنا أهل الجدّ والجلد والحلقة والمنعة، فقال ﷺ: خلّوا عنها فإنّها مأمورة، وبلغ الأوس والخزرج خروج رسول الله ﷺ فلبسوا السلاح وأقبلوا يعدون حول ناقته لا يمرّ بحي من أحياء الأنصار إلاّ وثبوا في وجهه، وأخذوا بزمام ناقته، وتطلّبوا إليه أن ينزل عليهم، ورسول الله ﷺ يقول: خلّوا سبيلها فإنّها مأمورة، حتّى مرّ ببني سالم، وكان خروج رسول الله ﷺ من قباء يوم الجمعة فوافى بني سالم عند زوال الشمس فتعرّضت له بنو سالم فقالوا: يا رسول الله هلمّ إلى الجدّ والجلد والحلقة والمنعة فبركت ناقته عند مسجدهم وقد كانوا بنوا مسجداً قبل قدوم رسول الله ﷺ، فنزل في مسجدهم وصلّى بهم الظهر وخطبهم، وكان أوّل مسجد خطب فيه بالجمعة، وصلّى إلى بيت المقدس، وكان الّذين صلّوا معه في ذلك الوقت مائة رجل، ثمّ ركب رسول الله ﷺ ناقته وأرخى زمامها فانتهى إلى عبد الله بن أبيّ فوقف عليه، وهو يقدّر أنّه يعرض عليه النزول عنده، فقال له عبد الله بن أبيّ بعد أن ثارت الغبرة وأخذ كمّه ووضعه على أنفه: يا هذا اذهب إلى الّذين غرّوك وخدعوك وأتوا بك فانزل عليهم، ولا تغشّنا في ديارنا، فسلّط الله على دور بني الحبلى الذرّ فخرب دورهم فصاروا نزالاً على غيرهم، وكان جدّ عبد الله بن أبيّ يقال له: ابن الحبلى فقام سعد بن عبادة فقال: يا رسول الله لا يعرض في قلبك من قول هذا شيء، فإنّا كنّا اجتمعنا على أن نملّكه علينا، وهو يرى الآن أنّك قد سلبته أمراً قد كان أشرف عليه، فانزل عليّ يا رسول الله فانه ليس في الخزرج ولا في الأوس أكثر فم بئر منّي ونحن أهل الجلد والعزّ، فلا تجزنا يا رسول الله، فأرخى زمام ناقته ومرّت تخبّ به حتّى انتهت إلى باب المسجد الّذي هو اليوم، ولم يكن مسجداً، إنّما كان مربداً ليتيمين من الخزرج يقال لهما: سهل وسهيل، وكانا في حجر أسعد بن زرارة، فبركت الناقة على باب أبي أيّوب خالد بن زيد، فنزل عنها رسول الله ﷺ.

فلمّا نزل اجتمع عليه النّاس وسألوه أن ينزل عليهم، فوثبت أمّ أبي أيّوب إلى الرحل فحلّته فأدخلته منزلها، فلمّا أكثروا عليه قال رسول الله ﷺ: أين الرحل، فقالوا: أمّ أبي أيّوب قد أدخلته بيتها، فقال ﷺ: المرء مع رحله، وأخذ أسعد بن زرارة بزمام الناقة فحوّلها إلى منزله.

وكان أبو أيّوب له منزل أسفل وفوق المنزل غرفة، فكره أن يعلو رسول الله فقال: يا رسول الله بأبي أنت وأمّي العلو أحبّ إليك أم السفل؟ فإنّي أكره أن أعلو فوقك، فقال ﷺ: السفل أرفق بنا لمن يأتينا، قال أبو أيّوب: فكنّا في العلو أنا وأمّي، فكنت إذا استقيت الدلو أخاف أن يقع منه قطرة على رسول الله ﷺ وكنت أصعد وأمّي إلى العلو خفيّاً من حيث لا يعلم ولا يحسّ بنا ولا نتكلّم إلاّ خفيّاً، وكان إذا نام ﷺ لا نتحرّك، وربّما طبخنا في غرفتنا فنجيف الباب على غرفتنا مخافة أن يصيب رسول الله ﷺ دخان، ولقد سقطت جرّة لنا وأهريق الماء فقامت أمّ أبي أيّوب إلى قطيفة لم يكن لنا والله غيرها فألقتها على ذلك الماء تستنشف به مخافة أن يسيل على رسول الله ﷺ من ذلك شيء، وكان يحضر رسول الله ﷺ المسلمون من الأوس والخزرج والمهاجرين، وكان أبو أمامة أسعد بن زرارة يبعث إليه في كلّ يوم غداء وعشاء في قصعة ثريد عليها عراق، فكان يأكل معه من جاء حتّى يشبعون، ثمّ ترد القصعة كما هي، وكان سعد بن عبادة يبعث إليه في كلّ ليلة عشاء ويتعشّى معه من حضره، وتردّ القصعة كما هي، وكانوا يتناوبون في بعثه الغداء والعشاء إليه: أسعد بن زرارة، وسعد بن خيثمة، والمنذر بن عمرو، وسعد بن الربيع وأسيد بن حضير، قال: فطبخ له أسيد يوماً قدراً فلم يجد من يحملها فحملها بنفسه وكان رجلاً شريفاً من النقباء، فوافاه رسول الله ﷺ وقد رجع من الصّلاة، فقال: حملتها بنفسك؟ قال: نعم يا رسول الله لم أجد أحداً يحملها، فقال: بارك الله عليكم من أهل بيت.

وفي كتاب دلائل النبوّة عن أنس بن مالك قال: قدم رسول الله المدينة فلمّا دخلها جاءت الأنصار برجالها ونسائها، فقالوا: إلينا يا رسول اله، فقال: دعوا الناقة فإنّها مأمورة، فبركت على باب أبي أيّوب، فخرجت جوار من بني النجّار يضربن بالدفوف وهنّ يقلن:

نحن جوار من بني النـجّار ... يا حبّذا محمّد من جار

فخرج إليهم رسول الله ﷺ فقال: أتحبّونني؟ فقالوا: بلى والله يا رسول الله، قال: أنا والله أحبّكم ثلاث مرّات.

قال عليّ بن إبراهيم بن هاشم: وجاءته اليهود قريظة والنضير وقينقاع فقالوا: يا محمّد إلى ما تدعو؟ قال: إلى شهادة أن لا إله إلاّ الله، وأنّي رسول الله، وأنّي الّذي تجدونني مكتوباً في التوراة، والّذي أخبركم به علماؤكم أنّ مخرجي بمكّة، ومهاجري في هذه الحرّة، وأخبركم عالم منكم جاءكم من الشام فقال: تركت الخمر والخمير، وجئت إلى البؤس والتمور، لنبي يبعث في هذه الحرّة مخرجه بمكّة، ومهاجره ههنا، وهو آخر الأنبياء وأفضلهم، يركب

الحمار ويلبس الشملة، ويجتزئ بالكسرة، في عينيه حمرة، وبين كتفيه خاتم النبوّة، ويضع سيفه على عاتقه لا يبالي من لاقى، وهو الضحوك القتّال، يبلغ سلطانه منقطع الخفّ والحافر، فقالوا له: قد سمعنا ما تقول، وقد جئناك لنطلب منك الهدنة على أن لا نكون لك ولا عليك، ولا نعين عليك أحداً، ولا نتعرّض لأحد من أصحابك ولا تتعرّض لنا ولا لأحد من أصحابنا حتّى ننظر إلى ما يصير أمرك وأمر قومك فأجابهم رسول الله ﷺ إلى ذلك، وكتب بينهم كتاباً ألا يعينوا على رسول الله ﷺ ولا على أحد من أصحابه بلسان ولا يد ولا بسلاح ولا بكراع في السرّ والعلانية لا بليل ولا بنهار، الله بذلك عليهم شهيد، فإن فعلوا فرسول الله في حلّ من سفك دمائهم وسبي ذراريهم ونسائهم، وأخذ أموالهم، وكتب لكلّ قبيلة منهم كتاباً على حدة، وكان الّذي تولّى أمر بني النضير حيّ بن أخطب، فلمّا رجع إلى منزله قال له إخوته: جديّ بن أخطب وأبو ياسر بن أخطب: ما عندك؟ قال: هو الّذي نجده في التوراة، والّذي بشّرنا به علماؤنا، ولا أزال له عدوّاً، لأنّ النبوّة خرجت من ولد إسحاق وصارت في ولد إسماعيل، ولا نكون تبعاً لولد إسماعيل أبداً.

وكان الّذي ولي أمر قريظة كعب بن أسد، والّذي ولي أمر بني قينقاع مخيريق وكان أكثرهم مالاً وحدائق، فقال لقومه: تعلمون أنّه النبيّ المبعوث؟ فهلمّوا نؤمن به ونكون قد أدركنا الكتابين، فلم يجبه قينقاع إلى ذلك.

قال وكان رسول الله ﷺ يصلّي في المربد بأصحابه، فقال لأسعد بن زرارة: اشتر هذا المربد من أصحابه، فساوم اليتيمين عليه فقالا: هو لرسول الله، فقال رسول الله ﷺ: لا إلّا بثمن، فاشتراه بعشرة دنانير، وكان فيه ماء مستنقع، فأمر به رسول الله فسيل، وأمر باللبن فضرب، فبناه رسول الله ﷺ فحفره في الأرض، ثمّ أمر بالحجارة فنقلت من الحرّة، فكان المسلمون ينقلونها، فأقبل رسول الله ﷺ يحمل حجراً على بطنه، فاستقبله أسيد بن حضير فقال: يا رسول الله أعطني أحمله عنك، قال: لا اذهب فاحمل غيره، فنقلوا الحجارة ورفعوها من الحفرة حتّى بلغ وجه الأرض، ثمّ بناه أوّلاً بالسعيدة: لبنة لبنة، ثمّ بناه بالسّميط وهو لبنة ونصف، ثمّ بناه بالأنثى والذكر: لبنتين مخالفتين، ورفع حائطه قامة، وكان مؤخّره مائة ذراع، ثمّ اشتدّ عليهم الحرّ فقالوا يا رسول الله لو أظللت عليه ظلاً، فرفع ﷺ أساطينه في مقدم المسجد إلى ما يلي الصحن بالخشب. ثمّ ظلّله وألقى عليه سعف النخل فعاشوا فيه، فقالوا: يا رسول الله لو سقفت سقفاً، قال: لا عريش كعريش موسى الأمر أعجل من ذلك، وابتنى رسول الله ﷺ منازله ومنازل أصحابه حول المسجد، وخطّ لأصحابه خططاً، فبنوا فيه منازلهم، وكلّ شرع منه باباً إلى المسجد وخطّ لحمزة وشرع بابه إلى المسجد، وخطّ لعليّ بن أبي طالب عليه السلام مثل ما خطّ لهم، وكانوا يخرجون من منازلهم فيدخلون المسجد، فنزل عليه جبرئيل فقال: يا محمّد إنّ الله يأمرك أن تأمر كلّ من كان له باب إلى المسجد أن يسدّه، ولا يكون لأحد باب إلى المسجد إلّا لك ولعلي عليه السلام، ويحلّ لعليّ

فيه ما يحلّ لك، فغضب أصحابه وغضب حمزة وقال: أنا عمّه يأمر بسدّ بابي، ويترك باب ابن أخي وهو أصغر منّي، فجاءه فقال: يا عمّ لا تغضبنّ من سدّ بابك وترك باب عليّ فوالله ما أنا أمرت بذلك ولكنّ الله أمر بسدّ أبوابكم وترك باب عليّ، فقال: يا رسول الله رضيت وسلّمت لله ولرسوله.

قال: وكان رسول الله ﷺ حيث بنى منازله كانت فاطمة عليها السلام عنده، فخطبها أبو بكر فقال رسول الله: أنتظر أمر الله، ثمّ خطبها عمر فقال مثل ذلك، فقيل لعلي عليه السلام: لم لا تخطب فاطمة؟ فقال: والله ما عندي شيء، فقيل له: إنّ رسول الله ﷺ لا يسألك شيئاً، فجاء إلى رسول الله ﷺ فاستحيى أن يسأله، فرجع ثمّ جاءه في اليوم الثاني فاستحيى فرجع، ثمّ جاءه في اليوم الثالث فقال له رسول الله ﷺ يا عليّ ألك حاجة؟ قال: بلى يا رسول الله، فقال: لعلّك جئت خاطباً؟ قال: نعم يا رسول الله، قال له رسول الله: هل عندك شيء يا عليّ؟ قال: ما عندي يا رسول الله شيء إلاّ درعي، فزوّجه رسول الله على اثنتي عشرة أوقية ونشّ ودفع إليه درعه فقال له رسول الله ﷺ: هيّئ منزلاً حتّى تحوّل فاطمة إليه، فقال عليّ عليه السلام: يا رسول الله ما ههنا منزل إلاّ منزل حارثة بن النعمان وكان لفاطمة عليها السلام يوم بنى بها أمير المؤمنين عليه السلام تسع سنين، فقال رسول الله ﷺ: والله لقد استحيينا من حارثة بن النعمان قد أخذنا عامّة منازله، فبلغ ذلك حارثة فجاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أنا ومالي لله ولرسوله، والله ما شيء أحبّ إليّ ممّا تأخذه والّذي تأخذه أحبُّ إليّ ممّا تتركه، فجزاه رسول الله ﷺ خيراً، فحوّلت فاطمة إلى عليّ عليه السلام في منزل حارثة، وكان فراشهما إهاب كبْش جعلا صوفه تحت جنوبهما.

قال: وكان رسول الله ﷺ يصلّي إلى بيت المقدس مدّة مقامه بمكّة، وفي هجرته حتّى أتى له سبعة أشهر، فلمّا أتى له سبعة أشهر عيّرته اليهود وقالوا له: أنت تابع لنا تصلّي إلى قبلتنا، ونحن أقدم منك في الصّلاة، فاغتمّ رسول الله ﷺ من ذلك، وأحبّ أن يحوّل الله قبلته إلى الكعبة، فخرج في جوف اللّيل ونظر إلى آفاق السماء ينتظر أمر الله، وخرج في ذلك اليوم إلى مسجد بني سالم الّذي جمّع فيه أوّل جمعة كانت بالمدينة، وصلّى بهم الظهر هناك بركعتين إلى بيت المقدس وركعتين إلى الكعبة، ونزل عليه: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا﴾ الآيات.

ثم نزل على رسول الله ﷺ آية القتال وأذن له في محاربة قريش وهي قوله: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾[1].

---

(١) إعلام الورى، ص ٨٠.

توضيح: التوكّف: التوقّع والانتظار، وقال الجوهريّ: الآل: الّذي تراه في أوّل النهار وآخره كأنّه يرفع الشخوص وليس هو السراب انتهى.

وفي بعض رواياتهم «رأى رجلاً مبيضاً يزول به السراب» قال في النهاية: أي يرفعه ويظهره، يقال: زال به السراب: إذا ظهر شخصه فيه خيالاً.

وقال: الأطم مثل الأجم يخفّف ويثقل، والجمع آطام، وهي حصون لأهل المدينة. وقال: تشوّفت إلى الشيء أي تطلّعت يقال: النساء يتشوّفن إلى السطوح أي ينظرن ويتطاولن. قوله: لا أريم أي لا أبرح ولا أزول، قوله: والحلقة في بعض النسخ بالحاء المهملة والقاف، وهي بالفتح وسكون اللام: السلاح، وفي بعضها بالفاء وهي بالكسر المعاقدة والمعاهدة على التعاضد والتساعد.

قوله: أكثر فم بئر، لعلّه جعل كثرة النّاس في فم البئر، أو كثرة البئر كناية عن كثرة الأتباع والأضياف. والخبب: ضرب من العدو.

وقال الجزريّ: فيه أنّ مسجده كان مربداً ليتيمين، المربد: الموضع الّذي يحبس فيه الإبل والغنم، وبه سمّي مربد المدينة والبصرة، بكسر الميم وفتح الباء من ربد بالمكان: إذا أقام فيه، وربده: إذا حبسه، والمربد أيضاً: الموضع الّذي يجعل فيه التمر لينشف.

٢ - **كا:** في الروضة: محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن ابن محبوب، عن هشام بن سالم، عن أبي حمزة، عن سعيد بن المسيّب قال: سألت عليّ بن الحسين عليه السلام ابن كم كان عليّ بن أبي طالب عليه السلام يوم أسلم فقال: أوكان كافراً قطّ؟ إنّما كان لعليّ عليه السلام حيث بعث الله عزّ وجلّ رسوله صلى الله عليه وآله عشر سنين، ولم يكن يومئذٍ كافراً، ولقد آمن بالله تبارك وتعالى وبرسوله عليه السلام وسبق النّاس كلّهم إلى الإيمان بالله وبرسوله وإلى الصلاة بثلاث سنين، وكانت أوّل صلاة صلاها مع رسول الله صلى الله عليه وآله الظهر ركعتين، وكذلك فرضها الله تبارك وتعالى على من أسلم بمكّة ركعتين ركعتين، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يصلّيها بمكّة ركعتين ويصلّيها عليّ عليه السلام معه بمكّة ركعتين مدّة عشر سنين حتّى هاجر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المدينة، وخلّف عليّاً عليه السلام في أمور لم يكن يقوم بها أحد غيره، وكان خروج رسول الله صلى الله عليه وآله من مكّة في أوّل يوم من ربيع الأوّل وذلك يوم الخميس من سنة ثلاث عشرة من المبعث، وقدم المدينة لاثني عشر ليلة خلت من شهر ربيع الأوّل مع زوال الشمس، فنزل بقباء فصلّى الظهر ركعتين، والعصر ركعتين، ثمّ لم يزل مقيماً ينتظر عليّاً عليه السلام يصلّي الخمس صلوات ركعتين ركعتين، وكان نازلاً على عمرو بن عوف، فأقام عندهم بضعة عشر يوماً يقولون له: أتقيم عندنا فنتّخذ لك مسجداً؟ فيقول: لا، إنّي أنتظر عليّ بن أبي طالب وقد أمرته أن يلحقني ولست مستوطناً منزلاً حتّى يقدم عليّ، وما أسرعه إن شاء الله، فقدم عليّ عليه السلام والنبيّ صلى الله عليه وآله في بيت عمرو بن عوف فنزل معه، ثمّ إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا قدم

عليّ تحوّل من قبا إلى بني سالم بن عوف وعليّ عليه السلام معه يوم الجمعة مع طلوع الشمس، فخطّ لهم مسجداً، ونصب قبلته وصلّى بهم فيه الجمعة ركعتين، وخطب خطبتين، ثمّ راح من يومه إلى المدينة على ناقته الّتي كان قدم عليها وعليّ عليه السلام معه لا يفارقه يمشي بمشيه، وليس يمرّ رسول الله ﷺ ببطن من بطون الأنصار إلاّ قاموا إليه يسألونه أن ينزل عليهم، فيقول لهم: خلّوا سبيل الناقة فإنّها مأمورة فانطلقت به ورسول الله ﷺ واضع لها زمامها حتّى انتهت إلى الموضع الّذي ترى - وأشار بيده إلى باب مسجد رسول الله ﷺ الّذي يصلّي عنده بالجنائز - فوقفت عنده وبركت ووضعت جرانها على الأرض، فنزل رسول الله ﷺ وأقبل أبو أيوب مبادراً حتّى احتمل رحله، فأدخله منزله، ونزل رسول الله ﷺ وعليّ عليه السلام معه حتّى بني له مسجده، وبنيت له مساكنه ومنزل عليّ عليه السلام فتحوّلا إلى منازلهما.

فقال سعيد بن المسيّب لعليّ بن الحسين عليه السلام: جعلت فداك كان أبو بكر مع رسول الله ﷺ حين أقبل إلى المدينة فأين فارقه؟ فقال: إنّ أبا بكر لمّا قدم رسول الله ﷺ إلى قباء فنزل بهم ينتظر قدوم عليّ عليه السلام، فقال له أبو بكر: انهض بنا إلى المدينة فإنّ القوم قد فرحوا بقدومك، وهم يستريثون إقبالك إليهم فانطلق بنا ولا تقم ههنا تنتظر عليّاً، فما أظنّه يقدم إليك إلى شهر، فقال له رسول الله ﷺ: كلا ما أسرعه! ولست أريم حتّى يقدم ابن عمّي وأخي في الله عزّ وجلّ، وأحبّ أهل بيتي إليّ، فقد وقاني بنفسه من المشركين قال: فغضب عند ذلك أبو بكر واشمأزّ وداخله من ذلك حسد لعليّ عليه السلام وكان ذلك أوّل عداوة بدت منه لرسول الله ﷺ في عليّ عليه السلام، وأوّل خلاف على رسول الله ﷺ، فانطلق حتّى دخل المدينة، وتخلّف رسول الله ﷺ بقباء حتّى ينتظر عليّاً.

قال: فقلت لعليّ بن الحسين عليه السلام: فمتى زوّج رسول الله ﷺ فاطمة عليها السلام من عليّ عليه السلام؟ فقال: بالمدينة بعد الهجرة بسنة، وكان لها يومئذ تسع سنين.

قال عليّ بن الحسين عليه السلام: ولم يولد لرسول الله ﷺ من خديجة عليها السلام على فطرة الإسلام إلاّ فاطمة عليها السلام، وقد كانت خديجة ماتت قبل الهجرة بسنة، ومات أبو طالب رضي الله عنه بعد موت خديجة رضي الله عنها بسنة، فلمّا فقدهما رسول الله ﷺ سئم المقام بمكّة ودخله حزن شديد، وأشفق على نفسه من كفّار قريش فشكى إلى جبرئيل عليه السلام ذلك فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: اخرج من القرية الظالم أهلها وهاجر إلى المدينة فليس لك اليوم بمكّة ناصر، وانصب للمشركين حرباً فعند ذلك توجّه رسول الله ﷺ إلى المدينة.

فقلت: فمتى فرضت الصلاة على المسلمين على ما هم عليه اليوم؟ فقال: بالمدينة حين ظهرت الدعوة، وقوي الإسلام، وكتب الله عزّ وجلّ على المسلمين الجهاد زاد رسول الله ﷺ في الصلاة سبع ركعات: في الظهر ركعتين، وفي العصر ركعتين، وفي المغرب ركعة، وفي العشاء الآخرة ركعتين، وأقرّ الفجر على ما فرضت لتعجيل نزول ملائكة النهار

من السّماء، ولتعجيل عروج ملائكة اللّيل إلى السّماء، وكان ملائكة اللّيل وملائكة النهار يشهدون مع رسول الله ﷺ صلاة الفجر، فلذلك قال الله عزّوجلّ: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ يشهده المسلمون وتشهده ملائكة النهار وملائكة الليل[1].

بيان: البضع: ما بين الثلاث إلى العشرة، وجران البعير بالكسر: مقدّم عنقه من مذبحه إلى منحره. قوله: وهم يستريثون: أي يستبطئون. قوله: على فطرة الإسلام: أي بعد بعثته ﷺ.

قوله عليه السلام: لتعجيل نزول ملائكة الليل.

أقول: تعليل قصر الصلاة بتعجيل عروج ملائكة اللّيل ظاهر، وأمّا تعليله بتعجيل ملائكة النهار فيمكن أن يوجّه بوجوه:

الأول: أن يقال: إنّ صلاة الفجر إذا كانت قصيرة يعجّلون في النزول ليدركوه، بخلاف ما إذا كانت طويلة لإمكان تأخيرهم النزول إلى الثالثة أو الرابعة وفيه أنّ هذا إنّما يستقيم إذا لم يكن شهودهم من أوّل الصلاة لازماً وهو خلاف ظاهر الخبر.

الثاني: أن يقال: لعلّ الحكمة اقتضت عدم اجتماع ملائكة اللّيل والنهار كثيراً في الأرض، فيكون تعجيل عروج ملائكة اللّيل أمراً مطلوباً في نفسه ومعلّلاً أيضاً بتعجيل نزول ملائكة النهار.

الثالث: أن يكون شهود ملائكة النهار لصلاة الفجر في الهواء، ويكون المراد بنزولهم نزولهم إلى الأرض، فلا ينزلون إلاّ مع عروج ملائكة الليل.

الرابع: ما قيل: إنّ معناه أنّه لمّا كانت ملائكة النهار تنزل بالتعجيل لأجل فعل ما هي مأمورة به في الأرض من كتابة الأعمال وغيرها. فكان ممّا يتعلّق بها أوّل النهار ناسب ذلك تخفيف الصلاة ليشتغلوا بما أمروا به، كما أنّ ملائكة اللّيل تتعجّل العروج، إمّا لمثل ما ذكر من كونها تتعلّق بها أمور بحيث تكون من أوّل اللّيل كعبادة ونحوها، بل لو لم يكن إلاّ أمرها بالعروج إذا انقضت مدّة عملها لكفى، فتعجيل النزول للغرض المذكور علّة للتخفيف، كما أنّ تعجيل العروج علّة مع تحصيلهم جميعاً الصلاة معه، ولا يضرّ كون التعجيل في الأوّل علّة العلّة.

ثم اعلم أنّه ورد في الفقيه والعلل هكذا: «وأقر الفجر على ما فرضت بمكّة لتعجيل عروج ملائكة اللّيل إلى السّماء، ولتعجيل نزول ملائكة النهار إلى الأرض فكانت ملائكة اللّيل وملائكة النهار يشهدون».

فعلى هذا يزيد احتمال خامس وهو أن يكون قصر الصلاة معلّلاً بتعجيل العروج فقط، وأمّا تعجيل النزول فيكون علّة لما بعده، أعني شهود ملائكة اللّيل والنهار جميعاً.

---

(١) روضة الكافي المطبوع مع الأصول ص ٨٣١ ح ٥٣٦.

٣ - **كا:** عليّ بن محمّد ومحمّد بن الحسين، عن سهل بن زياد، عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر، وعليُّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن عبد الله بن المغيرة، عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته عليه السلام يقول: إنّ رسول الله ﷺ بنى مسجده بالسميط ثمّ إنّ المسلمين كثروا فقالوا يا رسول الله لو أمرت بالمسجد فزيد فيه فقال: نعم، فأمر به فزيد فيه وبناه بالسعيدة، ثمّ إنّ المسلمين كثروا فقالوا: يا رسول الله لو أمرت بالمسجد فزيد فيه فقال: نعم، فأمر به فزيد فيه وبنى جداره بالأُنثى والذكر ثمّ اشتدّ عليهم الحرّ فقالوا: يا رسول الله لو أمرت بالمسجد فظلّل، فقال: نعم فأمر به فأُقيمت فيه سواري من جذوع النخل، ثمّ طرحت عليه العوارض والخصف والإذخر، فعاشوا فيه حتّى أصابتهم الأمطار، فجعل المسجد يكف عليهم فقالوا: يا رسول الله لو أمرت بالمسجد فطيّن، فقال لهم رسول الله ﷺ: لا، عريشٌ كعريش موسى عليه السلام، فلم يزل كذلك حتّى قبض رسول الله ﷺ، وكان جداره قبل أن يظلّل قامة، فكان إذا كان الفيء ذراعاً وهو قدر مربض عنز صلّى الظهر، فإذا كان ضعف ذلك صلّى العصر. وقال عليه السلام: السميط: لبنة لبنة، والسعيدة: لبنة ونصف، والذكر والأُنثى: لبنتان مخالفتان[١].

٤ - **كا:** أبو عليّ الأشعريّ، عن محمّد بن الحسن بن عليّ، عن عبيس بن هشام، عن عبد الصّمد بن بشير، عن معاوية بن عمّار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا دخل النبيّ ﷺ المدينة خطّ دورها برجله، ثمّ قال: اللّهمّ من باع رباعه فلا تبارك له[٢].

بيان: خطّ دورها بالفتح، أي حولها، أو بالضمّ جمع الدار، فالمراد بها الدور الّتي بناها له ولأهل بيته وأصحابه ﷺ، والرباع بالكسر جمع الربع بالفتح وهي الدار.

٥ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن محمّد بن الحسين، عن محمّد بن عبد الله بن هلال، عن عقبة بن خالد قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام إنّا نأتي المساجد الّتي حول المدينة فبأيّها أبدأ؟ فقال: ابدأ بقباء فصلّ فيه وأكثر، فإنّه أوّل مسجد صلّى فيه رسول الله ﷺ في هذه العرصة، ثمّ ائت مشربة أُمّ إبراهيم فصلّ فيها، وهي مسكن رسول الله ﷺ ومصلاه، ثمّ تأتي مسجد الفضيخ فتصلي فيه فقد صلّى فيه نبيّك ﷺ[٣].

٦ - **كا:** عليّ، عن أبيه عن ابن أبي عمير، عن حمّاد عن الحلبيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن المسجد الّذي أُسّس على التقوى، فقال مسجد قباء[٤].

٧ - **قب:** سلمان قال: لمّا قدم النبيّ ﷺ المدينة تعلّق النّاس بزمام الناقة فقال

---

(١) الكافي، ج ٣ ص ١٥٠ باب ١٧٩ ح ١. (٢) الكافي، ج ٥ ص ٦٣٨ باب ٥٠ ح ٧.
(٣) الكافي، ج ٤ ص ٥٧٨ باب ٣٤٨ ح ٢ وفيه: مسجد الفضيخ، وهو الصحيح.
(٤) الكافي، ج ٣ ص ١٥١ باب ١٧٩ ح ٢.

النبيّ ﷺ: يا قوم دعوا الناقة فهي مأمورة، فعلى باب من بركت فأنا عنده فأطلقوا زمامها وهي تهف في السير حتّى دخلت المدينة فبركت على باب أبي أيّوب الأنصاريّ، ولم يكن في المدينة أفقر منه، فانقطعت قلوب النّاس حسرة على مفارقة النبيّ ﷺ، فنادى أبو أيوب: يا أماه افتحي الباب، فقد قدم سيّد البشر، وأكرم ربيعة ومضر، محمّد المصطفى، والرسول المجتبى، فخرجت وفتحت الباب وكانت عمياء فقالت: وا حسرتاه ليت كانت لي عين أبصر بها وجه سيّدي رسول الله ﷺ، فكان أوّل معجزة النبيّ ﷺ في المدينة أنّه وضع كفّه على وجه أمّ أبي أيّوب فانفتحت عيناها[1].

بيان: الهفيف: سرعة السير.

٨ - **قب:** هاجر النبيّ ﷺ إلى المدينة، وأمر أصحابه بالهجرة وهو ابن ثلاث وخمسين سنة، وكانت هجرته يوم الاثنين، وصار ثلاثة أيّام في الغار، وروي ستّة أيّام، ودخل المدينة يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأوّل، وقيل: الحادي عشر وهي السنة الأولى من الهجرة، فردّ التاريخ إلى المحرّم، وكان نزل بقباء في دار كلثوم بن الهدم، ثمّ بدار خيثمة الأوسي ثلاثة أيّام، ويقال: اثنا عشر يوماً إلى بلوغ عليّ عليه السلام وأهل البيت، وكان أهل المدينة يستقبلون كلّ يوم إلى قباء وينصرفون، فأسّس بقباء مسجدهم، وخرج يوم الجمعة ونزل المدينة وصلّى في المسجد الّذي ببطن الوادي.

قال النسويّ في تاريخه: أوّل صلاة صلاها في المدينة صلاة العصر، ثمّ نزل على أبي أيوب. فلمّا أتى لهجرته شهر وأيّام تمّت صلاة المقيم، وبعد ثمانية أشهر آخى بين المؤمنين، وفيها شرع الأذان[2].

٩ - **قب:** روي أنّه كان أصحاب النبيّ ﷺ يستقبلونه وينصرفون عند الظهيرة فدخلوا يوماً فقدم النبيّ ﷺ فأوّل من رآه رجل من اليهود، فلمّا رآه صرخ بأعلى صوته: يا بني قيلة هذا جدّكم قد جاء، فنزل النبيّ ﷺ على كلثوم بن هدم وكان يخرج فيجلس للناس في بيت سعد بن خيثمة، وكان قيام عليّ عليه السلام بعد النبيّ ﷺ ثلاث ليال، ثمّ لحق برسول الله ﷺ، فنزل معه على كلثوم، وكان أبو بكر في بيت حبيب بن إساف فأقام النبيّ ﷺ بقباء يوم الاثنين والثلثاء والأربعاء والخميس، وأسّس مسجده وصلّى يوم الجمعة في المسجد الّذي في بطن الوادي وادي رانوقا، فكانت أوّل صلاة صلاها بالمدينة، ثمّ أتاه غسان بن مالك وعبّاس بن عبادة من بني سالم فقالوا: يا رسول الله أقم عندنا في العدد والعدّة والمنعة، فقال: خلّوا سبيلها فإنّها مأمورة، يعني ناقته، ثمّ تلقّاه زياد بن لبيد وفروة بن عمرو في رجال من بني بياضة فقال كذلك، ثمّ اعترضه سعد بن الربيع وخارجة بن زيد وعبدالله بن رواحة في رجال من بني الحارث بن الخزرج فانطلقت حتّى إذا وازت دار بني مالك بن النجّار

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب، ج ١ ص ١٧٦. (٢) مناقب ابن شهرآشوب، ج ١ ص ٢٢٥.

بركت على باب مسجد رسول الله ﷺ ، وهو يومئذٍ مربد لغلامين يتيمين من بني النجّار ، فلمّا بركت ورسول الله ﷺ لم ينزل وثبت فسارت غير بعيد ورسول الله ﷺ واضع لها زمامها لا يثنيها به، ثمّ التفتت إلى خلفها فرجعت إلى مبركها أوّل مرّة فبركت، ثمّ تجلجلت ورزمت ووضعت جرانها، فنزل عنها رسول الله ﷺ ، واحتمل أبو أيّوب رحله فوضعه في بيته، ونزل النبيّ ﷺ في بيت أبي أيّوب، وسأل عن المربد فأخبره أنّه لسهل وسهيل يتيمين لمعاذ بن عفراء، فأرضاهما معاذ، وأمر النبيّ ﷺ ببناء المسجد، وعمل فيه رسول الله ﷺ بنفسه، فعمل فيه المهاجرون والأنصار، وأخذ المسلمون يرتجزون وهم يعملون، فقال بعضهم:

لئن قعدنا والنبي يعمل   فذاك منّا العمل المضلل

والنبي ﷺ يقول: «لا عيش إلّا عيش الآخرة، اللّهمّ ارحم الأنصار والمهاجرة».

وعليّ بن أبي طالب عليه السلام يقول:

لا يستوي من يعمل المساجدا   يدأب فيها قائماً وقاعدا
ومن يرى عن الغبار حائدا

ثمّ انتقل من بيت أبي أيّوب إلى مساكنه الّتي بنيت له، وقيل: كان مدّة مقامه بالمدينة إلى أن بني المسجد وبيوته من شهر ربيع الأوّل إلى صفر من السنة القابلة[1].

بيان: قال الجزريّ: في حديث سلمان ابني قيلة، يريد الأوس والخزرج قبيلتي الأنصار، وقيلة اسم أمّ لهم قديمة، وهي قيلة بنت كاهل انتهى.

قوله: هذا جدكم، أي صاحب جدّكم وسلطانكم، ويحتمل أن يريد هذا سعدكم ودولتكم.

أقول: قال الطبرسيّ رحمه الله في تفسير آية الجمعة: قال ابن سيرين: جمّع أهل المدينة قبل أن يقدم النبيّ ﷺ المدينة، وقيل: قبل أن تنزل الجمعة قالت الأنصار: لليهود يومٌ يجتمعون فيه كلّ سبعة أيّام، وللنصارى يوم أيضاً مثل ذلك، فلنجعل يوماً نجتمع فيه فنذكر الله عزّ وجلّ ونشكره، أو كما قالوا فقالوا: يوم السبت لليهود، ويوم الأحد للنصارى، فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا إلى أسعد بن زرارة فصلّى بهم يومئذ، وذكّرهم، فسمّوه يوم الجمعة حين اجتمعوا إليه، فذبح لهم أسعد بن زرارة شاة، فتغدّوا وتعشّوا من شاة واحدة وذلك لقلّتهم، فأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ﴾ الآية، فهذه أوّل جمعة جمعت في الإسلام، فأمّا أوّل جمعة جمّعها رسول الله ﷺ بأصحابه فقيل: إنّه قدم رسول الله ﷺ مهاجراً حتّى نزل قباء على بني عمرو بن عوف، وذلك يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب، ج ١ ص ٢٣٥.

خلت من شهر ربيع الأوّل حين الضحى، فأقام بقباء يوم الاثنين والثلثاء والأربعاء والخميس وأسّس مسجدهم، ثمّ خرج من بين أظهرهم يوم الجمعة عامداً المدينة فأدركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن وادٍ لهم قد اتّخذوا اليوم في ذلك الموضع مسجداً، وكانت هذه الجمعة أوّل جمعة جمّعها رسول الله ﷺ في الإسلام، فخطب في هذه الجمعة، وهي أوّل خطبة خطبها بالمدينة فيما قيل.

فقال ﷺ: الحمد لله الّذي أحمده وأستعينه، وأستغفره وأستهديه، وأومن به ولا أكفره وأعادي من يكفره، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى والنور والموعظة على فترة من الرسل، وقلّةٍ من العلم، وضلالةٍ من النّاس، وانقطاع من الزمان، ودنوّ من الساعة، وقرب من الأجل، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى وفرط وضلّ ضلالاً بعيداً، أوصيكم بتقوى الله فإنّه خير ما أوصى به المسلم المسلم، أن يحضّه على الآخرة، وأن يأمره بتقوى الله، فاحذروا ما حذّركم الله من نفسه وإنّ تقوى الله لمن عمل به على وجل ومخافة من ربّه عون صدق على ما تبغون من أمر الآخرة، ومن يصلح الّذي بينه وبين الله من أمره في السرّ والعلانية لا ينوي بذلك إلّا وجه الله يكن له ذكراً في عاجل أمره، وذخراً فيما بعد الموت حين يفتقر المرء إلى ما قدّم، وما كان من سوى ذلك يودّ لو أنّ بينها وبينه أمداً بعيداً، ويحذّركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد، والّذي صدق قوله ونجز وعده لا خلف لذلك فإنّه يقول: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ فاتّقوا الله في عاجل أمره وآجله، في السرّ والعلانية، فإنّه من يتّق الله يكفّر عنه سيئاته، ويعظم له أجراً، ومن يتّق الله فقد فاز فوزاً عظيماً، وإنّ تقوى الله توقّي مقته وتوقّي عقوبته وتوقّي سخطه، وإنّ تقوى الله تبيّض الوجوه، وترضي الربّ، وترفع الدرجة، خذوا بحظّكم، ولا تفرّطوا في جنب الله، فقد علّمكم الله كتابه، ونهج لكم سبيله ليعلم الّذين صدقوا ويعلم الكاذبين، فأحسنوا كما أحسن الله إليكم، وعادوا أعداءه، وجاهدوا في الله حقّ جهاده، وهو اجتباكم وسمّاكم المسلمين ليهلك من هلك عن بيّنة، ويحيى من حيّ عن بينة، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله، فأكثروا ذكر الله، واعملوا لما بعد الموت فإنّه من يصلح ما بينه وبين الله يكفه الله ما بينه وبين النّاس، ذلك بأنّ الله يقضي على النّاس ولا يقضون عليه، ويملك من النّاس ولا يملكون منه، الله أكبر ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم».

فلهذا صارت الخطبة شرطاً في انعقاد الجمعة انتهى[1].

وقال في المنتقى في حوادث السنة الأولى من الهجرة: إنه ﷺ لبث في بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة، وأسّس المسجد الّذي أسّس على التقوى، فصلّى فيه رسول الله ﷺ، ثمّ دخل المدينة، ثمّ ذكر كيفية دخوله المدينة، وصلاة الجمعة والخطبة نحو ما

(١) مجمع البيان، ج ١٠ ص ٩.

تقدّم، ثمّ قال: وإنّه لمّا بنى رسول الله ﷺ مسجده طفق ينقل معهم اللبن ويقول وهو ينقل اللبن:

هذا الحمال لا حمال خيبر هذا أبرّ ربّنا وأطهر

ويقول: «اللّهمّ إنّ الأجر أجر الآخرة، فارحم الأنصار والمهاجرة».

قوله: هذا الحمال، أي هذا الحمل والمحمول من اللبن أبرّ عند الله وأطهر أي أبقى ذخراً وأدوم منفعةً، لا حمال خيبر من التمر والزبيب والطعام المحمول منها الّذي يغتبطه حاملوه، والّذي كنّا من قبل نحمله ونعطيه، والحمال والحمل واحد، وروي بالجيم وله وجه، والأوّل أظهر.

وفي هذه السنة تكلّم الذئب خارج المدينة ينذر برسول الله ﷺ كما روي عن أبي هريرة قال: جاء ذئب إلى راعي غنم فأخذ منها شاة فطلبه الراعي حتّى انتزعها منه، فصعد الذئب على تلّ فأقعى واستثفر، وقال: عمدت إلى رزق رزقنيه الله انتزعته منّي، فقال الرجل: بالله إن رأيت كاليوم ذئب يتكلّم، قال الذئب: أعجب من هذا رجل في النخلات بين الحرّتين يخبركم بما مضى وما هو كائن عندكم، وكان الرجل يهوديّاً فجاء إلى النبيّ ﷺ فأخبره خبره، وصدّقه النبيّ ﷺ، ثمّ قال ﷺ: إنّها أمارة من أمارات الساعة، أوشك الرجل أن يخرج فلا يرجع حتّى تحدّثه نعلاه بما أحدث أهله بعده.

وفي هذه السنة بعث رسول الله ﷺ إلى بناته وزوجته سودة بنت زمعة زيد بن حارثة وأبا رافع فحملاهنّ من مكّة إلى المدينة، ولمّا رجع عبد الله بن أريقط إلى مكّة أخبر عبد الله بن أبي بكر بمكان أبيه، فخرج عبد الله بعيال أبيه إليه، وصحبهم طلحة بن عبيد الله ومعهم أمّ رومان أمّ عائشة وعبد الرحمن حتّى قدموا المدينة.

وفي هذه السنة بنى رسول الله ﷺ بعائشة في شوّال بعد الهجرة بسبعة أشهر وقيل: في السنة الثانية، والأوّل أصح، وكان تزوّجها قبل الهجرة بثلاث سنين.

وفي هذه السنة زيد في صلاة الحضر، وكانت صلاة الحضر والسفر ركعتين غير المغرب، وذلك بعد مقدم رسول الله ﷺ المدينة بشهر.

وفي هذه السنة آخى بين المهاجرين والأنصار، وذلك أنّه لمّا قدم المدينة آخى بين المهاجرين والأنصار على الحقّ والمواساة يتوارثون بعد الممات دون ذوي الأرحام، وكانوا تسعين رجلاً: خمسة وأربعين رجلاً من المهاجرين وخمسة وأربعين رجلاً من الأنصار، وقيل: كانوا خمسين ومائة من الأنصار، وخمسين ومائة من المهاجرين، وكان ذلك قبل بدر، فلمّا كانت وقعة بدر أنزل الله تعالى: ﴿وَأُوْلُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ﴾ (١) نسخت هذه الآية ما كان قبلها ورجع كلّ إنسان إلى نسبه، وورثه ذو رحمه.

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٧٥.

وفي هذه السنة صام عاشورا، وأمر بصيامه.

وفي هذه السنة أسلم عبد الله بن سلام، قال أنس: لمّا قدم رسول الله ﷺ المدينة أخبر عبد الله بن سلام بقدومه فأتاه فقال: إنّي سائلك عن أشياء لا يعلمها إلاّ نبي، فإن أخبرتني بها آمنت بك، قال: وما هنّ؟ قال: سأله عن الشبه، وعن أوّل شيء يأكله أهل الجنّة، وعن أوّل شيء يحشر الناس.

فقال رسول الله ﷺ: أخبرني بهنّ جبرئيل آنفاً، قال: ذاك عدوّ اليهود، قال: أمّا الشبه فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة ذهب بالشبه، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل ذهبت بالشبه، وأمّا أوّل شيء يأكله أهل الجنّة فزائد كبد الحوت، وأمّا أوّل شيء يحشر النّاس فنار تجيء من قبل المشرق فتحشرهم إلى المغرب، فأمسك، وقال: أشهد أنّك رسول الله، وقال: يا رسول الله إنّ اليهود قوم بهت، وإنهم إن سمعوا بإسلامي بهتوني فاخبأني عندك، وابعث إليهم فسلهم عنّي، فخبأه رسول الله ﷺ وبعث إليهم فجاءوا، فقال: أيّ رجل عبد الله بن سلام فيكم؟ قالوا: هو خيرنا وابن خيرنا، وسيّدنا وابن سيّدنا، وعالمنا وابن عالمنا، قال: أرأيتم إن أسلم أتسلمون، فقالوا: أعاذه الله من ذلك، فقال: يا عبد الله بن سلام اخرج إليهم، فلمّا خرج إليهم قال: أشهد أن لا إله إلاّالله، وأشهد أنّ محمّداً رسول الله، قالوا: شرّنا وابن شرّنا، وجاهلنا وابن جاهلنا، فقال ابن سلام: قد أخبرتك يا رسول الله أنّ اليهود قوم بهت.

وفيها أسلم سلمان ﷺ، على ما سيأتي شرحه. وفيها شرع الأذان.

ومما كان في هذه السنة ما روي أنّه كان امرأة من بني النجّار يقال لها: فاطمة بنت النعمان لها تابع من الجنّ، وكان يأتيها، فأتاها حين هاجر النبيّ ﷺ فأنقض على الحائط، فقالت: ما لك لم تأت كما كنت تأتي؟ قال: قد جاء النبيّ الّذي يحرّم الزنا والحرام.

وفيها مات البراء بن معرور، وكان أوّل من تكلّم ليلة العقبة حين لقي رسول الله ﷺ السبعون من الأنصار فبايعوه، وهو أحد النقباء توفّي قبل قدوم رسول الله ﷺ المدينة بشهر، فلمّا قدم رسول الله ﷺ انطلق بأصحابه فصلّى على قبره، وقال: «اللّهمّ اغفر له وارحمه وارض عنه وقد فعلت» وهو أوّل من مات من النقباء.

وفيها مات أسعد بن زرارة أحد النقباء مات قبل أن يفرغ رسول الله ﷺ من بناء مسجده، ودفن بالبقيع، والأنصار يقولون: هو أوّل من دفن فيها، والمهاجرون يقولون: عثمان بن مظعون، ولمّا مات أسعد بن زرارة جاءت بنو النجّار إلى رسول الله ﷺ فقالوا: قد مات نقيبنا فنقّب علينا، فقال رسول الله ﷺ: أنا نقيبكم.

وفيها مات كلثوم بن الهدم وكان شريفاً كبير السنّ قبل قدومه، فلمّا هاجر نزل عليه، ونزل عليه جماعة منهم أبو عبيد والمقداد وخبّاب في آخرين، وتوفّي بعد قدوم رسول الله ﷺ بيسير.

وفيها مات من المشركين العاص بن وائل السهميّ، والوليد بن المغيرة بمكّة، وروي عن الشعبيّ قال: لمّا حضر الوليد بن المغيرة جزع فقال له أبو جهل: يا عمّ ما يجزعك؟ قال: والله ما بي جزع من الموت، ولكنّي أخاف أن يظهر دين ابن أبي كبشة بمكّة، فقال أبو سفيان: لا تخف أنا ضامن أن لا يظهر.

٨ - باب نوادر الغزوات وجوامعها وما جرى بعد الهجرة إلى غزوة بدر الكبرى، وفيه غزوة العشيرة وبدر الأولى والنخلة

الآيات: البقرة «٢»: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴿٢١٧﴾﴾.

النساء «٤»: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا ﴿٧١﴾ وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾.

وقال تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَٰئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿٩١﴾﴾، وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ «٩٤».

وقال سبحانه: ﴿وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلوة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة وحدة ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم إن الله أعد للكفرين عذابا مهينا (١٠٢) فإذا قضيتم الصلوة فاذكروا الله قيما وقعودا وعلى جنوبكم فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلوة إن الصلوة كانت على المؤمنين كتبا موقوتا (١٠٣) ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما (١٠٤)﴾.

المائدة «٥»: ﴿يأيها الذين ءامنوا لا تحلوا شعئر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلئد ولا ءامين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضونا وإذا حللتم فاصطادوا ولا يجرمنكم شنئان قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدون واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾ «٢».

وقال تعالى: ﴿ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾ «٨».

وقال تعالى: ﴿يأيها الذين ءامنوا اذكروا نعمت الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ «١١».

وقال تعالى: ﴿يأيها الذين ءامنوا لا تتخذوا اليهود والنصرى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدى القوم الظلمين (٥١) فترى الذين في قلوبهم مرض يسرعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم ندمين (٥٢) ويقول الذين ءامنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمنهم إنهم لمعكم حبطت أعملهم فأصبحوا خسرين (٥٣)﴾.

الأنفال «٨»: ﴿وقتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير﴾ «٣٩»، وقال تعالى: ﴿ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا إنهم لا يعجزون (٥٩) وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وءاخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون (٦٠) وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم (٦١) وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين (٦٢) وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم (٦٣) يأيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين (٦٤) يأيها النبي حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صبرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون (٦٥) الئن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصبرين (٦٦)﴾.

التوبة «٩»: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾ «٣٦»، وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ «٧٣».

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾﴾.

الحج «٢٢»: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾.

محمد «٤٧»: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾﴾، إلى قوله تعالى: ﴿فَلَا تَهِنُواْ وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ «٣٥».

الفتح «٤٨»: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾﴾، إلى قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُواْ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ «١٦».

إلى قوله سبحانه: ﴿فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُواْ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوَلَّوُاْ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾

سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾.

الحجرات «٤٩»: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ «١٥».

الحديد «٥٧»: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ «١٠».

الحشر «٥٩»: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾﴾.

الصف «٦١»: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾.

التحريم «٦٦»: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ «٩».

تفسير: ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ قال الطبرسيّ رحمه الله: قال المفسّرون: بعث رسول الله صلى الله عليه وآله سريّة من المسلمين فأمّر عليهم عبد الله بن جحش الأسديّ وهو ابن عمّ النبيّ صلى الله عليه وآله، وذلك قبل قتال بدر بشهرين على رأس سبعة عشر شهراً من مقدمه المدينة، فانطلقوا حتّى هبطوا نخلة فوجدوا بها عمرو بن الحضرميّ في عير تجارة لقريش في آخر يوم جمادى الآخرة وكانوا يرون أنّه من جمادى وهو رجب، فاختصم المسلمون فقال قائل منهم: هذه غرّة من عدوّ وغنم رزقتموه فلا ندري أمن الشهر الحرام هذا اليوم أم لا؟ فقال قائل منهم: لا نعلم هذا اليوم إلّا من الشهر الحرام، ولا نرى أن تستحلّوه لطمع أشفيتم عليه، فغلب على الأمر الّذين يريدون عرض الحياة الدنيا، فشدّوا على ابن الحضرميّ فقتلوه وغنموا عيره، فبلغ ذلك كفّار قريش، وكان ابن الحضرميّ أوّل قتيل قتل بين المشركين والمسلمين، وذلك أوّل فيء أصابه المسلمون، فركب وفد كفّار قريش حتّى قدموا على النبيّ صلى الله عليه وآله، فقالوا: أيحلّ القتال في الشهر الحرام؟ فأنزل الله هذه الآية، فالسائلون أهل الشرك على جهة العيب للمسلمين باستحلالهم القتال في الشهر الحرام، وقيل: السائلون أهل الإسلام سألوا ذلك ليعلموا كيف الحكم فيه ﴿عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ بدل اشتمال عن الشهر ﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ﴾ أي في الشهر الحرام ﴿كَبِيرٌ﴾ أي

ذنب عظيم، ثمّ استأنف وقال: ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ﴾ أي والصد عن سبيل الله والكفر به ﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ أي والصد عن المسجد الحرام، أو يسألونك عن القتال في الشهر الحرام، وعند المسجد الحرام، وقيل: معناه والكفر بالمسجد الحرام ﴿وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ﴾ يعني أهل المسجد وهم المسلمون ﴿مِنْهُ﴾ أي من المسجد ﴿أَكْبَرُ﴾ أي أعظم وزراً ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ يعني إخراجهم المسلمين من مكّة حين هاجروا إلى المدينة، والظاهر يدلّ على أنّ القتال في الشهر الحرام كان محرّماً وقيل: إنّ النبيّ عقل ابن الحضرميّ ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ أي الفتنة في الدين وهو الكفر أعظم من القتل في الشهر الحرام يعني قتل ابن الحضرميّ ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾ يعني أهل مكّة ﴿حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ﴾ أي يصدّوكم عن دين الإسلام ويلجئوكم إلى الارتداد ﴿إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ أي إن قدروا على ذلك[1].

قوله تعالى: ﴿خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ﴾ قال البيضاويّ: أي تيقّظوا واستعدّوا للأعداء، والحِذْر والحَذَر كالإثر والأثر، وقيل: ما يحذر به كالحزم، والسلاح ﴿فَٱنفِرُوا۟﴾ فاخرجوا إلى الجهاد ﴿ثُبَاتٍ﴾ جماعات متفرقين، جمع ثبة ﴿أَوِ ٱنفِرُوا۟ جَمِيعًا﴾ مجتمعين كركبة واحدة ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ الخطاب لعسكر رسول الله ﷺ المؤمنين منهم والمنافقين، والمبطئون منافقوهم، تثاقلوا وتخلّفوا عن الجهاد، أو يبطئوا غيرهم كما أبطأ ابن أُبيّ ناساً يوم أحد ﴿فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ﴾ كقتل وهزيمة ﴿قَالَ﴾ أي المبطئ: ﴿قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا﴾ حاضراً فيصيبني ما أصابهم ﴿وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ كفتح وغنيمة ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ أكده تنبيهاً على فرط تحسّرهم ﴿كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ﴾ اعتراض بين الفعل ومفعوله وهو ﴿يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ للتنبيه على ضعف عقيدتهم، وأنّ قولهم هذا قول من لا مواصلة بينكم وبينه، أو حال عن الضمير في ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ أو داخل في المقول، أي يقول المبطئ لمن يثبّطه من المنافقين وضعفة المسلمين تطرية وحسداً، كأن لم يكن بينكم وبين محمّد مودّة حيث لم يستعن بكم فتفوزوا بما فاز: يا ليتني كنت معهم، وقيل: إنّه متّصل بالجملة الأولى وهو ضعيف والمنادى في ﴿يَٰلَيْتَنِى﴾ محذوف، أي يا قوم، وقيل: يا أُطلق للتنبيه على الاتّساع ﴿فَأَفُوزَ﴾ نصب على جواب التمنّي ﴿ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي الّذين يبيعونها بها، والمعنى إن بطئ هؤلاء عن القتال فليقاتل المخلصون الباذلون أنفسهم في طلب الآخرة أو الّذين يشترونها ويختارونها على الآخرة وهم المبطئون، والمعنى حثّهم على ترك ما حكى عنهم ﴿وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ عطف على ﴿ٱللَّهِ﴾ أي وفي سبيل المستضعفين وهو تخليصهم من الأسر وصونهم عن العدوّ، أو على (السبيل) بحذف المضاف، أي وفي خلاص المستضعفين. ويجوز نصبه على الاختصاص، فإنّ سبيل الله تعالى يعمّ أبواب الخير، وتخليص ضعفة المسلمين من أيدي الكفّار أعظمها وأخصّها ﴿مِنَ

---

(١) مجمع البيان، ج ٢ ص ٧٤.

﴿الرِّجَالِ وَالنِّسَآءِ وَالْوِلْدَانِ﴾ بيان للمستضعفين وهم المسلمون الّذين بقوا بمكّة لصدّ المشركين أو ضعفهم عن الهجرة مستذلّين ممتحنين، وإنّما ذكر الولدان مبالغة في الحثّ، وتنبيهاً على تناهي ظلم المشركين بحيث بلغ أذاهم الصبيان، وقيل: المراد به العبيد والإماء وهو جمع وليد[1].

وقال الطبرسيّ رحمه الله: قيل: يريد بذلك قوماً من المسلمين بقوا بمكّة ولم يستطيعوا الهجرة، منهم سلمة بن هشام، والوليد بن الوليد، وعيّاش بن أبي ربيعة وأبوجندل بن سهيل، وجماعة كانوا يدعون الله أن يخلّصهم من أيدي المشركين ويخرجهم من مكّة وهم ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ أي يقولون في دعائهم: ربّنا سهّل لنا الخروج من هذه القرية يعني مكّة الّتي ظلم أهلها بافتتان المؤمنين عن دينهم ومنعهم عن الهجرة ﴿وَاجْعَل لَّنَا﴾ بألطافك وتأييدك ﴿مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ يلي أمرنا بالكفاية حتّى ينقذنا من أيدي الظلمة ﴿وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ ينصرنا على من ظلمنا، فاستجاب سبحانه دعاءهم، فلمّا فتح رسول الله صلى الله عليه وآله مكّة جعل الله سبحانه نبيّه لهم وليّاً، فاستعمل على مكّة عتاب بن أسيد فجعله لهم نصيراً، وكان ينصف الضعيف من الشديد فأغاثهم الله تعالى، وكانوا أعزّ بها من الظلمة قبل ذلك ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ﴾ يعني جميع الكفّار[2].

وقال في قوله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ﴾: اختلفوا فيمن نزلت فيه هذه الآية، فقيل: نزلت في قوم قدموا المدينة من مكّة فأظهروا للمسلمين الإسلام، ثمّ رجعوا إلى مكّة لأنّهم استوخموا المدينة فأظهروا الشرك، ثمّ سافروا ببضائع المشركين إلى اليمامة، فأراد المسلمون أن يغزوهم، فاختلفوا فقال بعضهم: لا نفعل فإنهم مؤمنون، وقال الآخرون: إنّهم مشركون، فأنزل الله فيهم الآية عن مجاهد والحسن، وهو المرويّ عن أبي جعفر عليه السلام، وقيل: نزلت في الّذين تخلّفوا عن أحد وقالوا: ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ﴾ الآية فاختلف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فيهم فقال فريق منهم: نقتلهم، وقال آخرون: لا نقتلهم، فنزلت الآية عن زيد بن ثابت. ﴿وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم﴾ أي ردّهم إلى حكم الكفّار بما أظهروا من الكفر، وقيل: أهلكهم بكفرهم، وقيل: خذلهم فأقاموا على كفرهم ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا﴾ أي تحكموا بهداية ﴿مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾ أي من حكم الله بضلاله أو خذله ولم يوفقه ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ﴾ أي نسبه إلى الضلالة ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ أي لن ينفعه أن يحكم غيره بهدايته ﴿وَدُّوا﴾ أي تمنى هؤلاء المنافقون الّذين اختلفتم في أمرهم ﴿لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ أنتم بالله ورسوله ﴿كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ في الكفر ﴿فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ أي فلا تستنصروهم ولا تستنصحوهم ولا تستعينوا بهم في الأمور ﴿حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا﴾ أي يخرجوا من دار الشرك ويفارقوا أهلها ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي في ابتغاء دينه ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ عن الهجرة ﴿فَخُذُوهُمْ﴾ أيها المؤمنون ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ من أرض الله من الحلّ والحرم ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا﴾ أي

---

(١) تفسير البيضاوي، ج ١ ص ٣٦٠. (٢) مجمع البيان، ج ٣ ص ١٣٢.

خليلاً ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ ينصركم على أعدائكم ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾ أي إلاّ من وصل من هؤلاء إلى قوم بينكم وبينهم موادعة وعهد فدخلوا فيهم بالحلف والجوار، فحكمهم حكم أولئك في حقن دمائهم، واختلف في هؤلاء، فالمرويّ عن أبي جعفر عليه السلام: أنّه قال المراد بقوله: ﴿قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾ هو هلال بن عويم السلميّ، واثق عن قومه رسول الله صلى الله عليه وآله، وقال في موادعته: على أن لا تحيف يا محمّد من أتانا، ولا نحيف من أتاك، فنهى الله سبحانه أن يعرض لأحد عهد إليهم، وبه قال السدّيّ وابن زيد، وقيل: هم بنو مدلج، وكان سراقة بن مالك بن جعشم المدلجيّ جاء إلى النبيّ صلى الله عليه وآله بعد أحد، فقال: أنشدك الله والنعمة، وأخذ منه ميثاقاً أن لا يغزو قومه، فإن أسلم قريش أسلموا، لأنّهم كانوا في عقد قريش، فحكم الله فيهم ما حكم في قريش، ففيهم نزل هذا، ذكره عمر بن شبية، ثمّ استثنى لهم حالة أخرى فقال: ﴿أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ﴾ أي ضاقت قلوبهم من ﴿أَن يُقَٰتِلُوكُمۡ أَوۡ يُقَٰتِلُواْ قَوۡمَهُمۡ﴾ فلا عليكم ولا عليهم وإنّما عنى به أشجع فإنّهم قدموا المدينة في سبعمائة يقودهم مسعود بن دخيلة فأخرج إليهم النبيّ صلى الله عليه وآله أحمال التمر ضيافة، وقال: نعم الشيء الهديّة أمام الحاجة، وقال لهم: ما جاء بكم؟ قالوا: لقرب دارنا منك، وكرهنا حربك وحرب قومنا - يعنون بني ضمرة الّذين بينهم وبينهم عهد - لقلّتنا فيهم فجئنا لنوادعك، فقبل النبيّ صلى الله عليه وآله ذلك منهم ووادعهم، فرجعوا إلى بلادهم، فذكره عليّ بن إبراهيم في تفسيره، فأمر الله سبحانه المسلمين أن لا يتعرّضوا لهؤلاء ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمۡ عَلَيۡكُمۡ﴾ بتقوية قلوبهم فيجترئون على قتالكم ﴿فَلَقَٰتَلُوكُمۡ﴾ أي لو فعل ذلك لقاتلوكم ﴿فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ﴾ يعني هؤلاء الّذين أمر بالكفّ عن قتالهم بدخولهم في عهدكم أو بمصيرهم إليكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم.

﴿فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ﴾ يعني صالحوكم واستسلموا لكم ﴿فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلًا﴾ يعني إذا سالموكم فلا سبيل لكم إلى نفوسهم وأموالهم.

قال الحسن وعكرمة: نسخت هذه الآية والّتي بعدها والآيتان في سورة الممتحنة: ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ الآيات الأربع بقوله: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾ الآية[1].

﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ﴾ اختلف فيمن عني بهذه الآية، فقيل: نزلت في ناس كانوا يأتون النبيّ صلى الله عليه وآله فيسلمون رئاء ثمّ يرجعون إلى قريش فيرتكسون في الأوثان يبتغون بذلك أن يأمنوا قومهم ويأمنوا نبيّ الله صلى الله عليه وآله فأبى الله ذلك عليهم، عن ابن عباس ومجاهد، وقيل: نزلت في نعيم بن مسعود الأشجعيّ كان ينقل الحديث بين النبيّ صلى الله عليه وآله وبين المشركين عن السدّيّ، وقيل: نزلت في أسد وغطفان عن مقاتل، وقيل: نزلت في عيينة بن حصن الفزاريّ، وذلك

(١) مجمع البيان، ج ٣ ص ١٤٩.

أنّهم أجدبت بلادهم فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ووادعه على أن يقيم ببطن نخل ولا يتعرّض له، وكان منافقاً ملعوناً، وهو الّذي سمّاه رسول الله صلى الله عليه وآله الأحمق المطاع في قومه، وهو المرويّ عن الصادق عليه السلام.

﴿يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ﴾ فيظهرون الإسلام ﴿وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ﴾ فيظهرون لهم الموافقة لهم في دينهم ﴿كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا﴾ المراد بالفتنة هنا الشرك والإركاس: الرد، أي كلّما دعوا إلى الكفر أجابوا ورجعوا إليه ﴿فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ﴾ أيها المؤمنون، أي فإن لم يعتزل قتالكم هؤلاء الّذين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم ﴿وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ﴾ أي لم يستسلموا لكم ولم يصالحوكم ولم ﴿وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ﴾ عن قتالكم ﴿فَخُذُوهُمْ﴾ أي فأسروهم ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ أي وجدتموهم ﴿سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾ أي حجّة ظاهرة، وقيل عذراً بيّناً في القتال(١).

وفي قوله تعالى: ﴿إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قيل: نزلت في أسامة بن زيد وأصحابه بعثهم النبيّ صلى الله عليه وآله سريّة فلقوا رجلاً قد انحاز بغنم له إلى جبل، وكان قد أسلم، فقال لهم: السلام عليكم، لا إله إلاّ الله، محمّد رسول الله، فبدر إليه أسامة فقتله، واستاقوا غنمه عن السدّيّ، وروي عن ابن عبّاس وقتادة أنّه لمّا نزلت الآية حلف أسامة أن لا يقتل رجلاً قال: لا إله إلاّ الله، وبهذا اعتذر إلى عليّ عليه السلام لما تخلّف عنه، وإن كان عذره غير مقبول لوجوب طاعة الإمام، وقيل: نزلت في محلّم بن خثامة اللّيثيّ، وكان بعثه النبيّ صلى الله عليه وآله في سريّة فلقيه عامر ابن الأضبط الأشجعي، فحيّاه بتحيّة الإسلام، وكان بينهما أخية فرماه بسهم فقتله، فلمّا جاء إلى النبيّ صلى الله عليه وآله جلس بين يديه وسأله أن يستغفر له، فقال صلى الله عليه وآله: لا غفر الله لك، فانصرف باكياً، فما مضت عليه سبعة أيّام حتّى هلك ودفن فلفظته الأرض، فقال صلى الله عليه وآله لمّا أخبر به: إنّ الأرض يقبل من هو شرّ من محلم صاحبكم ولكن الله أراد أن يعظم من حرمتكم، ثمّ طرحوه بين صدفي الجبل وألقوا عليه الحجارة، ونزلت الآية، عن الواقديّ ومحمّد بن إسحاق رواية عن ابن عمر وابن مسعود، وقيل: كان صاحب السريّة المقداد، عن ابن جبير، وقيل: أبو الدرداء عن ابن زيد ﴿إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي سرتم وسافرتم للغزو والجهاد ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ أي ميّزوا بين الكافر والمؤمن - وبالثاء والتاء - توقّفوا وتأنّوا حتّى تعلموا من يستحقّ القتل ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ﴾ لمن ألقى أي حيّاكم بتحيّة أهل الإسلام أو من استسلم لكم فلم يقاتلكم مظهراً أنّه من أهل ملّتكم ﴿لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ أي ليس لإيمانك حقيقة، وإنّما أسلمت خوفاً من القتل أولست بآمن ﴿تَبْتَغُونَ﴾ أي تطلبون ﴿عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يعني الغنيمة والمال ﴿فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾ أي في مقدوره تعالى فواضل ونعم ورزق إن أطعتموه فيما أمركم به، وقيل: معناه ثواب كثير لمن ترك قتل المؤمن.

---

(١) مجمع البيان، ج ٣ ص ١٥٣.

﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ﴾ اختلف في معناه، فقيل: كما كان هذا الّذي قتلتموه مستخفياً في قومه بدينه خوفاً على نفسه منهم كنتم أنتم مستخفين بأديانكم من قومكم حذراً على أنفسكم، وقيل: كما كان هذا المقتول كافراً فهداه الله، كذلك كنتم كفاراً فهداكم الله[1].

وقال البيضاويّ: أي أوّل ما دخلتم في الإسلام تفوّهتم بكلمتي الشهادة، فحصّنتم بها دماءكم وأموالكم من غير أن يعلم مواطأة قلوبكم ألسنتكم ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ بالاشتهار بالإيمان والاستقامة في الدين ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ وافعلوا بالداخلين في الإسلام كما فعل الله بكم[2].

أقول: سيأتي تفسير آية الصلاة في غزوة ذات الرقاع.

قوله تعالى: ﴿شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ قيل: مناسك الحجّ، وقيل: دين الله، وقيل: فرائضه ﴿وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ بالقتال فيه أو بالنسيء ﴿وَلَا الْهَدْيَ﴾ ما أهدي إلى الكعبة ﴿وَلَا الْقَلَائِدَ﴾ أي ذوات القلائد من الهدي، وعطفها على الهدي للاختصاص فإنّه أشرف الهدي، أو القلائد أنفسها، والنهي عن إحلالها مبالغة في النهي عن التعرّض للهدي والقلائد جمع قلادة وهو ما قلّد به الهدي من نعل أو لحاء شجر وغيرهما ليعلم به أنّه هدي فلا يتعرّض له ﴿وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ بالقتال قاصدين لزيارته ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا﴾ أي أن يثيبهم ويرضى عنهم ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ أي ولا يحملنكم أو لا يكسبنكم ﴿شَنَآنُ قَوْمٍ﴾ أي شدّة بغضهم وعداوتهم ﴿أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ لان صدوكم عام الحديبية ﴿أَن تَعْتَدُوا﴾ بالانتقام، وهو ثاني مفعولي يجرمنكم ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ على العفو والإغضاء ومتابعة الأمر ومجانبة الهوى ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ للتشفّي والانتقام[3].

وقال الطبرسيّ رحمه الله: قال أبو جعفر الباقر عليه السلام: نزلت هذه الآية في رجل من بني ربيعة يقال له: الحطم، وقال السدّيّ: أقبل الحطم بن هند البكري حتّى أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وحده، وخلّف خيله خارج المدينة، فقال: إلى ما تدعو؟ وقد كان النبيّ صلى الله عليه وآله قال لأصحابه: يدخل عليكم اليوم رجل من بني ربيعة يتكلّم بلسان شيطان، فلمّا أجابه النبيّ صلى الله عليه وآله قال: أنظرني لعلّي أسلم ولي من أشاوره فخرج من عنده، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لقد دخل بوجه كافر وخرج بعقب غادر» فمرّ بسرح من سروح المدينة فساقه وانطلق به وهو يرتجز ويقول:

تدلفها اللّيل بسوّاق حطم ... ليس براعي إبل ولا غنم
ولا بجزّار على ظهر وضم ... باتوا نياماً وابن هند لم ينم
بات يقاسيها غلام كالزلم ... خدلّج الساقين ممسوح القدم

(١) مجمع البيان، ج ٣ ص ١٦٣.
(٢) تفسير البيضاوي، ج ١ ص ٣٧٢.
(٣) تفسير البيضاوي، ج ١ ص ٤٠٨.

ثمّ أقبل من عام قابل حاجّاً قد قلد هديا، فأراد رسول الله صلى الله عليه وآله أن يبعث إليه فنزلت هذه الآية: ﴿ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ ﴾ وهو قول عكرمة وابن جريح وقال ابن زيد: نزلت يوم الفتح في ناس يؤمّون البيت من المشركين، يهلّون بعمرة، فقال المسلمون: يا رسول الله إنّ هؤلاء مشركون مثل هؤلاء دعنا نغير عليهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية(١).

بيان: يقال: دلفت الكتيبة في الحرب: تقدّمت، يقال: دلفناهم، قوله: بسوّاق أي بحاد يحدو بالإبل يسوقهنّ بحدائه، والحطم بضمّ الحاء وفتح الطاء من صيغ المبالغة من الحطم بمعنى الكسر، والوضم: الخشبة، والبادية الّتي يوضع عليها اللحم، وقال الجوهريّ: الزلم بالتحريك: القدح، قال الشاعر:

بات يقاسيها غلام كالزلم ليس براعي إبل ولا غنم

قوله: خدلّج الساقين بتشديد اللام: أي عظيمهما.

قوله تعالى: ﴿ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ ﴾ قد مرّ سبب نزولها في باب معجزاته صلى الله عليه وآله في كفاية شرّ الأعداء.

قوله: ﴿ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ﴾ قال الطبرسيّ رحمه الله: اختلف في سبب نزوله، وإن كان حكمه عامّاً لجميع المؤمنين، فقال عطيّة بن سعد العوفيّ والزهريّ: لمّا انهزم أهل بدر قال المسلمون لأوليائهم من اليهود: آمنوا قبل أن يصيبكم الله بيوم مثل يوم بدر فقال مالك بن ضيف: أغرّكم أن أصبتم رهطاً من قريش لا علم لهم بالقتال؟ أما لو أردنا أن نستجمع عليكم لم يكن لكم يدان بقتالنا، فجاء عبادة بن الصامت الخزرجيّ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله إنّ لي أولياء من اليهود كثير عددهم، قويّة أنفسهم، شديدة شوكتهم وإنّي أبرأ إلى الله ورسوله من ولايتهم، ولا مولى إلّا الله ورسوله، فقال عبد الله بن أبيّ لكني لا أبرأ من ولاية اليهود لأنّي أخاف الدوائر ولا بدّ لي منهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا أبا الجناب ما نفست به من ولاية اليهود على عبادة بن الصامت فهو لك دونه، فقال: إذاً أقبل، فأنزل الله الآية، وقال السديّ: لمّا كانت وقعة أحد اشتدّت على طائفة من النّاس، فقال رجل من المسلمين: أنا ألحق بفلان اليهوديّ وآخذ منه أماناً، وقال آخر: أنا ألحق بفلان النصرانيّ ببعض أرض الشام وآخذ منه أماناً، فنزلت الآية، وقال عكرمة: نزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر حين قال لبني قريظة إذا رضوا بحكم سعد إنّه الذبح، والمعنى لا تعتمدوا على الانتصار منهم بهم ﴿ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ في العون والنصرة ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ ﴾ أي استنصر بهم ﴿ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴾ أي هو كافر مثلهم ﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ أي شكّ ونفاق، يعني ابن أبيّ ﴿ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ ﴾ أي في موالاة اليهود، وقيل: موالاة اليهود ونصارى نجران، لأنّهم كانوا يميرونهم ﴿ دَآئِرَةٌ ﴾ أي دولة تدور لأعداء المسلمين على المسلمين، فنحتاج إلى نصرتهم، وقيل: معناه

---

(١) مجمع البيان، ج ٣ ص ٢٦٣.

نخشى أن يدور الدهر علينا بمكروه، يعتون الجدب فلا يميروننا ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ﴾ يعني فتح مكّة، وقيل: يفتح بلاد المشركين ﴿أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ﴾ فيه إعزاز المسلمين وظهور الإسلام، وقيل: إظهار نفاق المنافقين مع الأمر بقتالهم، أو موت هذا المنافق، أو القتل والسبي لبني قريظة والإجلاء لبني النضير ﴿فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ﴾ من نفاقهم وولايتهم اليهود ودسّ الأخبار إليهم ﴿نَادِمِينَ ۝٥٢ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي صدّقوا الله ورسوله ظاهراً وباطناً تعجّباً من نفاق المنافقين: ﴿أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ﴾ حلفوا به ﴿جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ بأغلظ الأيمان وأوكدها ﴿إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ﴾ أي إنّهم مؤمنون ومعكم في معاونتكم ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ أي شرك[1].

وقال رحمه الله في قوله: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا﴾ أي لا تحسبنّ يا محمّد أعداءك الكافرين قد سبقوا أمر الله وأعجزوه، وأنّهم قد فاتوك، فإنّ الله سبحانه يظفرك بهم كما وعدك ﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ أي لا يعجزون الله ولا يفوتونه حتّى لا يثقفنّهم يوم القيامة أو لا يعجزونك ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ هذا أمر منه سبحانه بأن يعدّوا السلاح قبل لقاء العدوّ، روي أنّ القوّة الرمي، وقيل: إنّها اتّفاق الكلمة والثقة بالله تعالى والرغبة في ثوابه، وقيل: الحصون ﴿وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾ أي ربطها واقتنائها للغزو ﴿تُرْهِبُونَ بِهِ﴾ أي تخيفون بما تعدّونه لهم ﴿عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ يعني مشركي مكّة وكفّار العرب ﴿وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ﴾ أي وترهبون كفّاراً آخرين دون هؤلاء، واختلفوا في الآخرين فقيل: إنّهم بنو قريظة وقيل: هم أهل فارس، وقيل: هم المنافقون لا يعلم المسلمون أنهم أعداؤهم وهم أعداؤهم ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ﴾ أي لا تعرفونهم لأنّهم يصلّون ويصومون، ويقولون: لا إله إلاّ الله، محمّد رسول الله، ويختلطون بالمؤمنين ﴿اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ أي يعرفهم لأنه المطّلع على الأسرار، وقيل: هم الجنّ ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي في الجهاد، وفي طاعة الله ﴿يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ أي يوفر عليكم ثوابه في الآخرة ﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ أي لا تنقصون شيئاً منه ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ﴾ أي مالوا إلى الصلح وترك الحرب ﴿فَاجْنَحْ لَهَا﴾ أي مل إليها، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ أي فوض أمرك إلى الله ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ لا تخفى عليه خافية، وقيل: إنّها منسوخة بقوله: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ وقيل: إنّها ليست بمنسوخة لأنّها في الموادعة لأهل الكتاب والأخرى لعبّاد الأوثان ﴿وَإِن يُرِيدُوا﴾ أي الّذين يطلبون منك الصلح ﴿أَن يَخْدَعُوكَ﴾ بأن تكفّوا عن القتال حتّى يقووا فيبدأوكم بالقتال من غير استعداد منكم ﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ﴾ أي فإن الّذي يتولّى كفايتك الله ﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ أي قوّاك بالنصر من عنده وبالمؤمنين الّذين ينصرونك ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ وأراد بالمؤمنين الأنصار، وهم الأوس والخزرج عن أبي جعفر عليه السلام والسدّيّ وأكثر المفسّرين وأراد بتأليف القلوب ما

(١) مجمع البيان، ج ٣ ص ٣٥٤.

كان بين الأوس والخزرج من المعاداة والقتال، فإنّه لم يكن حيّان من العرب بينهما من العداوة مثل ما كان بين هذين الحيّين فألّف الله قلوبهم حتّى صاروا متوادّين متحابّين ببركة نبيّنا صلى الله عليه وآله وقيل: أراد كلّ متحابّين في الله ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ أي لم يمكنك جمع قلوبهم على الألفة ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ بأن لطف لهم بحسن تدبيره وبالإسلام الّذي هداهم إليه ﴿عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ لا يمتنع عليه شيء يريد فعله، ولا يفعل إلاّ ما تقتضيه الحكمة قال الزجّاج: وهذا من الآيات العظام، وذلك أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله بعث إلى قوم أنفتهم شديدة، بحيث لو لطم رجل من قبيلة لطمة قاتل عنه قبيلة، فألّف الإيمان بين قلوبهم حتّى قاتل الرجل أباه وأخاه وابنه، فأعلم الله سبحانه أنّ هذا ما تولّاه منهم إلاّ هو ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي كافيك الله ويكفيك متّبعوك من المؤمنين، وقال الحسن معناه الله حسبك وحسب من اتّبعك، أي يكفيك ويكفيهم قال الكلبيّ نزلت هذه الآية بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾ أي رغبهم فيه ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ﴾ على القتال ﴿يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ من العدو ﴿وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ اللفظ خبر والمراد به الأمر ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ أي ذلك النصر من الله تعالى لكم على الكفّار والخذلان للكفّار بأنكم تفقهون أمر الله، وتصدّقونه فيما وعدكم من الثواب فيدعوكم ذلك إلى الصبر على القتال والجدّ فيه والكفّار لا يفقهون أمر الله ولا يصدّقونه، ولمّا علم الله تعالى أنّ ذلك يشقّ عليهم تغيّرت المصلحة في ذلك فقال: ﴿الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ﴾ الحكم في الجهاد ﴿وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ أراد به ضعف البصيرة والعزيمة، ولم يرد ضعف البدن ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ﴾ على القتال ﴿يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ من العدو ﴿وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ﴾ صابرة ﴿يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي بعلم الله أو بأمره ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ أي معونة الله معهم[1].

وقال رحمه الله في قوله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ هذا في أمر الدين، فأمّا في أمر الدنيا فلا بأس بمجالستهم ومعاشرتهم لقوله سبحانه: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ وروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام أنّها نزلت في حاطب بن أبي بلتعة حيث كتب إلى قريش يخبرهم بخبر النبيّ صلى الله عليه وآله لمّا أراد فتح مكّة، وقال ابن عبّاس: لمّا أمر الله سبحانه المؤمنين بالهجرة وأرادوا الهجرة فمنهم من تعلّقت به زوجته، ومنهم من تعلّق به أبواه وأولاده، فكانوا يمنعونهم من الهجرة فيتركون الهجرة لأجلهم، فبيّن سبحانه أنّ أمر الدين مقدّم على النسب وإذا وجب قطع قرابة الأبوين فالأجنبيّ أولى ﴿إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ﴾ أي اختاروه عليه ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ﴾ فترك طاعة الله لأجلهم وأطلعهم على أسرار المسلمين ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ لنفوسهم والباخسون حقها من الثواب ﴿قُلْ﴾ يا محمّد

(١) مجمع البيان، ج ٤ ص ٤٨٧.

لهؤلاء المتخلفين عن الهجرة: ﴿إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَعَشِيرَتُكُمْ﴾ أي أقاربكم ﴿وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا﴾ أي اكتسبتموها ﴿وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا﴾ أي أن تكسد إذا شغلتم بطاعة الله والجهاد ﴿وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ﴾ أي يعجبكم المقام فيها ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم﴾ أي آثر في نفوسكم ﴿مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ أي من طاعتهما ﴿وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟﴾ أي انتظروا ﴿حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ أي بحكمه فيكم. وقيل: بعقوبتكم إمّا عاجلاً أو آجلاً ﴿فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾ ورد عن الصادقين عليهما السلام أنّهم قالوا: إنّها كانت ثمانين موطناً. ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾ أي قاتلوهم جميعاً مؤتلفين غير مختلفين، بأن يكون حالاً عن المسلمين، ويجوز أن يكون حالاً عن المشركين[1].

وقال رحمه الله في قوله تعالى: ﴿جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ﴾ بالسيف والقتال ﴿وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ باللسان والوعظ والتخويف، أو بإقامة الحدود، وروي في قراءة أهل البيت عليهم السلام ﴿جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ بِٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ قالوا: لأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لم يكن يقاتل المنافقين، وإنّما كان يتألّفهم، ولأنّ المنافقين لا يظهرون الكفر، وعلم الله تعالى بكفرهم لا يبيح قتلهم إذا كانوا يظهرون الإيمان ﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ وأسمعهم الكلام الغليظ الشديد[2].

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ قيل: كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا خرج غازياً لم يتخلّف عنه إلاّ المنافقون والمعذّرون، فلمّا أنزل الله عيوب المنافقين وبيّن نفاقهم في غزاة تبوك قال المؤمنون: والله لا نتخلّف عن غزاة يغزوها رسول الله صلى الله عليه وآله ولا سريّة أبداً، فلمّا أمر رسول الله صلى الله عليه وآله بالسرايا إلى الغزو نفر المسلمون جميعاً وتركوا رسول الله صلى الله عليه وآله وحده فنزلت الآية عن ابن عبّاس في رواية الكلبيّ، وقيل إنّها نزلت في ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله خرجوا في البوادي فأصابوا من النّاس معروفاً وخصباً، ودعوا من وجدوا من النّاس على الهدى، فقال النّاس: ما نراكم إلاّ وقد تركتم صاحبكم وجئتمونا فوجدوا في أنفسهم من ذلك حرجاً، وأقبلوا كلّهم من البادية حتّى دخلوا على النبيّ صلى الله عليه وآله، فأنزل الله هذه الآية عن مجاهد ﴿لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً﴾ هذا نفي معناه النهي، أي ليس للمؤمنين أن ينفروا إلى الجهاد بأجمعهم، ويتركوا النبيّ صلى الله عليه وآله فريداً، وقيل: معناه ليس عليهم أن ينفروا كلّهم من بلادهم إلى النبيّ صلى الله عليه وآله ليتعلّموا الدين ويضيّعوا من وراءهم ويخلوا ديارهم ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ﴾ فيه وجوه:

أحدها: فهلّا خرج إلى الغزو من كلّ قبيلة جماعة ويبقى مع النبيّ صلى الله عليه وآله جماعة ليتفقّهوا في الدين، يعني الفرقة القاعدين يتعلّمون القرآن والسنن والفرائض والأحكام، فإذا رجعت السرايا وقد نزل بعدهم القرآن وتعلّمه القاعدون قالوا لهم إذا رجعوا إليهم: إنّ الله قد أنزل بعدكم على نبيّكم قرآناً، وقد تعلّمناه فيتعلّمه السرايا، فذلك قوله: ﴿وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟

(١) مجمع البيان، ج ٥ ص ٣٠.
(٢) مجمع البيان، ج ٥ ص ٨٩.

﴿إِلَيْهِمْ﴾ أي وليعلّموهم القرآن ويخوّفوهم به إذا رجعوا إليهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ فلا يعملون بخلافه، وقال الباقر عليه السلام: كان هذا حين كثر النّاس فأمرهم الله أن تنفر منهم طائفة، وتقيم طائفة للتفقّه، وأن يكون الغزو نوباً.

وثانيها: أنّ التفقّه والإنذار يرجعان إلى الفرقة النافرة، وحثّها الله على التفقّه لترجع إلى المتخلّفة فتحذّرها، معنى ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾: ليتبصّروا ويتيقّنوا بما يريهم الله من الظهور على المشركين ونصرة الدين ﴿وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ﴾ من الكفّار ﴿إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾ من الجهاد فيخبرونهم بنصر الله النبيّ صلى الله عليه وآله والمؤمنين ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ أن يقاتلوا النبيّ صلى الله عليه وآله فينزل بهم ما نزل بأصحابهم من الكفّار.

وثالثها: أنّ التفقّه راجع إلى النافرة، والتقدير ما كان لجميع المؤمنين أن ينفروا إلى النبيّ صلى الله عليه وآله ويخلوا ديارهم، ولكن لينفر إليه من كلّ ناحية طائفة ليسمع كلامه، ويعلّم الدين منه، ثمّ ترجع إلى قومها فيبيّن لهم ذلك وينذرهم عن الجبائيّ، قال: والمراد بالنفر هنا الخروج لطلب العلم ﴿الَّذِينَ يَلُونَكُم﴾ أي من قرب منكم ﴿مِّنَ الْكُفَّارِ﴾ الأقرب منهم فالأقرب في النسب والدار. قال الحسن: كان هذا قبل الأمر بقتال المشركين كافّة، وقال غيره: هذا الحكم قائم الآن، لأنّه لا ينبغي لأهل بلد أن يخرجوا إلى قتال الأبعد، ويدعوا الأقرب والأدنى، لأنّ ذلك يؤدّي إلى الضرر، وربّما يمنعهم ذلك عن المضي في وجهتهم إلّا أن تكون بينهم وبين الأقرب موادعة فلا بأس حينئذٍ بمجاوزة الأقرب إلى الأبعد ﴿وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ أي شجاعة أو شدّة أو صبراً على الجهاد[1].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ قال البيضاويّ: أي غائلة المشركين ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ﴾ في أمانة الله ﴿كَفُورٍ﴾ كمن يتقرّب إلى الأصنام بذبيحته فلا يرضى فعلهم ولا ينصرهم ﴿أُذِنَ﴾ رخّص ﴿لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ﴾ المشركين، والمأذون فيه محذوف لدلالته عليه، وقرأ نافع وابن عامر وحفص بفتح التاء أي للّذين يقاتلونهم المشركون ﴿بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا﴾ بسبب أنّهم ظلموا وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، كان المشركون يؤذونهم وكانوا يأتونه من بين مضروب ومشجوج يتظلّمون إليه، فيقول لهم: اصبروا فإنّي لم أؤمر بالقتال، حتّى هاجر فأنزلت، وهي أوّل آية نزلت في القتال بعدما نهي عنه في نيّف وسبعين آية ﴿وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ وعد لهم بالنصر كما وعد بدفع أذى الكفّار عنهم ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم﴾ يعني مكّة ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ بغير موجب استحقّوا به ﴿إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ على طريقة قول النابغة:

ولا عيب فيهم غير أنّ سيوفهم ... بهنّ فلول من قراع الكتائب

وقيل: منقطع.

---

(١) مجمع البيان ج ٥ ص ١٤٣.

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ بتسليط المؤمنين منهم على الكافرين ﴿لَّهُدِّمَتْ﴾ لخربت باستيلاء المشركين على أهل الملل ﴿صَوَٰمِعُ﴾ صوامع الرهبانيّة ﴿وَبِيَعٌ﴾ وبيع النصارى ﴿وَصَلَوَٰتٌ﴾ وكنائس اليهود، وسمّيت بها لأنّها يصلّى فيها، وقيل: أصله صلوتا بالعبرانيّة فعرّبت ﴿وَمَسَٰجِدُ﴾ ومساجد المسلمين ﴿يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ صفة للأربع أو المساجد خصت بها تفضيلاً ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ أي ينصر دينه، وقد أنجز الله وعده بأن سلّط المهاجرين والأنصار على صناديد العرب وأكاسرة العجم وقياصرتهم، وأورثهم أرضهم وديارهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ﴾ على نصرهم ﴿عَزِيزٌ﴾ لا يمانعه شيء[(١)].

وقال في قوله تعالى: ﴿لَوْلَا نُزِّلَتْ﴾ أي هلا نزلت سورة في أمر الجهاد؟ ﴿فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ﴾ مبيّنة لا تشابه فيها ﴿وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ﴾ أي الأمر به ﴿رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ ضعف في الدين، وقيل: نفاق ﴿يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ جبناً ومخافة ﴿فَأَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ فويل لهم أفعل من الولي وهو القرب أو فعلى من آل، ومعناه الدعاء عليهم بأن يليهم المكروه، أو يؤول إليه أمرهم ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ استئناف، أي أمرهم طاعة، أو طاعة وقول معروف خير لهم، أو حكاية قولهم لقراءة أبيّ: «يقولون طاعة»؟

﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ﴾ أي جدّ وهو لأصحاب الأمر وإسناده إليه مجاز ﴿فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أي فيما زعموا من الحرص على الجهاد أو الإيمان ﴿لَكَانَ﴾ الصدق ﴿خَيْرًا لَّهُمْ (٢١) فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾ فهل يتوقع منكم ﴿إِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ أمور النّاس وتأمّرتم عليهم، أو أعرضتم وتولّيتم عن الإسلام ﴿أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ﴾ تناجزاً على الولاية وتجاذباً لها ﴿فَلَا تَهِنُوا۟﴾ فلا تضعفوا ﴿وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ﴾ ولا تدعوا إلى الصلح تذلّلا، ويجوز نصبه بإضمار أن ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ الأغلبون ﴿وَٱللَّهُ مَعَكُمْ﴾ ناصركم ﴿وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ ولن يضيع أعمالكم، من وترت الرجل: إذا قتلت متعلّقاً له من قريب أو حميم، فأفردته عنه من الوتر، شبّه به تعطيل ثواب العمل وإفراده منه[(٢)].

وفي قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ﴾ الثبات والطمأنينة ﴿فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ حتى يثبتوا حيث تقلّق النفوس وتدحض الأقدام ﴿لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ يقيناً مع يقينهم برسوخ العقيدة واطمئنان النفس عليها، أو أنزل فيها السكون إلى ما جاء به الرسول ليزدادوا إيماناً بالشرائع مع إيمانهم بالله وباليوم الآخر ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يدبّر أمرها فيسلّط بعضها على بعض تارة، ويوقع فيما بينهم السلم أخرى كما تقتضيه حكمته ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾ الأمر السوء وهو أن لا ينصر رسوله والمؤمنين ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ دائرة ما يظنّونه ويتربّصونه بالمؤمنين لا يتخطّاهم[(٣)].

---

(١) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ١٤٦.

(٢) - (٣) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ١٥٠ -١٥٦.

وقال الطبرسيّ: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يعني الملائكة والجنّ والإنس والشياطين، والمعنى لو شاء لأعانكم بهم. وفيه بيان أنّه لو شاء لأهلك المشركين، لكنّه عالم بهم وبما يخرج من أصلابهم، فأمهلهم لعلمه وحكمته، ولم يأمر بالقتال عن عجز واحتياج، لكن ليعرض المجاهدين لجزيل الثواب[1] ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ﴾ الذين تخلّفوا عنك في الخروج إلى الحديبيّة ﴿مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ﴾ فيما بعد ﴿إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ وهم هوازن وحنين، وقيل: هوازن وثقيف، وقيل: بنو حنيفة مع مسيلمة، وقيل: أهل فارس، وقيل الروم، وقيل: هم أهل صفّين أصحاب معاوية ﴿تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ معناه إنّ أحد الأمرين لا بدّ أن يقع لا محالة، وتقديره أو هم يسلمون، أي يقرّون بالإسلام ويقبلونه، وقيل: ينقادون لكم ﴿فَإِن تُطِيعُوا﴾ أي في قتالهم ﴿كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ﴾ أي عن الخروج إلى الحديبيّة ﴿وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ يعني فتح خيبر، وقيل: فتح مكّة ﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾ يعني غنائم خيبر، وقيل: غنائم هوازن ﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً﴾ مع النبيّ ﷺ ومن بعده إلى يوم القيامة ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ﴾ يعني غنيمة خيبر ﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ﴾ وذلك أنّ النبيّ ﷺ لمّا قصد خيبر وحاصر أهلها همّت قبائل من أسد وغطفان أن يغيروا على أموال المسلمين وعيالهم بالمدينة، فكفّ الله أيديهم عنهم بإلقاء الرعب في قلوبهم، وقيل: إنّ مالك بن عوف وعيينة بن حصين مع بني أسد وغطفان جاءوا لنصرة اليهود من خيبر فقذف الله الرعب في قلوبهم وانصرفوا ﴿وَلِتَكُونَ﴾ الغنيمة الّتي عجلها لهم ﴿آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ على صدقك حيث وعدتهم أن يصيبوها، فوقع المخبر على وفق الخبر ﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ أي ويزيدكم هدى بالتصديق بمحمّد ﷺ وما جاء به ممّا ترون من عدة الله في القرآن بالفتح والغنيمة[2] ﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا﴾ أي وعدكم الله مغانم أخرى لم تقدروا عليها بعد أو قرية أخرى وهي مكّة، وقيل: هي ما فتح الله على المسلمين بعد ذلك إلى اليوم، وقيل: إنّ المراد بها فارس والروم ﴿قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا﴾ أي قدرة أو علماً ﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من قريش يوم الحديبية ﴿لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ﴾ منهزمين وقيل: الّذين كفروا من أسد وغطفان الذين أرادوا نهب ذراري المسلمين ﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾ أي هذه سنّتي في أهل طاعتي وأهل معصيتي، أنصر أوليائي وأخذل أعدائي[3]. ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ﴾ لأن القتال قبل الفتح كان أشدّ، والحاجة إلى النفقة وإلى الجهاد كان أكثر وأمسّ[4].

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ﴾ قال ابن عبّاس: نزل قوله: ﴿مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ﴾ في أموال كفّار أهل القرى وهم قريظة وبنو النضير وهما بالمدينة، وفدك وهي من المدينة على ثلاثة أميال، وخيبر، وقرى عرينة وينبع، جعلها الله لرسوله ﷺ

(١) مجمع البيان، ج ٩ ص ١٨٦.
(٢) مجمع البيان، ج ٩ ص ١٩٣.
(٣) مجمع البيان، ج ٩ ص ٢٠٦.
(٤) مجمع البيان، ج ٩ ص ٢٨٦.

يحكم فيها ما أراد، وأخبر أنّها كلّها له، فقال أناس: فهلا قسّمها فنزلت الآية، وقيل: إنّ الآية الأولى بيان أموال بني النضير خاصّة لقوله: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ﴾ والآية الثانية بيان الأموال الّتي أصيبت بغير قتال، وقيل: إنّهما واحد، والآية الثانية بيان قسم المال الّذي ذكره الله في الآية الأولى، وعن ابن عبّاس قال: قال رسول الله ﷺ يوم بني النضير: إن شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم وتشاركونهم في هذه الغنيمة، وإن شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم ولا يقسم لكم شيء من الغنيمة، فقال لهم الأنصار: بل نقسم لهم من أموالنا وديارنا، ونؤثرهم بالغنيمة، ولا نشاركهم فيها، فنزلت ﴿وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ الآية ﴿مِنۡهُمۡ﴾ أي من اليهود الّذين أجلاهم ﴿فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ﴾ من الوجيف: سرعة السير، أي لم تسيروا إليها على خيل ولا إبل، والركاب: الإبل الّتي تحمل القوم ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۚ﴾ أي يمكّنهم من عدوّهم من غير قتال بأن يقذف الرعب في قلوبهم، جعل الله أموال بني النضير لرسوله ﷺ خاصّة، يفعل بها ما يشاء، فقسمها رسول الله ﷺ بين المهاجرين، ولم يعط الأنصار منها شيئاً إلاّ ثلاثة نفر كانت بهم حاجة، وهم أبو دجانة وسهل بن حنيف والحارث بن صمة ﴿مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ﴾ أي من أموال كفّار أهل القرى ﴿فَلِلَّهِ﴾ يأمر فيه بما أحبّ ﴿وَلِلرَّسُولِ﴾ بتمليك الله إيّاه ﴿وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ يعني أهل بيت رسول الله ﷺ وقرابته وهم بنو هاشم ﴿وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ منهم ﴿كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ﴾ الدولة: الشيء الّذي يتداوله القوم بينهم، أي لئلا يكون الفيء متداولاً بين الرؤساء منكم، يعمل فيه كما كان يعمل في الجاهلية ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ أي ما أعطاكم من الفيء فارضوا به، وما أمركم به فافعلوه، قال الزجّاج: ثمّ بيّن سبحانه من المساكين الّذين لهم الحقّ؟ فقال: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ﴾ ثم ثنّى سبحانه بوصف الأنصار ومدحهم حتّى طابت أنفسهم عن الفيء فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ﴾ الآية[1].

﴿وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ﴾ أي وتجارة اخرى، أو خصلة أخرى تحبّونها عاجلاً مع ثواب الآجل ﴿نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي على قريش ﴿وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ﴾ أي فتح مكّة، وقيل: فتح فارس والروم وسائر فتوح الإسلام على العموم[2].

وقال في قوله تعالى: ﴿جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ روي عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قرأ «جاهد الكفار بالمنافقين» وقال: إنّ رسول الله ﷺ لم يقاتل منافقاً قطّ إنّما كان يتألّفهم[3].

١ - كا: عليّ، عن أبيه، عن البزنطيّ، عن معاوية بن عمّار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: شعارنا يا محمّد يا محمّد، وشعارنا يوم بدر يا نصر الله اقترب اقترب وشعار المسلمين يوم أحد يا نصر الله اقترب، ويوم بني النضير يا روح القدس أرح، ويوم بني قينقاع يا ربّنا لا

---

(١) مجمع البيان، ج ٩ ص ٤٣٠. (٢) مجمع البيان، ج ٩ ص ٤٦٦.
(٣) مجمع البيان، ج ١٠ ص ٦٣.

يغلبنّك، ويوم الطائف يا رضوان، وشعار يوم حنين يا بني عبد الله يا بني عبد الله، ويوم الأحزاب حم لا ينصرون ويوم بني قريظة يا سلام أسلمهم، ويوم المريسيع وهو يوم بني المصطلق ألا إلى الله الأمر، ويوم الحديبية ألا لعنة الله على الظالمين، ويوم خيبر يوم القموص يا عليّ ائتهم من عل، ويوم الفتح نحن عبّاد الله حقّاً حقّاً، ويوم تبوك يا أحد يا صمد، ويوم بني الملوح أمت أمت، ويوم صفّين يا نصرالله، وشعار الحسين عليه السلام يا محمّد، وشعارنا يا محمد[١].

بيان: الشعار ككتاب: العلامة في الحرب، وقال الجزريّ: في حديث الجهاد إذا بيّتم فقولوا: «حم لا ينصرون» قيل: معناه اللّهمّ لا ينصرون، ويريد به الخبر لا الدعاء لأنّه لو كان دعاء لقال: «لا ينصروا» مجزوماً، فكأنّه قال: والله لا ينصرون، وقيل: إنّ السور الّتي أوّلها حم سور لها شأن، فنبّه أنّ ذكرها لشرف منزلتها ممّا يستظهر به على استنزال النصر من الله، وقوله: لا ينصرون كلام مستأنف كأنّه حين قال: قولوا: حم، قيل: ماذا يكون إذا قلناها؟ فقال: لا ينصرون، وقال: وفيه كان شعارنا يا منصور أمت، وهو أمر بالموت، والمراد به التفأل بالنصر بعد الأمر بالإماتة مع حصول الغرض للشعار، فإنّهم جعلوا هذه الكلمة علامة بينهم يتعارفون بها لأجل ظلمة اللّيل انتهى.

وقال الجوهريّ: يقال: أتيته من عل الدار بكسر اللام، أي من عال وأتيته من علُ بضمّ اللام.

أقول: وفي بعض روايات العامة: أمت أمت بدون يا منصور، فقالوا: المخاطب هو الله تعالى، والظاهر أنّ المخاطب كلّ واحد من المقاتلين لا سيّما في هذه الرواية.

٢ - **كا:** عليّ، عن أبيه، عن بعض أصحابه، عن السكونيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قدم أناس من مزينة على النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: ما شعاركم؟ قالوا حرام، قال: بل شعاركم حلال[٢].

٣ - وروي أيضاً أنّ شعار المسلمين يوم بدر يا منصور أمت، وشعار يوم أحد للمهاجرين يا بني عبد الله، يا بني عبد الرحمن، وللأوس يا بني عبد الله[٣].

٤ - **نوادر الراونديّ:** بإسناده عن موسى بن جعفر، عن آبائه عليهم السلام مثل الخبرين: وفي آخر الأخيرة يا بني عبيد الله[٤].

٥ - **وبهذا الإسناد قال:** قال رسول الله صلى الله عليه وآله لسريّة بعثها: ليكن شعاركم حم لا ينصرون، فإنّه اسم من أسماء الله تعالى عظيم[٥].

---

(١) (٣) الكافي، ج ٥ ص ٦١٥ باب ٢١ ح ١ وح ٢.

(٤) - (٥) نوادر الراوندي، ص ١٧١ ح ٢٧٧ و٢٧٨.

٦ - وبهذا الإسناد عن عليّ عليه السلام قال: كان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يوم مسيلمة يا أصحاب البقرة، وكان شعار المسلمين مع خالد بن الوليد أمت أمت(١).

٧ - مع: ابن المتوكّل، عن السعدآباديّ، عن البرقيّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال في رجل نذر أن يتصدّق بمال كثير، فقال: الكثير ثمانون فما زاد، لقول الله تبارك وتعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾ وكانت ثمانين موطناً(٢).

٨ - فس: محمّد بن عمر قال: كان المتوكّل قد اعتلّ علّة شديدة، فنذر إن عافاه الله أن يتصدّق بدنانير كثيرة، أو قال: دراهم كثيرة، فعوفي، فجمع العلماء فسألهم عن ذلك فاختلفوا عليه، قال أحدهم: عشرة آلاف، وقال بعضهم: مائة ألف، فلمّا اختلفوا قال له عبادة: ابعث إلى ابن عمّك عليّ بن محمّد بن عليّ الرضا عليه السلام فاسأله فبعث إليه فسأله فقال: الكثير ثمانون، فقال له: رد إليه الرسول فقل: من أين قلت ذلك؟ قال: من قول الله تبارك وتعالى لرسوله: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾ وكانت المواطن ثمانين موطناً(٣).

كا: عليّ بن إبراهيم، عن بعض أصحابه مثله(٤).

٩ - ما: ابن مخلّد، عن محمّد بن عبد الواحد النحويّ، عن حنبل بن إسحاق عن عمرو ابن عون، عن عبد الله بن حكيم، عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن حبّة العرنيّ، عن عقيبة أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كتب إليه كتاباً فرقع به دلوه فقالت له ابنته: عمدت إلى كتاب سيّد العرب فرقعت به دلوك؟ ليصيبنّك بلاء، قال: فأغارت عليه خيل النبيّ صلى الله عليه وآله فهرب، وأخذ كلّ قليل وكثير هو له، ثمّ جاء بعد مسلماً فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله: انظر ما وجدت من متاعك قبل قسمة السهام فخذه(٥).

أقول: سيأتي ذكر بعض غزواته صلى الله عليه وآله النادرة في باب أحوال أصحابه صلى الله عليه وآله.

١٠ - كا: عليّ، عن أبيه، عن النوفليّ، عن السكونيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وآله جيشاً إلى خثعم، فلمّا غشيهم استعصموا بالسجود، فقتل بعضهم، فبلغ ذلك النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: أعطوا الورثة نصف العقل بصلاتهم، وقال النبيّ صلى الله عليه وآله: ألا إنّي بريء من كلّ مسلم نزل مع مشرك في دار الحرب(٦).

---

(١) نوادر الراوندي، ص ١٧١ ح ٢٨٩.
(٢) معاني الأخبار، ص ٢١٨.
(٣) تفسير القمي، ج ١ ص ٢٨٤.
(٤) الكافي، ج ٧ ص ٤٦٣ باب ٢٨٦ ح ٢١.
(٥) أمالي الطوسي، ص ٣٨٧ مجلس ١٤ ح ٨٤٧.
(٦) الكافي، ج ٥ ص ٤٣ باب ١٧ ح ١.

بيان: قال في النهاية: إنّما أمر بالنصف لأنّهم قد أعانوا على أنفسهم بمقامهم بين ظهراني الكفّار، فكانوا كمن هلك بجناية نفسه وجناية غيره فتسقط حصّة جنايته من الدية.

١١ - **نوادر الراونديّ:** بإسناده عن موسى بن جعفر، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام مثله[١].

١٢ - وبهذا الإسناد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تقتلوا في الحرب إلاّ من جرت عليه المواسي[٢].

١٣ - وبهذا الإسناد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أمير القوم أقطفهم دابّة[٣].

١٤ - وبهذا الإسناد قال: قال عليّ عليه السلام: لمّا بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله إلى اليمن قال: يا عليّ لا تقاتل أحداً حتّى تدعوه إلى الإسلام، وأيم الله لئن يهد الله على يديك رجلاً خير لك ممّا طلعت عليه الشمس ولك ولاؤه[٤].

بيان: من جرت عليه المواسي، أي من نبتت عانته، لأنّ المواسي إنّما تجري على من أنبت، أراد من بلغ الحلم من الكفّار، ذكره الجزريّ، وقال: القطاف تقارب الخطو في سرعة، ومنه الحديث: أقطف القوم دابّة أميرهم، أي إنّهم يسيرون بسير دابّته فيتبعونه كما يتبع الأمير.

١٥ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن محمّد بن يحيى، عن طلحة بن زيد، عن أبي عبد الله، عن أبيه عليهما السلام قال: قرأت في كتاب لعليّ عليه السلام إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كتب كتاباً بين المهاجرين والانصار ومن لحق بهم من أهل يثرب: إنّ كلّ غازية غزت بما يعقب بعضها بعضاً بالمعروف والقسط بين المسلمين فإنّه لا يجار حرمة إلاّ بإذن أهلها، وإنّ الجار كالنفس غير مضارّ ولا آثم، وحرمة الجار على الجار كحرمة أمّه وأبيه، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلاّ على عدل سواء[٥].

بيان: أقول: في روايات العامة هكذا: «كل غازية غزت يعقب بعضها بعضاً» قال الجزريُّ: الغازية تأنيث الغازي وهي هنا صفة جماعة غازية والمراد بقوله يعقب بعضها بعضاً أن يكون الغزو بينهم نوباً، فإذا خرجت طائفة ثمّ عادت لم تكلّف أن تعود ثانية حتّى تعقبها أُخرى غيرها انتهى، وعلى رواية الكلينيّ لعلّ قوله: (بما) زيد من النسّاخ، وفي التهذيب: «غزت معنا» فقوله: يعقب خبر، وعلى ما في نسخ الكافي لعلّ قوله: بالمعروف بدل أو بيان لقوله: بما يعقب، وقوله: فإنّه لا يجار خبر، أي كلّ طائفة غازية بما يلزم أن يعقب ويتبع بعضها بعضاً فيه، وهو المعروف والقسط بين المسلمين، فإنّه لا يجار، أي فليعلم هذا

---

(١) - (٣) نوادر الراوندي، ص ١٤٦ ح ٢٠١-٢٠٣. (٤) نوادر الراوندي، ص ١٣٩ ح ١٨٧.

(٥) الكافي، ج ٥ ص ٦٠٧ باب ٩ ح ٥. والكتاب طويل ذكره ابن هشام في سيرته كاملاً.

الحكم، وفي بعض النسخ لا يجوز حرب، والأوّل هو الموافق لنسخ التهذيب، أي لا ينبغي أن يجار حرمة كافر إلّا بإذن أهل الغازية، أي سائر الجيش، وإنّ الجارّ كالنفس، أي من أمنته ينبغي محافظته ورعايته كما تحفظ نفسك، غير مضارّ إمّا حال عن المجير على صيغة الفاعل، أي يجب أن يكون المجير غير مضارّ ولا آثم في حقّ المجار، أو من المجار فيحتمل بناء المفعول أيضاً، بل الأوّل يحتمل ذلك، قوله ﷺ: لا يسالم مؤمن دون مؤمن، أي لا يصالح واحد دون أصحابه، وإنّما يقع الصلح بينهم وبين عدوّهم باجتماع ملئهم على ذلك.

أقول: قال الطبرسيّ ؒ في مجمع البيان: قال المفسّرون: جميع ما غزا رسول الله ﷺ بنفسه ست وعشرون غزاة، فأوّل غزاة غزاها الأبواء، ثمّ غزاة بواط، ثمّ غزاة العشيرة، ثمّ غزاة البدر الاولى، ثمّ بدر الكبرى، ثمّ غزاة بني سليم ثمّ غزاة السويق، ثمّ غزاة ذي أمر، ثمّ غزاة أحد، ثمّ غزاة نجران، ثمّ غزاة الاسد ثمّ غزاة بني النضير، ثمّ غزاة ذات الرقاع، ثمّ غزاة بدر الاخيرة، ثمّ غزاة دومة الجندل ثمّ غزاة الخندق، ثمّ غزاة بني قريظة، ثمّ غزاة بني لحيان، ثمّ غزاة بني قرد، ثمّ غزاة بني المصطلق، ثمّ غزاة الحديبية، ثمّ غزاة خيبر، ثمّ غزاة الفتح: فتح مكّة ثمّ غزاة حنين، ثمّ غزاة الطائف، ثمّ غزاة تبوك. قاتل ﷺ منها في تسع غزوات: غزاة بدر الكبرى، وهو الجمعة السابع عشر من شهر رمضان سنة اثنتين من الهجرة وأحد وهو في شوّال سنة ثلاث والخندق وبنى قريظة في شوّال سنة أربع، وبني المصطلق وبني لحيان في شعبان سنة خمس، وخيبر سنة ستّ، والفتح في رمضان سنة ثمان، وحنين والطائف في شوّال سنة ثمان، فأوّل غزاة غزاها بنفسه وقاتل فيها بدر، وآخرها تبوك، وأمّا عدد سراياه فستّ وثلاثون سريّة على ما عد في مواضعه[1].

١٦ - كا: عليّ، عن أبيه، ومحمّد بن يحيى، عن طلحة بن زيد، عن أبي عبد الله ؑ قال: أغار المشركون على سرح المدينة فنادى فيها مناد: يا سوء صباحاه، فسمعها رسول الله ﷺ في الجبل، فركب فرسه في طلب العدوّ وكان أوّل أصحابه لحقه أبو قتادة على فرس له، وكان تحت رسول الله سرج دفّتاه ليف ليس فيه اشر ولا بطر فطلب العدوّ فلم يلقوا أحداً، وتتابعت الخيل، فقال أبو قتادة: يا رسول الله إنّ العدوّ قد انصرف، فإن رأيت أن نستبق، فقال نعم، فاستبقوا فخرج رسول الله ﷺ سابقاً عليهم، ثمّ أقبل عليهم فقال: أنا ابن العواتك من قريش، إنّه لهو الجواد البحر، يعني فرسه[2].

بيان: السرح: المال الماشية، والدف بالفتح: الجنب من كلّ شيء، أو صفحته كالدفّة، وقال الجزريّ: فيه أنه ﷺ قال: أنا ابن العواتك من سليم، العواتك جمع عاتكة وأصل عاتكة المتضمّخة بالطيب، والعواتك ثلاث نسوة كن من أمّهات النبيّ ﷺ، إحداهنّ

(١) مجمع البيان، ج ٢ ص ٣٨٣.
(٢) الكافي، ج ٥ ص ٦١٧ باب ٢٢ ح ١٦.

عاتكة بنت هلال بن فالج بن ذكوان، وهي أمّ عبد مناف بن قصيّ، والثانية عاتكة بنت مرّة بن هلال بن فالج، وهي أمّ هاشم بن عبد مناف، والثالثة عاتكة بنت الأوقص بن مرّة بن هلال، وهي أمّ وهب أبي آمنة أم النبيّ صلى الله عليه وآله، فالأولى من العواتك عمّة الثانية، والثانية عمّة الثالثة، وبنو سليم تفخر بهذه الولادة، وقال الجوهريّ: قال النبيّ صلى الله عليه وآله يوم حنين: أنا ابن العواتك من سليم، يعني جدّاته، وهنّ تسع عواتك ثلاث منهنّ من بني سليم، وقال: ويسمّى الفرس الواسع الجري بحراً.

١٧ - **كا**: عليّ، عن أبيه، عن البزنطيّ، عن أبان، عن الفضل أبي العبّاس عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُوا۟ قَوْمَهُمْ﴾ قال: نزلت في بني مدلج، لأنّهم جاؤا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا إنّا حصرت صدورنا أن نشهد أنّك رسول الله صلى الله عليه وآله، فلسنا معك ولا مع قومنا عليك قال: قلت: كيف صنع بهم رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: وادعهم إلى أن يفرغ من العرب ثمّ يدعوهم فإن أجابوا وإلا قاتلهم[1].

١٨ - **قب**: لمّا كان بعد سبعة أشهر من الهجرة نزل جبرئيل بقوله: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ﴾ الآية وقلّد في عنقه سيفاً - وفي رواية: لم يكن له غمد - فقال له: حارب بهذا قومك حتّى يقولوا: لا إله إلاّ الله.

أهل السير: إنّ جميع ما غزى النبيّ صلى الله عليه وآله بنفسه ستّ وعشرون غزوة على هذا النسق: الأبواء، بواط العشيرة، بدر الأولى بدر الكبرى، السويق ذي أمر، أحد، نجران بنو سليم، الأسد، بنو النضير، ذات الرقاع، بدر الأخرة دومة الجندل. الخندق، بنو قريظة، بنو لحيان، بنو قرد، بنو المصطلق، الحديبية خيبر، الفتح، حنين، الطائف، تبوك، ويلحق بها بنو قينقاع، قاتل في تسع وهي بدر الكبرى، وأحد، والخندق، وبني قريظة، وبني المصطلق، وبني لحيان، وخيبر، والفتح، وحنين، والطائف.

وأمّا سراياه فستّ وثلاثون: أوّلها سرية حمزة، لقي أبا جهل بسيف البحر في ثلاثين من المهاجرين، وفي ذي القعدة بعث سعد بن أبي وقّاص في طلب عير ثمّ عبيدة بن الحارث بعد سبعة أشهر في ستّين من المهاجرين نحو الجحفة إلى أبي سفيان فتراموا بالاحياء.

ابن إسحاق: وغزى في ربيع الآخر إلى قريش وبني ضمرة وكرز بن جابر الفهريّ حتّى بلغ بواط.

السنة الثانية في صفر غزا ودّان حتّى بلغ الأبواء، وفي ربيع الآخر غزوة العشيرة من بطن ينبع وودادع فيها بني مدلج وضمرة، وأغار كرز بن جابر الفهريّ على سرح المدينة، فاستخلف على المدينة زيد بن حارثة وخرج حتّى بلغ وادي سفوان بدر الاولى وحامل لوائه عليّ، ثمّ بعث في آخر رجب عبد الله بن جحش في أصحابه ليرصد قريشاً فقتل واقد بن عبد الله التميميّ

---

(١) روضة الكافي المطبوع مع الاصول، ص ٨٢٥ ح ٥٠٤.

عمرو بن الجموح الحضرميّ وهرب الحكم بن كيسان وعثمان بن عبد الدار وأخوه واستأمن الباقون، واستاقوا العير إلى النبيّ ﷺ، فقال: والله ما أمرتكم بالقتال في الشهر الحرام، وذلك تحت النخلة فسمّي غزوة النخلة، فنزل: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ الآية، فأخذ العير وفدى الأسيرين ثمّ غزى بدر الكبرى[1].

١٩ - أقول: في تفسير النعمانيّ بسنده المذكور في كتاب القرآن عن الصادق عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام في ذكر الناسخ والمنسوخ: ومنه أنّ الله تبارك وتعالى لمّا بعث محمداً ﷺ أمره في بدء أمره أن يدعو بالدعوة فقط، وأنزل عليه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾﴾ فبعثه الله بالدعوة فقط، وأمره أن لا يؤذيهم، فلمّا أرادوه بما همّوا به من تبييت أمره الله تعالى بالهجرة وفرض عليه القتال فقال سبحانه: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ فلما أمر النّاس بالحرب جزعوا وخافوا فأنزل الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ إلى قوله سبحانه: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾ فنسخت آية القتال آية الكف، فلمّا كان يوم بدر وعرف الله تعالى حرج المسلمين أنزل على نبيه: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ فلما قوي الإسلام وكثر المسلمون أنزل الله تعالى: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ فنسخت هذه الآية الآية الّتي أذن لهم فيها أن يجنحوا، ثمّ أنزل الله سبحانه في آخر السورة ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ﴾ إلى آخر الآية، ومن ذلك أنّ الله تعالى فرض القتال على الأمّة فجعل على الرجل الواحد أن يقاتل عشرة من المشركين فقال: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ إلى آخر الآية، ثمّ نسخها سبحانه فقال: ﴿الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ إلى آخر الآية فنسخ بهذه الآية ما قبلها، فصار من فرّ من المؤمنين في الحرب إن كانت عدّة المشركين أكثر من رجلين لرجل لم يكن فاراً من الزحف، وإن كانت العدّة رجلين لرجل كان فاراً من الزحف وساق الحديث إلى قوله عليه السلام: ونسخ قوله سبحانه: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ يعني اليهود حين هادنهم رسول الله ﷺ، فلمّا رجع من غزاة تبوك أنزل الله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ نسخت هذه الآية تلك الهدنة.

٢٠ - كا: عليّ، عن أبيه، عن البزنطيّ، عن أبان بن عثمان، عن زرارة عن أبي

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب، ج ١ ص ٢٣٧.

جعفر عليه السلام أنّ ثمامة بن أثال أسرته خيل النبيّ صلى الله عليه وآله وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «اللّهمّ أمكنّي من ثمامة» فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّي مخيّرك واحدة من ثلاث: أقتلك، قال: إذاً تقتل عظيماً، أو أفاديك، قال: إذاً تجدني غالياً، أو أمنّ عليك، قال: إذاً تجدني شاكراً، قال: فإنّي قد مننت عليك، قال: فإنّي أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنك رسول الله، وقد والله علمت أنّك رسول الله حيث رأيتك، وما كنت لأشهد بها وأنا في الوثاق[1].

٢١ - كا: عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن معاوية بن عمّار قال: أظنّه عن أبي حمزة الثماليّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا أراد أن يبعث سريّة دعاهم فأجلسهم بين يديه، ثمّ يقول: «سيروا باسم الله وبالله، وفي سبيل الله، وعلى ملّة رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا تغلّوا، ولا تمثّلوا، ولا تغدروا، ولا تقتلوا شيخاً فانياً ولا صبيّاً ولا امرأة، ولا تقطعوا شجراً إلاّ أن تضطروا إليها، وأيّما رجل من أدنى المسلمين أو أفضلهم نظر إلى رجل من المشركين فهو جار حتّى يسمع كلام الله، فإن تبعكم فأخوكم في الدين، وإن أبى فأبلغوه مأمنه، واستعينوا بالله عليه[2].

بيان: الغلول: الخيانة في المغنم، والسرقة من الغنيمة قبل القسمة، والغلّ بالكسر: الغشّ والحقد، ويقال: مثل بالقتيل: إذا جدع أنفه وأذنه ومذاكيره أو شيئاً من أطرافه، وأمّا مثّل بالتشديد فهو للمبالغة. إلاّ أن تضطروا إليها، يمكن أن يكون استثناء من الجميع، أو من الأخير فقط بإرجاع الضمير إلى الشجرة والنظر هنا كناية عن الأمان، وستأتي الأحكام مفصّلة في كتاب الجهاد إن شاء الله تعالى.

٢٢ - كا: العدّة، عن أحمد، عن الوشّاء، عن محمّد بن حمران وجميل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا بعث سريّة دعا بأميرها فأجلسه إلى جنبه وأجلس أصحابه بين يديه، ثمّ قال: «سيروا باسم الله» وذكر مثل الحديث الأوّل، ثمّ قال:

عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن جميل، عن أبي عبد الله عليه السلام مثله إلاّ أنّه قال: وأيما رجل من المسلمين نظر إلى رجل من المشركين في أقصى العسكر فأدناه فهو جار[3].

٢٣ - كا: عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفليّ، عن السكونيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام نهى رسول الله صلى الله عليه وآله أن يلقى السم في بلاد المشركين[4].

٢٤ - كا: محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن ابن محبوب، عن عبّاد بن صهيب قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ما بيّت رسول الله صلى الله عليه وآله عدواً قطّ[5].

٢٥ - كا: عليّ، عن أبيه، عن القاسم بن محمّد، عن المنقريّ، عن حفص بن غياث قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن مدينة من مدائن أهل الحرب هل يجوز أن يرسل عليهم

---

(١) روضة الكافي، ص ٨١٣ ح ٤٥٨.
(٢) الكافي، ج ٥ ص ٦٠٥ باب ٨ ح ١.
(٣) الكافي، ج ٥ ص ٦٠٧ باب ٨ ح ٩.
(٤) - (٥) الكافي، ج ٥ ص ٦٠٥ باب ٨ ح ٢ و٣.

الماء، أو تحرق بالنار، أو ترمى بالمناجيق حتّى يقتلوا وفيهم النساء والصبيان والشيخ الكبير والأسارى من المسلمين والتجار؟ فقال: يفعل ذلك بهم ولا يمسك عنهم لهؤلاء، ولا دية عليهم للمسلمين ولا كفارة، وسألته عن النساء كيف سقطت الجزية عنهن ورفعت عنهن؟ فقال: لأنّ رسول الله ﷺ نهى عن قتال النساء والولدان في دار الحرب إلاّ أن يقاتلوا، فإن قاتلت أيضاً فأمسك عنها ما أمكنك ولم تخف خالاً[١].

٢٦ - **كا:** عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفليّ، عن السكونيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّ النبيّ ﷺ كان إذا بعث بسريّة دعا لها[٢].

٢٧ - **كا:** عليّ بن إبراهيم، عن هارون بن مسلم، عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ النبيّ ﷺ كان إذا بعث أميراً له على سريّة أمره بتقوى الله عزّ وجلّ في خاصّة نفسه، ثمّ في أصحابه عامّة، ثمّ يقول: اغزوا باسم الله، وفي سبيل الله تعالى، قاتلوا من كفر بالله، ولا تغدروا، ولا تغلّوا، ولا تمثّلوا، ولا تقتلوا وليداً، ولا متبتّلاً في شاهق، ولا تحرقوا النخل، ولا تغرقوه بالماء، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تحرقوا زرعاً، لأنكم لا تدرون لعلّكم تحتاجون إليه، ولا تعقروا من البهائم ممّا يؤكل لحمه إلاّ ما لا بدّ لكم من أكله، وإذا لقيتم عدوّاً للمسلمين فادعوهم إلى إحدى ثلاث، فإن هم أجابوكم إليها فاقبلوا منهم وكفّوا عنهم، وادعوهم إلى الإسلام، فإن دخلوا فيه فاقبلوه منهم وكفّوا عنهم، وادعوهم إلى الهجرة بعد الإسلام فإن فعلوا فاقبلوا منهم وكفّوا عنهم، وإن أبوا أن يهاجروا واختاروا ديارهم وأبوا أن يدخلوا في دار الهجرة كانوا بمنزلة أعراب المؤمنين يجري عليهم ما يجري على أعراب المؤمنين، ولا يجري لهم في الفيء ولا في القسمة شيء إلاّ أن يهاجروا في سبيل الله، فإن أبوا هاتين فادعوهم إلى إعطاء الجزية عن يد وهم صاغرون، فإن أعطوا الجزية فاقبل منهم وكفّ عنهم، وإن أبوا فاستعن الله عزّ وجل عليهم وجاهدهم في الله حقّ جهاده، وإذا حاصرت أهل الحصن فأرادوك على أن ينزلوا على حكم الله عزّ وجلّ فلا تنزل بهم، ولكن أنزلهم على حكمكم، ثمّ اقض فيهم بعد ما شئتم، فإنّكم إن تركتموهم على حكم الله لم تدروا تصيبوا حكم الله فيهم أم لا، وإذا حاصرت أهل حصن فإن آذنوك على أن تنزلهم على ذمّة الله وذمة رسول الله فلا تنزلهم، ولكن أنزلهم على ذممكم وذمم آبائكم وإخوانكم فإنّكم إن تخفروا ذممكم وذمم آبائكم وإخوانكم كان أيسر عليكم يوم القيامة من أن تخفروا ذمّة الله وذمّة رسول الله[٣].

بيان: الوليد: الصبيّ والعبد، والتبتّل: الانقطاع عن الدنيا إلى الله، والشاهق الجبل المرتفع، والعقر: ضرب قوائم الدابّة بالسيف وهي قائمة، ويستعمل في القتل والإهلاك مطلقاً. قوله ﷺ: إلى إعطاء الجزية، أي إن كانوا أهل الكتاب.

---

(١) - (٢) الكافي، ج ٥ ص ٦٠٦ باب ٨ ح ٦ و٧. (٣) الكافي، ج ٥ ص ٦٠٦ باب ٨ ح ٨.

٢٨ - كا: عليّ، عن أبيه، وعليّ بن محمّد، عن القاسم بن محمّد، عن سليمان بن داود المنقريّ قال: أخبرني النضر بن إسماعيل البجليّ، عن أبي حمزة الثماليّ عن شهر بن حوشب قال: قال لي الحجّاج وسألني عن خروج النبيّ ﷺ إلى مشاهده، فقلت: شهد رسول الله ﷺ بدراً في ثلاثمائة وثلاثة عشر، وشهد أحداً في ستّمائة، وشهد الخندق في تسعمائة، فقال: عمّن؟ قلت: عن جعفر بن محمّد عليه السلام فقال: ضلّ والله من سلك غير سبيله[١].

٢٩ - كا: العدّة، عن ابن عيسى، عن ابن أشيم، عن صفوان والبزنطيّ قالا قال: ما أُخذ بالسيف فذلك إلى الإمام يقبله بالّذي يرى، كما صنع رسول الله ﷺ بخيبر، قبل سوادها وبياضها، يعني أرضها ونخلها، والنّاس يقولون: لا يصلح قبالة الأرض والنخل، وقد قبل رسول الله ﷺ خيبر، وعلى المتقبّلين سوى قبالة الأرض العشر ونصف العشر في حصصهم، وقال: إنّ أهل الطائف أسلموا وجعلوا عليهم العشر ونصف العشر، وإنّ مكّة دخلها رسول الله ﷺ عنوة، فكانوا أسراء في يده فأعتقهم، وقال: اذهبوا فأنتم الطلقاء[٢].

٣٠ - كا: عليّ، عن أبيه والقاسانيّ، عن الإصبهانيّ، عن المنقريّ، عن حفص، عن أبي عبد الله، عن أبيه عليهما السلام قال: بعث الله محمداً ﷺ بخمسة أسياف: ثلاثة منها شاهرة فلا تغمد حتّى تضع الحرب أوزارها - وساق الحديث إلى أن قال: - فسيف على مشركي العرب، قال الله عزّ وجلّ: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا﴾ يعني آمنوا ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ﴾ ﴿فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ فهؤلاء لا يقبل منهم إلاّ القتل أو الدخول في الإسلام، وأموالهم وذراريهم سبي على ما سن رسول الله ﷺ، فإنّه سبى وعفا وقبل الفداء، والسيف الثاني على أهل الذمّة قال الله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ نزلت هذه الآية في أهل الذمّة ثمّ نسخها قوله عزّ وجلّ: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[٣] فمن كان منهم في دار الإسلام فلن يقبل منهم إلاّ الجزية أو القتل، ومالهم، وذراريهم سبي، وإذا قبلوا الجزية على أنفسهم حرم علينا سبيهم، وحرمت أموالهم وحلت لنا مناكحتهم، ومن كان منهم في دار الحرب حل لنا سبيهم وأموالهم، ولم تحلّ لنا مناكحتهم، ولم يقبل منهم إلاّ الدخول في دار الإسلام أو الجزية أو القتل، والسيف الثالث: سيف على مشركي العجم - يعني الترك والديلم والخزر قال الله تعالى: ﴿فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ فأمّا قوله: ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ﴾ يعني بعد السبي منهم ﴿وَإِمَّا فِدَاءً﴾ يعني المفاداة بينهم وبين أهل الإسلام، فهؤلاء لن يقبل منهم إلاّ القتل أو الدخول في الإسلام، ولا يحلّ لنا

---

(١) الكافي، ج ٥ ص ٦١٥ باب ١٩ ح ٣. (٢) الكافي، ج ٣ ص ٢٦٧ باب ٢٨١ ح ٢.
(٣) سورة التوبة، الآية: ٢٩.

مناكحتهم ما داموا في دار الحرب[١].

والخبر طويل أخذنا منه موضع الحاجة.

٣١ - **كا:** عليّ، عن أبيه، عن النوفليّ، عن السكونيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله بعث بسرية فلمّا رجعوا قال: مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي الجهاد الأكبر، قيل: يا رسول الله وما الجهاد الأكبر؟ قال: جهاد النفس[٢].

٣٢ - **نوادر الراونديّ:** بإسناده عن موسى بن جعفر، عن آبائه عليهم السلام مثله[٣].

٣٣ - وبهذا الإسناد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله نصرت بالصبا، وأهلكت عاد بالدبور[٤].

٣٤ - وبهذا الإسناد قال: قال عليّ عليه السلام: اعتمّ أبو دجانة الأنصاريّ وأرخى عذبة العمامة من خلفه بين كتفيه، ثمّ جعل يتبختر بين الصفّين، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ هذه لمشية يبغضها الله تعالى إلاّ عند القتال[٥].

بيان: عذبة كلّ شيء: طرفه، والاعتذاب أن يسبل للعمامة عذبتين من خلفها.

٣٥ - **كا:** عليّ، عن أبيه، عن بكر بن صالح، عن القاسم بن بريد، عن أبي عمرو الزبيريّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: نزلت هذه الآية: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟﴾ في المهاجرين الّذين أخرجهم أهل مكّة من ديارهم وأموالهم، أحل لهم جهادهم بظلمهم إيّاهم، وأذن لهم في القتال الخبر[٦].

٣٦ - **كا:** عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن ابن أذينة، عن زرارة، عن عبد الكريم ابن عتبة الهاشميّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله إنّما صالح الأعراب على أن يدعهم في ديارهم ولا يهاجروا على إن دهمه من عدوّه دهم أنّ يستنفرهم فيقاتل بهم، وليس لهم في الغنيمة نصيب[٧].

بيان: في القاموس: الدهماء: العدد الكثير، ودهمك كسمع ومنع: غشيك وأيّ الدهم هو، أي أيّ الخلق هو؟.

٣٧ - **كا:** عليّ، عن أبيه، ومحمّد بن يحيى، عن محمّد بن الحسين جميعاً، عن عثمان بن عيسى، عن سماعة، عن أحدهما عليهما السلام قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله خرج بالنساء في الحرب حتّى يداوين الجرحى، ولم يقسم لهنّ من الفيء، ولكنه نفلهنّ[٨].

---

(١) الكافي، ج ٥ ص ٥٩٧ باب ٣ ح ٢.
(٢) الكافي، ج ٥ ص ٥٩٨ باب ٣ ح ٣.
(٣) نوادر الراوندي، ص ١٤١ ح ١٩٠.
(٤) نوادر الراوندي، ص ١٠٣ ح ٦٩.
(٥) نوادر الراوندي، ص ١٣٩ ح ١٨٦.
(٦) - (٧) الكافي، ج ٥ ص ٦٠٠ باب ٤ وباب ٧ ح ١ وللحديث صدر وذيل.
(٨) الكافي، ج ٥ ص ٦١٤ باب ١٨ ح ٨.

٣٨ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن ابن عيسى، عن محمّد بن يحيى، عن طلحة بن زيد، عن أبي عبد الله، عن أبيه عليه السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أجرى الخيل الّتي أضمرت من الحصباء إلى مسجد بني زريق، وسبقها من ثلاث نخلات، فأعطى السابق عذقاً، وأعطى المصلّي عذقاً وأعطى الثالث عذقاً[1].

٣٩ - وبهذا الإسناد عن محمّد بن يحيى، عن غياث بن إبراهيم، عن أبي عبد الله عن أبيه، عن عليّ بن الحسين عليه السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أجرى الخيل وجعل سبقها أواقي من فضّة[2].

بيان: تضمير الفرس وإضماره: أن تعلفه حتّى يسمن، ثمّ ترده إلى القوت من الحصباء، الظاهر أنّه تصحيف الحفيا بالفاء، قال في النهاية: في حديث السباق ذكر الحفيا بالمدّ والقصر: موضع بالمدينة على أميال، وبعضهم يقدّم الياء على الفاء انتهى.

وبنو زريق: خلق من الانصار. من ثلاث نخلات، لعلّ كلمة (من) بمعنى (على) كما في قوله: ﴿وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ﴾ أو للسببيّة، والمصلّي: الّذي يلي السابق، والعذق بالفتح: النخلة بحملها.

٤٠ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن عمران بن موسى، عن الحسن بن ظريف، عن عبد الله بن المغيرة رفعه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ قال: الرمي[3].

٤١ - **نوادر الراونديّ:** بإسناده عن موسى بن جعفر، عن آبائه عليهم السلام قال: غزا رسول الله صلى الله عليه وآله غزاة فعطش النّاس عطشاً شديداً، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: هل من ينبعث بالماء؟ فضرب النّاس يميناً وشمالاً، فجاء رجل على فرس أشقر بين يديه قربة من ماء، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: اللّهمّ وبارك في الأشقر[4].

٤٢ - وبهذا الإسناد قال: كان رجل من نجران مع رسول الله صلى الله عليه وآله في غزاة ومعه فرس، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يستأنس إلى صهيله، ففقده، فبعث إليه، فقال: ما فعل فرسك؟ فقال: اشتدّ عليّ شبعه فخصيته، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: مثّلت به الخيل معقود في نواصيها الخير إلى أن يقوم القيامة الخبر[5].

٤٣ - **عم:** قال أهل السير والمفسّرون: إنّ جميع ما غزا رسول الله صلى الله عليه وآله بنفسه ستّ وعشرون غزوة، وإنّ جميع سراياه الّتي بعثها ولم يخرج معها ستّ وثلاثون سريّة، وقاتل صلى الله عليه وآله من غزواته في تسع غزوات وهي بدر وأحد والخندق وبنو قريظة والمصطلق وخيبر والفتح وحنين والطائف، فأوّل سرية بعثها أنّه بعث حمزة بن عبد المطّلب في ثلاثين

---

(١) - (٢) الكافي، ج ٥ ص ٦١٦ باب ٢٢ ح ٥ و٧.

(٣) الكافي، ج ٥ ص ٦١٦ باب ٢٢ ح ١٢. (٤) - (٥) نوادر الراوندي، ص ١٧٣ ح ٢٨٤ و٢٨٥.

راكباً، فساروا حتّى بلغوا سيف البحر من أرض جهينة فلقوا أبا جهل بن هشام في ثلاثين ومائة راكب من المشركين فحجز بينهم مجديُّ بن عمرو الجهنيّ، فرجع الفريقان، ولم يكن بينهما قتال.

ثمّ غزا رسول الله ﷺ أوّل غزوة غزاها في صفر على رأس اثني عشر شهراً من مقدمه المدينة حتّى بلغ الأبواء يريد قريشاً وبني ضمرة، ثمّ رجع ولم يلق كيداً، فأقام بالمدينة بقية صفر وصدراً من شهر ربيع الأوّل.

وبعث في مقامه ذلك عبيدة بن الحارث في ستين راكباً من المهاجرين ليس فيهم أحد من الانصار، وكان أوّل لواء عقده رسول الله ﷺ، فالتقى هو والمشركون على ماء يقال له: أحيا، وكانت بينهم الرماية، وعلى المشركين أبوسفيان بن حرب.

ثمّ غزا رسول الله ﷺ في شهر ربيع الآخر يريد قريشاً حتّى بلغ بواط ولم يلق كيداً.

ثمّ غزا غزوة العشيرة يريد قريشاً حتّى نزل العشيرة من بطن ينبع وأقام بها بقيّة جمادى الأولى وليالي من جمادى الآخرة ووادع فيها بني مدلج وحلفاءهم من بني ضمرة، فروي عن عمّار بن ياسر قال: كنت أنا وعليّ بن أبي طالب رفيقين في غزوة العشيرة، فقال لي عليٌّ: هل لك يا أبا اليقظان في هذا النفر من بني مدلج يعملون في عين لهم ننظر كيف يعملون؟ فأتيناهم فنظرنا إليهم ساعة، ثمّ غشينا النوم، فعمدنا إلى صور من النخل في دقعاء من الأرض فنمنا فيه، فوالله ما هبّنا إلّا رسول الله بقدمه فجلسنا وقد تترّبنا من تلك الدقعاء، فيومئذ قال رسول الله ﷺ لعليّ عليه السلام: يا أبا تراب، لما عليه من التراب، ، فقال: ألا أخبركم بأشقى الناس؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: أحمر ثمود الّذي عقر الناقة، والّذي يضربك يا عليّ على هذه - ووضع رسول الله ﷺ يده على رأسه - حتّى يبلّ منها هذه - ووضع يده على لحيته.

ثم رجع رسول الله ﷺ من العشيرة إلى المدينة، فلم يقم بها عشر ليال حتّى أغار كرز بن جابر الفهريّ على سرح المدينة، فخرج رسول الله ﷺ في طلبه حتّى بلغ وادياً يقال له: سفوان من ناحية بدر، وهي غزوة بدر الأولى، وحامل لوائه عليّ بن أبي طالب عليه السلام، واستخلف على المدينة زيد بن حارثة، وفاته كرز فلم يدركه فرجع رسول الله ﷺ فأقام جمادى ورجب وشعبان، وكان بعث بين ذلك سعد بن أبي وقّاص في ثمانية رهط فرجع ولم يلق كيداً.

ثمّ بعث رسول الله ﷺ عبد الله بن جحش إلى نخلة، وقال: كن بها حتّى تأتينا بخبر من أخبار قريش ولم يأمره بقتال، وذلك في الشهر الحرام، وكتب له كتاباً وقال: اخرج أنت وأصحابك حتّى إذا سرت يومين فافتح كتابك وانظر فيه وامض لما أمرتك، فلمّا سار يومين وفتح الكتاب فإذا فيه «أن امض حتّى تنزل نخلة فتأتينا من أخبار قريش بما يصل إليك منهم» فقال لأصحابه حين قرأ الكتاب: سمعاً وطاعةً، من كان له رغبة في الشهادة فلينطلق معي، فمضى معه القوم حتّى إذا نزلوا نخلة مرّ بهم عمرو بن الحضرميّ، والحكم بن كيسان وعثمان

والمغيرة ابنا عبد الله معهم تجارة قدموا بها من الطائف أدم وزبيب، فلمّا رآهم القوم أشرف لهم واقد بن عبد الله، وكان قد حلق رأسه، فقالوا: عمّار ليس عليكم منهم بأس، وائتمر أصحاب رسول الله وهي آخر يوم من رجب فقالوا: لئن قتلتموهم إنّكم لتقتلونهم في الشهر الحرام، ولئن تركتموهم ليدخلنّ هذه الليلة مكّة، فليمنعنّ منكم، فأجمع القوم على قتلهم، فرمى واقد بن عبد الله التميميّ عمرو بن الحضرميّ بسهم فقتله، واستأمن عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان وهرب المغيرة بن عبد الله فأعجزهم واستاقوا العير فقدموا بها على رسول الله ﷺ فقال لهم: والله ما أمرتكم بالقتال في الشهر الحرام، وأوقف الأسيرين والعير، ولم يأخذ منها شيئاً، وسقط في أيدي القوم وظنّوا أنّهم قد هلكوا، وقالت قريش: استحل محمّد الشهر الحرام، فأنزل الله سبحانه ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ الآية، فلمّا نزل ذلك أخذ رسول الله ﷺ العير وفداء الأسيرين، وقال المسلمون: نطمع لنا أن يكون غزاة، فأنزل الله فيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ إلى قوله: ﴿أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾[1] الآية، وكانت هذه قبل بدر بشهرين[2].

بيان: السيف بالكسر: ساحل البحر، والأبواء بفتح الهمزة وسكون الباء والمدّ: جبل بين مكّة والمدينة، وعنده بلد ينسب إليه، وقال الفيروز آباديّ: بواط كغراب: جبال جهينة على أبراد من المدينة، منه غزوة بواط، اعترض فيها ﷺ لعير قريش، وقال: ذو العشيرة: موضع بناحية ينبع غزونها مشهورة، والصور بالفتح: الجماعة من النخل ولا واحد له من لفظه، والدقعاء: التراب، والأرض لا نبات بها. ويقال: هبّ من نومه يهبّ أي استيقظ، وأهببته أنا، ويقال سقط في يديه على بناء المجهول أي ندم، نطمع لنا أن يكون غزاة قالوا ذلك على سبيل اليأس، أي لا نطمع ثواب الغزوة فيما فعلنا بل نرضى أن لا يكون لنا وزر، فرجاهم سبحانه رحمته بقوله: ﴿أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾ كما قال البيضاويّ نزلت أيضاً في السرية لما ظنّ بهم أنّهم إن سلموا من الإثم فليس لهم أجر.

٤٤ - **نهج:** في حديثه: كنا إذا احمرّ البأس اتّقينا برسول الله ﷺ، فلم يكن أحد منّا أقرب إلى العدوّ منه.

قال السيّد رحمه الله: ومعنى ذلك أنّه كان إذا عظم الخوف من العدوّ واشتدّ عضاض الحرب فزع المسلمون إلى قتال رسول الله ﷺ بنفسه، فينزل الله تعالى النصر عليهم به، ويأمنون ما كانوا يخافونه بمكانه وقوله عليه السلام: إذا احمرّ البأس، كناية عن اشتداد الأمر، وقد قيل في ذلك أقوال: أحسنها أنّه شبّه حمى الحرب بالنار الّتي تجمع الحرارة والحمرة بفعلها ولونها، وممّا يقوّي ذلك قول النبيّ ﷺ وقد رأى مجتلد النّاس يوم حنين وهي حرب هوازن «الآن

---

(١) سورة البقرة، الآيتان: ٢١٧-٢١٨. (٢) إعلام الورى، ص ٨٨.

حمي الوطيس» والوطيس: مستوقد النّار، فشبّه ما استحرّ من جلاد القوم باحتدام النّار وشدّة التهابها(١).

٤٥ -فس: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ﴾ فإنه كان سبب نزولها أنّه لمّا هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة بعث السرايا إلى الطرقات الّتي تدخل مكّة تتعرّض لعير قريش، حتّى بعث عبد الله بن جحش في نفر من أصحابه إلى نخلة وهي بستان بني عامر ليأخذوا عير قريش أقبلت من الطائف عليها الزبيب والأدم والطعام فوافوها، وقد نزلت العير وفيهم عمرو بن الحضرميّ، وكان حليفاً لعتبة بن ربيعة، فلمّا نظر ابن الحضرميّ إلى عبد الله بن جحش وأصحابه فزعوا وتهيّؤوا للحرب، وقالوا: هؤلاء أصحاب محمّد، فأمر عبد الله بن جحش أصحابه أن ينزلوا ويحلقوا رؤوسهم، فنزلوا وحلقوا رؤوسهم، فقال ابن الحضرمي: هؤلاء قوم عمّار ليس علينا منهم بأس، فاطمأنّوا، ووضعوا السلاح، فحمل عليهم عبد الله بن جحش فقتل ابن الحضرميّ وأفلت أصحابه، وأخذوا العير بما فيها وساقوها إلى المدينة، وكان ذلك في أوّل يوم من رجب من الأشهر الحرم، فعزلوا العير وما كان عليها، فلم ينالوا منها شيئاً، فكتبت قريش إلى رسول الله ﷺ إنّك استحللت الشهر الحرام، وسفكت فيها الدم، وأخذت المال، وكثر القول في هذا، وجاء أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله أيحلّ القتل في الشهر الحرام؟ فأنزل الله ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ قال: القتال في الشهر الحرام عظيم، ولكن الّذي فعلت بك قريش يا محمد من الصد عن المسجد الحرام والكفر بالله وإخراجك منه هو أكبر عند الله ﴿وَالْفِتْنَةُ﴾ يعني الكفر بالله ﴿أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ ثم أنزل عليه: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾(٢).

أقول: قال في المنتقى في حوادث السنة الثانية من الهجرة: في هذه السنة تزوّج عليّ بن أبي طالب عليه السلام فاطمة عليها السلام بنت رسول الله ﷺ في صفر لليال بقين منه وبنى بها في ذي الحجّة، وقد روي أنّه تزوّجها في رجب بعد مقدم رسول الله ﷺ المدينة بخمسة أشهر، وبنى بها مرجعه من بدر، والأوّل أصحّ، وروي عن بعض أهل التاريخ أنّ تزويجها كان في شهر ربيع الأوّل من سنة اثنتين من الهجرة، وبنى بها فيها، وولدت الحسن عليه السلام في هذه السنة، وقيل: بل ولد الحسن عليه السلام منتصف شهر رمضان من سنة ثلاث، والحسين عليه السلام في سنة أربع، وقيل: كان بين ولادة الحسن عليه السلام والعلوق بالحسين عليه السلام خمسون ليلة، وولد الحسين عليه السلام لليال خلون من شعبان سنة أربع من الهجرة.

---

(١) نهج البلاغة، ص ٤٩٧ خ ٢٤٧. (٢) تفسير القمي، ج ١ ص ٨٠.

وفي هذه السنة كانت سريّة عبد الله بن جحش، وفي هذه السنة حوّلت القبلة إلى الكعبة، كان النبيّ ﷺ يصلّي بمكّة ركعتين بالغداة وركعتين بالعشيّ، فلمّا عرج به إلى السماء أمر بالصلوات الخمس فصارت الركعتان في غير المغرب للمسافر وللمقيم أربع ركعات، فلمّا هاجر النبيّ ﷺ إلى المدينة أمر أن يصلّي نحو بيت المقدس لئلا يكذّبه اليهود، لأنّ نعته ﷺ في التوراة أنّه صاحب قبلتين، وكانت الكعبة أحبّ القبلتين إلى النبيّ ﷺ، فأمره الله تعالى أن يصلّي إلى الكعبة، قال محمّد بن حبيب الهاشميّ: حوّلت في الظهر يوم الثلثاء للنصف من شعبان زار رسول الله ﷺ أمّ بشر بن البراء بن معرور في بني سلمة فتغدّى هو وأصحابه وجاءت الظهر فصلّى بأصحابه في مسجد القبلتين ركعتين من الظهر إلى الشام، ثمّ أمر أن يستقبل الكعبة وهو راكع في الركعة الثانية، فاستدار إلى الكعبة فدارت الصفوف خلفه، ثمّ أتمّ الصلاة فسمّي مسجد القبلتين.

وقال الواقديّ: كان هذا يوم الاثنين للنصف من رجب على رأس سبعة عشر شهراً، وعن البراء على رأس ستّة عشر شهراً، أو سبعة عشر شهراً، وعن السدّيّ على رأس ثمانية عشر شهراً من مهاجره ﷺ.

وفي هذه السنة كان بناء مسجد قباء، روي عن أبي سعيد الخدريّ قال: لمّا صرفت القبلة إلى الكعبة أتى رسول الله ﷺ مسجد قباء فقدّم جدار المسجد إلى موضعه اليوم وأسّسه بيده، ونقل رسول الله ﷺ وأصحابه الحجارة لبنائه، وكان يأتيه كلّ سبت ماشياً، وقال أبو أيّوب الأنصاريّ: هو المسجد الّذي أسس على التقوى.

وفي هذه السنة نزلت فريضة رمضان في شعبان هذه السنة، وأمر بزكاة الفطر على ما روي عن أبي سعيد الخدريّ قال: نزل فرض شهر رمضان بعدما صرفت القبلة إلى الكعبة بشهر في شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من مهاجر رسول الله ﷺ، فأمر رسول الله ﷺ في هذه السنة بزكاة الفطر قبل أن يفرض الزكاة في الأموال.

وفي هذه السنة خرج رسول الله ﷺ يوم العيد فصلّى بالناس صلاة العيد، وحملت بين يديه العنزة إلى المصلى، فصلّى إليها.

وفي هذه السنة كانت غزوة بدر.

٩ - باب تحول القبلة

الآيات: البقرة «٢»: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ

شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (١٤٤)﴾.

تفسير: قال الطبرسيّ رحمه الله: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ أي سوف يقول الجهال وهم الكفّار الّذين هم بعض النّاس ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا﴾ أي أيّ شيء حوّلهم وصرفهم - يعني المسلمين - عن بيت المقدس الّذي كانوا يتوجّهون إليه في صلاتهم؟ واختلف في الّذين قالوا ذلك فقال ابن عبّاس وغيره: هم اليهود وقال الحسن: هم مشركو العرب، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا تحوّل إلى الكعبة من بيت المقدس قالوا: يا محمد رغبت عن قبلة آبائك، ثمّ رجعت إليها فلترجعنّ إلى دينهم، وقال السدّيّ: هم المنافقون، قالوا ذلك استهزاء بالإسلام، واختلف في سبب مقالتهم ذلك فقيل: إنّهم قالوا ذلك على وجه الإنكار للنسخ، عن ابن عبّاس، وقيل: إنّهم قالوا: يا محمّد ما ولّاك عن قبلتك الّتي كنت عليها؟ ارجع إلى قبلتنا نتّبعك ونؤمن بك، أرادوا بذلك فتنته عن ابن عبّاس أيضاً، وقيل: إنما قال ذلك مشركو العرب ليوهموا أنّ الحقّ ما هم عليه ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ يتصرف فيها على ما تقتضيه حكمته عن ابن عبّاس كانت الصلاة إلى بيت المقدس بعد مقدم النبيّ صلى الله عليه وآله المدينة سبعة عشر شهراً، وعن البراء بن عازب قال: صليت مع رسول الله صلى الله عليه وآله نحو بيت المقدس ستّة عشر شهراً، أو سبعة عشر شهراً، ثمّ صرفنا نحو الكعبة، أورده مسلم في الصحيح، وعن أنس إنّما كان ذلك تسعة أشهر أو عشرة أشهر، وعن معاذ ثلاثة عشر شهراً، ورواه عليّ بن إبراهيم بإسناده عن الصادق عليه السلام قال: تحوّلت القبلة إلى الكعبة بعدما صلّى النبيّ صلى الله عليه وآله ثلاث عشر سنة إلى بيت المقدس، وبعد مهاجره إلى المدينة صلّى إلى بيت المقدس سبعة أشهر، قال: ثمّ وجّهه الله تعالى إلى الكعبة، وذلك أنّ اليهود كانوا يعيّرون رسول الله صلى الله عليه وآله ويقولون: أنت تابع لنا تصلّي إلى قبلتنا، فاغتمّ رسول الله صلى الله عليه وآله من ذلك غمّاً شديداً، وخرج في جوف اللّيل ينظر إلى آفاق السماء ينتظر من الله في ذلك أمراً، فلمّا أصبح وحضر وقت صلاة الظهر كان في مسجد بني سالم قد صلّى من الظهر ركعتين، فنزل عليه جبرئيل فأخذ بعضديه وحوله إلى الكعبة وأنزل عليه: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ الآية، فكان صلّى ركعتين إلى بيت المقدس وركعتين إلى الكعبة فقالت اليهود والسفهاء: ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا﴾؟ قال الزجّاج: إنّما أمر بالصلاة إلى بيت المقدس لأنّ مكّة وبيت الله الحرام كانت العرب آلفة بحجّها، فأحبّ الله أن يمتحن القوم بغير ما ألفوه ليظهر من يتّبع الرسول ممّن لا يتّبعه ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ﴾ قيل: معنى ﴿كُنتَ عَلَيْهَآ﴾ صرت عليها وأنت عليها يعني الكعبة، وقيل وهو الأصحّ: يعني بيت المقدس، أي ما صرفناك عن القبلة الّتي كنت عليها، أو ما جعلنا القبلة الّتي كنت عليها فصرفناك عنها ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ أي ليعلم حزبنا من النبيّ والمؤمنين أو ليحصل المعلوم موجوداً، أو لنعاملكم معاملة المختبر، أو لأعلم مع غيري ﴿مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ﴾ أي يؤمن به ويتّبعه في أقواله وأفعاله ﴿مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ أي الّذين

ارتدّوا لمّا حوّلت القبلة، أو المراد كلّ مقيم على كفره ﴿وَإِن كَانَتْ﴾ أي القبلة أو التحويلة ومفارقة القبلة الأولى، وقيل: أي الصلاة ﴿لَكَبِيرَةً﴾ أي لثقيلة، يعني التحويلة إلى بيت المقدس، لأنّ العرب لم تكن قبلة أحبّ إليهم من الكعبة، أو إلى الكعبة.

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾ قيل: فيه أقوال:

أحدها: أنّه لمّا حوّلت القبلة قال ناس: كيف بأعمالنا الّتي كنا نعمل في قبلتنا الأولى؟ فنزلت، وقيل: إنّهم قالوا: كيف بمن مات من إخواننا قبل ذلك؟ وكان قد مات أسعد بن زرارة والبراء بن معرور وكانا من النقباء، فقال: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾ أي صلاتكم إلى بيت المقدس ويمكن حمل الإيمان على أصله.

وثانيها: أنّه لمّا ذكر ما عليهم من المشقّة في التحويلة أتبعه بذكر ما لهم عنده بذلك من المثوبة، وأنّه لا يضيع ما عملوه من الكلفة.

وثالثها: أنّه لمّا ذكر إنعامه عليهم بالتولية إلى الكعبة ذكر السبب الّذي استحقّوا به ذلك الإنعام وهو إيمانهم بما حملوه أوّلاً فقال: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾ الذي استحققتم به تبليغ محبّتكم في التوجّه إلى الكعبة.

﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ﴾ قال المفسّرون: كانت الكعبة أحبّ القبلتين إلى رسول الله ﷺ، فقال لجبرئيل: وددت أنّ الله صرفني عن قبلة اليهود إلى غيرها فقال له جبرئيل: إنّما أنا عبد مثلك وأنت كريم على ربّك فادع ربّك وسله، ثمّ ارتفع جبرئيل وجعل رسول الله ﷺ يديم النظر إلى السماء رجاء أن يأتيه جبرئيل بالذي سأل ربّه، فأنزل الله هذه الآية، أي قد نرى تقلب وجهك يا محمّد في السماء لانتظار الوحي في أمر القبلة، وفي سببه وجهان: أحدهما أنّه كان وعد بتحويل القبلة عن بيت المقدس، فكان يفعل ذلك انتظاراً وتوقّعاً للموعود، والثاني أنّه كان يكره قبلة بيت المقدس، ويهوى قبلة الكعبة، وكان لا يسأل الله ذلك، لأنّه لا يجوز للأنبياء أن يسألوا الله شيئاً من غير أن يؤذن لهم فيه، لأنّه يجوز أن لا تكون فيه مصلحة، فلا يجابون إلى ذلك، فيكون ذلك فتنة لقومهم، واختلف في سبب إرادته ﷺ تحويل القبلة إلى الكعبة فقيل: لأنّ الكعبة كانت قبلة أبيه إبراهيم وقبلة آبائه، وقيل: لأنّ اليهود قالوا: تخالفنا يا محمّد في ديننا وتتبع قبلتنا، وقيل: إنّ اليهود قالوا ما درى محمّد وأصحابه أين قبلتهم حتّى هديناهم، وقيل: كانت العرب يحبّون الكعبة ويعظّمونها غاية التعظيم، فكان في التوجه إليها استمالة لقلوبهم ليكونوا أحرص على الصلاة إليها، وكان ﷺ حريصاً على استدعائهم إلى الدين ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا﴾ أي تحبّها محبّة الطباع، لا أنّه كان يسخط القبلة الأولى ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ أي علماء اليهود والنصارى ﴿لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ أي تحويل القبلة حقّ مأمور به، وإنّما علموا ذلك لأنّه كان في بشارة الأنبياء لهم أنّه يكون نبيّ من صفاته كذا وكذا وكان في صفاته أن يصلّي إلى

القبلتين، وروي أنّهم قالوا عند التحويل: ما أمرت بهذا يا محمّد، وإنّما هو شيء تبتدعه من تلقاء نفسك مرّة إلى هنا، ومرّة إلى هنا، فأنزل الله هذه الآية، وبيّن أنّهم يعلمون خلاف ما يقولون ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ﴾ أي ليس الله بغافل عمّا يعمل هؤلاء من كتمان صفة محمّد ﷺ والمعاندة انتهى[(١)].

أقول: سيأتي مزيد توضيح وتفسير للآيات في كتاب الصلاة إن شاء الله تعالى.

١ - **شي:** عن أبي عمرو الزبيري، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا صرف الله نبيّه إلى الكعبة عن بيت المقدس قال المسلمون للنبيّ ﷺ: أرأيت صلاتنا الّتي كنّا نصلّي إلى بيت المقدس ما حالنا فيها وحال من مضى من أمواتنا وهم يصلّون إلى بيت المقدس؟ فأنزل الله ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡ﴾ فسمى الصلاة إيماناً الخبر[(٢)].

٢ - **يب:** الطاطريّ، عن محمّد بن أبي حمزة، عن معاوية بن عمّار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: متى صرف رسول الله ﷺ إلى الكعبة؟ فقال: بعد رجوعه من بدر[(٣)].

٣ - **يب:** الطاطريّ، عن محمّد بن أبي حمزة، عن ابن مسكان، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ﴾ أمره به؟ قال: نعم إنّ رسول الله ﷺ كان يقلّب وجهه في السّماء، فعلم الله عزّ وجلّ ما في نفسه، فقال: ﴿قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ﴾[(٤)].

بيان: قوله: أمره، لعلّ غرض السائل أنّ القبلة الأولى أيضاً كانت مأموراً بها؟ قال: نعم، وشرع في بيان أمر آخر.

٤ - **يب:** الطاطريّ، عن وهيب، عن أبي بصير، عن أحدهما عليهما السلام في قوله تعالى: ﴿۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ فقلت له: الله أمره أن يصلّي إلى بيت المقدس؟ قال: نعم، ألا ترى أنّ الله يقول: ﴿وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ قال: إنّ بني عبد الأشهل أتوهم وهم في الصلاة قد صلّوا ركعتين إلى بيت المقدس، فقيل لهم: إنّ نبيّكم قد صرف إلى الكعبة فتحوّل النساء مكان الرجال، والرجال مكان النساء، وجعلوا الركعتين الباقيتين إلى الكعبة، فصلّوا صلاة واحدة إلى قبلتين، فلذلك سمّي

(١) مجمع البيان، ج ١ ص ٤١٣.
(٢) تفسير العياشي، ج ١ ص ٨٢ ح ١١٥ من سورة البقرة.
(٣) - (٤) تهذيب الأحكام، ج ٢ ص ٢٦٩ باب ٥ ح ٣ و٥.

مسجدهم مسجد القبلتين(١).

٥ - كا: عليّ عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حمّاد، عن الحلبيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته هل كان رسول الله صلى الله عليه وآله يصلّي إلى بيت المقدس؟ قال: نعم، فقلت: فكان يجعل الكعبة خلف ظهره؟ فقال: أمّا إذا كان بمكّة فلا، وأمّا إذا هاجر إلى المدينة فنعم حتّى حوّل إلى الكعبة(٢).

٦ - يه: صلّى رسول الله صلى الله عليه وآله إلى البيت المقدّس بعد النبوّة ثلاث عشرة سنة بمكّة، وتسعة عشر شهراً بالمدينة، ثمّ عيّرته اليهود فقالوا له إنّك تابع لقبلتنا، فاغتمّ لذلك غمّاً شديداً، فلمّا كان في بعض اللّيل خرج صلى الله عليه وآله يقلّب وجهه في آفاق السّماء، فلمّا أصبح صلّى الغداة، فلمّا صلّى من الظهر ركعتين جاءه جبريل فقال له: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾ الآية. ثمّ أخذ بيد النبيّ صلى الله عليه وآله فحوّل وجهه إلى الكعبة، وحوّل من خلفه وجوههم حتّى قام الرجال مقام النساء، والنساء مقام الرجال، فكان أوّل صلاته إلى بيت المقدس، وآخرها إلى الكعبة فبلغ الخبر مسجداً بالمدينة وقد صلّى أهله من العصر ركعتين، فحوّلوا نحو الكعبة، فكان أوّل صلاتهم إلى بيت المقدس، وآخرها إلى الكعبة فسمّي ذلك المسجد مسجد القبلتين، فقال المسلمون: صلاتنا إلى بيت المقدس تضيع يا رسول الله؟ فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ يعني صلاتكم إلى بيت المقدس. وقد أخرجت الخبر في ذلك على وجهه في كتاب النبوّة(٣).

أقول: سيأتي في تفسير النعمانيّ بإسناده إلى الصادق عليه السلام قال قال أمير المؤمنين عليه السلام إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا بعث كانت الصلاة إلى قبلة بيت المقدس سنّة بني إسرائيل وقد أخبرنا الله في كتابه بما قصّه في ذكر موسى عليه السلام أن يجعل بيته قبلة، وهو قوله: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ وكان رسول الله صلى الله عليه وآله في أوّل مبعثه يصلّي إلى بيت المقدس جميع أيّام مقامه بمكّة، وبعد هجرته إلى المدينة بأشهر، فعيرته اليهود وقالوا: إنّك تابع لقبلتنا، فأحزن رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك منهم، فأنزل الله تعالى عليه وهو يقلّب وجهه في السّماء وينتظر الأمر ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ﴾ إلى قوله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ يعني اليهود في هذا الموضع، ثمّ أخبرنا الله عزّ وجلّ ما العلّة الّتي من أجلها لم يحول قبلته من أوّل مبعثه، فقال تبارك وتعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾(٤) فسمى سبحانه الصلاة ههنا إيماناً.

---

(١) تهذيب الأحكام، ج ٢ ص ٢٧٠ باب ٥ ح ٦. (٢) الكافي، ج ٣ ص ١٤٦ باب ١٧٤ ح ١٢.
(٣) من لا يحضره الفقيه، ج ١ ص ١٠٧ ح ٨٤٥. (٤) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

١٠ - باب غزوة بدر الكبرى

الآيات: آل عمران «٣»: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ ۚ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٣﴾﴾.

وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾﴾.

النساء «٤»: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾﴾.

الأنفال «٨»: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ ۖ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ «٨». إلى قوله سبحانه:

﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴿١٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾ إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾﴾.

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ «٣٦». إلى قوله تعالى: ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٣٧﴾ قُل لِّلَّذِينَ

كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾﴾.

وقال سبحانه: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾﴾.

وقال سبحانه: ﴿مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾.

الحج: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُواْ فِى رَبِّهِمْ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ «١٩».

تفسير: قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ قال الطبرسيّ رحمه الله: روى محمّد بن إسحاق بن يسار عن رجاله قال: لمّا أصاب رسول الله صلى الله عليه وآله قريشاً ببدر وقدم المدينة جمع اليهود في سوق قينقاع فقال: يا معشر اليهود احذروا من الله مثل الّذي نزل بقريش يوم بدر، وأسلموا قبل أن ينزل بكم ما نزل بهم، وقد عرفتم أنّي نبيّ مرسل، وتجدون ذلك في كتابكم، فقالوا: يا محمّد لا يغرّنك أنّك لقيت قوماً أغماراً لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة، إنّا والله لو قابلناك لعرفت أنا نحن النّاس، فأنزل الله هذه الآية، وروي أيضاً عن عكرمة وابن جبير عن ابن عبّاس، ورواه أصحابنا أيضاً، وقيل: نزلت في مشركي مكّة ﴿سَتُغْلَبُونَ﴾ يوم بدر عن

مقاتل، وقيل: نزلت في اليهود لمّا قتل الكفّار ببدر وهزموا قالت اليهود: إنّه النبيّ الأُميّ الّذي بشّرنا به موسى عليه السلام ونجده في كتابنا بنعته وصفته، وأنّه لا تردّ له راية، ثمّ قال بعضهم لبعض: لا تعجلوا حتّى تنظروا إلى وقعة أخرى، فلمّا كان يوم أحد ونكب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله شكّوا وقالوا: لا والله ما هو هذا، فغلب عليهم الشقاء فلم يسلموا وقد كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وآله عهد إلى مدّة، فنقضوا ذلك العهد قبل أجله، وانطلق كعب بن الأشرف إلى مكّة في ستّين راكباً فوافقهم، وأجمعوا أمرهم على رسول الله صلى الله عليه وآله لتكوننّ كلمتنا واحدة، ثمّ رجعوا إلى المدينة فأنزل الله فيهم هذه الآية، عن الكلبيّ، عن أبي صالح، عن ابن عبّاس(١).

وقال رحمه الله في قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ﴾: نزلت الآية في قصّة بدر وكان المسلمون ثلاث مائة وثلاثة عشر رجلاً على عدّة أصحاب طالوت الّذين جاوزوا معه النهر، سبعة وسبعون رجلاً من المهاجرين، ومائتان وستّة وثلاثون رجلاً من الأنصار، وكان صاحب لواء رسول الله صلى الله عليه وآله والمهاجرين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وصاحب راية الأنصار سعد بن عبادة، وكانت الإبل في جيش رسول الله صلى الله عليه وآله سبعين بعيراً، والخيل فرسين: فرس للمقداد بن الأسود، وفرس لمرثد بن أبي مرثد، وكان معهم من السلاح ستّة أدرع، وثمانية سيوف، وجميع من استشهد يومئذ أربعة عشر: ستّة من المهاجرين، وثمانية من الأنصار، واختلف في عدّة المشركين فروي عن عليّ عليه السلام وابن مسعود أنّهم كانوا ألفاً، وعن قتادة وعروة بن الزبير والربيع كانوا بين تسعمائة إلى ألف، وكان خيلهم مائة فرس، ورئيسهم عتبة ابن ربيعة بن عبد شمس، وكان حرب بدر أوّل مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان سبب ذلك عير أبي سفيان، والخطاب في الآية لليهود الّذين نقضوا العهد، أو للناس جميعاً ممّن حضر الوقعة، وقيل: للمشركين واليهود ﴿ءَايَةٌ﴾ أي حجّة وعلامة ومعجزة دالّة على صدق محمّد صلى الله عليه وآله ﴿فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا﴾ أي فرقتين اجتمعتا ببدر من المسلمين والكافرين ﴿فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي في دينه وطاعته وهم الرسول وأصحابه ﴿وَأُخْرَىٰ﴾ أي وفرقة أُخرى ﴿كَافِرَةٌ﴾ وهم مشركو أهل مكّة ﴿يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ ٱلْعَيْنِ﴾ أي في ظاهر العين، اختلف في معناه، فقيل: معناه يرى المسلمون المشركين مثلي عدد أنفسهم قلّلهم الله في أعينهم حتّى رأوهم ستّمائة وستّة وعشرين رجلاً تقوية لقلوبهم وذلك أنّ المسلمين قد قيل لهم ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ فأراهم الله عددهم حسب ما حدّ لهم من العدد الّذي يلزمهم أن يقدموا عليهم ولا يحجموا عنهم وقد كانوا ثلاثة أمثالهم، ثمّ ظهر العدد القليل على العدد الكثير عن ابن مسعود وجماعة من العلماء، وقيل: الرؤية للمشركين، يعني يرى المشركون المسلمين ضعفي ما هم عليه، فإنّ الله تعالى قبل القتال قلّل المسلمين في أعينهم ليجترئوا عليهم ولا يتفرّقوا، فلمّا أخذوا في القتال كثّرهم في أعينهم ليجبنوا، وقلّل

---

(١) مجمع البيان، ج ٢ ص ٢٤٨.

المشركين في أعين المسلمين ليجترئوا عليهم، وتصديق ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾ الآية، وذلك أحسن أسباب النصر للمؤمنين، والخذلان للكافرين، وهذا قول السدّيّ، وهذا القول إنّما يتأتى على قراءة من قرأ بالياء، فأمّا قول من قرأ بالتاء فلا يحتمله إلاّ القول الأوّل على أن يكون الخطاب لليهود الّذين لم يحضروا وهم المعنيّون بقوله: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ﴾ وهم يهود بني قينقاع، فكأنّه قال: ترون أيّها اليهود المشركين مثلي المسلمين، مع أنّ الله أظفرهم عليهم فلا تغترّوا بكثرتكم، واختار البلخيُّ هذا الوجه، ويكون الخطاب للمسلمين الّذين حضروا الوقعة، أي ترون أيّها المسلمون المشركين مثلي المسلمين، قال الفرّاء: يحتملُ قوله: ﴿يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ﴾ يعني ثلاثة أمثالهم، والمعنى ترونهم مثليهم مضافاً إليهم، فذلك ثلاثة أمثالهم، قال: والمعجز فيه إنّما كان من جهة غلبة القليل الكثير.

فإن قيل: كيف يصحّ تقليل الأعداد مع حصول الرؤية وارتفاع الموانع؟ وهل هذا إلاّ قول من يجوز أن يكون عنده أجسام لا يدركها، أو يدرك بعضها دون بعض؟ قلنا: يحتمل التقليل في أعين المؤمنين بأن يظنّوهم قليلي العدد، لا أنّهم أدركوا بعضهم دون بعض، لأنّ العلم بما يدركه الإنسان جملة غير العلم بما يدركه مفصّلاً، ولأنّا قد ندرك جمعاً عظيماً بأسرهم، ونشك في أعدادهم حتّى يقع الخلاف في حزر عددهم[1].

وقال عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ أي بتقوية قلوبكم، وبما أمدّكم به من الملائكة، وبإلقاء الرعب في قلوب أعدائكم ﴿وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ أي ضعفاء عن المقاومة قليلو العدد والعدّة، ويروى عن بعض الصادقين عليهم السلام أنّه قرأ وأنتم ضعفاء وقال: لا يجوز وصفهم بأنّهم أذلّة وفيهم رسول الله صلى الله عليه وآله ﴿بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ﴾ هو إخبار بأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال لقومه ألن يكفيكم يوم بدر أن جعل ربّكم ثلاثة آلاف من الملائكة مدداً لكم، وقال ابن عبّاس وغيره: إنّ الإمداد بالملائكة كان يوم بدر، وقال ابن عبّاس: لم تقاتل الملائكة إلاّ يوم بدر وكانوا في غيره من الأيّام عدّة ومدداً، وقال الحسن: كان جميعهم خمسة آلاف، فمعناه يمددكم ربّكم بتمام خمسة آلاف، وقال غيره: كانوا ثمانية آلاف، فمعناه بخمسة آلاف آخر، وقيل: إنّ الوعد بالإمداد بالملائكة كان يوم أُحد، وعدهم الله المدد إن صبروا ﴿مُنزَلِينَ﴾ أنزلهم الله من السماء إلى الأرض لنصرتكم[2].

أقول: سيأتي تتمة تلك الآيات في غزوة أُحد.

وفي قوله: ﴿مُسَوِّمِينَ﴾[3] قال عروة: نزلت الملائكة يوم بدر على خيل بلق عليهم عمائم

---

(١) مجمع البيان، ج ٢ ص ٢٥٠. (٢) مجمع البيان، ج ٢ ص ٣٨١.

(٣) لم يذكر هذه الآية في الآيات وهي: ﴿بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾.

صفر، وقال عليّ عليه السلام وابن عبّاس: كانت عليهم عمائم بيض أرسلوا أذنابها بين أكتافهم، وقيل: مسوّمين، أي مرسلين(١).

وقال رحمه الله في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ﴾ قال الكلبيّ: نزلت في عبد الرحمن بن عوف الزهريّ والمقداد بن الأسود الكنديّ وقدامة بن مظعون الجمحيّ، وسعد بن أبي وقّاص، وكانوا يلقون من المشركين أذى شديداً وهم بمكّة قبل أن يهاجروا إلى المدينة، فيشكون إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ويقولون: يا رسول الله ائذن لنا في قتال هؤلاء فإنّهم قد آذونا، فلمّا أمروا بالقتال وبالمسير إلى بدر شقّ على بعضهم فنزلت الآية. ﴿كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾ أي أمسكوا عن قتال الكفّار فإنّي لم أؤمر بقتالهم ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ﴾ وهم بالمدينة ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ أي جماعة منهم ﴿يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ﴾ أي يخافون القتل من النّاس كما يخافون الموت من الله وقيل: يخافون عقوبة النّاس بالقتل كما يخافون عقوبة الله ﴿أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ قيل: ﴿أَوْ﴾ هنا بمعنى الواو، وقيل: لإبهام الأمر على المخاطب ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ﴾ قال الحسن: لم يقولوا ذلك كراهة لأمر الله تعالى، ولكن لدخول الخوف عليهم بذلك على ما يكون من طبع البشر، ويحتمل أن يكون قالوا ذلك استفهاماً لا إنكاراً، وقيل: إنّما قالوا ذلك لأنّهم ركنوا إلى الدنيا، وآثروا نعيمها ﴿لَوْلَا أَخَّرْتَنَا﴾ أي هلا أخّرتنا ﴿إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ وهو إلى أن نموت بآجالنا، والفتيل: ما تفتله بيدك من الوسخ ثمّ تلقيه عن ابن عبّاس، وقيل: ما في شقّ النواة، لأنّه كالخيط المفتول، والبروج: القصور، وقيل: بروج السماء وقيل: البيوت الّتي فوق الحصون، وقيل: الحصون والقلاع، والمشيّدة: المجصّصة أو المزيّنة، وقيل: المطوّلة في ارتفاع ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ قيل: القائلون هم اليهود قالوا: ما زلنا نعرف النقص في ثمارنا ومزارعنا منذ قدم علينا هذا الرجل، فالمراد بالحسنة الخصب والمطر، وبالسيّئة الجدب والقحط، وقيل: هم المنافقون عبد الله بن أبيّ وأصحابه الّذين تخلّفوا عن القتال يوم أحد قالوا للّذين قتلوا في الجهاد: ﴿لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾ فالمعنى إن يصبهم ظفر وغنيمة قالوا هذه من عند الله، وإن يصبهم مكروه وهزيمة قالوا: هذه من عندك، وبسوء تدبيرك، وقيل: هو عامّ في اليهود والمنافقين، وقيل: هو حكاية عمّن سبق ذكرهم قبل الآية، وهم الّذين يقولون: ﴿رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ﴾(٢).

قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ قال الطبرسيّ رحمه الله اختلف المفسّرون في الانفال ههنا فقيل: هي الغنائم الّتي غنمها النبيّ صلى الله عليه وآله يوم بدر عن ابن عبّاس وصحت الرواية عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام أنّهما قالا: إنّ الانفال كلّ ما أخذ من دار الحرب بغير قتال، وكلّ أرض انجلى أهلها عنها بغير قتال، وميراث من لا وارث له، وقطائع الملوك إذا كانت في أيديهم من غير غصب، والآجام وبطون الاودية، والأرضون الموات وغير ذلك ممّا هو

---

(١) مجمع البيان، ج ٢ ص ٣٨٣.

(٢) مجمع البيان، ج ٣ ص ١٣٦.

مذكور في مواضعه، وقالا: هي لله وللرسول وبعده لمن قام مقامه يصرفه حيث يشاء من مصالح نفسه ليس لأحد فيه شيء وقالا: إنّ غنائم بدر كانت للنبي ﷺ خاصّة فسألوه أن يعطيهم وقد صحّ أنّ قراءة أهل البيت «يسألونك الأنفال» فقال سبحانه: ﴿قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ وكذلك ابن مسعود وغيره إنّما قرأوا كذلك على هذا التأويل، فعلى هذا فقد اختلفوا في كيفية سؤالهم النبيّ ﷺ، فقال هؤلاء: إنّ أصحابه سألوه أن يقسّم غنيمة بدر بينهم، فأعلمه الله سبحانه أنّ ذلك لله ولرسوله دونهم، وليس لهم في ذلك شيء، وروي ذلك أيضاً عن ابن عبّاس وغيره، وقالوا: إنّ ﴿عَنِ﴾ صلة، ومعناه يسألونك الأنفال أن تعطيهم، ويؤيّد هذا القول قوله: ﴿فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ﴾ إلى آخر الآية، ثمّ اختلف هؤلاء فقال بعضهم: هي منسوخة بآية الغنيمة، وقيل: ليست بمنسوخة وهو الصحيح وقال آخرون: إنّهم سألوا النبيّ ﷺ عن حكم الأنفال وعلمها أنّها لمن هي وقال آخرون: إنّهم سألوه عن الغنائم وقسمتها، وأنها حلال أم حرام كما كانت حراماً على من قبلهم، فبيّن لهم أنّها حلال، واختلفوا أيضاً في سبب سؤالهم فقال ابن عبّاس: إنّ النبيّ ﷺ قال يوم بدر: من جاء بكذا فله كذا، ومن جاء بأسير فله كذا، فتسارع الشبان وبقي الشيوخ تحت الرايات، فلمّا انقضى الحرب طلب الشبان ما كان قد نفلهم النبيّ ﷺ به، فقال الشيوخ: كنا ردءاً لكم، ولو وقعت عليكم الهزيمة لرجعتم إلينا، وجرى بين أبي اليسر بن عمرو الأنصاريّ أخي بني سلمة وبين سعد بن معاذ كلام، فنزع الله تعالى الغنائم منهم، وجعلها لرسوله يفعل بها ما يشاء، فقسّمها بينهم بالسويّة، وقال عبادة بن الصامت: اختلفنا في النفل وساءت فيه أخلاقنا فنزعه الله من أيدينا فجعله إلى رسول الله ﷺ فقسّمه بيننا على السواء وكان ذلك في تقوى الله وطاعته وصلاح ذات البين، وقال سعد بن أبي وقّاص: قتل أخي عمير يوم بدر فقتلت سعيد بن العاص بن أمية وأخذت سيفه، وكان يسمّى ذا الكتيفة، فجئت به إلى النبيّ ﷺ واستوهبته منه، فقال: ليس هذا لي ولا لك اذهب فاطرحه في القبض، فطرحت ورجعت وبي ما لا يعلمه إلاّ الله من قتل أخي وأخذ سلبي، وقلت: عسى أن يعطي هذا لمن لم يبل ببلائي، فما جاوزت إلاّ قليلاً حتّى جاءني الرسول وقد أنزل الله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ الآية، فخفت أن يكون قد نزل فيّ شيء. فلمّا انتهيت إلى رسول الله قال: يا سعد إنّك سألتني السيف وليس لي، وإنّه قد صار لي فاذهب وخذه فهو لك، وقال عليّ بن طلحة عن ابن عبّاس كانت الغنائم لرسول الله ﷺ خاصة ليس لأحد فيها شيء، وما أصاب سرايا المسلمين من شيء أتوه به، فمن حبس منه إبرة أو سلكاً فهو غلول، فسألوا رسول الله ﷺ أن يعطيهم منها، فنزلت الآية، وقال ابن جريج: اختلف من شهد بدراً من المهاجرين والأنصار في الغنيمة وكانوا ثلاثاً فنزلت الآية، وملّكها الله رسوله يقسّمها كما أراه الله، وقال مجاهد: هي الخمس، وذلك أنّ المهاجرين قالوا: لمَ يرفع منّا هذا الخمس؟ لم يخرج منّا؟ فقال الله: ﴿قُلِ

﴿ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ يقسمانها كما شاءا وينفلان منها ما شاءا، ويرضخان منها ما شاءا ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ باتباع ما يأمركم الله ورسوله به واحذروا مخالفة أمرهما ﴿وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ أي ما بينكم من الخصومة والمنازعة ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ أي اقبلوا ما أمرتم به في الغنائم وغيرها ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ مصدّقين للرسول فيما يأتيكم به، وفي تفسير الكلبيّ: إنّ الخمس لم يكن مشروعاً يومئذ، وإنّما شرع يوم أحد، وفيه: إنّه لمّا نزلت هذه الآية عرف المسلمون أنّه لا حقّ لهم في الغنيمة، وأنها لرسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله سمعاً وطاعةً فاصنع ما شئت، فنزل قوله: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ أي ما غنمتم بعد بدر، وروي أنّ رسول الله ﷺ قسّم غنائم بدر على سواء ولم يخمّس[1].

﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ﴾ الكاف في قوله: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ﴾ يتعلّق بما دلّ عليه قوله: ﴿قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ لأنّ هذا في معنى نزعها من أيديهم بالحقّ، كما أخرجك ربّك بالحقّ، فالمعنى قل الأنفال لله ينزعها عنكم مع كراهتكم ومشقّة ذلك عليكم، لأنّه أصلح لكم، كما أخرجك ربّك من بيتك مع كراهة فريق من المؤمنين ذلك، لأنّ الخروج كان أصلح لكم من كونكم في بيتكم، والمراد بالبيت هنا المدينة، يعني خروج النبيّ ﷺ منها إلى بدر، وقيل: يتعلّق بيجادلونك أي يجادلونك في الحقّ كارهين له كما جادلوك حين أخرجك ربّك كارهين للخروج كراهية طباع، فقال بعضهم: كيف نخرج ونحن قليل والعدوّ كثير؟ وقال بعضهم: كيف نخرج على عمياء لا ندري إلى العير نخرج أم إلى القتال؟ فشبّه جدالهم بخروجهم لأنّ القوم جادلوه بعد خروجهم كما جادلوه عند الخروج، فقالوا: هلاّ أخبرتنا بالقتال فكنّا نستعدّ لذلك، فهذا هو جدالهم، وقيل: يعمل فيه معنى الحقّ بتقدير: هذا الذكر الحقّ كما أخرجك ربّك من بيتك بالحقّ فمعناه أنّ هذا خير لكم كما أنّ إخراجك من بيتك على كراهية جماعة منكم خير لكم، وقريب منه ما جاء في حديث أبي حمزة الثماليّ: فالله ناصرك كما أخرجك من بيتك وقوله: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ أي بالوحي، وذلك أنّ جبرئيل أتاه وأمره بالخروج، وقيل: معناه أخرجك ومعك الحقّ، وقيل: أخرجك بالحقّ الذي وجب عليك وهو الجهاد ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي طائفة منهم ﴿لَكَٰرِهُونَ﴾ لذلك للمشقّة الّتي لحقتهم ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ﴾ معناه يجادلونك فيما دعوتهم إليه بعدما عرفوا صحته وصدقك بالمعجزات، ومجادلتهم: قولهم هلا أخبرتنا بذلك، وهم يعلمون أنّك لا تأمرهم عن الله إلاّ بما هو حقّ وصواب، وكانوا يجادلون فيه لشدّته عليهم، يطلبون بذلك رخصة لهم في التخلف عنه، أو في تأخير الخروج إلى وقت آخر، وقيل: معناه يجادلونك في القتال يوم بدر بعدما تبيّن صوابه ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ أي كأن هؤلاء الّذين يجادلونك في لقاء العدو لشدّة القتال عليهم حيث لم يكونوا مستعدّين له، ولكراهتهم له من حيث الطبع

(١) مجمع البيان، ج ٤ ص ٤٢٣.

كانوا بمنزلة من يساق إلى الموت وهم يرونه عياناً وينظرون إلى أسبابه ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾ يعني واذكروا واشكروا الله إذ يعدكم الله أنّ إحدى الطائفتين لكم: إمّا العير، وإمّا النفير ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ أي تودون أنّ لكم العير وصاحبها أبو سفيان، لئلا تلحقكم مشقّة دون النفير وهو الجيش من قريش، قال الحسن: كان المسلمون يريدون العير، ورسول الله ﷺ يريد ذات الشوكة، كنى بالشوكة عن الحرب لما في الحرب من الشدة، وقيل: الشوكة: السلاح ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ معناه والله أعلم بالمصالح منكم، فأراد أن يظهر الحقّ بلطفه، ويعزّ الإسلام ويظفركم على وجوه القريش، ويهلكهم على أيديكم بكلماته السابقة وعداته في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ وقوله: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ وقيل: ﴿بِكَلِمَاتِهِ﴾ أي بأمره لكم بالقتال ﴿وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ أي يستأصلهم فلا يبقي منهم أحداً يعني كفّار العرب ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ﴾ أي ليظهر الإسلام ﴿وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ﴾ أي الكفر بإهلاك أهله ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ أي الكافرون، وذكر البلخي عن الحسن أنّ قوله: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ﴾ نزلت قبل قوله: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ﴾ وهي في القراءة بعدها.

القصّة: قال أصحاب السير وذكر أبو حمزة وعليّ بن إبراهيم في تفسيرهما دخل حديث بعضهم في بعض: أقبل أبوسفيان بعير قريش من الشام وفيها أموالهم وهي اللطيمة فيها أربعون راكباً من قريش، فندب النبيّ ﷺ أصحابه للخروج إليها ليأخذوها وقال: لعلّ الله أن ينفلكموها، فانتدب النّاس فخف بعضهم وثقل بعضهم ولم يظنّوا أنّ رسول الله ﷺ يلقى كيداً ولا حرباً، فخرجوا لا يريدون إلّا أبا سفيان والركب لا يرونها إلّا غنيمة لهم، فلمّا سمع أبوسفيان بمسير النبيّ ﷺ استأجر ضمضم بن عمرو الغفاريّ فبعثه إلى مكّة، وأمره أن يأتي قريشاً فيستنفرهم ويخبرهم أن محمّداً قد تعرض لعيرهم في أصحابه فخرج ضمضم سريعاً إلى مكّة، وكانت عاتكة بنت عبد المطّلب رأت فيما يرى النائم قبل مقدم ضمضم بن عمرو بثلاث ليال أنّ رجلاً أقبل على بعير له ينادي يا آل غالب اغدوا إلى مصارعكم، ثمّ وافى بجمله على أبي قبيس فأخذ حجراً فدهدهه من الجبل فما ترك داراً من دور قريش إلّا أصابته منه فلذة، فانتبهت فزعة من ذلك فأخبرت العبّاس بذلك، فأخبر العبّاس عتبة بن ربيعة، فقال عتبة: هذه مصيبة تحدث في قريش، وفشت الرؤيا فيهم، وبلغ ذلك أبا جهل، فقال: هذه نبيّة ثانية في بني عبد المطّلب، واللاّت والعزى لتنظرنّ ثلاثة أيام، فإن كان ما رأت حقّاً وإلا لنكتبنّ كتاباً بيننا أنّه ما من أهل بيت من العرب أكذب رجالاً ولا نساءً من بني هاشم، فلمّا كان اليوم الثالث أتاهم ضمضم يناديهم بأعلى الصوت يا آل غالب يا آل غالب اللطيمة اللطيمة، العير العير، أدركوا وما أراكم تدركون، إنّ محمّداً والصباة من أهل يثرب قد خرجوا يتعرّضون لعيركم، فتهيّأوا للخروج، وما بقي أحد من عظماء قريش إلّا أخرج مالاً لتجهيز الجيش، وقالوا: من لم يخرج نهدم داره، وخرج معهم العبّاس بن عبد المطلب

ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب وعقيل بن أبي طالب، وأخرجوا معهم القيان يضربون الدفوف وخرج رسول الله ﷺ في ثلاث مائة وثلاثة عشر رجلاً، فلمّا كان بقرب بدر أخذ عيناً للقوم فأخبره بهم.

وفي حديث أبي حمزة الثمالي بعث رسول الله ﷺ عيناً له على العير اسمه عديّ فلمّا قدم على رسول الله ﷺ فأخبره أين فارق العير نزل جبرئيل على رسول الله ﷺ فأخبره بنفير المشركين من مكّة، فاستشار أصحابه في طلب العير وحرب النفير، فقام أبو بكر فقال يا رسول الله: إنّها قريش وخيلاؤها ما آمنت منذ كفرت، ولا ذلّت منذ عزّت، ولم نخرج على أهبة الحرب.

وفي حديث أبي حمزة: قال أبو بكر: أنا عالم بهذا الطريق، فارق عديّ العير بكذا وكذا، وساروا وسرنا فنحن والقوم على بدر يوم كذا وكذا كأنا فرسا رهان فقال ﷺ: اجلس فجلس، ثمّ قام عمر بن الخطّاب فقال مثل ذلك، فقال: اجلس فجلس، ثمّ قام المقداد فقال: يا رسول الله إنّها قريش وخيلاؤها، وقد آمنا بك وصدّقنا، وشهدنا أنّ ماجئت به حقٌّ، والله لو أمرتنا أن نخوض جمر الغضا وشوك الهراس لخضناه معك، والله لا نقول لك ما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ ولكنّا نقول: امض لأمر ربّك فإنّا معك مقاتلون، فجزاه رسول الله ﷺ خيراً على قوله ذلك، ثمّ قال: أشيروا عليّ أيّها النّاس، وإنّما يريد الانصار، لأنّ أكثر النّاس منهم، ولأنّهم حين بايعوه بالعقبة قالوا: إنّا براء من ذمّتك حتى تصل إلى دارنا، ثمّ أنت في ذمتنا نمنعك ممّا نمنع آباءنا ونساءنا، فكان ﷺ يتخوّف أن لا يكون الأنصار ترى عليها نصرته إلاّعلى من دهمه بالمدينة من عدوّ، وأن ليس عليهم أن ينصروه بخارج المدينة فقام سعد بن معاذ فقال: بأبي أنت وأمّي يا رسول الله كأنك أردتنا؟ فقال: نعم فقال: بأبي أنت وأمّي يا رسول الله، إنّا قد آمنا بك، وصدقناك، وشهدنا أنّ ما جئت به حقّ من عند الله، فمرنا بما شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، واترك منها ما شئت، والله لو أمرتنا أن نخوض هذا البحر لخضناه معك، ولعلّ الله أن يريك ما تقرّ به عينك، فسر بنا على بركة الله، ففرح بذلك رسول الله ﷺ وقال: سيروا على بركة الله، فإنّ الله وعدني إحدى الطائفتين، ولن يخلف الله وعده، والله لكأنّي أنظر إلى مصرع أبي جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وفلان وفلان، وأمر رسول الله ﷺ بالرحيل، وخرج إلى بدر وهو بئر. وفي حديث أبي حمزة: وبدرٌ رجل من جهينة والماء ماؤه وإنّما سمّي الماء باسمه.

وأقبلت قريش وبعثوا عبيدها ليستقوا من الماء فأخذهم أصحاب رسول الله ﷺ. وقالوا لهم: من أنتم؟ قالوا نحن عبيد قريش، قالوا فأين العير؟ قالوا: لا علم لنا بالعير، فأقبلوا يضربونهم وكان رسول الله ﷺ يصلّي فانفتل من صلاته، وقال: إن صدقوكم ضربتموهم،

وإن كذبوكم تركتموهم، فأتوه بهم فقال لهم: من أنتم؟ قالوا: يا محمّد نحن عبيد قريش، قال: كم القوم؟ قالوا: لا علم لنا بعددهم قال: كم ينحرون كلّ يوم من جزور؟ قالوا: تسعة إلى عشرة، فقال رسول الله ﷺ: القوم تسعمائة إلى ألف رجل، فأمر صلّى الله عليه وآله بهم فحبسوا، وبلغ ذلك قريشاً ففزعوا وندموا على مسيرهم، ولقي عتبة بن ربيعة أبا البختريّ ابن هشام فقال: أما ترى هذا البغي والله ما أبصر موضع قدمي خرجنا لنمنع عيرنا وقد أفلتت فجئنا بغياً وعدواناً، والله ما أفلح قوم بغوا قطّ ولوددت ما في العير من أموال بني عبد مناف ذهبت ولم نسر هذا المسير، فقال له أبو البختري: إنّك سيّد من سادات قريش، فسر في النّاس وتحمل العير الّتي أصابها محمّد ﷺ وأصحابه بنخلة ودم ابن الحضرميّ فإنّه حليفك، فقال له: عليّ ذلك وما على أحد من خلاف إلّا ابن الحنظلة، يعني أبا جهل، فصر إليه وأعلمه أنّي حملت العير ودم ابن الحضرميّ وهو حليفي وعليّ عقله، قال: فقصدت خباه وأبلغته ذلك، فقال: إنّ عتبة يتعصّب لمحمّد، فإنّه من بني عبد مناف وابنه معه ويريد أنّ يخذل بين النّاس لا واللات والعزى حتّى نقحم عليهم يثرب، أو نأخذهم اسارى فندخلهم مكّة، وتتسامع العرب بذلك، وكان أبو حذيفة بن عتبة مع رسول الله ﷺ. وكان أبو سفيان لما جاز بالعير بعث إلى قريش: قد نجّى الله عيركم فارجعوا ودعوا محمّداً والعرب، وادفعوا بالراح[1] ما اندفع، وإن لم ترجعوا فردّوا القيان، فلحقهم الرسول في الجحفة فأراد عتبة أن يرجع فأبى أبو جهل وبنو مخزوم وردّوا القيان من الجحفة قال: وفزع أصحاب رسول الله صلّى الله عليه آله لمّا بلغهم كثرة قريش واستغاثوا وتضرّعوا فأنزل الله سبحانه: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾[2].

قال ابن عبّاس: لمّا كان يوم بدر واصطفّ القوم للقتال قال أبو جهل: اللّهمّ أولانا بالنصر فانصره، واستغاث المسلمون، فنزلت الملائكة ونزل قوله: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ إلى آخره، وقيل: إنّ النبيّ ﷺ لمّا نظر إلى كثرة عدد المشركين وقلّة عدد المسلمين استقبل القبلة وقال: «اللّهمّ أنجز لي ما وعدتني اللّهمّ إن تهلك هذه العصابة لا تُعبد في الأرض» فما زال يهتف ربّه ماداً يديه حتّى سقط رداؤه من منكبه، فأنزل الله تعالى ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ الآية، وهو المرويّ عن أبي جعفر عليه السلام، قال: ولمّا أمسى رسول الله ﷺ وجنّه اللّيل ألقى الله على أصحابه النعاس، وكانوا قد نزلوا في موضع كثير الرمل لا تثبت فيه قدم، فأنزل الله عليهم المطر رذاذاً حتّى لبد الأرض وثبتت أقدامهم، وكان المطر على قريش مثل العزالي، وألقى الله في قلوبهم الرعب كما قال: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ الآية.

---

(١) الراح جمع الراحة ولعل المعنى أنكم إن أمكنكم دفعه بالأسهل فلا تتعرضوا للأشقى والراح أيضاً الخمر والارتياح ولعل الأول أنسب [منه رحمه الله].

(٢) مجمع البيان، ج ٤ ص ٤٢٩.

قوله: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ أي تستجيرون بربكم يوم بدر من أعدائكم وتسألونه النصر عليهم لقلّتكم وكثرتهم، فلم يكن لكم مفزع إلاّ التضرّع إليه، والدعاء له في كشف الضرّ عنكم ﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم﴾ أي مرسل إليكم مدداً لكم ﴿بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ أي متبعين ألفاً آخر من الملائكة، لأنّ مع كلّ واحد منهم ردف له، وقيل: معناه مترادفين متتابعين، وكانوا ألفاً بعضهم في أثر بعض، وقيل: بألف من الملائكة جاؤوا على آثار المسلمين ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ﴾ أي ما جعل الإمداد بالملائكة إلاّ بشرى لكم بالنصر، ولتسكن به قلوبكم، وتزول الوسوسة عنها، وإلا فملك واحد كاف للتدمير عليهم كما فعل جبرئيل بقوم لوط فأهلكهم بريشة واحدة، واختلف في أنّ الملائكة هل قاتلت يوم بدر أم لا؟ فقيل: ما قاتلت ولكن شجعت وكثّرت سواد المسلمين وبشّرت بالنصر، وقيل: إنّها قاتلت، قال مجاهد: إنّما أمدّهم بألف مقاتل من الملائكة، فأمّا ما قاله في آل عمران بثلاثة آلاف وبخمسة آلاف فإنّه للبشارة، وروي عن ابن مسعود أنّه سأله أبو جهل: من أين كان يأتينا الضرب، ولا نرى الشخص؟ قال: من قبل الملائكة، فقال: هم غلبونا لا أنتم، وعن ابن عبّاس أنّ الملائكة قاتلت يوم بدر وقتلت ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾ لا بالملائكة ولا بكثرة العدد ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يمنع عن مراده ﴿حَكِيمٌ﴾ في أفعاله ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ﴾ هو أوّل النوم قبل أن يثقل ﴿أَمَنَةً﴾ أي أماناً ﴿مِّنْهُ﴾ أي من العدوّ، وقيل: من الله فإنّ الإنسان لا يأخذه النوم في حال الخوف، فآمنهم الله تعالى بزوال الرعب عن قلوبهم، وأيضاً فإنّه قوّاهم بالاستراحة على القتال من الغد ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ أي مطراً ﴿لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ﴾ وذلك لأنّ المسلمين قد سبقهم الكفّار إلى الماء، فنزلوا على كثيب رمل، وأصبحوا محدثين مجنبين، وأصابهم الظمأ ووسوس إليهم الشيطان. وقال: إنّ عدوّكم قد سبقكم إلى الماء وأنتم تصلون مع الجنابة والحدث؟ وتسوخ أقدامكم في الرمل، فمطرهم الله حتّى اغتسلوا به من الجنابة وتطهّروا به من الحدث، وتلبّدت به أرضهم، وأوحلت أرض عدوّهم ﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾ أي وسوسته بما مضى ذكره، أو الجنابة الّتي أصابتكم بالاحتلام ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾ أي وليشدّ على قلوبكم أي يشجّعها ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ بتلبيد الأرض، وقيل: بالصبر وقوّة القلب ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ يعني الملائكة الّذين أمد بهم المسلمين ﴿أَنِّي مَعَكُمْ﴾ بالمعونة والنصرة ﴿فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي بشّروهم بالنصر، وكان الملك يسير أمام الصفّ في صورة الرجل، ويقول: أبشروا فإنّ الله ناصركم، وقيل: معناه قاتلوا معهم المشركين أو ثبّتوهم بأشياء تلقونها في قلوبهم يقوون بها ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ أي الخوف من أوليائي ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾ يعني الرؤوس لأنّها فوق الأعناق، قال عطا: يريد كلّ هامة وجمجمة، وجائز أن يكون هذا أمراً للمؤمنين، وأن يكون أمراً للملائكة وهو الظاهر، قال ابن الانباري: إنّ الملائكة حين

أُمرت بالقتال لم تعلم أين تقصد بالضرب من النّاس، فعلمهم الله تعالى ﴿وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ يعني الأطراف من اليدين والرجلين، وقيل: يعني أطراف الأصابع، اكتفى به عن جملة اليد والرجل ﴿ذَٰلِكَ﴾ العذاب والأمر بضرب الأعناق والأطراف وتمكين المسلمين منهم ﴿بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ أي بسبب أنّهم خالفوا الله ورسوله وحاربوهما ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ في الدنيا بالإهلاك، وفي الآخرة بالتخليد في النّار ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ أي هذا الّذي أعددت لكم من الأسر والقتل في الدنيا ﴿فَذُوقُوهُ﴾ عاجلاً ﴿وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ آجلاً ﴿عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾.

تمام القصة: ولمّا أصبح رسول الله ﷺ يوم بدر عبّأ أصحابه فكان في عسكره فرسان: فرس للزبير بن العوّام، وفرس للمقداد بن الاسود، وكان في عسكره سبعون جملاً كانوا يتعاقبون عليها، وكان رسول الله ﷺ وعليّ بن أبي طالب عليه السلام ومرثد بن أبي مرثد الغنويّ يتعاقبون على جمل لمرثد بن أبي مرثد، وكان في عسكر قريش أربعمائة فرس، وقيل: مائتا فرس، فلمّا نظرت قريش إلى قلّة أصحاب رسول الله ﷺ قال أبو جهل: ما هم إلاّ أكلة رأس، لو بعثنا إليهم عبيدنا لأخذوهم أخذاً باليد، وقال عتبة بن ربيعة: أترى لهم كميناً أو مدداً؟ فبعثوا عمر بن وهب الجمحيّ وكان فارساً شجاعاً فجال بفرسه حتّى طاف على عسكر رسول الله ﷺ، ثمّ رجع فقال: ما لهم كمين ولا مدد، ولكن نواضح يثرب قد حملت الموت الناقع أما ترونهم خرساً لا يتكلمون يتلمّظون تلمّظ الأفاعي، ما لهم ملجأ إلاّ سيوفهم وما أراهم يولّون حتّى يقتلوا، ولا يقتلون حتّى يقتلوا بعددهم، فارتاؤا رأيكم، فقال له أبو جهل: كذبت وجبنت، فأنزل الله سبحانه: ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾ فبعث إليهم رسول الله ﷺ فقال: «يا معاشر قريش إنّي أكره أن أبدأكم فخلوني والعرب وارجعوا» فقال عتبة: ما ردّ هذا قوم قطّ فأفلحوا، ثمّ ركب جملاً له أحمر فنظر إليه رسول الله ﷺ وهو يجول بين العسكرين وينهى عن القتال، فقال ﷺ إن يك عند أحد خير فعند صاحب الجمل الأحمر، وإن يطيعوه يرشدوا، وخطب عتبة فقال في خطبته: يا معاشر قريش أطيعوني اليوم، واعصوني الدهر، إنّ محمّداً له إلّ وذمة، وهو ابن عمّكم فخلّوه والعرب فإن يك صادقاً فأنتم أعلى عيناً به، وإن يك كاذباً كفتكم ذؤبان العرب أمره، فغاظ أبا جهل قوله وقال له: جبنت وانتفخ سحرك، فقال: يا مصفّراً إسته مثلي يجبن؟ ستعلم قريش أيّنا الام وأجبن، وأيّنا المفسد لقومه، ولبس درعه وتقدّم هو وأخوه شيبة وابنه الوليد، وقال: يا محمّد أخرج إلينا أكفاءنا من قريش، فبرز إليه ثلاثة نفر من الأنصار وانتسبوا لهم فقالوا: ارجعوا إنّما نريد الأكفاء من قريش، فنظر رسول الله ﷺ إلى عبيدة بن الحارث بن عبد المطّلب وكان له يومئذ سبعون سنة فقال: قم يا عبيدة ونظر إلى حمزة فقال: قم يا عمّ، ثمّ نظر إلى عليّ فقال: قم يا عليّ وكان أصغر القوم فاطلبوا بحقّكم الّذي جعله الله لكم فقد جاءت قريش بخيلائها وفخرها، تريد أن تطفئ نور الله، ويأبى الله إلاّ أن يتم نوره، ثمّ قال: يا عبيدة عليك بعتبة بن

ربيعة، وقال لحمزة: عليك بشيبة، وقال لعليّ عَلَيْتَلَا: عليك بالوليد، فمرّوا حتّى انتهوا إلى القوم فقالوا: أكفاء كرام، فحمل عبيدة على عتبة فضربه على رأسه ضربة فلقت هامته، وضرب عتبة عبيدة على ساقه فأطنّها فسقطا جميعاً، وحمل شيبة على حمزة فتضاربا بالسيفين حتّى انثلما، وحمل أمير المؤمنين عَلَيْتَلَا على الوليد فضربه على حبل عاتقه فأخرج السيف من إبطه، قال عليّ عَلَيْتَلَا: لقد أخذ الوليد يمينه بشماله فضرب بها هامتي فظننت أنّ السماء وقعت على الارض، ثمّ اعتنق حمزة وشيبة فقال المسلمون: يا عليّ أما ترى الكلب نهز عمّك؟ فحمل عليه عليّ عَلَيْتَلَا فقال: يا عمّ طأطئ رأسك، وكان حمزة أطول من شيبة، فأدخل حمزة رأسه في صدره فضربه عليّ فطرح نصفه، ثمّ جاء إلى عتبة وبه رمق فأجهز عليه.

وفي رواية أخرى أنّه برز حمزة لعتبة، وبرز عبيدة لشيبة، وبرز عليّ للوليد فقتل حمزة عتبة، وقتل عبيدة شيبة، وقتل عليّ الوليد، وضرب شيبة رجل عبيدة فقطعها فاستنقذه حمزة وعليّ، وحمل عبيدة حمزة وعليّ حتّى أتيا به رسول الله ﷺ فاستعبر، فقال: يا رسول الله ألست شهيداً؟ قال: بلى أنت أوّل شهيد من أهل بيتي، وقال أبو جهل لقريش: لا تعجلوا ولا تبطروا كما بطر ابنا ربيعة، عليكم بأهل يثرب فاجزروهم جزراً، وعليكم بقريش فخذوهم أخذاً حتّى ندخلهم مكّة فنعرفهم ضلالتهم الّتي هم عليها، وجاء إبليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم فقال لهم: أنا جار لكم، ادفعوا إليّ رايتكم، فدفعوا إليهم راية الميسرة وكانت الراية مع بني عبد الدار، فنظر إليه رسول الله ﷺ فقال لأصحابه: «غضّوا أبصاركم، وعضّوا على النواجذ» ورفع يده فقال: «يا ربّ إن تهلك هذه العصابة لا تُعبد» ثمّ أصابه الغشي فسري عنه وهو يسلت العرق عن وجهه فقال: هذا جبرئيل قد أتاكم في ألف من الملائكة مردفين.

وروى أبوأمامة بن سهل بن حنيف، عن أبيه قال: لقد رأينا يوم بدر وإنّ أحدنا يشير بسيفه إلى المشرك فيقع رأسه من جسده قبل أن يصل إليه السيف.

قال ابن عبّاس: حدّثني رجل من بني غفار قال: أقبلت أنا وابن عمّ لي حتّى صعدنا في جبل يشرف بنا على بدر ونحن مشركان ننتظر الوقعة على من تكون الدبرة، فبينا نحن هناك إذ دنت منّا سحابة فسمعنا فيها حمحمة الخيل، فسمعنا قائلاً يقول: أقدم حيزوم وقال: فأمّا ابن عمّي فانكشف قناع قلبه فمات مكانه وأمّا أنا فكدت أهلك، ثمّ تماسكت.

وروى عكرمة عن ابن عبّاس أنّ النبيّ ﷺ قال يوم بدر: هذا جبرئيل آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب، أورده البخاريّ في الصحيح.

قال عكرمة: قال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ: كنت غلاماً للعباس بن عبد المطّلب وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت وأسلمت أمّ الفضل وأسلمت، وكان العبّاس يهاب قومه ويكره أن يخالفهم وكان يكتم إسلامه، وكان ذا مال كثير متفرّق في قومه، وكان أبو لهب عدوّ

الله قد تخلّف عن بدر، وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة، وكذلك صنعوا لم يتخلّف رجل إلاّ بعث مكانه رجلاً، فلمّا جاء الخبر عن مصاب أصحاب بدر من قريش كبته الله وأخزاه ووجدنا في أنفسنا قوّة وعزّاً، قال: وكنت رجلاً ضعيفاً، وكنت أعمل القداح أنحتها في حجرة زمزم، فوالله إنّي لجالس فيها أنحت القدح وعندي أمّ الفضل جالسة، وقد سرّنا ما جاءنا من الخبر إذ أقبل الفاسق أبو لهب يجرّ رجليه حتّى جلس على طنب الحجرة، وكان ظهره إلى ظهري، فبينا هو جالس إذ قال الناس: هذا أبوسفيان بن الحارث بن عبد المطّلب وقد قدم، فقال أبولهب: هلمّ إليّ يابن أخي فعندك الخبر، فجلس إليه والنّاس قيام عليه، فقال: يابن أخي أخبرني كيف كان أمر الناس؟ قال: لا شيء والله إن كان إلاّ أن لقيناهم فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا ويأسروننا كيف شاؤا، وأيم الله مع ذلك ما لمت النّاس، لقينا رجالاً بيضاً على خيل بلق بين السماء والارض ما تليق شيئاً ولا يقوم لها شيء، قال أبورافع: فرفعت طرف الحجرة بيدي ثمّ قلت: تلك الملائكة، قال: فرفع أبو لهب يده فضرب وجهي ضربة شديدة فثاورته فاحتملني وضرب بي الأرض، ثمّ برك عليّ يضربني وكنت رجلاً ضعيفاً، فقامت أمّ الفضل إلى عمود من عمد الحجرة فأخذته فضربته ضربة فلقت رأسه شجّة منكرة، وقالت: تستضعفه أنّ غاب عنه سيّده، فقام مولّياً ذليلاً، فوالله ما عاش إلاّ سبع ليال حتّى رماه الله بالعدسة فقتله، ولقد تركه ابناه ليلتين أو ثلاثة ما يدفنانه حتّى أنتن في بيته، وكانت قريش تتّقي العدسة كما يتّقي النّاس الطاعون، حتّى قال لهما رجل من قريش: ألا تستحيان أنّ أباكما قد أنتن في بيته لا تغيّبانه؟ فقالا: إنّا نخشى هذه القرحة، قال: فانطلقا فأنا معكما فما غسلوه إلاّ قذفاً بالماء عليه من بعيد ما يمسّونه، ثمّ احتملوه فدفنوه بأعلى مكّة إلى جدار وقذفوا عليه الحجارة حتّى واروه.

وروى مقسم، عن ابن عبّاس قال: كان الّذي أسر العبّاس أبا اليسر كعب بن عمرو أخا بني سلمة، وكان أبواليسر رجلاً مجموعاً، وكان العبّاس رجلاً جسيماً، فقال رسول الله ﷺ لأبي اليسر: كيف أسرت العبّاس يا أبا اليسر؟ فقال: يا رسول الله (ﷺ) لقد أعانني عليه رجل ما رأيته قبل ذلك ولا بعده، هيئته كذا وكذا، فقال: لقد أعانك عليه ملك كريم(١).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ قيل: خطاب لأهل بدر، وقيل: عامّ ﴿إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا﴾ أي متدانين لقتالكم ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ أي فلا تنهزموا ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ﴾ أي من يجعل ظهره إليهم يوم القتال ووجهه إلى جهة الانهزام ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ﴾ أي إلاّ تاركاً موقفاً إلى موقف آخر أصلح للقتال من الأوّل ﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾ أي منحازاً منضمّاً إلى

(١) مجمع البيان، ج ٤ ص ٤٣٦-٤٤٣.

جماعة من المسلمين يريدون العود إلى القتال ليستعين بهم ﴿فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي احتمل غضب الله واستحقّه، وقيل: رجع به، ثمّ نفى سبحانه أن يكون المسلمون قتلوا المشركين يوم بدر فقال: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ وإنما نفى الفعل عمّن هو فعله على الحقيقة ونسبه إلى نفسه وليس بفعل له، من حيث كانت أفعاله تعالى كالسبب لهذا الفعل، والمؤدّي إليه من إقداره إيّاهم، ومعونته لهم، وتشجيع قلوبهم، وإلقاء الرعب في قلوب أعدائهم حتّى قتلوا ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ ذكر جماعة من المفسرين كابن عبّاس وغيره أنّ جبرئيل قال للنبي ﷺ يوم بدر: خذ قبضة من تراب فارمهم بها، فقال رسول الله ﷺ لمّا التقى الجمعان لعليّ عليه السلام: أعطني قبضة من حصباء الوادي، فناوله كفّاً من حصا عليه تراب فرمى به في وجوه القوم وقال: «شاهت الوجوه» فلم يبق مشرك إلاّ دخل في عينه وفمه ومنخريه منها شيء، ثمّ ردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم، وكانت تلك الرمية سبب هزيمة القوم، وقال قتادة وأنس: ذكر لنا أنّ رسول الله ﷺ أخذ يوم بدر ثلاث حصيات فرمى بحصاة في ميمنة القوم، وحصاة في ميسرة القوم، وحصاة بين أظهرهم، وقال: «شاهت الوجوه» فانهزموا، فعلى هذا إنّما أضاف الرمي إلى نفسه لأنّه لا يقدر أحد غيره على مثله فإنّه من عجائب المعجزات ﴿وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا﴾ أي ولينعم به عليهم نعمة حسنة، والضمير راجع إلى النصر، أو إليه تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لدعائكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بأفعالكم وضمائركم ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ موضعه رفع، والتقدير الأمر ذلكم الإنعام، أو ذلكم الّذي ذكرت ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ بإلقاء الرعب في قلوبهم وتفريق كلمتهم ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾ قيل: إنّه خطاب للمشركين فإن أبا جهل قال يوم بدر حين التقى الفئتان: اللّهمّ أقطعنا للرحم، وآتانا بما لا نعرف، فانصرنا عليه.

وفي حديث أبي حمزة قال أبو جهل: اللّهمّ ربّنا ديننا القديم، ودين محمّد الحديث، فأيّ الدينين كان أحبّ إليك وأرضى عندك فانصر أهله اليوم.

فالمعنى إنّ تستنصروا لإحدى الفئتين فقد جاءكم النصر، أي نصر محمّد وأصحابه، وقيل: إنّه خطاب للمؤمنين، أي إن تستنصروا على أعدائكم فقد جاءكم النصر بالنبي ﷺ ﴿وَإِن تَنتَهُوا۟﴾ عن الكفر وقتال الرسول ﷺ: ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ﴾ أي وإن تعودوا أيّها المشركون إلى قتال المسلمين نعد بأن ننصرهم عليكم ﴿وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا﴾ أي ولن تدفع عنكم جماعتكم شيئاً ﴿وَلَوْ كَثُرَتْ﴾ الفئة ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بالنصر والحفظ، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ قيل: نزلت في أبي سفيان بن حرب استأجر يوم أحد ألفين من الاحابيش يقاتل بهم النبيّ ﷺ سوى من استجاشهم من العرب، وقيل: نزلت في المطعمين يوم بدر، وكانوا اثني عشر رجلاً: أبو جهل بن هشام، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة، ونبيه ومنبّه ابنا الحجّاج، وأبو البختري بن هشام، والنضر بن الحارث، وحكيم بن حزام

وأبي بن خلف، وزمعة بن الاسود، والحارث بن عامر بن نوفل، والعبّاس بن عبد المطّلب كلّهم من قريش، وكان كلّ يوم يطعم واحد منهم عشر جزر، وكانت النوبة يوم الهزيمة للعبّاس، وقيل: لمّا أصيبت قريش يوم بدر ورجع فلّهم[١] إلى مكّة مشى صفوان بن أميّة، وعكرمة بن أبي جهل في رجال من قريش أصيب آباؤهم وإخوانهم ببدر فكلّموا أبا سفيان بن حرب، ومن كانت له في تلك العير تجارة فقالوا: يا معشر قريش إنّ محمّداً قد وتركم وقتل خياركم فأعينونا بهذا المال الّذي أفلت على حربه، لعلّنا أن ندرك منه ثاراً بمن أصيب منّا، ففعلوا فأنزل الله فيهم هذه الآية ﴿يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ في قتال الرسول والمؤمنين ﴿لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي ليمنعوا بذلك النّاس عن دين الله الّذي أتى به محمّد ﷺ ﴿فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ من حيث إنّهم لا ينتفعون بذلك الانفاق لا في الدنيا ولا في الآخرة بل يكون وبالاً عليهم ﴿ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ في الحرب وفيه من الاعجاز ما لا يخفى ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ أي بعد تحسّرهم في الدنيا ووقوع الظفر بهم ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ أي نفقة الكافرين من نفقة المؤمنين ﴿وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ أي نفقة المشركين بعضها على بعض ﴿فَيَرْكُمَهُۥ﴾ أي فيجمعه ﴿جَمِيعًا﴾ في الآخرة ﴿فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ﴾ فيعاقبهم بها، وقيل: معناه ليميز الكافر من المؤمن في الدنيا بالغلبة والنصر والأسماء الحسنة والأحكام المخصوصة، وفي الآخرة بالثواب والجنّة، وقيل: بأن يجعل الكافر في جهنّم، والمؤمن في الجنّة، فيجعل الكافرين في جهنّم بعضهم على بعض يضيّقها عليهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ لأنهم قد اشتروا بالإنفاق في المعصية عذاب الله[٢].

قوله تعالى: ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي سنّة الله في آبائكم، وعادته في نصر المؤمنين، وكبت أعداء الدين[٣].

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ أي فأيقنوا أنّ الله ناصركم إذ كنتم قد شاهدتم من نصره ما قد شاهدتم، أو المعنى ويجوز أن يكون ﴿ءَامَنتُم بِٱللَّهِ﴾ معناه اعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول يأمران فيه بما يريدان، إن كنتم آمنتم بالله فاقبلوا ما أمرتم به من الغنيمة واعملوا به ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ أي وآمنتم بما أنزلنا على محمّد من القرآن، وقيل: من النصر، وقيل: من الملائكة أي علمتم أنّ ظفركم على عدوكم كان بنا ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾ يعني يوم بدر، لأنّ الله تعالى فرق فيه بين المسلمين والمشركين بإعزاز هؤلاء وقمع أولئك ﴿يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ جمع المسلمين وهم ثلاث مائة وبضعة عشر رجلاً، وجمع الكافرين وهم بين تسعمائة إلى ألف من صناديد قريش ورؤسائهم

---

(١) الفل: القوم المنهزمون من الفل بالكسر وهو مصدر سمي به ويقع على الواحد والاثنين والجمع ذكره الجزري [منه رحمه الله].

(٢) مجمع البيان، ج ٤ ص ٤٤٤.

(٣) مجمع البيان، ج ٤ ص ٤٦٦.

فهزموهم وقتلوا منهم زيادة على السبعين، وأسروا منهم مثل ذلك، وكان يوم بدر يوم الجمعة لسبع عشرة ليلة مضت من شهر رمضان من سنة اثنتين من الهجرة على رأس ثمانية عشر شهراً وقيل: كان التاسع عشر من شهر رمضان، وقد روي ذلك عن أبي عبد الله عليه السلام (١).

﴿إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا﴾ العدوة: شفير الوادي، وللوادي عدوتان وهما جانباه والدنيا تأنيث الأدنى، قال ابن عبّاس: يريد: والله قدير على نصركم وأنتم أقلّة أذلّة إذ أنتم نزول بشفير الوادي الأقرب إلى المدينة ﴿وَهُم﴾ يعني المشركين أصحاب النفير ﴿بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى﴾ أي نزول بالشفير الاقصى من المدينة ﴿وَالرَّكْبُ﴾ يعني أبا سفيان وأصحابه وهم العير ﴿أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ أي في موضع أسفل منكم إلى ساحل البحر، قال الكلبيّ: كانوا على شطّ البحر بثلاثة أميال، فذكر الله سبحانه مقاربة الفئتين من غير ميعاد، وما كان المسلمون فيه من قلّة الماء والرمل الّذي تسوخ فيه الأرجل مع قلّة العدّة والعدد، وما كان المشركون فيه من كثرة العدّة والعدد ونزولهم على الماء والعير أسفل منهم وفيها أموالهم، ثمّ مع هذا كلّه نصر المسلمين عليهم ليعلم أنّ النصر من عنده تعالى ﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ﴾ معناه لو تواعدتم أيّها المسلمون الاجتماع في الموضع الّذي اجتمعتم فيه ثمّ بلغكم كثرة عددهم مع قلّة عددكم لتأخرتم فنقضتم المعياد، أو لأخلفتم بما يعرض من العوائق والقواطع، فذكر الميعاد لتأكيد أمره في الاتفاق، ولولا لطف الله مع ذلك لوقع الاختلاف ﴿وَلَٰكِن﴾ قدر الله التقاءكم وجمع بينكم وبينهم على غير ميعاد ﴿لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ أي كائناً لا محالة، وهو إعزاز الدين وأهله، وإذلال الشرك وأهله ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾ أي فعل ذلك ليموت من مات منهم بعد قيام الحجّة عليه بما رأى من المعجزات الباهرة للنبي صلى الله عليه وآله في حروبه وغيرها، ويعيش من عاش منهم بعد قيام الحجّة، وقيل: إنّ البينة هي ما وعد الله من النصر للمؤمنين على الكافرين، صار ذلك حجّة على النّاس في صدق النبيّ صلى الله عليه وآله فيما أتاهم به من عند الله تعالى وقيل: معناه ليهلك من ضل بعد قيام الحجّة عليه فيكون حياة الكافر وبقاؤه هلاكاً له، ويحيى من اهتدى بعد قيام الحجة عليه ويكون بقاء من بقي على الإيمان حياة له، وقوله: ﴿عَن بَيِّنَةٍ﴾ أي بعد بيان ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ﴾ لأقوالهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بما في ضمائرهم ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ العامل في إذ ما تقدّم وتقديره آتاكم النصر إذ كنتم بشفير الوادي إذ يريكهم الله، وقيل: العامل فيه محذوف، أي اذكر يا محمّد إذ يريك الله يا محمّد هؤلاء المشركين الّذين قاتلوكم يوم بدر ﴿فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ معناه يريكهم الله في نومك قليلاً لتخبر المؤمنين بذلك فيجترئوا على قتالهم، وهو قول أكثر المفسّرين، وهذا جائز لأنّ الرؤيا في النوم هو تصوّر يتوهّم معه الرؤية في اليقظة ولا يكون إدراكاً ولا علماً، بل كثير ممّا يراه

(١) مجمع البيان، ج ٤ ص ٤٦٩.

الإنسان في نومه يكون تعبيره بالعكس ممّا رآه، كما يكون تعبير البكاء ضحكاً، قال الرمّانيّ: ويجوز أن يريد الله الشيء في المنام على خلاف ما هو به، لأنّ الرؤيا في المنام تخيّل للمعنى من غير قطع وإن جامعه قطع مع الإنسان على المعنى، وإنّما ذلك على مثل ما يخيّل السراب ماء من غير قطع على أنّه ماء، ولا يجوز أن يلهمه اعتقاداً للشيء على خلاف ما هو به، لأنّ ذلك يكون جهلاً لا يجوز أن يفعله الله سبحانه، والرؤيا على أربعة أقسام: رؤيا من الله تعالى ولها تأويل، ورؤيا من وساوس الشيطان، ورؤيا من غلبة الأخلاط، ورؤيا من الأفكار، وكله أضغاث أحلام إلّا الرؤيا الّتي من قبل الله الّتي هي إلهام في المنام، ورؤيا النبيّ ﷺ هذه كانت بشارة له وللمؤمنين بالغلبة، وقال الحسن: معنى قوله: ﴿فِي مَنَامِكَ﴾ في موضع نومك، أي في عينك الّتي تنام بها، وليس من الرؤيا في النوم، وهو قول البلخيّ وهذا بعيد ﴿وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا﴾ على ما كانوا عليه لجبنتم عن قتالهم وضعفتم، ولتنازعتم في أمر القتال ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ﴾ أي المؤمنين عن الفشل والتنازع ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أي بما في قلوبهم ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا﴾ أضاف الرؤية في النوم إلى النبيّ ﷺ لأنّ رؤيا الأنبياء لا يكون إلّا حقّاً، وأضاف رؤية العين إلى المسلمين، قلّل الله المشركين في أعين المؤمنين ليشتدّ بذلك طمعهم فيهم وجرأتهم عليهم، وقلّل المؤمنين في أعين المشركين لئلا يتأهبوا لقتالهم، ولا يكترثوا بهم فيظفر بهم المؤمنون، وذلك قوله: ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾ وقد وردت الرواية عن ابن مسعود أنّه قال: قلت لرجل بجنبي: تراهم سبعين رجلاً؟ فقال: هم قريب من مائة، وقد روي أنّ أبا جهل كان يقول: خذوهم بالأيدي أخذاً، ولا تقاتلوهم، ومتى قيل: كيف قلّلهم الله في أعينهم مع رؤيتهم لهم، فالقول أنّه يجوز أن يكون ذلك لبعض الاسباب المانعة من الرؤية إمّا بغبار أو ما شاكله فيتخيّلونهم بأعينهم قليلاً من غير رؤية عن الصحّة لجميعهم، وذلك بلطف من ألطافه تعالى ﴿إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً﴾ أي جماعة كافرة ﴿فَاثْبُتُوا﴾ لقتالهم ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ مستعينين به على قتالهم ﴿وَلَا تَنَازَعُوا﴾ في لقاء العدو ﴿فَتَفْشَلُوا﴾ أي فتجبنوا عن عدوّكم ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ أي صولتكم وقوّتكم أو نصرتكم أو دولتكم وقيل: إنّ المعنى ريح النصر الّتي يبعثها الله مع من ينصره على من يخذله، ومنه قوله ﷺ: «نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور»(١).

﴿وَاصْبِرُوا﴾ على قتال الاعداء ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ بالنصر والمعونة ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا﴾ أي بطرين، يعني قريشاً خرجوا من مكّة ليحموا عيرهم فخرجوا معهم بالقيان والمعازف يشربون الخمور، وتعزف عليهم القيان ﴿وَرِئَاءَ النَّاسِ﴾ قيل: إنّهم كانوا يدينون بعبادة الأصنام، فلمّا أظهروا التقرّب بذلك إلى النّاس كانوا مرائين، وقيل: إنّهم وردوا بدراً ليروا النّاس أنّهم لا يبالون بالمسلمين وفي قلوبهم من الرعب ما فيه، فسمّى

(١) مجمع البيان، ج ٤ ص ٤٧١.

الله سبحانه ذلك رئاء ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي ويمنعون غيرهم عن دين الله ﴿وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ أي عالم بأعمالهم.

قال ابن عبّاس: لمّا رأى أبوسفيان أنّه أحرز عيره أرسل إلى قريش أنّ ارجعوا، فقال أبو جهل: والله لا نرجع حتّى نرد بدراً - وكان بدر موسماً من مواسم العرب يجتمع لهم بها سوق كلّ عام - فنقيم بها ثلاثاً، وننحر الجزر، ونطعم الطعام ونسقي الخمور، وتعزف علينا القيان، وتسمع بنا العرب، فلا يزالون يهابوننا أبداً، فوافوها فسقوا كؤوس المنايا، وناحت عليهم النوائح ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ أي حسنها في نفوسهم، وذلك أنّ إبليس حسن لقريش مسيرهم إلى بدر لقتال النبيّ ﷺ، وقال: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ أي لا يغلبكم أحد من النّاس لكثرة عددكم وقوتكم، ﴿وَإِنِّى﴾ مع ذلك ﴿جَارٌ لَّكُمْ﴾ أي ناصر لكم، ودافع عنكم السوء، وقيل: معناه وإنّي عاقد لكم عقد الأمان من عدوّكم ﴿فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ﴾ أي التقت الفرقتان ﴿نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ أي رجع القهقرى منهزماً وراءه ﴿وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾ أي رجعت عمّا كنت ضمنت لكم من الأمان والسلامة، لأنّي أرى من الملائكة الّذين جاؤوا لنصر المسلمين ما لا ترون، وكان إبليس يعرف الملائكة وهم كانوا لا يعرفونه ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ﴾ أي أخاف عذاب الله على أيدي من أراهم ﴿وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ لا يطاق عقابه، وقيل: معناه إنّي أخاف أن يكون قد حلّ الوقت الّذي أنظرت إليه، فإنّ الملائكة لا ينزلون إلاّ لقيام الساعة أو للعقاب، وقال قتادة: كذب عدوّ الله ما به من مخافة، ولكنّه علم أنّه لا قوّة له ولا منعة، وذلك عادة عدوّ الله لمن أطاعه حتّى إذا التقى الحقّ والباطل أسلمهم، وتبرأ منهم، وعلى هذا فيكون قوله: ﴿أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾ معناه أعلم ما لا تعلمون، وأخاف الله أن يهلكني فيمن يهلك، واختلف في ظهور الشيطان يوم بدر كيف كان؟ فقيل: إنّ قريشاً لمّا أجمعت للمسير ذكرت الّذي بينها وبين بني بكر بن عبد مناة بن كنانة من الحرب، فكاد ذلك أن يثنيهم، فجاء إبليس في جند من الشيطان فتبدّى لهم في سورة سراقة ابن مالك بن جعشم الكنانيّ ثمّ المدلجيّ، وكان من أشراف كنانة فقال لهم: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ﴾ أي مجير لكم من كنانة، فلمّا رأى إبليس الملائكة نزلوا من السماء وعلم أنّه لا طاقة له بهم نكص على عقبيه عن ابن عبّاس وغيره، وقيل: إنّهم لمّا التقوا كان إبليس في صفّ المشركين آخذاً بيد الحارث بن هشام فنكص على عقبيه فقال له الحارث: يا سراق أين؟ أتخذلنا على هذه الحالة؟ فقال له: إنّي أرى ما لا ترون فقال: والله ما ترى إلاّ جعاسيس يثرب فدفع في صدر الحارث وانطلق وانهزم النّاس، فلمّا قدموا مكّة فقالوا: هزم النّاس سراقة، فبلغ ذلك سراقة فقال: والله ما شعرت بمسيركم حتّى بلغتني هزيمتكم، قالوا: إنّك أتيتنا يوم كذا، فحلف لهم، فلمّا أسلموا علموا أنّ ذلك كان الشيطان، روي ذلك عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام، وقيل: إنّ إبليس لا يجوز أن يقدر على خلع صورته ولبس صورة سراقة، ولكنّ الله جعل إبليس في صورة سراقة علماً

للنبيّ ﷺ، وإنّما فعل ذلك لأنّه علم أنّه لو لم يدع المشركين إنسان إلى قتال المسلمين فإنّهم لا يخرجون من ديارهم حتّى يقاتلوهم المسلمون، لخوفهم من بني كنانة، فصوّره بصورة سراقة حتّى تم المراد في إعزاز الدين، عن الجبائيّ وجماعة، وقيل: إنّ إبليس لم يتصوّر في صورة إنسان، وإنّما قال ذلك لهم على وجه الوسوسة عن الحسن، والأوّل هو المشهور في التفاسير.

ورأيت في كلام الشيخ المفيد رحمه الله أنّه يجوز أن يقدّر الله تعالى الجنّ ومن جرى مجراهم على أن يتجمّعوا ويعتمدوا ببعض جواهرهم على بعض حتّى يتمكّن النّاس من رؤيتهم ويتشبّهوا بغيرهم من أنواع الحيوان، لأنّ أجسامهم من الرقّة على ما يمكّن ذلك فيها، وقد وجدنا الإنسان يجمع الهواء ويفرّقه ويغيّر صور الأجسام الرخوة ضروباً من التغيير وأعيانها لم تزد ولم تنقص، وقد استفاض الخبر بأنّ إبليس تراءى لأهل دار الندوة في صورة شيخ من أهل نجد، وحضر يوم بدر في صورة سراقة، وإنّ جبرئيل عليه السلام ظهر لأصحاب رسول الله ﷺ في صورة دحية الكلبيّ، قال: وغير محال أيضاً أن يغيّر الله صورهم ويكشفها في بعض الأحوال فيراهم النّاس لضرب من الامتحان[1].

﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ﴾ هذا يتعلّق بما قبله، معناه وإذ زيّن لهم الشيطان أعمالهم إذ يقول المنافقون وهم الّذين يبطنون الكفر ويظهرون الإيمان ﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ وهم الشاكّون في الإسلام مع إظهارهم كلمة الإيمان، وقيل: إنّهم فئة من قريش أسلموا بمكّة، واحتبسهم آباؤهم، فخرجوا مع قريش يوم بدر وهم قيس بن الوليد بن المغيرة، وعليّ بن أميّة ابن خلف، والعاص بن المنبّه ابن الحجّاج، والحارث بن زمعة، وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة، لمّا رأوا قلّة المسلمين قالوا: ﴿غَرَّ هَٰؤُلَاءِ دِينُهُمْ﴾ أي غرّ المسلمين دينهم حتّى خرجوا مع قلّتهم لأجل دينهم إلى قتال المشركين مع كثرتهم، ولم يحسنوا النظر لأنفسهم حتّى اغتروا بقول رسولهم، فبيّن الله تعالى أنّهم هم المغرورون بقوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ أي ومن يسلّم لأمر الله ويثق به ويرض بفعله وإن قلّ عددهم فإنّ الله تعالى ينصرهم على أعدائهم، وهو عزيز لا يغلب، فكذلك لا يغلب من يتوكّل عليه، وهو حكيم يضع الأمور مواضعها على ما تقتضيه الحكمة ﴿وَلَوْ تَرَىٰ﴾ يا محمّد ﴿إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ﴾ أي يقبضون أرواحهم عند الموت ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ يريد أستاههم، وقيل: وجوههم ما أقبل منهم وأدبارهم ما أدبر منهم، والمراد يضربون أجسادهم من قدّامهم ومن خلفهم، والمراد بهم قتلى بدر، عن ابن عبّاس وابن جبير وأكثر المفسّرين، وقيل: معناه سيضربهم الملائكة عند الموت، وروى الحسن أنّ رجلاً قال: يا رسول الله إنّي رأيت بظهر أبي جهل مثل الشراك، فقال ﷺ: ذلك ضرب الملائكة، وروى مجاهد أنّ

---

(١) مجمع البيان، ج ٤ ص ٤٧٦.

رجلاً قال للنبي ﷺ: إنّي حملت على رجل من المشركين فذهبت لأضربه فندر رأسه، فقال: سبقك إليه الملائكة ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ أي وتقول الملائكة للكفّار استخفافاً بهم: ذوقوا عذاب الحريق بعد هذا في الآخرة، وقيل: إنّه كان مع الملائكة يوم بدر مقامع من جديد، كلّما ضربوا المشركين بها التهب النّار في جراحاتهم، فذلك قوله: ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾. ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي ذلك العذاب ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ أي بما قدّمتم وفعلتم ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ لا يظلم عباده في عقوبتهم من حيث إنّه إنّما عاقبهم بجناياتهم على قدر استحقاقهم[1].

﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ﴾ أي ليس له ولا في عهد الله إليه ﴿أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ﴾ من المشركين ليفديهم أو يمنّ عليهم ﴿حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي حتّى يبالغ في قتل المشركين وقهرهم ليرتدع بهم من وراءهم، وقال أبو مسلم: الإثخان: الغلبة على البلدان والتذليل لأهلها، يعني حتّى يتمكّن في الأرض ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا﴾ هذا خطاب لمن دون النبيّ ﷺ من المؤمنين الّذين رغبوا في أخذ الفداء من الاسرى ورغبوا في الحرب للغنيمة، قال الحسن وابن عبّاس: يريد يوم بدر، يقول: أخذتم الفداء من الاسرى في أوّل وقعة كانت لكم من قبل أن تثخنوا في الارض، وعرض الدنيا: مال الدنيا، لأنّه بعرض الزوال ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ أي يريد لكم ثواب الآخرة ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ قيل في معناه أقوال: أحدها: لولا ما مضى من حكم الله أن لا يعذّب قوماً حتّى يبيّن لهم ما يتّقون وأنّه لم يبيّن لكم أن لا تأخذوا الفداء لعذبكم بأخذ الفداء، عن ابن جريج، وثانيها: لولا أنّ الله حكم لكم بإباحة الغنائم والفداء في أمّ الكتاب وهو اللوح المحفوظ لمسّكم فيما استحللتم قبل الإباحة عذاب عظيم، فإنّ الغنائم لم تحلّ لأحد قبلكم عن ابن عبّاس.

وثالثها: لولا كتاب من الله سبق وهو القرآن فآمنتم به واستوجبتم بالإيمان به الغفران لمسكم العذاب.

ورابعها: أنّ الكتاب الّذي سبق قوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾.

﴿فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ هذا إباحة منه سبحانه للمؤمنين أن يأكلوا ممّا غنموا من أموال المشركين.

القصّة: كان القتلى من المشركين يوم بدر سبعين، قتل منهم عليّ بن أبي طالب سبعة وعشرين، وكان الأسرى أيضاً سبعين، ولم يؤسر أحد من أصحاب رسول الله ﷺ فجمعوا الأُسارى وقرنوهم في الحبال وساقوهم على أقدامهم، وقتل من أصحاب رسول الله ﷺ تسعة رجال، منهم: سعد بن خيثمة، وكان من النقباء من الاوس وعن محمّد بن إسحاق

(١) مجمع البيان، ج ٤ ص ٤٧٩.

قال: استشهد من المسلمين يوم بدر أحد عشر رجلاً: أربعة من قريش، وسبعة من الانصار، وقيل: ثمانية، وقتل من المشركين بضعة وأربعون رجلاً، وعن ابن عبّاس قال: لمّا أمسى رسول الله ﷺ يوم بدر والنّاس محبوسون بالوثاق بات ساهراً أوّل اللّيل، فقال له أصحابه: ما لك لا تنام؟ فقال ﷺ: سمعت أنين عمّي العبّاس في وثاقه، فأطلقوه فسكت فنام رسول الله ﷺ، وروى عبيدة السلمانيّ عن رسول الله ﷺ أنّه قال لاصحابه يوم بدر في الأسارى: إنّ شئتم قتلتموهم، وإن شئتم فاديتموهم، واستشهد منكم بعدّتهم، وكانت الأسارى سبعين، فقالوا: بل نأخذ الفداء فنستمتع به، ونتقوّى به على عدوّنا، يستشهد منّا بعدتهم، قال عبيدة: طلبوا الخيرتين كلتيهما، فقتل منهم يوم أحد سبعون.

وفي كتاب عليّ بن إبراهيم: لمّا قتل رسول الله ﷺ النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط خافت الأنصار أن يقتل الأسارى، قالوا: يا رسول الله قتلنا سبعين وهم قومك وأسرتك، أتجذّ أصلهم، فخذ يا رسول الله (ﷺ) منهم الفداء، وقد كانوا أخذوا ما وجدوه من الغنائم في عسكر قريش، فلمّا طلبوا إليه وسألوه نزلت: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ﴾ الآيات، فأطلق لهم ذلك، وكان أكثر الفداء أربعة آلاف درهم، وأقله ألف درهم، فبعثت قريش بالفداء أوّلاً فأوّلاً وبعثت زينب بنت رسول الله ﷺ من فدى زوجها أبي العاص بن الربيع، وبعثت قلائد لها كانت خديجة جهّزتها بها، وكان أبو العاص ابن أخت خديجة، فلمّا رأى رسول الله ﷺ تلك القلائد قال: رحم الله خديجة، هذه قلائد هي جهّزتها بها فأطلقه رسول الله ﷺ بشرط أن يبعث إليه زينب ولا يمنعها من اللحوق به فعاهده على ذلك ووفى له، وروي أنّ النبيّ ﷺ كره أخذ الفداء حتّى رأى سعد بن معاذ كراهية ذلك في وجهه، فقال: يا رسول الله هذا أوّل حرب لقينا فيه المشركين والاثخان في القتل أحبّ إلينا من استبقاء الرجال، وقال عمر بن الخطّاب: يا رسول الله كذّبوك وأخرجوك، فقدّمهم واضرب أعناقهم، ومكن عليّاً من عقيل فيضرب عنقه، ومكّنّي من فلان أضرب عنقه، فإنّ هؤلاء أئمّة الكفر وقال أبو بكر: أهلك وقومك استأن بهم واستبقهم وخذ منهم فدية تكون لنا قوّة على الكفّار، وقال أبو جعفر الباقر عليه السلام: كان الفداء يوم بدر كلّ رجل من المشركين بأربعين أوقية، والأوقية أربعون مثقالاً إلاّ العبّاس فإن فداءه كان مائة أوقيّة، وكان أخذ منه حين أسر عشرون اوقية ذهباً، فقال النبيّ: ذلك غنيمة، ففاد نفسك وابني أخيك نوفلاً وعقيلاً، فقال: ليس معي شيء فقال: أين الذهب الذي سلّمته إلى أمّ الفضل، وقلت: إن حدث بي حدث فهو لك وللفضل وعبدالله وقثم؟ فقال: من أخبرك بهذا؟ قال: الله تعالى، فقال: أشهد أنّك رسول الله، والله ما اطّلع على هذا أحد إلاّ الله تعالى.

ثمّ خاطب الله سبحانه نبيّه ﷺ فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم﴾ إنما ذكر الايدي لأنّ من كان في وثاقهم فهو بمنزلة من يكون في أيديهم لاستيلائهم عليه ﴿مِّنَ الْأَسْرَىٰ﴾ يعني

أسراء بدر الّذين أخذ منهم الفداء ﴿إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾ أي إسلاماً وإخلاصاً أو رغبة في الإيمان وصحة نيّة ﴿يُؤْتِكُمْ﴾ أي يعطكم ﴿خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ﴾ من الفداء إمّا في الدنيا والآخرة، وإمّا في الآخرة، روي عن العبّاس بن عبد المطّلب أنّه قال: نزلت هذه الآية فيَّ وفي أصحابي، كان معي عشرون أوقية ذهباً، فأخذت منّي فأعطاني الله مكانها عشرين عبداً كلّ منهم يضرب بمال كثير، وأدناهم يضرب بعشرين ألف درهم مكان العشرين أوقية، وأعطاني زمزم وما أحبّ أنّ لي بها جميع أموال أهل مكّة، وأنا أنتظر المغفرة من ربّي، قال قتادة: ذكر لنا أنّ النبي ﷺ لمّا قدم عليه مال البحرين ثمانون ألفاً وقد توضأ لصلاة الظهر، فما صلّى يومئذ حتّى فرقه، وأمر العبّاس أن يأخذ منه ويحثي فأخذ، وكان العبّاس يقول: هذا خير ممّا أخذ منّا وأرجو المغفرة ﴿وَإِن يُرِيدُوا۟﴾ أي الّذين أطلقتهم من الأسارى ﴿خِيَانَتَكَ﴾ بأن يعودوا حرباً لك أو ينصروا عدوّاً عليك ﴿فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ﴾ بأن خرجوا إلى بدر وقاتلوا مع المشركين وقيل: بأن أشركوا بالله وأضافوا إليه ما لا يليق به ﴿فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾ أي فأمكنك منهم يوم بدر بأن غلبوا وأسروا، وسيمكّنك منهم ثانياً إن خانوك ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بما في نفوسكم ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما يفعله[1].

١ - **فس:** ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ قال أبو عبد الله عليه السلام: ما كانوا أذلّة وفيهم رسول الله ﷺ، وإنّما نزل: ولقد نصركم الله ببدر وأنتم ضعفاء[2].

٢ - **فس:** قوله: ﴿إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ﴾ قال: العير أو قريش.

قوله: ﴿ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ﴾ قال: ذات الشوكة: الحرب، قال: تودّون العير لا الحرب ﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ قال: الكلمات الأئمة، قوله: ﴿شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ أي عادوا الله ورسوله. قوله: ﴿زَحْفًا﴾ أي يدنو بعضكم من بعض ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ﴾ يعني يرجع ﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾ يعني يرجع إلى صاحبه وهو الرسول والإمام ﴿فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ ثم قال: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ أي أنزل الملائكة حتّى قتلوهم، ثمّ قال: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ يعني الحصا الّذي حمله رسول الله ﷺ ورمى به في وجوه قريش وقال: «شاهت الوجوه» ثم قال: ﴿ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي مضعف كيدهم وحيلتهم ومكرهم قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ الآية قال: نزلت في قريش لمّا وافاهم ضمضم وأخبرهم بخروج رسول الله ﷺ في طلب العير فأخرجوا أموالهم وحملوا وأنفقوا وخرجوا إلى محاربة رسول الله ﷺ ببدر فقتلوا وصاروا إلى النّار، وكان ما أنفقوا حسرة عليهم، قوله: ﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ﴾ يعني قريشاً حين نزلوا بالعدوة اليمانية ورسول الله ﷺ حيث نزل بالعدوة الشامية ﴿وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ

(١) مجمع البيان، ج ٤ ص ٤٩٣. (٢) تفسير القمي، ج ١ ص ١٢٩.

مِنكُمْ﴾ وهي العير الّتي أفلتت، ثمّ قال: ﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ﴾ للحرب لما وفيتم ﴿وَلَٰكِن﴾ الله جمعكم من غير ميعاد كان بينكم ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾ قال: يعلم من بقي أنّ الله ينصره، قوله ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾ فالمخاطبة لرسول الله ﷺ، والمعنى لاصحابه، أراهم الله قريشاً في منامهم أنّهم قليل، ولو أراهم كثيراً لفزعوا[1].

٣ - فس: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ۝ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ۝﴾ وكان سبب ذلك أنّ عيراً لقريش خرجت إلى الشام فيها خزائنهم، فأمر النبيّ ﷺ أصحابه بالخروج ليأخذوها، فأخبرهم أنّ الله تعالى قد وعده إحدى الطائفتين: إمّا العير أو قريش إن أظفر بهم، فخرج في ثلاث مائة وثلاثة عشر رجلاً، فلمّا قارب بدراً كان أبوسفيان في العير، فلمّا بلغه أنّ رسول الله ﷺ قد خرج يتعرض العير خاف خوفاً شديداً، ومضى إلى الشام، فلمّا وافى النقرة اكترى ضمضم ابن عمرو الخزاعيّ بعشرة دنانير، وأعطاه قلوصاً، وقال له: امض إلى قريش وأخبرهم أنّ محمّداً والصباة من أهل يثرب قد خرجوا يتعرّضون لعيركم فأدركوا العير، وأوصاه أن يخرم ناقته، ويقطع أذنها حتّى يسيل الدم، ويشق ثوبه من قبل ودبر، فإذا دخل مكّة ولى وجهه إلى ذنب البعير وصاح بأعلى صوته وقال: يا آل غالب يا آل غالب، اللطيمة اللطيمة، العير العير، أدركوا أدركوا وما أراكم تدركون، فإن محمّداً والصباة من أهل يثرب قد خرجوا يتعرضون لعيركم، فخرج ضمضم يبادر إلى مكّة، ورأت عاتكة بنت عبد المطّلب قبل قدوم ضمضم في منامها بثلاثة أيّام كأنّ راكباً قد دخل مكّة ينادي: يا آل غدر يا آل غدر، اغدوا إلى مصارعكم صبح ثالثة، ثمّ وافى بجمله على أبي قبيس فأخذ حجراً فدهده من الجبل فما ترك داراً من دور قريش إلاّ أصابه منه فلذة، وكان وادي مكّة قد سال من أسفله دماً، فانتبهت ذعرة فأخبرت العبّاس بذلك، فأخبر العبّاس عتبة بن ربيعة، فقال عتبة: هذه مصيبة تحدث في قريش، وفشت الرؤيا في قريش وبلغ ذلك أبا جهل فقال: ما رأت عاتكة هذه الرؤيا، وهذه نبيّة ثانية في بني عبد المطّلب واللّات والعزّى لننتظرن ثلاثة أيّام، فإن كان ما رأت حقّاً فهو كما رأت، وإن كان غير ذلك لنكتبن بيننا كتاباً أنّه ما من أهل بيت من العرب أكذب رجالاً ولا نساءً من بني هاشم، فلمّا مضى يوم قال أبو جهل: هذا يوم قد مضى، فلمّا كان اليوم الثاني قال أبو جهل: هذان يومان قد مضيا، فلمّا كان اليوم الثالث وافى ضمضم ينادي في الوادي: يا آل غالب، يا آل غالب، اللطيمة اللطيمة، العير العير، أدركوا وما أراكم تدركون، فإن محمّداً والصباة من أهل يثرب قد خرجوا يتعرّضون لعيركم الّتي فيها خزائنكم، فتصايح النّاس بمكّة، وتهيّأوا للخروج، وقام سهيل بن عمرو وصفوان بن أمية، وأبو البختري بن هشام،

---

(١) تفسير القمي، ج ١ ص ٢٦٩.

ومنبّه ونبيه ابنا الحجّاج، ونوفل بن خويلد فقال: يا معشر قريش والله ما أصابكم مصيبة أعظم من هذه أن يطمع محمّد والصباة من أهل يثرب أن يتعرّضوا لعيركم الّتي فيها خزائنكم، فوالله ما قرشيّ ولا قرشيّة إلاّ ولها في هذا العير نشّ فصاعداً، وإنّه لمن الذلّ والصغار أن يطمع محمّد في أموالكم ويفرّق بينكم وبين متجركم، فاخرجوا، وأخرج صفوان بن أميّة خمسمائة دينار وجهّز بها، وأخرج سهيل بن عمرو، وما بقي أحد من عظماء قريش إلاّ أخرجوا مالاً وحملوا وقووا، وخرجوا على الصعب والذلول لا يملكون أنفسهم كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿خَرَجُوا مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ وخرج معهم العبّاس بن عبد المطلب ونوفل ابن الحارث وعقيل بن أبي طالب، وأخرجوا معهم القيان يشربون الخمور ويضربون بالدفوف، وخرج رسول الله ﷺ في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، فلمّا كان بقرب بدر على ليلة منها بعث بسيس بن أبي الزغبا وعدي بن عمرو يتجسّسان خبر العير، فأتيا ماء بدر وأناخا راحلتيهما واستعذبا من الماء وسمعا جاريتين قد تشبّثت إحداهما بالأخرى تطالبها بدرهم كان لها عليها فقالت: عير قريش نزلت أمس في موضع كذا وكذا، وهي تنزل غداً ههنا، وأنا أعمل لهم وأقضيك، فرجعا إلى رسول الله ﷺ فأخبراه بما سمعا، فأقبل أبوسفيان بالعير فلمّا شارف بدراً تقدّم العير وأقبل وحده حتّى انتهى إلى ماء بدر، وكان بها رجل من جهينة يقال له: كسب الجهنيّ، فقال له: يا كسب هل لك علم بمحمّد وأصحابه، قال: لا، قال: واللّات والعزى لئن كتمتنا أمر محمّد لا تزال قريش لك معادية آخر الدهر، فإنّه ليس أحد من قريش إلاّ وله شيء في هذا العير فلا تكتمني، فقال: والله ما لي علم بمحمّد، وما بال محمّد وأصحابه بالتجّار إلاّ أنّي رأيت في هذا اليوم راكبين أقبلا فاستعذبا من الماء وأناخا راحلتيهما ورجعا، فلا أدري من هما، فجاء أبوسفيان إلى موضع مناخ إبلهما ففتّ أبعار الإبل بيده فوجد فيها النوى، فقال: هذه علائف يثرب، هؤلاء والله عيون محمّد، فرجع مسرعاً وأمر بالعير فأخذ بها نحو ساحل البحر وتركوا الطريق ومروا مسرعين، ونزل جبرئيل على رسول الله ﷺ فأخبره أنّ العير قد أفلتت، وأن قريشاً قد أقبلت لمنع عيرها وأمره بالقتال، ووعده النصر، وكان نازلاً بالصفراء فأحبّ أن يبلو الأنصار لأنّهم إنّما وعدوه أن ينصروه وكان في الدار، فأخبرهم أنّ العير قد جازت، وأن قريشاً قد أقبلت لتمنع عيرها، وأنّ الله قد أمرني بمحاربتهم، فجزع أصحاب رسول الله ﷺ من ذلك، وخافوا خوفاً شديداً، فقال رسول الله ﷺ أشيروا عليّ فقام أبو بكر فقال: يا رسول الله إنّها قريش وخيلاؤها ما آمنت منذ كفرت ولا ذلّت منذ عزّت ولم نخرج على هيئة الحرب، فقال رسول الله ﷺ: اجلس فجلس، فقال: أشيروا عليّ فقام عمر فقال مثل مقالة أبي بكر، فقال: اجلس، ثمّ قام المقداد فقال: يا رسول الله إنّها قريش وخيلاؤها، وقد آمنّا بك وصدقناك، وشهدنا أنّ ما جئت به حقّ من عند الله، والله لو أمرتنا أن نخوض جمر الغضا وشوك الهراس لخضنا معك،

ولا نقول لك ما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ ولكنّا نقول: اذهب أنت وربّك فقاتلا إنّا معكما مقاتلون فجزاه النبيّ خيراً ثمّ جلس، ثمّ قال: أشيروا عليّ فقام سعد بن معاذ فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله كأنّك أردتنا؟ قال: نعم، قال: فلعلّك خرجت على أمر قد أمرت بغيره؟ قال: نعم، قال: بأبي أنت وأمّي يا رسول الله إنّا قد آمنّا بك وصدّقناك، وشهدنا أنّ ما جئت به حقّ من عند الله، فمرنا بما شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، واترك منه ما شئت، والّذي أخذت منه أحبّ إليّ من الّذي تركت، والله لو أمرتنا أن نخوض هذا البحر لخضناه معك، فجزاه خيراً، ثمّ قال: بأبي أنت وأمّي يا رسول الله، والله ما خضت هذا الطريق قطّ وما لي به علم، وقد خلّفنا بالمدينة قوماً ليس نحن بأشد جهازاً لك منهم، ولو علموا أنّه الحرب لما تخلّفوا، ولكن نعدّ لك الرواحل، ونلقى عدوّنا فإنا صبر عند اللقاء، أنجاد في الحرب، وإنّا لنرجو أن يقرّ الله عينك بنا، فإن يك ما تحبّ فهو ذاك، وإن يك غير ذلك قعدت على رواحلك فلحقت بقومنا فقال رسول الله: أو يحدث الله غير ذلك، كأنّي بمصرع فلان ههنا، وبمصرع فلان ههنا، وبمصرع أبي جهل وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ومنبّه ونبيه ابني الحجّاج فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين ولن يخلف الله الميعاد، فنزل جبرئيل على رسول الله ﷺ بهذه الآية: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ فأمر رسول الله بالرحيل حتّى نزل عشاء على ماء بدر، وهي العدوة الشاميّة، وأقبلت قريش فنزلت بالعدوة اليمانيّة، وبعثت عبيدها تستعذب من الماء فأخذوهم أصحاب رسول الله ﷺ وحبسوهم، فقالوا لهم: من أنتم قالوا: نحن عبيد قريش، قالوا: فأين العير؟ قالوا: لا علم لنا بالعير، فأقبلوا يضربونهم، وكان رسول الله ﷺ يصلّي فانفتل من صلاته، فقال: إن صدقوكم ضربتموهم، وإن كذبوكم تركتموهم، عليّ بهم، فأتوا بهم، فقال لهم: من أنتم؟ قالوا: يا محمّد نحن عبيد قريش، قال: كم القوم؟ قالوا: لا علم لنا بعددهم، قال: كم ينحرون في كلّ يوم جزوراً؟ قالوا: تسعة إلى عشرة، فقال رسول الله ﷺ: تسعمائة إلى ألف، قال: فمن فيهم من بني هاشم؟ قال: العبّاس بن عبد المطلب، ونوفل بن الحارث، وعقيل بن أبي طالب، فأمر رسول الله ﷺ بهم فحبسوا، وبلغ قريشاً ذلك فخافوا خوفاً شديداً، ولقي عتبة بن ربيعة أبا البختريّ بن هشام فقال له: أما ترى هذا البغي؟ والله ما أبصر موضع قدمي، خرجنا لنمنع عيرنا وقد أفلتت فجئنا بغياً وعدواناً، والله ما أفلح قوم قطّ بغوا، ولوددت أنّ ما في العير من أموال بني عبد مناف ذهب كلّه، ولم نسر هذا المسير، فقال له أبو البختري: إنّك سيّد من سادات قريش فتحمّل العير الّتي أصابها محمّد وأصحابه بنخلة ودم ابن الحضرميّ فإنّه حليفك، فقال عتبة: انت عليّ بذلك، وما على أحد منّا خلاف إلّا ابن الحنظليّة يعني أبا جهل، فصر إليه وأعلمه أنّي قد تحملت العير الّتي قد أصابها محمّد ودم ابن الحضرميّ، فقال

أبو البختريّ: فقصدت خباء وإذا هو قد أخرج درعاً له، فقلت له: إنَّ أبا الوليد بعثني إليك برسالة، فغضب ثمَّ قال: أما وجد عتبة رسولاً غيرك؟ فقلت: أما والله لو غيره أرسلني ما جئت، ولكن أبا الوليد سيّد العشيرة، فغضب غضبة أُخرى، فقال: تقول سيّد العشيرة؟ فقلت: أنا أقوله وقريش كلّها تقوله، إنّه قد تحمل العير ودم ابن الحضرميّ، فقال: إنَّ عتبة أطول النّاس لساناً، وأبلغه في الكلام، ويتعصّب لمحمّد فإنّه من بني عبد مناف وابنه معه، ويريد أن يخذر النّاس، لا واللاّت والعزّى حتّى نقحم عليهم بيثرب ونأخذهم أسارى، فندخلهم مكّة، وتتسامع العرب بذلك، ولا يكون بيننا وبين متجرنا أحد نكرهه، وبلغ أصحاب رسول الله ﷺ كثرة قريش ففزعوا فزعاً شديداً وشكوا وبكوا واستغاثوا، فأنزل الله على رسوله ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝﴾ فلما أمسى رسول الله ﷺ وجنّه اللّيل ألقى الله على أصحابه النعاس حتّى ناموا، وأنزل الله تبارك وتعالى عليهم الماء وكان نزول رسول الله ﷺ في موضع لا يثبت فيه القدم، فأنزل الله عليهم السماء ولبد الأرض حتّى ثبتت أقدامهم، وهو قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾ وذلك أنَّ بعض أصحاب النبيّ ﷺ احتلم ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ وكان المطر على قريش مثل العزالي، وعلى أصحاب رسول الله ﷺ رذاذاً بقدر ما لبد الارض، وخافت قريش خوفاً شديداً، فأقبلوا يتحارسون يخافون البيات، فبعث رسول الله ﷺ عمّار بن ياسر وعبد الله بن مسعود فقال: ادخلا في القوم وائتونا بأخبارهم، فكانا يجولان بعسكرهم لا يرون إلاّ خائفاً ذعراً، إذا صهل الفرس وثبت على جحفله، فسمعوا منبه بن الحجّاج يقول:

لا يترك الجوع لنا مبيتا لا بد أنّ نموت أو نميتا

قال: قد والله كانوا شباعى، ولكنّهم من الخوف قالوا هذا، وألقى الله في قلوبهم الرعب كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ فلمّا أصبح رسول الله ﷺ عبأ أصحابه، وكان في عسكر رسول الله ﷺ فرسين: فرس للزبير بن العوامّ، وفرس للمقداد، وكانت في عسكره سبعون جملاً يتعاقبون عليها، فكان رسول الله ﷺ وعليّ بن أبي طالب عليه السلام ومرثد بن أبي مرثد الغنويّ على جمل يتعاقبون عليه، والجمل لمرثد، وكان في عسكر قريش أربعمائة فرس فعبّأ رسول الله ﷺ أصحابه بين يديه وقال: غضّوا أبصاركم ولا تبدأوهم بالقتال ولا يتكلّمن أحد، فلمّا نظرت قريش إلى قلّة أصحاب رسول الله عليه السلام قال أبو جهل: ما هم إلاّ أكلة رأس، لو بعثنا إليهم عبيدنا لأخذوهم أخذاً باليد، فقال عتبة بن ربيعة: أترى لهم كميناً ومدداً؟ فبعثوا عمرو بن وهب الجمحيّ وكان فارساً شجاعاً فجال بفرسه حتّى طاف بعسكر رسول الله ﷺ، ثمّ صعّد في الوادي وصوّب، ثمّ رجع إلى قريش فقال: ما لهم كمين ولا مدد، ولكن نواضح يثرب قد حملت

الموت الناقع، أما ترونهم خرس لا يتكلمون يتلمظون تلمّظ الأفاعي، ما لهم ملجأ إلّا سيوفهم، وما أراهم يولّون حتّى يقتلوا، ولا يقتلون حتّى يقتلوا بعددهم فارتأوا رأيكم، فقال أبو جهل: كذبت وجبنت وانتفخ سحرك حين نظرت إلى سيوف أهل يثرب، وفزع أصحاب رسول الله ﷺ حين نظروا إلى كثرة قريش وقوّتهم فأنزل الله تعالى على رسوله: ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ وقد علم الله أنّهم لا يجنحون ولا يجيبون إلى السلم، وإنّما أراد بذلك لتطيب قلوب أصحاب النبيّ ﷺ، فبعث رسول الله ﷺ إلى قريش فقال: يا معشر قريش ما أحد من العرب أبغض إليّ من أن أبدأ بكم فخلوني والعرب، فإن أك صادقاً فأنتم أعلى بي عيناً، وإن أك كاذباً كفتكم ذوبان العرب أمري فارجعوا، فقال عتبة: والله ما أفلح قوم قطّ ردّوا هذا، ثمّ ركب جملاً له أحمر فنظر إليه رسول الله ﷺ يجول في العسكر وينهى عن القتال، فقال: إن يكن عند أحد خير فعند صاحب الجمل الأحمر إن يطيعوه يرشدوا، فأقبل عتبة يقول: يا معشر قريش اجتمعوا واسمعوا ثمّ خطبهم فقال: يمن مع رحب، فرحب مع يمن، يا معشر قريش أطيعوني اليوم، واعصوني الدهر، وارجعوا إلى مكّة واشربوا الخمور، وعانقوا الحور، فإن محمّداً له إلّ وذمة وهو ابن عمّكم فارجعوا ولا تردّوا رأيي، وإنّما تطالبون محمّداً بالعير الّتي أخذها محمّد بنخلة ودم ابن الحضرميّ وهو حليفي وعليّ عقله، فلمّا سمع أبو جهل ذلك غاظه وقال: إنّ عتبة أطول النّاس لساناً، وأبلغهم في الكلام، ولئن رجعت قريش بقوله ليكوننّ سيّد قريش آخر الدهر، ثمّ قال: يا عتبة نظرت إلى سيوف بني عبد المطّلب وجبنت وانتفخ سحرك، وتأمر النّاس بالرجوع، وكان على فرس فأخذ بشعره، فقال الناس: يقتله، فعرقب فرسه، فقال: أمثلي يجبّن؟ وستعلم قريش اليوم أيّنا الألأم والأجبن، وأيّنا المفسد لقومه، لا يمشي إلّا أنا وأنت إلى الموت عياناً، ثمّ قال:

هذا جناي وخياره فيه — وكلّ جان يده إلى فيه

ثمّ أخذ بشعره يجرّه فاجتمع إليه النّاس فقالوا: يا أبا الوليد الله الله لا تفتّ في أعضاد النّاس، تنهى عن شيء تكون أوّله، فخلّصوا أبا جهل من يده، فنظر عتبة إلى أخيه شيبة ونظر إلى ابنه الوليد فقال: قم يا بنيّ، فقام ثمّ لبس درعه وطلبوا له بيضة تسع رأسه فلم يجدوها لعظم هامته، فاعتجر بعمامتين، ثمّ أخذ سيفه وتقدّم هو وأخوه وابنه، ونادى: يا محمّد أخرج إلينا أكفاءنا من قريش، فبرز إليه ثلاثة نفر من الانصار: عود، ومعود، وعوف بني عفراء، فقال عتبة: من أنتم؟ انتسبوا لنعرفكم، فقالوا: نحن بنو عفراء أنصار الله وأنصار رسوله، فقالوا: ارجعوا فإنّا لسنا إيّاكم نريد، إنّما نريد الاكفاء من قريش، فبعث إليهم رسول الله ﷺ أن ارجعوا، فرجعوا، وكره أن يكون أوّل الكرة بالانصار فرجعوا ووقفوا مواقفهم، ثمّ نظر رسول الله ﷺ إلى عبيدة بن الحارث بن عبد المطّلب وكان له سبعون سنة فقال له: قم يا عبيدة، فقام بين يديه بالسيف، ثمّ نظر إلى حمزة بن عبد المطّلب فقال له: قم يا

عمّ، ثمّ نظر إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: قم يا عليّ، وكان أصغرهم سنّاً، فقاموا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله بسيوفهم، فقال: فاطلبوا بحقّكم الّذي جعله الله لكم، فقد جاءت قريش بخيلائها وفخرها، تريد أن تطفئ نور الله، ويأبى الله إلاّ أن يتم نوره، ثمّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عبيدة عليك بعتبة، وقال لحمزة: عليك بشيبة، وقال لعليّ: عليك بالوليد بن عتبة، فمروا حتّى انتهوا إلى القوم، فقال عتبة: من أنتم؟ انتسبوا نعرفكم، فقال عبيدة: أنا عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب، فقال كفو كريم، فمن هذان؟ فقال: حمزة بن عبد المطّلب وعليّ بن أبي طالب، فقال: كفوان كريمان، لعن الله من أوقفنا وإيّاكم بهذا الموقف، فقال شيبة لحمزة: من أنت؟ فقال: أنا حمزة بن عبد المطّلب أسد الله وأسد رسوله، فقال له شيبة: لقد لقيت أسد الحلفاء فانظر كيف تكون صولتك يا أسد الله، فحمل عبيدة على عتبة فضربه على رأسه ضربة فلق هامته، وضرب عتبة عبيدة على ساقه فقطعها وسقطا جميعاً، وحمل حمزة على شيبة فتضاربا بالسيفين حتّى انثلما، وكلّ واحد منهما يتقي بدرقته، وحمل أمير المؤمنين عليه السلام على الوليد بن عتبة فضربه على حبل عاتقه فأخرج السيف من إبطه، فقال عليّ: فأخذ يمينه المقطوعة بيساره فضرب بها هامتي فظننت أنّ السماء وقعت على الارض، ثمّ اعتنق حمزة وشيبة، فقال المسلمون: يا عليّ أما ترى الكلب قد نهز عمك، فحمل عليه عليّ، ثمّ قال: يا عمّ طأطئ رأسك، وكان حمزة أطول من شيبة، فأدخل حمزة رأسه في صدره فضربه أمير المؤمنين على رأسه فطير نصفه، ثمّ جاء إلى عتبة وبه رمق فأجهز عليه، وحمل عبيدة بين حمزة وعليّ حتّى أتيا به رسول الله فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وآله واستعبر فقال: يا رسول الله بأبي أنت وأمي ألست شهيداً، فقال: بلى أنت أوّل شهيد من أهل بيتي، فقال: أما لو كان عمّك حيّاً لعلم أنّي أولى بما قال منه، قال: وأيّ أعمامي تعني؟ فقال: أبو طالب حيث يقول:

كذبتم وبيت الله يبزى محمّد ولـمّا نطاعن دونه ونناضل
ونسلمه حتّى نصرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أما ترى ابنه كالليث العادي بين يدي الله ورسوله وابنه الآخر في جهاد الله بأرض الحبشة، فقال: يا رسول الله أسخطت عليّ في هذه الحالة؟ فقال: ما سخطت عليك، ولكن ذكرت عمّي فانقبضت لذلك، وقال أبو جهل لقريش: لا تعجلوا ولا تبطروا كما عجل وبطر ابنا ربيعة، عليكم بأهل يثرب فاجزروهم جزراً، وعليكم بقريش فخذوهم أخذاً حتّى ندخلهم مكّة، فنعرّفهم ضلالتهم الّتي كانوا عليها، وكان فتية من قريش أسلموا بمكّة فاحتبسهم آباؤهم فخرجوا مع قريش إلى بدر، وهم على الشكّ والارتياب والنفاق، منهم قيس بن الوليد بن المغيرة وأبوقيس بن الفاكهة، والحارث بن ربيعة، وعليّ ابن أميّة بن خلف، والعاص بن المنبه، فلمّا نظروا إلى قلّة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله قالوا: مساكين هؤلاء غرّهم دينهم فيقتلون الساعة، فأنزل الله تعالى على رسوله: ﴿إِذْ يَقُولُ

﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ وجاء إبليس عليه اللعنة إلى قريش في صورة سراقة بن مالك فقال لهم: أنا جاركم ادفعوا إليّ رايتكم، فدفعوها إليه وجاء بشياطينه يهوّل بهم على أصحاب رسول الله ﷺ ويخيّل إليهم ويفزعهم، وأقبلت قريش يقدمها إبليس معه الراية فنظر إليه رسول الله ﷺ فقال: غضوا أبصاركم، وعضوا على النواجذ ولا تسلّوا سيفاً حتّى آذن لكم، ثمّ رفع يده إلى السماء فقال: «يا رب إنّ تهلك هذه العصابة لا تُعبد وإن شئت أن لا تُعبد لا تُعبد» ثمّ أصابه الغشي فسري عنه وهو يسلت العرق عن وجهه ويقول: هذا جبرئيل، قد أتاكم في ألف من الملائكة مردفين، قال: فنظرنا فإذا بسحابة سوداء فيها برق لائح قد وقعت على عسكر رسول الله ﷺ، وقائل يقول: أقدم حيزوم، أقدم حيزوم، وسمعنا قعقعة السلاح من الجو، ونظر إبليس إلى جبرئيل عليه السلام فتراجع، ورمى باللواء فأخذ نبيه بن الحجّاج بمجامع ثوبه، ثمّ قال: ويلك يا سراقة تفتّ في أعضاد النّاس، فركله إبليس ركلة في صدره وقال: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ﴾ وهو قول الله: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ ثم قال عزّ وجلّ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ وحمل جبرئيل على إبليس فطلبه حتّى غاص في البحر، وقال: ربّ أنجز لي ما وعدتني من البقاء إلى يوم الدين وروي في خبر أنّ إبليس التفت إلى جبرئيل وهو في الهزيمة فقال: يا هذا أبدا لكم فيما أعطيتمونا؟ فقيل لأبي عبد الله عليه السلام: أترى كان يخاف أن يقتله، فقال: لا، ولكنه كان يضربه ضربة يشينه منها إلى يوم القيامة وأنزل الله على رسوله ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ قال: أطراف الاصابع، فقد جاءت قريش بخيلائها وفخرها تريد أن تطفئ نور الله، ويأبى الله إلاّ أن يتمّ نوره، وخرج أبو جهل من بين الصفّين فقال: اللّهمّ أقطعنا الرحم، وآتانا بما لا نعرفه فأحنه الغداة، فأنزل الله على رسوله: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ثم أخذ رسول الله ﷺ كفّاً من حصى فرمى به في وجوه قريش وقال: «شاهت الوجوه» فبعث الله رياحاً تضرب وجوه قريش فكانت الهزيمة، فقال رسول الله ﷺ: «اللّهمّ لا يفلتن فرعون هذه الأمّة أبو جهل بن هشام» فقتل منهم سبعون، وأسر منهم سبعون، والتقى عمرو بن الجموع مع أبي جهل فضرب عمرو أبا جهل على فخذه، وضرب أبو جهل عمراً على يده فأبانها من العضد فعلقت بجلده، فاتكأ عمرو على يده برجله ثمّ رمى في السماء فانقطعت الجلدة ورمى بيده، وقال عبد الله بن مسعود: انتهيت إلى أبي جهل وهو يتشحّط في دمه فقلت: الحمد لله

الّذي أخزاك، فرفع رأسه فقال: إنّما أخزى الله عبد ابن أمّ عبد، لمن الدين ويلك؟ قلت: لله ولرسوله وإنّي قاتلك، ووضعت رجلي على عنقه، فقال: لقد ارتقيت مرتقًى صعباً يا رويعي الغنم، أما إنّه ليس شيء أشدّ من قتلك إياي في هذا اليوم، ألا تولّى قتلي رجل من المطّلبين، أو رجل من الأحلاف، فاقتلعت بيضة كانت على رأسه فقتلته وأخذت رأسه، وجئت به إلى رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله البشرى هذا رأس أبي جهل بن هشام، فسجد لله شكراً، وأسر أبو بشر الأنصاريّ العبّاس بن عبد المطّلب وعقيل بن أبي طالب، وجاء بهما إلى رسول الله ﷺ، فقال له: أعانك عليهما أحد؟ قال: نعم رجل عليه ثياب بيض، فقال رسول الله ﷺ: ذاك من الملائكة ثمّ قال رسول الله ﷺ للعبّاس: افد نفسك وابن أخيك، فقال يا رسول الله قد كنت أسلمت، ولكن القوم استكرهوني، فقال رسول الله ﷺ: الله أعلم بإسلامك، إن يكن ما تذكر حقّاً فإن الله يجزيك عليه، فأمّا ظاهر أمرك فقد كنت علينا، ثمّ قال: يا عبّاس إنّكم خاصمتم الله فخصمكم، ثمّ قال: افد نفسك وابن أخيك. وقد كان العبّاس أخذ معه أربعين أوقيّة من ذهب، فغنمها رسول الله ﷺ، فلمّا قال رسول الله للعبّاس: افد نفسك، قال: يا رسول الله احسبها من فدائي، فقال رسول الله: لا، ذاك شيء أعطانا الله منك، فافد نفسك وابن أخيك فقال العبّاس: فليس لي مال غير الّذي ذهب منّي، قال: بلى المال الّذي خلّفته عند أمّ الفضل بمكّة، فقلت لها: إن يحدث عليّ حدث فاقسموه بينكم. فقال له: أتتركني وأنا أسأل النّاس بكفّي؟ فأنزل الله على رسوله في ذلك: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(١) ﴿وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ - في عليّ - فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ - فيك - مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ثم قال رسول الله ﷺ لعقيل: قد قتل الله يا أبا يزيد أبا جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ومنبّه ونبيه ابني الحجّاج ونوفل بن خويلد، وأسر سهيل بن عمرو والنضر بن الحارث بن كلدة وعقبة بن أبي معيط وفلان وفلان، فقال عقيل: إذاً لم تنازعوا في تهامة، فإن كنت قد أثخنت القوم وإلّا فاركب أكتافهم، فتبسم رسول الله ﷺ من قوله، وكان القتلى ببدر سبعين، والأسارى سبعين، قتل منهم أمير المؤمنين سبعة وعشرين، ولم يؤسر أحداً، فجمعوا الأسارى وقرنوهم في الحبال وساقوهم على أقدامهم، وجمعوا الغنائم، وقتل من أصحاب رسول الله ﷺ تسعة رجال فيهم سعد بن خيثمة، وكان من النقباء فرحل رسول الله ﷺ ونزل الأثيل عند غروب الشمس وهو من بدر على ستّة أميال، فنظر رسول الله إلى عقبة بن أبي معيط وإلى نضر بن الحارث بن كلدة وهما في قران واحد، فقال النضر لعقبة: يا عقبة أنا وأنت مقتولان، قال عقبة: من بين قريش؟ قال: نعم،

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٧٠.

لأنّ محمّداً نظر إلينا نظرة رأيت فيها القتل، فقال رسول الله ﷺ: يا عليّ عليّ بالنضر وعقبة، وكان النضر رجلاً جميلاً عليه شعر، فجاء عليّ عليه السلام فأخذ بشعره فجرّه إلى رسول الله ﷺ، فقال النضر: يا محمّد أسألك بالرحم بيني وبينك إلاّ أجريتني كرجل من قريش، إنّ قتلتهم قتلتني، وإنّ فاديتهم فاديتني، وإن أطلقتهم أطلقتني فقال رسول الله ﷺ: لا رحم بيني وبينك، قطع الله الرحم بالإسلام، قدّمه يا عليّ فاضرب عنقه، فقال عقبة: يا محمّد ألم تقل: لا تصبر قريش - أي لا يقتلون صبراً - قال: وأنت من قريش؟ إنّما أنت علج من أهل صفوريّة، لأنت في الميلاد أكبر من أبيك الّذي تدعى له ليس منها، قدّمه يا عليّ فاضرب عنقه، فقدمه وضرب عنقه، فلمّا قتل رسول الله ﷺ النضر وعقبة خافت الأنصار أن يقتل الأسارى كلّهم فقاموا إلى رسول الله فقالوا: يا رسول الله قد قتلنا سبعين، وأسرنا سبعين وهم قومك وأساراك، هبهم لنا يا رسول الله، وخذ منهم الفداء وأطلقهم، فأنزل الله عليهم: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ قال: فأطلق لهم أن يأخذوا الفداء ويطلقوهم وشرط أنّه يقتل منهم في عام قابل بعدد من يأخذوا منهم الفداء، فرضوا منه بذلك فلمّا كان يوم أحد قتل من أصحاب رسول الله ﷺ سبعون رجلاً، فقال من بقي من أصحابه: يا رسول الله ما هذا الّذي أصابنا وقد كنت تعدنا بالنصر؟ فأنزل الله عزّ وجلّ فيهم: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾ ببدر، قتلتم سبعين، وأسرتم سبعين ﴿قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾بما اشترطتم[1].

بيان: القلوص من الناقة هي الشابّة، والصباة جمع الصابي، وأصله مهموز، وهو من خرج من دين إلى غيره، وكان الكفّار يسمّون النبيّ ﷺ وأصحابه الصباة وقال الجزريّ: في حديث بدر: قال أبو جهل: اللطيمة اللطيمة، أي أدركوها، وهي منصوبة، واللطيمة: الجمال الّتي تحمل العطر والبزّ غير الميرة، قوله: يا آل غالب لعلّهم قالوا ذلك تفؤّلاً، أو لأنّهم من ولد لؤيّ بن غالب، وقال في النهاية: قال عروة للمغيرة: يا غدر، غدر معدول عن غادر للمبالغة يقال للذكر: غدر، وللأنثى غدار، كقطام، وهما مختصّان بالنداء في الغالب، ومنه حديث عاتكة: يا لغدر يا لفجر انتهى.

وفي بعض النسخ مكان يا آل غدر مكرراً: يا آل عديّ يا آل فهر، وهو أظهر والفلذة بالكسر: القطعة، قوله: نشّ فصاعداً، النشّ: عشرون درهماً نصف أوقيّة وفي بعض النسخ «نشر» بالراء المهملة، وهو الرائحة الطيّبة، ولعلّه هنا كناية عن قليل من الطيب.

وقال الجوهريّ: استعذب القوم ماءهم: إذا استقوه عذباً، ويستعذب لفلان من بئر كذا، أي يستقي له، وقال: فتّ الشيء: كسره.

---

(١) تفسير القمي، ج ١ ص ٢٥٥-٢٦٩.

والخيلاء بضم الخاء أو كسرها وفتح الياء: الكبر، والغضاة: شجرة معروفة نارها تبقى كثيراً، والجمع الغضا، والهراس كسحاب: شجر شائك ثمره كالنبق، وقال الجزريّ: رجل نَجِدٌ ونُجُدٌ أي شديد البأس، ومنه حديث عليّ: «أما بنو هاشم فأمجاد أنجاد» أي أشدّاء شجعان.

قوله: أنت عليّ بذلك أي شاهد عليّ، أو ضامن عليّ بذلك، قوله: أن نخدّر بين النّاس أي نجلس في الخدور مع النساء، وفي بعض النسخ، أن يحذّر النّاس، وفي بعضها أن يخذّل، أي يحمل النّاس على الخذلان وترك الحرب وهو أصوب، والعزالى جمع العزلاء وهو فم المزادة الأسفل، شبّه اتساع المطر واندفاقه بالذي يخرج من فم المزادة، والرذاذ: المطر الضعيف، والجحفلة بمنزلة الشفة للخيل والبغال والحمير، والأكلة: المرّة من الأكل، وبالضمّ: اللقمة والطعمة، والناقع: القاتل، والبالغ، ونقع الموت: كثر، والسحر بالفتح والضمّ والتحريك: الرية قال الجزريّ: انتفخ سحرك أي ريتك، يقال ذلك للجبان.

قوله ﷺ: ما أحد من العرب، أي ليس الابتداء بقتال أحد من العرب أبغض إليّ من الابتداء بقتالكم، وقال الجزريّ في حديث النجاشي: وكانوا بهم أعلى عيناً، أي أبصر بهم وأعلم بحالهم، وقال: يقال لصعاليك العرب ولصوصها: ذوبان لأنّهم كالذئاب والذوبان جمع ذئب، والأصل فيه الهمز، لكنّه خفف فانقلبت واواً.

قوله: يمن مع رحب، أي ما أعظكم وأوصيكم به مشتمل على الميمنة والسعة ثمّ السعة والميمنة، والإلّ بالكسر: العهد، والحلف، والجار، والقرابة، وقال الجزريّ: في حديث عليّ عليه السلام:

هذا جناي وخياره فيه إذ كلّ جان يده إلى فيه

هذا مثل أوّل من قاله عمرو ابن اخت جذيمة الابرش كان يجني الكمأة مع أصحاب له فكانوا إذا وجدوا خيار الكمأة أكلوها، وإذا وجدها عمرو جعلها في كمه حتّى يأتي بها خاله، وقال هذه الكلمة فصارت مثلاً.

قوله: الله الله بكسرهما بحذف حرف القسم، أو بنصبهما بتقدير اذكر أو نحوه، يقال: فتّ عضدي وهدّ ركني، وفتّ في ساعده، أي أضعفه، والاعتجار لفّ العمامة دون التلحّي، وقال الجزريّ: الأحلاف: ستّ قبائل: عبد الدار، وجمح، ومخزوم، وعديّ، وكعب، وسهم، سمّوا بذلك لأنّهم لمّا رأت بنو عبد مناف أخذ ما في أيدي عبد الدار من الحجابة والرفادة واللواء والسقاية وأبت عبد الدار عقد كلّ قوم على أمرهم حلفاً مؤكّداً على أن لا يتخاذلوا فأخرجت بنو عبد مناف جفنة مملوءة طيباً فوضعتها لأحلافهم، وهم: أسد، وزهرة وتيم، في المسجد عند الكعبة، ثمّ غمس القوم أيديهم فيها وتعاقدوا، وتعاقدت بنو عبد الدار وحلفاؤهم حلفاً آخر مؤكّداً فسموا الأحلاف لذلك انتهى.

وانثلم السيف وتثلّم: انكسر حرفه والدرقة محرّكة: الترس من جلد بلا خشب ولا عقب قوله: قد نهز في بعض النسخ بالنون والزاء المعجمة، يقال: نهزه، أي ضربه ودفعه، والنهزة: الفرصة، وانتهزتها: اغتنمتها، وفي بعضها انهر بالراء المهملة إمّا من الهرير وهو نباح الكلب، أو من قولهم: أنهرت الدم أي أرسلته، وأنهرت الطعنة: وسّعتها، وفي بعضها: بهر بالباء الموحّدة والراء المهملة من قوله: بهره، أي غلبه، قوله: فاجزروهم، أي فاقتلوهم، كما يجزر الجزار الإبل.

وقال الجزريّ: النواجذ من الأسنان: الّتي تبدو عند الضحك، والأظهر الأشهر أنّها أقصى الأسنان، وعضّ على ناجذه: صبر وتصلّب في الأمور.

ويقال: انسرى الهمّ عنّي وسُري أي انكشف، وسلت الدم أي أماطه، وقال الفيروزآبادي: الحيزوم: فرس جبرئيل.

أقول: لعلّ القائل جبرئيل عليه السلام يخاطب فرسه ويحثّه، قال في النهاية: في حديث بدر: أقدم حيزوم، هو أمر بالإقدام وهو التقدّم في الحرب، والاقدام: الشجاعة، وقد تكسر همزة اقدم ويكون أمراً بالتقديم لا غير، والصحيح الفتح من أقدم، وحيزوم جاء في التفسير أنّه اسم فرس جبرئيل، أراد أقدم يا حيزوم، فحذف حرف النداء، والياء فيه زائدة انتهى.

والركل: الضرب برجل واحدة، وفي بعض النسخ: فوكزه ابليس وكزة، يقال: وكزه أي ضربه ودفعه، أو ضربه بجميع يده على ذقنه، قوله: فأحته أي فأهلكه في غداة هذا اليوم، قال الجوهريّ: الحين بالفتح: الهلاك يقال: حان الرجل، أي هلك، وأحانه الله.

قوله: وإلاّ فاركب أكتافهم، كناية عن تعاقبهم واتّباع مدبرهم، يقال: قرنتهما قرناً: إذا جمعتهما في حبل واحد، وذلك الحبل يسمّى القران بالكسر، ويقال: قتل فلان صبراً: إذا حبس على القتل حتّى يقتل، والعلج: الرجل من كفّار العجم، قوله: أكبر من أبيك، أي لست أنت ابن من تدّعي أنّه أبوك، لأنّك أكبر سنّاً من الرجل الّذي ليس من أهل صفوريّة وتدّعي أبوته لك، فالضمير في قوله: (منها) راجع إلى الصفوريّة.

٤ - **ب:** محمّد بن عيسى، عن عبد الله بن ميمون القدّاح، عن جعفر بن محمد عليهما السلام قال: قال أبي: كان النبيّ صلى الله عليه وآله أخذ من العبّاس يوم بدر دنانير كانت معه، فقال: يا رسول الله ما عندي غيرها! فقال: فأين الّذي استخبيته عند أمّ الفضل؟ فقال: أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنك رسول الله، ما كان معها أحد حين استخبيتها[1].

٥ - **ب:** بالإسناد المذكور عن جعفر، عن أبيه عليهما السلام قال: أتي النبيّ صلى الله عليه وآله بمال دراهم، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله للعباس: يا عبّاس ابسط رداك وخذ من هذا المال طرفاً، فبسط رداءه فأخذ

(١) قرب الإسناد، ص ١٩ ح ٦٦.

منه طائفة، ثمّ قال رسول الله ﷺ: يا عبّاس هذا من الّذي قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾(١).

٦ - م، ج، بالإسناد إلى أبي محمّد العسكريّ قال: أرسل أبو جهل بعد الهجرة رسالة إلى النبيّ ﷺ وهي أن قال: يا محمّد إنّ الخيوط الّتي في رأسك هي الّتي ضيقت عليك مكّة، ورمت بك إلى يثرب، وإنّها لا تزال بك حتّى تنفّرك وتحثّك على ما يفسدك ويتلفك إلى أن تفسدها على أهلها، وتصليهم حرّ نار تعدّيك طورك، وما أرى ذلك إلاّ وسيؤول إلى أن تثور عليك قريش ثورة رجل واحد لقصد آثارك، ودفع ضررك وبلائك، فتلقاهم بسفهائك المغترّين بك، ويساعدك على ذلك من هو كافر بك مبغض لك، فيلجئه إلى مساعدتك ومظافرتك خوفه لأن يهلك بهلاكك ويعطب عياله بعطبك، ويفتقر هو ومن يليه بفقرك وبفقر شيعتك، إذ يعتقدون أنّ أعداءك إذا قهروك ودخلوا ديارهم عنوة لم يفرّقوا بين من والاك وعاداك، واصطلموهم باصطلامهم لك، وأتوا على عيالاتهم وأموالهم بالسبي والنهب كما يأتون على أموالك وعيالك، وقد أعذر من أنذر، وبالغ من أوضح.

فأديت هذه الرسالة إلى رسول الله ﷺ وهو بظاهر المدينة بحضرة كافّة أصحابه، وعامة الكفّار من يهود بني إسرائيل، وهكذا أمر الرسول ليجبّن المؤمنين ويغري بالوثوب عليه سائر من هناك من الكافرين.

فقال رسول الله ﷺ للرسول: قد أطريت مقالتك، واستكملت رسالتك؟ قال: بلى، قال: فاسمع الجواب، إنّ أبا جهل بالمكاره والعطب يتهددني، ورب العالمين بالنصر والظفر يعدني، وخبر الله أصدق، والقبول من الله أحق، لن يضر محمّداً من خذله أو يغضب عليه بعد أن ينصره الله ويتفضّل بجوده وكرمه عليه، قل له: يا أبا جهل إنّك راسلتني بما ألقاه في خلدك الشيطان، وأنا أجيبك بما ألقاه في خاطري الرحمن إنّ الحرب بيننا وبينك كائنة إلى تسعة وعشرين، وإنّ الله سيقتلك فيها بأضعف أصحابي، وستلقى أنت وعتبة وشيبة والوليد وفلان وفلان - وذكر عدداً من قريش - في قليب بدر مقتّلين أقتل منكم سبعين، وآسر منكم سبعين، أحملهم على الفداء الثقيل، ثمّ نادى جماعة من بحضرته من المؤمنين واليهود وسائر الأخلاط: ألا تحبّون أن أريكم مصرع كلّ واحد من هؤلاء؟ قالوا: بلى، قال: هلمّوا إلى بدر فإنّ هناك الملتقى والمحشر، وهناك البلاء الأكبر لأضع قدمي على مواضع مصارعهم، ثمّ ستجدونها لا تزيد ولا تنقص ولا تتغيّر ولا تتقدّم ولا تتأخر لحظة ولا قليلاً ولا كثيراً، فلم يخف ذلك على أحد منهم ولم يجبه إلاّ عليّ بن أبي طالب ؑ وحده، وقال: نعم باسم الله، فقال الباقون: نحن نحتاج إلى مركوب وآلات ونفقات ولا يمكننا الخروج إلى هناك

(١) قرب الإسناد، ص ٢١ ح ٧٣.

وهو مسيرة أيّام، فقال رسول الله ﷺ لسائر اليهود: فأنتم ماذا تقولون؟ قالوا: نحن نريد أن نستقرّ في بيوتنا ولا حاجة لنا في مشاهدة ما أنت في ادّعائه محيل، فقال رسول الله ﷺ: لا نصب عليكم بالمصير إلى هناك، اخطوا خطوة واحدة، فإنّ الله يطوي الأرض لكم ويوصلكم في الخطوة الثانية إلى هناك، قال المؤمنون: صدق رسول الله ﷺ فنتشرّف بهذه الآية، وقال الكافرون والمنافقون: سوف نمتحن هذا الكذّاب ليقطع عذر محمّد، ويصير دعواه حجّة واضحة عليه، وفاضحة له في كذبه، قال: فخطا القوم خطوة ثمّ الثانية فإذا هم عند بئر بدر فعجبوا، فجاء رسول الله ﷺ فقال: اجعلوا البئر العلامة، واذرعوا من عندها كذا ذراعاً، فذرعوا فلمّا انتهوا إلى آخرها قال: هذا مصرع أبي جهل، يجرحه فلان الأنصاريّ، ويجهز عليه عبد الله بن مسعود أضعف أصحابي، ثمّ قال: اذرعوا من البئر من جانب آخر ثمّ جانب آخر ثمّ جانب آخر كذا وكذا ذراعاً وذراعاً، وذكر أعداداً لأذرع مختلفة، فلمّا انتهى كلّ عدد إلى آخره قال رسول الله ﷺ: هذا مصرع عتبة، وذلك مصرع الوليد، وهذا مصرع شيبة، وسيقتل فلان وفلان إلى أن سمّى تمام سبعين منهم بأسمائهم، وسيؤسر فلان وفلان إلى أن ذكر سبعين منهم بأسمائهم وأسماء آبائهم وصفاتهم، ونسب المنسوبين إلى الآباء منهم، ونسب الموالي منهم إلى مواليهم، ثمّ قال رسول الله ﷺ: أوقفتم على ما أخبرتكم به؟ قالوا: بلى، قال: إنّ ذلك لحق كائن بعد ثمانية وعشرين يوماً من اليوم في اليوم التاسع والعشرين وعداً من الله مفعولاً وقضاءً حتماً لازماً[1].

بيان: الخلد بالتحريك: الروع والقلب.

٧ - **فس:** ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ نزلت في حرب بدر، وكان سبب نزولها أنّه كان في الغنيمة الّتي أصابوها يوم بدر قطيفة حمراء ففقدت، فقال رجل من أصحاب رسول الله ﷺ: ما لنا لا نرى القطيفة؟ ما أظن إلّا رسول الله ﷺ أخذها، فأنزل الله في ذلك ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾ إلى قوله: ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ فجاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال إنّ فلاناً قد غل قطيفة فاحتفرها هنالك، فأمر رسول الله ﷺ بحفر ذلك الموضع فأخرج القطيفة[2].

٨ - **فس:** أبي، عن فضالة بن أيّوب، عن أبان بن عثمان، عن إسحاق بن عمّار قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الأنفال، فقال: هي القرى الّتي قد خربت وانجلى أهلها فهي لله وللرسول، وما كان للملوك فهو للإمام، وما كان من أرض الجزية لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب، وكلّ أرض لا ربّ لها، والمعادن منها، ومن مات وليس له مولى فماله من الأنفال، وقال: نزلت يوم بدر، لمّا انهزم النّاس كان أصحاب رسول الله ﷺ على ثلاث فرق:

---

(١) تفسير الإمام العسكري، ص ٢٩٤، الإحتجاج، ص ٣٨.

(٢) تفسير القمي، ج ١ ص ١٢٣.

فصنف كانوا عند خيمة النبيّ ﷺ، وصنف أغاروا على النهب، وفرقة طلبت العدوّ وأسروا وغنموا، فلمّا جمعوا الغنائم والأسارى تكلمت الأنصار في الأسارى، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فلما أباح الله لهم الأسارى والغنائم تكلّم سعد بن معاذ وكان ممّن أقام عند خيمة النبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله ما منعنا أن نطلب العدوّ زهادة في الجهاد، ولا جبناً عن العدوّ، ولكنّا خفنا أن نعرّي موضعك فتميل عليك خيل المشركين، وقد أقام عند الخيمة وجوه المهاجرين والأنصار، ولم يشكّ أحد منهم فيما حسبته، والنّاس كثيرون يا رسول الله والغنائم قليلة، ومتى نعطي هؤلاء لم يبق لأصحابك شيء، وخاف أن يقسّم رسول الله الغنائم وأسلاب القتلى بين من قاتل ولا يعطي من تخلّف على خيمة رسول الله ﷺ شيئاً، فاختلفوا فيما بينهم حتّى سألوا رسول الله ﷺ فقالوا: لمن هذه الغنائم؟ فأنزل الله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ فرجع النّاس وليس لهم في الغنيمة شيء، ثمّ أنزل الله بعد ذلك ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ وقسّمه رسول الله ﷺ بينهم، فقال سعد بن أبي وقاص: يا رسول الله أتعطي فارس القوم الّذي يحميهم مثل ما تعطي الضعيف؟ فقال النبيّ ﷺ: ثكلتك أمّك وهل تنصرون إلاّ بضعفائكم؟ قال: فلم يخمّس رسول الله ﷺ ببدر، وقسّمه بين أصحابه، ثمّ استقبل يأخذ الخمس بعد بدر ونزل قوله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾ بعد انقضاء حرب بدر[(١)].

٩ - ما: المفيد، عن أبي عبد الله بن أبي رافع، عن جعفر بن محمّد بن جعفر الحسينيّ، عن عيسى بن مهران، عن يحيى بن الحسن بن فرات، عن ثعلبة بن زيد الأنصاريّ قال: سمعت جابر بن عبد الله الأنصاريّ ؓ يقول: تمثّل إبليس لعنه الله في أربع صور: تمثّل يوم بدر في صورة سراقة بن جعشم المدلجيّ، فقال لقريش: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ﴾[(٢)] الخبر[(٣)].

١٠ - ما: أبو عمرو، عن أحمد، عن أحمد بن يحيى، عن عبد الرحمن، عن أبيه، عن الأعمش، عن عمرو بن مرّة، عن أبي عبيدة، عن عبد الله بن مسعود أنّه قال: لمّا كان يوم بدر وأسرت الأسرى قال رسول الله ﷺ: ما ترون في هؤلاء القوم؟ فقال عمر بن الخطّاب: يا رسول الله هم الّذين كذبوك وأخرجوك فاقتلهم، ثمّ قال أبو بكر: يا رسول الله هم قومك وعشيرتك ولعلّ الله يستنقذهم بك من النّار، ثمّ قال عبد الله بن رواحة: أنت بواد كثير الحطب، فاجمع حطباً فالهب فيه ناراً وألقهم فيه، فقال العبّاس بن عبد المطلب: قطعك

---

(١) تفسير القمي، ج ١ ص ٢٥٤.
(٢) سورة الأنفال، الآية: ٤٨.
(٣) أمالي الطوسي، ص ١٧٦ مجلس ٦ ح ٢٩٨.

رحمك، قال: ثمّ إنّ رسول الله ﷺ قام فدخل وأكثر النّاس في قول أبي بكر وعمر فقال بعضهم: القول ما قال أبو بكر وقال بعضهم: القول ما قال عمر، فخرج رسول الله ﷺ فقال: ما اختلافكم يا أيّها النّاس في قول هذين الرجلين؟ إنّما مثلهما مثل إخوة لهما ممّن كان قبلهما: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ﷺ، قال نوح: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾[(١)] وقال إبراهيم: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[(٢)] وقال موسى: ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾[(٣)] وقال عيسى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[(٤)] ثمّ قال: يا أيّها النّاس إنّ بكم عيلة، فلا ينقلبنّ منكم أحد إلّا بفداء أو ضربة عنق، فقلت: يا رسول الله إلّا سهل بن بيضاء وقد كنت سمعته يذكر الإسلام بمكة، قال: فسكت رسول الله ﷺ فلم يحر، قال: فلقد جعلت أنظر إلى السماء متى تقع عليّ الحجارة؟ فإنّي قدّمت بين يدي رسول الله ﷺ، قال: ثمّ إنّ النبيّ ﷺ قال: إلّا سهل بن بيضاء قال: ففرحت فرحاً ما فرحت مثله قطّ، قال الأعمش: فكان فداؤهم ستّين أوقية[(٥)].

بيان: أثر الوضع في أكثر أجزاء الخبر ظاهر، لا سيّما في قوله: مثل إخوة لهما، كما سنوضحه في كتاب الفتن إن شاء الله تعالى.

١١ - **ما:** محمّد بن عليّ بن حشيش، عن محمّد بن أحمد بن عليّ بن عبد الوهاب عن محمّد بن عليّ بن الحسين، عن عليّ بن عبيد الله، عن محمّد بن إسحاق الضبيّ عن نصر بن حمّاد، عن شعبة، عن السديّ، عن مقسم، عن ابن عبّاس: قال: وقف رسول الله ﷺ على قتلى بدر فقال: جزاكم الله من عصابة شرّاً، لقد كذّبتموني صادقاً، وخوّنتم أميناً، ثمّ التفت إلى أبي جهل بن هشام فقال: إنّ هذا أعتى على الله من فرعون، إنّ فرعون لمّا أيقن بالهلاك وحّد الله، وإنّ هذا لمّا أيقن بالهلاك دعا باللّات والعزّى[(٦)].

١٢ - **ما:** ابن الصلت، عن ابن عقدة، عن عليّ بن محمّد بن عليّ بن الحسين عن جعفر بن محمّد بن عليّ الحسينيّ، عن جعفر بن محمّد بن عيسى، عن عبيد الله بن عليّ، عن الرضا، عن آبائه ﷺ أنّ النبيّ ﷺ قال يوم بدر: لا تأسروا أحداً من بني عبد المطّلب فإنّما أخرجوا كرهاً[(٧)].

١٣ - **ما:** ابن الصلت، عن ابن عقدة، عن عبد الملك الطحّان، عن هارون بن عيسى،

---

(١) سورة نوح، الآية: ٢٦.
(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٣٦.
(٣) سورة يونس، الآية: ٨٨.
(٤) سورة المائدة، الآية: ١١٨.
(٥) أمالي الطوسي، ص ٢٦٧ مجلس ١٠ ح ٤٩٥.
(٦) أمالي الطوسي، ص ٣١٠ مجلس ١١ ح ٦٢٦.
(٧) أمالي الطوسي، ص ٣٤٢ مجلس ١٢ ح ٦٩٨.

عن عبد الله بن إبراهيم، عن الرضا، عن آبائه عليهم السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله سافر إلى بدر في شهر رمضان وافتتح مكّة في شهر رمضان[(١)].

١٤ - يج: روي أنّه لمّا قدم العبّاس المدينة سهر النبيّ صلى الله عليه وآله تلك الليلة، فقيل له في ذلك، قال: سمعت حسّ العبّاس في وثاقه، فأُطلق، فقال يا عبّاس افد نفسك وابني أخيك عقيلاً ونوفل بن الحارث فإنّك ذو مال، فقال: إنّي كنت مسلماً، ولكن قومي استكرهوا عليّ، فقال صلى الله عليه وآله: الله أعلم بشأنك، أمّا ظاهر أمرك كنت علينا، فقال: يا رسول الله قد أخذ منّي عشرون أوقيّة من ذهب فاحسبها لي من فدائي، قال: لا، ذلك شيء أعطانا الله منك، قال: فإنّه ليس لي مال، قال: فأين المال الّذي دفعت بمكّة إلى أمّ الفضل حين خرجت فقلت: إن أصابني في سفري هذا شيء فللفضل كذا، ولقثم كذا، ولعبد الله كذا ولعبيد الله كذا؟ قال: فوالذي بعثك بالحقّ نبيّاً ما علم بذلك أحد غيري وغيرها، فأنا أعلم أنّك رسول الله صلى الله عليه وآله [(٢)].

١٥ - شا: وأمّا الجهاد الّذي ثبتت به قواعد الإسلام، واستقرّت بثبوتها شرائع الملّة والأحكام فقد تخصص منه أمير المؤمنين عليه السلام بما اشتهر ذكره في الأنام، واستفاض الخبر به بين الخاصّ والعامّ ولم يختلف فيه العلماء، ولا تنازع في صحّته الفهماء ولا شك فيه إلّا غفل لم يتأمّل الاخبار، ولا دفعه أحد ممّن نظر في الآثار إلّا معاند بهّات لا يستحي من العار، فمن ذلك ما كان منه صلى الله عليه وآله في غزاة بدر المذكورة في القرآن، وهي أوّل حرب كان به الامتحان، وملأت رهبتها صدور المعدودين من المسلمين في الشجعان، وراموا التأخر عنها لخوفهم منها وكراهتهم لها، على ما جاء به محكم الذكر في التبيان، حيث يقول جلّ اسمه فيما قصّ من نبئهم على الشرح له والبيان: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ۝٦﴾[(٣)] في الآي المتّصلة بذلك إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾[(٤)] إلى آخر السورة، فإنّ الخبر عن أحوالهم فيها يتلو بعضه بعضاً وإن اختلفت ألفاظه اتّفقت معانيه، وكان من جملة خبر هذه الغزاة أنّ المشركين حضروا بدراً مصرين على القتال، مستظهرين فيه بكثرة الاموال والعدد والعدة والرجال، والمسلمون إذ ذاك نفر قليل عددهم هناك، وحضرته طوائف منهم بغير اختيار، وشهدته على الكراهة منها والاضطرار، فتحدّتهم قريش بالبراز ودعتهم إلى المصافّة والنزال، واقترحت في اللقاء منهم الأكفاء، وتطاولت الأنصار لمبارزتهم، فمنعهم النبيّ صلى الله عليه وآله من ذلك، فقال لهم: إنّ القوم دعوا الأكفاء منهم، ثمّ أمر عليّاً أمير

---

(١) أمالي الطوسي، ص ٣٤٢ مجلس ١٢ ح ٧٠١. (٢) الخرائج والجرائح، ج ١ ص ٦١ ح ١٠٦.

(٣) سورة الأنفال، الآيتان: ٥-٦. (٤) سورة الأنفال، الآية: ٤٧.

المؤمنين عليه السلام بالبروز إليهم، ودعا حمزة بن عبد المطّلب وعبيدة بن الحارث رضوان الله عليهما أن يبرزا معه، فلمّا اصطفوا لهم لم يثبتهم القوم لأنّهم كانوا قد تغفروا، فسألوهم من أنتم؟ فانتسبوا لهم، فقالوا: أكفاء كرام، ونشبت الحرب بينهم، وبارز الوليد أمير المؤمنين عليه السلام فلم يلبثه حتّى قتله، وبارز عتبة حمزة رضي الله عنه فقتله حمزة، وبارز شيبة عبيدة رضي الله عنه فاختلفت بينهما ضربتان، قطعت إحداهما فخذ عبيدة، فاستنقذه أمير المؤمنين عليه السلام بضربة بدر بها شيبة فقتله، وشركه في ذلك حمزة رضي الله عنه، فكان قتل هؤلاء الثلاثة أوّل وهن لحق المشركين، وذل دخل عليهم، ورهبة اعتراهم بها الرعب من المسلمين، وظهر بذلك أمارات نصر المسلمين، ثمّ بارز أمير المؤمنين عليه السلام العاص بن سعيد بن العاص بعد أن أحجم عنه من سواه، فلم يلبثه أن قتله، وبرز إليه حنظلة بن أبي سفيان فقتله، وبرز إليه بعده طعيمة بن عديّ فقتله، وقتل بعده نوفل بن خويلد وكان من شياطين قريش، ولم يزل يقتل واحداً منهم بعد واحد حتّى أتى على شطر المقتولين منهم وكانوا سبعين رجلاً، تولّى كافة من حضر بدراً من المسلمين مع ثلاثة آلاف من الملائكة المسومين قتل الشطر منهم، وتولّى أمير المومنين عليه السلام قتل الشطر الآخر وحده بمعونة الله له وتأييده وتوفيقه ونصره، وكان الفتح له بذلك وعلى يديه، وختم الأمر بمناولة النبيّ صلى الله عليه وآله كفاً من الحصى فرمى بها في وجوههم وقال لهم: «شاهت الوجوه» فلم يبق أحد منهم إلاّ ولّى الدبر بذلك منهزماً، وكفى الله المؤمنين القتال بأمير المؤمنين عليه السلام في نصرة الدين من خاصّة آل الرسول عليه وآله السلام، ومن أيّدهم به من الملائكة الكرام، كما قال الله تعالى: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾(١).

١٦ - شا: قد أثبتت رواة العامّة والخاصّة معاً أسماء الّذين تولّى أمير المؤمنين عليه السلام قتلهم ببدر من المشركين على اتّفاق فيما نقلوه من ذلك، واصطلاح فكان ممّن سمّوه الوليد ابن عتبة كما قدّمناه، وكان شجاعاً جريًا وقاحاً فتاكاً تهابه الرجال، والعاص بن سعيد وكان هولاً عظيماً تهابه الأبطال، وهو الّذي حاد عنه عمر بن الخطّاب، وقصته فيما ذكرناه مشهورة نحن نبيّنها فيما نورده بعد إن شاء الله تعالى، وطعيمة بن عديّ بن نوفل، وكان من رؤوس أهل الضلال، ونوفل بن خويلد وكان من أشدّ المشركين عداوةً لرسول الله صلى الله عليه وآله، وكانت قريش تقدّمه وتعظّمه وتطيعه وهو الّذي قرن أبا بكر وطلحة قبل الهجرة بمكّة وأوثقهما بحبل وعذّبهما يوماً إلى الّليل حتّى سئل في أمرهما، ولمّا عرف رسول الله عليه السلام حضوره بدراً سأل الله أن يكفيه أمره، فقال: «اللّهمّ اكفني نوفل بن خويلد» فقتله أمير المؤمنين عليه السلام، وزمعة بن الأسود، والحارث بن زمعة، والنضر بن الحارث بن عبد الدار، وعمير بن عثمان بن كعب ابن تيم عمّ طلحة بن عبيد الله، وعثمان ومالك ابنا عبيد الله أخوا طلحة بن عبيد الله، ومسعود ابن أميّة بن المغيرة وقيس بن الفاكه بن المغيرة، وحذيفة بن أبي حذيفة بن المغيرة، وأبو قيس

(١) الإرشاد للمفيد، ص ٣٨.

ابن الوليد بن المغيرة، وحنظلة بن أبي سفيان، وعمرو بن مخزوم، وأبومنذر بن أبي رفاعة، ومنبّه بن الحجّاج السهميّ، والعاص بن منبّه، وعلقمة بن كلدة، وأبو العاص بن قيس بن عديّ، ومعاوية بن المغيرة بن أبي العاص، ولوذان بن ربيعة، وعبدالله بن المنذر بن أبي رفاعة، ومسعود بن أميّة بن المغيرة وحاجب بن السائب بن عويمر، وأوس بن المغيرة بن لوذان، وزيد بن مليص، وعاصم بن أبي عوف، وسعيد بن وهب حليف بني عامر، ومعاوية بن عامر بن عبد القيس، وعبدالله بن جميل بن زهير بن الحارث بن أسد، والسائب بن مالك، وأبو الحكم بن الأخنس، وهشام بن أبي أميّة بن المغيرة، فذلك خمسة وثلاثون رجلاً سوى من اختلف فيه أوشرك أمير المؤمنين عليه السلام فيه غيره، وهم أكثر من شطر المقتولين ببدر على ما قدّمناه(١).

١٧ - شا: روى شعبة، عن أبي إسحاق، عن حارث بن مضرّب قال: سمعت عليّ بن أبي طالب عليه السلام يقول: لقد حضرنا بدراً وما فينا فارس غير المقداد بن الاسود، ولقد رأيتنا ليلة بدر وما فينا إلّا من نام غير رسول الله صلى الله عليه وآله فإنّه كان منتصباً في أصل شجرة يصلّي فيها، ويدعو حتّى الصباح(٢).

١٨ - شا: عليّ بن هاشم، عن محمّد بن عبد الله بن أبي رافع، عن أبيه، عن جدّه أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لمّا أصبح النّاس يوم بدر اصطفت قريش أمامها عتبة بن ربيعة، وأخوه شيبة، وابنه الوليد، فنادى عتبة رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا محمّد أخرج إلينا أكفاءنا من قريش، فبدر إليهم ثلاثة من شبّان الانصار، فقال لهم عتبة: من أنتم؟ فانتسبوا له، فقال لهم: لا حاجة بنا إلى مبارزتكم، إنّما طلبنا بني عمّنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله للأنصار: ارجعوا إلى مواقفكم، ثمّ قال: قم يا عليّ، قم يا حمزة، قم يا عبيدة، قاتلوا على حقّكم الّذي بعث الله به نبيّكم، إذ جاؤوا بباطلهم ليطفئوا نور الله، فقاموا فصافّوا القوم وكان عليهم البيض ولم يعرفوا، فقال لهم عتبة: تكلّموا، فإن كنتم أكفائنا قاتلناكم، فقال حمزة: أنا حمزة بن عبد المطّلب أسد الله وأسد رسوله، فقال عتبة: كفو كريم، وقال أمير المؤمنين عليه السلام: أنا عليّ بن أبي طالب، وقال عبيدة: أنا عبيدة بن الحارث بن عبد المطّلب فقال عتبة لابنه الوليد: قم يا وليد، فبرز إليه أمير المؤمنين وكانا إذ ذاك أصغر الجماعة سنّاً، فاختلفا ضربتين أخطأت ضربة الوليد أمير المؤمنين عليه السلام، واتّقى بيده اليسرى ضربة أمير المؤمنين عليه السلام فأبانها، فروي أنّه كان يذكر بدراً وقتله الوليد فقال في حديثه: «كأنّي أنظر إلى وميض خاتمه في شماله ثمّ ضربته ضربة أخرى فصرعته وسلبته فرأيت به ردعاً من خلوق فعلمت أنّه قريب عهد بعرس».

ثمّ بارز عتبة حمزة رضي الله عنه فقتله حمزة، ومشى عبيدة - وكان أسنّ القوم - إلى شيبة، فاختلفا ضربتين فأصاب ذباب سيف شيبة عضلة ساق عبيدة فقطعها، واستنقذه أمير

---

(١) الإرشاد للمفيد، ص ٣٩. (٢) الإرشاد للمفيد، ص ٤٠.

المؤمنين عليه السلام وحمزة منه، وقتلا شيبة، وحمل عبيدة من مكانه فمات بالصفراء، وفي قتل عتبة وشيبة والوليد تقول هند بنت عتبة:

أيا عين جودي بدمع سرب ... على خير خندف لم ينقلب
تداعى له رهطه غدوةً ... بنو هاشم وبنو المطلب
يذيقونه حدّ أسيافهم ... يعرّونه بعدما قد شجب

وروى الحسن بن حميد قال: حدّثنا أبوغسّان قال: حدّثنا أبوإسمعيل عمير بن بكّار، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: لقد تعجّبت يوم بدر من جرأة القوم، وقد قتلت الوليد بن عتبة، وقتل حمزة عتبة، وشركته في قتل شيبة إذ أقبل إليّ حنظلة بن أبي سفيان، فلمّا دنا منّي ضربته ضربة بالسيف فسالت عيناه ولزم الأرض قتيلاً.

وروى أبو بكر الهذليّ، عن الزهريّ، عن صالح بن كيسان قال: مرّ عثمان بن عفّان بسعيد ابن العاص فقال: انطلق بنا إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب نتحدّث عنده فانطلقا، قال: فأمّا عثمان فصار إلى مجلسه الّذي يشتهيه وأمّا أنا فملت إلى ناحية القوم، فنظر إليّ عمر وقال: ما لي أراك كأنّ في نفسك عليّ شيئاً؟ أتظنّ أنّي قتلت أباك؟ والله لوددت أنّي كنت قاتله، ولو قتلته لم أعتذر من قتل كافر، ولكنّي مررت به في يوم بدر فرأيته يبحث للقتال كما يبحث الثور بقرنه، وإذا شدقاه قد أزبدا كالوزغ، فلمّا رأيت ذلك هبته ورغت عنه، فقال: إلى أين يابن الخطّاب، وصمد له عليّ فتناوله، فوالله ما رمت مكاني حتّى قتله، قال: وكان عليّ عليه السلام حاضراً في المجلس، فقال: «اللّهمّ غفراً ذهب الشرك بما فيه ومحا الإسلام ما تقدّم فما لك تهيج النّاس عليّ؟» فكفّ عمر فقال سعيد: أما إنّه ما كان يسرّني أن يكون قاتل أبي غير ابن عمّه عليّ بن أبي طالب وأنشأ القوم في حديث آخر.

وروى محمّد بن إسحاق عن يزيد بن رومان، عن عروة بن الزبير أنّ عليّاً عليه السلام أقبل يوم بدر نحو طعيمة بن عديّ بن نوفل فشجره بالرمح، وقال له: والله لا تخاصمنا في الله بعد اليوم أبداً.

وروى عبد الرزّاق، عن معمّر، عن الزهريّ قال: لمّا عرف رسول الله صلى الله عليه وآله حضور نوفل ابن خويلد بدراً قال: «اللّهمّ اكفني نوفلاً» فلمّا انكشفت قريش رآه عليّ بن أبي طالب عليه السلام وقد تحيّر لا يدري ما يصنع، فصمد له، ثمّ ضربه بالسيف فنشب في حجفته، وانتزعه منها ثمّ ضرب به ساقه، وكانت درعه مشمّرة فقطعها ثمّ أجهز عليه فقتله، فلمّا عاد إلى النبيّ صلى الله عليه وآله سمعه يقول: من له علم بنوفل؟ فقال: أنا قتلته يا رسول الله، فكبّر النبيّ صلى الله عليه وآله وقال: الحمد لله الّذي أجاب دعوتي فيه[1].

بيان: الوميض: اللمعان، والردع: الزعفران، أو لطخ منه، وأثر الطيب في الجسد،

---

(١) الإرشاد للمفيد، ص ٤٠.

والسرب: السائل. قولها: قد شجب. في بعض النسخ بالجيم المكسورة، أي هلك، وفي بعضها بالحاء أي تغيّر، وراغ إلى كذا: مال إليه سرّاً، وحاد، قوله: ما رمت بكسر الراء، أي ما زلت عن مكاني، والغفر، الستر، وشجره بالرمح: طعنه، والحجفة: الترس.

١٩ - قب، شا: وفيما صنعه أمير المؤمنين عليه السلام يبدر قال أسيد بن أبي أياس يحرّض مشركي قريش عليه:

في كلّ مجمع غاية أخزاكم جذع أبرّ على المذاكي القرح

لله درّكم ألمّا تنكروا قد ينكر الحرّ الكريم ويستحي

هذا ابن فاطمة الّذي أفناكم ذبحاً وقتلة قعصة لم يذبح

أعطوه خرجاً واتّقوا تضريبه فعل الذليل وبيعة لم تربح

أين الكهول وأين كلّ دعامة في المعضلات وأين زين الأبطح

أفناهم قعصاً وضرباً يفتري بالسيف يعمل حدّه لم يصفح

أفناهم ضرباً بكلّ مهنّد صلت وحدّ غراره لم يصفح[1]

بيان: الغاية: الراية، والجذع: بالتحريك: الاسد، والشابّ الحدث، أبرّ أي أصدق أو أوفى، ويقال: أبرّ على القوم، أي غلبهم، والمذاكي: الخيل الّتي قد أتى عليها بعد قروحها سنة أو سنتان وقرح الحافر قروحاً: إذا انتهت أسنانه فإنّما تنتهي في خمس سنين، لأنّه في السنة الأولى حوليّ، ثمّ جذع، ثمّ ثنيّ ثمّ رباع، ثمّ قارح، والجمع قرح، ويقال: ضربه فأقعصه، أي قتله مكانه، والقعص: الموت الوحيّ، والافتراء كأنّه مبالغة في الفري وهو الشقّ والقطع، وقال الجوهريّ: قال أبو عبيدة: يقال: ضربه بصُفح السيف، والعامّة تقول: بصَفح السيف مفتوحة، أي بعرضه وصفحته: إذا ضربته بالسيف مصحفاً[2] أي بعرضه.

٢٠ - قب: ابن عبّاس في قوله: ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ﴾ إنّ الصحابة فزعوا لمّا فات عير أبي سفيان وأدركهم القتال، فباتوا ليلتهم فحلموا ولم يكن لهم ماء، فوقعت الوسوسة في نفوسهم لذلك، فأنزل الله المطر، قوله: ﴿إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ﴾ فرأى النبيّ صلى الله عليه وآله في منامه قلّة قريش، قوله: ﴿إِذۡ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلٗاۖ﴾ فلمّا التقى الجمعان استحقر كلّ جيش صاحبه، قوله: ﴿إِذِ ٱلۡتَقَيۡتُمۡ﴾ وكانت المسلمون يخافون فنزل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ﴾ وقوله: ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ﴾ فزعم أبو جهل أنّهم جزر سيوفهم، وكان النبيّ صلى الله عليه وآله يحزن وعلي عليه السلام يقول: لا يخلف الله الميعاد، فنزل: ﴿يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم﴾ وقوله: ﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ﴾ فساعدهم إبليس على صورة سراقة، فلمّا أدرك جبرئيل وميكائيل وإسرافيل

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب، ج ٣ ص ١٤٥، الإرشاد ص ٤٢.

(٢) هكذا، والصحيح: مصفحاً.

مع الملائكة نكص إبليس على عقبيه وقال: إنّي بريء منكم فكانت الملائكة يضربون فوق الأعناق وفوق البنان بعمدهم، ورمى النبيّ ﷺ بقبضة من الحصى في وجوههم وقال: «شاهت الوجوه» فأصاب عين كلّ واحد منهم فانهزموا فتنزل: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم﴾ ووجد ابن مسعود أبا جهل مصروعاً من ضربة معاذ بن عمرو بن عفراء فكان يجز رأسه، وهو يقول: يا رويعي الغنم لقد ارتقيت مرتقى صعباً[1].

٢١ - شي: عن أبي بصير قال: قرأت عند أبي عبد الله عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ فقال: مه ليس هكذا أنزلها الله، إنّما نزلت وأنتم قليل[2].

٢٢ - شي: عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سأله أبي عن هذه الآية ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ قال: ليس هكذا أنزل الله، ما أذلّ الله رسوله قطّ، إنّما أنزلت وأنتم قليل[3].

عيسى، عن صفوان، عن ابن سنان مثله.

٢٣ - شي: عن ربعيّ، عن حريز، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قرأ «ولقد نصركم الله ببدر وأنتم ضعفاء» وما كانوا أذلّة ورسول الله فيهم عليه وعلى آله السلام[4].

٢٤ - شي: عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كانت على الملائكة العمائم البيض المرسلة يوم بدر[5].

٢٥ - شي: عن إسماعيل بن همّام، عن أبي الحسن عليه السلام في قول الله: «مسوّمين» قال: العمائم قال: اعتمّ رسول الله فسوّم لها من بين يديه ومن خلفه[6].

٢٦ - شي: عن ضريس بن عبد الملك، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ الملائكة الّذين نصروا محمداً ﷺ يوم بدر في الأرض ما صعدوا بعد ولا يصعدون حتّى ينصروا صاحب هذا الامر، وهم خمسة آلاف[7].

٢٧ - قب: روي عن عامر بن سعد أنّه لمّا جاء أبواليسر الأنصاريّ بالعبّاس فقال: والله ما أسرني إلّا ابن أخي عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فقال النبيّ ﷺ: صدق عمّي، ذلك ملك كريم، فقال: قد عرفته بجلحته وحسن وجهه، فقال النبيّ ﷺ إنّ الملائكة الّذين أيدني الله بهم على صورة عليّ بن أبي طالب عليه السلام ليكون ذلك أهيب في صدور الاعداء، وقال أبواليسر الأنصاريّ: رأيت العبّاس آنفاً وعقيلاً معهما رجل على فرس أبلق عليه ثياب، يقود العبّاس وعقيلاً فدفعهما إلى عليّ وقال: يا عليّ هذان عمّك وأخوك فدونكهما فأنت أولى بهما، فحكى ذلك لرسول الله فقال: ذلك جبرئيل عليه السلام دفعهما إليك.

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب، ج ١ ص ١٨٥.
(٢) - (٥) تفسير العياشي، ج ١ ص ٢١٩ ح ١٣٣-١٣٦ من سورة آل عمران.
(٦) - (٧) تفسير العياشي، ج ١ ص ٢٢٠ ح ١٣٧-١٣٨ من سورة آل عمران.

الفصول والعيون والمحاسن: عن المفيد قال الصادق عليه السلام في حديث بدر: لقد كان يسأل الجريح من المشركين فيقال: من جرحك؟ فيقول: عليّ بن أبي طالب فإذا قالها مات.

فضائل الصحابة: عن أحمد، وخصائص العلوية، عن النطنزيّ قال الحارث: لمّا كانت ليلة بدر قال النبيّ صلى الله عليه وآله من يستسقي لنا من الماء؟ فأحجم النّاس، فقام عليّ فاحتضن قربة ثمّ أتى بئراً بعيدة القعر مظلمة فانحدر فيها، فأوحى الله إلى جبرئيل وميكائيل وإسرافيل عليهم السلام تأهبوا لنصرة محمّد صلى الله عليه وآله وحزبه، فهبطوا من السماء لهم لغط يذعر من يسمعه، فلمّا حاذوا البئر فسلموا عليه من عند آخرهم إكراماً وتبجيلاً.

محمّد بن ثابت بإسناده عن ابن مسعود، والفلكيّ المفسّر باسناده عن محمّد بن الحنفيّة قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وآله عليّاً في غزوة بدر أن يأتيه بالماء حين سكت أصحابه عن إيراده، فلمّا أتى القليب وملأ القربة فأخرجها جاءت ريح فأهرقته ثمّ عاد إلى القليب وملأ القربة فجاءت ريح فأهرقته، وهكذا في الثالثة، فلمّا كانت الرابعة ملأها فأتى به النبيّ صلى الله عليه وآله وأخبره بخبره، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أمّا الريح الأولى فجبرئيل في ألف من الملائكة سلّموا عليك، والريح الثانية ميكائيل في ألف من الملائكة سلّموا عليك، والريح الثالثة إسرافيل في ألف من الملائكة سلموا عليك. وفي رواية وما أتوك إلاّ ليحفظوك.

وقد رواه عبد الرحمن بن صالح بإسناده عن الليث وكان يقول: كان لعليّ عليه السلام في ليلة واحدة ثلاثة آلاف منقبة وثلاثة مناقب. ثمّ يروي هذا الخبر[1].

٢٨ - شي: أبو عليّ المحموديّ، عن أبيه رفعه في قول الله: ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ﴾ قال: إنّما أراد: وأستاههم، إنّ الله كريم يكنّي[2].

٢٩ - شي: عن عليّ بن أسباط سمع أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول: قال أبو عبد الله عليه السلام: أتي النبيّ صلى الله عليه وآله بمال فقال للعبّاس: ابسط رداك فخذ من هذا المال طرفاً، قال: فبسط رداءه فأخذ طرفاً من ذلك المال، قال: ثمّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله هذا ممّن قال الله ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ﴾[3].

٣٠ - شي: عن محمّد بن يحيى الخثعمي، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ فقال: الشوكة التي فيها القتال[4].

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب، ج ٢ ص ٢٧٣.
(٢) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٦٩ ح ٧١ من سورة الأنفال.
(٣) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٧٣ ح ٨٠ من سورة الأنفال.
(٤) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٥٤ ح ٢٣ من سورة الأنفال.

٣١ - شي: عن محمّد بن يوسف قال: أخبرني أبي قال: سألت أبا جعفر عليه السلام فقلت: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ﴾ قال: إلهام[1].

٣٢ - شي: عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله: ﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾ قال: لا يدخلنا ما يدخل النّاس من الشكّ[2].

بيان: لعلّه عليه السلام قال هذا في تفسير قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ﴾ فذكره الراوي ههنا، أو المراد أنّ الرجز الّذي حصل لهم هو الشكّ ونحن مبرّؤون من ذلك.

٣٣ - شي: عن محمّد بن كليب الاسديّ، عن أبيه قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ قال: عليّ ناول رسول الله صلى الله عليه وآله القبضة الّتي رمى بها[3].

وفي خبر آخر عنه: إنّ عليّاً ناوله قبضة من تراب فرمى بها[4].

٣٤ - شي: عن عمرو بن أبي المقدام، عن عليّ بن الحسين عليه السلام قال: ناول رسول الله صلى الله عليه وآله عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه قبضة من تراب الّتي رمى بها في وجوه المشركين، فقال الله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾[5].

٣٥ - قب: في الصحيحين أنّه نزل قوله تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا﴾ في ستّة نفر من المؤمنين والكفّار تبارزوا يوم بدر، وهم حمزة وعبيدة وعليّ والوليد وعتبة وشيبة.

وقال البخاري: وكان أبو ذرّ يقسم بالله أنّها نزلت فيهم.

وبه قال عطا وابن خيثم وقيس بن عبّاد وسفيان الثوريّ والأعمش وسعيد بن جبير وابن عبّاس، ثمّ قال ابن عبّاس: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني عتبة وشيبة والوليد ﴿قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ الآيات، وأنزل في أمير المؤمنين وحمزة وعبيدة: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ﴾ إلى قوله: ﴿صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾.

أسباب النزول: روى قيس بن سعد بن عبادة، عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: فينا نزلت هذه الآية وفي مبارزتنا يوم بدر إلى قوله: ﴿عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾.

وروى جماعة عن ابن عبّاس نزل قوله: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾[6] يوم بدر في هؤلاء الستّة.

شعبة وقتادة وعطا وابن عبّاس في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾[7] أضحك أمير المؤمنين عليه السلام وحمزة وعبيدة يوم بدر المسلمين وأبكى كفّار مكّة حتّى قتلوا ودخلوا النار.

---

(١) - (٢) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٥٤ ح ٢٦ و٢٧ من سورة الأنفال.

(٣) - (٥) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٥٦ ح ٣٢-٣٤ من سورة الأنفال.

(٦) سورة الجاثية، الآية: ٢١. (٧) سورة النجم، الآية: ٤٣.

الباقر عليه السلام في قوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[1] نزلت في حمزة وعليّ وعبيدة.

تفسير أبي يوسف النسويّ وقبيصة بن عقبة عن الثوريّ، عن منصور، عن مجاهد، عن ابن عبّاس في قوله: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ الآية نزلت في عليّ وحمزة وعبيدة ﴿كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[2] عتبة وشيبة والوليد.

الكلبيّ: نزلت في بدر ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أورده النطنزي في الخصائص عن الحدّاد، عن أبي نعيم.

والصادق والباقر عليهما السلام نزلت في عليّ عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾.

المؤرخ وصاحب الأغاني ومحمّد بن إسحاق: كان صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ولمّا التقى الجمعان تقدّم عتبة وشيبة والوليد وقالوا: يا محمّد أخرج إلينا أكفاءنا من قريش، فتطاولت الأنصار لمبارزتهم، فدفعهم النبيّ صلى الله عليه وآله، وأمر عليّاً وحمزة وعبيدة بالمبارزة، فحمل عبيدة على عتبة فضربه على رأسه ضربة فلقت هامته، وضرب عتبة عبيدة على ساقه فأطنها فسقطا جميعاً، وحمل شيبة على حمزة فتضاربا بالسيف حتّى انثلما، وحمل عليّ على الوليد فضربه على حبل عاتقه وخرج السيف من إبطه.

وفي إبانة الفلكي: إنّ الوليد كان إذا رفع ذراعه ستر وجهه من عظمها وغلظها.

ثمّ اعتنق حمزة وشيبة فقال المسلمون: يا عليّ أما ترى هذا الكلب يهرّ عمّك فحمل عليٌّ عليه، ثمّ قال: يا عمّ طأطئ رأسك، وكان حمزة أطول من شيبة، فأدخل حمزة رأسه في صدره فضربه عليّ فطرح نصفه، ثمّ جاء إلى عتبة وبه رمق فأجهز عليه وكان حسّان قال في قتل عمرو بن عبد ود:

ولقد رأيت غداة بدر عصبة ... ضربوك ضرباً غير ضرب المحضر
أصبحت لا تدعى ليوم كريهة ... يا عمرو أو لجسيم أمر منكر

فأجابه بعض بني عامر:

كذبتم وبيت الله لم تقتلوننا ... ولكن بسيف الهاشميّين فافخروا
بسيف ابن عبد الله أحمد في الوغا ... بكف عليّ نلتم ذاك فاقصروا
ولم تقتلوا عمرو بن ودّ ولا ابنه ... ولكنه الكفو الهزبر الغضنفر
عليّ الّذي في الفخر طال ثناؤه ... فلا تكثروا الدعوى عليه فتفجروا
ببدر خرجتم للبراز فردّكم ... شيوخ قريش جهرةً وتأخروا
فلمّا أتاهم حمزةٌ وعبيدةٌ ... وجاء عليّ بالمهند يخطر

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥.

(٢) سورة ص، الآية: ٢٨.

فقالوا: نعم أكفاء صدق فأقبلوا إليهم سراعاً إذ بغوا وتجبّروا
فجال عليّ جولة هاشميّة فدمّرهم لمّا عتوا وتكبّروا

وفي مجمع البيان أنّه قتل سبعة وعشرين مبارزاً، وفي الارشاد قتل خمسة وثلاثين وقال زيد بن وهب: قال أمير المؤمنين عليه السلام: - وذكر حديث بدر - وقتلنا من المشركين سبعين، وأسرنا سبعين.

محمد بن إسحاق: أكثر قتلى المشركين يوم بدر كان لعليّ.

الزمخشري في الفائق: قال سعد بن أبي وقاص: رأيت علياً يحمحم فرسه وهم يقول:

بازل عامين حديث سنّي سنحنح اللّيل كأنّي جنّي
لمثل هذا ولدتني امي

المرزباني: في كتاب أشعار الملوك والخلفاء إنّ علياً أشجع العرب حمل يوم بدر، وزعزع الكتيبة، وهو يقول:

لن يأكلوا التمر بظهر مكّة من بعدها حتّى تكون الركّة

عبد الله بن رواحة:

ليهن عليّاً يوم بدر حضوره ومشهده بالخير ضرباً مرعبلا
وكائن له من مشهد غير خامل يظلّ له رأس الكميّ مجدّلا
وغادر كبش القوم في القاع ثاوياً تخال عليه الزعفران المعلّلا
صريعاً ينوء القشعمان برأسه وتدنو إليه الضبع طولاً لتأكلا

وقالت هند في عتبة وشيبة:

أيا عين جودي بدمع سرب على خير خندف لم ينقلب
تداعى له رهطه غدوة بنو هاشم وبنو المطّلب
يذيقونه حد أسيافهم يعرونه بعدما قد شحب

ووجدت في كتاب المقنع قول هند:

أبي وعمّي وشقيق بكري أخي الّذي كان كضوء البدر
بهم كسرت يا عليّ ظهري[1]

بيان: قال الجزريّ في حديث عليّ عليه السلام: بازل عامين حديث سني.

البازل من الإبل الّذي تمّ له ثماني سنين ودخل في التاسعة، وحينئذ يطلع نابه وتكمل قوّته، ثمّ يقال له بعد ذلك: بازل عام، وبازل عامين، يقول: أنا مستجمع الشباب، مستكمل القوة.

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب، ج ٣ ص ١٤٢.

ورجل سنحنح: لا ينام اللّيل، ويقال: رعبل اللحم، أي قطعه، والكميّ كغنيّ: الشجاع، والمجدّل: الصريع، وغادر كبش القوم، أي ترك شجاعهم ورئيسهم. ثاوياً أي مقيماً، المعلّلا، أي طلّي به مرّة بعد أخرى، يقال، علّه ضرباً، أي تابع عليه الضرب. والعليلة: المرأة المطيّبة طيباً بعد طيب، والقشعمان: العظيم الذكر من النسور.

٣٦ - عم: إنَّ النبيّ ﷺ بعث عليّاً ليلة بدر أن يأتيه بالماء حين قال لأصحابه: من يلتمس لنا الماء؟ فسكتوا عنه، فقال عليّ: أنا يا رسول الله، فأخذ القربة وأتى القليب فملأها، فلمّا أخرجها جاءت ريح فهراقته، ثمّ عاد إلى القليب فملأها فجاءت ريح فهراقته، فلمّا كانت الرابعة ملأها فأتى بها النبيّ ﷺ وأخبره بخبره فقال رسول الله ﷺ: أمّا الريح الأولى فجبرئيل في ألف من الملائكة سلّموا عليك والريح الثانية ميكائيل في ألف من الملائكة سلّموا عليك، والريح الثالثة إسرافيل في ألف من الملائكة سلّموا عليك. رواه محمّد بن عبيد الله بن أبي رافع، عن جدّه أبي رافع[١].

٣٧ - كشف: قال الواقديّ في كتاب المغازي: جميع من يحصى قتله من المشركين ببدر تسعة وأربعون رجلاً، منهم من قتله عليّ وشرك في قتله اثنان وعشرون رجلاً شرك في أربعة، وقتل بانفراده ثمانية عشر، وقيل: إنّه قتل بانفراده تسعة بغير خلاف، وهم الوليد بن عتبة بن ربيعة خال معاوية، قتله مبارزة، والعاص بن سعيد بن العاص بن أميّة، وعامر بن عبد الله، ونوفل بن خويلد بن أسد، وكان من شياطين قريش، ومسعود بن أبي أميّة بن المغيرة، وقيس ابن الفاكه، وعبد الله بن المنذر بن أبي رفاعة، والعاص بن منبّه بن الحجّاج، وحاجب بن السائب، وأمّا الّذين شاركه في قتلهم غيره فهم: حنظلة بن أبي سفيان أخو معاوية وعبيدة بن الحارث وزمعة وعقيل ابنا الأسود بن عبد المطّلب وأمّا الّذين اختلف الناقلون في أنّه عليه السلام قتلهم أو غيره فهم طعيمة بن عديّ، وعمير بن عثمان بن عمرو، وحرملة بن عمرو، وأبو قيس ابن الوليد بن المغيرة، وأبو العاص بن قيس، وأوس الجمحيّ، وعقبة بن أبي معيط صبراً، ومعاوية بن عامر، فهذه عدّة من قيل إنه عليه السلام قتلهم في هذه الرواية غير النضر بن الحارث فإنّه قتله صبراً بعد القفول من بدر، هذا من طرق الجمهور[٢].

٣٨ - كا: محمّد بن يحيى، عن محمّد بن الحسين، عن صفوان، عن ذريح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا خرجت قريش إلى بدر وأخرجوا بني عبد المطّلب معهم خرج طالب ابن أبي طالب فنزل رجّازهم وهم يرتجزون، ونزل طالب بن أبي طالب يرتجز، ويقول:

يا ربّ أما تعزّزن بطالب ... في مقنب من هذه المقانب
في مقنب المغالب المحارب ... بجعله المسلوب غير السالب
وجعله المغلوب غير الغالب

---

(١) إعلام الورى، ص ١٩٩.
(٢) كشف الغمة في معرفة الأئمة، ج ١ ص ١٨١.

فقالت قريش: إنّ هذا ليغلبنا فردوه، وفي رواية أُخرى عن أبي عبد الله عليه السلام إنّه كان أسلم(١).

بيان: المقنب بالكسر: جماعة الخيل والفرسان، ورأيت في بعض كتب السير هكذا:

يا ربّ إمّا خرجوا بطالب ... في مقنب من هذه المقانب
فاجعلهم المغلوب غير الغالب ... واردهم المسلوب غير السالب

وقال ابن الاثير في الكامل في ذكر قصة بدر: وكان بين طالب بن أبي طالب وهو في القوم وبين بعض قريش محاورة، فقالوا: والله لقد عرفنا أنّ هواكم مع محمّد فرجع طالب فيمن رجع إلى مكّة، وقيل: إنّه أُخرج كرهاً، فلم يوجد في الأسرى ولا في القتلى ولا فيمن رجع إلى مكّة، وهو الّذي يقول:

يا ربّ إمّا يغزونّ طالب ... في مقنب من هذه المقانب
فليكن المسلوب غير السالب ... وليكن المغلوب غير الغالب(٢)

فظهر ممّا نقلنا من الكتابين أنّه لم يكن راضياً بتلك المقاتلة، وكان يريد ظفر النبيّ صلى الله عليه وآله، إمّا لأنّه كان قد أسلم كما يدلّ عليه ما رواه الكلينيّ مرسلاً أو لمحبّة القرابة، فالذي يخطر بالبال في توجيه ما في الخبر أن يكون قوله: «بجعله» بدل اشتمال لقوله: «بطالب» أي إمّا تجعل الرسول غالباً بمغلوبيّة طالب حال كونه في مقانب عسكر مخالفيه الّذين يطلبون الغلبة عليه، بأن تجعل طالباً مسلوب الثياب والسلاح غير سالب لأحد من عسكر النبيّ صلى الله عليه وآله ويجعله مغلوباً منهم غير غالب عليهم، ويحتمل أن يكون المراد إمّا تقوين قريشاً بطالب حال كونه في طائفة من تلك الطوائف تكون غالبة، وتكون غلبة الطالب بأن يجعل المسلوب بحيث لا يرجع ويصير سالباً، وكذلك المغلوب، ولا يخفى بعده، ويؤيّد الأوّل أيضاً أنّ في نسخة قديمة من الكافي عندنا هكذا:

يا ربّ إمّا يغزون بطالب ... في مقنب من هذه المقانب
في مقنب المغالب المحارب ... فاجعله المسلوب غير السالب
واجعله المغلوب غير غالب

وعلى الوجهين «أما» بالتخفيف، وتعزّزن بالتشديد على بناء التفعيل، ويمكن أن يقرأ إمّا بالكسر مشدّداً للترديد ويكون مقابله مقدّراً، أي وإمّا تردنّه وتعززن بكسر الزاء المخفّفة مؤكّداً بالخفيفة، والباء في قوله: بطالب للتعدية فيكون قوله: «بجعله» متعلّقاً بتعززن، وأمّا قولهم: «ليغلبنا» فعلى الأوّل والثالث المعنى أنّه يريد غلبة الخصوم علينا، أو يصير تخاذله

---

(١) روضة الكافي، المطبوع مع الأصول ص ٨٤٧ ح ٥٦٣.
(٢) الكامل في التاريخ، ج ٢ ص ١٠٩.

سبباً لغلبتهم علينا، وعلى الثاني المعنى أنّه يفخر علينا ويظنّ أنما نغلب عليهم بإعانته وقوّته.

٣٩ - فر: عبد السلام بن ملك وسعيد بن الحسن بن ملك معنعناً عن السدي قال: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾[١] الآيتين نزلت في عليّ وحمزة وعبيدة بن الحارث، وفي عتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وشيبة بن ربيعة، بارزهم يوم بدر عليّ وحمزة وعبيدة بن الحارث، فقال رسول الله ﷺ: هؤلاء الثلاثة يوم القيامة كواسطة القلادة في المؤمنين، وهؤلاء الثلاثة كواسطة القلادة في الكفّار[٢].

٤٠ - فر: عبيدة بن عبد الواحد معنعناً عن محمّد بن سيرين قال: نزلت هذه الآية في الّذين يبارزون يوم بدر، قال: لمّا كان يوم بدر برز عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة فقال عتبة: يا محمّد أخرج إلينا أكفاءنا، فقام فتية من الانصار، فلمّا رآهم رسول الله قال: اجلسوا قد أحسنتم، فلمّا رأى حمزة أنّ رسول الله ﷺ يريده قام حمزة، ثمّ قام عليّ، ثمّ قام عبيدة عليهم البيض، قال لهم عتبة: تكلموا يا أهل البيض نعرفكم، فقال حمزة: أنا حمزة بن عبد المطّلب، وقال عليّ: أنا عليّ بن أبي طالب، وقال عبيدة: أنا عبيدة بن الحارث بن عبد المطّلب، فقالوا: أكفاء كرام، فتبارز حمزة عتبة فقتله حمزة، وتبارز عليّ الوليد فقتله عليّ، وتبارز عبيدة شيبة فامتعص كلّ واحد منهما، فمال عليه عليّ فأجاز عليه، واحتمل عبيدة أصحابه، وكانوا هؤلاء من المسلمين كواسطة القلادة من القلادة، وكانوا هؤلاء من المشركين كواسطة القلادة من القلادة، فنزلت هذه الآية: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ حتى بلغ ﴿وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ فهذا في هؤلاء المشركين، ونزلت ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟﴾ حتى بلغ ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾ فهذا في هؤلاء المسلمين[٣].

٤١ - كا: محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن أبي همّام، عن أبي الحسن عليه السلام قال في قول الله عزّ وجلّ: «مسومين» قال: العمائم اعتم رسول الله ﷺ فسدلها من بين يديه ومن خلفه، واعتمّ جبرئيل عليه السلام فسدلها من بين يديه ومن خلفه[٤].

٤٢ - كا: محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن ابن فضّال، عن أبي جميلة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كانت على الملائكة العمائم البيض المرسلة يوم بدر[٥].

٤٣ - فر: فرات بن إبراهيم الكوفيّ معنعناً عن ابن عبّاس رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ قال: نزلت الآية في ثلاثة من المسلمين فهم المتّقون الّذين آمنوا وعملوا الصالحات، وفي ثلاثة من المشركين هم

---

(١) سورة الحج، الآية: ١٩.   (٢) تفسير فرات الكوفي، ج ١ ص ٢٧١ ح ٣٦٣.

(٣) تفسير فرات الكوفي، ج ١ ص ٢٧٢ ح ٣٦٥.

(٤) - (٥) الكافي، ج ٦ ص ١١٤٦ باب ٣٥٦ ح ٢-٣.

المفسدون في الأرض، فأمّا الثلاثة من المسلمين فعلي بن أبي طالب، وحمزة، وعبيدة، وأمّا الثلاثة من المشركين فعتبة بن ربيعة، وشيبة، والوليد بن عتبة، وهم الّذين يبارزون يوم بدر، فقتل عليّ الوليد، وقتل حمزة عتبة بن ربيعة، وقتل عبيدة شيبة[1].

٤٤ - كا: حميد بن زياد، عن عبيد الله بن أحمد الدهقان، عن عليّ بن الحسن الطاطريّ، عن محمّد بن زياد بن عيسى بيّاع السابريّ، عن أبان بن عثمان قال: حدّثني فضيل البراجميّ قال: كنت بمكّة وخالد بن عبد الله القسريّ أميرٌ وكان في المسجد عند زمزم، فقال: ادعوا لي قتادة، قال: فجاء شيخ أحمر الرأس واللحية، فدنوت لأسمع، فقال خالد: يا قتادة أخبرني بأكرم وقعة كانت في العرب، وأعزّ وقعة كانت في العرب، وأذلّ وقعة كانت في العرب، قال: أصلح الله الامير أخبرك بأكرم وقعة كانت في العرب وأعزّ وقعة كانت في العرب وأذلّ وقعة كانت في العرب، واحدة، قال خالد: ويحك واحدة، قال نعم أصلح الله الأمير، قال: أخبرني قال: بدر، قال: وكيف ذا؟ قال: إنّ بدراً أكرم وقعة كانت في العرب بها أكرم الله عزّ وجلّ الإسلام وأهله وهي أعزّ وقعة كانت في العرب بها أعزّ الله الإسلام وأهله، وهي أذل وقعة كانت في العرب، فلمّا قتلت قريش يومئذ ذلّت العرب، فقال له خالد: كذبت لعمر الله، إن كان في العرب يومئذ من هو أعزّ منهم، ويلك يا قتادة أخبرني ببعض أشعارهم، قال: خرج أبو جهل يومئذ وقد أعلم ليرى مكانه، وعليه عمامة حمراء وبيده ترس مذهّب، وهو يقول:

ما تنقم الحرب الشموس منّي ... بازل عامين حديث السن

لمثل هذا ولدتني أمي

فقال كذب عدوّ الله إن كان ابن أخي لأفرس منه، يعني خالد بن الوليد، وكانت أمّه قشيريّة، ويلك يا قتادة من الّذي يقول: أوفي بميعادي وأحمي عن حسب.

فقال: أصلح الله الأمير ليس هذا يومئذ، هذا يوم أحد، خرج طلحة بن أبي طلحة وهو ينادي: من يبارز؟ فلم يخرج إليه أحد، فقال: إنّكم تزعمون أنكم تجهزونا بأسيافكم إلى النّار، ونحن نجهزكم بأسيافنا إلى الجنّة، فليبرزن إليّ رجل يجهزني بسيفه إلى النّار، وأجهزه بسيفي إلى الجنّة. فخرج إليه عليّ بن أبي طالب وهو يقول:

أنا ابن ذي الحوضين عبد المطلب ... وهاشم المطعم في العام السغب

أوفي بميعادي وأحمي عن حسب

فقال خالد لعنه الله: كذب لعمر الله والله أبو تراب ما كان كذلك، فقال الشيخ: أيها الأمير ائذن لي في الانصراف، قال: فقام الشيخ يفرج النّاس بيده وخرج وهو يقول: زنديق وربّ الكعبة زنديق وربّ الكعبة[2].

---

(١) تفسير فرات الكوفي، ج ٢ ص ٣٥٩ ح ٤٨٨.

(٢) روضة الكافي، ص ٧٢٥ ح ٩١.

إيضاح: قتادة من أكابر محدّثي العامّة من تابعي البصرة، قوله: إن كان في العرب، كلمة إن مخففة، أو هي بالفتح، أي لأن كان، ولعلّه لعنه الله حملته الحميّة والكفر على أن يتعصّب للمشركين بأنّهم لم يذلّوا بقتل هؤلاء بل كان فيهم أعزّ منهم، أو لأبي سفيان وسائر بني أمية وخالد بن الوليد، فإنّهم كانوا يومئذ بين المشركين، ويحتمل على بعد أن يكون مراده أنّ غلبة رسول الله ﷺ وهو سيّد العرب كان يكفي لعزّهم، قوله: وقد أعلم. أي جعل لنفسه أو لفرسه علامة يعرف بها، قال الفيروز آبادي: أعلم الفرس: علّق عليه صوفاً ملوّناً في الحرب، ونفسه: وسمها بسيماء الحرب كعلّمها، وقال الجوهريّ: أعلم الفارس جعل لنفسه علامة الشجعان فهو معلم، قوله: ما تنقم، يقال: نقمت على الرجل، أي عتبت عليه، ونقمت الأمر بالفتح والكسر: كرهته، وشمس الفرس شموساً وشماساً: منع ظهره، فهو شموس، ورجل شموس: صعب الخلق، والظاهر أنّ كلمة ما للاستفهام، ويحتمل النفي، والمآل واحد، أي لا يقدر الحرب الّذي لا يقدر عليه بسهولة ولا يطيع المرء فيما يريد منه أن يعيبني، أي يظهر عيبي، والبازل والحديث كأنهما حالان عن الضمير المجرور في قوله: منّي أو مرفوعان بالخبريّة لمحذوف، قوله: وكانت أُمّه قشيريّة، أي لذلك قال: ابن أخي، لأنّ خالداً كانت أُمّه من قبيلته، والاصوب قسريّة كما في بعض النسخ لأنّ خالداً مشهور بالقسري كما مرّ في صدر الحديث أيضاً، والتجهيز: إعداد ما يحتاج إليه المسافر أو العروس أو الميّت، ويحتمل أن يكون من أجهز على الجريح، أي أثبت قتله وأسرعه وتمّم عليه، قوله عليه السلام: أنا ابن ذي الحوضين، يعني اللتين صنعهما عبد المطّلب عند زمزم لسقاية الحاجّ، قوله عليه السلام: في العام السغب، بكسر الغين، أي عام المجاعة والقحط يقال: سغب كفرح ونصر: جاع، فهو سغب بالكسر، قوله عليه السلام: أوفي بميعادي، أي مع الرسول ﷺ في نصره، قوله: وأحمي عن حسب، أي أرفع العار عن أحسابي وأحساب آبائي، ويحتمل أن يقرأ بكسر السين أي عن ذي حسب وهو الرسول ﷺ لكنّه بعيد.

٤٥ - **كا:** عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن معاوية بن عمّار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول في هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الْأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ قال: نزلت في العبّاس وعقيل ونوفل، وقال: إنّ رسول الله ﷺ نهى يوم بدر أن يقتل أحد من بني هاشم وأبو البختري، فأسروا فأرسل عليّاً عليه السلام فقال: انظر من ههنا من بني هاشم، قال فمرّ عليّ عليه السلام على عقيل بن أبي طالب كرم الله وجهه فحاد عنه فقال له عقيل: يا ابن أمّ عليّ أما والله لقد رأيت مكاني، قال: فرجع إلى رسول الله ﷺ وقال: هذا أبو الفضل في يد فلان، وهذا عقيل في يد فلان، وهذا نوفل بن الحارث في يد فلان، فقام رسول الله ﷺ حتّى انتهى إلى عقيل فقال له: يا أبا يزيد قتل أبو جهل، فقال: إذاً لا تنازعون في تهامة فقال: إن كنتم أثختنم القوم وإلا فاركبوا أكتافهم، قال فجيء بالعبّاس فقيل له: افد نفسك وافد ابن أخيك فقال: يا محمّد تتركني

أسأل قريشاً في كفّي؟ فقال: أعط ما خلّفت عند أمّ الفضل وقلت لها: إن أصابني في وجهي هذا شيء فأنفقيه على ولدك ونفسك، فقال له: يابن أخي من أخبرك بهذا؟ فقال: أتاني به جبرئيل من عند الله عزّ ذكره، فقال ومحلوفه ما علم بهذا أحد إلاّ أنا وهي، أشهد أنّك رسول الله ﷺ، قال: فرجع الأسرى كلّهم مشركين إلاّ العبّاس وعقيل ونوفل كرّم الله وجوههم، وفيهم نزلت هذه الآية: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾ إلى آخر الآية[١].

شي: عن معاوية بن عمّار مثله[٢].

بيان: قوله ﷺ: وأبو البختري، هو العاص بن هشام بن الحارث بن أسد، ولم يقبل أمان النبيّ ﷺ ذلك اليوم وقتل. فالضمير في قوله ﷺ: فأسروا، راجع إلى بني هاشم، وأبو البختري لم يكن من بني هاشم، لكنّ النبيّ ﷺ قد كان نهى عن قتله أيضاً. قال ابن أبي الحديد: قال الواقديّ: نهى رسول الله ﷺ عن قتل أبي البختريّ، وكان قد لبس السلاح بمكّة يوماً قبل الهجرة في بعض ما كان ينال النبيّ ﷺ من الأذى، وقال: لا يعرض اليوم أحد لمحمّد بأذى إلاّ وضعت فيه السلاح فشكر ذلك له النبيّ ﷺ، وقال أبو داود المازني: فلحقته يوم بدر، فقلت له: إنّ رسول الله ﷺ نهى عن قتلك إن أعطيت بيدك، قال: وما تريد إليّ إن كان قد نهى عن قتلي، فقد كنت أبليته ذلك، فأمّا أن أعطي بيدي فواللّات والعزّى لقد علمت نسوة بمكّة أنّي لا أعطي بيدي، وقد عرفت أنّك لا تدعني فافعل الّذي تريد، فرماه أبو داود بسهم، وقال: اللّهمّ سهمك وأبو البختري عبدك فضعه في مقتله وأبو البختري دارع ففتق السهم الدرع فقتله.

قال الواقديّ: ويقال: إنّ المجذّر بن زياد قتل أبا البختريّ وهو لا يعرفه، وقال المجذّر في ذلك شعراً عرف منه أنّه قاتله.

وفي رواية محمّد بن إسحاق أنّ رسول الله ﷺ نهى يوم بدر عن قتل أبي البختريّ واسمه الوليد بن هشام لأنّه كان أكفّ النّاس عن رسول الله ﷺ بمكّة، كان لا يؤذيه ولا يبلغه عنه شيء يكرهه، وكان فيمن قام في نقض الصحيفة الّتي كتبتها قريش على بني هاشم، فلقيه المجذّر بن زياد البلويّ حليف الأنصار فقال له: إنّ رسول الله ﷺ نهانا عن قتلك، ومع أبي البختريّ زميل له خرج معه من مكّة يقال له: جنادة بن مليحة، فقال أبو البختري: وزميلي؟ قال المجذّر: والله ما نحن بتاركي زميلك، ما نهانا رسول الله ﷺ إلاّ عنك وحدك، قال: إذاً والله لأموتنّ أنا وهو جميعاً، لا تتحدّث عنّي نساء أهل مكّة أنّي تركت زميلي حرصاً على الحياة، فنازله المجذّر، وارتجز أبو البختري فقال:

لن يسلم ابن حرّة زميله ... حتّى يموت أو يرى سبيله

---

(١) روضة الكافي، ص ٧٦٩ ح ٢٤٤.
(٢) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٧٢ ح ٧٩

ثمّ اقتتلا فقتله المجذّر، فجاء إلى رسول الله ﷺ فأخبره وقال: والّذي بعثك بالحقّ لقد جهدت أن يستأسر فآتيك به فأبى إلاّ القتال فقاتلته فقتلته، ثمّ قال: قال محمّد بن إسحاق وقد كان رسول الله ﷺ نهى في أوّل الوقعة أن يقتل أحد من بني هاشم.

وروى بإسناده عن ابن عبّاس أنّه قال قال النبيّ ﷺ لأصحابه: إنّي قد عرفت أنّ رجالاً من بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرهاً لا حاجة لنا بقتلهم، فمن لقي منكم أحداً من بني هاشم فلا يقتله، ومن لقي أبا البختريّ فلا يقتله، ومن لقي العبّاس عمّ رسول الله ﷺ فلا يقتله فإنّه إنّما أخرج مستكرهاً.

قوله ﷺ: ابن أخيك يعني عقيلاً، وفي بعض النسخ: ابني أخيك أي ابني أخويك: نوفلاً وعقيلاً، كما روى ابن أبي الحديد، عن محمّد بن إسحاق قال: لمّا قدم بالأسارى إلى المدينة قال رسول الله ﷺ: افد نفسك يا عبّاس وابني أخويك عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث، وحليفك عقبة بن عمرو، فإنّك ذو مال إلى قوله: ثمّ فدى نفسه وابني أخويه.

قوله عليه السلام: «ومحلوفه» الظاهر أنّه كان حلف باللاّت والعزّى فكره عليه السلام التكلّم به فعبّر هكذا، وفي الكشّاف أنّه حلف بالله، فيحتمل أن يكون بكراهة أصل الحلف.

٤٦ - كا: محمّد بن يحيى، عن ابن عيسى، عن ابن أبي عمير، عن أبان، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان إبليس يوم بدر يقلّل المؤمنين في أعين الكفّار ويكثّر الكفّار في أعين النّاس، فشدّ عليه جبرئيل عليه السلام بالسيف فهرب منه وهو يقول: يا جبرئيل إنّي مؤجّل، حتّى وقع في البحر، قال زرارة: فقلت لأبي جعفر عليه السلام: لأيّ شيء كان يخاف وهو مؤجّل؟ قال: يقطع بعض أطرافه[1].

٤٧ - ك: ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن يزيد، عن ابن أبي عمير، عن أبان بن عثمان، عن ابن تغلب قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: كأنّي أنظر إلى القائم عليه السلام على ظهر النجف ركب فرساً أدهم أبلق ما بين عينيه شمراخ، ثمّ ينتفض به فرسه، فلا يبقى أهل بلدة إلاّ وهم يظنّون أنّه معهم في بلادهم، فإذا نشر راية رسول الله ﷺ انحطّ عليه ثلاثة عشر ألف ملك وثلاثة عشر ملكاً كلّهم ينظرون القائم عليه السلام، وهم الّذين كانوا مع نوح عليه السلام في السفينة، والذين كانوا مع إبراهيم عليه السلام حيث ألقي في النّار، وكانوا مع عيسى عليه السلام حين رفع، وأربعة آلاف مسوّمين ومردفين، وثلاثمائة وثلاثة عشر ملكاً ملائكة يوم بدر، وأربعة آلاف ملك الّذين هبطوا يريدون القتال مع الحسين عليه السلام فلم يؤذن لهم[2].

أقول: سيأتي مثله بأسانيد جمّة في كتاب الغيبة.

٤٨ - ب: ابن طريف، عن ابن علوان، عن جعفر، عن أبيه عليهما السلام عن ابن عبّاس قال:

---

(١) روضة الكافي، ص ٨٠٤ ح ٤١٩. (٢) كمال الدين، ص ٦٠٩.

انتدب رسول الله ﷺ ليلة البدر إلى الماء فانتدب عليّ عليه السلام فخرج، وكانت ليلة باردة ذات ريح وظلمة، فخرج بقربته، فلمّا كان إلى القليب لم يجد دلواً، فنزل في الجبّ تلك الساعة فملأ قربته، ثمّ أقبل فاستقبلته ريح شديدة فجلس حتّى مضت، ثمّ قام، ثمّ مرّت به أخرى فجلس حتّى مضت، ثمّ قام، ثمّ مرّت به أخرى فجلس حتّى مضت، فلمّا جاء قال له النبيّ ﷺ: ما حبسك يا أبا الحسن؟ قال: لقيت ريحاً، ثمّ ريحاً ثمّ ريحاً، شديدة، فأصابتني قشعريرة، فقال: أتدري ما كان ذاك يا عليّ؟ فقال: لا، فقال: ذاك جبرئيل في ألف من الملائكة وقد سلّم عليك وسلّموا، ثمّ مرّ ميكائيل في ألف من الملائكة فسلّم عليك وسلموا، ثمّ مرّ إسرافيل وألف من الملائكة فسلّم عليك وسلّموا[1].

٤٩ - **شي:** عن عمرو بن أبي المقدام، عن أبيه، عن عليّ بن الحسين عليه السلام مثله بأدنى تغيير، وزاد في آخره: وهم مدد لنا، وهم الّذين رآهم إبليس فنكص على عقبيه يمشي القهقرى حين يقول: ﴿إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[2].

٥٠ - **فس:** في رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ﴾ الآية، إنّ المؤمنين لمّا أخبرهم الله عزّ وجلّ بمنازل شهدائهم يوم بدر من الجنّة رغبوا في ذلك، وقالوا: اللّهمّ أرنا قتالاً نستشهد فيه، فأراهم الله إيّاه يوم أحد، فلم يثبتوا إلّا من شاء الله منهم[3].

٥١ - **فس:** أبي، عن ابن أبي عمير، عن ابن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام في بيان خروج رسول الله ﷺ إلى مكّة وإحرامه ومنع قريش المسلمين وإرادته ﷺ الصلح، وعدم رضا الأمّة به، وإرادتهم الحرب وهزيمتهم من قريش - وساق الحديث إلى أن قال: - فرجع، أصحاب رسول الله ﷺ مستحيين، وأقبلوا يعتذرون إلى رسول الله ﷺ، فقال لهم رسول الله ﷺ: ألستم أصحابي يوم بدر إذ أنزل الله فيكم: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾؟ ألستم أصحابي يوم أحد ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ﴾؟ ألستم أصحابي يوم كذا ويوم كذا؟ فاعتذروا إلى رسول الله ﷺ وندموا على ما كان منهم الخبر[4].

٥٢ - **فس:** قوله تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ﴾ قال: نزلت في الأوس والخزرج، روي عن الإمام أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ﴾ الآية، قال: هم الّذين استشارهم الرسول في أمر قريش ببدر، فقال رجل منهم: يا رسول الله إنّها قريش وخيلاؤها، وإنّها ما آمنت قطّ الحديث، فقال تعالى: ﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ﴾ إلى

---

(١) قرب الإسناد، ص ١١١ ح ٣٨٧.
(٢) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٦٩ ح ٧٠ من سورة الأنفال.
(٣) تفسير القمي، ج ١ ص ١٢٦.
(٤) تفسير القمي، ج ١ ص ٢٨٧.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ قال: هم الأنصار، وكان ألّف بين قلوبهم ونصرتهم نبيّه، وهو قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ فالذين ألف الله بين قلوبهم الأنصار خاصة(١).

٥٣ - ل: القطّان، عن عبد الرحمن بن محمّد الحسينيّ، عن محمّد بن عليّ الخراسانيّ عن سهل بن صالح العباسيّ، عن أبيه، وإبراهيم بن عبد الرحمن، عن موسى بن جعفر، عن آبائه عليهم السلام، عن الحسين بن عليّ عليه السلام وساق الحديث في الخمسة المستهزئين برسول الله صلى الله عليه وآله، ثمّ قال الصدوق: ويقال في خبر آخر في الأسود بن عبد يغوث قول آخر، يقال: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان قد دعا عليه أن يعمي الله بصره، وأن يثكله ولده، فلمّا كان في ذلك اليوم جاء حتّى صار إلى كدا فأتاه جبرئيل بورقة خضراء فضرب بها وجهه فعمي وبقي حتّى أثكله الله عزّ وجلّ ولده يوم بدر ثمّ مات(٢).

٥٤ - فس: ﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ﴾ قال: فهو رسول الله صلى الله عليه وآله، لمّا أخرجته قريش من مكّة وهرب منهم إلى الغار طلبوه ليقتلوه فعاقبهم الله تعالى يوم بدر، فقتل عتبة وشيبة والوليد وأبو جهل وحنظلة بن أبي سفيان وغيرهم، فلمّا قبض رسول الله صلى الله عليه وآله طلب بدمائهم(٣).

٥٥ - فس: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾ قال: فقالت قريش: قد اجتمعنا لننتصر ونقتلك يا محمّد، فأنزل الله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ يا محمد ﴿نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾ يعني يوم بدر حين هزموا وأسروا وقتلوا(٤).

٥٦ - فس: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ قال: وفي حديث آخر: لما اصطفّت الخيلان يوم بدر رفع أبو جهل يديه فقال: اللّهمّ أقطعنا للرحم، وآتانا بما لا نعرف فأحنه العذاب، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾(٥).

٥٧ - فس: في رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾، فهو أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال المخزوميّ وهو من بني مخزوم ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ﴾ فهو أخوه الأسود بن عبد الأسد بن هلال المخزوميّ، قتله حمزة بن عبد المطّلب يوم بدر(٦).

٥٨ - يد: بإسناده عن وهب القرشيّ عن الصادق عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: رأيت الخضر عليه السلام في المنام قبل بدر بليلة فقلت له: علّمني شيئاً أنصر به على الأعداء،

---

(١) تفسير القمي، ج ١ ص ٢٨٧.
(٢) الخصال، ص ٢٨٠ باب الخمسة ح ٢٥.
(٣) تفسير القمي، ج ٢ ص ٦١.
(٤) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣١٩.
(٥) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٧٤.
(٦) تفسير القمي، ج ٢ ص ٤٠٧.

فقال: قل: «يا هو يا من لا هو إلاّ هو» فلما أصبحت قصصتها على رسول الله ﷺ فقال لي: يا عليّ علّمت الاسم الأعظم، وكان على لساني يوم بدر... أقول: سيأتي تمامه بإسناده في كتاب الدعاء وغيره(١).

٥٩ - **تفسير النعماني**: عن الصادق، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: لمّا كان يوم بدر وعرف الله حرج المسلمين أنزل على نبيّه: ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ فلما قوي الإسلام وكثر المسلمون أنزل الله تعالى: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ فنسخت هذه الآية الّتي أذن لهم فيها أن يجنحوا - وساق الحديث إلى أن قال: - أمّا الجدال ومعانيه في كتاب الله ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ۝ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ۝﴾ ولمّا خرج رسول الله ﷺ إلى بدر كان خروجه في طلب العدوّ، وقال لأصحابه: إنّ الله عزّ وجلّ قد وعدني أن أظفر بالعير، أو بقريش، فخرجوا معه على هذا، فلمّا أفلتت العير وأمره الله بقتال قريش أخبر أصحابه فقال: إنّ قريشاً قد أقبلت، وقد وعدني الله سبحانه إحدى الطائفتين أنّها لكم، وأمرني بقتال قريش، قال: فجزعوا من ذلك وقالوا: يا رسول الله فإنا لم نخرج على أهبة الحرب، قال: وأكثر قوم منهم الكلام والجدال، فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ﴾ الآية، وساقه إلى أن قال: رجل من الأنصار يقال له: رفاعة بن زيد بن عامر، وكان عمّ قتادة بن النعمان الأنصاريّ وكان قتادة ممّن شهد بدراً.

أقول: سيأتي في غزوة أحد بعض أخبار الباب.

٦٠ - **ختص**: ابن الوليد، عن أحمد بن إدريس، عن محمّد بن أحمد، عن محمّد بن إسماعيل العلويّ عن محمّد بن الزبرقان الدامغانيّ، عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: إنّ العبّاس كان في عدد الأسارى عند النبيّ ﷺ، وجحد أن يكون له الفداء فأنزل الله تبارك وتعالى على النبيّ ﷺ يخبره بدفين له من ذهب، فبعث عليّاً عليه السلام فأخرجه من عند أمّ الفضل، وأخبر العبّاس بما أخبره جبرئيل عن الله تبارك وتعالى فأذن لعليّ وأعطاه علامة الّذي دفن فيه فقال العبّاس عند ذلك: يا ابن أخي ما فاتني منك أكثر، وأشهد أنّك رسول ربّ العالمين، فلمّا أحضر عليّ الذهب قال العباس: أفقرتني يابن أخي فأنزل الله تبارك وتعالى ﴿إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾(٢).

٦١ - **أقول**: روى السيّد في كتاب سعد السعود من تفسير محمّد بن العبّاس بن علي بن مروان قال: حدّثنا إبراهيم بن عبد الله بن سلام، عن حجّاج بن المنهال عن المعتمر بن سليمان، عن أبيه، عن أبي محلث، عن قيس بن عباد، عن عليّ بن أبي طالب أنّه قال: سمعته

---

(١) التوحيد للصدوق، ص ٨٩.
(٢) الاختصاص للمفيد، ص ٥٧.

يقول: «أنا أوّل من يجثو للخصومة بين يدي الرحمن قال قيس: وفيهم نزلت هذه الآية: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ قال: هم الّذين تبارزوا يوم بدر: عليّ وحمزة وعبيدة، وشيبة وعتبة والوليد.

حدّثنا الحسن بن عامر قال حدّثنا محمّد بن الحسين بن أبي الخطّاب، حدّثنا أحمد بن محمّد بن أبي نصر، عن أبان بن عثمان الأحمر، عن أبي بصير عن عكرمة عن ابن عبّاس قال: خرج عتبة وشيبة والوليد للبراز، وخرج عبيد الله بن رواحة من ناحية أخرى، قال: فكره رسول الله ﷺ أن تكون الحرب أوّل ما لقي بالأنصار. فبدأ بأهل بيته، فقال رسول الله ﷺ: مروهم أن يرجعوا إلى مصافّهم إنما يريد القوم بني عمّهم، فدعا رسول الله ﷺ عليّاً وحمزة وعبيدة بن الحارث بن عبد المطّلب، فبرزوا بين يديه بالسلاح، فقال: اجعلاه بينكما، وخاف عليه الحداثة، فقال: اذهبوا فقاتلوا عن حقكم وبالدين الّذي بعث به نبيكم إذ جاؤوا بباطلهم ليطفئوا نور الله بأفواههم، اذهبوا في حفظ الله [أو في عون الله] فخرجوا يمشون حتّى إذا كانوا قريباً حيث يسمعون الصوت. فصاح بهم عتبة: انتسبوا نعرفكم، فإن تكونوا أكفاء نقاتلكم، وفيهم نزلت هذه الآية: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾.

فقال عبيدة: أنا عبيدة بن الحارث بن عبد المطّلب، وكان قريب السنّ من أبي طالب وهو يومئذ أكبر المسلمين فقال هو: كفو كريم، ثمّ قال لحمزة: من أنت؟ قال: أنا حمزة بن عبد المطّلب، أنا أسد الله وأسد رسوله، أنا صاحب الحلفاء، فقال له عتبة: سترى صولتك اليوم يا أسد الله وأسد رسوله، قد لقيت أسد المطيّبين، فقال لعليّ: من أنت، فقال: أنا عبد الله وأخو رسوله، أنا عليّ بن أبي طالب، فقال: يا وليد دونك الغلام، فأقبل الوليد يشتدّ إلى عليّ قد تنوّر وتخلّق عليه خاتم من ذهب بيده السيف - قال عليّ: قد طال عليّ في طول نحو من ذراع، فختلته حتّى ضربت يده الّتي فيها السيف، فبدرت يده وبدر السيف حتّى نظرت إلى بصيص الذهب في البطحاء، وصاح صيحة أسمع أهل العسكرين - فذهب مولّي نحو أبيه وشدّ عليه عليّ عليه السلام فضرب فخذه فسقط، وقام عليّ عليه السلام وقال:

أنا ابن ذي الحوضين عبد المطّلب وهاشم المطعم في العام السغب
أوفي بميثاقي وأحمي عن حسب

ثمّ ضربه فقطع فخذه، قال ففي ذلك تقول هند بنت عتبة:

أبي وعمّي وشقيق بكري أخي الّذي كانوا كضوء البدر
بهم كسرت يا عليّ ظهري

ثمّ تقدّم شيبة بن ربيعة وعبيدة بن الحارث فالتقيا فضربه شيبة فرمى رجله، وضربه عبيدة فأسرع السيف فيه فأقطعه فسقطا جميعاً، وتقدّم حمزة وعتبة فتكادما الموت طويلاً، وعليّ

قائم على الوليد، والنّاس ينظرون، فصاح رجل من الأنصار يا عليّ ما ترى الكلب قد بهر عمّك؟ فلمّا أن سمعها أقبل يشتدّ نحو عتبة فحانت من عتبة التفاتة إلى عليّ فرآه وقد أقبل نحوه يشتدّ، فاغتنم عتبة حداثة سنّ عليّ فأقبل نحوه، فلحقه حمزة قبل أن يصل إلى عليّ فضربه في حبل العاتق، فضربه عليّ فأجهز عليه، قال: وأبو حذيفة بن عتبة إلى جنب رسول الله ﷺ ينظر إليهم فاربدّ وجهه، وتغيّر لونه، وهو يتنفّس، ورسول الله ﷺ يقول: صبراً يا أبا حذيفة حتّى قتلوا، ثمّ أقبلا إلى عبيدة حتّى احتملاه فسال المخ على أقدامهما، ثمّ اشتدوا به إلى رسول الله ﷺ، فلمّا نظر إليه رسول الله ﷺ قال: يا رسول الله ألست شهيداً؟ قال: بلى، قال: لو كان أبو طالب حيّاً لعلم أنّي أولى بهذا البيت منه حيث يقول:

ونسلمه حتّى نصرّع حوله ... ونذهل عن أبنائنا والحلائل[1]

بيان: البصيص: البريق، وقال الفيروزآباديّ: كدمه: عضّه بأدنى فمه، أو أثّر فيه بحديدة، والدابة تكادم الحشيش: إذا لم تستمكن منه.

٦٢ - **عم:** أخذ رسول الله ﷺ يوم بدر كفاً من تراب فرماه إليهم وقال: «شاهت الوجوه» فلم يبق منهم أحد إلاّ اشتغل بفرك عينيه، وقتل عليّ عليه السلام فيها الوليد بن عتبة وكان شجاعاً فاتكاً، والعاص بن سعيد، وطعيمة بن عديّ، ونوفل بن خويلد، وهو الّذي قرن أبا بكر وطلحة قبل الهجرة بحبل وعذّبهما يوماً إلى اللّيل وهو عمّ الزبير.

وروى جابر، عن الباقر، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: لقد تعجّبت يوم بدر من جرأة القوم وقد قتلت الوليد بن عتبة إذ أقبل إليّ حنظلة بن أبي سفيان، فلمّا دنا منّي ضربته بالسيف فسالت عيناه ولزم الأرض قتيلاً.

وقتل زمعة بن الأسود، والحارث بن زمعة، وعمير بن عثمان عمّ طلحة، وعثمان ومالكاً أخوي طلحة في جماعة، وهم ستّة وثلاثون رجلاً، واستشهد من المسلمين يوم بدر أربعة عشر رجلاً، منهم: عبيدة بن الحارث، وذو الشمالين عمرو بن نضلة ومهجع مولى عمر، وعمير بن أبي وقّاص، وصفوان بن أبي البيضاء، هؤلاء من المهاجرين، والباقون من الأنصار[2].

٦٣ - **ل:** عن عامر بن واثلة في خبر الشورى قال أمير المؤمنين عليه السلام: نشدتكم بالله هل فيكم أحد بعثه رسول الله ﷺ ليجيء بالماء كما بعثني، فذهبت حتّى حملت القربة على ظهري، ومشيت بها فاستقبلتني ريح فردّتني حتّى أجلستني، ثمّ قمت فاستقبلتني ريح فردّتني حتّى أجلستني ثمّ قمت فجئت إلى رسول الله ﷺ فقال لي: ما حبسك، فقصصت عليه القصّة، فقال: «قد جاءني جبرئيل فأخبرني: أمّا الريح الأولى فجبرئيل كان في ألف من

(١) سعد السعود، ص ١٠٢-١٠٤. (٢) إعلام الورى، ص ٩٢.

الملائكة يسلّمون عليك، وأمّا الثانية فميكائيل في ألف من الملائكة يسلّمون عليك» غيري؟ قالوا: اللّهمّ لا . الخبر(١).

٦٤ - ج: عن أبي جعفر عليه السلام في خبر الشورى قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: نشدتكم بالله هل فيكم أحد ناول رسول الله صلى الله عليه وآله قبضة من تراب فرمى به في وجوه الكفّار فانهزموا غيري؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد نودي باسمه يوم بدر: «لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتى إلّا عليّ» غيري؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد سلّم عليه جبرئيل وميكائيل وإسرافيل في ثلاثة آلاف من الملائكة يوم بدر غيري؟ قالوا: لا(٢).

بيان: المشهور في الأخبار أنّ النداء بالسيف إنّما كان يوم أحد، ولعلّه من تصحيف الرواة، مع أنّه يحتمل أن يكون النداء به في اليومين معاً.

٦٥ - كنز الكراجكيّ: عن الحسين بن محمّد بن عليّ الصيرفيّ، عن محمّد بن عمر الجعابيّ، عن محمّد بن سليمان بن محبوب، عن أحمد بن عيسى الحربيّ، عن إسماعيل بن يحيى، عن ابن جريح، عن عطا، عن ابن عبّاس قال: كان النبيّ صلى الله عليه وآله ليلة بدر قائماً يصلّي ويبكي ويستعبر ويخشع ويخضع كاستطعام المسكين، ويقول: «اللّهمّ أنجز لي ما وعدتني» ويخرّ ساجداً ويخشع في سجوده ويكثر التضرّع، فأوحى الله إليه: قد أنجزنا وعدك، وأيّدناك بابن عمّك عليّ، ومصارعهم على يديه، وكفيناك المستهزئين به، فعلينا فتوكّل، وعليه فاعتمد، فأنا خير من توكّلت عليه، وهو أفضل من اعتمد عليه(٣).

٦٦ - كا: محمّد بن يحيى، والحسين بن محمّد جميعاً، عن جعفر بن محمّد، عن عبادة ابن يعقوب، عن أحمد بن إسماعيل، عن عمر بن كيسان، عن أبي عبد الله الجعفيّ قال: قال لي أبو جعفر محمّد بن عليّ عليه السلام قال: فإنّما مثلنا ومثلكم مثل نبيّ كان في بني إسرائيل فأوحى الله عزّ وجلّ إليه أن أدع قومك للقتال فإنّي سأنصرك. فجمعهم من رؤوس الجبال ومن غير ذلك، ثمّ توجّه بهم فما ضربوا بسيف ولا طعنوا برمح حتّى انهزموا، ثمّ أوحى الله تبارك وتعالى إليه أن أدع قومك إلى القتال، فإنّي سأنصرك، فجمعهم ثمّ توجّه بهم فما ضربوا بسيف ولا طعنوا برمح حتّى انهزموا. ثمّ أوحى الله إليه أن أدع قومك إلى القتال فإنّي سأنصرك، فدعاهم فقالوا: وعدتنا النصر فما نصرنا، فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: إمّا أن يختاروا القتال أو النّار، فقال: يا ربّ القتال أحبّ من النّار، فدعاهم فأجابه منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر عدّة أهل بدر، فتوجّه بهم فما ضربوا بسيف ولا طعنوا برمح حتّى فتح الله عزّ وجلّ لهم(٤).

٦٧ - شي: عن محمّد بن أبي حمزة، عمّن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله:

---

(١) الخصال، ص ٥٥٧ باب الأربعين فما فوق ح ٣١. (٢) الاحتجاج، ص ١٣٨.

(٣) كنز الفوائد، ج ١ ص ٢٩٥. (٤) روضة الكافي، ص ٨٥٠ ح ٥٧٦.

﴿أَوَ لَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا﴾ قال: كان المسلمون قد أصابوا ببدر مائة وأربعين رجلاً، وأسروا سبعين، فلمّا كان يوم أحد أصيب من المسلمين سبعون رجلاً، قال: فاغتمّوا بذلك، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿أَوَ لَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا﴾[(١)].

٦٨ - شي: عن زرارة، عن أحدهما عليه‌السلام قال: قلت: الزبير شهد بدراً قال: نعم، ولكنّه فرّ يوم الجمل، فإن كان قاتل المؤمنين فقد هلك بقتاله إيّاهم، وإن كان قاتل كفّاراً فقد باء بغضب من الله حين ولاهم دبره[(٢)].

٦٩ - شي: عن زرارة وحمران عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما‌السلام في قوله: ﴿خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾ قال: إنّ رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله قد كان لقي من قومه بلاء شديداً حتّى أتوه ذات يوم وهو ساجد حتّى طرحوا عليه رحم شاة، فأتته ابنته وهو ساجد لم يرفع رأسه فرفعته عنه ومسحته، ثمّ أراه الله بعد ذلك الّذي يحبُّ، إنّه كان ببدر وليس معه غير فارس واحد، ثمّ كان معه يوم الفتح اثنا عشر ألفاً حتّى جعل أبو سفيان والمشركون يستغيثون[(٣)].

٧٠ - شي: عن محمّد بن يحيى، عن أبي عبد الله عليه‌السلام في قوله: ﴿وَٱلرَّكۡبُ أَسۡفَلَ مِنكُمۡۚ﴾ قال: أبوسفيان وأصحابه[(٤)].

٧١ - ك: الطالقانيّ، عن ابن عقدة، عن عليّ بن فضّال، عن أبيه، عن محمد بن الفضيل، عن الثماليّ، عن أبي جعفر عليه‌السلام قال: السنّة فينا في الصلاة على الميّت خمس تكبيرات، وقد كان رسول الله يكبّر على أهل بدر سبعاً وتسعاً[(٥)].

٧٢ - ص: بالإسناد عن الصدوق، عن ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن أبي الخطّاب، عن محمّد بن سنان، عن إسماعيل بن جابر، عن عبد الحميد بن أبي الديلم عن أبي عبد الله عليه‌السلام مثله[(٦)].

وقد مضى تمامه في أبواب أحوال آدم عليه‌السلام.

٧٣ - ك: بإسناده عن المفضّل قال: قال الصادق عليه‌السلام: كأنّي أنظر إلى القائم على منبر الكوفة وحوله أصحابه ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً عدّة أهل بدر وهم أصحاب الألوية. الخبر[(٧)].

وسيأتي أخبار كثيرة في بيان هذا العدد في كتاب الغيبة وباب الرجعة.

---

(١) تفسير العياشي، ج ١ ص ٢٢٩ ح ١٦٩ من سورة آل عمران.
(٢) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٥٦ ح ٢٩ من سورة الأنفال.
(٣) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٥٨ ح ٤٣ من سورة الأنفال.
(٤) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٦٩ ح ٦٩ من سورة الأنفال.
(٥) كمال الدين، ص ٢٠٦.
(٦) قصص الأنبياء للراوندي ص ٦٥.
(٧) كمال الدين، ص ٦١٠ باب ٥٨ ح ٢٥.

٧٤ - **ني**: أحمد بن هوذة، عن النهاونديّ، عن عبد الله بن حمّاد، عن عبد الله بن سنان، عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: أبى الله إلاّ أن يخلف وقت الموقّتين، وهي راية رسول الله صلى الله عليه وآله، نزل جبرئيل يوم بدر سرية ثمَّ قال: يا أبا محمّد ما هي والله قطن ولا كتّان ولا خز ولا حرير، قلت: من أي شيء؟ قال: من ورق الجنّة، نشرها رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر ثمَّ لفّها ودفعها إلى عليّ عليه السلام، ففتح الله عليه، ثمّ لفّها، وهي عندنا هناك لا ينشرها أحد حتّى يقوم القائم، فإذا قام نشرها فلم يبق في المشرق والمغرب أحد إلاّ ألفها، ويسير الرعب قدّامها شهراً، وعن يمينها شهراً وعن يسارها شهراً. الخبر(١).

٧٥ - **أقول**: روي في الديوان المنسوب إلى أمير المؤمنين عليه السلام:

ألـم تـر أنّ الله أبـلـى رسـولـه ... بلاء عـزيـز ذي اقـتـدار وذي فـضـل
بـمـا أنـزل الـكـفّـار دار مـذلّـة ... ولاقـوا هـوانـاً مـن أسـار ومـن قـتـل
فـأمـسـى رسـول الله قـد عـزّ نـصـره ... وكـان أمـيـن الله أرسـل بـالـعـدل
فـجـاء بـفـرقـان مـن الله مـنـزل ... مـبـيّـنـة آيـاتـه لـذوي الـعـقـل
فـآمـن أقـوام كـرام وأيـقـنـوا ... وأمسوا بحمد الله مجتمعي الشمل
وأنـكـر أقـوام فـزاغـت قـلـوبـهـم ... فزادهم الرحمن خبلاً على خبل
وأمـكـن مـنـهـم يـوم بـدر رسـولـهُ ... وقوماً غضاباً فعلهم أحسن الفعل
بـأيـديـهـم بـيـض خـفـاف قـواطـع ... وقـد حـادثـوهـا بـالـجـلاء وبـالـصـقـل
فـكـم تـركـوا مـن نـاشـئ ذي حـمـيّـة ... صريعاً ومن ذي نجدة منهم كهل
وتـبـكـي عـيـون الـنـائـحـات عـلـيـهـم ... تـجـود بـإرسـال الـرشـاش وبـالـوبـل
نـوائـح تـبـكـي عـتـبـة الـغـيّ وابـنـه ... وشـيـبـة تـنـعـاه وتـنـعـى أبـا جـهـل
وذا الـذحـل تـنـعـى وابـن جـذعـان فـيـهـم ... مـسـلّـبـة حـرّى مـبـيّـنـة الـثـكـل
ثـوى مـنـهـم فـي بـئـر بـدر عـصـابـة ... ذوو نجدات في الحزون وفي السهل
دعـى الـغـيّ مـنـهـم مـن دعـا فـأجـابـه ... ولـلـغـيّ أسـبـاب مـقـطّـعـة الـوصـل
فـأضـحـوا لـدى دار الـجـحـيـم بـمـعـزل ... عن البغي والعدوان في أشغل الشغل(٢)

بيان: الإبلاء: الإنعام. والزيغ: الميل عن استقامة، والخبل: الفساد في العقل، ومحادثة السيف: جلاؤه، والناشئ: الحدث السنّ، والذحل: الحقد والعداوة.

٧٦ - وفي الديوان أيضاً: قال عليّ عليه السلام مخاطباً للوليد:

تـبّـاً وتـعـسـاً لـك يـابـن عـتـبـه ... أسـقـيـك مـن كـأس الـمـنـايـا شـربـه
ولا أبـالـي بـعـد ذلـك غـبـه

---

(١) غيبة النعماني، ص ٢٠٨ ح ٢٥ وفيه: لعنها بدل: ألفها.

(٢) ديوان الإمام علي عليه السلام، ص ١٢١.

بيان: تبّاً وتعساً، أي ألزمك الله خسراناً وهلاكاً، وضمير «غبه» راجع إلى السقي. وغبّ الشيء: عاقبته.

٧٧ - ومنه في تلك الغزاة:

والخيل جالت يومها غضابها بمربط سربالها ترابها
وسط منايا بينها أحقابها اليوم عنّي ينجلي جلبابها(١)

بيان: الضمائر راجعة إلى الحرب، والمربط بالكسر: الرسن، والحقب بالتحريك: حبل يشدّ به الرحل إلى بطن البعير.

٧٨ - ومنه فيها:

قد عرف الحرب العوان عنّي بازل عامين حديث سنّي
سنحنح الّيل كأنّي جنّي أستقبل الحرب بكلّ فنّ
معي سلاحي ومعي مجنّي وصارم يذهب كلّ ضغن
أقصي به كلّ عدوّ عنّي لمثل هذا ولدتني أمّي(٢)

بيان: العوان من الحرب: الّتي قوتل فيها مرّة، وجعل (أمّي) قافية لقرب مخرج الميم من النون، وهذا مجوّز عند العرب.

٧٩ - **قب:** ثمّ غزا ﷺ بدر الكبرى وهو يوم الفرقان قوله تعالى: ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ﴾ السورة، وقوله: ﴿قَدۡ كَانَ لَكُمۡ ءَايَةٞ﴾ وبدر ما بين مكّة والمدينة.

وقال الشعبيّ والثماليّ: بئر منسوبة إلى بدر الغفاريّ، وقال الواقديّ هو اسم الموضع، خرج ﷺ سابع شهر رمضان، ويقال: ثالثه في ثلاثمائة وسبعة عشر رجلاً في عدّة أصحاب طالوت، منهم ثمانون راكباً أو سبعون، ويقال: سبعة وسبعين رجلاً من المهاجرين، ومائتين وثلاثين رجلاً من الأنصار، وكان المقداد فارساً فقط، يعتقب النفر على البعير الواحد، وكان بين النبيّ ﷺ وبين أبي مرثد بعير، ويقال: فرس وكان معهم من السلاح ستّة أدرع وثمانية سيوف قاصداً إلى أبي سفيان وعتبة بن أبي ربيعة في أربعين من قريش أو سبعين، فأخبر بالنبي ﷺ فأخذوا على الساحل واستصرخوا إلى أهل مكّة على لسان ضمضم الغفاريّ، قال ابن قتيبة: خرجوا تسعمائة وخمسين، ويقال: ألف ومائتان وخمسون، ويقال: ثلاثة آلاف، ومعهم مائتا فرس يقودونها، والقيان يضربن بالدفوف ويتغنّين بهجاء المسلمين، ولم يكن من قريش بطن إلّا خرج منهم ناس إلّا من بني زهرة وبني عديّ بن كعب، وأخرج فيهم طالب كرهاً فلم يوجد في القتلى والأسرى.

الكلبيّ وأبو جعفر وأبو عبد الله عليه السلام: كان إبليس في صفّ المشركين آخذاً بيد الحارث

(١) ديوان الإمام علي عليه السلام، ص ١٤.
(٢) ديوان الإمام علي عليه السلام، ص ١٤٢.

ابن هشام فنكص على عقبيه، فقال له الحارث: يا سراق إلى أين؟ أتخذلنا على هذه الحالة؟ فقال: إنّي أرى ما لا ترون، فقال: والله ما ترى إلاّ جعاسيس يثرب فدفع في صدر الحارث وانطلق وانهزم النّاس، وقال النبيّ ﷺ في العريش: «اللّهمّ إنّك إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تُعبد بعد اليوم» فنزل: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ فخرج يقول: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ الآية، فأيّده الله بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمين، وكثّرهم في أعين المشركين، وقلّل المشركين في أعينهم.

وقال عليّ عليه السلام وابن عبّاس في قوله: ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ كان عليهم عمائم بيض أرسلوها بين أكتافهم، وقال عروة: كانوا على خيل بلق عليهم عمائم صفر.

الحسن وقتادة: كانوا أعلموا بالصوف في نواصي الخيل وأذنابها.

ابن عبّاس: وسمع غفاريّ في سحابة حمحمة الخيل وقائل يقول: أقدم حيزوم.

البخاريّ: قال النبيّ ﷺ يوم بدر: هذا جبرئيل آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب.

الثعلبيّ وسماك بن حرب، عن عكرمة، عن ابن عبّاس في قوله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ إن النبيّ ﷺ قال لعليّ عليه السلام: ناولني كفّاً من حصباء فناوله فرمى به في وجوه القوم، فما بقي أحد إلاّ امتلأت عينه من الحصباء.

وفي رواية غيره: وأفواههم ومناخرهم.

قال أنس: رمى بثلاث حصيات في الميمنة والميسرة والقلب.

قال ابن عبّاس: ﴿وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا﴾ يعني وهزم الكفّار ليغنم النبيّ والوصي عليه السلام، وكان الأسرى سبعين، ويقال: أربع وأربعون، ولم يؤسر أحد من المسلمين، والشهداء كانوا أربعة عشر، واخذ الفداء من كلّ مشرك أربعين أوقية، ومن العبّاس مائة، وقالوا: كان أكثر من أربعة آلاف درهم، فنزل عتاباً في الفداء والأسرى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ﴾ وقد كان كتب في اللوح المحفوظ ﴿لَّوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ﴾ وكان القتال بالسابع عشر من شهر رمضان، وكان لواؤه مع مصعب بن عمير، ورايته مع عليّ عليه السلام، ويقال رايته مع عليّ عليه السلام، وراية الأنصار مع سعد بن عبادة[1].

بيان: الجعاسيس: اللئام في الخَلق والخُلق الواحد جعسوس بالضمّ.

٨٠ - **ل:** بالإسناد عن أمير المؤمنين عليه السلام في خبر اليهوديّ الّذي سأله عليه السلام عما امتحنه الله به في حياة النبيّ ﷺ وبعد وفاته، قال: وأمّا الثالثة يا أخا اليهود فإنّ ابني ربيعة وابن عتبة كانوا فرسان قريش، دعوا إلى البراز يوم بدر، فلم يبرز لهم خلق من قريش، فأنهضني رسول الله مع صاحبيّ رضي الله عنهما وقد فعل وأنا أحدث أصحابي سنّاً، وأقلّهم للحرب تجربةً، فقتل

(١) مناقب ابن شهرآشوب، ج ١ ص ٢٣٨.

الله عزّوجلّ بيدي وليداً وشبية سوى من قتلت من جحاجحة قريش في ذلك اليوم وسوى من أسرت، وكان منّي أكثر ممّا كان من أصحابي، واستشهد ابن عمّي في ذلك اليوم رحمة الله عليه، ثمّ التفت إلى أصحابه فقال: أليس كذلك؟ قالوا: بلى يا أمير المؤمنين[1].

بيان: الجحاجحة، جمع الجحجاح وهو السيّد الكريم.

٨١ - **وقال الكازرونيّ في المنتقى:** قال ابن إسحاق: حدّثني محمّد بن جعفر بن الزبير، عن عروة قال: جلس عمير بن وهب الجمحيّ مع صفوان بن أميّة بعد مصاب أهل بدر وهو في الحجر، وكان عمير شيطاناً من شياطين قريش، وكان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه بمكّة وكان ابنه وهيب بن عمير في أسارى بدر، فذكر أصحاب القليب ومصابهم، فقال صفوان: والله ليس في العيش خير بعدهم، فقال له عمير: صدقت والله، أما والله لولا دينٌ عليّ ليس له عندي قضاء وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدي لركبت إلى محمّد حتّى أقتله، فإن لي قبلهم علّة ابني أسير في أيديهم، فقال صفوان: فعليّ دينك أنا أقضيه عنك، وعيالك مع عيالي، أواسيهم أسوتهم ما بقوا، قال عمير: فاكتم عليّ شأني وشأنك، قال: أفعل، ثمّ إنّ عميراً أمر بسيفه فشحذ له وسمّ، ثمّ انطلق حتّى قدم المدينة، فلمّا دخل على النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: أنعموا صباحاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: قد أكرمنا الله بتحيّة خير من تحيّتك يا عمير بالسلام تحيّة أهل الجنّة، ما جاء بك يا عمير؟ قال: جئت لهذا الأسير الّذي في أيديكم فأحسنوا فيه، قال: فما بال السيف في عنقك؟ قال: قبّحها الله من سيوف، وهل أغنت شيئاً؟ قال: اصدقني بالذي جئت له، قال: ما جئت إلاّ لذلك، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: بلى قعدت أنت وصفوان بن أميّة في الحجر، فذكرتما أصحاب القليب من قريش، ثمّ قلت: لولا دين عليّ وعليّ عيالي لخرجت حتّى أقتل محمداً، فتحمّل لك صفوان بدينك وعيالك على أن تقتلني، والله حائل بيني وبينك، فقال عمير: أشهد أنّك رسول الله، قد كنا نكذّبك، وهذا أمر لم يحضره إلاّ أنا وصفوان، فوالله إنّي لأعلم ما أتاك به إلاّ الله، فالحمد لله الّذي هداني للإسلام، وساقني هذا المساق، ثمّ تشهّد شهادة الحقّ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: فقّهوا أخاكم في دينه، وعلموه القرآن، وأطلقوا له أسيره، ففعلوا، ثمّ قال: يا رسول الله إنّي كنت جاهداً في إطفاء نور الله شديد الأذى لمن كان على دين الله، وإنّي أحبّ أن تأذن لي فأقدم مكّة فأدعوهم إلى الله وإلى الإسلام، لعلّ الله أن يهديهم، وإلا آذيتهم في دينهم كما كنت أوذي أصحابك في دينهم، فأذن له، فلحق بمكّة، وكان صفوان حين خرج عمير يقول لقريش: أبشروا بوقعة تأتيكم الآن في أيّام تنسيكم وقعة بدر، وكان صفوان يسأل عنه الركبان حتّى قدم راكب فأخبره بإسلامه، فحلف أن لا يكلّمه أبداً، ولا ينفعه بنفع أبداً، فلمّا قدم مكّة أقام بها يدعو إلى الإسلام ويؤذي من خالفه، فأسلم على يديه ناس كثيرة.

---

(١) الخصال، ص ٣٦٤ باب السبعة ح ٥٨.

وروى بإسناده عن عبد الرحمن بن عوف أنّه قال: إنّي لواقف يوم بدر في الصفّ فنظرت عن يميني وعن شمالي، فإذا أنا بين غلامين من الأنصار حديثة أسنانهما، تمنّيت لو كنت بين أضلع أقوى منهما، فغمزني أحدهما فقال: يا عمّ هل تعرف أبا جهل؟ فقلت: نعم، وما حاجتك إليه يابن أخي؟ قال: بلغني أنّه سب رسول الله ﷺ، والّذي نفسي بيده لو رأيته لم يفارق سوادي سواده حتّى يموت الأعجل منّا، قال: فغمزني الآخر فقال لي مثلها، فتعجّبت لذلك، فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل يجول في النّاس، فقلت لهما: ألا تريان؟ هذا صاحبكما الّذي تسألان عنه، فابتدراه بسيفيهما فاستقبلهما فضرباه حتّى قتلاه، ثمّ انصرفا إلى رسول الله ﷺ فأخبراه، فقال: أيّكما قتله؟ فقال كلّ واحد منهما: أنا قتلته، قال: هل مسحتما سيفكما؟ قالا: لا، فنظر رسول الله ﷺ في السيفين فقال: كلاكما قتله، وقضى بسلبه لمعاذ بن عمرو، وهما معاذ بن عمرو ومعاذ بن عفراء.

وفي رواية أنّ معاذ بن عفراء ضرب أبا جهل هو وأخوه عوف بن الحارث حتّى أثبتاه، فعطف عليهما فقتلهما، ثمّ وقع صريعاً فذفّف عليه ابن مسعود.

٨٢ - **أقول**: قال عبد الحميد بن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة قال الواقديّ: بلغ رسول الله أنّ عير قريش فصلت من مكّة تريد الشام، وقد جمعت قريش فيها أموالها، فندب لها أصحابه، وخرج يعترضها على رأس ستّة عشر شهراً من مهاجره فخرج في خمسين ومائة، ويقال: في مائتين، ولم يلق العير وفاتته ذاهبة إلى الشام، وهذه غزاة ذي العشيرة رجع منها إلى المدينة ولم يلق حرباً، فلمّا تحيّن انصراف العير من الشام قافلة ندب أصحابه لها ويعث طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد قبل خروجه من المدينة بعشر ليال يتجسّسان خبر العير، وندب رسول الله المسلمين وقال: هذه عير قريش فيها أموالهم، لعلّ الله أن يغنمكموها، فأسرع من أسرع حتّى أن كان الرجل ليساهم أباه في الخروج، فكان ممّن ساهم أباه سعد بن خيثمة، فخرج سهم سعد فقتل ببدر، وأبطأ عن النبيّ ﷺ كثير من أصحابه، وكرهوا خروجه، وكان في ذلك كلام كثير واختلاف، وتخلّف بعضهم من أهل النيّات والبصائر لم يظنّوا أنّه يكون قتال إنّما هو الخروج للغنيمة، ولو ظنّوا أنّه يكون قتال لما تخلّفوا، منهم أُسيد بن حضير، وخرج رسول الله ﷺ حتّى انتهى إلى المكان المعروف بالبقع وهي بيوت السقيا، وهي متّصلة ببيوت المدينة، فضرب عسكره هناك وعرض المقاتلة، دعا يومئذ لأهل المدينة فقال: «اللّهمّ إنّ إبراهيم عبدك وخليلك ونبيّك دعاك لأهل مكّة، وإنّي محمّد عبدك ونبيّك أدعوك لأهل المدينة أن تبارك لهم في صاعهم ومدّهم وثمارهم اللّهمّ حبّب إلينا المدينة واجعل ما بها من الوباء بخمّ اللّهمّ إنّي حرّمت ما بين لابتيها كما حرم إبراهيم خليلك مكّة» فراح ﷺ من السقيا لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر رمضان، وخرج المسلمون معه، فكانت الإبل سبعين بعيراً، وكانوا يتعاقبون الإبل الاثنين

والثلاثة والأربعة، فكان رسول الله ﷺ وعليّ بن أبي طالب عليه السلام ومرثد بن أبي مرثد - ويقال: زيد بن حارثة مكان مرثد - يتعاقبون بعيراً.

قال الواقديّ: فروى معاذ بن رفاعة، عن أبيه قال: خرجت مع النبيّ ﷺ إلى بدر وكان كلّ ثلاثة يتعاقبون بعيراً فكنت أنا وأخي خلاّد بن أبي رافع على بكر لنا، ومعنا يزيد بن عامر، فكنّا نتعاقب، فسرنا حتّى إذا كنا بالروحاء برك علينا بكرنا وأعيا، فقال أخي: اللّهمّ إنّ لك عليّ نذراً لئن رددتنا إلى المدينة لأنحرنّه، فمرّ بنا النبيّ ﷺ ونحن على تلك الحال، فقلنا: يا رسول الله برك علينا بكرنا، فدعا بماء فتمضمض وتوضّأ في إناء ثمّ قال: افتحا فاه فصبّه في فيه، ثمّ على رأسه، ثمّ على عنقه، ثمّ على حاركه، ثمّ على سنامه، ثمّ على عجزه، ثمّ على ذنبه، ثمّ قال: اركبا، ومضى رسول الله ﷺ، فلحقناه أسفل من المنصرف، وإنّ بكرنا لينفر بنا حتّى إذا كنّا بالمصلّى راجعين من بدر برك علينا، فنحره أخي فقسّم لحمه وتصدّق به.

قال الواقديّ: وقال رسول الله ﷺ حين فصل من بيوت السقيا «اللّهمّ إنّهم حفاة فاحملهم وعراة فاكسهم وجياع فأشبعهم وعالة فأغنهم من فضلك» فما رجع أحد منهم يريد أن يركب إلاّ وجد ظهراً، للرجل البعير والبعيران واكتسى من كان عارياً، وأصابوا طعاماً من أزوادهم، وأصابوا فداء الأسرى فأغنى به كلّ عائل.

قال: وكان معهم فرسان: فرس لمرثد، وفرس للمقداد بن عمرو حليف بني زهرة، ويقال: فرس للزبير.

قال الواقديّ: ولحقت قريش بالشام في عيرها، وكانت العير ألف بعير، وكان فيها أموال عظام، ولم يبق بمكّة قرشي ولا قرشيّة له مثقال فصاعداً إلاّ بعث به في العير، فلمّا أخبر أبوسفيان أنّ النبيّ ﷺ يريد أن يتعرّض للعير بعث ضمضم بن عمرو إلى مكّة - ثمّ ذكر رؤيا عاتكة - ثمّ قال: قال الواقديّ: وكان عمرو بن العاص يحدّث بعد ذلك فيقول: لقد رأيت كلّ هذا، ولقد رأيت في دارنا فلقة من الصخرة الّتي انفلقت من أبي قبيس ولقد كان ذلك عبرة.

قال الواقديّ: ولمّا تهيّأوا للخروج وأخرج عتبة وشيبة دروعاً لهما فنظر إليهما مولاهما عداس وهما يصلحان دروعهما وآلة حربهما فقال: ما تريدان؟ فقالا: ألم تر إلى الرجل الّذي أرسلناك إليه بالعنب في كرمنا بالطائف؟ قال نعم، قالا: نخرج فنقاتله فبكى وقال: لا تخرجا فوالله إنّه لنبي، فأبيا فخرجا وخرج معهما فقتل ببدر معهما.

قال واستقسمت قريش بالأزلام عند هبل للخروج، فاستقسم أميّة بن خلف وعتبة وشيبة بالآمر والناهي فخرج القدح الناهي، فأجمعوا المقام حتّى أزعجهم أبو جهل، فقال: ما استقسمت ولا نتخلّف عن عيرنا.

وروي عن حكيم بن حزام قال: ما توجّهت وجهاً قطّ كان أكره إليّ من مسيري إلى بدر، ولا بان لي في وجه قطّ ما بان لي قبل أن أخرج، قال: قدم ضمضم فصاح بالنفير فاستقسمت

بالأزلام، كلّ ذلك يخرج الّذي أكره، ثمّ خرجت على ذلك حتّى نزلنا مرّ الظهران فنحر ابن الحنظليّة جزوراً منها بها حياة فما بقي خباء من أخبية العسكر إلاّ أصابه من دمها، فكان هذا بيّناً، ثمّ هممت بالرجوع، ثمّ أذكر ابن الحنظليّة وشؤمه فيردّني حتّى مضيت لوجهي، ولقد رأيت حين بلغنا الثنيّة البيضاء إذا عداس جالس عليها والنّاس يمرّون إذ مرّ علينا ابنا ربيعة فوثب عليهما وأخذ بأرجلهما في غرزهما وهو يقول: بأبي أنتما وأمّي إنّه لرسول الله، وما تساقان إلاّ إلى مصارعكما، وإنّ عينيه لتسيلان دمعاً على خدّيه، فأردت أن أرجع أيضاً، ثمّ مضيت فمرّ به العاص بن منبه بن الحجّاج فوقف عليه حين ولّى عتبة وشيبة فقال: ما يبكيك؟ قال: يبكيني سيّداي وسيّدا أهل الوادي، يخرجان إلى مصارعهما، ويقاتلان رسول الله، فقال العاص: وإنّ محمّداً لرسول الله؟ فانتفض عداس انتفاضة واقشعرّ جلده ثمّ بكى وقال: إي والله إنّه رسول الله إلى النّاس كافّة، قال: فأسلم العاص بن منبه ومضى وهو على الشكّ حتّى قتل مع المشركين على شكّ وارتياب، ويقال: رجع عداس ولم يشهد بدراً، ويقال: شهد بدراً وقتل. قال الواقديّ: والقول الأوّل أثبت عندنا.

قال: فلمّا أجمعوا على المسير ذكروا الّذي بينهم وبين بني بكر من العداوة وخافوهم على من يخلّفونه، فتصوّر لهم إبليس في صورة سراقة فقال: يا معشر قريش قد عرفتم شرفي ومكاني في قومي، أنا لكم جار أن يأتيكم كنانة بشيء تكرهونه، فخرجوا سراعاً بالقيان والدفوف يتغنّين في كلّ منهل، وينحرون الجزر، وخرجوا بتسعمائة وخمسين مقاتلاً، وقادوا مائة فرس بطراً ورئاء النّاس. وكانت الإبل سبعمائة بعير، وكان أهل الخيل كلّهم دارعاً وكانوا مائة، وكان في الرجالة دروع سوى ذلك فلمّا انتهوا إلى الجحفة رأى جهيم بن الصلت بين النوم واليقظة: رجل أقبل على فرس معه بعير له حتّى وقف عليه، فقال: قتل عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وزمعة بن الاسود وأمية بن خلف وأبو البختري وأبوالحكم ونوفل بن خويلد في رجال سمّاهم من أشراف قريش، وأسر سهيل بن عمرو، وفرّ الحارث بن هشام عن أخيه قال: وكأنّ قائلاً يقول: والله إنّي لأظنّهم الّذين يخرجون إلى مصارعهم، قال: ثمّ أراه ضرب في لبّة بعيره فأرسله في العسكر، فقال أبو جهل: وهذا نبيّ آخر من بني عبد مناف، ستعلم غداً من المقتول، نحن أو محمّد وأصحابه.

قال: فلمّا أفلت أبوسفيان بالعير أرسل يأمرهم بالرجوع فأبوا، وردّوا القيان وأمّا رسول الله عليه السلام فكان صبيحة أربع عشرة من شهر رمضان بعرق الظبية فجاء أعرابيّ قد أقبل من تهامة، فقال له أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله: هل لك علم بأبي سفيان قال: ما لي بأبي سفيان علم، قالوا: تعال فسلّم على رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: أوفيكم رسول الله؟ قالوا نعم قال: فأيكم رسول الله؟ قالوا: هذا، فقال: أنت رسول الله؛ قال: نعم قال: فما في بطن ناقتي هذه إن كنت صادقاً؟ فقال سلمة بن سلامة بن وقش: نكحتها فهي حبلى منك، فكره رسول الله صلى الله عليه وآله مقالته وأعرض عنه.

قال الواقديّ: وسار رسول الله ﷺ حتّى أتى الروحاء ليلة الاربعاء للنصف من شهر رمضان فقال لاصحابه: هذا أفضل أودية العرب، وصلّى، فلمّا رفع رأسه من الركعة الاخيرة من وتره لعن الكفرة ودعا عليهم فقال: «اللّهمّ لا تفلتن أبا جهل بن هشام فرعون هذه الأُمّة، اللّهمّ لا تفلتن زمعة بن الاسود اللّهمّ اسخن عين أبي زمعة اللّهمّ أعم بصر أبي زمعة اللّهمّ لا تفلتنّ سهيل بن عمرو». ثمّ دعا لقوم من قريش فقال: «اللّهمّ أنج سلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة والمستضعفين من المؤمنين» قال: ونزل رسول الله ﷺ وادي بدر عشاء ليلة الجمعة لسبع عشرة مضت من شهر رمضان، فبعث عليّاً عليه السلام والزبير وسعد بن أبي وقّاص وبسبس بن عمرو يتجسّسون على الماء، فوجدوا روايا قريش فيها سقاؤهم فأسروهم وأفلت بعضهم وأتي بهم النبيّ ﷺ وهو قائم يصلّي، فسألهم المسلمون فقالوا: نحن سقاء قريش بعثونا نسقيهم من الماء فضربوهم، فلمّا أن لقوهم بالضرب قالوا: نحن لأبي سفيان ونحن في العير، وهذا العير بهذا القوز، فكانوا إذا قالوا ذلك يمسكون عن ضربهم، فسلّم رسول الله ﷺ من صلاته، ثمّ قال: إن صدقوكم ضربتموهم، وإن كذبوكم تركتموهم، فلمّا أصبحوا عدل رسول الله ﷺ الصفوف وخطب المسلمين فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: «أما بعد فإنّي أحثكم على ما حثكم الله عليه، وأنهاكم عمّا نهاكم الله عنه، فإنّ الله عظيم شأنه يأمر بالحقّ، ويحبّ الصدق، ويعطي على الخير أهله على منازلهم عنده، به يذكرون، وبه يتفاضلون، وإنّكم قد أصبحتم بمنزل من منازل الحقّ لا يقبل الله فيه من أحد إلّا ما ابتغى به وجهه، وإنّ الصبر في مواطن البأس ممّا يفرج الله به الهم وينجي به من الغم، تدركون به النجاة في الآخرة، فيكم نبيّ الله يحذركم ويأمركم، فاستحيوا اليوم أن يطلع الله على شيء من أمركم يمقتكم عليه، فإنّه تعالى يقول: ﴿لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ انظروا إلى الّذي أمركم به من كتابه، وأراكم من آياته، وما أعزكم به بعد الذلة، فاستمسكوا به له يرض ربّكم عنكم، وأبلوا ربّكم في هذه المواطن أمراً تستوجبوا به الّذي وعدكم من رحمته ومغفرته، فإن وعده حقّ، وقوله صدق، وعقابه شديد، وإنّما أنا وأنتم بالله الحيّ القيوم، إليه ألجأنا ظهورنا، وبه اعتصمنا وعليه توكّلنا، وإليه المصير، ويغفر الله لي وللمسلمين».

قال الواقديّ: ولمّا رأى رسول الله قريشاً تصوّب من الوادي قال: «اللّهمّ إنّك أنزلت عليّ الكتاب، وأمرتني بالقتال، ووعدتني إحدى الطائفتين، وإنك لا تخلف الميعاد، اللّهمّ هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادّك وتكذب رسولك، اللّهمّ نصرك الّذي وعدتني اللّهمّ أحنهم الغداة.

أقول: ثمّ ذكر مبارزة عتبة وشيبة والوليد.

ثمّ قال: قال الواقديّ: ثمّ قال عتبة لابنه: قم يا وليد فقام الوليد، وقام إليه عليّ عليه السلام وكانا أصغر النفر، فاختلفا ضربتين فقتله عليّ عليه السلام، ثمّ قام عتبة وقام إليه حمزة فاختلفا

ضربتين فقتله حمزة ﵁، ثمّ قام شيبة وقام إليه عبيدة وهو يومئذ أسنّ أصحاب رسول الله فضرب شيبة رجل عبيدة بذباب السيف فأصاب عضلة ساقه فقطعها، وكرّ حمزة وعليّ ﵉ على شيبة فقتلاه، ونزلت فيهم هذه الآية: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾.

وروى محمّد بن إسحاق أنّ عتبة بارز عبيدة، وشيبة حمزة، فقتل حمزة شيبة لم يمهله أن قتله، ولم يمهل عليّ ﵇ الوليد أن قتله، واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين كلاهما أثبت صاحبه، وكرّ حمزة وعليّ على عتبة: بأسيافهما حتّى دففا عليه، واحتملا صاحبهما إلى الصف.

قال ابن أبي الحديد: هذه الرواية توافق ما يذكره أمير المؤمنين ﵇ في كلامه إذ يقول لمعاوية: «وعندي السيف الّذي أعضضت به أخاك وخالك وجدك يوم بدر» ويقول في موضع آخر: «قد عرفت مواضع نصالها في أخيك وخالك وجدّك وما هي من الظالمين ببعيد».

واختار البلاذري رواية الواقديّ وقال: هذا هو المناسب لأحوالهم من طريق السنّ لأنّ شيبة أسنّ الثلاثة فجعل بإزاء عبيدة وهو أسنّ الثلاثة.

قال الواقديّ: روى عروة، عن عائشة أنّ النبيّ ﷺ جعل شعار المهاجرين يوم بدر: يا بني عبد الرحمن، وشعار الخزرج: يا بني عبد الله، وشعار الاوس: يا بني عبيد الله، قال: وروى زيد بن عليّ بن الحسين ﵇ أنّ شعار رسول الله ﷺ كان يوم بدر: يا منصور أمت.

قال الواقديّ: ونهى رسول الله ﷺ عن قتل أبي البختريّ، وقد مرّ ذكره وعن قتل الحارث بن عامر بن نوفل وكان كارهاً للخروج إلى بدر، فلقيه خبيب بن يساف فقتله ولا يعرفه، وعن قتل زمعة بن الاسود فقتله ثابت بن الجذع ولا يعرفه قال الواقديّ: وكان عقبة بن أبي معيط قال شعراً بعد هجرة النبيّ ﷺ إلى المدينة فبلغ النبيّ ﷺ ذلك فقال: «اللّهمّ أكبّه لمنخره واصرعه» فجمح به فرسه يوم بدر فأخذه عبد الله بن سلمة أسيراً، فأمر النبيّ ﷺ عاصم بن الأفلح فضرب عنقه صبراً، قال: وكان عبد الرحمن بن عوف يحدّث ويقول: إنّي لأجمع أدراعاً يوم بدر بعد أن ولّى النّاس فإذا أميّة بن خلف وكان لي صديقاً في الجاهليّة ومعه ابنه عليٌّ فناداني مرتين فأجبته، فقال: نحن خير لك من أدراعك هذه، فقلت: امضيا، فجعلت أسوقهما أمامي، وقد رأى أميّة أنّه قد أمن بعض الأمن إذ بصر به بلال فنادى: يا معشر الأنصار أميّة بن خلف رأس الكفر، لا نجوت إن نجوت، قال: لأنّه كان يعذّبه بمكة، فأقبلت الأنصار كأنّهم عوذ حنّت إلى أولادها حتّى طرحوا أميّة على ظهره فحميته فلم ينفع، فأقبل إليه خبيب بن يساف فضربه حتّى قتله، وقد كان أمية ضرب خبيباً حتّى قطع يده من المنكب، فأعادها النبيّ ﷺ فالتحمت واستوت، وأقبل عليّ بن أميّة فعرض له الخباب بن المنذر فقطع رجله فصاح صيحة ما سمع مثلها قط، ولقيه عمّار فضربه ضربة فقتله، وروي في قتل أمية وجوه أخر، قال: وكان الزبير بن عوام يقول: لقيت يومئذٍ عبيدة بن

سعيد بن العاص على فرس عليه لأمة كاملة لا يرى منه إلاّ عيناه، فطعنت في عينه فوقع فوطئت برجلي على خدّه حتّى أخرجت العنزة مع حدقته، وأخذ رسول الله ﷺ تلك العنزة فكانت تحمل بين يديه، قال: وأقبل عاصم بن أبي عوف السهمي - لمّا جال النّاس واختلطوا - كأنّه ذئب وهو يقول: يا معشر قريش عليكم بالقاطع مفرّق الجماعة، الآتي بما لا يعرف: محمّد، لا نجوت إن نجا، فاعترضه أبو دجانة فقتله، فأقبل معبد بن وهب فضرب أبا دُجانة ضربة برك منها أبو دُجانة، ثمّ انتهض وأقبل على معبد فضربه ضربات لم يصنع سيفه شيئاً حتّى وقع معبد لحفرة أمامه لا يراها، ونزل عليه أبو دجانة فذبحه ذبحاً وأخذ سلبه.

قال الواقديّ: ولمّا رأت بنو مخزوم مقتل من قتل قالوا: أبوالحكم لا يخلص إليه، فاجتمعوا وأحدقوا به، وأجمعوا أن يلبسوا لأمة أبي جهل رجلاً منهم، فألبسوها عبد الله بن المنذر، فصمد له عليّ عليه السلام فقتله ومضى عنه وهو يقول: أنا ابن عبد المطّلب.

ثمّ ألبسوها أبا قيس بن الفاكه فصمد له حمزة وهو يراه أبا جهل فضربه فقتله وهو يقول: خذها وأنا ابن عبد المطّلب، ثمّ ألبسوها حرملة بن عمرو فصمد له عليّ عليه السلام فقتله، ثمّ أرادوا أن يلبسوها خالد بن الاعلم، فأبى، قال معاذ بن عمرو بن الجموح: فنظرت يومئذٍ إلى أبي جهل في مثل الحرجة وهم يقولون: أبو الحكم لا يخلص إليه، فعرفت أنّه هو، فقلت: والله لأموتن دونه اليوم، أو لأخلصنّ إليه، فصمدت له حتّى إذا أمكنتني منه غرة حملت عليه فضربته ضربة طرحت رجله من الساق فشبّهتها النواة تنزو من تحت المراضح[1]، فأقبل ابنه عكرمة عليّ فضربني على عاتقي، فطرح يدي من العاتق إلاّ أنّه بقيت جلدة فذهبت أسحب يدي بتلك الجلدة خلفي، فلمّا آذتني وضعت عليها رجلي ثمّ تمطيت عليها فقطعتها، ثمّ لاقيت عكرمة وهو يلوذ كلّ ملاذ فلو كانت يدي معي لرجوت يومئذٍ أن أصيبه، ومات معاذ في زمن عثمان، فروي أنّ رسول الله ﷺ نفل معاذ بن عمرو سيف أبي جهل، وأنّه عند آل معاذ اليوم وبه فلّ، وقيل: قتل أبا جهل ابنا الحارث، قال: وفرح رسول الله ﷺ بقتل أبي جهل وقال: «اللّهمّ إنّك قد أنجزت ما وعدتني فتمم عليّ نعمتك».

قال الواقديّ: وحدّثني معمّر، عن الزهريّ قال: قال رسول الله ﷺ يوم بدر: «اللّهمّ اكفني نوفل بن العدوية» وهو نوفل بن خويلد من بني أسد، وأقبل نوفل يومئذ يصيح وهو مرعوب قد رأى قتل أصحابه، وكان في أوّل ما التقى هم والمسلمون يصيح بصوت له زجل رافعاً عقيرته: يا معشر قريش إنّ هذا اليوم العلا والرفعة، فلمّا رأى قريشاً قد انكشفت جعل يصيح بالأنصار: ما حاجتكم إلى دمائنا؟ أما ترون من تقتلون؟ أما لكم في اللّبن من حاجة؟ فأسره جبّار بن صخر فهو يسوقه أمامه، فجعل نوفل يقول لجبّار ورأى عليّاً عليه السلام مقبلاً

(١) الصحيح المراضخ كما في المصدر.

نحوه: يا أخا الأنصار من هذا؟ واللاّت والعزّى إنّي لأرى رجلاً إنّه ليريدني، قال جبّار: هذا عليّ بن أبي طالب، قال نوفل: تالله ما رأيت كاليوم رجلاً أسرع في قومه، فصمد له عليّ عليه السلام فضربه، فنشب سيفه في جحفته ساعة، ثمّ نزعه فضرب به ساقيه ودرعه مشمّرة فقطعهما ثمّ أجهز عليه فقتله، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: من له علم بنوفل بن خويلد؟ قال عليّ عليه السلام: أنا قتلته، فكبّر رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: «الحمد لله الّذي أجاب دعوتي فيه».

قال الواقديّ: وأقبل العاص بن سعيد بن العاص يبحث للقتال فالتقى هو وعليّ فقتله عليّ عليه السلام.

قال الواقديّ: وكان عليّ عليه السلام يحدث فيقول: إنّي يومئذٍ بعدما متع النهار ونحن والمشركون قد اختلطت صفوفنا وصفوفهم، خرجت في أثر رجل منهم، فإذا رجل من المشركين على كثيب رمل وسعد بن خيثمة وهما يقتتلان حتّى قتل المشرك سعداً، والمشرك مقنّع في الحديد وكان فارساً فاقتحم عن فرسه فعرفني وهو معلم، فناداني: هلم يابن أبي طالب إلى البراز، فعطفت عليه فانحطّ إليّ مقبلاً، وكنت رجلاً قصيراً، فانحططت راجعاً لكي ينزل إليّ، كرهت أن يعلوني، فقال: يا ابن أبي طالب فررت؟ فقلت: قريب مفرّ ابن الشتراء فلمّا استقرّت قدماي وثبتُّ أقبل فلمّا دنا منّي ضربني فاتقّيت بالدرقة، فوقع سيفه فلحج فضربته على عاتقه وهي دارع فارتعش ولقد قطّ سيفي درعه فظننت أنّ سيفي سيقتله، فإذا بريق سيف من ورائي فطأطأت رأسي ووقع السيف فأطنّ قحف رأسه بالبيضة وهو يقول: خذها وأنا ابن عبد المطّلب، فالتفتُّ فإذا هو حمزة عمّي، والمقتول طعيمة بن عديّ.

قال: في رواية محمّد بن إسحاق: إنّ طعيمة قتله عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وقيل: قتله حمزة.

وروى محمّد بن إسحاق قال: وخرج النبيّ صلى الله عليه وآله من العريش إلى النّاس فينظر القتال فحرض المسلمين وقال: «كل امرئ بما أصاب» وقال: «والذي نفسي بيده لا يقاتلهم اليوم في حملة فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلاّ أدخله الله الجنّة» فقال عمر بن حمام الجويني وفي يديه تمرات يأكلهنّ: بخ بخ، أفما بيني وبين أن أدخل الجنّة إلاّ أن يقتلني هؤلاء؟ ثمّ قذف التمرات من يده وأخذ سيفه فقاتل القوم حتّى قتل.

قال محمّد بن إسحاق: وحدّثني عاصم بن عمرو بن قتادة أنّ عوف بن الحارث وهو ابن عفراء قال لرسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر: يا رسول الله ما يضحك الربّ من عبده؟ قال: «غمسه يده في العدوّ حاسراً» فنزع عوف درعاً كانت عليه وقذفها ثمّ أخذ سيفه فقاتل القوم حتّى قتل.

قال الواقديّ وابن إسحاق: وأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله كفّاً من البطحاء فرماهم بها، وقال: «شاهت الوجوه اللّهمّ أرعب قلوبهم، وزلزل أقدامهم» فانهزم المشركون لا يلوون على شيء والمسلمون يتبعونهم يقتلون ويأسرون.

قال الواقديّ: وحدّثني عمر بن عثمان، عن عكاشة بن محصن قال: انقطع سيفي يوم بدر فأعطاني رسول الله ﷺ عوداً فإذا هو سيف أبيض طويل فقاتلت به حتّى هزم الله المشركين. ولم يزل ذلك السيف عند عكاشة حتّى هلك.

قال: وقد روى رجال من بني عبد الأشهل عدّة قالوا: انكسر سيف سلمة بن أسلم بن حريش يوم بدر فبقي أعزل لا سلاح معه، فأعطاه رسول الله ﷺ قضيباً كان في يده من عراجين ابن طاب، فقال: اضرب به، فإذا سيف جيّد، فلم يزل عنده حتّى قتل يوم جسر أبي عبيد.

قال الواقديّ: وأصاب حارثة بن سراقة وهو يكرع في الحوض سهم من المشركين فوقع في نحره فمات، فلقد شرب القوم آخر النهار من دمه، وبلغ أمّه وأخته وهما بالمدينة مقتله، فقالت أمه: والله لا أبكي عليه حتّى يقدم رسول الله ﷺ، فأسأله فإن كان في الجنّة لم أبك عليه، وإن كان في النّار بكيته لعمرو الله فأعولته، فلمّا قدم رسول الله ﷺ من بدر جاءت أمّه إليه فقالت: يا رسول الله قد عرفت موضع حارثة من قلبي فأردت أن أبكي عليه، ثمّ قلت: لا أفعل حتّى أسأل رسول الله ﷺ عنه، فإن كان في الجنّة لم أبكه، وإن كان في النّار بكيته فأعولته، فقال النبيّ ﷺ: «هبلت أجنّة واحدة إنّها جنان كثيرة والّذي نفسي بيده إنّه لفي الفردوس الأعلى» قالت: لا أبكي عليه أبداً، قال: ودعا رسول الله ﷺ حينئذ بماء في إناء فغمس يده فيه ومضمض فاه، ثمّ ناول أمّ حارثة بن سراقة فشربت ثمّ ناولت ابنتها فشربت، ثمّ أمرهما فنضحتا في جيوبهما، ثمّ رجعتا من عند النبيّ ﷺ وما بالمدينة امرأتان أقرّ عيناً منهما ولا أسرّ.

قال الواقديّ: فلمّا رجعت قريش إلى مكّة قام فيهم أبوسفيان بن حرب فقال: يا معشر قريش لا تبكوا على قتلاكم، ولا تنح عليهم نائحة، ولا يندبهم شاعر وأظهروا الجلد والعزاء فإنكم إذا نحتم عليهم نائحة وبكيتموهم بالشعر أذهب ذلك غيظكم فأكلّكم عن عداوة محمّد وأصحابه، مع أنّ محمّداً وأصحابه إن بلغهم ذلك شمتوا بكم فتكون أعظم المصيبتين، ولعلكم تدركون ثاركم، فالدهن والنساء عليّ حرام حتّى أغزو محمداً، فمكث قريش شهراً لا يبكيهم شاعر، ولا تنوح عليهم نائحة، ومشت نساء من قريش إلى هند بنت عتبة فقلن: ألا تبكين على أبيك وأخيك وعمّك وأهل بيتك؟ فقالت: حلاقي أنا أبكيهم فيبلغ محمّداً وأصحابه فيشمتوا بنا ونساء بني الخزرج، لا والله حتّى أثار محمّداً وأصحابه، والدهن عليّ حرام ان دخل رأسي حتّى نغزو محمّداً، والله لو أعلم أنّ الحزن يذهب من قلبي لبكيت، ولكن لا يذهبه إلاّ أن أرى ثاري بعيني من قتلة الأحبة، فمكثت على حالها لا تقرب الدهن ولا قربت فراش أبي سفيان من يوم حلفت حتّى كانت وقعة أحد.

وروى الواقديّ بإسناده عن ابن عبّاس قال: لمّا تواقف النّاس أغمي على رسول الله ﷺ ساعة ثمّ كشف عنه فبشّر المؤمنين بجبرئيل في جند من الملائكة في ميمنة النّاس، وميكائيل

في جند آخر في ميسرة النّاس، وإسرافيل في جند آخر خلف النّاس، وكان إبليس قد تصور للمشركين في صورة سراقة بن جعشم، يذمّر المشركين ويخبرهم أنّه لا غالب لكم من النّاس، فلمّا أبصر عدو الله الملائكة نكص على عقبيه وقال: إنّي بريء منكم إنّي أرى ما لا ترون، فتشبّث به الحارث بن هشام وهو يرى أنّه سراقة لما سمع من كلامه، فضرب صدر الحارث فسقط الحارث وانطلق إبليس لا يرى حتّى وقع في البحر، ورفع يديه قائلاً: يا ربّ موعدك الّذي وعدتني وأقبل أبو جهل على أصحابه يحضّهم على القتال، وقال: لا يغرّنّكم خذلان سراقة إيّاكم، فإنّما كان على ميعاد من محمّد وأصحابه، سيعلم إذا رجعنا إلى قديد ما نصنع بقومه، ولا يحولنّكم مقتل عتبة وشيبة والوليد فإنّهم عجلوا وبطروا حين قاتلوا، وأيم الله لا نرجع اليوم حتّى نقرن محمّداً وأصحابه في الحبال، فلا ألفينّ أحداً منكم قتل أحداً منهم، ولكن خذوهم أخذاً نعرّفهم بالذي صنعوا لمفارقتهم دينكم ورغبتهم عمّا كان يعبد آباؤهم.

قال الواقديّ: وحدّثني عتبة بن يحيى، عن معاذ بن رفاعة بن رافع، عن أبيه قال: إن كنّا لنسمع لإبليس يومئذ خواراً ودعاءً بالثبور والتصوّر في صورة سراقة بن جعشم حتّى هرب فاقتحم البحر، ورفع يديه ماداً لهما يقول: يا ربّ ما وعدتني، ولقد كانت قريش بعد ذلك تعير سراقة بما صنع يومئذ، فيقول: والله ما صنعت شيئاً، فروي عن عمارة الليثيّ قال: حدّثني شيخ صياد من الحيّ كان يومئذ على ساحل البحر قال: سمعت صياحاً: يا ويلاه يا ويلاه، قد ملأ الوادي يا حرباه يا حرباه، فنظرت فإذا سراقة بن جعشم فدنوت منه فقلت: ما لك فداك أبي وأمّي؟ فلم يرجع إليّ شيئاً، ثمّ أراه اقتحم البحر ورفع يديه ماداً يقول: يا ربّ ما وعدتني فقلت في نفسي: جنّ وبيت الله سراقة، وذلك حين زاغت الشمس، وذاك عند انهزامهم يوم بدر.

قال الواقديّ: قالوا: كان سيماء الملائكة عمائم قد أرخوها بين أكتافهم خضراً وصفراً وحمراً من نور، والصوف في نواصي خيلهم.

وعن محمود بن لبيد قال: قال رسول الله ﷺ يوم بدر: إنّ الملائكة قد سوّمت فسوّموا، فأعلم المسلمون بالصوف في مغافرهم وقلانسهم.

قال الواقديّ: فروي عن سهيل بن عمرو قال: لقد رأيت يوم بدر رجالاً بيضاً على خيل بلق بين السماء والأرض معلمين، يقتلون ويأسرون.

وحدّثني عبد الرحمن بن الحارث، عن أبيه، عن جدّه عبيد، عن أبي رهم الغفاريّ، عن ابن عمّ له قال: بينا أنا وابن عمّ لي على ماء بدر، فلمّا رأينا قلّة من مع محمّد وكثرة قريش قلنا: إذا التقت الفئتان عمدنا إلى عسكر محمّد وأصحابه فانتهبناه فانطلقنا نحو المجنّبة اليسرى من أصحاب محمّد، ونحن نقول: هؤلاء ربع قريش، فبينا نحن نمشي في الميسرة إذ جاءت سحابة فغشيتنا فرفعنا أبصارنا لها، وسمعنا أصوات الرجال والسلاح، وسمعنا قائلاً يقول لفرسه:

أقدم حيزوم، وسمعناهم يقولون: رويداً تتامّ أخراكم، فنزلوا على ميمنة رسول الله ﷺ، ثمّ جاءت أُخرى مثل تلك فكانت مع النبيّ ﷺ فنظرنا إلى أصحاب محمّد وإذا هم على الضعف من قريش، فمات ابن عمّي، وأمّا أنا فتماسكت وأخبرت النبيّ ﷺ بذلك وأسلمت.

وعن حمزة بن صهيب، عن أبيه قال: ما أدري كم يد مقطوعة وضربة جائفة لم يدم كلمها يوم بدر قد رأيتها، قال: وروى أبو بردة قال: جئت يوم بدر بثلاثة أرؤس فوضعتها بين يدي رسول الله، فقلت يا رسول الله أمّا اثنان فقتلتهما، وأمّا الثالث فإنّي رأيت رجلاً طويلاً أبيض ضربه فتدهدى أمامه، فأخذت رأسه، فقال رسول الله ﷺ: ذاك فلان من الملائكة.

قال الواقديّ: وكان ابن عبّاس يقول: لم يقاتل الملائكة إلّا يوم بدر، وقال: كان الملك يتصوّر في صورة من يعرفه المسلمون من النّاس ليثبّتهم، فيقول: إنّي قد دنوت من المشركين فسمعتهم يقولون: لو حملوا علينا ما ثبتنا لهم وليسوا بشيء فاحملوا عليهم، وذلك قول الله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الآية.

وروى أنّ السائب بن أبي جيش الاسديّ كان يحدث فيقول: والله ما أسرني يوم بدر أحد من النّاس، ولمّا انهزمت قريش انهزمت معها فأدركني رجل أبيض طويل على فرس أبلق بين السماء والأرض، فأوثقني رباطاً، وجاء عبد الرحمن بن عوف فوجدني مربوطاً، وكان عبد الرحمن ينادي في العسكر: من أسر هذا؟ فليس أحد يزعم أنّه أسرني حتّى انتهى بي إلى رسول الله ﷺ، فقال لي رسول الله ﷺ: يابن أبي جيش من أسرك؟ قلت: لا أعرفه، وكرهت أن أخبره بالذي رأيت، فقال رسول الله ﷺ: أسره ملك من الملائكة كريم، اذهب يابن عوف بأسيرك، فذهب بي عبد الرحمن.

وعن حكيم بن حزام قال: التقينا فاقتتلنا فسمعت صوتاً وقع من السماء إلى الأرض مثل وقع الحصاة في الطست، وقبض النبيّ ﷺ القبضة فرمى بها فانهزمنا. وقال نوفل بن معاوية: انهزمنا يوم بدر ونحن نسمع كوقع الحصا في الطساس بين أيدينا ومن خلفنا، فكان ذلك أشدّ الرعب علينا.

وروى الواقديّ عن سعيد بن المسيّب قال: أمّن رسول الله ﷺ من الاسرى يوم بدر أبا غرّة عمرو بن عبد الله الجمحيّ وكان شاعراً، فأعتقه رسول الله ﷺ قال له: إنّ لي خمس بنات ليس لهنّ شيء فتصدّق بي عليهنّ يا محمّد، ففعل رسول الله ﷺ ذلك، وقال أبوغرّة: أعطيت موثقاً أن لا أقاتلك ولا أكثّر عليك أبداً، فأرسله رسول الله ﷺ فلمّا خرجت قريش إلى أحد جاء صفوان بن أميّة فقال: اخرج معنا، قال: إنّي قد أعطيت محمّداً موثقاً أن لا أقاتله ولا أكثر عليه أبداً، وقد منّ عليّ ولم يمن على غيري حتّى قتله أو أخذ منه الفداء، فضمن له صفوان أن يجعل بناته مع بناته إن قتل وإن عاش أعطاه مالاً كثيراً لا يأكله عياله، فخرج أبوغرّة يدعو العرب ويحشرها، ثمّ خرج مع قريش يوم أحد فأسر ولم يؤسر غيره من

قريش، فقال: يا محمّد إنّما خرجت كرهاً، ولي بنات فامنن عليّ فقال رسول الله ﷺ: أين ما أعطيتني من العهد والميثاق؟ لا والله لا تمسح عارضيك بمكّة تقول: سخرت بمحمّد مرّتين، فقتله، فقال ﷺ يومئذ: «إن المؤمن لا يلدغ من جحر مرّتين».

قال الواقديّ: وأمر رسول الله ﷺ يوم بدر بالقليب أن تعوّر، ثمّ أمر بالقتلى فطرحوا فيها كلّهم إلاّ أميّة بن خلف، فإنّه كان مسمناً انتفخ من يومه، فلمّا أرادوا أن يلقوه تزايل لحمه، فقال النبيّ ﷺ: اتركوه، فأقروه وألقوا عليه من التراب والحجارة ما غيّبه، ثمّ وقف على أهل القليب فناداهم رجلاً رجلاً: «هل وجدتم ما وعد ربكم حقّاً فإنّي قد وجدت ما وعدني ربّي حقّاً بئس القوم كنتم لنبيّكم كذّبتموني وصدّقني النّاس وأخرجتموني وآواني النّاس وقاتلتموني ونصرني النّاس فقالوا: يا رسول الله أتنادي قوماً قد ماتوا؟ فقال: لقد علموا أنّ ما وعدهم ربّهم حقّ.

وفي رواية أخرى: فقال ﷺ: ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنّهم لا يستطيعون أن يجيبوني.

قال الواقديّ: وكان انهزام قريش حين زالت الشمس، فأقام رسول الله ﷺ ببدر، وأمر عبد الله بن كعب بقبض الغنائم وحملها، وأمر نفراً من أصحابه أن يعينوه فصلّى العصر ببدر، ثمّ راح فمرّ بالاثيل قبل غروب الشمس فنزل به وبات وبأصحابه جراح، وليست بالكثيرة، وأمر ذكوان بن عبد قيس أن يحرس المسلمين حتّى كان آخر اللّيل فارتحل.

وروي أنه ﷺ صلّى العصر بالأثيل، فلمّا صلّى ركعة تبسّم، فلمّا سلّم سئل عن تبسّمه، فقال: مرّ بي ميكائيل وعلى جناحه النقع فتبسّم إليّ، وقال: إنّي كنت في طلب القوم، وأتاني جبرئيل على فرس أنثى معقود الناصية قد عصم ثنيّته الغبار، فقال: يا محمّد إنّ ربّي بعثني إليك وأمرني أن لا أفارقك حتّى ترضى، فهل رضيت؟ فقلت: نعم.

قال الواقديّ، وأقبل رسول الله بالأسرى حتّي إذا كان بعرق الظبية أمر عاصم بن ثابت بن أبي الافلح، أن يضرب عنق عقبة بن أبي معيط، وكان أسره عبد الله بن سلمة، فجعل عقبة يقول: يا ويلي علام أقتل؟ يا معشر قريش من بين من ههنا؟ قال رسول الله ﷺ: لعداوتك لله ولرسوله، فقال: يا محمّد منّك أفضل، فاجعلني كرجل من قومي إن قتلتهم قتلتني، وإن مننت عليهم مننت عليّ، وإن أخذت منهم الفداء كنت كأحدهم، يا محمّد من للصبية؟ فقال: النّار، قدّمه يا عاصم فاضرب عنقه، فقدّمه عاصم فضرب عنقه، فقال النبيّ ﷺ: بئس الرجل كنت والله ما علمت كافراً بالله وبرسوله وبكتابه مؤذياً لنبيّه فأحمد الله الّذي قتلك وأقرّ عيني منك.

وقال الواقديّ: وقدّم رسول الله ﷺ من الأثيل زيد بن حارثة وعبدالله بن رواحة يبشران النّاس بالمدينة، فقدم رسول الله ﷺ بالأسرى وعليهم شُقران وهم تسعة وأربعون رجلاً

الّذين أحصوا، وهم سبعون في الأصل مجمع عليه لا شكّ فيه إلاّ أنّه لم يحص سائرهم ولقي النّاس رسول الله ﷺ بالروحاء يهنّئونه بفتح الله عليه.

وقال محمّد بن إسحاق: كان أبوالعاص بن الربيع ختن رسول الله ﷺ زوج ابنته زينب، وكان أبوالعاص من رجال مكّة المعدودين مالاً وأمانةً وتجارة، وكانت خديجة خالته، فسألت رسول الله ﷺ أن يزوّجه زينب وكان ﷺ لا يخالف خديجة، وذلك قبل أن ينزل عليه الوحي، فزوّجه إيّاها، فكان أبوالعاص من خديجة بمنزلة ولدها، فلمّا أكرم الله رسوله بنبوّته آمنت به خديجة وبناته كلّهن وصدّقته وشهدن أنّ ما جاء به حقّ ودنّ بدينه، وثبت أبوالعاص على شركه، وكان رسول الله ﷺ قد زوّج عتبة بن أبي لهب إحدى ابنتيه رقيّة أو أمّ كلثوم، وذلك قبل أن ينزل عليه، فلمّا أنزل عليه الوحي وبارى قومه بأمر الله باعدوه، فقال بعضهم لبعض: إنّكم قد فرغتم محمّداً من همّه، أخذتم عنه بناته وأخرجتموهنّ من عياله فردّوا عليه بناته فاشغلوه بهنّ، فمشوا إلى أبي العاص فقالوا: فارق صاحبتك بنت محمّد ونحن ننكحك أي امرأة شئت من قريش، فقال: لاها الله إذن لا أفارق صاحبتي، وما أحب أنّ لي بها امرأة من قريش، فكان رسول الله ﷺ إذا ذكره يثني عليه خيراً في صهره، ثمّ مشوا إلى الفاسق عتبة بن أبي لهب فقالوا له: طلّق بنت محمّد ونحن ننكحك أيّ امرأة شئت من قريش، فقال: إن أنتم زوّجتموني ابنة أبان بن سعيد بن العاص، أو ابنة سعيد بن العاص فارقتها، فزوجوه ابنة سعيد بن العاص ففارقها، ولم يكن دخل بها، فأخرجها الله من يده كرامةً لها وهواناً له، ثمّ خلف عليها عثمان بن عفّان بعده، وكان رسول الله ﷺ مغلوباً على أمره بمكّة لا يحلّ ولا يحرم، وكان الإسلام فرّق بين زينب وأبي العاص إلاّ أنّ رسول الله ﷺ كان لا يقدر وهو بمكّة أن يفرق بينهما، فأقامت معه على إسلامها وهو على شركه حتى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، وبقيت زينب بمكّة مع أبي العاص، فلمّا سارت قريش إلى بدر سار أبوالعاص معهم فأصيب في الأسرى يوم بدر، فأتي به النبيّ ﷺ فكان عنده مع الأسارى، فلمّا بعث أهل مكّة في فداء أساراهم بعثت زينب في فداء أبي العاص بعلها بمال، وكان فيما بعثت به قلادة كانت خديجة أمّها أدخلتها بها على أبي العاص ليلة زفافها عليه، فلمّا رآها رسول الله ﷺ رقّ لها [رقة] شديدة، وقال للمسلمين: إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردّوا عليها ما بعثت به من الفداء فافعلوا، فقالوا: نعم يا رسول الله نفديك بأنفسنا وأموالنا، فردّوا عليها ما بعثت به، وأطلقوا لها أبا العاص بغير فداء.

قال ابن أبي الحديد: قرأت على النقيب أبي جعفر يحيى بن أبي زيد البصريّ العلويّ هذا الخبر، فقال: أترى أبا بكر وعمر لم يشهدا هذا المشهد؟ أما كان يقتضي التكرم والإحسان أن يطيّب قلب فاطمة عليها السلام ويستوهب لها من المسلمين؟ أتقصر منزلتها عند رسول الله ﷺ من منزلة زينب أختها وهي سيّدة نساء العالمين؟ هذا إذا لم يثبت لها حقّ لا بالنحلة

ولا بالارث، فقلت له: فدك بموجب الخبر الّذي رواه أبو بكر قد صار حقّاً من حقوق المسلمين، فلم يجز له أن يأخذه منهم، فقال: وفداء أبي العاص قد صار حقّاً من حقوق المسلمين، وقد أخذه رسول الله ﷺ منهم، فقلت: رسول الله ﷺ صاحب الشريعة والحكم حكمه، وليس أبو بكر كذلك، فقال: ما قلت: هلّا أخذه أبو بكر من المسلمين قهراً فدفعه إلى فاطمة عليها السلام، وإنّما قلت: هلا استنزل المسلمين عنه واستوهب منهم لها كما استوهب رسول الله ﷺ فداء أبي العاص؟ أتراه لو قال: هذه بنت نبيّكم ﷺ قد حضرت لطلب هذه النخلات أفتطيبون عنها نفساً؟ كانوا منعوها ذلك؟ فقلت له: قد قال قاضي القضاة أبو الحسن عبد الجبّار بن أحمد نحو ذلك، قال: إنّهما لم يأتيا بحسن في شرع التكرّم، وإن كان ما أتياه حسناً في الدين.

قال محمّد بن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ لمّا أطلق سبيل أبي العاص أخذ عليه فيما نرى أو شرط عليه في إطلاقه أو أنّ أبا العاص وعد رسول الله ﷺ ابتداءً بأن يحمل زينب إليه إلى المدينة، أو لم يظهر ذلك من أبي العاص ولا من رسول الله ﷺ إلاّ أنّه لمّا خلّى سبيله وخرج إلى مكّة بعث رسول الله ﷺ بعد زيد بن حارثة ورجلاً من الأنصار وقال لهما: كونا بمكان كذا حتّى تمرّ بكما زينب فتصحبانها حتّى تأتياني بها، فخرجا نحو مكّة وذلك بعد بدر بشهر، فلمّا قدم أبوالعاص مكّة أمرها باللحوق بأبيها، فأخذت تتجهز.

قال محمّد بن إسحاق: فحدّثت عن زينب أنّها قالت: بينا أنا أتجهز للّحوق بأبي إذ لقيتني هند بنت عتبة فقالت: ألم تبلغيني يا بنت محمّد أنّك تريدين اللحوق بأبيك؟ فقلت: ما أردت ذلك، فقالت: أي بنت عمّ لا تفعلي إن كانت لك حاجة في متاع أو فيما يرفق بك في سفرك أو مال تبلغين به إلى أبيك فإنّ عندي حاجتك، فلا تضطني منّي، فإنّه لا يدخل بين النساء ما يدخل بين الرجال، قالت: وأيم الله إنّي لأظنّها حينئذ صادقة، ما أظنها قالت حينئذ إلاّ لتفعل، ولكنّي خفتها فأنكرت أن أكون أريد ذلك، قالت: وتجهّزت حتّى فرغت من جهازي، فحملني أخو بعلي وهو كنانة بن الربيع.

قال محمّد بن إسحاق: قدّم لها كنانة بن الربيع بعيراً فركبته، وأخذ قوسه وكنانته، وخرج بها نهاراً يقود بعيرها وهي في هودج لها، وتحدّث بذلك الرجال من قريش والنساء وتلاومت في ذلك، وأشفقت أن تخرج ابنة محمّد من بينهم على تلك الحال، فخرجوا في طلبها سراعاً حتّى أدركوها بذي طوى، فكان أوّل من سبق إليها هبّار بن الاسود بن المطّلب بن أسد، ونافع بن عبد القيس الفهريّ، فروّعها هبّار بالرمح وهي في الهودج، وكانت حاملاً، فلمّا رجعت طرحت ذا بطنها، وكانت من خوفها رأت دماً وهي في الهودج، فلذلك أباح رسول الله ﷺ يوم فتح مكّة دم هبار بن الاسود.

قال ابن أبي الحديد: وهذا الخبر أيضاً قرأته على النقيب أبي جعفر فقال: إذا كان رسول

الله ﷺ أباح دم هبّار لأنّه روّع زينب فألقت ذا بطنها، وظاهر الحال أنّه لو كان لأباح دم من روّع فاطمة عليها السلام حتّى ألقت ذا بطنها، فقلت: أروي عنك ما يقوله قوم: إنّ فاطمة روّعت فألقت المحسن؟ فقال: لا تروه عنّي، ولا ترو عني بطلانه، فإنّي متوقف في هذا الموضع لتعارض الاخبار عندي فيه.

أقول: ظاهر أنّ النقيب رحمه الله عمل التقيّة في إظهار الشك في ذلك من ابن أبي الحديد أو من غيره، وإلا فالأمر أوضح من ذلك كما سيأتي في كتاب الفتن.

ثمّ قال: قال الواقديّ: فبرك حموها كنانة بن الربيع ونثل كنانته بين يديه ثمّ أخذ منها سهماً فوضعه في كبد قوسه، وقال: أحلف بالله لا يدنو اليوم منها رجل إلّاوضعت فيه سهماً، فتكركر النّاس عنه، قال: وجاء أبوسفيان بن حرب في جلّة قريش فقالوا: أيّها الرجل اكفف عنّا نبلك حتّى نكلّمك، فكفّ فأقبل أبوسفيان حتّى وقف عليه، فقال: إنّك لم تحسن ولم تصب، خرجت بالمرأة على رؤوس النّاس علانيةً جهاراً، وقد عرفت مصيبتنا ونكبتنا وما دخل علينا من محمّد أبيها فيظنّ النّاس إذا أنت خرجت بابنته جهاراً أنّ ذلك عن ذل أصابنا، وأنّ ذلك منّا وهن وضعف، لعمري ما لنا في حبسها عن أبيها من حاجة، وما فيها من ثار، ولكن ارجع بالمرأة حتّى إذا هدأت الأصوات وتحدّث النّاس بردّها سلّها سلاً خفياً فألحقها بأبيها، فردّها كنانة إلى مكّة فأقامت بها ليالي حتّى إذا هدأ الصوت عنها حملها بعيرها، وخرج بها ليلاً حتّى سلمها إلى زيد بن حارثة وصاحبه، فقدما بها على رسول الله ﷺ.

قال البلاذريّ: روي أنّ هبّار بن الأسود كان ممّن عرض لزينب بنت رسول الله ﷺ حين حملت من مكّة إلى المدينة، فكان رسول الله ﷺ يأمر سراياه إن ظفروا به أنّ يحرقوه بالنار، ثمّ قال: «لا يعذب بالنار إلّاربّ النّار» وأمرهم إن ظفروا به أن يقطعوا يديه ورجليه ويقتلوه، فلم يظفروا به حتّى إذا كان يوم الفتح هرب هبّار، ثمّ قدم على رسول الله ﷺ بالمدينة ويقال: أتاه بالجعرانة حين فرغ من أمر حنين، فمثل بين يديه وهو يقول: أشهد أن لا إله إلّاالله، وأنّك رسول الله فقبل إسلامه.

قال محمّد بن إسحاق فأقام أبوالعاص بمكّة على شركه، وأقامت زينب عند أبيها ﷺ بالمدينة قد فرّق بينهما الإسلام حتّى إذا كان الفتح خرج أبوالعاص تاجراً إلى الشام بمال له وأموال لقريش أبضعوا بها معه، وكان رجلاً مأموناً، فلمّا فرغ من تجارته وأقبل قافلاً لقيته سريّة لرسول الله فأصابوا ما معه، وأعجزهم هو هارباً، فخرجت السريّة بما أصابت من ماله حتّى قدمت به على رسول الله ﷺ، وخرج أبوالعاص تحت اللّيل حتّى دخل على زينب منزلها فاستجار بها فأجارته، وإنّما جاء في طلب ماله الّذي أصابته تلك السريّة، فلمّا كبّر رسول الله ﷺ في صلاة الصبح وكبّر النّاس معه صرخت زينب من صفّة النساء: أيّها النّاس إنّي قد أجرت أبا العاص بن الربيع، فصلّى رسول الله ﷺ بالنّاس الصبح، فلمّا سلّم من

الصلاة أقبل عليهم فقال: «أيها النّاس هل سمعتم ما سمعت»؟ قالوا: نعم، قال: «أما والّذي نفس محمّد بيده ما علمت بشيء ممّا كان حتّى سمعتم أنّه يجير على النّاس أدناهم» ثمّ انصرف فدخل على ابنته زينب فقال: أما والّذي نفس محمّد بيده ما علمت بشيء ممّا كان حتّى سمعتم أنّه يجير على النّاس أدناهم» أي بنيّة أكرمي مثواه وأحسني قراه، ولا يصلنّ إليك فإنّك لا تحلّين له ثمّ بعث إلى تلك السريّة الّذين كانوا أصابوا ماله، فقال لهم: إن هذا الرجل منّا بحيث علمتم وقد أصبتم له مالاً، فإنْ تحسنوا وتردّوا عليه الّذي له فإنّا نحبُّ ذلك وإن أبيتم فهو فيء الله الّذي أفاءه عليكم، وأنتم أحقّ به» فقالوا: يا رسول الله بل نردّه عليه، فردّوا عليه ماله ومتاعه، حتّى أنّ الرجل كان يأتي بالحبل، ويأتي الآخر بالشنّة، ويأتي الآخر بالإداوة، والآخر بالشظاظ حتّى ردّوا ماله ومتاعه بأسره من عند آخره، ولم يفقد منه شيئاً، ثمّ احتمل إلى مكّة، فلمّا قدمها أدّى إلى كلّ ذي مال من قريش ماله ممّن كان بضع معه بشيء حتّى إذا فرغ من ذلك قال لهم: يا معشر قريش هل بقي لأحد منكم عندي مال لم يأخذه؟ قالوا: لا، فجزاك الله خيراً، لقد وجدناك وفيّاً كريماً، قال: فإنّي أشهد أن لا إله إلاّالله وأن محمّداً رسول الله، والله ما منعني من الإسلام عنده إلاّ تخوفاً أن تظنّوا أنّي أردت أن آكل أموالكم وأذهب بها، فإذا سلمها الله لكم وأدّاها إليكم فإنّي أُشهدكم أنّي قد أسلمت واتّبعت دين محمّد، ثمّ خرج سريعاً حتّى قدم على رسول الله المدينة.

قال محمّد بن إسحاق فحدّثني داود بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عبّاس أنّ رسول الله ﷺ ردّ زينب بعد ستّ سنين على أبي العاص بالنكاح الأوّل لم يحدث شيئاً.

قال الواقديّ: حدّثني إسحاق بن يحيى قال سألت نافع بن جبير كيف كان الفداء؟ قال: أرفعهم أربعة آلاف إلى ثلاثة آلاف، إلى ألفين، إلى ألف إلى قوم لا مال لهم منّ عليهم رسول الله ﷺ[(1)].

وأمّا أسماء أُسارى بدر ومن أسرهم فقال الواقديّ: أسر من بني هاشم العبّاس بن عبد المطّلب، أسره أبواليسر كعب بن عمرو، وعقيل بن أبي طالب، أسره عبيد بن أوس الظفريّ، ونوفل بن الحارث بن عبد المطّلب، أسره جبّار بن صخر، وأُسر حليف لبني هاشم من بني فهر اسمه عتبة، فهؤلاء أربعة.

ومن بني المطّلب بن عبد مناف السائب بن عبيد، وعبيد بن عمرو بن علقمة.

أسرهما سلمة بن أسلم، وكانا لا مال لهما، ففكّ رسول الله ﷺ عنهما لغير فدية.

ومن بني عبد شمس: عقبة بن أبي معيط المقتول صبراً على يد عاصم بن ثابت بأمر رسول الله ﷺ. أسره عبد الله بن سلمة العجلاني، والحارث بن وحرة بن أبي عمرو بن أُمية، أسره سعد بن أبي وقّاص فقدم في فدائه الوليد بن عقبة فافتداه بأربعة آلاف وعمرو بن أبي

(1) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١٤ ص ٢٧٦.

سفيان أسره عليّ بن أبي طالب عليه السلام وصار بالقرعة في سهم رسول الله صلى الله عليه وآله فأطلقه بغير فدية أطلقه بسعد بن النعمان من بني معاوية، خرج معتمراً فحبس بمكّة فلم يطلقه المشركون حتّى أطلق رسول الله صلى الله عليه وآله عمرو بن أبي سفيان وأبو العاص بن الربيع أسره خراش بن الصمّة فقدم في فدائه عمرو بن الربيع أخوه وحليف لهم يقال له: أبو ريشة، افتداه عمرو بن الربيع أيضاً، وعمرو بن الازرق، افتكّه عمرو بن الربيع أيضاً، وكان قد صار في سهم تميم مولى خراش بن الصمة، وعقبة بن الحارث الحضرميّ، أسره عمارة بن حزم، فصار في القرعة لأبيّ بن كعب، افتداه عمرو بن أبي سفيان، وأبو العاص بن نوفل، أسره عمّار بن ياسر، قدم في فدائه ابن عمّه فهؤلاء ثمانية.

ومن بني نوفل بن عبد مناف: عديّ بن الخيار أسره خراش بن الصمة، وعثمان بن عبد شمس حليفهم أسره حارثة بن النعمان، وأبو ثور، أسره أبومرثد الغنويّ، فهؤلاء ثلاثة افتداهم جبير بن مطعم.

ومن بني عبد الدار: أبوعزيز بن عمير أسره أبو اليسر، ثمّ صار بالقرعة لمحرز بن نضلة قال الواقديّ: أبوعزيز هذا هو أخو مصعب بن عمير لأبيه وامّه، وقال مصعب لمحرز بن نضلة: اشدد يديك به، فإنّ له أمّاً بمكّة كثيرة المال، فقال له أبوعزيز: هذه وصايتك بي يا أخي؟ قال مصعب: إنّه أخي دونك، فبعثت فيه أمّه أربعة آلاف والأسود بن عامر، أسره حمزة رضي الله عنه، فهذان اثنان. قدم في فدائهما طلحة بن أبي طلحة.

ومن بني أسد بن عبد العزّى: السائب بن أبي حبيش، أسره عبد الرحمن بن عوف، وعثمان بن الحويرث، أسره حاطب بن أبي بلتعة، وسالم بن شمّاخ، أسره سعد بن أبي وقّاص، فهؤلاء ثلاثة قدم في فدائهم عثمان بن أبي حبيش بأربعة آلاف لكلّ رجل منهم.

ومن بني تميم بن مرّة: مالك بن عبد الله بن عثمان، أسره قطبة بن عامر فمات في المدينة أسيراً.

ومن بني مخزوم: خالد بن هشام، أسره سواد بن عزيّة، وأميّة بن أبي حذيفة أسره بلال، وعثمان بن عبد الله وكان أفلت يوم نخلة أسره واقد بن عبد الله يوم بدر فقدم في فداء هؤلاء الثلاثة عبد الله بن أبي ربيعة، افتدى كلّ واحد منهم بأربعة آلاف والوليد بن الوليد بن المغيرة أسره عبد الله بن جحش، فقدم في فدائه أخواه: خالد وهشام فتمنّع عبد الله حتّى افتكّاه بأربعة آلاف، فلمّا افتدياه خرجا به حتّى بلغا به ذا الحليفة، فأفلت فأتى النبيّ صلى الله عليه وآله فأسلم، فقيل: الا أسلمت قبل أن تفتدى؟ قال: كرهت أن أسلم حتّى أكون أسوة بقومي، ويقال: أسره سليط بن قيس، وقيس بن السائب، أسره عبدة بن الحسحاس، فحبسه عنده حيناً حتّى فداه أخوه فروة بأربعة آلاف.

ومن بني أبي رفاعة: صيفيّ بن أبي رفاعة، وكان لا مال له، أسره رجل من المسلمين

فمكث عنده ثمّ أرسله، وأبوالمنذر بن أبي رفاعة افتدى بألفين، وعبد الله بن السائب افتدى بألف درهم، أسره سعد بن أبي وقّاص والمطّلب بن حنطب، أسره أبوأيّوب الأنصاريّ ولم يكن له مال فأرسله بعد حين، وخالد بن الأعلم حليف لبني مخزوم.

وقال محمّد بن إسحاق: وروي أنّه كان أوّل المنهزمين من أسره الخبّاب بن المنذر، وقدم في فدائه عكرمة بن أبي جهل، فهؤلاء عشرة.

ومن بني جمح: عبد الله بن أبيّ بن خلف، أسره فروة بن عمرو، قدم في فدائه أبوه فتمنّع به فروة حيناً، وأبوغرّة عمرو بن عبد الله، أطلقه النبيّ ﷺ بغير فدية، ووهب بن عمير، أسره رفاعة بن رافع، وقدم أبوه عمير في فدائه فأسلم فأرسل النبيّ ﷺ له ابنه بغير فداء، وربيعة ابن درّاج، وكان لا مال له فأخذ منه بشيء يسير، وأرسل. والفاكه مولى أميّة بن خلف أسره سعد بن أبي وقّاص، فهؤلاء خمسة، ومن بني سهم بن عمرو أبووداعة بن صبيرة فداه ابنه المطّلب بأربعة آلاف، وفروة بن حنيس أسره ثابت بن أقزم، وفداه عمرو بن قيس بأربعة آلاف، وحنظلة بن قبيصة، أسره عثمان بن مظعون، والحجّاج بن الحارث، أسره عبد الرحمن بن عوف فأفلت، فأخذه أبوداود المازنيّ، فهؤلاء أربعة.

ومن بني مالك: سهيل بن عمرو، أسره مالك بن الدخشم، وفداه مكرز بن حفص بأربعة آلاف، وعبد بن زمعة أسره عمير بن عوف، وعبدالعزّى بن مشنوء سماه رسول الله ﷺ بعد إسلامه عبد الرحمن، أسره النعمان بن مالك فهؤلاء ثلاثة.

ومن بني فهر: الطفيل بن أبي قبيع، فهؤلاء ستّة وأربعون أسيراً.

وفي كتاب الواقديّ: أنّه كان الأسارى الّذين أحصوا وعرفوا تسعة وأربعين وروى الواقديّ عن سعيد بن المسيّب قال: كانت الأسارى سبعين، وإنّ القتلى كانوا زيادة على سبعين إلاّ أنّ المعروفين من الاسرى هم الّذين ذكرناهم، والباقون لم يذكر المؤرّخون أسماءهم.

قال ابن أبي الحديد: القول فيمن استشهد من المسلمين ببدر: قال الواقديّ: حدّثني عبد الله بن جعفر قال: سألت الزهريّ كم استشهد من المسلمين ببدر؟ قال: أربعة عشر، ستّة من المهاجرين، وثمانية من الأنصار.

قال: فمن بني المطّلب بن عبد مناف: عبيدة بن الحارث، قتله شيبة، وفي رواية الواقديّ: قتله عتبة، فدفنه النبيّ ﷺ بالصفراء.

ومن بني زهرة: عمير بن أبي وقّاص، قتله عمرو بن عبد[1] فارس الأحزاب وعمير بن عبد ود ذو الشمالين حليف لبني زهرة قتله أبواسامة الجشميّ.

---

(١) الصحيح: عمرو بن عبد ود كما في المصدر.

ومن بني عديّ: عاقل بن أبي البكير حليف لهم من بني سعد قتله مالك بن زهير، ومهجع مولى عمر بن الخطّاب، قتله عامر بن الحضرميّ، ويقال: إنّ مهجعاً أوّل من قتل من المهاجرين.

ومن بني الحارث بن فهر: صفوان بن بيضاء، قتله طعيمة بن عديّ.

ومن الأنصار ثمّ من بني عمرو بن عوف: مبشّر بن عبد المنذر، قتله أبوثور وسعد بن خيثمة قتله عمرو بن عبد ودّ، ويقال: طعيمة بن عديّ.

ومن بني عديّ بن النجّار حارثة بن سراقة، رماه جنان بن العرقة بسهم فأصاب حنجرته فقتله.

ومن بني مالك بن النجّار: عوف ومعوّذ ابنا عفراء قتلهما أبوجهل.

ومن بني سلمة: عمير بن الحمام بن الجموح، قتله خالد بن الأعلم، ويقال: إنّه أوّل قتيل قتل من الأنصار، وقد روي أنّ أوّل قتيل منهم حارثة بن سراقة.

ومن بني زريق: رافع بن المعلّى، قتله عكرمة بن أبي جهل.

ومن بني الحارث بن الخزرج: يزيد بن الحارث، قتله نوفل بن معاوية. فهؤلاء الثمانية من الانصار. وروي عن ابن عبّاس أنّ آنسة مولى النبيّ صلى الله عليه وآله قتل ببدر، وروي أنّ معاذ بن ماعص جرح ببدر فمات من جراحته بالمدينة، وأنّ عبيد بن السكن جرح فاشتكى جرحه فمات منه.

القول فيمن قتل من المشركين وأسماء قاتليهم:

قال الواقديّ: فمن بني عبد شمس: حنظلة بن أبي سفيان، قتله عليّ عليه السلام والحارث بن الحضرميّ، قتله عمّار بن ياسر، وعامر بن الحضرميّ، قتله عاصم بن ثابت، وعمير بن أبي عمير وابنه موليان لهم، قتل سالم مولى حذيفة الأب، ولم يذكر من قتل الابن، وعبيدة بن سعيد بن العاص، قتله الزبير بن العوّام والعاص بن سعيد بن العاص، قتله عليّ عليه السلام، وعقبة بن أبي معيط، قتله عاصم بن ثابت صبراً بالسيف بأمر النبيّ صلى الله عليه وآله. وروى البلاذريّ أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله صلبه بعد قتله، فكان أوّل مصلوب في الإسلام.

وعتبة بن ربيعة، قتلة حمزة رضي الله عنه، وشيبة قتله عبيدة بن الحارث وحمزة وعليّ الثلاثة اشتركوا في قتله، والوليد بن عتبة قتله عليّ عليه السلام وعامر بن عبد الله حليف لهم، قتله عليّ عليه السلام، وقيل: قتله سعد بن معاذ، فهؤلاء اثنا عشر.

ومن بني نوفل بن عبد مناف الحارث بن نوفل قتله خُبيب بن يساف وطعيمة بن عديّ يكنّى أبا الريّان، قتله حمزة في رواية الواقديّ، وقتله عليّ عليه السلام في رواية محمّد بن إسحاق وروى البلاذريّ أنّه أسر فقتله النبيّ صلى الله عليه وآله صبراً على يد حمزة، فهؤلاء اثنان.

ومن بني أسد: زمعة بن الاسود، قتله أبودجانة، وقيل، قتله ثابت بن الجذع، والحارث

ابن زمعة، قتله عليّ عليه السلام وعقيل بن الاسود، قتله عليّ وحمزة عليه السلام، وقال الواقديّ: حدّثني أبومعشر قال: قتله عليّ عليه السلام وحده.

وأبو البختريّ العاص بن هشام، قتله المجذّر بن زياد، وقيل: أبو داود المازنيّ، وقيل: أبواليسر، ونوفل بن خويلد، قتله عليّ عليه السلام فهؤلاء خمسة.

ومن بني عبد الدار: النضر بن الحارث، قتله عليّ عليه السلام صبراً بالسيف بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وزيد بن مليص مولى عمر بن هاشم من بني عبد الدار قتله عليّ عليه السلام، وقيل: بلال، فهؤلاء اثنان.

ومن بني تيم بن مرّة عمير بن عثمان، قتله عليّ عليه السلام وعثمان بن مالك، قتله صهيب فهؤلاء اثنان، ولم يذكر البلاذريّ عثمان.

ومن بني مخزوم ثمّ من بني المغيرة أبو جهل عمرو بن هشام، ضربه معاذ بن عمرو ومعوّذ وعوف ابنا عفراء، ودفّف عليه عبد الله بن مسعود، والعاص بن هاشم خال عمر بن الخطّاب قتله عمر، ويزيد بن تميم حليف لهم قتله عمّار بن ياسر وقيل: قتله عليّ عليه السلام.

ومن بني الوليد بن المغيرة أبو قيس بن الوليد أخو خالد، قتله عليّ عليه السلام.

ومن بني الفاكه بن المغيرة: أبو قيس بن الفاكه، قتله حمزة وقيل: الخبّاب بن المنذر.

ومن بني أمية بن المغيرة: مسعود بن أبي أمية قتله عليّ عليه السلام.

ومن بني عائذ بن عبد الله، ثمّ من بني رفاعة: أمية بن عائذ قتله سعد بن الربيع، وأبو المنذر ابن أبي رفاعة قتله معن بن عديّ، وعبد الله بن أبي رفاعة، قتله علي عليه السلام، وزهير بن أبي رفاعة، قتله أبو أسيد الساعديّ، والسائب بن أبي رفاعة قتله عبد الرحمن بن عوف.

ومن بني أبي السّائب المخزوميّ: سائب بن أبي السائب قتله الزبير، والأسود بن عبد الأسد، قتله حمزة، وحليف لهم من طيئ وهو عمرو بن شيبان قتله يزيد بن رقيش، وحليف آخر وهو جبّار بن سفيان قتله أبو بردة بن نيّار.

ومن بني عمران بن مخزوم: حاجز بن السائب قتله عليّ عليه السلام، وروى البلاذريّ أنّ حاجزاً هذا وأخاه عويمراً قتلهما عليّ، وعويمر بن عمرو قتله النعمان بن أبي مالك فهؤلاء تسعة عشر.

ومن بني جمح بن عمرو: أميّة بن خلف، قتله خبيب بن يساف وبلال شركا فيه، وقيل: بل قتله رفاعة بن رافع وعليّ بن أميّة، قتله عمّار بن ياسر وأوس بن المغيرة، قتله عليّ عليه السلام وعثمان بن مظعون شركا فيه، فهؤلاء ثلاثة.

ومن بني سهم: منبّه بن الحجّاج، قتله أبواليسر، وقيل: عليّ وقيل: أبو أسيد ونبيه بن الحجّاج قتله عليّ عليه السلام والعاص بن منبه بن الحجّاج قتله عليّ عليه السلام، وأبو العاص بن قيس قتله أبو دجانة، قال الواقديّ: وحدّثني أبومعشر عن أصحابه قالوا: قتله عليّ عليه السلام، وعاصم بن أبي عوف، قتله أبودجانة، فهؤلاء خمسة.

ومن بني عامر ثمّ من بني مالك: معاوية بن عبد قيس حليف لهم، قتله عكّاشة بن محصن، وسعيد بن وهب حليف لهم من كلب، قتله أبودجانة، فهولاء اثنان.

فجميع من قتل ببدر في رواية الواقديّ من المشركين في الحرب وصبراً اثنان وخمسون. قتل عليّ عليه السلام منهم مع الّذين شرك في قتلهم أربعة وعشرين رجلاً، وقد كثرت الرواية أنّ المقتولين ببدر كانوا سبعين، ولكن الّذين عرفوا وحفظت أسماؤهم من ذكرناه، وفي رواية الشيعة أنّ زمعة بن الاسود قتله عليّ عليه السلام، والأشهر في الرواية أنّه قتل الحارث بن زمعة، وأنّ زمعة قتله أبو دجانة[1] انتهى ما أردنا إيراده من كلام ابن أبي الحديد.

بيان: العوذ جمع عائذ، وهي الناقة إذا وضعت، وبعد ما تضع أيّاماً حتّى يقوى ولدها، والحرجة بالتحريك: مجتمع شجر ملتفّ. والمرضاح: الحجر الّذي يرضح به النوى، أي يدقّ، ويقال: رفع فلان عقيرته، أي صوته. أما لكم في اللبن من حاجة أي تأسرون فتأخذون فداءهم إبلاً لها لبن، ذكره الجزريّ.

ومتع النهار: ارتفع. وفي النهاية: في حديث بدر فقلت: قريب مفرّ ابن الشتراء هو رجل كان يقطع الطريق يأتي الرفقة فيدنو منهم حتّى إذا هموا به نأى قليلاً ثمّ عاودهم حتّى يصيب منهم غرّة، المعنى أنّ مفرّهم قريب، وسيعود، فصار مثلاً وقال: فلحج، أي نشب فيه، وقال: فأطنّ، أي جعله يطنّ من صوت القطع، وأصله من الطنين وهو صوت الشيء الصلب، وقال: قحف الرأس هو الّذي فوق الدماغ انتهى.

وضحك الربّ تعالى: كناية عن غاية رضاه، وغمس اليد في العدو: كناية عن دخوله بينهم وجهده في مقاتلتهم، وحسرت كمي عن ذراعي: كشفت. والحاسر: الّذي لا مغفر عليه ولا درع، والأعزل: الّذي لا سلاح معه، وابن طاب: نوع من أنواع تمر المدينة منسوب إلى ابن طاب رجل من أهلها، يقال: عذق ابن طاب، ورطب ابن طاب، وتمر ابن طاب ذكره الجزريّ.

وقال: في حديث أمّ حارثة: ويحك أوهبلت، هو بفتح الهاء وكسر الباء، وقد استعاره هنا لفقد الميز والعقل ممّا أصابها من الثكل بولدها كأنّه قال: أفقدت عقلك بفقد ابنك حتّى جعلت الجنان جنّة واحدة انتهى. فأكلّكم لعلّه من الكلال بمعنى الإعياء، فقالت: حلاقي بالقاف، أي يا منيتي أقبلي فهذه أوانك، قال في القاموس: وكقطام وسحاب: المنية انتهى. وفي بعض النسخ بالفاء، أي تمنعني محالفتي قريشاً أن لا أبكيهم؟ وذمرته كنصرته: حثثته، والتذامر: التحاضّ على القتال.

وفي النهاية مجنّبة الجيش هي الّتي تكون في الميمنة والميسرة، وهما مجنّبتان والنون

---

(١) شرح نهج البلاغة، ج ١٤ ص ٣٥٧.

مكسورة، وقيل: هي الكتيبة الّتي تأخذ إحدى ناحيتي الطريق والأوّل أصحّ.

قال: فتتامّت إليه قريش، أي جاءته متوافرة متتابعةً، وفي القاموس: تتامّوا: جاؤوا كلّهم، وقالوا: دهده الحجر فتدهده: دحرجه فتدحرج، كتدهدا فتدهدى انتهى.

حتّى أقتله أي عرضه للقتل، نحو أبعت الثوب، وتقول: عوّرت الركيّة: إذا طممتها وسددت أعينها الّتي ينبع منها الماء، والنقع: الغبار.

وفي النهاية: فيه إنّ جبرئيل جاء يوم بدر وقد عصم ثنيّته الغبار، أي لزق به والميم بدل من الباء، وقال في الباء في حديث بدر لمّا فرغ منها أتاه جبرئيل وقد عصب رأسه الغبار، أي ركبه وعلق به، من عصب الريق فاه أي لصق به، ويروى عصم بالميم، وقال: عرق الظبية بضمّ الظاء، موضع على ثلاثة أميال من الروحاء به مسجد للنبي ﷺ انتهى.

وبارى قومه، أي عارضهم، وفي بعض النسخ بالدال، أي جاهرهم بالعداوة. وقال الجوهريّ: ها للتنبيه قد يقسم بها يقال: لا ها الله ما فعلت، أي لا والله، أبدلت الهاء من الواو، وإن شئت حذفت الألف الّتي بعد الهاء، وإن شئت أثبتّ.

وفي النّهاية: لا تضطني عنّي، أي لا تبخلي بانبساطك إليّ وهو افتعال من الضنى: المرض، والطاء بدل من التاء انتهى.

وأقول: كذا ذكره في ضنا من المعتلّ، وما ذكره من المعنى يدلّ على أنّه من الضنّ من باب المضاعف من الضنّة وهو البخل وهو أظهر، فيكون بتشديد النون.

وفي القاموس: نثل الكنانة: استخرج نبلها ونثرها، فتكركر النّاس عنه: أي اندفعوا ورجعوا، يقال: كركرته عنّي، أي دفعته ورددته.





تأليف

العلم العلامة الحجة فخر الأمة المولى

الشيخ محمد باقر المجلسي قدس سره

تحقيق وتصحيح

لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين

طبعة منقحة ومزدانة بتعاليق

العلامة الشيخ علي النمازي الشاهرودي قدس سره

الجزء العشرون

منشورات

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - لبنان

ص ب: ٧١٢٠

١١ - باب ذكر جمل غزواته وأحواله ﷺ بعد غزوة بدر الكبرى إلى غزوة أُحد

الآيات: الحشر «٥٩»: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَرِيبٗاۖ ذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ «١٥».

تفسير: قال الطبرسيّ رحمه الله: أي مثلهم في اغترارهم بعددهم وقوّتهم، وبقول المنافقين ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ يعني المشركين الّذين قتلوا ببدر، وذلك قبل غزاة بني النضير بستّة أشهر عن الزّهريّ وغيره، وقيل: إنّ الّذين من قبلهم قريباً هم بنو قينقاع عن ابن عبّاس، وذلك أنّهم نقضوا العهد مرجع رسول الله ﷺ من بدر، فأمرهم رسول الله ﷺ أن يخرجوا، وقال عبد الله بن أُبيّ: لا تخرجوا فإنّي آتي النبيّ ﷺ فأكلّمه فيكم، أو أدخل معكم الحصن، فكان هؤلاء أيضاً في إرسال عبد الله بن أبي إليهم ثمّ تركه نصرتهم كأولئك ﴿ذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ﴾ أي عقوبة كفرهم ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ في الآخرة[1].

١ - **قب، عم:** لمّا رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة من بدر لم يقم بالمدينة إلاّ سبع ليال حتّى غزا بنفسه، يريد بني سليم، حتّى بلغ ماء من مياههم يقال له: الكُدر، فأقام عليه ثلاث ليال، ثمّ رجع إلى المدينة، ولم يلق كيداً، فأقام بها بقيّة شوّال وذا القعدة، وفادى في إقامته جل أُسارى بدر من قريش.

ثم كانت غزوة السويق، وذلك أنّ أبا سفيان نذر أن لا يمسّ رأسه من جنابة حتّى يغزو محمّداً ﷺ فخرج في مائة راكب من قريش ليبرّ يمينه حتّى إذا كان على بريد من المدينة أتى بني النضير ليلاً، فضرب على حيّ بن أخطب بابه فأبى أن يفتح له، فانصرف عنه إلى سلام بن مشكم، وكان سيّد بني النضير، فاستأذن عليه فأذن له وسارّه، ثمّ خرج في عقب ليلته حتّى أتى أصحابه، وبعث رجالاً من قريش إلى المدينة فأتوا ناحية يقال لها: العريض فوجدوا رجلاً من الأنصار وحليفاً له فقتلوهما، ثمّ انصرفوا، ونذر بهم النّاس، فخرج رسول الله ﷺ في طلبهم حتّى بلغ قرقرة الكُدر ورجع وقد فاته أبو سفيان، ورأوا زاداً من أزواد القوم قد طرحوها يتخفّفون منها للنجاء.

(وكان فيها السويق فسميّت غزوة السويق، ووافقوا السوق وكانت لهم تجارات) فقال المسلمون حين رجع رسول الله ﷺ بهم: يا رسول الله أنطمع بأن تكون لنا غزوة؟ فقال ﷺ: نعم.

ثم كانت غزوة ذي أمر بعد مقامه بالمدينة بقيّة ذي الحجّة والمحرّم مرجعه من غزوة السويق، وذلك لمّا بلغه أنّ جمعاً من غطفان قد تجمّعوا يريدون أن يصيبوا من أطراف المدينة، عليهم رجل يقال له: دعثور بن الحارث بن محارب، فخرج في أربعمائة رجل

---

(١) مجمع البيان، ج ٩ ص ٤٣٧.

وخمسين رجلاً ومعهم أفراس وهرب منه الأعراب فوق ذرى الجبال، ونزل ﷺ ذا أمر وعسكر به، وأصابهم مطر كثير، فذهب رسول الله ﷺ لحاجة فأصابه ذلك المطر فبلّ ثوبه، وقد جعل رسول الله ﷺ وادي أمر بينه وبين أصحابه، ثمّ نزع ثيابه فنشرها لتجفّ وألقاها على شجرة ثمّ اضطجع تحتها، والأعراب ينظرون إلى كلّ ما يفعل رسول الله ﷺ، فقالت الأعراب لدُعثور وكان سيّدهم وأشجعهم: قد أمكنك محمّد وقد انفرد من بين أصحابه حيث إن غوّث بأصحابه لم يغث حتّى تقتله فاختار سيفاً من سيوفهم صارماً ثمّ أقبل مشتملاً على السيف حتّى قام على رأس رسول الله ﷺ بالسيف مشهوراً، فقال: يا محمّد من يمنعك منّي اليوم؟ قال: الله، ودفع جبرئيل في صدره فوقع السيفُ من يده، فأخذه رسول الله ﷺ وقام على رأسه فقال: من يمنعك منّي؟ قال: لا أحد، وأنا أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأن محمّداً رسول الله، والله لا أكثّر عليك جمعاً أبداً، فأعطاه رسول الله ﷺ سيفه، ثمّ أدبر، ثمّ أقبل بوجهه، ثمّ قال: والله لأنت خير منّي، قال رسول الله ﷺ: أنا أحقّ بذلك، فأتى قومه، فقيل له: أين ما كنت تقول وقد أمكنك والسيف في يدك؟ قال: قد كان والله ذلك، ولكنّي نظرت إلى رجل أبيض طويل دفع في صدري فوقعت لظهري، فعرفت أنّه ملك، وشهدت أنّ محمّداً رسول الله، والله لا أكثّر عليه، وجعل يدعو قومه إلى الإسلام ونزلت هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾ الآية[1].

ثمّ كانت غزوة القردة: ماء من مياه نجد بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة بعد رجوعه من بدر إلى المدينة بستّة أشهر فأصابوا عيراً لقريش على القردة فيها أبو سفيان ومعه فضّةٌ كثيرةٌ، وذلك لأنّ قريشاً قد خافت طريقها الّتي كانت تسلك إلى الشام حين كان من وقعة بدر، فسلكوا طريق العراق، واستأجروا رجلاً من بكر بن وائل يقال له: فرات بن حيّان يدلّهم على الطريق، فأصاب زيد بن حارثة تلك العير وأعجزته الرجال هرباً.

وفي رواية الواقديّ: أنّ ذلك العير مع صفوان بن أُميّة، وأنّهم قدموا بالعير إلى رسول الله ﷺ، وأسروا رجلاً أو رجلين، وكان فرات بن حيّان أسيراً فأسلم فترك من القتل.

ثمّ كانت غزوة بني قينقاع يوم السبت للنصف من شوّال على رأس عشرين شهراً من الهجرة، وذلك أنّ رسول الله جمعهم وإيّاه سوق بني قينقاع، فقال لليهود: احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من قوارع الله فأسلموا فإنّكم قد عرفتم نعتي وصفتي في كتابكم، فقالوا: يا محمّد لا يغرنّك أنّك لقيت قومك فأصبت منهم، فإنا والله لو حاربناك لعلمت أنا خلافهم، فكادت تقع بينهم المناجزة، ونزلت فيهم ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا﴾ إلى قوله: ﴿لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾[2].

---

(١) سورة المائدة، الآية: ١١.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٣.

ووري أنّ رسول الله ﷺ حاصرهم ستة أيّام حتّى نزلوا على حكمه، فقام عبد الله بن أبيّ فقال يا رسول الله مواليّ وحلفائي وقد منعوني من الأسود والأحمر ثلاثمائة دارع. وأربعمائة حاسر، تحصدهم في غداة واحدة؟ انّي والله لا آمن وأخشى الدوائر، وكانوا حلفاء الخزرج دون الأوس، فلم يزل يطلب فيهم حتّى وهبهم له، فلمّا رأوا ما نزل بهم من الذلّ خرجوا من المدينة ونزلوا أذرعات، ونزلت في عبد الله بن أبيّ وناس من بني الخزرج: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾ إلى قوله: ﴿فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾[1].

٢ - فس: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾[2] فإنّها نزلت بعد بدر، لمّا رجع رسول الله ﷺ من بدر أتى بني قينقاع وهم بناديهم. وكان بها سوق يسمّى سوق النبط، فأتاهم رسول الله ﷺ فقال: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ يا معشر اليهود قد علمتم ما نزل بقريش وهم أكثر عدداً وسلاحاً وكراعاً منكم فادخلوا في الإسلام فقالوا: يا محمّد إنّك تحسب حربنا مثل حرب قومك؟ والله لو قد لقيتنا للقيت رجالاً، فنزل عليه جبرئيل فقال: يا محمّد ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا﴾ يعني فئة المسلمين، وفئة الكفّار، إنّها عبرة لكم وإنّه تهديد لليهود ﴿فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ﴾ أي كانوا مثلي المسلمين ﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ﴾ يعني رسول الله يوم بدر ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾[3].

٣ - أقول: قال في المنتقى في وقائع السنة الثانية من الهجرة: وفي هذه السنة كانت سريّة عمير بن عديّ بن خرشة إلى عصماء بنت مروان اليهوديّ لخمس ليال مضين من شهر رمضان، على رأس تسعة عشر شهراً من الهجرة، وكانت عصماء تعيب المسلمين وتؤذي رسول الله ﷺ، وتقول الشعر، فجاء عمير حتّى دخل عليها بيتها وحولها نفر من ولدها أيتام، منهم من ترضعه في صدرها، فنحّى الصبيّ عنها ووضع سيفه في صدرها حتّى أنفذه من ظهرها، وصلّى الصبح مع النبيّ ﷺ بالمدينة، فقال له رسول الله ﷺ: أقتلت ابنة مروان؟ قال: نعم، قال: «لا ينتطح فيها عنزان» وكانت هذه الكلمة أوّل ما سمعت من رسول الله ﷺ. وفي هذه السنة كانت غزوة بني قينقاع.

أقول: وساق القصّة نحو ما مرّ إلاّ أنّه قال: حاصرهم خمس عشرة ليلة، قال: ثمّ أمر بإجلائهم وغنم رسول الله ﷺ والمسلمون ما كان لهم من مال، وكان أوّل خمس خمّس في الإسلام بعد بدر.

٤ - وقال ابن الأثير: وكان الّذي تولّى إخراجهم عبادة بن الصامت، ثمّ ساروا إلى أذرعات

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب، ج ١ ص ٢٤١، اعلام الورى، ص ٩٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٢. (٣) تفسير القمي، ج ١ ص ١٠٥.

من أرض الشام، فلم يلبثوا إلاّ قليلاً حتّى هلكوا، وكان قد استخلف على المدينة أبا لبابة. وكان لواء رسول الله مع حمزة، ثمّ انصرف رسول الله صلى الله عليه وآله وحضر الأضحى فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المصلّى فصلّى بالمسلمين وهي أوّل صلاة عيد صلاها، وضحّى فيه رسول الله صلى الله عليه وآله بشاتين، وقيل: بشاة، وكان أوّل أضحى رآه المسلمون وضحّى معه ذوو اليسار، وكانت الغزوة في شوّال بعد بدر وقيل: كانت في صفر سنة ثلاث جعلها بعد غزوة الكدر.

قال ابن إسحاق: كانت في شوّال سنة اثنتين، وقال الواقديّ: كانت في محرّم سنة ثلاث، وكان قد بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله اجتماع بني سليم في ماء لهم يقال له: الكدر بضمّ الكاف وسكون الدال المهملة، فسار رسول الله إلى الكدر فلم يلق كيداً وكان لواؤه مع عليّ عليه السلام، واستخلف على المدينة ابن أمّ مكتوم، وعاد ومعه النّعم والرعاء، وكان قدومه في قول لعشر ليال مضين من شوّال، وبعد قدومه أرسل غالب بن عبد الله الليثي في سرية إلى بني سليم وغطفان فقتلوا فيهم وغنموا النعم، واستشهد من المسلمين ثلاثة نفر، وعادوا منتصف شوّال، ثمّ كان غزوة السويق، وفي ذي الحجّة من السنة الثانية مات عثمان بن مظعون فدفن بالبقيع، وجعل رسول الله صلى الله عليه وآله على رأس قبره حجراً علامة لقبره[1].

٥ - **وقال في المنتقى:** في السنة الثانية مات أميّة بن الصلت، وكان قد قرأ الكتب المتقدّمة، ورغب عن عبادة الأوثان، وأخبر أنّ نبيّاً يخرج قد أظلّ زمانه وكان يؤمّل أن يكون ذلك النبيّ صلى الله عليه وآله، فلمّا بلغه خروج رسول الله كفر به حسداً ولمّا أنشد لرسول الله صلى الله عليه وآله شعره قال: آمن لسانه، وكفر قلبه.

وذكر غزوة السويق في حوادث السنة الثالثة، وذكر أنّ غيبته صلى الله عليه وآله فيها كانت خمسة أيّام.

٦ - **وقال في الكامل:** في المحرّم سنة ثلاث سمع رسول الله صلى الله عليه وآله أنّ جمعاً من بني سعد بن تغلبة وبني محارب بن حفصة تجمّعوا ليصيبوا فسار إليهم في أربعمائة وخمسين رجلاً، فلمّا صار بذي القصّة - بفتح القاف والصاد المهملة - لقي رجلاً من تغلبة فدعاه إلى الإسلام فأسلم، وأخبره أنّ المشركين أتاهم خبره فهربوا إلى رؤوس الجبال، فعاد ولم يلق كيداً وكان مقامه اثنتي عشرة ليلة.

وفي تلك السنة في جمادى الأولى غزا بني سليم بنجران، وسبب هذه الغزوة أنّ جمعاً من بني سليم تجمّعوا بنجران من ناحية الفرع، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله فسار إليهم في ثلاثمائة، فلمّا صار إلى نجران وجدهم قد تفرّقوا فانصرف ولم يلق كيداً، وكانت غيبته عشر ليال، واستخلف على المدينة ابن أمّ مكتوم[2].

٧ - وقال ابن الأثير والكازرونيّ دخل حديث بعضهم في بعض: وفي هذه السنة قتل كعب

---

(١) الكامل لابن الأثير، ج ٢ ص ١٢٤.
(٢) الكامل لابن الأثير، ج ٢ ص ١٢٧.

ابن الأشرف من طيء، وكانت أمّه من بني النضير، وكان قد كبر عليه قتل من قتل ببدر من قريش فسار إلى مكّة، وحرّض على رسول الله ﷺ، وبكى على قتلى بدر، وكان يشبّب بنساء المسلمين حتّى أذاهم، فلمّا عاد إلى المدينة قال رسول الله ﷺ: من لي بابن الأشرف، فإنّه قد آذى الله ورسوله، فقام محمّد بن مسلمة فقال: يا رسول الله أتحب أن أقتله؟ قال: نعم، قال: فائذن لي أن أقول شيئاً، قال: قل. فاجتمع محمّد بن مسلمة، وسلكان بن سلامة وقيس وهو أبو نائلة، والحارث بن أوس، وكان أخا كعب من الرضاعة، وأبو عبس ابن جبير ثمّ قدموا إلى ابن الأشرف، فجاء محمّد بن مسلمة فتحدّث معه ثمّ قال يا ابن الأشرف إنّي قد جئتك لحاجة فاكتمها عليّ، قال: افعل، قال: كان قدوم هذا الرجل بلاء عادتنا العرب، وانقطع عنّا السبيل حتّى ضاع عنّا العيال وجهدت الأنفس، فقال كعب: قد كنت أخبرتك بهذا، قال أبو نائلة: وأريد أن تبيعنا طعاماً ونرهنك ونوثّق لك، أتحسن في ذلك؟ فقال: نعم، ارهنوني نساءكم قالوا: كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب؟ قال: فارهنوني أبناءكم، قالوا: كيف نرهنك أبناءنا فيسبّ أحدهم؟ فيقال: رهن بوسق أو وسقين، هذا عار علينا، ولكنّا نرهنك اللّامة، يعني السلاح، وأراد بذلك أن لا ينكر السلاح إذا أتوه به، فواعده أن يأتيه، فأتى أصحابه وأخبرهم، فأخذوا السلاح وساروا إليه، وتبعهم النبيّ ﷺ إلى بقيع الغرقد، ودعا لهم، فلمّا انتهوا إلى الحصن هتف به أبو نائلة، وكان كعب قريب عهد بعرس فوثب فقالت له امرأته أين تخرج هذه الساعة؟ أسمع صوتاً كأنّه يقطر منه الدم، قال: إنّما هو أخي محمّد بن مسلمة، ورضيعي أبو نائلة، إنّ الكريم إذا دعي إلى طعنة بليل لأجاب، فنزل إليهم وتحدّث معهم ساعة وساروا معه إلى شعب العجوز، ثمّ إنّ أبا نائلة قال: ما رأيت كاليوم ريحاً أطيب، أتأذن لي أن أشمّ رأسك، قال: فشمّه حتّى فعل ذلك مراراً فلمّا استمكن منه أخذ برأسه، وقال: اضربوا عدو الله فاختلف عليه أسيافهم فلم يغن شيئاً، قال محمّد بن مسلمة: قد كنت مشغولاً فأخذته، وقد صاح عدوّ الله صيحةً لم يبق حولنا حصن إلاّ أوقدت عليه نار، فتحاملت عليه وقتلته، وقد أصاب الحارث بن أوس بعض أسيافنا، فاحتملناه وجئنا به إلى رسول الله ﷺ، فأخبرناه بقتل عدوّ الله، فتفل على جرح صاحبنا وعدنا إلى أهلنا فأصبحنا وقد خافت اليهود، فليس بها يهوديّ إلاّ وهو يخاف على نفسه، فقال رسول الله ﷺ: من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه، فوثب محيصة بن مسعود على ابن سنينة اليهوديّ وهو من تجّار اليهود فقتله، فقال له أخوه خويصة وهو مشرك: يا عدوّ الله قتلته؟ أما والله لربّ شحم في بطنك من ماله، فقال محيصة: لو أمرني بقتلك من أمرني بقتله لقتلتك، قال: فوالله إن كان لأوّل إسلام خويصة، ثمّ أسلم عبس بن جبير، وكان قتل كعب لأربع عشرة ليلة مضت من ربيع الأوّل.

وفي هذا الشهر تزوّج عثمان بن عفّان أمّ كلثوم بنت رسول الله ﷺ وبنى بها في جمادى

الآخرة[1].

٨ - وقال الكازروني: وفي هذه السّنة تزوّج رسول الله ﷺ حفصة بنت عمر في شعبان. وكانت قبله تحت خنيس بن حذافة السهميّ في الجاهليّة فتوفّي عنها، وفيها تزوّج ﷺ زينب بنت خزيمة، وكانت تسمّى في الجاهليّة أمّ المساكين، وكانت عند الطفيل بن الحارث بن المطّلب فطلّقها فتزوّجها أخوه عبيدة فقتل عنها يوم بدر شهيداً، فتزوّجها رسول الله ﷺ في شهر رمضان من هذه السّنة، وأصدقها اثنتي عشرة أوقيّة ونشاً فمكثت عنده ثمانية أشهر، وتوفّيت، وفي هذه السنة ولد الحسن بن عليّ عليه السلام في النصف من شهر رمضان.

٩ - قال ابن الأثير: وفيها كانت غزوة القردة، وفيها في جمادى الآخرة قتل أبو رافع سلام بن أبي الحقيق اليهوديّ، وكان يظاهر كعب بن الأشرف على رسول الله ﷺ، فلمّا قتل ابن الأشرف وكان قاتله من الأوس قالت الخزرج: والله لا يذهبون بها علينا عند رسول الله، فتذاكر الخزرج من يعادي رسول الله ﷺ كابن الأشرف، فذكروا ابن أبي الحقيق وهو بخيبر فاستأذنوا رسول الله ﷺ في قتله فأذن لهم، فخرج إليه من الخزرج عبد الله بن عتيك ومسعود بن سنان وعبدالله بن أنيس وأبو قتادة وخزاعي بن الأسود حليف لهم، وأمّر عليهم عبد الله بن عتيك فخرجوا حتّى قدموا خيبر، فأتوا دار أبي رافع ليلاً فلم يدعوا باباً في الدار إلاّ أغلقوه على أهله وكان في عليّة فاستأذنوا عليه فخرجت امرأته فقالت: من أنتم؟ قالوا: من العرب نلتمس الميرة، قال: ذاك صاحبكم، فادخلوا عليه، فلمّا دخلوا أغلقوا باب العليّة ويدروه على فراشه، فصاحت المرأة، فجعل الرجل منهم يريد قتلها فيذكر نهي النبيّ ﷺ إيّاهم عن قتل النساء والصبيان، فيكفّ عنها فضربوه بأسيافهم، وتحامل عليه عبد الله بن أنيس بسيفه في بطنه حتّى أنفذه، ثمّ خرجوا من عنده، وكان عبد الله بن عتيك سيّئ البصر فوقع من الدرجة فوثبت رجله وثباً شديداً، واحتملوه ورجعوا، وطلبتهم اليهود في كلّ وجه فلم يروهم فرجعوا إلى صاحبهم، فقال المسلمون: كيف نعلم أنّ عدوّ الله قد مات فعاد بعضهم ودخل في النّاس فرآه والنّاس حوله وهو يقول: قد عرفت صوت ابن عتيك، ثمّ صاحت امرأته وقالت: مات والله، قال: فما سمعت كلمة ألذّ إلى نفسي منها، ثمّ عاد إلى أصحابه وأخبرهم الخبر، وسمع صوت الناعي يقول: أنعى أبا رافع تاجر أهل الحجاز، وساروا حتّى قدموا على النبيّ ﷺ واختلفوا في قتله فقال رسول الله ﷺ: هاتوا أسيافكم، فجاؤا بها فنظر فيها، فقال لسيف عبد الله بن أنيس: هذا قتله، أرى أثر الطعام[2].

١٢ - باب غزوة أُحد وغزوة حمراء الأسد

الآيات: آل عمران «٣»: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

---

(١) الكامل لابن الأثير، ج ٢ ص ١٢٧. (٢) الكامل لابن الأثير، ج ٢ ص ١٣١.

﴿١٢١﴾ إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴿١٢٢﴾ ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون ﴿١٢٣﴾ إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين ﴿١٢٤﴾ بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ﴿١٢٥﴾ وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ﴿١٢٦﴾ ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين ﴿١٢٧﴾ ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون ﴿١٢٨﴾﴾.

وقال تعالى: ﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين ﴿١٣٩﴾ إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين ﴿١٤٠﴾ وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين ﴿١٤١﴾ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ﴿١٤٢﴾ ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون ﴿١٤٣﴾ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإين مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين ﴿١٤٤﴾ وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين ﴿١٤٥﴾ وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين ﴿١٤٦﴾﴾.

إلى قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين ﴿١٤٩﴾ بل الله مولاكم وهو خير الناصرين ﴿١٥٠﴾ سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين ﴿١٥١﴾ ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين ﴿١٥٢﴾ إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم فأثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم والله خبير بما تعملون ﴿١٥٣﴾ ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء قل إن الأمر كله لله يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور ﴿١٥٤﴾ إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور حليم ﴿١٥٥﴾ يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير ﴿١٥٦﴾ ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون ﴿١٥٧﴾ ولئن

مُتُّم أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ ».

إلى قوله تعالى: « أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٨﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ ».

النساء «٤»: « فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا » «٨٨». وقال تعالى: « وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا » «١٠٤».

الأنفال «٨»: « إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ » «٣٦».

تفسير: قال الطبرسيّ رحمه الله في قوله تعالى: « وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ » ، أي اذكر يا محمّد إذ خرجت من المدينة غدوة « تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ » أي تهيء للمؤمنين مواطن القتال، أو تجلسهم وتقعدهم في مواضع القتال ليقفوا فيها ولا يفارقوها، واختلف في أيّ يوم كان ذلك فقيل: يوم أُحد عن ابن عبّاس، وأكثر المفسّرين وهو المرويّ عن أبي جعفر عليه السلام، وقيل: كان يوم الاحزاب عن مقاتل وقيل: يوم بدر عن الحسن « وَاللَّهُ سَمِيعٌ » لما يقوله

النبيّ ﷺ ﴿عَلِيمٌ﴾ بما يضمرونه ﴿إِذْ هَمَّت﴾ أي عزمت ﴿طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ﴾ أي من المسلمين ﴿أَن تَفْشَلَا﴾ أي تجبنا وهما بنو سلمة وبنو حارثة حيّان من الانصار، عن ابن عبّاس وأكثر المفسّرين وعن أبي جعفر وأبي عبد الله عليه‌السلام، وقال الجبائيّ: نزلت في طائفة من المهاجرين وطائفة من الانصار، وكان سبب همّهم بالفشل أنّ عبد الله بن أبي سلول دعاهما إلى الرجوع إلى المدينة عن لقاء المشركين يوم أحد فهمّا به ولم يفعلاه ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ أي ناصرهما، ويروى عن جابر بن عبد الله أنّه قال: فينا نزلت وما أُحبّ أنّها لم تكن لقوله: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾.

وقال بعض المحقّقين: هذا همّ خطرة لا همّ عزيمة، لأنّ الله سبحانه مدحهما وأخبر أنّه وليّهما، ولو كان همّ عزيمة لكان ذمّهم أولى(١).

أقول: ثمّ روى الطبرسيّ قصة غزوة أُحد عن أبي عبد الله عليه‌السلام مثل ما سيأتي في رواية عليّ بن إبراهيم، ثمّ قال: وروى أبو إسحاق والسديّ والواقديّ وابن جريح وغيرهم قالوا كان المشركون نزلوا بأحد يوم الاربعاء في شوّال سنة ثلاث من الهجرة، وخرج رسول الله ﷺ إليهم يوم الجمعة، وكان القتال يوم السبت للنصف من الشهر، وكسرت رباعيته ﷺ وشجّ وجهه، ثمّ رجع المهاجرون والانصار بعد الهزيمة، وقد قتل من المسلمين سبعون، وشدّ رسول الله بمن معه حتّى كشفهم، وكان الكفّار مثّلوا بجماعة، وكان حمزة أعظم مثلة، وضربت يد طلحة فشلّت(٢).

وقال في قوله: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ﴾ هو إخبار بأن النبيّ ﷺ قال لقومه: ألن يكفيكم يوم بدر أن جعل ربّكم ثلاثة آلاف من الملائكة مدداً لكم، وقيل: إنّ الوعد بالإمداد بالملائكة كان يوم أحد وعدهم الله المدد إن صبروا ﴿مُنزَلِينَ﴾ أي من السماء ﴿بَلَىٰ﴾ تصديق للوعد، أي يفعل كما وعدكم ويزيدكم ﴿إِن تَصْبِرُوا﴾ أي على الجهاد وعلى ما أمركم الله ﴿وَتَتَّقُوا﴾ معاصي الله ومخالفة رسوله ﴿وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا﴾ أي رجع المشركون إليكم من جهتهم هذا، وقيل: من غضبهم هذا، وكانوا قد غضبوا يوم أحد ليوم بدر ممّا لقوا فهو من فور الغضب أي غليانه ﴿يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ﴾ أي يعطكم مدداً لكم ونصرة، وإنّما قال ذلك لأنّ الكفّار في غزاة أُحد ندموا بعد انصرافهم لِم لم يعبروا على المدينة، وهمّوا بالرجوع فأوحى الله إلى نبيّه أن يأمر أصحابه بالتهيّؤ للرجوع إليهم، وقال لهم: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ﴾ ثمّ قال: إن صبرتم على الجهاد وراجعتم الكفّار أمدّكم الله بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمين. فأخذوا في الجهاد وخرجوا يتبعون الكفّار على ما بهم من الجراح، وأخبر المشركون من

---

(١) - (٢) مجمع البيان، ج ٢ ص ٣٧٦.

رسول الله ﷺ أنّه يتبعكم فخاف المشركون إن رجعوا أن تكون الغلبة للمسلمين، وأن يكون قد التأم إليهم من كان تأخّر عنهم، وانضمّ إليهم غيرهم، فدسّوا نعيم بن مسعود الأشجعيّ حتّى يصدّهم بتعظيم أمر قريش، وأسرعوا في الذهاب إلى مكّة، وكفى الله المسلمين أمرهم، ولذلك قال قوم من المفسّرين: إنّ جميعهم ثمانية آلاف، وقال الحسن: إن جميعهم خمسة آلاف منهم ثلاثة آلاف المنزلين، على أنّ الظاهر يقتضي أنّ الامداد بثلاثة آلاف كان يوم بدر، ثمّ استأنف حكم يوم أحد فقال: ﴿بَلَىٰٓ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا﴾ أي إن رجعوا إليكم بعد انصرافكم ﴿يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ وهذا قول البلخيّ، رواه عن عكرمة، قال: لم يمدّوا يوم أحد ولا بملك واحد، وعلى هذا فلا تنافي بين الآيتين ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ أي معلمين، أو مرسلين ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ﴾ أي ما جعل الله الامداد والوعد به إلّا بشارة لكم ﴿وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ﴾ فلا تخافوا كثرة عدد العدو ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ معناه إنّ الحاجة إلى الله سبحانه لازمة في المعونة وإن أمدّكم بالملائكة فلا استغناء لكم عن معونته طرفة عين[1].

وقال البيضاويّ: وهو تنبيه على أنّه لا حاجة في نصرهم إلى مدد، وإنّما أمدّهم ووعد لهم بشارة لهم وربطاً على قلوبهم من حيث أنّ نظر العامّة إلى الاسباب أكثر وأحثّ على أن لا يبالوا بمن تأخر عنهم[2].

﴿لِيَقۡطَعَ طَرَفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ قال الطبرسيّ: اختلف في وجه اتّصاله بما قبله، فقيل: يتّصل بقوله: ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ أي أعطاكم الله هذا النصر ليقطع طائفة من الّذين كفروا بالقتل والاسر، وقيل: هو متصل بقوله: ﴿وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ﴾ وقيل: معناه ذلك التدبير ﴿لِيَقۡطَعَ طَرَفٗا﴾ أي قطعة منهم. والمعنى ليهلك طائفة منهم، وقيل: ليهدم ركناً من أركان الشرك بالاسر والقتل، فأمّا اليوم الّذي وقع فيه ذلك فيوم بدر وقيل: هو يوم أحد، قتل فيه ثمانية عشر رجلاً ﴿أَوۡ يَكۡبِتَهُمۡ﴾ أي يخزيهم بالخيبة ممّا أمّلوا من الظفر بكم، وقيل: يردّهم عنكم منهزمين، وقيل: يصرعهم على وجوههم، وقيل: يظفركم عليهم، وقيل: يلعنهم، وقيل: يهلكهم ﴿فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ﴾ لم ينالوا ممّا أملوا شيئاً ﴿لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ﴾ قيل: هو متّصل بقوله: ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ أي ليس لك ولا لغيرك من هذا النصر شيء، وقيل: إنّه اعتراض بين الكلامين، وقوله: ﴿أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡ﴾ متّصل بقوله: ﴿لِيَقۡطَعَ طَرَفٗا﴾ فالتقدير ليقطع طرفاً منهم أو يكبتهم أو يتوب عليهم أو يعذّبهم فإنّهم قد استحقّوا العقاب، وليس لك من هذه الاربعة شيء، وذلك إلى الله تعالى.

واختلف في سبب نزوله، فروي عن أنس بن مالك وابن عبّاس والحسن وقتادة والربيع أنّه

---

(١) مجمع البيان، ج ٢ ص ٣٨١.
(٢) تفسير البيضاوي، ج ١ ص ٢٨٧.

لمّا كان من المشركين يوم أُحد من كسر رباعيّة الرسول ﷺ وشجّه حتّى جرت الدماء على وجهه، فقال: «كيف يفلح قوم نالوا هذا من نبيّهم» وهو مع ذلك حريص على دعائهم إلى ربّهم؟ فأعلمه الله سبحانه أنّه ليس إليه فلاحهم، وأنّه ليس إليه إلاّ أن يبلغ الرسالة، ويجاهد حتّى يظهر الدين، وإنّما ذلك إلى الله، وكان الّذي كسر رباعيّته وشجّه في وجهه عتبة بن أبي وقّاص، فدعا عليه بأن لا يحول عليه الحول حتّى يموت كافراً، فمات كافراً قبل حول الحول وأدمى وجهه رجل من هذيل يقال له: عبد الله بن قميئة، فدعا عليه فكان حتفه أن سلّط الله عليه تيساً فنطحه حتّى قتله، وروي أنه ﷺ كان يمسح الدم عن وجهه و يقول: «اللّهمّ اهد قومي فإنّهم لا يعلمون» فعلى هذا يمكن أن يكون ﷺ على وجل من عنادهم وإصرارهم على الكفر، فأخبر سبحانه أنّه ليس إليه إلّا ما أُمر به من تبليغ الرسالة ودعائهم إلى الهدى، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ وقيل إنّه ﷺ استأذن ربّه تعالى في يوم أحد في الدعاء عليهم فنزلت الآية، فلم يدع عليهم بعذاب الاستئصال، وإنّما لم يؤذن له فيه لما كان المعلوم من توبة بعضهم، وقيل: أراد رسول الله ﷺ أن يدعو على المنهزمين عنه من أصحابه يوم أحد فنهاه الله عن ذلك وتاب عليهم أي ليس لك أن تلعنهم وتدعو عليهم، وقيل: لمّا رأى رسول الله ﷺ ما فعل بأصحابه وبعمه حمزة من المثلة من جدع الأنوف والآذان وقطع المذاكير قال: «لئن أدالنا الله منهم لنفعلن بهم مثل ما فعلوا ولنمثلنّ بهم مثلة لم يمثّلها أحد من العرب بأحد قطّ» فنزلت الآية، وقيل: نزلت في أهل بئر معونة وهم سبعون رجلاً من قرّاء أصحاب رسول الله ﷺ، وأميرهم المنذر بن عمرو، بعثهم رسول الله ﷺ إلى بئر معونة في صفر سنة أربع من الهجرة على رأس أربعة أشهر من أحد ليعلموا النّاس القرآن والعلم، فقتلهم جميعاً عامر بن الطفيل، وكان فيهم عامر بن فهيرة مولى أبي بكر، فوجد رسول الله ﷺ من ذلك وجداً شديداً وقنت عليهم شهراً فنزلت، والأصحّ أنّها نزلت في أحد، وإنّما قال: ﴿لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ﴾ مع أنّ له ﷺ أن يدعوهم إلى الله ويؤدّي إليهم ما أمره بتبليغه، لأنّ معناه ليس لك شيء من أمر عقابهم أو استئصالهم أو الدعاء عليهم أو لعنهم حتّى يقع إنابتهم ﴿أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡ﴾ أي يلطف لهم بما يقع معه توبتهم، أو يقبل توبتهم إذا تابوا ﴿أَوۡ يُعَذِّبَهُمۡ﴾ إن لم يتوبوا ﴿فَإِنَّهُمۡ ظَٰلِمُونَ﴾ أي يستحقّون العذاب بظلمهم[1].

وقال رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُواْ﴾ قيل: نزلت الآية تسلية للمسلمين لما نالهم يوم أحد من القتل والجراح عن الزهريّ وقتادة وابن نجيح، وقيل: لمّا انهزم المسلمون في الشعب وأقبل خالد بن الوليد بخيل المشركين يريد أن يعلوا عليهم الجبل فقال النبيّ ﷺ: «لا يعلنّ علينا اللّهمّ لا قوّة لنا إلّا بك اللّهمّ لا يعبدك بهذه البلدة إلاّ هؤلاء النفر» فأنزل الله الآية، وثاب نفر رماة وصعدوا الجبل ورموا خيل المشركين حتّى هزموهم، وعلا المسلمون

(١) مجمع البيان، ج ٢ ص ٣٨٤.

الجبل فذلك قوله: ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ عن ابن عبّاس، وقيل: نزلت الآية بعد يوم أحد حين أمر رسول الله ﷺ أصحابه بطلب القوم، وقد أصابهم من الجراح ما أصابهم، وقال ﷺ: «لا يخرج إلاّ من شهد معنا بالامس» فاشتدّ ذلك على المسلمين، فأنزل الله تعالى هذه الآية عن الكلبيّ، ودليله قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ﴾ الآية.

﴿وَلَا تَهِنُوا۟﴾ أي لا تضعفوا عن قتال عدوكم ﴿وَلَا تَحْزَنُوا۟﴾ بما يصيبكم في أموالكم وأبدانكم، وقيل: لا تضعفوا بما نالكم من الجراح ولا تحزنوا على ما نالكم من المصائب بقتل الإخوان، أو لا تهنوا لما نالكم من الهزيمة، ولا تحزنوا على ما فاتكم من الغنيمة ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ أي الظافرون المنصورون، أو الاعلون في المكان ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ معناه إنّ من كان مؤمناً يجب أن لا يهن ولا يحزن لثقته بالله، أو إن كنتم مصدقين بوعدي لكم بالنصرة والظفر على عدوّكم ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ﴾ أي جراح فقد أصاب القوم جراح مثله عن ابن عبّاس: وقيل: إن يصبكم ألم وجراحة يوم أحد فقد أصاب القوم ذلك يوم بدر.

وقال أنس بن مالك: أتي رسول الله ﷺ بعليّ عليه السلام يومئذ وعليه نيّف وستّون جراحة من طعنة وضربة ورمية، فجعل رسول الله ﷺ يمسحها وهي تلتئم بإذن الله تعالى كأن لم تكن.

وعن ابن عبّاس قال: لمّا كان يوم أحد صعد أبو سفيان الجبل فقال رسول الله ﷺ: «اللّهمّ إنّه ليس لهم أن يعلونا» فمكث أبو سفيان ساعة، وقال: يوماً بيوم إنّ الأيّام دول، وإنّ الحرب سجال، فقال ﷺ: أجيبوه، فقالوا: لا سواء، قتلانا في الجنّة، وقتلاكم في النّار، فقال: لنا عزّى ولا عزى لكم. فقال النبيّ ﷺ: الله مولانا ولا مولى لكم. فقال أبو سفيان: اعل هبل. فقال رسول الله ﷺ: الله أعلى وأجلّ.

﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ أي نصرفها مرّة لفرقة، ومرّة عليها، وإنّما يصرّف الله سبحانه الأيّام بين المسلمين والكفّار بتخفيف المحنة على المسلمين أحياناً، وتشديدها عليهم أحياناً، لا بنصرة الكفّار عليهم، لأنّ النصرة تدلّ على المحبة، والله لا يحبّ الكافرين، وإنّما جعل الله الدنيا منقلبة لكيلا يطمئنّ المسلم إليها، ولتقلّ رغبته فيها، إذ تفنى لذّاتها، ويظعن مقيمها، ويسعى للآخرة الّتي تدوم نعيمها، وإنّما جعل الدولة مرّة للمؤمنين ومرّة عليهم ليدخل النّاس في الإيمان على الوجه الّذي يجب الدخول فيه لذلك، وهو قيام الحجّة، فإنّه لو كانت الدولة دائماً للمؤمنين لكان النّاس يدخلون في الإيمان على سبيل اليمن والفأل، على أنّ كلّ موضع حضره النبيّ ﷺ لم يخل من ظفر، إمّا في ابتداء الامر، وإمّا في انتهائه، وإنّما لم يستمرّ ذلك لما بيّناه.

﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ تقديره: وتلك الأيّام نداولها لوجوه من المصالح وليعلم الّذين آمنوا متميزين بالإيمان عن غيرهم، وعلى هذا يكون (يعلم) بمعنى يعرف، لأنّه ليس المعنى أنّه يعرف الذوات، بل المعنى أنّه يعلم تميّزها بالإيمان، ويجوز أن يكون المعنى

ليعلم الله الّذين آمنوا بما يظهر من صبرهم على جهاد عدوّهم، أي يعاملهم معاملة من يعرفهم بهذه الحال، وقيل: معناه وليعلم أولياء الله الّذين آمنوا، وإنّما أضاف إلى نفسه تفخيماً ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾ أي ليكرم منكم بالشهادة من قتل يوم أُحد، أو يتّخذ منكم شهداء على النّاس بما يكون منهم من العصيان لما لكم في ذلك من جلالة القدر ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي وليبتلي الله الّذين آمنوا، أو لينجيهم من الذنوب بالابتلاء ﴿وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي ينقصهم أو يهلكهم.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ﴾ المراد به الإنكار، أي أظننتم أيّها المؤمنون أنكم تدخلون الجنّة ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ أي ولمّا يجاهد المجاهدون منكم فيعلم الله جهادهم، ويصبر الصابرون فيعلم صبرهم على القتال ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ﴾ وذلك أنّ قوماً ممّن فاتهم شهود بدر كانوا يتمنّون الموت بالشهادة بعد بدر قبل أُحد، فلمّا رأوه يوم أُحد اعرض كثير منهم عنه فانهزموا فعاتبهم الله على ذلك ﴿مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ﴾ الضميران راجعان إلى الموت والمراد أسبابه كالحرب، وقيل: راجعان إلى الجهاد ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ تأكيد للرؤية أو النظر بمعنى التفكّر، وقيل: معناه وأنتم تنظرون إلى محمّد ﷺ وفيه حذف، أي فلم انهزمتم ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ قال أهل التفسير: سبب نزول هذه الآية أنّه لمّا أرجف بأن النبيّ ﷺ قتل يوم أُحد وأشيع ذلك قال الناس: لو كان نبيّاً لما قتل، وقال آخرون: نقاتل على ما قاتل عليه حتّى نلحق به، وارتدّ بعضهم، وانهزم بعضهم، وكان سبب انهزامهم وتضعضعهم إخلال الرماة لمكانهم من الشعب، وكان رسول الله ﷺ نهاهم عن الاخلال به، وأمّر عبد الله بن جبير وهو أخو خوات بن جبير على الرماة وهم خمسون رجلاً، وقال: لا تبرحوا مكانكم فإنّا لن نزال غالبين ما ثبتّم بمكانكم، وجاءت قريش على ميمنتهم خالد بن الوليد، وعلى ميسرتهم عكرمة بن أبي جهل، ومعهم النساء يضربن بالدفوف، وينشدون الاشعار فقالت هند:

نحن بنات طارق نمشي على النمارق
إنّ تقبلوا نعانق أو تدبروا نفارق
فراق غير وامق

وكان أبوعامر عبد عمرو بن الصيفي أوّل من لقيهم بالأحابيش وعبيد أهل مكّة فقاتلهم قتالاً شديداً. وحميت الحرب، فقال رسول الله ﷺ: «من يأخذ بهذا السيف بحقّه ويضرب به العبيد حتّى ينحني» فأخذه أبو دجانة سماك بن خرشة الأنصاريّ، فلمّا أخذ السيف اعتمّ بعمامة حمراء وجعل يفتخر ويقول:

أنا الّذي عاهدني خليلي أن لا أُقيم الدهر في الكبول
أضرب بسيف الله والرسول

فقال رسول الله ﷺ: «إنّها لمشية يبغضها الله تعالى إلاّ في هذا الموضع» ثمّ حمل النبيّ ﷺ وأصحابه على المشركين فهزموهم، وقتل عليّ بن أبي طالب عليه السلام أصحاب اللواء، وأنزل الله نصرته على المسلمين. قال الزبير: فرأيت هنداً وصواحبها هاربات مصعدات في الجبال نادية خدّامهنّ، ما دون أخذهن شيء، فلمّا نظرت الرماة إلى القوم قد انكشفوا ورأوا النبيّ ﷺ وأصحابه ينتهبون الغنيمة أقبلوا يريدون النهب واختلفوا، فقال بعضهم: لا نترك أمر رسول الله ﷺ، وقال بعضهم: ما بقي من الأمر شيء، ثمّ انطلقوا عامّتهم وألحقوا بالعسكر، فلمّا رأى خالد بن الوليد قلّة الرماة واشتغال المسلمين بالغنيمة، ورأى ظهورهم خالية صاح في خيله من المشركين وحمل على أصحاب النبيّ ﷺ من خلفهم فهزموهم وقتلوهم، ورمى عبد الله بن قميئة الحارثيّ رسول الله ﷺ بحجر فكسر أنفه ورباعيته وشجّه في وجهه فأثقله، وتفرّق عنه أصحابه، وأقبل يريد قتله، فذبّ مصعب بن عمير وهو صاحب راية رسول الله ﷺ يوم بدر ويوم أحد وكان اسم رايته العقاب عن رسول الله ﷺ حتّى قتل مصعب بن عمير قتله ابن قميئة فرجع وهو يرى أنّه قتل رسول الله ﷺ، وقال: إنّي قتلت محمداً، وصاح صائح، ألا إن محمّداً قد قتل، ويقال: إنّ الصائح كان إبليس لعنه الله، فانكفأ النّاس وجعل رسول الله ﷺ يدعو النّاس ويقول: «إليّ عباد الله إليّ عباد الله» فاجتمع إليه ثلاثون رجلاً فحموه حتّى كشفوا عنه المشركين، ورمى سعد بن أبي وقّاص حتّى اندقّت سية قوسه، وأصيبت يد طلحة بن عبيد الله فيبست، وأصيبت عين قتادة بن النعمان يومئذ حتّى وقعت على وجنته، فردّها رسول الله ﷺ مكانها فعادت كأحسن ما كانت، فلمّا انصرف رسول الله ﷺ أدركه أبي بن خلف الجمحيّ وهو يقول: لا نجوتُ إن نجوتَ، فقال القوم يا رسول الله ألا يعطف عليه رجل منّا؟ فقال: دعوه حتّى إذا دنا منه، وكان أبي قبل ذلك يلقى رسول الله ﷺ فيقول: عندي رمكة أعلفها كلّ يوم فرق ذرة أقتلك عليها، فقال رسول الله ﷺ: «بل أنا أقتلك إن شاء الله تعالى» فلمّا كان يوم أحد ودنا منه تناول رسول الله ﷺ الحربة من الحرث بن الصمة ثمّ استقبله فطعنه في عنقه، فخدش خدشة فتدهده عن فرسه، وهو يخور خوار الثور وهو يقول: قتلني محمّد، فاحتمله أصحابه وقالوا: ليس عليك بأس، فقال: بلى لو كانت هذه الطعنة بربيعة ومضر لقتلتهم أليس قال لي: أقتلك؟ فلو بزق عليّ بعد تلك المقالة لقتلني، فلم يلبث إلاّ يوماً حتّى مات، قال: وفشا في النّاس أنّ رسول الله ﷺ قد قتل، فقال بعض المسلمين: ليت لنا رسولاً إلى عبد الله بن أبي فيأخذ لنا أماناً من أبي سفيان، وبعضهم جلسوا وألقوا بأيديهم، وقال أناس من أهل النفاق فالحقوا بدينكم الأوّل وقال أنس بن النضر عمّ أنس بن مالك يا قوم إن كان محمّد قد قتل فإنّ ربّ محمّد لم يقتل، وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله ﷺ فقاتلوا على ما قاتل عليه رسول الله، وموتوا على ما مات عليه، ثمّ قال: اللّهمّ إنّي أعتذر إليك ممّا يقوله هؤلاء،

يعني المنافقين، وأبرأ إليك ممّا جاء به هؤلاء، يعني المنافقين، ثمّ شد بسيفه فقاتل حتّى قتل، ثمّ إنّ رسول الله ﷺ انطلق إلى الصخرة وهو يدعو النّاس، فأوّل من عرف رسول الله ﷺ كعب بن مالك قال: عرفت عينيه تحت المغفر تزهران، فناديت بأعلى صوتي: يا معاشر المسلمين هذا رسول الله، فأشار إليّ أن اسكت فانحازت إليه طائفة من أصحابه فلامهم النبيّ ﷺ على الفرار فقالوا: يا رسول الله فديناك بآبائنا وأمّهاتنا أتانا الخبر أنّك قتلت فرعبت قلوبنا فولّينا مدبرين، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ يعني أنّه بشر اختاره الله لرسالته، وقد مضت قبله رسل بعثوا فأدوا الرسالة ومضوا وماتوا، وقتل بعضهم، وإنّه يموت كما ماتت الرسل، فليس الموت بمستحيل عليه ولا القتل، وقيل: أراد أنّ أصحاب الأنبياء لم يرتدّوا عند موتهم أو قتلهم فاقتدوا بهم ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ﴾ فسمّي الارتداد انقلاباً على العقب وهو الرجوع القهقرى ﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ أي من يرتدد عن دينه ﴿فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ بل مضرّته عائدة عليه ﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ أي المطيعين[١].

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ قال البيضاويّ: أي بمشيئة الله أو بإذنه لملك الموت، والمعنى أنّ لكلّ نفس أجلاً مسمّى في علمه تعالى وقضائه لا يستأخرون ساعةً ولا يستقدمون بالإحجام عن القتال والإقدام عليه ﴿كِتَـٰبًا﴾ مصدر مؤكّد، أي كتب الموت كتاباً ﴿مُّؤَجَّلًا﴾ صفة له، أي موقتاً لا يتقدّم ولا يتأخر ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾ تعريض بمن شغلتهم الغنائم يوم أحد ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾ أي من ثوابها ﴿وَسَنَجْزِى ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شيء من الجهاد ﴿وَكَأَيِّن﴾ أصله (أيّ) دخلت الكاف عليها وصارت بمعنى (كم) والنون تنوين أثبت في الخط على غير قياس ﴿مِّن نَّبِيٍّ﴾ بيان له ﴿قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ ربّانيون علماء أتقياء أو عابدون لربّهم وقيل: جماعات، والربّي منسوب إلى الربّة، وهي الجماعة للمبالغة ﴿فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فما فتروا ولم ينكسر جدّهم لمّا أصابهم من قتل النبيّ أو بعضهم ﴿وَمَا ضَعُفُوا۟﴾ عن العدوّ أو في الدين ﴿وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟﴾ وما خضعوا للعدو ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ فينصرهم ويعظم أمرهم[٢].

قوله تعالى: ﴿إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ قال الطبرسيّ رحمه الله: قيل: نزلت في المنافقين إذ قالوا للمؤمنين يوم أحد عند الهزيمة: ارجعوا إلى إخوانكم وارجعوا إلى دينهم عن عليّ عليه السلام، وقيل: هم اليهود والنصارى، والمعنى إن أصغيتم إلى قول اليهود والمنافقين أنّ محمّداً ﷺ قتل فارجعوا إلى عشائركم ﴿يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ﴾ أي يرجعوكم كفاراً كما كنتم ﴿فَتَنقَلِبُوا۟﴾ أي ترجعوا ﴿خَـٰسِرِينَ﴾ لأنفسكم ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ﴾ اي هو أولى بأن تطيعوه، وهو أولى بنصرتكم ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّـٰصِرِينَ﴾ أي إن اعتدّ بنصر غيره فهو خير ناصر

(١) مجمع البيان، ج ٢ ص ٣٩٨.

(٢) تفسير البيضاوي، ج ١ ص ٢٩٣.

﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قال السدّيّ: لمّا ارتحل أبوسفيان والمشركون يوم أحد متوجهين إلى مكّة قالوا: بئسما صنعنا، قتلناهم حتّى إذا لم يبق منهم إلاّ الشريد تركناهم، ارجعوا فاستأصلوهم، فلمّا عزموا على ذلك ألقى الله في قلوبهم الرعب حتّى رجعوا عمّا همّوا به، فنزلت الآية ﴿الرُّعْبَ﴾ أي الخوف ﴿بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ﴾ أي بشركهم به ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ أي برهاناً وحجة ﴿وَمَأْوَاهُمُ﴾ أي مستقرهم ﴿النَّارُ﴾ يعذبون بها ﴿وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾ أي النّار، وروي أنّ الكفّار دخلوا مكّة كالمنهزمين مخافة أن يكون لرسول الله ﷺ الكرّة عليهم، وقال رسول الله ﷺ «نصرت بالرعب مسيرة شهر».

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ أي وفى لكم بما وعدكم من النصر على عدوّكم في قوله: ﴿بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا﴾ الاية، وذكر ابن عبّاس وغيره أنّ الوعد كان يوم أحد لأنّ المسلمين كانوا يقتلون المشركين حتّى أخلّ الرماة لمكانهم الّذي أمرهم الرسول بالقيام عنده، فأتاهم خالد بن الوليد من ورائهم، وقتل عبد الله بن جبير ومن معه، وتراجع المشركون، وقتل من المسلمين سبعون رجلاً، ونادى منادٍ قتل محمّد، ثمّ منّ الله على المسلمين فرجعوا، وفي ذلك نزلت الآية، فالوعد قول النبيّ ﷺ للرماة: «لا تبرحوا هذا المكان فإنا لا نزال غالبين ما ثبتّم في مكانكم».

﴿إِذْ تَحُسُّونَهُم﴾ أي تقتلونهم ﴿بِإِذْنِهِ﴾ أي بعلمه أو بلطفه ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ﴾ أي جبنتم عن عدوكم ﴿وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ أي اختلفتم ﴿وَعَصَيْتُم﴾ أمر نبيكم في حفظ المكان ﴿مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ﴾ من النصرة على الكفّار وهزيمتهم والغنيمة، وأكثر المفسّرين على أنّ المراد بالجميع يوم أحد، وقال الجبائيّ: إذ تحسّونهم يوم بدر حتّى إذا فشلتم يوم أحد والأوّل أولى، وجواب إذا محذوف، وتقديره حتّى إذا فعلتم ذلك ابتلاكم وامتحنكم ورفع النصرة عنكم ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا﴾ يعني الغنيمة، وهم الّذين أخلوا المكان الّذي رتبهم النبيّ ﷺ فيه ﴿وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ أراد عبد الله بن جبير، ومن ثبت مكانه ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ﴾ فيه وجوه:

أحدها: أنّهم كانوا فريقين منهم من عصى بانصرافه، ومنهم من لم يعص، لأنّهم قلّوا بعد انهزام تلك الفرقة فانهزموا بإذن الله لئلاّ يقتلوا، لأنّ الله أوجب ثبات المائة للمائتين، فإذا نقصوا لا يجب عليهم ذلك، فجاز أن يذكر الله الفريقين بأنّه صرفهم «وعفى عنهم» يعني صرف بعضهم، وعفى عن بعض عن الجبائيّ.

وثانيها: أنّ معناه رفع النصر عنكم ووكلكم إلى أنفسكم بخلافكم للنبيّ عليه السلام فانهزمتم عن جعفر بن حرب.

وثالثها: أنّ معناه لم يأمركم بمعاودتهم من فورهم ﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ بالمظاهرة في الانعام عليكم والتخفيف عنكم عن البلخيّ ﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ أي يعاملكم معاملة المختبر ﴿وَلَقَدْ عَفَا

عَنكُمْ﴾ أي صفح عنكم بعد أن خالفتم أمر الرسول، وقيل: عفا عنكم تتبعهم بعد أن أمركم بالتتبّع لهم عن البلخيّ، قال لمّا بلغوا حمراء الاسد عفا عنهم من ذلك ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي ذو نعمة ومنّ عليهم بنعم الدنيا والدين، وروى الواقديّ، عن سهل بن سعد الساعديّ قال: خرج رسول الله ﷺ يوم أحد وكسرت رباعيته، وهشمت البيضة على رأسه، وكانت فاطمة بنته عليها السلام تغسل عنه الدم وعليّ بن أبي طالب عليه السلام يسكب عليها بالمجنّ، فلمّا رأت فاطمة عليها السلام أنّ الماء لا يزيد الدم إلاّ كثرة أخذت قطعة حصير فأحرقته حتّى إذا صار رماداً ألزمته الجرح فاستمسك الدم[1].

﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾ قال البيضاويّ: متعلّق بصرفكم، أو ليبتليكم، أو بمقدّر كاذكر، والإصعاد: الذهاب والإبعاد في الأرض ﴿وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ﴾ لا يقف أحد لأحد ولا ينتظره ﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ﴾ كان يقول: «إليّ عباد الله أنا رسول الله من يكرُّ فله الجنة».

﴿فِي أُخْرَاكُمْ﴾ في ساقتكم وجماعتكم الأخرين ﴿فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ﴾ عطف على صرفكم، والمعنى فجازاكم الله على فشلكم وعصيانكم غمّاً متّصلاً بغمّ من الاغتمام بالقتل والجرح وظفر المشركين والارجاف بقتل الرسول ﷺ، أو فجازاكم غمّاً بسبب غمّ أذقتموه رسول الله ﷺ بعصيانكم له لتتمرّنوا على الصبر في الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد على نفع فائتٍ، ولا ضرّ لاحق، وقيل: لا مزيدة، والمعنى لتأسفوا على ما فاتكم من الظفر والغنيمة، وعلى ما أصابكم من الجرح والهزيمة عقوبةً لكم، وقيل: الضمير في ﴿فَأَثَابَكُمْ﴾ للرسول ﷺ، أي واساكم في الاغتمام فاغتمّ بما نزل عليكم كما اغتممتم بما نزل عليه ولم يثربكم على عصيانكم تسليةً لكم ﴿لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ من النصر ﴿وَلَا﴾ على ﴿مَا أَصَابَكُمْ﴾ من الهزيمة ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ عالم بأعمالكم وبما قصدتم بها ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾ أنزل الله عليكم الأمن حتّى أخذكم النعاس، وعن أبي طلحة: غشينا النعاس في المصاف حتّى كان السيف يسقط من يد أحدنا فيأخذه، ثمّ يسقط فيأخذه، والأمنة: الأمن، نصب على المفعول، و﴿نُّعَاسًا﴾ بدل منها، أو هو المفعول و﴿أَمَنَةً﴾ حال منه متقدّمة أو مفعول له، أو حال من المخاطبين بمعنى ذوي أمنة أو على أنّه جمع آمن ﴿يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِّنكُمْ﴾ أي النعاس[2].

قال الطبرسيّ رحمه الله: وكان السبب في ذلك توعّد المشركين لهم بالرجوع إلى القتال، فقعد المسلمون تحت الحجف متهيّئين للحرب، فأنزل الله الأمنة على المؤمنين فناموا دون المنافقين الّذين أزعجهم الخوف بأن يرجع الكفّار عليهم، أو يغيروا على المدينة لسوء الظنّ فطير عنهم النوم[3].

---

(١) مجمع البيان، ج ٢ ص ٤١٣.
(٢) تفسير البيضاوي، ج ١ ص ٢٩٦.
(٣) مجمع البيان، ج ٢ ص ٤٢٠.

وقال البيضاويّ: ﴿وَطَآئِفَةٌ﴾ هم المنافقون ﴿قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ أوقعتهم أنفسهم في الهموم أو ما يهمّهم إلّا هم أنفسهم وطلب خلاصها ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ صفة أخرى لطائفة، أو حال أو استئناف على وجه البيان لما قبله، و﴿غَيْرَ الْحَقِّ﴾ نصب على المصدر، أي يظنّون بالله غير ظن الحقّ الّذي يحق أن يظن به، و﴿ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ بدله، وهو الظنّ المختص بالملّة الجاهليّة وأهلها ﴿يَقُولُونَ﴾ أي لرسول الله ﷺ وهو بدل يظنّون: ﴿هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ﴾ هل لنا ممّا أمر الله ووعد من النصر والظفر نصيب قط، وقيل: أخبر ابن أبي بقتل بني الخزرج فقال ذلك، والمعنى أنّا منعنا تدبير أنفسنا وتصريفها باختيارنا فلم يبق لنا من الأمر شيء، أو هل يزول عنّا هذا القهر فيكون لنا من الأمر شيء ﴿قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ أي الغلبة الحقيقيّة لله ولأوليائه، فإنّ حزب الله هم الغالبون، أو القضاء له يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، وهو اعتراض ﴿يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾ حال من ضمير ﴿يَقُولُونَ﴾ أي يقولون مظهرين أنّهم مسترشدون طالبون للنصر مبطنين الإنكار والتكذيب ﴿يَقُولُونَ﴾ في أنفسهم أو إذا خلا بعضهم إلى بعض، وهو بدل من ﴿يُخْفُونَ﴾ أو استئناف على وجه البيان له ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ كما وعد محمّد ﷺ، وزعم أنّ الأمر كلّه لله ولأوليائه، أو لو كان لنا اختيار وتدبير لم نبرح كما كان رأي أبيّ وغيره ﴿مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾ ما غلبنا، ولما قتل من قتل منّا في هذه المعركة ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ أي لخرج الّذين قدّر الله عليهم القتل وكتب في اللوح المحفوظ إلى مصارعهم، ولم تنفع الاقامة بالمدينة، ولم ينج منه أحد ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ ليمتحن ما في صدوركم ويظهر سرائرها من الإخلاص والنفاق، وهو علّة فعل محذوف أي وفعل ذلك ليبتلي، أو عطف على محذوف، أي لبرز لنفاذ القضاء، أو لمصالح جمّة ولابتلاء أو على قوله: ﴿لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا﴾.

﴿وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ وليكشفه ويميّزه أو يخلصه من الوساوس ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بخفيّاتها قبل إظهارها، وفيه وعد ووعيد وتنبيه على أنّه غنيّ عن الابتلاء، وإنّما فعل ذلك لتمرين المؤمنين، وإظهار حال المنافقين ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ يعني إنّ الّذين انهزموا يوم أحد إنّما كان السبب في انهزامهم أنّ الشيطان طلب منهم الزلل فأطاعوه واقترفوا ذنوباً بترك المركز والحرص على الغنيمة أو الحياة فمنعوا التأييد وقوّة القلب لمخالفة النبيّ ﷺ، وقيل: استزلال الشيطان تولّيهم، وذلك بسبب ذنوب تقدّمت لهم، فإنّ المعاصي يجر بعضها بعضاً كالطاعة، وقيل: استزلهم بذكر ذنوب سلفت منهم وكرهوا القتل قبل إخلاص التوبة والخروج من المظلمة ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ لتوبتهم واعتذارهم ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ للذنوب ﴿حَلِيمٌ﴾ لا يعاجل بعقوبة المذنب كي يتوب ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني المنافقين ﴿وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾ لأجلهم وفيهم، ومعنى أخوّتهم اتّفاقهم في النسب أو في المذهب ﴿إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ﴾ إذا

سافروا فيها وأبعدوا للتجارة أو غيرها ﴿أَوْ كَانُوا غُزًّى﴾ جمع غاز ﴿لَّوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾ مفعول قالوا ﴿لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ متعلّق بقالوا على أنّ اللام لام العاقبة، أو بلا تكونوا أي لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول والاعتقاد ليجعله حسرة في قلوبهم خاصّة فذلك إشارة إلى ما دلّ عليه قولهم من الاعتقاد، وقيل: إلى ما دلّ عليه النهي، أي لا تكونوا مثلهم، ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم، فإنّ مخالفتهم ومضادّتهم ممّا يغمّهم ﴿وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ ردّ لقولهم، أي هو المؤثّر في الحياة والممات، لا الاقامة والسفر، فإنّه تعالى قد يحيي المسافر والغازي، ويميت المقيم والقاعد ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ تهديد للمؤمنين على أن يماثلوهم ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ﴾ أي في سبيله ﴿لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ جواب القسم وهو سادّ مسدّ الجزاء، والمعنى أنّ السفر والغزو ليس ممّا يجلب الموت وتقدّم الأجل وإن وقع ذلك في سبيل الله فما ينالون من المغفرة والرحمة بالموت خير ممّا يجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم يموتوا ﴿وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ﴾ على أي وجه اتفق هلاككم ﴿لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾ لإلى معبودكم الّذي توجهتم إليه، وبذلتم مهجتكم لوجهه، لا إلى غيره لا محالة تحشرون فيوفّي أجوركم ويعظّم ثوابكم ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ ما مزيدة للتأكيد، والدليل على أنّ لينه لهم ما كان إلاّ برحمة من الله وهو ربطه على جأشه وتوفيقه للرفق بهم حين اغتمّ لهم بعد أن خالفوه ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا﴾ سيّئ الخلق جافياً ﴿غَلِيظَ الْقَلْبِ﴾ قاسيه ﴿لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ لتفرّقوا عنك ولم يسكنوا إليك ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ فيما يختصّ بك ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ فيما لله ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ أي في أمر الحرب، إذ الكلام فيه أو فيما يصحّ أن يشاور فيه استظهاراً برأيهم، وتطييباً لنفوسهم وتمهيداً سنّة المشاورة للأمّة ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾ فإذا وطنت نفسك على شيء بعد الشورى[١].

وقال الطبرسيّ تغمده الله: ورووا عن جعفر بن محمد عليه السلام وعن جابر بن يزيد (فإذا عزمتُ) بالضم، فعلى هذا يكون معناه فإذا عزمت لك ووفقتك وأرشدتك ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾[٢].

قال البيضاويّ: في إمضاء أمرك على ما هو أصلح لك، فإنّه لا يعلمه سواه ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ فينصرهم ويهديهم إلى الصلاح ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ﴾ كما نصركم يوم بدر ﴿فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ فلا يغلبكم أحد ﴿وَإِن يَخْذُلْكُمْ﴾ كما خذلكم يوم أحد ﴿فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ﴾ من بعد خذلانه، أو من بعد الله ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ فليخصّوه بالتوكّل عليه لما علموا أن لا ناصر سواه وآمنوا به[٣].

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾ قال الطبرسيّ: روي عن ابن عبّاس وابن جبير أنّها نزلت في قطيفة حمراء فقدت يوم بدر من المغنم، فقال بعضهم: لعلّ النبيّ صلى الله عليه وآله أخذها.

---

(١) تفسير البيضاوي، ج ١ ص ٢٩٧. (٢) مجمع البيان، ج ٢ ص ٤٢٨.

(٣) تفسير البيضاوي، ج ١ ص ٢٩٩.

وفي رواية الضحّاك قال: إنّ رجلاً غلّ بمخيط، أي بإبرة من غنائم هوازن يوم حنين فنزلت الآية.

وعن مقاتل: أنّها نزلت في غنائم أحد حين تركت الرماة المركز طلباً للغنيمة وقالوا: نخشى أن يقول رسول الله ﷺ: من أخذ شيئاً فهو له ولا يقسّم كما لم يقسّم يوم بدر، ووقعوا في الغنائم، فقال ﷺ: «أظننتم أنّا نغلّ ولا نقسّم لكم» فأنزل الله الآية، وقيل: إنّه قسّم الغنيمة ولم يقسم للطلائع، فلمّا قدمت الطلائع قالوا: أقسّم الفيء ولم يقسم لنا؟ فعرّفه الله الحكم فيه، ونزلت الآية، وقيل: نزلت في أداء الوحي كان ﷺ يقرأ القرآن وفيه عيب دينهم وسبّ آلهتهم، فسألوه أن يطوي ذلك عنهم فنزلت[1].

وقال البيضاويّ: أي وما صحّ لنبيّ أن يخون في الغنائم فإنّ النبوّة تنافي الخيانة ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ يأت بالذي غلّه يحمله على عنقه كما جاء في الحديث، أو بما احتمل من وباله وإثمه ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ يعطي جزاء ما كسبت وافياً ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ فلا ينقص ثواب مطيعهم، ولا يزاد في عقاب عاصيهم[2].

﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾ قال الطبرسيّ: أي حين أصابكم القتل والجرح وذلك ما أصاب المسلمين يوم أحد، فإنّه قتل منهم سبعون رجلاً وكانوا أصابوا من المشركين يوم بدر مثليها، فإنّهم كانوا قتلوا من المشركين سبعين رجلاً، وأسروا سبعين، وقيل: قتلتم منهم ببدر سبعين، وبأحد سبعين، وهذا ضعيف فإنّه لا خلاف بينهم أنّه قتل منهم بأحد نفر يسير ﴿قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا﴾ أي من أي وجه أصابنا هذا ونحن مسلمون، وفينا رسول الله ﷺ وينزل عليه الوحي، وهم مشركون؟ وقيل: إنّهم إنّما استنكروا ذلك لأنّه وعدهم بالنصر من الله إن أطاعوه ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ أي ما أصابكم من الهزيمة والقتل من عند أنفسكم بخلافكم أمر ربّكم وترككم طاعة الرسول ﷺ، وفيه أقوال: أحدها: أنّ ذلك مخالفتهم الرسول ﷺ في الخروج من المدينة للقتال يوم أحد، وكان النبيّ ﷺ دعاهم أن يتحصنوا بها ويدعو المشركين إلى أن يقصدوهم فيها، فقالوا: كنّا نمتنع من ذلك في الجاهليّة ونحن الآن في الإسلام، وأنت يا رسول الله بيننا أحقّ بالامتناع وأعزّ.

وثانيها: أنّ ذلك باختيارهم الفداء من الأسرى يوم بدر، وكان الحكم فيهم القتل، وشرط عليهم إن قبلتم الفداء قتل منكم في القابل بعدّتهم، قالوا: رضينا، فإنّا نأخذ الفداء فننتفع به، وإذا قتل منّا فيما بعد كنّا شهداء، عن عليّ عليه السلام وعبيدة السلمانيّ، وهو المرويّ عن الباقر عليه السلام.

وثالثها: أنّ ذلك بخلاف الرماة يوم أحد لما أمرهم رسول الله ﷺ به من ملازمة مراكزهم.

---

(١) مجمع البيان، ج ٢ ص ٤٣٢.

(٢) تفسير البيضاوي، ج ١ ص ٣٠٠.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي فهو قادر على نصركم فيما بعد، وإن لم ينصركم في الحال لمخالفتكم ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ﴾ أيها المؤمنون ﴿يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ جمع المسلمين وجمع المشركين يوم أحد بقتل من قتل منكم ﴿فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي بعلم الله، وقيل: بتخلية الله بينكم وبينهم الّتي تقوم مقام الإطلاق في الفعل برفع الموانع والتمكين من الفعل الّذي يصحّ معه التكليف، وقيل: بعقوبة الله لتركهم أمر رسول الله ﷺ ﴿وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ أي وليميّز المؤمنين من المنافقين ﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾ أي للمنافقين ﴿تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قالوا: إنّ عبد الله بن أُبيّ والمنافقين معه من أصحابه انخذلوا يوم أحد بنحو من ثلاثمائة رجل، وقالوا: علام نقتل أنفسنا؟ وقال لهم عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاريّ: تعالوا قاتلوا في سبيل الله واتّقوا ولا تخذلوا نبيكم ﴿أَوِ ادْفَعُوا﴾ عن حريمكم وأنفسكم إن لم تقاتلوا في سبيل الله، وقيل: معناه، وأقيموا معنا، كثّروا سوادنا ﴿قَالُوا﴾ أي المنافقون[1].

﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ﴾ قال البيضاويّ: أي لو نعلم ممّا يصلح أن يسمّى قتالاً لاتّبعناكم فيه، لكن ما أنتم عليه ليس بقتال، بل إلقاء بالأنفس إلى التهلكة أو لو نحسن قتالاً لاتّبعناكم، وإنّما قالوا ذلك دغلاً واستهزاء ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ لانخزالهم وكلامهم هذا، فإنّهما أوّل أمارة ظهرت منهم مؤذنة بكفرهم، وقيل: هم لأهل الكفر أقرب نصرة منهم لأهل الإيمان ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ يظهرون خلاف ما يضمرون لا تواطئ قلوبهم ألسنتهم بالإيمان ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ من النفاق وبما يخلو به بعضهم إلى بعض ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾ أي لأجلهم، يريد من قتل يوم أحد من أقاربهم أو من جنسهم ﴿وَقَعَدُوا﴾ مقدّراً بقد، أي قالوا قاعدين عن القتال ﴿لَوْ أَطَاعُونَا﴾ في القعود ﴿مَا قُتِلُوا﴾ كما لم نقتل ﴿قُلْ فَادْرَءُوا﴾ الآية أي إن كنتم صادقين أنكم تقدرون على دفع القتل عمّن كتب عليه فادفعوا عن أنفسكم الموت وأسبابه فإنّه أحرى بكم، والمعنى أنّ القعود غير مغن فإنّ أسباب الموت كثيرة، وكما أنّ القتال يكون سبباً للهلاك والقعود سبباً للنجاة قد يكون الأمر بالعكس[2].

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا﴾ قال الطبرسيّ: قيل: نزلت في شهداء بدر، وقيل: في شهداء أحد وكانوا سبعين، أربعة من المهاجرين: حمزة، ومصعب بن عمير وعثمان بن شماس، وعبدالله ابن جحش، وسائرهم من الأنصار، وقال الباقر عليه السلام وكثير من المفسّرين: إنّها تتناول قتلى بدر وأحد معاً، وقيل: نزلت في شهداء بئر معونة[3] ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ قال رحمه الله: لمّا انصرف أبو سفيان وأصحابه من غزاة أحد فبلغوا الروحاء ندموا على انصرافهم عن المسلمين وتلاوموا، قالوا: لا محمّداً قتلتم، ولا الكواعب أردفتم، قتلتموهم حتّى إذا لم يبق إلاّ الشريد

---

(١) مجمع البيان، ج ٢ ص ٤٣٦.
(٢) تفسير البيضاوي، ج ١ ص ٣٠٢.
(٣) مجمع البيان، ج ٢ ص ٤٤٠.

تركتموهم، ارجعوا فاستأصلوهم، فبلغ ذلك الخبر رسول الله ﷺ فأراد أن يرهب العدوّ ويريهم من نفسه وأصحابه قوّة، فندب أصحابه للخروج في طلب أبي سفيان، وقال: «ألا عصابة تشدد لأمر الله تطلب عدوّها فإنّها أنكأ للعدوّ وأبعد للسمع» فانتدب عصابة منهم مع ما بهم من القرح والجرح الّذي أصابهم يوم أحد، ونادى منادي رسول الله ﷺ: ألا لا يخرجنّ معنا أحد إلاّ من حضر يومنا بالأمس، وإنّما خرج رسول الله ﷺ ليرهب العدوّ وليبلغهم أنّه خرج في طلبهم فيظنّوا به قوّة، وأن الّذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوّهم فينصرفوا فخرج في سبعين رجلاً حتّى بلغ حمراء الأسد وهو من المدينة على ثمانية أميال.

وروى محمّد بن إسحاق بن يسار عن عبد الله بن خارجة، عن زيد بن ثابت، عن أبي السائب أنّ رجلاً من أصحاب النبيّ ﷺ من بني عبد الأشهل كان شهد أحداً، قال: شهدت أحداً أنا وأخ لي فرجعنا جريحين، فلمّا أذّن مؤذّن رسول الله ﷺ بالخروج في طلب العدوّ قلنا: لا تفوتنا غزوة مع رسول الله ﷺ والله ما لنا دابّة نركبها، وما منّا إلاّ جريح ثقيل، فخرجنا مع رسول الله ﷺ وكنت أيسر جرحاً من أخي، فكنت إذا غلب حملته عقبة، ومشى عقبة حتّى بلغنا مع رسول الله ﷺ حمراء الأسد. فمرّ برسول الله ﷺ معبد الخزاعيّ بحمراء الأسد وكانت خزاعة مسلمهم وكافرهم عينة رسول الله ﷺ بتهامة صفقتهم معه لا يخفون عنه شيئاً، ومعبد يومئذ مشرك، فقال: والله يا محمّد لقد عزّ علينا مصابك في قومك وأصحابك، ولوددنا أنّ الله كان أعفاك فيهم، ثمّ خرج من عند رسول الله ﷺ حتّى لقي أبا سفيان ومن معه بالروحاء وأجمعوا الرجعة إلى رسول الله ﷺ، وقالوا: قد أصبنا جلّ أصحابه وقادتهم وأشرافهم، ثمّ رجعنا قبل أن نستأصلهم، فلمّا رأى أبو سفيان معبداً قال: ما وراءك يا معبد؟ قال: محمّد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قطّ، يتحرّقون عليكم تحرّقاً وقد اجتمع عليه من كان تخلف عنه في يومكم، وندموا على ضيعتهم وفيهم من الحنق عليكم ما لم أر مثله قطّ، قال: ويلك ما تقول؟ فقال: والله ما أراك ترتحل حتّى ترى نواصي الخيل، قال: فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصلهم قال: فوالله إنّي لأنهاك عن ذلك، فوالله لقد حملني ما رأيت على أنّ قلت أبياتاً فيه من شعر، قال: وما قلت؟ قال قلت:

كادت تهدّ من الأصوات راحلتي ... إذ سالت الأرض بالجرد الأبابيل
تردي بأسد كرام لا تنابلة ... عند اللقاء ولا خرقٍ معازيل
فظلتُ عدواً أظنّ الأرض مائلةً ... لمّا سموا برئيس غير مخذول
وقلت: وي لابن حرب من لقائكم ... إذا تغطمطت البطحاء بالجيل
إنّي نذير لأهل السير ضاحيةً ... لكلّ ذي إربة منهم ومعقول
من جيش أحمد لا وخش تنابلةٍ ... وليس يوصف ما أثبت بالقيل

قال: فثنى ذلك أبا سفيان ومن معه، ومرّ به ركب من عبد القيس فقال: أين تريدون؟

قالوا: نريد المدينة نريد الميرة، فقال: فهل أنتم مبلّغون عنّي محمّداً رسالة أرسلكم بها إليه، وأحمل لكم إبلكم هذه زبيباً بعكاظ غداً إذا وافيتمونا؟ قالوا: نعم، قال: إذا جئتموه فأخبروه أنا قد أجمعنا الكرّة إليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيّتهم، وانصرف أبو سفيان، ومرّ الركب برسول الله ﷺ وهو بحمراء الأسد فأخبروه بقول أبي سفيان، فقال رسول الله ﷺ وأصحابه: حسبنا الله ونعم الوكيل، ثمّ انصرف رسول الله ﷺ بعد الثالثة إلى المدينة وقد ظفر في وجهه ذلك بمعاوية بن المغيرة بن العاص، وأبي غرة الجمحيّ، هذا قول أكثر المفسّرين، وقال مجاهد وعكرمة: نزلت هذه الآيات في غزاة بدر الصغرى، وذلك أنّ أبا سفيان قال يوم أحد حين أراد أن ينصرف: يا محمّد موعدنا بيننا وبينك موسم بدر الصغرى، لقابل إن شئت، فقال رسول الله ﷺ: ذلك بيننا وبينك، فلمّا كان العام المقبل خرج أبو سفيان في أهل مكّة حتّى نزل مجنّة من ناحية من مرّ الظهران، ثمّ ألقى الله عليه الرعب فبدا له في الرجوع، فلقي نعيم بن مسعود الأشجعيّ، وقد قدم معتمراً، فقال له أبو سفيان: إنّي واعدت محمّداً وأصحابه أن نلتقي بموسم بدر الصغرى. وإنّ هذه عام جدب فلا يصلح لنا إلاّ عام نرعى فيه الشّجر، ونشرب فيه اللّبن، وقد بدا لي أن لا أخرج إليها وأكره أن يخرج محمّد ولا أخرج أنا فيزيدهم ذلك جرأة، فألحق بالمدينة فثبّطهم ولك عندي عشرة من الإبل أضعها على يدي سهيل بن عمرو، فأتى نعيم المدينة فوجد النّاس يتجهّزون لميعاد أبي سفيان، فقال لهم: بئس الرأي رأيتم، أتوكم في دياركم وقراركم، فلم يفلت منكم إلاّ شريد، فتريدون أن تخرجوا وقد جمعوا لكم عند الموسم، فوالله لا يفلت منكم أحد، فكره أصحاب رسول الله ﷺ الخروج، فقال رسول الله ﷺ: والّذي نفسي بيده لأخرجنّ ولو وحدي فأمّا الجبان فإنّه رجع، وأمّا الشجاع فإنّه تأهّب للقتال، وقال: حسبنا الله ونعم الوكيل، فخرج رسول الله ﷺ في أصحابه حتّى وافوا بدر الصغرى وهو ماء لبني كنانة، وكان موضع سوق لهم في الجاهليّة يجتمعون إليها في كلّ عام ثمانية أيّام، فأقام ببدر ينتظر أبا سفيان، وقد انصرف أبو سفيان من مجنّة إلى مكّة فسمّاهم أهل مكّة جيش السويق، وقالوا: إنّما خرجتم تشربون السويق، ولم يلق رسول الله ﷺ وأصحابه أحد من المشركين ببدر، ووافقوا السّوق، وكانت لهم تجارات فباعوها، وأصابوا الدرهم درهمين، وانصرفوا إلى المدينة سالمين غانمين. وقد روى ذلك أبو الجارود عن الباقر عليه السلام المعنى.

﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ أي أطاعوا الله في أوامره وأطاعوا رسوله ﴿مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ﴾ أي نالهم الجراح يوم أحد ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ﴾ بطاعة رسول الله ﷺ وإجابته إلى الغزو ﴿وَٱتَّقَوْا۟﴾ معاصي الله ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ أي ثواب جزيل ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾ في المعنيّ بالناس الأوّل ثلاثة أقوال: أحدها: أنّهم الركب الّذين دسّهم أبو سفيان إلى المسلمين ليجبنوهم عند منصرفهم من أحد، لمّا أرادوا الرجوع إليهم، عن ابن عبّاس وابن إسحاق، وقد مضت قصّتهم.

والثاني: أنّه نعيم بن مسعود الأشجعيّ، وهو قول أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام.

والثالث: أنّهم المنافقون عن السدّي.

﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ﴾ المعني به أبو سفيان وأصحابه عند أكثر المفسّرين أي جمعوا جموعاً كثيرة لكم، وقيل: جمعوا الآلات والرحال، وإنّما عبّر بلفظ الواحد عن الجمع في قوله: ﴿قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾ لأمرين:

أحدهما أنّه قد جاءهم من جهة النّاس، فأقيم كلامه مقام كلامهم، وسمّي باسمهم.

والآخر أنّه لتفخيم الشأن ﴿فَٱخْشَوْهُمْ﴾ أي فخافوهم، ثمّ بيّن سبحانه أنّ ذلك القول زادهم إيماناً وثباتاً على دينهم، وإقامةً على نصر نبيّهم، بأن قال: ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾ أي كافينا الله ووليّنا وحفيظنا والمتولّي لأمرنا ﴿وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ أي نعم الكافي والمعتمد والملجأ الّذي يوكل إليه الأمور ﴿فَٱنقَلَبُوا۟﴾ أي فرجع النبيّ صلى الله عليه وآله ومن معه من أصحابه ﴿بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ﴾ أي بعافية من السوء وتجارة رابحة ﴿لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾ أي قتل، عن السدّي ومجاهد، وقيل: النعمة ههنا: الثبوت على الإيمان في طاعة الله، والفضل: الربح في التجارة، عن الزجّاج، وقيل: أقلّ ما يفعله الله تعالى بالخلق فهو نعمة، وما زاد على ذلك فهو الموصوف بأنّه فضل، والفرق بين النعمة والمنفعة أنّ النعمة لا تكون نعمة إلاّ إذا كانت حسنة، والمنفعة قد تكون حسنة، وقد تكون قبيحةً، وهذا لأنّ النعمة تستحقّ بها الشكر، ولا يستحقّ الشكر بالقبيح ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ﴾ بالخروج إلى لقاء العدوّ ﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ على المؤمنين[1].

قوله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾ أقول: قد مرّ تفسيره في باب جوامع الغزوات.

قوله: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟﴾ أي لا تضعفوا، قال الطبرسيّ: قيل نزلت في الذهاب إلى بدر الصغرى لموعد أبي سفيان يوم أحد، وقيل: نزلت يوم أحد في الذهاب خلف أبي سفيان وعسكره إلى حمراء الأسد.

قال ابن عبّاس وعكرمة: لمّا أصاب المسلمون ما أصابهم يوم أحد وصعد النبيّ صلى الله عليه وآله الجبل جاء أبو سفيان فقال: يا محمّد لنا يوم، ولكم يوم، فقال صلى الله عليه وآله: أجيبوه، فقال المسلمون: لا سواء قتلانا في الجنّة، وقتلاكم في النّار، فقال أبو سفيان: لنا عزّى ولا عزّى لكم. فقال النبيّ صلى الله عليه وآله قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم.

فقال أبو سفيان: اعل هبل. فقال النبيّ صلى الله عليه وآله قولوا: الله أعلى وأجلّ.

فقال أبو سفيان: موعدنا وموعدكم بدرالصغرى، ونام المسلمون وبهم الكلوم، وفيهم نزلت ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ﴾ الآية، وفيهم نزلت ﴿إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ﴾ الآية، لأنّ الله تعالى أمرهم

(١) مجمع البيان، ج ٢ ص ٤٤٦.

على ما بهم من الجراح أن يتبعوهم، وأراد بذلك إرهاب المشركين، فخرجوا إلى حمراء الأسد وبلغ المشركين ذلك فأسرعوا حتّى دخلوا مكّة.

﴿فِي ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ﴾ أي في طلب المشركين ﴿إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ﴾ مما ينالكم من الجراح منهم ﴿فَإِنَّهُمْ﴾ يعني المشركين ﴿يَأْلَمُونَ﴾ أيضاً ممّا ينالهم منكم من الجراح والأذى ﴿كَمَا تَأْلَمُونَ﴾ من جراحهم وأذاهم ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ﴾ الظفر عاجلاً والثواب آجلاً على ما ينالكم منهم ﴿مَا لَا يَرْجُونَ﴾ على ما ينالهم منكم[1].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ﴾ قد مرّ تفسيره في باب قصّة بدر.

توضيح: قميئة كسفينة مهموز، اعل هبل، أي صر عالياً بغلبة عابديك على منكريك، والطارق: النجم، أي آباؤنا في الشرف والعلوّ كالنجم والنمارق جمع النمرقة بضمّ النون والراء وكسرها، وهي الوسادة، والوامق: المحبّ، أي نفارقكم فراق المعادي لا فراق المحبّ، والمراد المفارقة والمعانقة بعد الحرب، إذا كان الخطاب لأصحابه، وإن كان للمسلمين فالمراد المعانقة عند الحرب. والأحابيش هم أحياء من القارة انضمّوا إلى بني ليث في محاربتهم قريشاً، والتحبّش: التجمّع، وقيل: حالفوا قريشاً تحت جبل يسمّى حبشيّاً فسمّي بذلك، والكبول القصير، وفي بعض النسخ: الدهر في الكيّول بالياء المثناة التحتانيّة، وهو كعيّوق: آخر الصفوف، وهو أصوب، أي أن لا أقيم في جميع دهري وعمري في آخر الصفوف، بل أتقدّمها. والكواعب جمع الكاعب وهي الجارية حين يبدو ثديها للنهود، أردفتم، أي لم تأسروهنّ فتجعلوهنّ خلفكم على الإبل لتذهبوا بهنّ، والشريد: الطريد المتفرّق المنهزم، ويقال: نكيت في العدوّ: إذا أكثرت فيهم الجراح والقتل فوهنوا لذلك، وقد يهمز، وأبعد للسمع، أي يذهب الخبر به إلى البلاد البعيدة فيصير سبباً لرعبهم، فكنت إذا غلب، أي غلبه الوجع حمله، عقبة أي نوبة، عينة رسول الله ﷺ، أي جاسوسه، وفي بعض النسخ بالباء الموحدة، وفي القاموس: العيبة من الرجل: موضع سرّه، وهو أظهر.

صفقتهم، أي بيعتهم معه، أعفاك فيهم، أي لم يأمرك بقتالهم، يتحرّقون عليكم، أي يلتهبون غيظاً، أو يحكّون أسنانهم عليكم غضباً، تهدّ راحلتي، أي تقع وتخرّ، من هدّ الحائط: إذا وقع. والجرد بالضمّ جمع الجريدة، وهي من الخيل جماعة جردت من سائرها لوجه، أو هو جمع الأجرد، يقال: فرس أجرد: إذا رقّت شعرته وقصرت، وهو مدح. والأبابيل: الجماعات الكثيرة، ويقال: جاءت إبلك أبابيل، أي فرقاً. تردي أي الجرد، يقال: ردى الفرس يردي: إذا رجم الأرض بحوافره رجماً بين العدو والمشي الشديد، بأسد أي مع أسد. والتنابلة جمع تنبل كدرهم، أو تنبال بالكسر، وهما القصير، ولعلّه استعير

---

(١) مجمع البيان، ج ٣ ص ١٧٩.

للجبان أو الكسلان كما هو المعروف في لغة العجم. والخرق بالضمّ: جمع الأخرق، وهو من لا يحسن العمل، والمعاذيل جمع المعذال، وقيل: المعذول وهو الملوم.

وعَدواً مصدر لفعل محذوف، أي اعدوا عدواً حال كوني أظنّ الأرض مائلة.

لما سموا، أي علوا برئيس وهو الرسول. والغطمطة: اضطراب موج البحر، وغليان الصدور، والتغطمط: صوت معه بحح. والبطحاء: مسيل واسع فيه دقاق الحصى. والجيل بالكسر: الصنف من النّاس، وفي بعض النسخ بالخاء ويقال: فعله ضاحية، أي علانيةً، والإربة بالكسر: الحيلة. والمعقول: العقل، يقال: عقل يعقل عقلاً ومعقولاً، والوخش بفتح الواو وسكون الخاء المعجمة: الردي من كلّ شيء، ورزال النّاس وسقاطهم، للواحد والجمع والمذكّر والمؤنث، وفي بعض النسخ بالحاء المهملة، أي ليسوا بمستوحشين، والأوّل أظهر والقيل بالكسر: القول.

١ - كا: محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن عليّ بن الحكم، عن الحسين بن عثمان، عن ابن مسكان، عن أبان بن تغلب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله صلّى على حمزة وكفّنه لأنّه كان جرّد[١].

٢ - يه: استشهد حنظلة بن أبي عامر الراهب بأحد فلم يأمر النبيّ صلى الله عليه وآله بغسله، وقال: رأيت الملائكة بين السماء والأرض تغسل حنظلة بماء المزن في صحاف من فضّة، فكان يسمّى غسيل الملائكة[٢].

٣ - فس: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ فإنّه حدّثني أبي، عن صفوان، عن ابن مسكان، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سبب نزول هذه الآية أنّ قريشاً خرجت من مكّة تريد حرب رسول الله، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله يبتغي موضعاً للقتال.

قوله: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا﴾ نزلت في عبد الله بن أبيّ وقوم من أصحابه اتبعوا رأيه في ترك الخروج والقعود عن نصرة رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: وكان سبب غزوة أحد أنّ قريشاً لمّا رجعت من بدر إلى مكّة وقد أصابهم ما أصابهم من القتل والأسر، لأنّه قتل منهم سبعون، وأسر منهم سبعون، فلمّا رجعوا إلى مكّة قال أبو سفيان: يا معشر قريش لا تدعوا نساءكم يبكين على قتلاكم، فإنّ البكاء والدمعة إذا خرجت أذهبت الحزن والحرقة والعداوة لمحمّد، ويشمت بنا محمّد وأصحابه، فلمّا غزوا رسول الله صلى الله عليه وآله يوم أحد أذنوا لنسائهم بعد ذلك في البكاء والنوح، فلمّا أرادوا أن يغزوا رسول الله إلى أحد ساروا في حلفائهم من كنانة وغيرها فجمعوا الجموع والسلاح، وخرجوا من مكّة في ثلاثة آلاف فارس، وألفي راجل،

(١) الكافي، ج ٣ ص ١٠٨، باب ١٤٦، ح ١.
(٢) من لا يحضره الفقيه، ج ١ ح ٤٤٥.

وأخرجوا معهم النساء يذكرتهم ويحثثنهم على حرب رسول الله ﷺ، وأخرج أبو سفيان هند بنت عتبة، وخرجت معهم عمرة بنت علقمة الحارثيّة، فلمّا بلغ رسول الله ﷺ ذلك جمع أصحابه و[أخبرهم أن الله قد] أخبره أنّ قريشاً قد تجمّعت تريد المدينة، وحثّ أصحابه على الجهاد والخروج، فقال عبد الله بن أُبيّ وقوم: يا رسول الله لا تخرج من المدينة حتّى نقاتل في أزقّتها، فيقاتل الرجل الضعيف والمرأة والعبد والأمة على أفواه السكك وعلى السطوح، فما أرادنا قوم قطّ فظفروا بنا ونحن في حصوننا ودورنا، وما خرجنا إلى أعدائنا قطّ إلاّ كان الظفر لهم علينا، فقام سعد بن معاذ وغيره من الأوس فقالوا: يا رسول الله ما طمع فينا أحد من العرب ونحن مشركون نعبد الأصنام، فكيف يطمعون فينا وأنت فينا، لا حتّى نخرج إليهم فنقاتلهم، فمن قتل منّا كان شهيداً، ومن نجا منّا كان قد جاهد في سبيل الله، فقبل رسول الله قوله، وخرج مع نفر من أصحابه يبتغون موضعاً للقتال كما قال الله: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ إلى قوله: ﴿إِذْ هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا﴾ يعني عبد الله بن أُبيّ وأصحابه، فضرب رسول الله عسكره ممّا يلي طريق العراق، وقعد عنه عبد الله بن أُبيّ وقومه وجماعة من الخزرج اتّبعوا رأيه، ووافت قريش إلى أحد، وكان رسول الله ﷺ عدّ أصحابه وكانوا سبعمائة رجل، فوضع عبد الله بن جبير في خمسين من الرماة على باب الشعب، وأشفق أن يأتي كمينهم من ذلك المكان، فقال رسول الله ﷺ لعبدالله بن جبير وأصحابه: «إن رأيتمونا قد هزمناهم حتى أدخلناهم مكّة فلا تبرحوا من هذا المكان، وإن رأيتموهم قد هزمونا حتّى أدخلونا المدينة فلا تبرحوا والزموا مراكزكم» ووضع أبو سفيان عليه اللعنة خالد بن الوليد عليه اللعنة في مأتي فارس كميناً، فقال له: إذا رأيتمونا قد اختلطنا بهم فاخرجوا عليهم من هذا الشعب حتّى تكونوا من ورائهم، فلمّا أقبلت الخيل واصطفّوا وعبّأ رسول الله ﷺ أصحابه دفع الراية إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فحملت الأنصار كلّهم على مشركي قريش فانهزموا هزيمةً قبيحةً، ووقع أصحاب رسول الله ﷺ في سوادهم، وانحطّ خالد بن الوليد في مأتي فارس، فلقي عبد الله بن جبير فاستقبلوهم بالسهام، فرجع، ونظر أصحاب عبد الله بن جبير إلى أصحاب رسول الله ﷺ ينتهبون سواد القوم، قالوا لعبد الله بن جبير: ما يقيمنا ههنا وقد غنموا أصحابنا ونبقى نحن بلا غنيمة؟ فقال لهم عبد الله: اتّقوا الله، فإنّ رسول الله ﷺ قد تقدّم إلينا أن لا نبرح، فلم يقبلوا منه، وأقبل ينسلّ رجل فرجل حتّى أخلوا مراكزهم وبقي عبد الله بن جبير في اثني عشر رجلاً، وقد كانت راية قريش مع طلحة بن أبي طلحة العبدريّ من بني عبد الدار، فبرز ونادى: يا محمّد تزعمون أنكم تجهزونا بأسيافكم إلى النّار ونجهزكم بأسيافنا إلى الجنّة، فمن شاء أن يلحق بجنّته فليبرز إلي، فبرز إليه أمير المؤمنين عليه السلام وهو يقول:

يا طلح إن كنتم كما تقولُ لكم خيولٌ ولنا نصولُ

فاثبت لننظر أينا المقتول وأيّنا أولى بما تقولُ
فقد أتاك الأسد الصؤولُ
بصارم ليس به فلولُ ينصره القاهر والرسولُ

فقال طلحة: من أنت يا غلام؟ قال: أنا عليّ بن أبي طالب، قال: قد علمت يا قضم، أنّه لا يجسر عليّ أحد غيرك، فشدّ عليه طلحة فضربه فاتّقاه أمير المؤمنين عليه السلام بالحجفة، ثمّ ضربه أمير المؤمنين على فخذيه فقطعهما جميعاً فسقط على ظهره، وسقطت الراية، فذهب عليّ عليه السلام ليجهز عليه فحلّفه بالرحم فانصرف عنه فقال المسلمون: إلا أجهزت عليه؟ قال: قد ضربته ضربة لا يعيش منها أبداً، ثمّ أخذ الراية أبو سعيد بن أبي طلحة، فقتله عليّ عليه السلام، وسقطت رايته إلى الأرض فأخذها عثمان بن أبي طلحة فقتله عليّ وسقطت الراية إلى الأرض فأخذها مسافع بن أبي طلحة، فقتله عليّ عليه السلام، وسقطت الراية إلى الأرض فأخذها الحارث بن أبي طلحة فقتله عليّ عليه السلام، وسقطت الراية إلى الأرض فأخذها عزيز بن عثمان، فقتله عليّ عليه السلام، وسقطت الراية إلى الأرض فأخذها عبد الله بن جميلة بن زهير، فقتله عليّ عليه السلام وسقطت الراية إلى الأرض، فقتل أمير المؤمنين التاسع من بني عبد الدار وهو أرطاة بن شرحبيل مبارزة، وسقطت الراية إلى الأرض فأخذها مولاهم صواب فضربه أمير المؤمنين عليه السلام على يمينه فقطعها، وسقطت الراية إلى الأرض فأخذها بشماله، فضربه أمير المؤمنين عليه السلام على شماله فقطعها، فسقطت الراية إلى الارض، فاحتضنها بيديه المقطوعين، ثمّ قال: يا بني عبد الدار هل أعذرت فيما بيني وبينكم؟ فضربه أمير المؤمنين عليه السلام على رأسه فقتله، وسقطت الراية إلى الارض، فأخذتها عمرة بنت علقمة الحارثيّة فنصبتها، وانحطّ خالد بن الوليد على عبد الله بن جبير وقد فرّ أصحابه وبقي في نفر قليل فقتلوهم على باب الشعب، واستقفوا المسلمين فوضعوا فيهم السيف، ونظرت قريش في هزيمتها إلى الراية قد رفعت فلاذوا بها وأقبل خالد بن الوليد يقتلهم، وانهزم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله هزيمةً قبيحةً، وأقبلوا يصعدون في الجبال وفي كلّ وجه، فلمّا رأى رسول الله صلى الله عليه وآله الهزيمة كشف البيضة عن رأسه فقال: «إليّ إنّي أنا رسول الله، إلى أين تفرّون عن الله وعن رسوله؟».

وحدّثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن هشام، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه سئل عن معنى قول طلحة بن أبي طلحة لمّا بارزه عليّ عليه السلام: يا قضم، قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان بمكّة لم يجسر عليه أحد لموضع أبي طالب، وأغروا به الصبيان، وكانوا إذا خرج رسول الله يرمونه بالحجارة والتراب، وشكى ذلك إلى عليّ عليه السلام فقال: بأبي أنت وأمّي يا رسول الله إذا خرجت فأخرجني معك فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه أمير المؤمنين عليه السلام فتعرّض الصّبيان لرسول الله صلى الله عليه وآله كعادتهم، فحمل عليهم أمير المؤمنين عليه السلام، وكان يقضمهم في وجوههم

وآنافهم وآذانهم، فكان الصبيان يرجعون باكين إلى آبائهم ويقولون: قضمنا عليّ، قضمنا عليّ، فسمّي لذلك القُضَم.

وروي عن أبي وائلة شقيق بن سلمة قال: كنت أماشي عمر بن الخطاب إذ سمعت منه همهمة، فقلت له: مه يا عمر، فقال: ويحك أما ترى الهزبر القثم ابن القثم والضارب بالبهم، الشديد على من طغا وبغا بالسيفين والراية، فالتفتُّ فإذا هو عليّ بن أبي طالب فقلت له يا عمر هو عليّ بن أبي طالب، فقال: ادن منّي أحدّثك عن شجاعته وبطالته، بايعنا النبيّ ﷺ يوم أحد على أن لا نفرّ، ومن فرّ منّا فهو ضالّ، ومن قتل منّا فهو شهيد، والنبيّ ﷺ زعيمه، إذ حمل علينا مائة صنديد تحت كلّ صنديد مائة رجل أو يزيدون، فأزعجونا عن طاحونتنا، فرأيت علياً كالليث يتّقي الذر إذ قد حمل كفّاً من حصى فرمى به في وجوهنا، ثمّ قال: «شاهت الوجوه، وقُطّت وبُطّت ولُطّت، إلى أين تفرّون؟ إلى النار؟» فلم نرجع، ثمّ كر علينا الثانية وبيده صفيحة يقطر منها الموت فقال: بايعتم ثمّ نكثتم، فوالله لأنتم أولى بالقتل ممّن أقتل، فنظرت إلى عينيه كأنّهما سليطان يتوقّدان ناراً، أو كالقدحين المملوّين دماً، فما ظننت إلاّ ويأتي علينا كلّنا فبادرت أنا إليه من بين أصحابي فقلت: يا أبا الحسن الله الله، فإنّ العرب تفرّ وتكرّ، وإنّ الكرّة تنفي الفرّة، فكأنّه استحيى، فولّى بوجهه عنّي، فما زلت أسكن روعة فؤادي، فوالله ما خرج ذلك الرعب من قلبي حتّى الساعة، ولم يبق مع رسول الله إلاّ أبو دُجانة سماك بن خرشة وأمير المؤمنين عليه السلام، وكلّما حملت طائفة على رسول الله ﷺ استقبلهم أمير المؤمنين صلوات الله عليه فيدفعهم عن رسول الله، ويقتلهم حتّى انقطع سيفه، وبقيت مع رسول الله ﷺ نسيبة بنت كعب المازنيّة وكانت تخرج مع رسول الله عليه السلام في غزواته تداوي الجرحى، وكان ابنها معها، فأراد أن ينهزم ويتراجع فحملت عليه فقالت: يا بنيّ إلى أين تفرّ؟ عن الله وعن رسوله؟ فردّته فحمل عليه رجل فقتله، فأخذت سيف ابنها، فحملت على الرجل فضربته على فخذه فقتلته، فقال رسول الله ﷺ: «بارك الله عليك يا نسّيبة».

وكانت تقي رسول الله ﷺ بصدرها وثدييها حتّى أصابتها جراحات كثيرة، وحمل ابن قميئة على رسول الله ﷺ فقال: أروني محمّداً، لا نجوتُ إن نجا، فضربه على حبل عاتقه ونادى: قتلت محمّداً واللّات والعزّى، ونظر رسول الله ﷺ إلى رجل من المهاجرين قد ألقى ترسه خلف ظهره وهو في الهزيمة، فناداه: «يا صاحب الترس ألق ترسك ومر إلى النّار» فرمى بترسه، فقال رسول الله ﷺ: يا نسيبة خذي الترس، فأخذت الترس، وكانت تقاتل المشركين. فقال رسول الله ﷺ: «لمقام نسيبة أفضل من مقام فلان وفلان وفلان».

فلما انقطع سيف أمير المؤمنين عليه السلام جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنّ الرجل يقاتل بالسلاح، وقد انقطع سيفي، فدفع إليه رسول الله ﷺ سيفه ذا الفقار، فقال:

قاتل بهذا، ولم يكن يحمل على رسول الله ﷺ أحد إلاّ استقبله أمير المؤمنين عليه السلام، فإذا رأوه رجعوا، فانحاز رسول الله ﷺ إلى ناحية أحد، فوقف، وكان القتال من وجه واحد، وقد انهزم أصحابه، فلم يزل أمير المؤمنين عليه السلام يقاتلهم حتى أصابه في وجهه ورأسه وصدره وبطنه ويديه ورجليه تسعون جراحة فتحاموه، وسمعوا منادياً من السماء: لا سيف إلاّ ذو الفقار، ولا فتى إلاّ عليّ.

فنزل جبرئيل على رسول الله ﷺ فقال: يا محمّد هذه والله المواساة، فقال رسول الله ﷺ: لأنّي منه وهو منّي، فقال جبرئيل: وأنا منكما.

وكانت هند بنت عتبة في وسط العسكر فكلّما انهزم رجل من قريش دفعت إليه ميلاً ومكحلةً، وقالت: إنّما أنت امرأة فاكتحل بهذا.

وكان حمزة بن عبد المطّلب يحمل على القوم، فإذا رأوه انهزموا ولم يثبت له أحد، وكانت هند بنت عتبة عليها اللعنة قد أعطت وحشياً عهداً: لئن قتلت محمّداً أو علياً أو حمزة لأعطينّك رضاك، وكان وحشيّ عبداً لجبير بن مطعم حبشياً، فقال وحشيّ: أمّا محمّد فلا أقدر عليه، وأمّا عليّ فرأيته رجلاً حذراً كثير الالتفات فلم أطمع فيه، فكمنت لحمزة فرأيته يهدّ النّاس هدّاً، فمرّ بي فوطئ على جرف نهر فسقط فأخذت حربتي فهززتها ورميته فوقعت في خاصرته وخرجت من مثانته فسقط، فأتيته فشققت بطنه فأخذت كبده وجئت بها إلى هند فقلت لها: هذه كبد حمزة، فأخذتها في فمها فلاكتها فجعلها الله في فيها مثل الداغصة فلفظتها ورمت بها فبعث الله ملكاً فحمله ورده إلى موضعه.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: أبى الله أن يدخل شيئاً من بدن حمزة النار.

فجاءت إليه هند فقطعت مذاكيره، وقطعت أذنيه، وجعلتهما خرصين، وشدّتهما في عنقها، وقطعت يديه ورجليه، وتراجع النّاس، فصارت قريش على الجبل فقال أبو سفيان وهو على الجبل: اعل هبل.

فقال رسول الله ﷺ لأمير المؤمنين: قل له: الله أعلى وأجلّ.

فقال: يا عليّ إنّه قد أنعم علينا.

فقال عليّ: بل الله أنعم علينا.

ثم قال: يا عليّ أسألك باللّات والعزّى هل قتل محمد؟ فقال له: لعنك الله ولعن اللّات والعزّى معك، والله ما قتل وهو يسمع كلامك، قال: أنت أصدق، لعن الله ابن قميئة، زعم أنه قتل محمّداً.

وكان عمرو بن قيس قد تأخر إسلامه فلمّا بلغه أنّ رسول الله ﷺ في الحرب أخذ سيفه وترسه وأقبل كالليث العادي يقول: أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمّداً رسول الله، ثمّ خالط القوم فاستشهد، فمرّ به رجل من الأنصار فرآه صريعاً بين القتلى، فقال: يا عمرو وأنت على

دينك الأوّل؟ قال: لا والله، إنّي أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأن محمّداً رسول الله، ثمّ مات، فقال رجل من أصحاب رسول الله ﷺ: يا رسول الله إنّ عمرو بن ثابت قد أسلم وقتل فهو شهيد؟ قال: إي والله شهيد، ما رجل لم يصلّ لله ركعة دخل الجنّة غيره.

وكان حنظلة بن أبي عامر رجل من الخزرج تزوّج في تلك اللّيلة الّتي كانت صبيحتها حرب أُحد بنت عبد الله بن أُبيّ بن سلول، ودخل بها في تلك الليلة، واستأذن رسول الله ﷺ أن يقيم عندها، فأنزل الله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُواْ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ﴾ فأذن له رسول الله ﷺ، وهذه الآية في سورة النور، وأخبار أُحد في سورة آل عمران، فهذا الدليل على أنّ التأليف على خلاف ما أنزل الله.

فدخل حنظلة بأهله ووقع عليها، فأصبح وخرج وهو جنب، فحضر القتال، فبعثت امرأته إلى أربعة نفر من الأنصار لمّا أراد حنظلة أن يخرج من عندها وأشهدت عليه أنّه قد واقعها، فقيل لها: لم فعلت ذلك؟ قالت: رأيت في هذه اللّيلة في نومي كأنّ السماء قد انفرجت فوقع فيها حنظلة، ثمّ انضمّت، فعلمت أنّها الشهادة، فكرهت أن لا أشهد عليه فحملت منه فلمّا حضر القتال نظر إلى أبي سفيان على فرس يجول بين العسكر فحمل عليه فضرب عرقوب فرسه فاكتسعت الفرس، وسقط أبوسفيان إلى الأرض وصاح يا معشر قريش أنا أبو سفيان وهذا حنظلة يريد قتلي، وعدا أبو سفيان ومرّ حنظلة في طلبه، فعرض له رجل من المشركين فطعنه فمشى إلى المشرك في طعنه فضربه فقتله، وسقط حنظلة إلى الأرض بين حمزة وعمرو بن الجموح وعبد الله بن حزام وجماعة من الأنصار فقال رسول الله ﷺ: «رأيت الملائكة تغسل حنظلة بين السماء والأرض بماء المزن في صحائف من ذهب» فكان يسمّى غسيل الملائكة.

وروي أنّ مغيرة بن العاص كان رجلاً أعسر فحمل في طريقه إلى أُحد ثلاثة أحجار، فقال: بهذه أقتل محمداً، فلمّا حضر القتال نظر إلى رسول الله ﷺ وبيده السيف فرماه بحجر فأصاب به رسول الله ﷺ فسقط السيف من يده، فقال قتلته واللّات والعزّى، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: كذب لعنه الله، فرماه بحجر آخر، فأصاب جبهته، فقال رسول الله: «اللّهمّ حيّره» فلما انكشف النّاس تحيّر فلحقه عمّار بن ياسر فقتله، وسلّط الله على ابن قمئة الشجر، فكان يمرّ بالشجر فيقع في وسطها فتأخذ من لحمه، فلم يزل كذلك حتّى صار مثل الصرّ ومات لعنه الله.

ورجع المنهزمون من أصحاب رسول الله ﷺ فأنزل الله على رسوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ﴾ يعني ولمّا ير، لأنه عزّ وجلّ قد علم قبل ذلك من يجاهد ومن لا يجاهد، فأقام العلم مقام الرؤية، لأنّه يعاقبهم بفعلهم لا بعلمه.

قوله تعالى. ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ﴾ الآية وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام

في قوله: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ﴾ فإنّ المؤمنين لمّا أخبرهم الله بالذي فعل بشهدائهم يوم بدر ومنازلهم من الجنّة رغبوا في ذلك، فقالوا: اللّهمّ أرنا قتالاً نستشهد فيه، فأراهم الله إياه يوم أحد، فلم يثبتوا إلاّ من شاء الله منهم، فذلك قوله: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ﴾ الآية.

وأما قوله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ الآية فإنّ رسول الله ﷺ لمّا خرج يوم أحد وعهد العاهد به على تلك الحال، فجعل الرجل يقول لمن لقيه: إنّ رسول الله ﷺ قد قتل، النجاء، فلمّا رجعوا إلى المدينة أنزل الله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ إلى قوله: ﴿انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ يقول إلى الكفر.

قوله: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ يقول كأيّن من نبيّ قبل محمّد قتل معه ربيّون كثير، والربيّون: الجموع الكثيرة، والربّة الواحدة: عشرة آلاف ﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ من قتل نبيّهم ﴿وَمَا ضَعُفُوا﴾ إلى قوله: ﴿وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا﴾ يعنون خطاياهم.

قال عليّ بن إبراهيم في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني عبد الله بن أبيّ، حيث خرج مع رسول الله ﷺ ثمّ رجع يجبن أصحابه ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ يعني قريشاً ﴿بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ﴾.

قوله: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ يعني ان ينصركم عليهم ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ﴾ إذ تقتلونهم بإذن الله ﴿مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ﴾ أي ما كانوا أحبوا وسألوا من الشهادة ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا﴾ يعني أصحاب عبد الله بن جبير الّذين تركوا مراكزهم ومرّوا للغنيمة ﴿وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ يعني عبد الله بن جبير وأصحابه الّذين بقوا حتّى قتلوا ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ أي يختبركم ثمّ ذكر المنهزمين من أصحاب رسول الله ﷺ فقال: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ﴾ فأمّا الغمّ الأوّل فالهزيمة والقتل، والغم الآخر فإشراف خالد بن الوليد عليهم. يقول: ﴿لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ من الغنيمة ﴿وَلَا مَا أَصَابَكُمْ﴾ يعني قتل إخوانهم ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ﴾ قال: يعني الهزيمة، وتراجع أصحاب رسول الله المجروحون وغيرهم فأقبلوا يعتذرون إلى رسول الله ﷺ فأحبّ الله أن يعرّف رسوله ﷺ من الصادق منهم ومن الكاذب، فأنزل الله عليهم النعاس في تلك الحالة حتّى كانوا يسقطون إلى الأرض، وكان المنافقون الّذين يكذّبون لا يستقرّون قد طارت عقولهم وهم يتكلّمون بكلام لا يفهم عنهم، فأنزل الله عليه: ﴿يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِّنكُمْ﴾ يعني المؤمنين ﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ﴾ قال الله لمحمّد: ﴿إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا

﴿قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾ يقولون: لو كنا في بيوتنا ما أصابنا القتل، قال الله: ﴿لَوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ فأخبر الله رسوله ما في قلوب القوم ومن كان منهم مؤمناً، ومن كان منهم منافقاً كاذباً بالنعاس، فأنزل الله عليه: ﴿مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ يعني المنافق الكاذب من المؤمن الصادق بالنعاس الّذي ميّز بينهم.

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ أي خدعهم حتّى طلبوا الغنيمة ﴿بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ قال: بذنوبهم ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ ثم قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني عبد الله بن أبيّ وأصحابه الّذين قعدوا عن الحرب ﴿وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ﴾ إلى قوله: ﴿بَصِيرٌ﴾ ثم قال لنبيّه ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ أي انهزموا ولم يقيموا معك، ثمّ قال تأديباً لرسوله: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾ فصدق الله، لم يكن الله ليجعل نبياً غالاً ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ من غل شيئاً رآه يوم القيمة في النّار، ثمّ يكلّف أن يدخل إليه فيخرجه من النّار ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

قوله: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ فهذه الآية لآل محمد عليهم السلام.

قوله: ﴿هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ يقول: بمعصيتكم أصابكم ما أصابكم.

قوله: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فهم ثلاثمائة منافق رجعوا مع عبد الله بن أُبيّ بن سلول فقال لهم جابر بن عبد الله: أنشدكم الله في نبيكم ودينكم ودياركم، فقالوا: والله لا يكون القتال اليوم، ولو نعلم أنّه يكون قتال لاتّبعناكم يقول الله: ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ الآية هـ

فلما سكن القتال قال رسول الله ﷺ: من له علم بسعد بن الربيع؟ فقال رجل: أنا أطلبه، فأشار رسول الله ﷺ إلى موضع فقال: اطلبه هناك فإنّي قد رأيته في ذلك الموضع قد شرّعت حوله اثنا عشر رمحاً، قال فأتيت ذلك الموضع فإذا هو صريع بين القتلى، فقلت: يا سعد فلم يجبني، ثمّ قلت يا سعد فلم يجبني فقلت: يا سعد إنّ رسول الله ﷺ قد سأل عنك، فرفع رأسه فانتعش كما ينتعش الفرخ، ثمّ قال: إنّ رسول الله ﷺ لحيّ؟ قلت: إي والله إنّه لحيّ، وقد أخبرني أنّه رأى حولك اثني عشر رمحاً فقال: الحمد لله، صدق رسول الله ﷺ، قد طعنت اثني عشر طعنة كلّها قد جافتني، أبلغ قومي الأنصار السلام وقل لهم: والله ما لكم عند الله عذر إن تشوك رسول الله ﷺ شوكة وفيكم عين تطرف، ثمّ تنفّس فخرج منه مثل دم الجزور، وقد كان احتقن في جوفه، وقضى نحبه رحمه الله.

ثمّ جئت إلى رسول الله ﷺ وأخبرته فقال: «رحم الله سعداً نصرنا حيّاً وأوصى بنا ميتاً».

ثم قال رسول الله ﷺ: من له علم بعمّي حمزة؟ فقال له الحارث بن الصمة أنا أعرف موضعه، فجاء حتّى وقف على حمزة فكره أن يرجع إلى رسول الله ﷺ فيخبره، فقال رسول الله ﷺ لأمير المؤمنين عليه السلام: يا عليّ اطلب عمّك، فجاء عليّ عليه السلام فوقف على حمزة فكره أن يرجع إلى رسول الله ﷺ فجاء رسول الله ﷺ حتي وقف عليه، فلمّا رأى ما فعل به بكى، ثمّ قال: والله ما وقفت موقفاً قطّ أغيظ عليّ من هذا المكان، لئن أمكنني الله من قريش لأمثلنّ بسبعين رجلاً منهم، فنزل عليه جبرئيل عليه السلام فقال: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَاصْبِرْ﴾ فقال رسول الله ﷺ: بل أصبر، فألقى رسول الله ﷺ على حمزة بردة كانت عليه، فكانت إذا مدّها على رأسه بدت رجلاه، وإذا مدّها على رجليه بدا رأسه، فمدّها على رأسه وألقى على رجليه الحشيش، وقال: «لولا أنّي أحذر نساء بني عبد المطّلب لتركته للعقبان والسباع حتّى يحشر يوم القيامة من بطون السباع والطير».

وأمر رسول الله ﷺ بالقتلى فجمعوا فصلّى عليهم، ودفنهم في مضاجعهم، وكبّر على حمزة سبعين تكبيرة.

قال: وصاح إبليس بالمدينة: قتل محمّد، فلم يبق أحد من نساء المهاجرين والانصار إلاّ وخرج، وخرجت فاطمة بنت رسول الله ﷺ تعدو على قدميها حتّى وافت رسول الله ﷺ، وقعدت بين يديه، وكان إذا بكى رسول الله ﷺ بكت، وإذا انتحب انتحبت.

ونادى أبو سفيان: موعدنا وموعدكم في عام قابل، فنقتتل، فقال رسول الله ﷺ لأمير المؤمنين عليه السلام قل: نعم، وارتحل رسول الله ﷺ ودخل المدينة واستقبلته النساء يولولن ويبكين، فاستقبلته زينب بنت جحش فقال لها رسول الله ﷺ: احتسبي، فقالت: من يا رسول الله؟ قال: أخاك، قالت ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ هنيئاً له الشهادة، ثمّ قال لها: احتسبي، قالت: من يا رسول الله؟ قال: حمزة بن عبد المطلب، قالت: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ هنيئاً له الشهادة، ثمّ قال لها: احتسبي، قالت: من يا رسول الله؟ قال: زوجك مصعب بن عمير، قالت: وا حزناه، فقال رسول الله ﷺ: إنّ للزوج عند المرأة لحدّاً ما لأحد مثله، فقيل لها: لم قلت ذلك في زوجك؟ قالت: ذكرت يتم ولده.

قال: وتآمرت قريش على أن يرجعوا ويغيروا على المدينة، فقال رسول الله ﷺ: أيّ رجل يأتينا بخبر القوم؟ فلم يجبه أحد، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أنا آتيكم بخبرهم، قال: اذهب فإن كانوا ركبوا الخيل وجنبوا الإبل فهم يريدون المدينة، والله لئن أرادوا المدينة لأنازلنّ الله فيهم، وإن كانوا ركبوا الإبل وجنبوا الخيل فإنّهم يريدون مكّة، فمضى أمير

المؤمنين عليه السلام على ما به من الألم والجراحات، حتّى كان قريباً من القوم فرآهم قد ركبوا الإبل وجنبوا الخيل، فرجع أمير المؤمنين عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبره، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أرادوا مكّة.

فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة نزل عليه جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمّد إنّ الله يأمرك أن تخرج في أثر القوم ولا يخرج معك إلاّ من به جراحة، فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله منادياً ينادي: يامعشر المهاجرين والأنصار من كانت به جراحة فليخرج، ومن لم يكن به جراحة فليقم، فأقبلوا يضمدون جراحاتهم ويداوونها، وأنزل الله على نبيّه: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ﴾ الآية، فهذه الآية في سورة النساء، ويجب أن تكون في هذه السورة.

قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ﴾ الآية، فخرجوا على ما بهم من الألم والجراح، فلمّا بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله حمراء الأسد وقريش قد نزلت الروحاء قال عكرمة بن أبي جهل والحارث بن هشام وعمرو بن العاص وخالد بن الوليد: نرجع فنغير على المدينة، فقد قتلنا سراتهم وكبشهم يعنون حمزة، فوافاهم رجل خرج من المدينة فسألوه الخبر، فقال: تركت محمّداً وأصحابه بحمراء الأسد يطلبونكم أحدّ الطلب، فقال أبو سفيان: هذا النكد والبغي قد ظفرنا بالقوم وبغينا، والله ما أفلح قوم قطّ بغوا، فوافاهم نعيم بن مسعود الأشجعيّ فقال أبو سفيان: أين تريد؟ قال: المدينة لأمتار لأهلي طعاماً، قال: هل لك أن تمرّ بحمراء الأسد وتلقى أصحاب محمّد وتعلمهم أنّ حلفاءنا وموالينا قد وافونا من الأحابيش حتّى يرجعوا عنّا، ولك عندي عشرة قلائص أملأها تمراً وزبيباً؟ قال: نعم، فوافى من غد ذلك اليوم حمراء الأسد، فقال لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله: أين تريدون؟ قالوا: قريشاً، قال: ارجعوا فإنّ قريشاً قد اجتمعت إليهم حلفاؤهم ومن كان تخلّف عنهم وما أظنّ إلاّ وأوائل خيلهم يطلعون عليكم الساعة، فقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، ما نبالي، ونزل جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: ارجع يا محمّد، فإنّ الله قد أرعب قريشاً ومرّوا لا يلوون على شيء، فرجع رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المدينة وأنزل الله: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾ يعني نعيم بن مسعود، فهذا لفظه عامّ، ومعناه خاصّ ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ﴾ الآية.

فلما دخلوا المدينة قال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله: ما هذا الّذي أصابنا وقد كنت تعدنا النصر؟ فأنزل الله تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ﴾ الآية، وذلك أنّ يوم بدر قتل من قريش سبعون، وأسر منهم سبعون وكان الحكم في الأسارى القتل، فقامت الأنصار إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا: يا رسول الله هبهم لنا ولا تقتلهم حتّى نفاديهم، فنزل جبرئيل عليه السلام فقال: إنّ الله قد أباح لهم الفداء أن يأخذوا من هؤلاء ويطلقوهم على أن يستشهد منهم في عام قابل بقدر ما يأخذون منه الفداء، فأخبرهم رسول الله صلى الله عليه وآله بهذا الشرط، فقالوا: قد رضينا به نأخذ العام الفداء من هؤلاء ونتقوّى به، ويقتل منّا في عام قابل بعدد من نأخذ منهم الفداء، وندخل الجنّة،

فأخذوا منهم الفداء وأطلقوهم، فلمّا كان في هذا اليوم وهو يوم أحد قتل من أصحاب رسول الله ﷺ سبعون، فقالوا: يا رسول الله ما هذا الّذي أصابنا وقد كنت تعدنا النصر؟ فأنزل الله: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم﴾ إلى قوله: ﴿هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡ﴾ بما اشترطتم يوم بدر[1].

بيان: الشعب بالكسر: الطريق في الجبل. والكمين كأمير: القوم يكمنون في الحرب، والسواد: المال الكثير، وانسلّ وتسلّل: انطلق في استخفاء، قوله: تجهزونا إمّا من تجهيز المسافر بمعنى تهيئة أسبابه، أو من قولهم: أجهز على الجريح: إذا أثبت قتله وأسرعه وتمّم عليه. قوله: ولنا نصول، أي سهام وسيوف، والصؤول فعول من قولهم: صال على قرنه: إذا سطا واستطال، والصارم: السيف القاطع. وفلول السيف: الكسور الّتي في حدّه. والناصر هو الله تعالى.

وقال الجزريّ: القضم: الأكل بأطراف الأسنان، ومنه حديث عليّ عليه السلام «كانت قريش إذا رأته قالت: احذروا الحطم احذروا القضم» أي الّذي يقضم النّاس فيهلكهم انتهى.

قوله: فقتل أمير المؤمنين عليه السلام التاسع، لعلّ الثامن ترك ذكره من النساخ أو الرّواة، والهمهمة: الكلام الخفيّ، وتردّد الزئير في الصدر من الهمّ، ونحو أصوات البقر والفيلة وشبهها، وكلّ صوت معه بُحح - والهزبر: الأسد، والقثم كزفر: الكثير العطاء، والجموع للخير، والبهم بضمّ الباء وفتح الهاء جمع البهمة بالضمّ، وهي الحيلة الشديدة، والشجاع الّذي لا يدري من أين يؤتى، والصخرة، والجيش، والأنسب هنا الأوّل والآخر. والبطالة بالفتح: الشجاعة، والزعيم: الكفيل. والصنديد بالكسر: السيّد الشجاع. والطاحونة استعيرت هنا لمجتمع القوم ومستقرّهم، وفي القاموس الطحون كصبور: الكتيبة العظيمة، والحرب وشاهت الوجوه أي قبحت، والقطّ: القطع، والبطّ: الشقّ، واللطّ: المنع، والستر، وإلصاق شيء كالطين ونحوه، والصفيحة: السيف العريض، والسليط: الزيت أو دهن السمسم. ويقال: أتى عليه الدهر، أي أهلكه، ومازن أبو قبيلة من تميم، والمراد بفلان وفلان وفلان أبو بكر وعمر وعثمان. ويقال: انحاز عنه: عدل، وانحاز القوم: تركوا مراكزهم. وتحاماه الناس: توقّوه واجتنبوه، والهدّ: الهدم الشديد، والكسر. والجرف بالضمّ وبضمّتين: ما تجرفته السيول، وأكلته من الأرض. والهزّ: التحريك. واللوك: مضغ الشيء الصلب وإدارته في الفم. والداغصة: العظم المدوّر المتحرّك في وسط الركبة. والخُرص بالضمّ ويكسر: حلقة الذهب والفضّة، أو حلقة القرط، أو حلقة الصغيرة من الحلي.

وقال في النهاية: في حديث أحد قال أبو سفيان لمّا انهزم المسلمون وظهروا عليهم: اعل

---

(١) تفسير القمي، ج ١ ص ١١٨-١٣٣.

هبل، فقال عمر: الله أعلى وأجلّ، فقال لعمر: أنعمت فعال عنها، كان الرجل من قريش إذا أراد ابتداء أمر عمد إلى سهمين، فكتب على أحدهما: نعم، وعلى الآخر: لا، ثمّ يتقدم إلى الصنم فيجيل سهامه فإن خرج سهم (نعم) أقدم وإن خرج سهم (لا) امتنع، وكان أبو سفيان لمّا أراد الخروج إلى أحد استفتى هبل فخرج له سهم الإنعام، فذلك قوله: أنعمت فعال عنها، أي تجاف عنها ولا تذكرها بسوء، يعني آلهتهم.

والعرقوب من الدابّة في رجلها بمنزلة الركبة في يدها. واكتسع الفحل: خطر فضرب فخذيه بذنبه، والكلب بذنبه: استثفر وكذا الخيل بأذنابها.

والمزن بالضمّ: السحاب البيض، أو ماء السماء كما سيأتي.

والصحاف جمع الصحفة وهي القصعة، والأعسر هو الّذي يعمل بيده اليسرى، يقال: ليس شيء أشدّ رمياً من الأعسر. والصرّ بالكسر: طائر أصفر كالعصفور، ويقال: عهده وعهد به: إذا لقيه.

وقال في النهاية: في قولهم: النجاء النجاء أي انجوا بأنفسكم، وهو مصدر منصوب بفعل مضمر أي انجوا النجاء، والنجاء: السرعة.

وقال الفيروز آبادي: الربة بالكسر ويضمّ عشرة آلاف.

قوله: قد أجافتني أي دخلت جوفي، ويقال: شاكتني الشوكة، أي أصابتني.

وقال الجزريّ: من مات له ولد فاحتسبه، اي احتسب الأجر بصبره على مصيبته. انتهى.

ويقال: جنبه أي قاده إلى جنبه فهو جنيب ومجنوب.

وقال الجزريّ: في الحديث: نازلت ربّي في كذا، أي راجعته وسألته مرّة بعد مرّة، وهو مفاعلة من النزول عن الأمر، أو من النزال في الحرب، وهو تقابل القرنين انتهى.

والسّراة بفتح السين وقد يضمّ: الأشراف، والأحابيش: الجماعة من الناس ليسوا من قبيلة واحدة. والقلاص جمع القلوص، وهي الشابّة من الإبل.

وقال الجزريّ: فيه فانطلق النّاس لا يلوي أحد على أحد، أي لا يلتفت ولا يعطف عليه، وألوى برأسه ولوّاه: إذا أماله من جانب إلى جانب.

٤ - ل: بإسناده عن عامر بن واثلة في خبر الشورى قال أمير المؤمنين عليه السلام: نشدتكم بالله هل فيكم من قال له جبرئيل: يا محمّد ترى هذه المواساة من عليّ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّه منّي وأنا منه، فقال جبرئيل: «وأنا منكما» غيري؟ قالوا: اللّهمّ لا، قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قتل من بني عبد الدار تسعة مبارزة كلّهم يأخذ اللّواء ثمّ جاء صواب الحبشيّ مولاهم وهو يقول: والله لا أقتل بسادتي إلاّ محمّداً، قد أزبد شدقاه واحمرّت عيناه، فاتّقيتموه وَحُدتُم عنه، وخرجت إليه، فلمّا أقبل كأنه قبّة مبنيّة، فاختلفت أنا وهو ضربتين فقطعته بنصفين، وبقيت رجلاه وعجزه وفخذاه قائمة على الأرض، تنظر إليه المسلمون

ويضحكون منه؟ قالوا: اللّهمّ لا[١].

٥ - ج: عن أبي جعفر عليه السلام في خبر الشورى قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: نشدتكم بالله هل فيكم أحد وقفت الملائكة معه يوم أحد حين ذهب النّاس غيري؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد سقى رسول الله صلى الله عليه وآله من المهراس غيري؟ قالوا: لا[٢].

بيان: قال في النهاية: في الحديث «إنه عطش يوم أحد فجاءه عليّ بماء من المهراس فعافه، وغسل به الدم عن وجهه» المهراس: صخرة منقورة تسع كثيراً من الماء وقد يعمل منه حياض للماء، وقيل: المهراس في هذا الحديث اسم ماء بأحد.

٦ - ل: فيما عدّ أمير المؤمنين عليه السلام على رأس اليهود من محنه عليه السلام في حياة النبي صلى الله عليه وآله وبعد فوته: أمّا الرابعة يا أخا اليهود فإنّ أهل مكّة أقبلوا إلينا على بكرة أبيهم قد استحاشوا من يليهم من قبائل العرب وقريش طالبين بثار مشركي قريش في يوم بدر، فهبط جبرئيل عليه السلام على النبيّ صلى الله عليه وآله فأنبأه بذلك، فذهب النبيّ صلى الله عليه وآله وعسكر بأصحابه في سدّ أحد وأقبل المشركون إلينا فحملوا علينا حملة رجل واحد، واستشهد من المسلمين من استشهد، وكان ممّن بقي ما كان من الهزيمة، وبقيت مع رسول الله صلى الله عليه وآله ومضى المهاجرون والأنصار إلى منازلهم من المدينة كلّ يقول: قتل النبيّ صلى الله عليه وآله وقتل أصحابه، ثمّ ضرب الله عزّ وجلّ وجوه المشركين، وقد جرحت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله نيّفاً وسبعين جرحة، منها هذه وهذه، ثمّ ألقى رداءه وأمرّ يده على جراحاته، وكان منّي في ذلك ما على الله عزّ وجلّ ثوابه إن شاء الله، الخبر[٣].

بيان: قال الجزريّ: في الحديث جاءت هوازن على بكرة أبيها، هذه كلمة للعرب يريدون بها الكثرة وتوفّر العدد، وأنّهم جاؤا جميعاً لم يتخلّف منهم أحد، وليس هناك بكرة حقيقة، وهي الّتي يستقى عليها الماء فاستعيرت في هذا الموضع انتهى. والحوش: الجمع.

٧ - ع: الهمدانيّ، عن عليّ، عن أبيه، عن البزنطيّ وابن أبي عمير معاً، عن أبان بن عثمان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا كان يوم أحد انهزم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى لم يبق معه إلاّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام وأبو دُجانة سماك بن خرشة، فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله: يا أبا دُجانة أما ترى قومك؟ قال: بلى، قال: الحق بقومك قال: ما على هذا بايعت الله ورسوله، قال: أنت في حل، قال: والله لا تتحدث قريش بأنّي خذلتك وفررت حتّى أذوق ما تذوق، فجزاه النبيّ صلى الله عليه وآله خيراً، وكان عليّ عليه السلام كلّما حملت طائفة على رسول الله صلى الله عليه وآله استقبلهم وردّهم حتّى أكثر فيهم القتل والجراحات حتّى انكسر سيفه، فجاء إلى النبيّ صلى الله عليه وآله

---

(١) الخصال، ص ٥٥٦ باب الأربعين فما فوق ح ٣١.

(٢) الاحتجاج، ص ١٣٨.

(٣) الخصال، ص ٣٦٨ باب السبعة ح ٥٨.

فقال: يا رسول الله إنّ الرجل يقاتل بسلاحه وقد انكسر سيفي، فأعطاه عليه السلام سيفه ذا الفقار، فما زال يدفع به عن رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى أُثِرَ وأُنكر، فنزل عليه جبرئيل وقال: يا محمّد إنّ هذه لهي المواساة من عليّ عليه السلام لك، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: إنّه منّي وأنا منه، فقال جبرئيل عليه السلام وأنا منكما، وسمعوا دويّاً من السماء: لا سيف إلاّ ذو الفقار، ولا فتى إلاّ عليّ.

قال الصدوق رحمه الله: قول جبرئيل: وأنا منكما تمنٍّ منه لأن يكون منهما، فلو كان أفضل منه لم يقل ذلك، ولم يتمنَّ أن ينحطّ عن درجته إلى أن يكون ممّن دونه، وإنّما قال: وأنا منكما ليصير ممّن هو أفضل منه، فيزداد محلاً إلى محلّه وفضلاً إلى فضله[1].

بيان: قوله: حتّى أُثر على بناء المجهول، أي أثر فيه الجراحة، وأُنكر أيضاً على بناء المجهول، أي صار بحيث لم يكن يعرفه من يراه من قولهم: أنكره: إذا لم يعرفه.

٨ - **ما:** المفيد، عن محمّد بن المظفّر البزّاز، عن أحمد بن عبيد العطاردي، عن أبي بشر بن بكير، عن زياد بن المنذر، عن أبي عبد الله مولى بني هاشم، عن أبي سعيد الخدريّ قال: لمّا كان يوم أحد شجّ النبيّ صلى الله عليه وآله في وجهه، وكسرت رباعيّته فقام صلى الله عليه وآله رافعاً يديه يقول: إنّ الله اشتدّ غضبه على اليهود أن قالوا: العزير ابن الله، واشتدّ غضبه على النصارى أن قالوا: المسيح ابن الله، وإنّ الله اشتدّ غضبه على من أراق دمي، وآذاني في عترتي[2].

٩ - **ما:** المفيد، عن عليّ بن مالك النحويّ، عن أحمد بن عبد الجبّار، عن بشر بن بكر، عن محمّد بن إسحاق عن مشيخته قال: لمّا رجع عليّ بن أبي طالب عليه السلام من أحد ناول فاطمة سيفه وقال:

أفاطم هاك السيف غير ذميم فلست برعديد ولا بلئيمِ
لعمري لقد أعذرت في نصر أحمد ومرضاة ربّ بالعباد رحيمِ

قال: وسمع يوم أُحد وقد هاجت ريح عاصف كلام هاتف يهتف وهو يقول:

لا سيف إلاّ ذو الفقار ولا فتى إلاّ عليّ
فإذا ندبتم هالكاً فابكوا الوفيّ أخا الوفيّ[3]

بيان: الرعديد بالكسر: الجبان، والمراد بالوفيّ حمزة وهو أخو الوفيّ أبي طالب عليه السلام.

١٠ - **أقول:** روي في الديوان المنسوب إليه عليه السلام بعد البيتين:

أُريد ثواب الله لا شيء غيرهُ ورضوانه في جنّة ونعيمِ

---

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ١٨ باب ٧ ح ٣. (٢) أمالي الطوسي، ص ١٤٢ مجلس ٥ ح ٢٣١.
(٣) أمالي الطوسي، ص ١٤٣ مجلس ٥ ح ٢٣٢.

كنت امرأ أسمو إذا الحرب شمّرت وقامت على ساق بغير مليمِ
أممت ابن عبد الدار حتّى ضربته بذي رونق يفري العظام صميمِ
فغادرته بالقاع فارفضّ جمعه عباديد من ذي قانط وكليمِ
وسيفي بكفّي كالشهاب أهزّه أجزّ به من عاتقٍ وصميمِ
فما زلت حتّى فضّ ربّي جموعهم وأشفيت منهم صدر كلّ حليمِ

١١ - وقال شارح الديوان: لمّا أنشد عليّ عليه السلام هذه الأبيات قال النبيّ صلى الله عليه وآله: خذيه يا فاطمة فقد أدّى بعلك ما عليه، وقد قتل الله صناديد قريش بيديه.

قال: وروى زيد بن وهب، عن ابن مسعود قال: انهزم النّاس يوم أحد إلاّ عليّ وحده، فقلت: إنّ ثبوت عليّ في ذلك المقام لعجب، قال: إن تعجّبت منه فقد تعجّبت الملائكة، أما علمت أنّ جبرئيل قال في ذلك اليوم وهو يعرج إلى السماء: لا سيف إلاّ ذو الفقار، ولا فتى إلاّ عليّ.

وعن عكرمة، عن عليّ عليه السلام قال: قال لي النبيّ صلى الله عليه وآله يوم أحد: أما تسمع مديحك في السماء؟ إنّ ملكاً اسمه رضوان ينادي: لا سيف إلاّ ذو الفقار، ولا فتى إلاّ عليّ.

قال: ويقال: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله نودي في هذا اليوم:

ناد عليّاً مظهرالعجائب تجده عوناً لك في النوائب
كلّ غمّ وهمّ سينجلي بولايتك يا عليّ يا عليّ يا علي

وقال بعضهم: الهمّ عبارة عن الفكر في مكروه يخاف الإنسان حدوثه، ويرجو فواته، فيكون مركّباً من الخوف والرجاء، والغمّ لا فكر فيه، لأنّه إنّما يكون فيما مضى انتهى كلام الشارح.

قوله: يسمو، أي يعلو، وشمّر في الأمر: خفّ على ساق، أي على شدّة. بغير مليم أي بغير فعل يوجب الملامة. أممت أي قصدت. ورونق السيف: ماؤه وحسنه، والفري: القطع، وصمم السيف: إذا مضى في العظم وقطعه. فغادرته، أي تركته، والارفضاض: التفرّق، والعباديد: الفرق من النّاس الذاهبون في كلّ وجه. من ذي قانط، أي جمع فيهم قانطون، وكليم أي جريح، والصميم: العظم الّذي به قوام العضو.

١٢ - مع: أبي، عن سعد، عن أحمد بن محمّد، عن ابن فضّال، عن ابن بكير، عن زرارة قال: ذهبت أنا وبكير مع رجل من ولد عليّ عليه السلام إلى المشاهد حتّى انتهينا إلى أحد فأرانا قبور الشهداء، ثمّ دخل بنا الشعب فمضينا معه ساعة حتّى مضينا إلى مسجد هناك، فقال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله صلّى فيه فصلّينا فيه، ثمّ أرانا مكاناً في رأس جبل فقال: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله صعد إليه فكان يكون فيه ماء المطر، قال زرارة: فوقع في نفسي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لم يصعد إلى ما ثمّ، فقلت: أمّا أنا فإنّي لا أجيء معكم، أنا نائم ههنا حتّى تجيئوا، فذهب هو وبكير،

ثمَّ انصرفوا وجاءوا إليّ، فانصرفنا جميعاً حتّى إذا كان الغد أتينا أبا جعفر عليه السلام، فقال لنا: أين كنتم أمس فإنّي لم أركم، فأخبرناه ووصفنا له المسجد والموضع الّذي زعم أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله صعد إليه فغسل وجهه فيه، فقال أبو جعفر عليه السلام ما أتى رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك المكان قطّ، فقلت له: يروى لنا أنّه كسرت رباعيّته فقال: لا، قبضه الله سليماً، ولكنه شجّ في وجهه فبعث عليّاً فأتاه بماء في حجفة، فعافه رسول الله صلى الله عليه وآله أن يشرب منه وغسل وجهه[1].

١٣ - مع: الطالقاني رضي الله عنه بالري في رجب سنة تسع وأربعين وثلاثمائة قال: حدّثنا أبو بكر محمّد بن القاسم الأنباريّ، عن محمّد بن يونس، عن عبد الرحمن بن عبد الله، عن إسماعيل بن قيس، عن مخذمة بن بكير عن أبي حازم، عن خارجة بن زيد بن ثابت، عن أبيه قال: لمّا كان يوم أحد بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله في طلب سعد بن الربيع، وقال لي: إذا رأيته فاقرئه منّي السلام، وقل له: كيف تجدك؟ قال: فجعلت أطلبه بين القتلى حتّى وجدته بين ضربة بسيف وطعنة برمح ورمية بسهم، فقلت له: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله يقرأ عليك السلام ويقول لك: كيف تجدك؟ فقال سلّم على رسول الله صلى الله عليه وآله، وقل لقومي الأنصار: لا عذر لكم عند الله إن وصل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وفيكم شفر يطرف، وفاضت نفسه.

قال الصدوق رحمه الله: سمعت أبا العبّاس يقول: قال أبو بكر محمّد بن القاسم الأنباريّ: قوله: «فيكم شفر يطرف» الشفر واحد أشفار العين، وهي حروف الاجفان الّتي تلتقي عند التغميض، والأجفان أغطية العينين من فوق ومن تحت، والهدب: الشعر النابت في الأشفار، وشفر العين مضموم الشين، ويقال: ما في الدار شفر بفتح الشين، يراد به أحد، قال الشاعر:

فوالله ما تنفكّ منّا عداوةٌ ولا منهم ما دام من نسلنا شفرُ

وقوله: فاضت نفسه، معناه مات، قال أبو العبّاس: قال أبو بكر الأنباريّ حدّثنا إسماعيل ابن إسحاق القاضي؟ عن نصر بن عليّ، عن الأصمعيّ، عن أبي عمرو بن العلا قال: يقال: فاظ الرجل: إذا مات، ولا يقال: فاظت نفسه، ولا فاضت نفسه وحدّثنا أبو العباس، عن ابن الأنباريّ، عن عبد الله بن خلف قال: حدّثنا صالح بن محمّد بن درّاج قال: سمعت أبا عمرو الشيبانيّ يقول: يقال: فاظ الميّت، ولا يقال: فاظت نفسه. ولا فاضت نفسه.

حدّثنا أبو العباس قال: حدّثنا أبو بكر، قال: أخبرنا أبو العبّاس أحمد بن يحيى، عن سلمة بن عاصم، عن الفرّاء قال: أهل الحجاز وطيّ يقولون: فاظت نفس الرجل، وعكل وقيس وتميم يقولون: فاضت نفسه بالضاد، وأنشد:

يريد رجالٌ يناذونها وأنفسهم دونها فائضة

---

(١) معاني الأخبار، ص ٤٠٦.

وحدّثنا أبو العباس، عن أبي بكر بن الأنباريّ، عن أبيه، عن أبي الحسن الطوسيّ، عن أبي عبيد، عن الكسائيّ قال: يقال: فاضت نفسه، وفاظ الميّت، وأفاظ الله نفسه.

وبالإسناد عن أبي الحسن الطوسيّ ومحمّد بن الحكم، عن الحسن اللحيانيّ، قال: يقال: فاظ الميّت بالظاء، وفاض الميّت بالضاد.

وحدّثنا أبو العباس، عن أبي بكر، عن أبيه، عن عبد الله بن محمّد القميّ، عن يعقوب بن السكّيت قال: يقال: فاظ الميّت يفوظ، وفاظ يفيظ.

وحدّثنا أبو العباس، عن أبي بكر، عن أبيه، عن محمّد بن الجهم، عن الفرّاء قال: يقال: فاظ الميّت نفسه بالظاء، ونصب النفس.

وحدّثنا أبو العباس قال: أنشدنا أبو بكر، قال: أنشدني أبي قال: أنشدنا أبوعكرمة الضبيّ:

وفاظ ابن حصن غانياً في بيوتنا يمارس قدّاً في ذراعيه مصحبا[1]

بيان: قال الجوهريّ: غني بالمكان، أي أقام، وغني أي عاش، وقال: القدّ: الشقّ طولاً: والقدّ أيضاً: جلد السخلة الماعزة، وبالكسر، سير تقدّ من جلد غير مدبوغ وقال المصحب من الزّق: ما الشعر عليه، وقد أصحبته: إذا تركت صوفه أو شعره عليه ولم تعطنه.

١٤ - **فس:** قال رسول الله ﷺ لمّا مرّ بعمرو بن العاص والوليد بن عقبة بن أبي معيط وهما في حائط يشربان ويغنيان بهذا البيت في حمزة بن عبد المطّلب حين قتل:

كم من حواريّ تلوح عظامه وراء الحرب عند أن يجرّ فيقبرا

فقال النبيّ ﷺ: «اللّهمّ العنهما واركسهما في الفتنة ركساً، ودعّهما إلى النّار دعّاً»[2].

بيان: الحواريّ: الناصر، والركس، رد الشيء مقلوباً، والدعّ: الدفع.

١٥ - **يج:** روي أنّ أُبيّ بن خلف قال للنبيّ ﷺ بمكّة: إنّي أعلف العوراء يعني فرساً له، أقتلك عليه، فقال رسول الله ﷺ: لكن، أنا إن شاء الله، فلقي يوم أُحد، فلمّا دنا تناول رسول الله ﷺ الحربة من الحارث بن الصمة فمشى إليه فطعن وانصرف، فرجع إلى قريش وهو يقول: قتلني محمّد، قالوا: وما بك بأس، قال: إنّه قال لي بمكّة: إنّي أقتلك، لو بصق عليّ لقتلني، فمات بشرف[3].

١٦ - **يج:** من معجزاته ﷺ أنّه لمّا كانت وقعة بدر قتل المسلمون من قريش سبعين رجلاً، وأسروا منهم سبعين، فحكم رسول الله بقتل الأسارى وحرق الغنائم فقال جماعة من المهاجرين: إنّ الأسارى هم قومك وقد قتلنا منهم سبعين فأطلق لنا أن نأخذ الفداء من

---

(١) معاني الأخبار، ص ٣٥٩. (٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٠٨.
(٣) الخرائج والجرائح، ج ١ ص ٦٢ ح ١٠٨.

الأسارى والغنائم فتقوى بها على جهادنا، فأوحى الله إليه: إن لم تقتلوا يقتل منكم في العام المقبل في مثل هذا اليوم عدد الأسارى، فأنزل الله: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا﴾[1] فلما كان في العام المقبل وقتل من المسلمين سبعون بعدد الأسارى قالوا: يا رسول الله قد وعدتنا النصر فما هذا الّذي وقع بنا؟ ونسوا الشرط ببدر فأنزل الله: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾ يعني ما كانوا أصابوا من قريش ببدر وقبلوا الفداء من الأسرى ﴿قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾يعني بالشرط الّذي شرطوه على أنفسهم ان يقتل منهم بعدد الأسارى إذا هو أطلق لهم الفداء منهم والغنائم، فكان الحال في ذلك على حكم الشرط، ولمّا انكشفت الحرب يوم أُحد سار أولياء المقتولين ليحملوا قتلاهم إلى المدينة فشدّوهم على الجمال، وكانوا إذا توجّهوا بهم نحو المدينة بركت الجمال، وإذا توجّهوا بهم نحو المعركة أسرعت، فشكوا الحال إلى رسول الله ﷺ فقال: ألم تسمعوا قول الله: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ فدفن كلّ رجلين في قبر إلاّ حمزة فإنّه دفن وحده، وكان أصاب علياً عليه السلام في حرب أُحد أربعون جراحة، فأخذ رسول الله ﷺ الماء على فمه فرشه على الجراحات، فكأنّها لم تكن من وقتها، وكان أصاب عين قتادة سهم من المشركين فسالت الحدقة، فأمسكها النبيّ ﷺ بيده فعادت كأحسن ما كانت.

ومنها: أنّ علياً عليه السلام قال: انقطع سيفي يوم أُحد فرجعت إلى رسول الله ﷺ فقلت: إنّ المرء يقاتل بسيفه، وقد انقطع سيفي، فنظر إلى جريدة نخل عتيقة يابسة مطروحة فأخذها بيده، ثمّ هزّها فصارت سيفه ذا الفقار فناولنيه، فما ضربت به أحداً إلاّ وقدّه بنصفين.

ومنها: أنّ جابراً قال: كان النبيّ ﷺ بمكّة ورجل من قريش يربّي مهراً، كان إذا لقي محمّداً والمهر معه يقول: يا محمد على هذا المهر أقتلك، قال النبيّ ﷺ: أقتلك عليه، قال: بل أقتلك به فوافى أحداً فأخذ النبيّ ﷺ حربة رجل وخلع سنانه ورمى به فضربها على عنقه، فقال: النّار النّار، وسقط ميتاً.

ومنها: أنّ رسول الله ﷺ انتهى إلى رجل قد فوّق سهماً ليرمي بعض المشركين فوضع ﷺ يده فوق السهم وقال: ارمه، فرمى ذلك المشرك به فهرب المشرك من السهم، وجعل يروغ من السهم يمنة ويسرة، والسهم يتبعه حيثما راغ حتّى سقط السهم في رأسه، فسقط المشرك ميتاً. فأنزل الله ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾.

وكان أبو غرّة الشاعر حضر مع قريش يوم بدر [و] يحرّض قريشاً بشعره على القتال، فأُسر

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٦٧.

في السبعين الّذين أُسروا، فلمّا وقع الفداء على القوم قال أبو غرة: يا أبا القاسم تعلم أنّي رجل فقير فامنن على بناتي، فقال ﷺ: أطلقك بغير فداء ألا تكثر علينا بعدها[1]، قال: لا والله، فعاهده على أن لا يعود، فلمّا كان حرب أُحد دعته قريش إلى الخروج معها ليحرّض النّاس بشعره على القتال، فقال إنّي عاهدت محمّداً أن لا أُكثّر عليه بعدما منّ عليّ، قالوا: ليس هذا من ذلك، إنّ محمّداً لا يسلم منّا في هذه الدفعة، فغلبوه على رأيه، فلم يؤسر يوم أُحد من قريش غيره، فقال رسول الله ﷺ: ألم تعاهدني؟ قال: إنّهم غلبوني على رأيي فامنن على بناتي، قال: «لا، تمشي بمكّة وتحرّك كتفيك وتقول: سخرت من محمّد مرّتين» [فقال رسول الله ﷺ]: «المؤمن لا يلسع من جحر مرتين» يا علي اضرب عنقه[2].

بيان: راغ: مال وحاد.

١٧ - **شا:** ثمّ تلت بدراً غزاة أُحد، وكانت راية رسول الله ﷺ بيد أمير المؤمنين عليه السلام فيها كما كانت بيده يوم بدر، فصار اللّوء إليه يومئذ دون صاحب الراية واللواء جميعاً، وكان الفتح له في هذه الغزاة كما كان له ببدر سواء، واختصّ بحسن البلاء فيها والصبر وثبوت القدم عندما زلّت من غيره الأقدام، وكان له العناء برسول الله ﷺ ما لم يكن لسواه من أهل الإسلام، وقتل الله بسيفه رؤوس أهل الشرك والضّلال وفرّج الله به الكرب عن نبيّه ﷺ، وخطب بفضله في ذلك المقام جبرئيل عليه السلام في ملائكة الأرض والسماء، وأبان نبيّ الهدى ﷺ من اختصاصه به ما كان مستوراً عن عامّة النّاس.

فمن ذلك ما رواه يحيى بن عمارة قال: حدّثني الحسن بن موسى بن رياح مولى الأنصار قال: حدّثني أبو البختري القرشيّ قال: كانت راية قريش ولواؤها جميعاً بيد قصيّ بن كلاب، ثمّ لم تزل الراية في يد ولد عبد المطّلب يحملها منهم من حضر الحرب حتّى بعث الله رسوله، فصارت راية قريش وغيرها إلى النبيّ ﷺ فأقرّها في بني هاشم فأعطاها رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب عليه السلام في غزاة ودان، وهي أوّل غزاة حمل فيها راية في الإسلام مع النبيّ ﷺ، ثمّ لم تزل معه في المشاهد ببدر وهي البطشة الكبرى، وفي يوم أُحد، وكان اللّواء يومئذ في بني عبد الدار فأعطاها رسول الله ﷺ مصعب بن عمير، فاستشهد، ووقع اللّواء من يده فتشوّفته القبائل، فأخذه رسول الله ﷺ فدفعه إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام فجمع له يومئذ الراية واللواء، فهما إلى اليوم في بني هاشم.

وروى المفضّل بن عبد الله عن سماك، عن عكرمة، عن عبد الله بن العبّاس أنّه قال لعليّ ابن أبي طالب عليه السلام أربع ما هنّ لأحد: هو أوّل عربيّ وعجميّ صلّى مع رسول الله ﷺ،

---

(١) في المصدر: إن أطلقتك بغير فداء أتكثر علينا بعدها.

(٢) الخرائج والجرائح، ج ١ ص ١٤٧-١٤٩ ح ٢٣٥-٢٣٩.

وهو صاحب لوائه في كلّ زحف، وهو الّذي ثبت معه يوم المهراس - يعني يوم أُحد - وفرّ النّاس، وهو الّذي أدخله قبره.

وروى زيد بن وهب الجهنيّ، عن أحمد بن عمّار، عن الحمانيّ، عن شريك عن عثمان بن المغيرة، عن زيد بن وهب قال: وجدنا من عبد الله بن مسعود يوماً طيب نفس فقلنا له: لو حدّثتنا عن يوم أُحد وكيف كان، فقال: أجل، ثمّ ساق الحديث حتّى انتهى إلى ذكر الحرب، فقال: قال رسول الله ﷺ: اخرجوا إليهم على اسم الله، فخرجنا فصففنا لهم صفّاً طويلاً، وأقام على الشعب خمسين رجلاً من الأنصار وأمّر عليهم رجلاً منهم، وقال: لا تبرحوا من مكانكم هذا، ولو قتلنا عن آخرنا فإنّما نؤتى من موضعكم، قال: فأقام أبو سفيان صخر بن حرب بإزائهم خالد بن الوليد، وكانت الألوية من قريش في بني عبد الدار وكان لواء المشركين مع طلحة بن أبي طلحة، وكان يدعى كبش الكتيبة، قال: ودفع رسول الله ﷺ لواء المهاجرين إلى عليّ بن أبي طالب، وجاء حتّى وقف تحت لواء الأنصار، قال: فجاء أبو سفيان إلى أصحاب اللّواء فقال: يا أصحاب الألوية إنكم قد تعلمون أنما يؤتى القوم من قبل ألويتهم، وإنّما أُتيتم يوم بدر من قبل ألويتكم، فإن كنتم ترون أنكم قد ضعفتم عنها فادفعوها إلينا نكفكموها، قال: فغضب طلحة بن أبي طلحة وقال: ألنا تقول هذا؟ والله لأوردنكم بها اليوم حياض الموت، قال: وكان طلحة يسمّى كبش الكتيبة، قال فتقدّم وتقدّم عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فقال عليّ: من أنت؟ قال: أنا طلحة بن أبي طلحة كبش الكتيبة فمن أنت؟ قال: أنا عليّ بن أبي طالب بن عبد المطّلب، ثمّ تقاربا فاختلفت بينهما ضربتان فضربه عليّ ابن أبي طالب عليه السلام ضربة على مقدّم رأسه فبدرت عينه، وصاح صيحة لم يسمع مثلها قطّ وسقط اللّواء من يده، فأخذه أخ له يقال له: مصعب، فرماه عاصم بن ثابت بسهم فقتله، ثمّ أخذ اللّواء أخ له يقال له: عثمان، فرماه عاصم أيضاً بسهم فقتله، فأخذه عبد لهم يقال له: صواب وكان من أشدّ النّاس، فضرب عليّ عليه السلام على يده فقطعها فأخذ اللّواء بيده اليسرى، فضرب عليّ على يده اليسرى فقطعها، فأخذ اللّواء على صدره وجمع يديه وهما مقطوعتان عليه فضربه عليّ عليه السلام على أمّ رأسه فسقط صريعاً فانهزم القوم وأكبّ المسلمون على الغنائم، فلمّا رأى أصحاب الشعب النّاس يغنمون قالوا: يذهب هؤلاء بالغنائم ونبقى نحن؟ فقالوا لعبدالله بن عمر بن حزم الّذي كان رئيساً عليهم: نريد أن نغنم كما يغنم النّاس، فقال: إنّ رسول الله ﷺ أمرني أن لا أبرح من موضعي هذا، فقالوا له: إنّه أمرك بهذا وهو لا يدري أنّ الأمر يبلغ إلى ما ترى، ومالوا إلى الغنائم وتركوه، ولم يبرح هو من موضعه، فحمل عليه خالد بن الوليد فقتله، ثمّ جاء من ظهر رسول الله ﷺ يريده، فنظر إلى النبيّ ﷺ في خِفت من أصحابه فقال لمن معه: دونكم هذا الّذي تطلبون فشأنكم به، فحملوا عليه حملة رجل واحد ضرباً بالسيوف، وطعناً بالرماح ورمياً بالنبل، ورضخاً بالحجارة، وجعل أصحاب النبيّ ﷺ يقاتلون عنه حتّى قتل منهم سبعون رجلاً وثبت أمير المؤمنين عليه السلام وأبو دجانة

وسهل بن حنيف للقوم يدفعون عن النبيّ ﷺ فكثر عليهم المشركون، ففتح رسول الله ﷺ عينيه ونظر إلى أمير المؤمنين عليه السلام وقد كان أغمي عليه ممّا ناله، فقال: يا عليّ ما فعل الناس؟ فقال نقضوا العهد، وولّوا الدبر، فقال له: فاكفني هؤلاء الّذين قد قصدوا قصدي، فحمل عليهم أمير المؤمنين عليه السلام فكشفهم ثمّ عاد إليه وقد حملوا عليه من ناحية أخرى فكرّ عليهم فكشفهم، وأبو دجانة وسهل بن حنيف قائمان على رأسه بيد كلّ واحد منهما سيف ليذبّ عنه، وثاب إليه من أصحاب المنهزمين أربعة عشر رجلاً: منهم طلحة بن عبيد الله، وعاصم بن ثابت وصعد الباقون الجبل، وصاح صائح بالمدينة: قتل رسول الله ﷺ، فانخلعت لذلك القلوب، وتحيّر المنهزمون، فأخذوا يميناً وشمالاً، وكانت هند بنت عتبة جعلت لوحشيّ جُعلاً على أن يقتل رسول الله ﷺ، أو أمير المؤمنين عليه السلام، أو حمزة بن عبد المطّلب رضوان الله عليه، فقال لها: أمّا محمّد فلا حيلة لي فيه، لأنّ أصحابه يطيفون به، وأمّا عليّ فإنّه إذا قاتل كان أحذر من الذئب، وأمّا حمزة فإنّي أطمع فيه، لأنّه إذا غضب لم يبصر بين يديه، وكان حمزة يومئذ قد أعلم بريشة نعامة في صدره، فكمن له وحشيّ في أصل شجرة، فرآه حمزة فبدر بالسيف إليه فضربه ضربة أخطأت رأسه، قال وحشيّ: وهززت حربتي حتّى إذا تمكّنت منه رميته فأصبته في أربيته فأنفذته وتركته حتّى إذا برد صرت إليه، فأخذت حربتي وشغل عنّي وعنه المسلمون بهزيمتهم، وجاءت هند فأمرت بشق بطن حمزة وقطع كبده والتمثيل به، فجدعوا أنفه وأذنيه، ومثلوا به، ورسول الله ﷺ مشغول عنه لا يعلم بما انتهى إليه الأمر.

قال الراوي للحديث وهو زيد بن وهب: قلت لابن مسعود: انهزم النّاس عن رسول الله ﷺ حتّى لم يبق معه إلاّ عليّ بن أبي طالب وأبو دجانة وسهل بن حنيف، فقال انهزم النّاس إلاّ عليّ بن أبي طالب وحده، وثاب إلى رسول الله ﷺ نفر وكان أوّلهم عاصم بن ثابت، وأبا دجانة وسهل بن حنيف، ولحقهم طلحة بن عبيد الله، فقلت له: وأين كان أبو بكر وعمر؟ قال: كانا ممّن تنحّى قلت: وأين كان عثمان؟ قال: جاء بعد ثالثة من الوقعة فقال له رسول الله ﷺ: لقد ذهبت فيها عريضة؟

قال: فقلت له: وأين كنت أنت؟ قال: كنت ممّن تنحّى، قلت له: فمن حدّثك بهذا؟ قال عاصم وسهل بن حنيف، قال: قلت له: إنّ ثبوت عليّ عليه السلام في ذلك المقام لعجب، فقال: إن تعجبت من ذلك فقد تعجّبت منه الملائكة، أما علمت أنّ جبرئيل عليه السلام قال في ذلك اليوم وهو يعرج إلى السماء: لا سيف إلاّ ذو الفقار، ولا فتى إلاّ عليّ.

قلت له: فمن أين علم ذلك من جبرئيل؟ فقال: سمع النّاس صائحاً يصيح في السماء بذلك، فسألوا النبيّ ﷺ عنه فقال: ذلك جبرئيل.

وفي حديث عمران بن حصين قال: لمّا تفرّق النّاس عن رسول الله ﷺ في يوم أحد جاء عليّ عليه السلام متقلداً سيفه حتّى قام بين يديه، فرفع رسول الله ﷺ رأسه إليه، فقال له: ما

بالك لم تفرّ مع الناس؟ فقال: يا رسول الله أأرجع كافراً بعد إسلامي، فأشار له إلى قوم انحدروا من الجبل، فحمل عليهم فهزمهم، ثمّ أشار إلى قوم أخر فحمل عليهم فهزمهم، ثمّ أشار إلى قوم أخر فحمل عليهم فهزمهم، فجاء جبرئيل عليه السلام فقال: يا رسول الله لقد عجبت الملائكة وعجبنا معها من حسن مواساة عليّ لك بنفسه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : وما يمنعه من هذا وهو منّي وأنا منه؟ فقال جبرئيل عليه السلام : وأنا منكما.

وروى الحكم بن ظهير، عن السدّيّ، عن أبي مالك، عن ابن عبّاس أنّ طلحة بن أبي طلحة خرج يومئذ فوقف بين الصفّين فنادى: يا أصحاب محمّد إنكم تزعمون أنّ الله تعالى يعجّلنا بسيوفكم إلى النّار، ويعجّلكم بسيوفنا إلى الجنّة فأيكم يبرز إليّ؟ فبرز أمير المؤمنين عليه السلام إليه، فقال: والله لا أفارقك هذا اليوم حتّى أعجّلك بسيفي إلى النّار، فاختلفا ضربتين فضربه عليّ بن أبي طالب عليه السلام على رجليه فقطعهما، فسقط فانكشف عنه، فقال له: أنشدك الله يابن عمّ والرحم، فانصرف عنه إلى موقفه، فقال له المسلمون: ألا أجهزت عليه؟ فقال: ناشدني الله والرحم، والله لا عاش بعدها أبداً، فمات طلحة في مكانه، وبشّر النبيّ صلى الله عليه وآله بذلك فسر به، وقال: هذا كبش الكتيبة.

وقد روى محمّد بن مروان، عن عمّارة، عن عكرمة قال: سمعت عليّاً عليه السلام يقول: لمّا انهزم النّاس يوم أحد عن رسول الله صلى الله عليه وآله لحقني من الجزع عليه ما لم يلحقني قطّ ولم أملك نفسي، وكنت أمامه أضرب بسيفي بين يديه، فرجعت أطلبه فلم أره فقلت: ما كان رسول الله صلى الله عليه وآله ليفرّ، وما رأيته في القتلى، وأظنّه رفع من بيننا إلى السّماء، فكسرت جفن سيفي، وقلت في نفسي: لأقاتلنّ به عنه حتّى أقتل، وحملت على القوم فأفرجوا عنّي وإذا أنا برسول الله صلى الله عليه وآله قد وقع على الأرض مغشيّاً عليه فقمت على رأسه، فنظر إليّ فقال: ما صنع النّاس يا عليّ؟ فقلت: كفروا يا رسول الله، وولّوا الدبر من العدوّ وأسلموك، فنظر النبيّ صلى الله عليه وآله إلى كتيبة قد أقبلت إليه فقال لي: ردّ عنّي يا عليّ هذه الكتيبة فحملت عليها أضربها بسيفي يميناً وشمالاً حتّى ولّوا الأدبار، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله : أما تسمع يا عليّ مديحك في السّماء، إنّ ملكاً يقال له رضوان ينادي: لا سيف إلاّ ذو الفقار، ولا فتى إلاّ عليّ.

فبكيت سروراً وحمدت الله سبحانه وتعالى على نعمته.

وقد روى الحسن بن عرفة، عن عمّارة بن محمّد، عن سعد بن طريف، عن أبي جعفر محمّد بن عليّ عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: نادى ملك من السماء يوم أحد: لا سيف إلاّ ذو الفقار، ولا فتى إلاّ عليّ.

وروى مثل ذلك إبراهيم بن محمّد بن ميمون، عن عمرو بن ثابت، عن محمّد بن عبيد الله ابن أبي رافع، عن أبيه، عن جدّه قال: ما زلنا نسمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يقولون: نادى في يوم أحد مناد من السماء: لا سيف إلاّ ذو الفقار ولا فتى إلاّ عليّ.

وروى سلام بن مسكين، عن قتادة، عن سعيد بن المسيّب قال: لو رأيت مقام عليّ يوم أحد لوجدته قائماً على ميمنة رسول الله صلى الله عليه وآله يذبّ عنه بالسيف، وقد ولّى غيره الأدبار.

وروى الحسن بن محبوب قال: حدّثنا جميل بن صالح، عن أبي عبيدة، عن أبي عبد الله جعفر بن محمّد، عن أبيه عليه السلام قال: كان أصحاب اللّواء يوم أحد تسعة قتلهم عليّ بن أبي طالب عليه السلام عن آخرهم، وانهزم القوم، وطارت مخزوم فضحها عليّ عليه السلام يومئذ.

قال: وبارز عليّ عليه السلام الحكم بن الأخنس فضربه فقطع رجله من نصف الفخذ فهلك منها، ولمّا جال المسلمون تلك الجولة أقبل أميّة بن أبي حذيفة بن المغيرة وهو دارع وهو يقول: يوم بيوم بدر، فعرض له رجل من المسلمين فقتله أميّة، وصمد له عليّ بن أبي طالب عليه السلام فضربه بالسيف على هامته فنشب في بيضة مغفره، فضربه أميّة بسيفه فاتّقاها أمير المؤمنين عليه السلام بدرقته فنشب فيها، ونزع أمير المؤمنين عليه السلام سيفه من مغفره، وخلص أميّة سيفه من درقته أيضاً، ثمّ تناوشا فقال عليّ عليه السلام: فنظرت إلى فتق تحت إبطه فضربته بالسيف فيه فقتلته، وانصرفت عنه.

ولما انهزم النّاس عن النبيّ صلى الله عليه وآله في يوم أحد وثبت أمير المؤمنين عليه السلام قال له النبيّ صلى الله عليه وآله ما لك لا تذهب مع القوم؟ قال أمير المؤمنين عليه السلام: أذهب وأدعك يا رسول الله؟ والله لا برحت حتّى أقتل، أو ينجز الله لك ما وعدك من النصرة، فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله: أبشر يا عليّ فإنّ الله منجز وعده، ولن ينالوا منّا مثلها أبداً، ثمّ نظر إلى كتيبة قد أقبلت إليه فقال له: احمل على هذه يا عليّ، فحمل أمير المؤمنين عليه السلام عليها فقتل منها هشام بن أميّة المخزوميّ، وانهزم القوم، ثمّ أقبلت كتيبة أخرى فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله: احمل على هذه، فحمل عليها فقتل منها عمرو بن عبد الله الجمحيّ، وانهزمت أيضاً، ثمّ أقبلت كتيبة أخرى فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله: احمل على هذه، فحمل عليها فقتل منها بشر بن مالك العامريّ، وانهزمت الكتيبة ولم يعد بعدها أحد منهم، وتراجع المنهزمون من المسلمين إلى النبيّ صلى الله عليه وآله، وانصرف المشركون إلى مكّة، وانصرف المسلمون مع النبيّ صلى الله عليه وآله إلى المدينة، فاستقبلته فاطمة عليها السلام ومعها إناء فيه ماء فغسل به وجهه، ولحقه أمير المؤمنين عليه السلام وقد خضب الدم يده إلى كتفه، ومعه ذو الفقار فناوله فاطمة عليها السلام وقال لها: خذي هذا السيف فقد صدقني اليوم، وأنشأ يقول:

أفاطم هاك السيف غير ذميم ... فلست برعديد ولا بمليم
لعمري لقد أعذرت في نصر أحمد ... وطاعة ربّ بالعباد عليم
أميطي دماء القوم عنه فإنّه ... سقى آل عبد الدار كأس حميم

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: خذيه يا فاطمة فقد أدّى بعلك ما عليه، وقد قتل الله بسيفه صناديد قريش.

وقد ذكر أهل السير قتلى أحد من المشركين، وكان جمهورهم قتلى أمير المؤمنين عليه السلام، فروى عبد الملك بن هشام قال: حدّثنا زياد بن عبد الله، عن محمّد بن إسحاق قال: كان صاحب لواء قريش يوم أحد طلحة بن أبي طلحة بن عبد العزّى بن عثمان بن عبد الدار، قتله عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وقتل ابنه أبا سعد بن طلحة، وقتل أخاه كلدة بن أبي طلحة، وقتل عبد الله بن حميد بن زهرة بن الحارث بن أسد بن عبد العزّى، وقتل أبا الحكم بن الأخنس بن شريق الثقفيّ، وقتل الوليد بن أبي حذيفة بن المغيرة، وقتل أخاه أميّة بن أبي حذيفة بن المغيرة وقتل أرطاة بن شرحبيل، وقتل هشام بن أمية، وقتل عمرو بن عبد الله الجمحيّ وبشر بن مالك، وقتل صُواباً مولى بني عبد الدار.

وكان الفتح له، ورجوع النّاس من هزيمتهم إلى النبيّ صلى الله عليه وآله بمقامه يذبّ عنه دونهم، وتوجّه العتاب من الله تعالى إلى كافّتهم لهزيمتهم يومئذ سواه ومن ثبت معه من رجال الأنصار وكانوا ثمانية نفر، وقيل: أربعة، أو خمسة، وفي قتله عليه السلام من قتل يوم أحد وعنائه في الحرب وحسن بلائه يقول الحجّاج بن علاط السلميّ:

لله أيّ مذبّب عن حزبه ... اعني ابن فاطمة المعمّ المخولا
جادت يداك له بعاجل طعنة ... تركت طليحة للجبين مجدّلا
وشددت شدّة باسل فكشفتهم ... بالسفح إذ يهوون اسفل أسفلا
وعللت سيفك بالدماء ولم يكن ... لتردّه حرّان حتّى ينهلا[1]

بيان: الخفّ بالكسر: الجماعة القليلة. والأربيّة بالضمّ والتشديد: أصل الفخذ.
وقال الجوهريّ: المعمّ المخول: الكثير الأعمام والأخوال الكريمهم، وقد يكسران.
وقال: طعنه فجدله، أي رماه بالأرض، وقال: البسالة: الشجاعة.

أسفل أسفلاً، أي كشفتهم عند هويّهم من الجبل إلى أسفل الوادي، والتكرير للمبالغة، وفي بعض النسخ أخول أخولا.

قال الجوهريّ: يقال: تطاير الشرر أخول أخول، أي متفرّقاً، وهو الشرر الّذي يتطاير من الحديد الحارّ إذا ضرب.

والعلل: الشرب الثاني من الإبل، يقال: علّه يعِلّه ويعُلّه إذا سقاه السقية الثانية، وعلّ بنفسه يتعدّى ولا يتعدّى والنهل: الشرب الأوّل، وقد نهل كعلم والحرّان: العطشان، فالمعنى حتى ينهل فقط من دون علل، أوالمراد بالنهل هنا الارتواء والناهل: الريّان، فالتقابل بحسب اللّفظ فقط، وعلى التقديرين هو من أحسن الكلام وألطف الاستعارات.

(١) الإرشاد للمفيد، ص ٤٣.

١٨ - شي: الحسين بن المنذر قال: سألت أبا عبد الله عن قوله: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ﴾ القتل أم الموت؟ قال: يعني أصحابه الّذين فعلوا ما فعلوا[١].

١٩ - شي: منصور بن الوليد الصيقل انه سمع أبا عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام قرأ: «وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير» قال: ألوف وألوف، ثمّ قال: إي والله يقتلون[٢].

بيان: قال الطبرسيّ رحمه الله: قرأ أهل البصرة وابن كثير ونافع (قتل) بضم القاف بغير ألف، وهي قراءة ابن عبّاس، والباقون «قاتل» بألف، وهي قراءة ابن مسعود.

٢٠ - شي: الحسين بن أبي العلاء، عن أبي عبد الله عليه السلام وذكر يوم أحد ان رسول الله صلى الله عليه وآله كسرت رباعيته، إنّ النّاس ولّوا مصعدين في الوادي، والرسول يدعوهم في أخراهم فأثابهم غمّاً بغمّ، ثمّ أنزل عليهم النعاس، فقلت النعاس ما هو؟ قال: الهمّ، فلمّا استيقظوا قالوا كفرنا، وجاء أبو سفيان فعلا فوق الجبل بإلهه هبل، فقال: اعل هبل، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله يومئذ: الله أعلى وأجلّ.

فكسرت رباعيّة رسول الله صلى الله عليه وآله واشتكت لثته، وقال: ننشدك يا ربّ ما وعدتني، فإنّك إن شئت لم تُعبد، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عليّ أين كنت؟ فقال: يا رسول الله لزقت الأرض، فقال: ذاك الظنّ بك. فقال: يا عليّ ائتني بماء أغسل عنّي فأتاه في صحفة فإذا رسول الله صلى الله عليه وآله قد عافه، وقال: ائتني في يدك، فأتاه بماء في كفّه، فغسل رسول الله صلى الله عليه وآله عن لحيته صلى الله عليه وآله[٣].

بيان: النعاس ما هو؟، أي ما سببه؟ قالوا: كفرنا، أي بما تكلّموا في نعاسهم من كلمة الكفر، أو بتقصيرهم في إعانة الرسول صلى الله عليه وآله، لزقت الأرض أي لم أفرّ ولم أتحرّك عن مكاني.

٢١ - شي: عن زرارة وحمران ومحمّد بن مسلم، عن أحدهما عليهما السلام في قوله: ﴿إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟﴾ فهو عقبة بن عثمان وعثمان بن سعد[٤].

٢٢ - شي: عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا انهزم النّاس عن النبيّ صلى الله عليه وآله يوم أحد نادى رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله قد وعدني أن يظهرني على الدين كلّه، فقال له بعض المنافقين وسمّاهما: فقد هزمنا ويسخر بنا[٥].

٢٣ - شي: عن عبد الرحمن بن كثير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: ﴿إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟﴾ قال: هم أصحاب العقبة[٦].

---

(١) تفسير العياشي، ج ١ ص ٢٢٤، ح ١٥٢ من سورة آل عمران.

(٢) تفسير العياشي، ج ١ ص ٢٢٤ ح ١٥٤ من سورة آل عمران.

(٣) - (٦) تفسير العياشي، ج ١ ص ٢٢٥ ح ١٥٥-١٥٨ من سورة آل عمران.

بيان: لعلّ المراد بأصحاب العقبة أصحاب الشعب الّذين أمرهم رسول الله ﷺ بحفظه، أو الأنصار الّذين بايعوا في العقبة، أو المعنى إنّ الّذين فرّوا يوم الأُحد وقفوا على العقبة لينفروا ناقة الرسول ﷺ، والأوّل أنسب.

٢٤ - **شي:** عن محمّد بن أبي حمزة، عمّن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا﴾ قال: كان المسلمون قد أصابوا ببدر مائة وأربعين رجلاً: قتلوا سبعين رجلاً، وأسروا سبعين، فلمّا كان يوم أُحد أُصيب من المسلمين سبعون رجلاً، قال: فاغتموا بذلك فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا﴾[(١)].

٢٥ - **شي:** عن سالم بن أبي مريم قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: إن رسول الله ﷺ بعث عليّاً عليه السلام في عشرة ﴿ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُ﴾ إلى ﴿وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ﴾ إنما نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام[(٢)].

٢٦ - **قب:** ابن فيّاض في شرح الأخبار: روى محمّد بن الجنيد بإسناده عن سعيد بن المسيّب قال: أصابت عليّاً عليه السلام يوم أُحد ست عشرة ضربة، وهو بين يدي رسول الله ﷺ يذبّ عنه، كلّ ضربة يسقط إلى الأرض، فإذا سقط رفعه جبرئيل عليه السلام.

خصائص العلويّة: قيس بن سعد، عن أبيه قال عليّ عليه السلام: أصابني يوم أُحد ستّ عشرة ضربة سقطت إلى الأرض في أربع منهنّ، فأتاني رجل حسن الوجه، حسن اللمّة، طيّب الريح، فأخذ بضبعي، فأقامني، ثمّ قال: أقبل عليهم، فإنّك في طاعة الله وطاعة رسول الله وهما عنك راضيان، قال عليّ عليه السلام: فأتيت النبيّ ﷺ فأخبرته فقال: يا عليّ أقر الله عينك ذاك جبرئيل عليه السلام[(٣)].

بيان: اللّمة بالكسر: الشعر يجاوز شحمة الأذن.

٢٧ - **شي:** عن الحسين بن حمزة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: لمّا رأى رسول الله ﷺ ما صنع بحمزة بن عبد المطلب قال: «اللّهمّ لك الحمد وإليك المشتكى وأنت المستعان على ما أرى» ثم قال: «لئن ظفرت لأمثلن ولأمثلن» قال: فأنزل الله: ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ قال: فقال رسول الله ﷺ: أصبر أصبر[(٤)].

٢٨ - **عم:** ثمّ كانت غزوة أُحد على رأس سنة من بدر، ورئيس المشركين يومئذ أبو سفيان

---

(١) - (٢) تفسير العياشي، ج ١ ص ٢٢٩ ح ١٦٩ و١٧١ من سورة آل عمران.

(٣) مناقب ابن شهرآشوب، ج ٢ ص ٢٧٣.

(٤) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٢٩٦ ح ٨٥ من سورة النحل.

ابن حرب، وكان أصحاب رسول الله ﷺ يومئذ سبعمائة، والمشركون ألفين، وخرج رسول الله ﷺ بعد أن استشار أصحابه وكان رأيه ﷺ أن يقاتل الرجال على أفواه السكك، ويرمي الضعفاء من فوق البيوت فأبوا إلاّ الخروج إليهم، فلمّا صار على الطريق قالوا: نرجع، فقال: ما كان لنبي إذا قصد قوماً أن يرجع عنهم، وكانوا ألف رجل، فلمّا كانوا في بعض الطريق انخزل عنهم عبد الله بن أبيّ بثلث النّاس، وقال: والله ما ندري على ما نقتل أنفسنا والقوم قومه؟ وهمّت بنو حارثة وبنو سلمة بالرجوع، ثمّ عصمهم الله عزّ وجلّ، وهو قوله: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا﴾ الآية.

وأصبح رسول الله ﷺ متهيئاً للقتال وجعل على راية المهاجرين عليّاً عليه السلام، وعلى راية الأنصار سعد بن عبادة، وقعد رسول الله ﷺ في راية الأنصار، ثمّ مرّ ﷺ على الرماة وكانوا خمسين رجلاً وعليهم عبد الله بن جبير فوعظهم وذكّرهم، وقال: «اتقوا الله واصبروا، وإن رأيتمونا يخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم حتّى أرسل إليكم» وأقامهم عند رأس الشعب، وكانت الهزيمة على المشركين، وحسّهم المسلمون بالسيوف حسّاً، فقال أصحاب عبد الله بن جبير: الغنيمة ظهر أصحابكم فما تنتظرون؟ فقال عبد الله: أنسيتم قول رسول الله ﷺ؟ أمّا أنا فلا أبرح موقفي الّذي عهد إليّ فيه رسول الله ما عهد، فتركوا أمره وعصوه بعدما رأوا ما يحبّون، وأقبلوا على الغنائم، فخرج كمين المشركين عليهم خالد بن الوليد فانتهى إلى عبد الله بن جبير فقتله، ثمّ أتى النّاس من أدبارهم، ووضع في المسلمين السلاح فانهزموا، وصاح إبليس لعنه الله: قتل محمّد ورسول الله يدعوهم في أخراهم: «أيها النّاس إنّي رسول الله إنّ الله قد وعدني النصر فإلى أين الفرار»؟ فيسمعون الصوت ولا يلوُون على شيء وذهبت صيحة إبليس حتّى دخلت بيوت المدينة، فصاحت فاطمة عليها السلام ولم تبق هاشميّة ولا قرشيّة إلاّ وضعت يدها على رأسها، وخرجت فاطمة عليها السلام تصرخ.

قال الصادق عليه السلام انهزم النّاس عن رسول الله ﷺ فغضب غضباً شديداً، وكان إذا غضب انحدر من وجهه وجبهته مثل اللؤلؤ من العرق، فنظر فإذا عليّ عليه السلام إلى جنبه، فقال: ما لك لم تلحق ببني أبيك؟ فقال عليّ عليه السلام يا رسول الله أكفر بعد إيمان؟ إنّ لي بك أسوة، فقال: أمّا لا فاكفني هؤلاء، فحمل عليّ عليه السلام فضرب أوّل من لقي منهم، فقال جبرئيل عليه السلام إنّ هذه لهي المواساة يا محمّد، قال: «إنه منّي وأنا منه» قال جبرئيل: وأنا منكما.

وثاب إلى رسول الله ﷺ جماعة من أصحابه، وأصيب من المسلمين سبعون رجلاً منهم أربعة من المهاجرين: حمزة بن عبد المطلب، وعبدالله بن جحش، ومصعب بن عمير، وشماس بن عثمان بن الشّريد، والباقون من الانصار.

قال: وأقبل يومئذ أبيّ بن خلف وهو على فرس له وهو يقول: هذا ابن أبي كبشة، بُؤْ بذنبك، لا نجوتُ إن نجوت، ورسول الله ﷺ بين الحارث بن الصمة وسهل بن حنيف

يعتمد عليهما، فحمل عليه فوقاه مصعب بن عمير بنفسه فطعن مصعباً فقتله، فأخذ رسول الله ﷺ عنزة كانت في يد سهل بن حنيف ثمّ طعن أُبيّاً في جربّان الدرع فاعتنق فرسه فانتهى إلى عسكره، وهو يخور خوار الثّور، فقال أبو سفيان: ويلك ما أجزعك؟ إنّما هو خدش ليس بشيء، فقال: ويلك يابن حرب أتدري من طعنني؟ إنّما طعنني محمّد وهو قال لي بمكّة: إنّي سأقتلك، فعلمت أنّه قاتلي، والله لو أنّ ما بي كان بجميع أهل الحجاز لقضت عليهم، فلم يزل يخور الملعون حتّى صار إلى النار.

وفي كتاب أبان بن عثمان: إنّه لمّا انتهت فاطمة عليها السلام وصفيّة إلى رسول الله ﷺ ونظرتا إليه قال لعليّ عليه السلام: أمّا عمّتي فاحبسها عنّي، وأمّا فاطمة فدعها، فلمّا دنت فاطمة عليها السلام من رسول الله ﷺ ورأته قد شجّ في وجهه وأدمي فوه إدماء صاحت وجعلت تمسح الدم، وتقول: اشتدّ غضب الله على من أدمى وجه رسول الله، وكان رسول الله ﷺ يتناول في يده ما يسيل من الدم فيرميه في الهواء فلا يتراجع منه شيء.

قال الصادق عليه السلام: والله لو سقط منه شيء على الأرض لنزل العذاب.

قال أبان بن عثمان: حدّثني بذلك عنه الصّباح بن سيّابة، قال: قلت: كسرت رباعيّته كما يقوله هؤلاء؟ قال: لا والله ما قبضه الله إلاّ سليماً، ولكنّه شجّ في وجهه قلت: فالغار في أحد الّذي يزعمون أنّ رسول الله ﷺ صار إليه، قال: والله ما برح مكانه، وقيل له: ألا تدعو عليهم؟ قال: «اللّهمّ اهد قومي».

ورمى رسول الله ﷺ ابن قميئة بقذافة فأصاب كفّه حتّى ندر السيف من يده، وقال خذها منّي وأنا ابن قميئة، فقال رسول الله ﷺ: «أذلك الله وأقمأك» وضربه عتبة بن أبي وقّاص بالسيف حتّى أدمى فاه، ورماه عبد الله بن شهاب بقلاعة فأصاب مرفقه، وليس أحد من هؤلاء مات ميتة سويّة، فأمّا ابن قميئة فأتاه تيس وهو نائم بنجد فوضع قرنه في مراقّه ثمّ دعسه فجعل ينادي: وا ذلاه حتّى أخرج قرنيه من ترقوته.

وكان وحشيّ يقول: قال لي جبير بن مطعم وكنت عبداً له: إنّ عليّاً قتل عمّي يوم بدر، يعني طعيمة، فإن قتلت محمّداً فأنت حرّ، وإن قتلت عمّ محمّد فأنت حرّ، وإن قتلت ابن عمّ محمّد فأنت حرّ، فخرجت بحربة لي مع قريش إلى أحد أريد العتق لا أريد غيره، ولا أطمع في محمّد وقلت لعلّي أصيب من عليّ أو حمزة غرّة فأزرقه، وكنت لا أخطئ في رمي الحراب تعلّمته من الحبشة في أرضها، وكان حمزة يحمل حملاته، ثمّ يرجع إلى موقفه. قال أبو عبد الله عليه السلام وزرقه وحشيّ فوق الثدي فسقط، وشدّوا عليه فقتلوه، فأخذ وحشيّ الكبد فشدّ بها إلى هند بنت عتبة فأخذتها فطرحتها في فيها، فصارت مثل الداغصة فلفظتها.

وقال: وكان الحليس بن علقمة نظر إلى أبي سفيان وهو على فرس وبيده رمح يجأ به في شدق حمزة فقال: يا معشر بني كنانة انظروا إلى من يزعم أنّه سيّد قريش ما يصنع بابن عمّه

الّذي قد صار لحماً؟ وأبو سفيان يقول: ذق عقق، فقال أبو سفيان: صدقت إنّما كانت منّي زلّة اكتمها عليّ.

قال: وقام أبو سفيان فنادى بعض المسلمين: أحيّ ابن أبي كبشة؟ فأمّا ابن أبي طالب عليه السلام فقد رأيناه مكانه، فقال عليّ: إي والّذي بعثه بالحقّ إنّه ليسمع كلامك، قال: إنّه قد كانت في قتلاكم مثلة، والله ما أمرت ولا نهيت، إنّ ميعادنا بيننا وبينكم موسم بدر في قابل هذا الشهر، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: قل: نعم، فقال: نعم، فقال أبو سفيان لعليّ: إنّ ابن قميئة أخبرني أنّه قتل محمّداً وأنت أصدق عندي منه وأبرّ، ثمّ ولى إلى أصحابه وقال: اتخذوا الليل جملاً وانصرفوا.

ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وآله عليّاً فقال: اتّبعهم فانظر أين يريدون فإن كانوا ركبوا الخيل وساقوا الإبل فإنّهم يريدون المدينة، وإن كانوا ركبوا الإبل وساقوا الخيل فهم متوجّهون إلى مكّة. وقيل: إنّه بعث لذلك سعد بن أبي وقاص.

فرجع فقال: رأيت خيلهم تضرب بأذنابها مجنوبة مدبرة، ورأيت القوم قد تجمّلوا سائرين، فطابت أنفس المسلمين بذهاب العدوّ فانتشروا يتتبّعون قتلاهم، فلم يجدوا قتيلاً إلاّ وقد مثلوا به إلاّ حنظلة بن أبي عامر كان أبوه مع المشركين فترك له، ووجدوا حمزة قد شقّ بطنه، وجدع أنفه، وقطعت أذناه، وأخذ كبده فلما انتهى إليه رسول الله صلى الله عليه وآله خنقته العبرة وقال: لأمثلنّ بسبعين من قريش فأنزل الله سبحانه: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾ الآية، فقال: بل أصبر. وقال: من ذلك الرجل الّذي تغسله الملائكة في سفح الجبل؟ فسألوا امرأته فقالت: إنّه خرج وهو جنب، وهو حنظلة بن أبي عامر الغسيل.

قال أبان: وحدّثني أبو بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: ذكر لرسول الله صلى الله عليه وآله رجل من أصحابه يقال له قُزمان بحسن معونته لإخوانه وذكره، فقال صلى الله عليه وآله إنّه من أهل النّار، فأتي رسول الله صلى الله عليه وآله وقيل: إنّ قزمان استشهد، فقال: يفعل الله ما يشاء، ثمّ أتي فقيل: إنّه قتل نفسه، فقال: أشهد أنّي رسول الله، قال: وكان قزمان قاتل قتالاً شديداً، وقتل من المشركين ستّة أو سبعة، فأثبته الجراح، فاحتمل إلى دور بني ظفر، فقال له المسلمون: أبشر يا قزمان فقد أبليت اليوم، فقال: بم تبشّرون؟ فوالله ما قاتلت إلاّ عن أحساب قومي، ولولا ذلك ما قاتلت، فلمّا اشتدت عليه الجراحة جاء إلى كنانته فأخذ منها مشقصاً فقتل به نفسه.

قال: وكانت امرأة من بني النجّار قتل أبوها وزوجها وأخوها مع رسول الله صلى الله عليه وآله فدنت من رسول الله صلى الله عليه وآله والمسلمون قيام على رأسه، فقالت لرجل: أحيّ رسول الله؟ قال: نعم، قالت: أستطيع أن أنظر إليه؟ قال: نعم، فأوسعوا لها فدنت منه وقالت: كلّ مصيبة جلل بعدك، ثمّ انصرفت.

قال: وانصرف رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المدينة حين دفن القتلى فمرّ بدور بني الأشهل وبني

ظفر، فسمع بكاء النوائح على قتلاهنّ، فترقرقت عينا رسول الله ﷺ وبكى، ثمّ قال: لكنّ حمزة لا بواكي له اليوم، فلمّا سمعها سعد بن معاذ وأسيد بن حضير قالا لا تبكينّ امرأة حميمها حتّى تأتي فاطمة عليها السلام فتسعدها، فلمّا سمع رسول الله ﷺ الواعية على حمزة وهو عند فاطمة عليها السلام على باب المسجد قال: ارجعن رحمكنّ الله فقد آسيتنّ بأنفسكنّ.

ثمّ كانت غزوة حمراء الأسد، قال أبان بن عثمان: لمّا كان من الغد من يوم أُحد نادى رسول الله ﷺ في المسلمين فأجابوه فخرجوا على علّتهم وعلى ما أصابهم من القرح، وقدّم عليّاً بين يديه براية المهاجرين حتّى انتهى إلى حمراء الأسد، ثمّ رجع إلى المدينة فهم الّذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح، وخرج أبو سفيان حتّى انتهى إلى الرّوحاء فأقام بها وهو يهمّ بالرجعة على رسول الله ﷺ، ويقول: قد قتلنا صناديد القوم، فلو رجعنا استأصلناهم، فلقي معبداً الخزاعيّ فقال: ما وراءك يا معبد؟ قال: قد والله تركت محمّداً وأصحابه وهم يحرقون عليكم، وهذا عليّ بن أبي طالب قد أقبل على مقدّمته في النّاس، وقد اجتمع معه من كان تخلف عنه، وقد دعاني ذلك إلى أن قلت شعراً، قال أبو سفيان: وماذا قلت؟ قال: قلت:

كادت تهدّ من الأصوات راحلتي   إذ سالت الأرض بالجرد الأبابيل
تردي بأسد كرام لا تنابلة   عند اللقاء ولا خرق معازيل

الأبيات

فثنى ذلك أبا سفيان ومن معه، ثمّ مرّ به ركب من عبد القيس يريدون الميرة من المدينة فقال لهم: أبلغوا محمّداً أنّي قد أردت الرجعة إلى أصحابه لأستأصلهم، وأوقر لكم ركابكم زبيباً إذا وافيتم عكاظ، فأبلغوا ذلك إليه، وهو بحمراء الأسد، فقال ﷺ والمسلمون معه: حسبنا الله ونعم الوكيل. ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة يوم الجمعة.

قال: ولمّا غزا رسول الله ﷺ حمراء الأسد وَثَبت فاسقة من بني حطمة يقال لها: العصماء أمّ المنذر بن منذر تمشي في مجالس الأوس والخزرج وتقول شعراً تحرّض على النبيّ ﷺ، وليس في بني حطمة يومئذ مسلم إلاّ واحد يقال له: عمير بن عديّ، فلمّا رجع رسول الله ﷺ غدا عليها عمير فقتلها، ثمّ أتى رسول الله ﷺ فقال: إنّي قتلت أمّ المنذر لما قالته من هجر، فضرب رسول الله على كتفه وقال: هذا رجل نصر الله ورسوله بالغيب، أما إنّه لا ينتطح فيها عنزان. قال عمير بن عديّ: فأصبحت فمررت ببنيها وهم يدفنونها فلم يعرض لي أحد منهم، ولم يكلّمني[1].

بيان: بُؤ بذنبك، أي اعترف أو ارجع به. جُربّان القميص بالضمّ والتشديد: لبته، معرّب

---

(١) اعلام الورى، ص ٩٦.

كربيان، ويقال: ضربه فقضى عليه، أي قتله، والتأنيث بتأويل الضربة أو الجراحة. وندر الشيء كنصر: سقط، والقذّافة بالفتح والتشديد: الّذي يرمى به الشيء فيبعد. وأقمأه بالهمز: صغره وأذلّه. والقلاعة بالضمّ: الحجر او المدر يقتلع من الأرض فيرمى به. والمراقّ بتشديد القاف: ما دقّ من أسفل البطن ولان، والدعس: الطعن. والمزراق: رمح قصير، وزرقه به: رماه به. قوله: يجأ به، هو من قولهم: وجأه بالسكين كوضعه أي ضربه.

وقال الجزريّ: فيه أنّ أبا سفيان مرّ بحمزة قتيلاً فقال له: ذق عقق، أراد ذق القتل يا عاقّ قومه كما قتلت يوم بدر من قومك، يعني كفّار قريش. وعقق منقول من عاقّ للمبالغة كغدر من غادر. وفسق من فاسق، وقال: يقال للرجل إذا سرى ليلته جمعاء أو أحْياها بصلاة أو غيرها من العبادات: اتّخذ اللّيل جملاً، كأنّه ركبه ولم ينم فيه.

قوله: قد تجمّلوا أي ركبوا الجمل. والإبلاء: الإنعام والإحسان. والجلل بالتحريك: الأمر العظيم، والهيّن، وهو من الأضداد، والمراد هنا الثاني، أي كلّ مصيبة سهلة هينة بعد سلامتك وبقائك.

قوله ﷺ: لا ينتطح فيها عنزان، أي يذهب هدراً لا ينازع في دمها رجلان ضعيفان ايضاً، لأنّ النطاح من شأن التيوس والكباش.

٢٩ - **كشف**: قال الواقديّ في المغازي: إنّه لمّا فرّ النّاس يوم أحد ما زال النبيّ ﷺ شبراً واحداً، يرمي مرّة عن قوسه، ومرّة بالحجارة، وصبر معه أربعة عشر رجلاً: سبعة من المهاجرين، وسبعة من الأنصار، أبو بكر، وعبد الرحمن بن عوف، وعليّ بن أبي طالب، وسعد بن أبي وقّاص، وطلحة بن عبيد الله، وأبو عبيدة بن الجرّاح، والزبير بن العوام، ومن الأنصار الحباب بن المنذر وأبو دُجانة، وعاصم بن ثابت، والحارث بن الصمة، وسهل بن حنيف، وأُسيد بن حضير، وسعد بن معاذ، ويقال: ثبت سعد بن عبادة ومحمّد بن مسلمة فجعلوهما مكان أُسيد بن حضير، وسعد بن معاذ، وبايعه يومئذ ثمانية على الموت: ثلاثة من المهاجرين، وخمسة من الأنصار: عليّ عليه السلام والزبير وطلحة وأبو دُجانة والحارث بن الصمة، وحباب بن المنذر، وعاصم بن ثابت، وسهل بن حنيف، فلم يقتل منهم أحد.

وأُصيبت يومئذ عين قتادة بن النعمان حتّى وقعت على وجنته، قال: فجئت إلى النبيّ ﷺ وقلت: يا رسول الله إنّ تحتي امرأة شابّة جميلة أُحبّها وتحبّني، فأنا أخشى أن تقذّر مكان عيني، فأخذها رسول الله ﷺ فردّها فأبصرت وعادت كما كانت لم تؤلمه ساعة من ليل أو نهار، فكان يقول بعد أن أسنّ: هي أقوى عينيّ، وكانت أحسنهما.

وباشر النبيّ ﷺ القتال بنفسه، ورمى حتّى فنيت نبله، وأصاب شفتيه ورباعيّته عتبة بن أبي وقاص، ووقع ﷺ في حفرة، وضربه ابن قميئة فلم يصنع سيفه شيئاً إلاّ وهن الضربة بثقل السيف وانتهض وطلحة تحمّله من ورائه، وعليّ عليه السلام أخذ بيديه حتّى استوى قائماً.

وعن أبي بشير الحارثي: حضرت يوم أُحد وأنا غلام فرأيت ابن قميئة علا رسول الله ﷺ بالسيف فوقع على ركبتيه في حفرة أمامه حتّى توارى، فجعلت أصيح وأنا غلام حتّى رأيت النّاس ثابوا إليه.

ويقال: الّذي شجه في جبهته ابن شهاب، والّذي أشظى رباعيّته وأدمى شفته عتبة بن أبي وقّاص، والّذي دمى وجنتيه حتّى غاب الحلق في وجنته ابن قميئة، وسال الدم من جبهته حتّى أخضل لحيته، وكان سالم مولى أبي حذيفة يغسل الدم عن وجهه وهو يقول: كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيّهم وهو يدعوهم إلى الله، فأنزل الله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ الآية.

وذكر أحمد بن حنبل في مسنده، عن أبي حازم، عن سهل: بأيّ شيء دُووِيَ جرح رسول الله ﷺ قال: كان عليّ عليه السلام يجيء بالماء في ترسه، وفاطمة عليها السلام تغسل الدم عن وجهه، وأخذ حصيراً فأحرق وحشي به جرحه.

وقال عليّ عليه السلام : ولقد رأيتني وانفردت يومئذ منهم فرقة خشناء فيها عكرمة بن أبي جهل فدخلت وسطهم بالسيف فضربت به واشتملوا عليّ حتّى أفضيت إلى آخرهم، ثمّ كررت فيهم الثانية حتّى رجعت من حيث جئت، ولكنّ الأجل استأخر ويقضي الله أمراً كان مفعولاً، قال: وكان عثمان من الّذين تولّى يوم التقى الجمعان.

وقال ابن أبي نجيح: نادى في ذلك اليوم مناد: لا سيف إلاّ ذو الفقار، ولا فتى إلاّ عليّ[١].

بيان: قال في النهاية: التشظّي: التشعّب والتشقّق، ومنه الحديث فانشظّت رباعية رسول الله ﷺ ، أي انكسرت.

٣٠ -**فر:** أبو القاسم بن حمّاد معنعناً، عن حذيفة اليمانيّ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أمر بالجهاد يوم أُحد، فخرج النّاس سراعاً يتمنّون لقاء عدوّهم وبغوا في منطقهم، وقالوا: والله لئن لقينا عدوّنا لانولّي حتّى يقتل عن آخرنا رجل أو يفتح الله لنا، قال: فلمّا أتوا إلى القوم ابتلاهم الله بالذي كان منهم ومن بغيهم فلم يلبثوا إلاّ يسيراً حتّى انهزموا عن رسول الله ﷺ إلاّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام وأبو دُجانة سماك بن خرشة الأنصاريّ، فلمّا رأى رسول الله ﷺ ما قد نزل بالناس من الهزيمة والبلاء رفع البيضة عن رأسه وجعل ينادي: «أيها النّاس أنا لم أمت ولم أُقتل» وجعل النّاس يركب بعضهم بعضاً لا يلوون على رسول الله ﷺ فلا يلتفتون إليه، فلم يزالوا كذلك حتّى دخلوا المدينة، فلم يكتفوا بالهزيمة حتّى قال أفضلهم رجلاً في أنفسهم: قتل رسول الله ﷺ ، فلمّا أيس الرسول من القوم رجع إلى موضعه الّذي كان فيه فلم ير إلاّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام وأبا دُجانة الأنصاريّ رضي الله عنه ، فقال

(١) كشف الغمة، ج ١ ص ١٨٧.

رسول الله ﷺ: يا أبا دُجانة ذهب النّاس فالحق بقومك، فقال أبو دُجانة: يا رسول الله ما على هذا بايعناك وبايعنا الله، ولا على هذا خرجنا، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[1] فقال رسول الله ﷺ: يا أبا دُجانة أنت في حلّ من بيعتك فارجع، فقال أبو دُجانة: يا رسول الله لا تحدّث نساء الأنصار في الخدور أنّي أسلمتك ورغبت بنفسي عن نفسك، يا رسول الله لا خير في العيش بعدك، قال: فلمّا سمع رسول الله ﷺ كلامه ورغبته في الجهاد انتهى رسول الله ﷺ إلى صخرة فاستتر بها ليتقي بها من السهام سهام المشركين، فلم يلبث أبو دجانة إلاّ يسيراً حتّى أثخن جراحه فتحامل حتّى انتهى إلى رسول الله ﷺ فجلس إلى جنبه وهو مثخن لا حراك به.

قال: وعلي عليه السلام لا يبارز فارساً ولا راجلاً إلاّ قتله الله على يديه حتّى انقطع سيفه فلمّا انقطع سيفه جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله انقطع سيفي ولا سيف لي، فخلع رسول الله ﷺ سيفه ذا الفقار فقلّده عليّاً عليه السلام ومشى إلى جمع المشركين، فكان لا يبرز له أحد إلاّ قتله، فلم يزل على ذلك حتّى وهنت ذراعه فعرف رسول الله ﷺ ذلك فيه، فنظر رسول الله ﷺ إلى السّماء، وقال: «اللّهمّ إنّ محمّداً عبدك ورسولك، جعلت لكلّ نبيّ وزيراً من أهله لتشدّ به عضده وتشركه في أمره، وجعلت لي وزيراً من أهلي، عليّ بن أبي طالب أخي، فنعم الأخ ونعم الوزير، اللّهمّ وعدتني أن تمدّني بأربعة آلاف من الملائكة مردفين، اللّهمّ وعدك وعدك، إنّك لا تخلف الميعاد، وعدتني أن تظهر دينك على الدين كلّه ولو كره المشركون».

قال: فبينما رسول الله ﷺ يدعو ربّه ويتضرّع إليه إذ سمع دويّاً من السماء فرفع رأسه فإذا جبرئيل عليه السلام على كرسيّ من ذهب، ومعه أربعة آلاف من الملائكة مردفين، وهو يقول: لا فتى إلا عليّ، ولا سيف إلاّ ذو الفقار.

فهبط جبرئيل عليه السلام على الصخرة وحفّت الملائكة برسول الله ﷺ فسلّموا عليه، فقال جبرئيل عليه السلام: يا رسول الله بالذي أكرمك بالهدى لقد عجبت الملائكة المقرّبون لمواساة هذا الرجل لك بنفسه، فقال: يا جبرئيل وما يمنعه يواسيني بنفسه وهو منّي وأنا منه؟ فقال جبرئيل عليه السلام وأنا منكما، حتّى قالها ثلاثاً، ثمّ حمل عليّ بن أبي طالب عليه السلام وحمل جبرئيل والملائكة ثمّ إنّ الله تعالى هزم جمع المشركين وشتّت أمرهم فمضى رسول الله ﷺ وعليّ بن أبي طالب عليه السلام بين يديه، ومعه اللّواء قد خضبه بالدم، وأبو دجانة رضي الله عنه خلفه فلمّا أشرف على المدينة فإذا نساء الأنصار يبكين رسول الله ﷺ، فلمّا نظروا إلى رسول الله ﷺ استقبله أهل المدينة بأجمعهم، ومال رسول الله ﷺ إلى المسجد، ونظر إلى

(١) سورة الفتح، الآية: ١٠.

النّاس فتضرّعوا إلى الله وإلى رسوله، وأقرّوا بالذنب وطلبوا التوبة، فأنزل الله فيهم قرآناً يعيبهم بالبغي الّذي كان منهم وذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ يقول: قد عاينتم الموت والعدو، فلم نقضتم العهد وجزعتم من الموت وقد عاهدتم الله أن لا تنهزموا حتّى قال بعضكم: قتل محمّد، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ يعني عليّاً وأبا دُجانة.

ثمّ قال رسول الله ﷺ: «أيّها الناس إنّكم رغبتم بأنفسكم عنّي ووازرني عليّ وواساني فمن أطاعه أطاعني، ومن عصاه فقد عصاني وفارقني في الدنيا والآخرة».

قال: فقال حذيفة: ليس ينبغي لأحد يعقل أن يشكّ فمن لم يشرك بالله إنّه أفضل ممّن أشرك به، ومن لم ينهزم عن رسول الله ﷺ أفضل ممّن انهزم، وإنّ السابق إلى الإيمان بالله ورسوله أفضل، وهو عليّ بن أبي طالب(١).

فر: الحسين بن سعيد معنعناً عن حذيفة مثله(٢).

٣١ - **كا:** عليّ، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن ابن سنان، عن أبان بن تغلب عن أبي عبد الله عليه السلام إنّ رسول الله ﷺ كفّن حمزة بثيابه ولم يغسّله ولكنّه صلّى عليه(٣).

٣٢ - **يب:** المفيد، عن ابن قولويه، عن الكلينيّ، عن عليّ، عن أبيه، عن حمّاد عن حريز، عن إسماعيل بن جابر وزرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: دفن رسول الله ﷺ عمّه حمزة في ثيابه بدمائه الّتي أُصيب فيها، وزاده النبيّ ﷺ برداً فقصر عن رجليه فدعا له بإذخر. فطرحه عليه، وصلّى عليه سبعين صلاة، وكبّر عليه سبعين تكبيرة(٤).

٣٣ - **كا:** حميد بن زياد، عن الحسن بن محمّد الكنديّ، عن أحمد بن الحسن الميثميّ، عن أبان بن عثمان، عن نعمان الرازيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: انهزم النّاس يوم أُحد عن رسول الله ﷺ فغضب غضباً شديداً، قال: وكان إذا غضب انحدر عن جبينه مثل اللّؤلؤ من العرق، قال: فنظر فإذا عليّ عليه السلام إلى جنبه، فقال له: الحق ببني أبيك مع من انهزم عن رسول الله فقال: يا رسول الله لي بك أُسوة، قال فاكفني هؤلاء، فحمل فضرب أوّل من لقي منهم، فقال جبرئيل عليه السلام إنّ هذه لهي المواساة يا محمّد، فقال: إنّه منّي وأنا منه. فقال جبرئيل عليه السلام وأنا منكما يا محمّد فقال أبو عبد الله عليه السلام فنظر رسول الله ﷺ إلى جبرئيل عليه السلام على كرسيّ من ذهب بين السماء والأرض وهو يقول: لا سيف إلّا ذو الفقار، ولا فتى إلّا عليّ(٥).

---

(١) - (٢) تفسير فرات الكوفي، ج ١ ص ٩٦ ح ٧٨-٧٩.

(٣) الكافي، ج ٣ ص ١٠٩ باب ١٤٦ ح ٥.

(٤) تهذيب الأحكام، ج ١ ص ١٧٨ باب ١٣ ح ١٣٨.

(٥) روضة الكافي المطبوع مع الأصول ص ٧٢٥ ح ٩٠.

٣٤ - كا: محمّد بن يحيى، عن ابن عيسى، عن عليّ بن الحكم، عن الحسين بن أبي العلاء الخفّاف، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا انهزم النّاس يوم أحد عن النبيّ صلى الله عليه وآله انصرف إليهم بوجهه وهو يقول: أنا محمّد، أنا رسول الله لم أقتل ولم أمت، فالتفت إليه فلان وفلان فقالا: الآن يسخر بنا أيضاً وقد هزمنا، وبقي معه عليّ عليه السلام وسماك بن خرشة أبو دُجانة رحمه الله، فدعاه النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: يا أبا دُجانة انصرف وأنت في حلّ من بيعتك فأمّا عليّ فهو أنا، وأنا هو، فتحوّل وجلس بين يدي النبيّ صلى الله عليه وآله وبكى، وقال: لا والله، ورفع رأسه إلى السماء وقال: لا والله لا جعلت نفسي في حلّ من بيعتي، إنّي بايعتك، فإلى من أنصرف يا رسول الله؟ إلى زوجة تموت، أو ولد يموت، أو دار تخرب، ومال يفنى، وأجل قد اقترب؟ فرقّ له النبيّ صلى الله عليه وآله فلم يزل يقاتل حتّى أثخنته الجراحة وهو في وجه، وعليّ في وجه فلمّا أسقط احتمله عليّ عليه السلام فجاء به إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فوضعه عنده، فقال: يا رسول الله أوفيت ببيعتي؟ قال: نعم، وقال له النبيّ صلى الله عليه وآله خيراً، وكان النّاس يحملون على النبيّ صلى الله عليه وآله الميمنة فيكشفهم عليّ عليه السلام، فإذا كشفهم أقبلت الميسرة إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فلم يزل كذلك حتّى تقطّع سيفه بثلاث قطع، فجاء إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فطرحه بين يديه وقال: هذا سيفي قد تقطّع، فيومئذ أعطاه النبيّ صلى الله عليه وآله ذا الفقار، فلمّا رأى النبيّ صلى الله عليه وآله اختلاج ساقيه من كثرة القتال رفع رأسه إلى السماء وهو يبكي وقال: «يا ربّ وعدتني أن تظهر دينك وإن شئت لم يعيك» فأقبل عليّ عليه السلام إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله أسمع دويّاً شديداً، وأسمع أقدم حيزوم، وما أهمّ أضرب أحداً إلاّ سقط ميتاً قبل أن أضربه، فقال: هذا جبرئيل وميكائيل وإسرافيل والملائكة، ثمّ جاء جبرئيل فوقف إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا محمّد إنّ هذه هي المواساة، فقال: إنّ عليّاً منّي وأنا منه فقال جبرئيل عليه السلام وأنا منكما، ثمّ انهزم النّاس فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام يا عليّ امض بسيفك حتّى تعارضهم، فإن رأيتهم قد ركبوا القلاص وجنبوا الخيل فإنّهم يريدون مكّة، وإن رأيتهم قد ركبوا الخيل وهم يجنبون القلاص فإنّهم يريدون المدينة، فأتاهم عليّ عليه السلام فكانوا على القلاص، فقال أبو سفيان لعليّ عليه السلام يا عليّ ما تريد هو ذا نحن ذاهبون إلى مكّة، فانصرف إلى صاحبك، فاتبعهم جبرئيل عليه السلام، فكلّما سمعوا وقع حوافر فرسه جدّوا في السير، وكان يتلوهم، فإذا ارتحلوا قالوا هو ذا عسكر محمّد قد أقبل، فدخل أبو سفيان مكّة فأخبرهم الخبر، وجاء الرعاة والحطّابون فدخلوا مكّة فقالوا: رأينا عسكر محمّد، كلّما رحل أبو سفيان نزلوا يقدمهم فارس على أشقر يطلب آثارهم، فأقبل أهل مكّة على أبي سفيان يوبّخونه.

ورحل النبيّ صلى الله عليه وآله والراية مع عليّ عليه السلام وهو بين يديه، فلمّا أن أشرف بالراية من العقبة ورآه النّاس نادى عليّ عليه السلام أيّها النّاس هذا محمّد لم يمت ولم يقتل، فقال صاحب الكلام الّذي قال: الآن يسخر بنا وقد هزمنا: هذا عليّ والراية بيده، حتّى هجم عليهم النبيّ صلى الله عليه وآله ونساء الأنصار في أفنيتهم على أبواب دورهم، وخرج الرجال إليه يلوذون به ويثوبون إليه،

والنساء نساء الأنصار قد خدشن الوجوه، ونشرن الشعور، وجززن النواصي، وخرقن الجيوب، وحزمن البطون على النبيّ ﷺ، فلمّا رأينه قال لهنّ خيراً، وأمرهن أن يتستّرن ويدخلن منازلهنّ، وقال: إنّ الله عزّ وجلّ وعدني أن يظهر دينه على الأديان كلها، وأنزل الله على محمّد ﷺ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ الآية[1].

بيان: قوله: فلان وفلان، أي أبو بكر وعمر، قوله: أثخنته الجراحة، أي أوهنته وأثّرت فيه.

قوله: فلمّا أسقط، هذا لا يدلّ على أنّه قتل في تلك الوقعة، فلا ينافي ما هو المشهور بين أرباب السّير والأخبار أنّه بقي بعد النبيّ ﷺ، فقيل: إنّه قتل باليمامة، وقيل: شهد مع أمير المؤمنين عليه السلام بعض غزواته كما ذكر في الاستيعاب والأوّل أشهر.

قوله عليه السلام لم يعيك، أي لا يشكل عليك ولا تعجز عنه.

وقال الجزريّ: في حديث بدر أقدم حيزوم، جاء في التفسير أنّه اسم فرس جبرئيل، أراد أقدم يا حيزوم، فحذف حرف النداء.

قوله: فإذا ارتحلوا قال: القائل إمّا جبرئيل أو أبو سفيان. قوله: فقالوا: رأينا، إنّما قالوا ذلك لما رأوا من عسكر الملائكة المتمثّلين بصور المسلمين، وكان تعيير أهل مكّة لأبي سفيان لهربهم عن ذلك العسكر.

قوله: هذا عليّ، لعلّ مراده تصديق كلامه الأوّل، أي أتى عليّ ولم يأت النبيّ ﷺ، فلو كان حيّاً لأتى. قوله عليه السلام ويثوبون بالثاء المثلّثة، أي يرجعون وفي بعض النسخ بالمثنّاة أي يتوبون ويعتذرون من الهزيمة. قوله: وحزمن البطون، في أكثر النسخ بالحاء المهملة والزاء المعجمة، أي كنّ شددن بطونهنّ لئلا تبدو عوراتهنّ لشقّ الجيوب، من قولهم: حزمت الشيء أي شددته، وفي بعضها حرصن بالحاء والصاد المهملتين، أي شققن وخرقن، وفي بعضها بالحاء المهملة والضاد المعجمة على بناء التفعيل يقال: أحرضه المرض: إذا فسد بدنه، وأشفى على الهلاك.

٣٥ - **تفسير النعمانيّ:** بالإسناد المذكور في كتاب القرآن عن أمير المؤمنين عليه السلام في قوله سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ نزلت هذه الآية في نعيم بن مسعود الأشجعيّ وذلك أنّ رسول الله ﷺ رجع من غزاة أُحد وقد قتل عمّه حمزة وقتل من المسلمين من قتل، وجرح من جرح وانهزم من انهزم، ولم ينله القتل والجرح، أوحى الله تعالى إلى رسول الله ﷺ أن اخرج في وقتك

---

(١) روضة الكافي، ص ٣٢٢ ح ٥٠٢.

هذا لطلب قريش، ولا تخرج معك من أصحابك إلاّ من كانت به جراحة، فأعلمهم بذلك، فخرجوا معه على ما كان بهم من الجراح حتّى نزلوا منزلاً يقال له: حمراء الأسد، وكانت قريش قد جدّت السير فرقاً، فلمّا بلغهم خروج رسول الله ﷺ في طلبهم خافوا فاستقبلهم رجل من أشجع يقال له: نعيم بن مسعود يريد المدينة، فقال له أبو سفيان صخر بن حرب: يا نعيم هل لك أن أضمن لك عشر قلائص وتجعل طريقك على حمراء الاسد فتخبر محمّداً أنّه قد جاء مدد كثير من حلفائنا من العرب: كنانة وعشيرتهم والأحابيش، وتهول عليهم ما استطعت، فلعلّهم يرجعون عنا؟ فأجابه إلى ذلك، وقصد حمراء الأسد فأخبر رسول الله ﷺ بذلك، وقال: إنّ قريشاً يصبحون بجمعهم الّذي لا قوام لكم به فاقبلوا نصيحتي وارجعوا، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: حسبنا الله ونعم الوكيل، اعلم أنا لا نبالي بهم، فأنزل الله سبحانه على رسوله ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ إلى قوله: ﴿وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ وإنما كان القائل نعيم بن مسعود فسمّاه الله باسم جميع الناس.

٣٦ - ع: أبي، عن سعد، عن معاوية بن حكيم، عن البزنطيّ، عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان ممّا منّ الله عزّ وجلّ على رسوله ﷺ أنّه كان يقرأ ولا يكتب، فلمّا توجه أبو سفيان إلى أحد كتب العبّاس إلى النبيّ ﷺ، فجاءه الكتاب وهو في بعض حيطان المدينة فقرأه ولم يخبر أصحابه، وأمرهم أن يدخلوا المدينة. فلمّا دخلوا المدينة أخبرهم[1].

٣٧ - ب: السنديّ بن محمّد، عن وهب بن وهب، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه عليه السلام قال: أمر رسول الله ﷺ يوم الفتح بقتل فرتنا وأم سارّة، قال: وكانتا قينتين تزنيان وتغنّيان بهجاء النبيّ ﷺ، وتحضضان يوم أحد على رسول الله ﷺ[2].

٣٨ - مع: ابن إدريس، عن ابن أبي الخطّاب وغيره ذكرهم جميعاً، عن ابن أبي عمير، عن أبان بن عثمان، عن الصادق، عن أبيه عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: إنّ منادياً نادى في السماء يوم أحد: «لا سيف إلا ذو الفقار، ولا فتى إلاّ عليّ» فعليّ أخي، وأنا أخوه[3].

٣٩ - ن: هاني بن محمّد بن محمود، عن أبيه بإسناده رفعه إلى موسى بن جعفر عليه السلام وساق حديثه مع الرشيد (إلى أن قال:) إنّ العلماء قد اجتمعوا على أنّ جبرئيل قال يوم أحد: يا محمّد إنّ هذه لهي المواساة من عليّ، قال: لأنّه منّي وأنا منه، فقال جبرئيل: وأنا منكما يا رسول الله، ثمّ قال: لا سيف إلاّ ذو الفقار، ولا فتى إلاّ عليّ، فكان كما مدح الله عزّ وجلّ به خليله عليه السلام، إذ يقول: ﴿فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ الخبر[4].

---

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ١٥٢ باب ١٠٥ ح ٥.
(٢) قرب الإسناد، ص ١٣٠ ح ٤٥٥.
(٣) معاني الأخبار، ص ١١٩.
(٤) عيون أخبار الرضا، ج ١ ص ٨١ باب ٧ ح ٩.

٤٠ -**كا:** عليّ، عن أبيه، وعليّ بن محمّد، عن القاسم بن محمّد، عن سليمان بن داود المنقريّ، عن النضر بن إسماعيل البلخيّ، عن أبي حمزة الثماليّ، عن شهر بن حوشب قال: قال لي الحجّاج: وسألني عن خروج النبيّ صلى الله عليه وآله إلى مشاهده فقلت: شهد رسول الله صلى الله عليه وآله بدراً في ثلاثمائة وثلاثة عشر، وشهد أحداً في ستمائة، وشهد الخندق في تسعمائة، فقال: عمن؟ قلت: عن جعفر بن محمد عليه السلام، فقال: ضل والله من سلك غير سبيله[1].

٤١ -**ل، ع، ن:** سأل الشاميّ أمير المؤمنين عليه السلام عن يوم الأربعاء، والتطيّر منه، فقال عليه السلام آخر أربعاء في الشهر إلى أن قال: ويوم الأربعاء شج النبيّ صلى الله عليه وآله وكسرت رباعيته[2].

٤٢ -**ص:** بالإسناد إلى الصّدوق عن الحسن بن حمزة العلويّ، عن محمّد بن داود عن عبد الله بن أحمد الكوفيّ، عن أبي سعيد سهل بن صالح العبّاسيّ، عن إبراهيم بن عبد الأعلى، عن موسى بن جعفر عليه السلام، عن آبائه صلوات الله عليهم - وساق الحديث عن عليّ عليه السلام في أجوبته عن مقالة اليهوديّ إلى أن قال: - إنّ أبا قتادة بن ربعيّ الأنصاريّ شهد وقعة أحد فأصابته طعنة في عينه فبدرت حدقته فأخذها بيده، ثمّ أتى بها رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: امرأتي الآن تبغضني، فأخذها رسول الله صلى الله عليه وآله من يده، ثمّ وضعها مكانها، فلم تك تعرف إلاّ بفضل حسنها على العين الأخرى، ولقد بادر عبد الله بن عتيك فأبين يده فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ليلاً ومعه اليد المقطوعة فمسح عليها فاستوت يده[3].

٤٣ -**فر:** جعفر بن أحمد بن يوسف رفعه إلى ابن عبّاس في قوله: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ﴾ قال: فلم يبق معه من النّاس يوم أحد غير عليّ بن أبي طالب عليه السلام ورجل من الأنصار، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: يا عليّ قد صنع النّاس ما ترى، فقال: لا والله يا رسول الله لا أسأل عنك الخبر من وراء، فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله: أمّا لا فاحمل على هذه الكتيبة، فحمل عليها ففضّها، فقال جبرئيل عليه السلام يا رسول الله إنّ هذه لهي المواساة، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: إنّي منه وهو مني. فقال جبرئيل عليه السلام وأنا منكما[4].

٤٤ -**كا:** محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن عليّ بن الحكم، عن موسى بن بكر، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ﴾ قال: قوم كانوا مشركين فقتلوا مثل حمزة ومثل جعفر وأشباههما من المؤمنين، ثمّ إنّهم دخلوا في الإسلام، فوحّدوا الله وتركوا الشرك، ولم يعرفوا الإيمان بقلوبهم فيكونوا من المؤمنين

---

(١) الكافي ج ٥ ص ٦١٥ باب ١٩ ح ٣.
(٢) الخصال، ص ٣٨٨ باب السبعة ح ٧٨، علل الشرائع، ج ٢ ص ٣١٨ ح ٤٤، عيون أخبار الرضا، ج ١ ص ٢٢٣ باب ٢٤ ح ١.
(٣) قصص الأنبياء للراوندي، ص ٣١٠.
(٤) تفسير فرات الكوفي، ج ١ ص ٩٦ ح ٨١.

فتجب لهم الجنّة، ولم يكونوا على جحودهم فيكفروا فتجب لهم النّار، فهم على تلك الحال إمّا أن يعذّبهم، وإما يتوب عليهم[١].

كا: العدّة عن سهل، عن عليّ بن حسّان، عن موسى بن بكر، عن رجل عن أبي جعفر عليه السلام مثله[٢].

٤٥ - **ما:** الحسين بن إبراهيم القزوينيّ، عن محمّد بن وهبان، عن أحمد بن إبراهيم بن أحمد، عن الحسن بن عليّ الزعفرانيّ، عن أحمد بن محمّد البرقيّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: بيناحمزة بن عبد المطّلب وأصحاب له على شراب لهم يقال له: السكركة قال: فتذاكروا السّديف قال: فقال لهم حمزة: كيف لنا به؟ قال: فقالوا له: هذه ناقة ابن أخيك عليّ، فخرج إليها فنحرها، ثمّ أخذ من كبدها وسنامها فأدخله عليهم، قال: وأقبل عليّ عليه السلام فأبصر ناقته فدخله من ذلك، فقالوا له: عمّك حمزة صنع هذا، قال: فذهب إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فشكا ذلك إليه، قال: فأقبل معه رسول الله صلى الله عليه وآله فقيل لحمزة: هذا رسول الله صلى الله عليه وآله قد أقبل بالباب، قال: فخرج وهو مغضب، قال: فلمّا رأى رسول الله صلى الله عليه وآله الغضب في وجهه انصرف، قال: فأنزل الله عزّ وجلّ تحريم الخمر، قال: فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله بآنيتهم فكفئت، ونودي في النّاس بالخروج إلى أحد، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وخرج حمزة فوقف ناحية من النبيّ صلى الله عليه وآله، قال: فلمّا تصافّوا حمل حمزة في النّاس حتّى غاب فيهم ثمّ رجع إلى موقفه، فقال له الناس: الله الله يا عمّ رسول الله أن تذهب وفي نفس رسول الله عليك شيء، قال: ثمّ حمل الثانية حتّى غيّب في النّاس، ثمّ رجع إلى موقفه فقالوا: الله الله يا عمّ رسول الله أن تذهب وفي نفس رسول الله عليك شيء، قال: فأقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فلمّا رآه مقبلاً نحوه أقبل إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وعانقه، وقبل رسول الله صلى الله عليه وآله ما بين عينيه، ثمّ حمل على النّاس فاستشهد حمزة، فكفّنه رسول الله صلى الله عليه وآله في نمرة، ثمّ قال أبو عبد الله عليه السلام نحوٌ من ستر بابي هذا، فكان إذا غطّى به وجهه انكشفت رجلاه، وإذا غطّى رجليه انكشف وجهه، قال: فغطّى به وجهه وجعل على رجليه إذخراً قال: وانهزم النّاس وبقي عليّ عليه السلام فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: ما صنعت يا عليّ؟ فقال: يا رسول الله لزمت الأرض، فقال صلى الله عليه وآله: ذلك الظنّ بك، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنشدك يا ربّ ما وعدتني فإنّك إن شئت لم تُعبد[٣].

شي: عن هشام مثله[٤].

بيان: قال الجزريّ، السكركة بضمّ السين والكاف وسكون الراء: نوع من الخمور يتّخذ

---

(١) - (٢) الكافي، ج ٢ ص ٥٣٧ باب المرجون لأمر الله ح ١ و٢.

(٣) أمالي الطوسي، ص ٦٥٧ مجلس ٣٥ ح ١٣٥٧.

(٤) تفسير العياشي، ج ١ ص ٣٦٨ ح ١٨٤ من سورة المائدة.

من الذرة، قال الجوهريّ: هي خمر الحبش، وهي لفظة حبشيّة وقد عرّبت فقيل: السقرقع، وقال الهرويّ: وفي حديث الهرويّ: وخمرة الشكركة انتهى.

والسديف كأمير: شحم السنام، قاله الفيروزآباديّ. وقال: النمرة كفرحة: الحبرة وشملة فيها خطوط بيض وسود، أو بردة من صوف تلبسها الأعراب.

قوله ﷺ: فإنّك إن شئت لم تعبد، لعلّ المعنى إن شئت مغلوبيّتنا واستصالنا لم يعبدك أحد بعد ذلك، أو المعنى إن شئت أن لا تعبد فالأمر إليك.

أقول: في هذا الخبر ما ينافي الأخبارالمتواترة الدالّة على رفعة شأن حمزة عليه السلام وسموّ مكانه ظاهراً، وإن أمكن توجيهه والله يعلم.

٤٦ - **كا:** عليّ، عن أبيه، عن هارون، عن ابن صدقة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ أبا دُجانة الأنصاريّ اعتمّ يوم أُحد بعمامة، وأرخى عذبة العمامة بين كتفيه حتّى جعل يتبختر، فقال رسول الله ﷺ: إنّ هذه لمشية يبغضها الله عزّ وجلّ إلاّ عند القتال في سبيل الله[1].

بيان: العذب بالتحريك: طرف كلّ شيء.

٤٧ - **قب:** وفي شوّال غزوة أُحد، وهو يوم المهراس، قال ابن عبّاس ومجاهد وقتادة والربيع والسدّيّ وابن إسحاق: نزل فيه قوله: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ وهو المرويّ عن أبي جعفر عليه السلام.

زيد بن وهب: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ﴾ فقالوا: لم انهزمنا وقد وعدنا بالنصر؟ فنزل: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾.

ابن مسعود والصادق عليه السلام لمّا قصد أبو سفيان في ثلاثة آلاف من قريش إلى النبيّ ﷺ ويقال: في ألفين، منهم مائتا فارس، والباقون ركب، ولهم سبعمائة درع، وهند ترتجز:

نحن بنات طارقِ نمشي على النمارقِ
والمسك في المفارقِ والدرّ في المخانقِ

وكان استأجر أبو سفيان يوم أحد ألفين من الأحابيش يقاتل بهم النبيّ ﷺ.

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فخرج النبيّ ﷺ مع أصحابه وكانوا ألف رجل، ويقال: سبعمائة، فانعزل عنهم ابن أُبيّ بثلث النّاس، فهمت بنو حارثه وبنو سلمة بالرجوع وهو قوله: ﴿إِذْ هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ﴾.

قال الجبائيّ: همّا به ولم يفعلاه، وساق الخبر إلى أن قال: وأقبل خالد من الشعب بخيل المشركين وجاء من ظهر النبيّ ﷺ وقال: دونكم هذا الطّليق الّذي تطلبونه فشأنكم به، فحملوا عليه حملة رجل واحد حتّى قتل منهم خلق، وانهزم الباقون في الشعب، وأقبل خالد

(١) الكافي، ج ٥ ص ٥٩٦ باب ١ ح ١٣.

بخيله كما قال تعالى: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ﴾ ورسول الله يدعوهم في أخراهم: «يا أيّها الناس إنّي رسول الله، إنّ الله قد وعدني النصر فأين الفرار؟» وكان النبيّ ﷺ يرمي ويقول: «اللّهمّ اهد قومي فإنّهم لا يعلمون» فرماه ابن قميئة بقذافة فأصاب كفّه، وعبد الله بن شهاب بقلاعة فأصاب مرفقه، وضربه عتبة بن أبي وقاص أخو سعد على وجهه فشجّ رأسه، فنزل من فرسه ونهبه ابن قميئة وقد ضرب به على جنبه، وصاح إبليس من جبل أحد: ألا إنّ محمّداً قد قتل، فصاحت فاطمة عليها السلام ووضعت يدها على رأسها وخرجت تصرخ وسائر هاشميّة وقرشيّة.

فلما حمله عليّ عليه السلام إلى أحد نادى العبّاس وهو جهوريّ الصوت فقال: يا أصحاب سورة البقرة أين تفرّون؟ إلى النّار تهربون؟ وأنشأ أمير المؤمنين عليه السلام:

الحمد لله ربّي الخالق الصمدُ	فليس يشركه في حكمه أحدُ
هو الذي عرّف الكفّار منزلهم	والمؤمنون سيجزيهم بما وعدوا
وينصر الله من والاه إنّ له	نصراً ويمثل بالكفّار إذ عندوا
قومي وقوا الرسول واحتسبوا	شمّ العرانين منهم حمزة الأسد

وأنشأ عليه السلام:

رأيت المشركين بغوا علينا	ولجّوا في الغواية والضلالِ
وقالوا: نحن أكثر إذ نفرنا	غداة الروع بالأسل الطوال
فإن يبغوا ويفتخروا علينا	بحمزة وهو في الغرف العوالي
فقد أودى بعتبة يوم بدر	وقد أبلى وجاهد غير آل
وقد غادرت كبشهم جهاراً	بحمد الله طلحة في المجال
فخرّ لوجهه ورفعت عنه	رقيق الحدّ حودث بالصقال[1]

بيان: ذكر عبّاس هنا لعلّه سهو.

وأقول: روي في الديوان المنسوب إلى أمير المؤمنين عليه السلام:

أتاني أنّ هنداً حلّ صخر	دعت دركاً وبشّرت الهنودا
فإن تفخر بحمزة حين ولّى	مع الشهداء محتسباً شهيدا
فإنّا قد قتلنا يوم بدر	أبا جهل وعتبة والوليدا
وقتّلنا سراة النّاس طرّاً	وغنّمنا الولائد والعبيدا
وشيبة قد قتلنا يوم ذاكم	على أثوابه علقاً جيدا
فبوّأ من جهنّم شرّ دارٍ	عليها لم يجد عنها محيدا

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب، ج ١ ص ٢٤٢.

وما سيّان من هو في جحيم يكون شرابه فيها صديدا
ومن هو في الجنان يدرّ فيها عليه الرزق مغتبطاً حميدا[1]

وفيه أيضاً بعد قتل طلحة:

أصول بالله العزيز الامجد وفالق الاصباح ربّ المسجد
أنا عليّ وابن عمّ المهتدي

وفيه أيضاً:

الله حيٌّ قديمٌ قادرٌ صمدُ وليس يشركه في ملكه أحدُ
هو الّذي عرّف الكفّار منزلهم والمؤمنون سيجزيهم كما وعدوا
فإن يكن دولة كانت لنا عظة فهل عسى أن يرى في غيّها رشد
وينصر الله من والاه إنّ له نصراً ويمثل بالكفّار إذ عندوا
فإن نطقتم بفخر لا أباً لكم فيمن تضمّن من إخواننا اللّحد
فإنّ طلحة غادرناه منجدلاً وللصفائح نارٌ بيننا تقد
والمرء عثمان أردته أسنّتنا فجيب زوجته إذ خبّرت قدد
في تسعة إذ تولوا بين أظهرهم لم ينكلوا من حياض الموت إذ وردوا
كانوا الذوائب من فهر وأكرمها شمّ الأنوف وحيث الفرع والعدد
وأحمد الخير قد أردى على عجل تحت العجاج أبيّاً وهو مجتهد
وظلّت الطير والضبعان تركبه فحامل قطعة منهم ومقتعد
ومن قتلهم على ما كان من عجب منّا فقد صادفوا خيراً وقد سعدوا
لهم جنان من الفردوس طيّبة لا يعتريهم بها حرّ ولا صرد
صلّى الإله عليهم كلّما ذكروا فربّ مشهد صدق قبله شهدوا
قوم وفوا لرسول الله واحتسبوا شمّ العرانين منهم حمزة الأسد
ومصعب ظلّ ليثاً دونه حرداً حتى تزمّل منه ثعلب جسد
ليسوا كقتلى من الكفّار أدخلهم نار الجحيم على أبوابها الرصد[2]

وفيه أيضاً:

رأيت المشركين بغوا علينا

إلى قوله:

وقد اودى وجاهد غير آل

(١) ديوان الإمام علي، ص ٤٦.
(٢) ديوان الإمام علي، ص ٤٨.

وقد فلّلت خيلهم ببدر وأتبعت الهزيمة بالرجال

إلى قوله بالصقال.

كأنّ الملح خالطه إذا ما تلظّى كالعتيقة في الظلال

٤٩ - **وفي شرح الديوان**: إنّ عثمان بن أبي طلحة ارتجز يوم أحد فقال:

أنا ابن عبد الدار ذي الفضول وإنّك عندي يا عليّ مقبول

أو هارب خوف الردى مفلول

فأجابه عليه السلام بما في الديوان:

هذا مقامي معرضٌ مبذولٌ من يلق سيفي فله العويل

ولا أخاف الصول بل أصول إنّي عن الأعداء لا أزول

يوماً لدى الهيجاء ولا أحول والقرن عندي في الوغاء مقتول

أو هالك بالسيف أو مغلول

وقال عليه السلام في جواب رجز عمر بن أخنس بن شريق:

اخسأ عليك اللّعن من جاهد يابن لعين لاح بالأرذل

اليوم أعلوك بذي رونق كالبرق في المخلولق المسبل

يفري شؤون الرأس لا ينثني بعد فراش الحاجب الأجزل

أرجو بذلك الفوز في جنّة عالية في أكرم المدخل

وفيه أيضاً مخاطباً لأسامة بن زيد في تلك الغزوة:

لست أرى ما بيننا حاكماً إلا الّذي بالكف بتّار

وصارماً أبيض مثل المها يبرق في الراحة ضرّار

معي حسام قاطع باترٌ تسطع من تضرابه النار

إنّا أناس ديننا صادق إنّا على الحرب لصبّار

وفيه أيضاً مخوّفاً له:

سوف يرى الجمع ضراب الفاتك الحلابس وطعنة قد شدّها لكبوة الفوارس

اليوم أضرم نارها بجذوة لقابس حتّى ترى فرسانها تخرّ للمعاطس

بيان: دعت دركاً، أي لنفسها درك الجحيم أو النّاس إليها، والدرك أيضاً: اللحاق والتبعة. وبشّرت قوماً كالهنود في الكفر، أو قومها المنسوبين إليها والتقتيل إكثار القتل. والسراة: الأشراف، قوله غنّمنا بالتشديد، أي جعلناهم غنائم. على أثوابه، كأنّ تقديره تركنا على أثوابه. علقاً بالتحريك، أي دماً عليظاً أو جامداً والجسيد من قولهم: جسد به

الدم: إذا لصق به. قوله: تقدّ، أي تلتهب. قوله: قدد، أي قطع، والقدّ: قطع الشيء طولاً. قوله: كانوا الذوائب أي الرؤساء والأشراف وفهر بالكسر: أبو قبيلة من قريش. والشمّ بالضمّ جمع الأشمّ. والشمم: ارتفاع قصبة الأنف، واستواء أعلاها، وإشراف الأرنبة قليلاً، وهو كناية عن الرفعة والعلوّ وشرف الأنفس، يقال: شمخ بأنفه: إذا تكبّر والفرع: الولد. والعجاج الغبار.

قوله: فحامل قطعة، أي بعضها تحمل منه قطعة، وبعضها تركبه وتأكل منه والصرد: البرد. العرانين: الأنوف. ورمله بالدم: لطخه، وفي بعض النسخ بالزاي من تزمّل، أي تلفّف به. والثعلب: طرف الرمح الداخل في السنان.

قوله: غير آل: أي غير مقصّر. والأسل: الرماح. وفلّلت الجيش هزمته والتشديد للمبالغة والتكثير. قوله: حودث أي جلي. وعقيقة البرق: ما انعقّ منه أي تفرّب في السّحاب. ويقال: عرضت الشيء فأعرض، أي أظهرته فظهر وخسأ بعد ورونق السيف: ماؤه وحسنه. والمخلولق: البالي الدارس، والإسبال: الإرسال والفري القطع والشؤون: ملتقى عظام الرأس. وفراش الرأس: عظام رقاق تلي القحف والجزل: القطع. وبتّار بتقديم الموحدة على المثنّاة أي قطّاع، وفي بعض النسخ بالعكس من التبّار وهو الهلاك. والمها: البلّور. والباتر: السيف القاطع. والتضراب مبالغة في الضرب. والفاتك: الجريّ. والحلابس بالضمّ: الشجاع. وفي بعض النسخ الخنابس وهوالكريه المنظر. ويقال للأسد: خنابس. وكبا لوجهه كبواً سقط وضمير «نارها» للحرب والجذوة مثلّثة: الجمرة. وقبست منه ناراً: طلبته. والمعطس كالمجلس: الأنف.

٥٠ - **أقول:** قال عبد الحميد بن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: لمّا رجع من حضر بدراً من المشركين إلى مكّة وجدوا العير الّتي قدم بها أبو سفيان موقوفة في دار الندوة، فاتّفقوا على أن يحتبسوها أو أرباحها ليجهّزوا بها جيشاً إلى محمّد ﷺ فبعثوا إلى العرب واستنصروهم فخرجوا وهم ثلاثة آلاف بمن ضوى إليهم بعدّة وسلاح كثير، وقادوا مأتي فرس، وكان فيهم سبعمائة دارع، وثلاثة آلاف بعير فلمّا أجمعوا المسير كتب العبّاس بن عبد المطّلب كتاباً وختمه، واستأجر رجلاً من بني غفار وشرط عليه أن يسير ثلاثاً إلى رسول الله ﷺ يخبره أنّ قريشاً قد أجمعت إليك، فما كنت صانعاً إذا حلّوا بك فاصنعه.

فلمّا شاع الخبر في النّاس ظهر النبيّ ﷺ المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: «أيّها النّاس إنّي رأيت في منامي كأنّي في درع حصينة، ورأيت كأنّ سيفي ذا الفقار انقصم من عند ظُبته، ورأيت بقراً تذبح، ورأيت كأنّي مردف كبشاً».

قال النّاس: يا رسول الله فما أوّلتها؟ قال أمّا الدرع الحصينة فالمدينة فامكثوا فيها، وأمّا انقصام سيفي من عند ظبته فمصيبة في نفسي، وأمّا البقر المذبّح فقتلى في أصحابي. وأمّا أنّي مردف كبشاً فكبش الكتيبة نقتله إن شاء الله.

وروي عن ابن عبّاس أنه صلى الله عليه وآله قال: أمّا انقصام سيفي فقتلة رجل من أهل بيتي.

وروي أنّه قال: «ورأيت في سيفي فلاً فكرهته» هو الذي أصاب وجهه.

قال الواقديّ: فقال عليه السلام أشيروا عليّ، ورأى صلى الله عليه وآله أن لا يخرج من المدينة لهذه الرؤيا، فقام عبد الله بن أبيّ فقال: يا رسول الله كنا نقاتل في الجاهليّة في هذه المدينة، ونجعل النساء والذراري في هذه الصياصي، ونجعل معهم الحجارة. يا رسول الله، إنّ مدينتنا عذراء ما فضّت علينا قطّ، وما خرجنا إلى عدوّ منها قطّ إلاّ أصاب منّا، وما دخل علينا قطّ إلاّ أصبناهم، فكان رأي رسول الله صلى الله عليه وآله مع رأيه، وكان ذلك رأي الأكابر من المهاجرين والأنصار، فقام فتيان أحداث لم يشهدوا بدراً، وطلبوا من رسول الله صلى الله عليه وآله الخروج إلى عدوّهم، ورغبوا في الشهادة، وقال رجال من أهل التيه وأهل السنّ منهم حمزة وسعد بن عبادة والنعمان بن مالك في غيرهم من الأوس والخزرج: إنّا نخشى يا رسول الله أن يظنّ عدوّنا أنا كرهنا الخروج إليهم جبناً عن لقائهم، فيكون هذا جرأة منهم علينا، فقال حمزة: والّذي أنزل عليه الكتاب لا أطعم اليوم طعاماً حتّى أجالدهم بسيفي خارجاً من المدينة وكان يقال: كان حمزة يوم الجمعة صائماً، ويوم السبت صائماً، فلاقاهم وهو صائم.

وقام خيثمة أبو سعد بن خيثمة فقال: يا رسول الله إنّ قريشاً مكثت حولاً تجمع الجموع وتستجلب العرب في بواديها ثمّ جاؤنا وقد قادوا الخيل حتّى نزلوا بساحتنا فيحضروننا في بيوتنا وصياصينا، ثمّ يرجعون وافرين، لم يكلموا فيجرّئهم ذلك علينا حتّى يشنوا الغارات علينا، ويضع الأرصاد والعيون علينا، وعسى الله أن يظفرنا بهم، فتلك عادة الله عندنا، أو يكون الأخرى فهي الشهادة، لقد أخطأتني وقعة بدر، وقد كنت عليها حريصاً، لقد بلغ من حرصي أن ساهمت ابني في الخروج فخرج سهمه فرزق الشهادة، وقد رأيت ابني البارحة في النوم في أحسن صورة يسرح في ثمار الجنّة وأنهارها، وهو يقول: الحق بنا ترافقنا في الجنّة فقد وجدت ما وعدني ربّي حقّاً وقد والله يا رسول الله أصبحت مشتاقاً إلى مرافقته في الجنّة وقد كبرت سنّي ورق عظمي وأحببت لقاء ربّي، فادع الله أن يرزقني الشهادة، فدعا له رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك فقتل بأحد شهيداً فقال كلّ منهم مثل ذلك فقال: إنّي أخاف عليكم الهزيمة فلمّا أبوا إلا الخروج صلّى رسول الله صلى الله عليه وآله الجمعة بالناس، ثمّ وعظهم وأمرهم بالجدّ والاجتهاد وأخبرهم أنّ لهم النصر ما صبروا، ثمّ صلّى العصر، ولبس السلاح وخرج، وكان مقدم قريش يوم الخميس لخمس خلون من شوّال، وكانت الوقعة يوم السبت لسبع خلون من شوّال، وباتت وجوه الأوس والخزرج ليلة الجمعة عليهم السلاح في المسجد بباب النبيّ صلى الله عليه وآله خوفاً من تبييت المشركين، وحرست المدينة تلك اللّيلة حتّى أصبحوا.

قال: فلمّا سوّى رسول الله صلى الله عليه وآله الصفوف بأحد قام فخطب النّاس فقال: «أيّها النّاس أوصيكم بما أوصاني به الله في كتابه من العمل بطاعته، والتناهي عن محارمه، ثمّ إنّكم اليوم

بمنزل أجر وذخر لمن ذكر الّذي عليه، ثمّ وطّن نفسه على الصبر واليقين والجدّ والنشاط، فإنّ جهاد العدوّ شديد كريه، قليل من يصبر عليه إلاّ من عزم له على رشده إنّ الله مع من أطاعه، وإنّ الشّيطان مع من عصاه فاستفتحوا أعمالكم بالصبر على الجهاد، والتمسوا بذلك ما وعدكم الله، وعليكم بالذي أمركم به، فإنّي حريص على رشدكم، إنّ الاختلاف والتنازع والتثبّط من أمر العجز والضعف. وهو ممّا لا يحبّه الله ولا يعطي عليه النصر والظفر.

أيّها النّاس إنّه قد قذف في قلبي أنّ من كان على حرام فرغب عنه ابتغاء ما عند الله غفر له ذنبه، ومن صلّى عليّ صلّى الله عليه وملائكته عشراً، ومن أحسن من مسلم أو كافر وقع أجره على الله في عاجل دنياه، وفي آجل آخرته، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فعليه الجمعة يوم الجمعة إلاّ صبيّاً أو امرأة أو مريضاً أو عبداً مملوكاً، ومن استغنى عنها استغنى الله عنه والله غنيّ حميد، ما أعلم من عمل يقرّبكم إلى الله إلاّ وقد أمرتكم به ولا أعلم من عمل يقربكم إلى النّار إلاّ وقد نهيتكم عنه، وإنّه قد نفث الروح الأمين في روعي أنّه لن تموت نفس حتّى تستوفي أقصى رزقها لا ينقص منه شيء وإن أبطأ عنها، فاتّقوا الله ربكم، وأجملوا في طلب الرزق، ولا يحملنكم استبطاؤه على أن تطلبوه بمعصية ربكم، فإنّه لن يقدر على ما عنده إلاّ بطاعته، قد بين لكم الحلال والحرام غير أنّ بينهما شبهاً من الأمر لم يعلمها كثير من النّاس إلاّ من عصم، فمن تركها حفظ عرضه ودينه. ومن وقع فيها كان كالراعي إلى جنب الحمى أوشك أن يقع فيه وما من ملك إلاّ وله حمى، ألا وإن حمى الله محارمه، والمؤمن من المؤمنين كالرأس من الجسد إذا اشتكى تداعى عليه سائر جسده، والسلام عليكم.

قال الواقديّ: وبرز طلحة بن أبي طلحة فصاح من يبارز؟ فقال عليّ عليه السلام: هل لك في مبارزتي؟ قال: نعم فبرز بين الصفّين ورسول الله جالس تحت الراية عليه درعان ومغفر وبيضة، فالتقيا، فبدره عليّ عليه السلام بضربة على رأسه فمضى السيف حتّى فلق هامته إلى أن انتهى إلى لحيته فوقع، وانصرف عليّ عليه السلام فقيل له: هلا دفّفت عليه؟ قال: إنّه لمّا صرع استقبلتني عورته، فعطفتني عليه الرحم، وقد علمت أنّ الله سيقتله، هو كبش الكتيبة، فسرّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكبّر تكبيراً عالياً وكبّر المسلمون.

وساق القصّة إلى أن قال:

ثمّ حمل اللّواء أرطاة بن عبد شرحبيل فقتله عليّ عليه السلام، ثمّ حمله صُوأب غلام بني عبد الدار فقيل: قتله عليّ عليه السلام، وقيل: سعد بن أبي وقّاص، وقيل: قزمان.

قال الواقديّ: وقالوا: ما ظفر الله نبيّه في موطن قطّ ما ظفره وأصحابه يوم أُحد حتّى عصوا الرسول وتنازعوا في الأمر، لقد قتل أصحاب اللّواء وانكشف المشركون، ونساؤهم يدعون بالويل بعد ضرب الدفوف، فلمّا ترك أصحاب عبد الله بن جبير مراكزهم ونظر خالد ابن الوليد إلى خلا الجبل وقلّة أهله فكرّ بالخيل وتبعه عكرمة بالخيل، وانطلقا إلى موضع

الرماة فحملوا عليهم فراماهم القوم حتّى أصيبوا، ورامى عبد الله بن جبير حتّى فنيت نبله، ثمّ طاعن بالرمح حتّى انكسر ثمّ كسر جفن سيفه فقاتل حتّى قتل.

فروى رافع بن خديج قال: لمّا قتل خالد الرماة أقبل بالخيل وعكرمة يتلوه فخالطنا وقد انتقضت صفوفنا، ونادى إبليس وتصوّر في صورة جعال بن سراقة: إنّ محمّداً قد قتل، ثلاث صرخات، فابتلي يومئذ جعال ببليّة عظيمة حين تصوّر إبليس في صورته، وإنّ جعالاً ليقاتل مع المسلمين أشدّ القتال، وإنّه إلى جنب أبي بردة وخوات بن جبير، قال رافع: فوالله ما رأينا دولة كانت أسرع من دولة المشركين علينا وأقبل المسلمون على جعال يريدون قتله فشهد له خوات وأبو بردة أنّه كان إلى جنبهما حين صاح الصائح وأن الصائح غيره، قال رافع: أتينا من قبل أنفسنا ومعصية نبيّنا، واختلط المسلمون وصاروا يقتلون ويضرب بعضهم بعضاً ما يشعرون بما يصنعون من الدهش والعجل.

وروى أبو عمرو محمّد بن عبد الواحد اللغويّ ورواه أيضاً محمّد بن حبيب في أماليه أنّ رسول الله ﷺ لمّا فرّ معظم أصحابه عنه يوم أحد كثرت عليه كتائب المشركين وقصدته كتيبة من بني كنانة ثمّ من بني عبد مناف بن كنانة فيها بنو سفيان بن عويف، وهم خالد بن ثعلب وأبو الشعثاء بن سفيان، وأبو الحمراء بن سفيان وغراب بن سفيان، فقال رسول الله ﷺ: يا عليّ اكفني هذه الكتيبة، فحمل عليها وإنّها لتقارب خمسين فارساً، وهو عليه السلام راجل، فما زال يضربها بالسيف حتّى تتفرّق عنه، ثمّ تجتمع عليه هكذا مراراً حتّى قتل بني سفيان بن عويف الأربعة وتمام العشرة منها ممّن لا يعرف أسماؤهم، فقال جبرئيل عليه السلام لرسول الله ﷺ: إنّ هذه للمواساة، لقد عجبت الملائكة من مواساة هذا الفتى، فقال رسول الله ﷺ: وما يمنعه وهو منّي وأنا منه، فقال جبرئيل: وأنا منكما، قال: وسمع ذلك اليوم صوت من قبل السماء لا يرى شخص الصارخ به، ينادي مراراً:

لا سيف إلاّ ذو الفقار، ولا فتى إلاّ عليّ.

فسئل رسول الله عنه فقال: هذا جبرئيل.

قلت: وقد روى هذا الخبر جماعة من المحدّثين وهو من الأخبار المشهورة ووقفت عليه في بعض نسخ مغازي محمّد بن إسحاق، وسألت شيخي عبد الوهّاب بن سكينة عن هذا الخبر، فقال: خبر صحيح، فقلت له: فما بال الصّحاح لم تشتمل عليه؟ قال: وكلّ ما كان صحيحاً تشتمل عليه كتب الصّحاح؟ كم قد أهمل جامعو الصحاح من الأخبار الصحيحة.

قال الواقديّ: وقال رسول الله ﷺ يومئذٍ: من يأخذ هذا السيف بحقّه؟ فقال عمر: أنا، فأعرض عنه، فقام الزبير فأعرض عنه، ثمّ عرضه الثالثة، فقال أبو دجانة: أنا يا رسول الله آخذه بحقّه فدفعه إليه، فما رئي أحد قاتل أفضل من قتاله وكان حين أعطاه مشى بين الصفين واختال في مشيته، فقال رسول الله ﷺ: «إنّ هذه لمشية يبغضها الله تعالى إلاّ في مثل هذا الموطن».

قال وكان مخيريق اليهوديّ من أحبار اليهود فقال يوم السبت ورسول الله ﷺ بأحد: يا معشر اليهود والله إنّكم لتعلمون أنّ محمّداً نبيّ، وأنّ نصره عليكم حقّ فقالوا: ويحك اليوم يوم السبت، فقال: لا سبت، ثمّ أخذ سلاحه وحضر مع النبيّ ﷺ فأصيب، فقال رسول الله ﷺ: «مخيريق خير يهود».

قال: وكان قال حين خرج إلى أحد: إن أصبت فأموالي لمحمّد يضعها حيث أراه الله فهي عامة صدقات النبيّ ﷺ قال: وكان عمرو بن الجموح رجلاً أعرج فلمّا كان يوم أحد وكان له بنون أربعة يشهدون مع النبيّ ﷺ المشاهد أمثال الأسد أراد قومه أن يحبسوه وقالوا: أنت رجل أعرج ولا حرج عليك وقد ذهب بنوك مع النبيّ ﷺ، قال: بخ يذهبون إلى الجنّة وأجلس أنا عندكم؟ فقالت هند بنت عمرو بن حرام امرأته: كأنّي أنظر إليه مولّياً قد أخذ درقته وهو يقول: اللّهمّ لا تردّني إلى أهلي، فخرج ولحقه بعض قومه يكلّمونه في القعود فأبى وجاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنّ قومي يريدون أن يحبسوني هذا الوجه، والخروج معك، والله إنّي لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنّة، فقال له: أمّا أنت فقد عذرك الله ولا جهاد عليك، فأبى، فقال النبيّ ﷺ لقومه وبنيه: «لا عليكم أن لا تمنعوه، لعلّ الله يرزقه الشهادة» فخلّوا عنه، فقتل يومئذٍ شهيداً، قال: فحملته هند بعد شهادته وابنها خلّاد وأخاها عبد الله على بعير، فلمّا بلغت منقطع الحرّة برك البعير، فكان كلّما توجّهه إلى المدينة برك، وإذا وجّهته إلى أحد أسرع، فرجعت إلى النبيّ ﷺ فأخبرته بذلك، فقال ﷺ: إنّ الجمل لمأمور، هل قال عمرو شيئاً؟ قالت: نعم، إنّه لمّا توجّه إلى أحد استقبل القبلة ثمّ قال: اللّهمّ لا تردّني إلى أهلي وارزقني الشهادة، فقال ﷺ: «فلذلك الجمل لا يمضي إنّ منكم يا معشر الأنصار من لو أقسم على الله لأبرّه، منهم عمرو بن الجموح، يا هنده ما زالت الملائكة مظلّة على أخيك من لدن قتل إلى الساعة فينظرون أين يدفن» ثمّ مكث رسول الله ﷺ في قبرهم. ثمّ قال: يا هند قد ترافقوا في الجنّة جميعاً بعلك وابنك وأخوك، فقالت هند: يا رسول الله فادع لي عسى أن يجعلني معهم.

قال: وكان جابر يقول: لمّا استشهد أبي جعلت عمّتي تبكي، فقال النبيّ ﷺ: «ما يبكيها؟ ما زالت الملائكة تظلّ عليه بأجنحتها حتّى دفن».

وقال عبد الله بن عمرو بن حرام: رأيت في النوم قبل يوم أحد بأيّام مبشّر بن عبد المنذر أحد الشهداء ببدر يقول لي: أنت قادم علينا في أيّام، فقلت: فأين أنت؟ قال: في الجنّة نسرح منها حيث نشاء، فقلت له: ألم تقتل يوم بدر؟ قال: بلى، ثمّ أحييت، فذكر لرسول الله ﷺ قال: هذه الشهادة يا جابر.

قال: وقال رسول الله ﷺ يوم أحد: «ادفنوا عبد الله بن عمرو، وعمرو بن الجموح في قبر واحد» ويقال: إنّهما وجدا وقد مثل بهما كلّ مثلة قطعت آرابهما عضواً عضواً، فلا يعرف

أبدانهما، فقال النبيّ ﷺ: «ادفنوهما في قبر واحد» ويقال: إنّما دفنهما في قبر واحد لما كان بينهما من الصّفا، فقال: «ادفنوا هذين المتحابّين في الدنيا في قبر واحد» فدخل السيل عليهما وكان قبرهما ممّا يلي السيل فحفر عنهما وعليهما نمرتان، وعبد الله، قد أصابه جرح في وجهه فيده على وجهه فأميطت يده عن جرحه فثعب الدم فردّت إلى مكانها فسكن الدم.

قال الواقديّ: وكان جابر يقول: رأيته في حفرته كأنّه نائم ما تغيّر من حاله قليل ولا كثير، فقيل: أفرأيت أكفانه؟ قال: إنّما كفّن في نمرة خمّر بها وجهه وعلى رجليه الحرمل، فوجدنا النمرة كما هي، والحرمل على رجليه كهيئته، وبين ذلك وبين دفنه ستّ وأربعون سنة، فشاورهم جابر في أن يطيّبه بمسك فأبى ذلك أصحاب النبيّ ﷺ وقالوا: لا تحدثوا فيهم شيئاً.

قال: ويقال: إنّ معاوية لمّا أراد أن يجري العين الّتي أحدثها بالمدينة وهي كظامة نادى مناديه بالمدينة: من كان له قتيل بأحد فليشهد، فخرج الناس إلى قتلاهم فوجدوهم رطاباً يتثنّون فأصابت المسحاة رجل رجل منهم فثعبت دماً، فقال أبو سعيد الخدريّ: لا ينكر بعد هذا منكر أبداً.

قال: ووجد عبد الله بن عمرو بن حرام وعمرو بن الجموح في قبر، وخارجة بن زيد وسعد ابن الربيع في قبر، فأمّا قبر عبد الله وعمرو فحوّل، وذلك أنّ القناة كانت تمرّ على قبرهما، وأمّا قبر خارجة وسعد فترك لأنّ مكانه كان معتزلاً، ولقد كانوا يحفرون التراب، فكلّما حفروا فترة من تراب فاح عليهم المسك.

قال الواقديّ: وكانت نسيبة بنت كعب قد شهدت أحداً وابناها عمارة بن غزيّة وعبد الله بن زيد، وزوجها غزيّة، وخرجت ومعها شنّ لها في أوّل النهار تريد تسقي الجرحى، فقاتلت يومئذٍ وأبلت بلاءً حسناً، فجرحت اثني عشر جرحاً بين طعنة برمح أو ضربة بسيف، فكانت أمّ سعد تحدّث فتقول: دخلت عليها فقلت لها: يا خالة حدّثيني خبرك، فقالت: خرجت أوّل النهار إلى أحد وأنا أنظر ما يصنع الناس ومعي سقاء فيه ماء، فانتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو في الصحابة والدولة والرّيح للمسلمين، فلمّا انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله ﷺ فجعلت أباشر القتال وأذبّ عن رسول الله ﷺ بالسّيف، وأرمي بالقوس حتّى خلصت إليّ الجراح فرأيت على عاتقها جرحاً أجوف له غور فقلت: يا أمّ عمّارة من أصابك بهذا؟ قالت: أقبل ابن قميئة وقد ولّى الناس عن رسول الله يصيح دلّوني على محمّد، لا نجوتُ إن نجا، فاعترض له مصعب بن عمير وناس معه فكنت فيهم فضربني هذه الضربة، ولقد ضربته على ذاك ضربات، ولكن عدوّ الله كان عليه درعان، فقلت لها: يدك ما أصابها؟ قالت: أصيبت يوم اليمامة، لمّا جعلت الأعراب تهزم بالناس نادت الأنصار: أخلصونا، فأخلصت الأنصار، فكنت معهم حتّى انتهينا إلى حديقة الموت فاقتتلنا عليها ساعة حتّى قتل أبو دُجانة على باب

الحديقة ودخلتها، وأنا أريد عدوّ الله مسيلمة فتعرّض لي رجل فضرب يدي فقطعها، فوالله ما كانت لي ناهية، ولا عرجت عليها حتّى وقفت على الخبيث مقتولاً، وابني عبد الله بن زيد يمسح سيفه بثيابه، فقلت: أقتلته؟ قال: نعم، فسجدت شكراً لله عزّوجلّ وانصرفت.

قال: وكان ضمرة بن سعيد يحدّث عن آبائه، عن جدّته وكانت قد شهدت أُحداً تسقي الماء قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يومئذٍ: «لمقام نسيبة بنت كعب اليوم خير من مقام فلان وفلان» وكان يراها يومئذٍ تقاتل أشدّ القتال حتّى جرحت ثلاثة عشر جرحاً.

قال ابن أبي الحديد: قلت: ليت الراوي لم يكنّ هذه الكناية وكان يذكر من هما بأسمائهما حتّى لا يترامى الظّنون إلى أمور مشتبهة ومن أمانة الحديث أن يذكر الحديث على وجهه ولا يكتم منه شيئاً، فما باله كتم اسم هذين الرجلين؟!

أقول: إنّ الراوي لعلّه كان معذوراً في التكنية باسم الرجلين تقيّة، وكيف كان يمكنه التصريح باسم صنمي قريش وشيخي المخالفين الّذين كانوا يقدّمونهما على أمير المؤمنين عليه السلام؟ مع أنّ كنايته أبلغ من الصريح، إذ ظاهر أنّ الناس كانوا لا يبالون بذكر أحد من الصحابة بما كان واقعاً إلاّ بذكرهما وذكر ثالثهما، وأمّا سائر بني أميّة وأجداد سائر خلفاء الجور فلم يكونوا حاضرين في هذا المشهد في عسكر المسلمين حتّى يكنّى بذكرهم تقيّة من أولادهم وأتباعهم، وقد تقدّم في رواية عليّ بن إبراهيم ذكر الثالث أيضاً معهما، وذكره كان أولى، لأنّ فراره كان اعرض وسيأتي القول في ذلك.

رجعنا إلى كلام ابن أبي الحديد:

قال: روى الواقديّ بإسناده عن عبد الله بن زيد قال: شهدت أُحداً مع رسول الله صلى الله عليه وآله فلمّا تفرّق النّاس عنه دنوت منه وأُمّي تذبّ عنه، فقال: ابن أمّ عمّارة؟ قلت: نعم، قال: ارم، فرميت بين يديه رجلاً من المشركين بحجر وهو على فرس فأصيب عين الفرس فاضطرب الفرس حتّى وقع هو وصاحبه، وجعلت أعلوه بالحجارة حتّى نضدت عليه منها وقراً، والنبيّ صلى الله عليه وآله ينظر إليّ ويتبسّم، فنظر إلى جرح بأمّي على عاتقها، فقال: «أمّك أمّك اعصب جرحها، بارك الله عليكم من أهل بيت، لمقام أمّك خير من مقام فلان وفلان، ومقام ربيبك - يعني زوج أمّه خير من مقام فلان وفلان، ومقامك خير من مقام فلان وفلان، رحمكم الله أهل البيت» فقالت أمّي: ادع الله لنا يا رسول الله أن نرافقك في الجنّة، فقال: «اللّهمّ اجعلهم رفقائي في الجنّة» قالت: فما أبالي ما أصابني من الدنيا، قال الواقديّ: وأقبل وهب بن قابوس المزنيّ ومعه ابن أخيه الحارث بن عقبة بغنم لهما من جبل جهينة فوجدا المدينة خلواً، فسألا أين الناس؟ قالوا: بأحد، خرج رسول الله صلى الله عليه وآله يقاتل المشركين من قريش. فقالا: لا نبتغي أثراً بعد عين، فخرجا حتّى أتيا النبيّ صلى الله عليه وآله بأحد فوجدوا القوم يقتتلون، والدولة لرسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه. فأغارا مع المسلمين في النهب، وجاءت الخيل من ورائهم

خالد وعكرمة فاختلط الناس، فقاتلا أشدّ القتال فانفرقت فرقة من المشركين، فقال رسول الله ﷺ: من لهذه الفرقة؟ فقال وهب: أنا، فقام فرماهم بالنبل حتّى انصرفوا، ثمّ رجع فانفرقت فرقة أخرى، فقال ﷺ: من لهذه الكتيبة؟ فقال المزنيّ: أنا يا رسول الله، فقام فذبّها بالسيف حتّى ولت، ثمّ رجع فطلعت كتيبة أخرى، فقال ﷺ: من يقوم لهؤلاء؟ فقال المزنيّ: أنا يا رسول الله، فقال: قم وأبشر بالجنّة، فقام مسروراً يقول: والله لا أقيل ولا أستقيل، فجعل يدخل فيهم ويضرب بالسيف ورسول الله ﷺ ينظر إليه والمسلمون حتّى خرج من أقصى الكتيبة، ورسول الله يقول: «اللّهمّ ارحمه» ثمّ يرجع فيهم، فما زال كذلك وهم محدقون به حتّى اشتملت عليه أسيافهم ورماحهم فقتلوه، فوجد به يومئذٍ عشرون طعنة بالرماح كلّها قد دخلت إلى مقتل، ومثّل به أقبح المثل يومئذٍ، ثمّ قام ابن أخيه فقاتل كنحو قتاله حتّى قتل.

وقال سعد بن أبي وقّاص: أشهد لرأيت رسول الله ﷺ واقفاً على المزنيّ وهو مقتول وهو يقول: «رضي الله عنك فإنّي عنك راضٍ» ثم رأيت رسول الله ﷺ قام على قدميه وقد ناله من ألم الجراح ما ناله على قبره حتّى وضع في لحده وعليه بردة لها أعلام حمر، فمدّ رسول الله ﷺ البردة على رأسه فخمّره وأدرجه فيها طولاً، فبلغت نصف ساقيه، فأمرنا فجمعنا الحرمل فجعلناه على رجليه وهو في لحده، ثمّ انصرف.

قال الواقديّ: وأقبل ضرار بن الخطّاب فضرب عمر بن الخطّاب لمّا جال المسلمون تلك الجولة بالقناة، وقال: يا ابن الخطّاب إنّها نعمة مشكورة ما كنت لأقتلك.

قال: وقال عليّ ﷺ لمّا كان يوم أحد وجال الناس تلك الجولة أقبل أميّة بن أبي حذيفة بن المغيرة وهو دارع مقنّع في الحديد ما يرى منه إلاّ عيناه، وهو يقول: يوم بيوم بدر، فعرض له رجل من المسلمين فقتله أميّة، فصمدت له فضربته بالسّيف على هامته وعليه بيضة وتحت البيضة مغفر فنبا سيفي، وكنت رجلاً قصيراً، فضربني بسيفه فاتّقيت بالدرقة، فلحج سيفه فضربته وكان درعه مشمّرة فقطعت رجليه فوقع، وجعل يعالج سيفه حتّى خلصه من الدرقة، وجعل يناوشني وهو بارك حتّى نظرت إلى فتق إبطه فضربته فمات.

قال الواقديّ: بينا عمر بن الخطّاب يومئذٍ في رهط من المسلمين قعود إذ مرّ بهم أنس بن النضر فقال: ما يقعدكم؟ قالوا: قتل رسول الله ﷺ، قال: فما تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه، ثمّ قال فجالد بسيفه حتّى قتل، وقالوا: إنّ مالك بن الدخشم مرّ على خارجة بن زيد وهو قاعد وفي حشوته ثلاثة عشر جرحاً كلّها قد خلصت إلى مقتل، فقال مالك: أعلمت أنّ محمّداً قد قتل؟ قال خارجة: فإن كان محمّد قتل، فإنّ الله حيّ لا يقتل ولا يموت، وإنّ محمّداً قد بلغ فاذهب أنت فقاتل عن دينك، قال: ومرّ مالك بن الدخشم أيضاً على سعد بن الربيع وبه اثنا عشر جرحاً كلّها قد خلص إلى مقتل، فقال: أما

علمت أنّ محمّداً قد قتل؟ فقال سعد: أشهد أنّ محمّداً قد بلّغ رسالة ربّه، فقاتل أنت عن دينك، فإنّ الله حيّ لا يموت.

قال ابن أبي الحديد: قد روى كثير من المحدّثين أنّ رسول الله ﷺ قال لعليّ عليه السلام حين سقط ثمّ أقيم: «اكفني هؤلاء» لجماعة قصدت نحوه، فحمل عليهم فهزمهم، وقتل منهم عبد الله بن حميد، ثمّ حملت عليهم طائفة أخرى فقال له: اكفني هؤلاء، فحمل عليهم فانهزموا من بين يديه وقتل منهم أميّة بن حذيفة المخزوميّ.

وقال: جميع من قتل يوم أحد من المشركين ثمانية وعشرون، قتل عليّ عليه السلام منهم ما اتّفق عليه وما اختلف فيه اثني عشر، وهو إلى جملة القتلى كعدّة من قتل ببدر إلى جملة القتلى يومئذٍ وهو قريب من النصف.

ثمّ قال: القول فيمن ثبت من المسلمين مع رسول الله ﷺ يوم أحد، قال الواقديّ: حدّثني موسى بن يعقوب، عن عمّته، عن أمّها، عن المقداد قال: لمّا تصافّ القوم للقتال يوم أحد جلس رسول الله ﷺ تحت راية مصعب بن عمير، فلمّا قتل أصحاب اللواء هزم المشركون الهزيمة الأولى، وأغار المسلمون على معسكرهم ينهبونه، ثمّ كرّ المشركون على المسلمين، فأتوهم عن خلفهم، فتفرّق الناس، ونادى رسول الله ﷺ في أصحاب الألوية فقتل مصعب حامل لوائه، وأخذ راية الخزرج سعد بن عبادة، فقام رسول الله ﷺ تحتها وأصحابه محدقون به، ودفع لواء المهاجرين إلى أبي الردم أحد بني عبد الدار آخر نهار ذلك اليوم، ونظرت إلى لواء الأوس مع أسيد بن حضير فناوشوا المشركين ساعة واقتتلوا على اختلاط من الصفوف، ونادى المشركين بشعارهم: يا للعزّى يا لهبل، فأوجعوا والله فينا قتلاً ذريعاً، ونالوا من رسول الله ﷺ ما نالوا، لا والّذي بعثه بالحقّ ما زال شبراً واحداً، إنّه لفي وجه العدوّ تثوب إليه طائفة من أصحابه مرّة، وتتفرّق عنه مرّة فربما رأيته قائماً يرمي حتّى تحاجزوا، وكانت العصابة التي ثبتت مع رسول الله ﷺ أربعة عشر رجلاً: سبعة من المهاجرين، وسبعة من الأنصار، فأمّا المهاجرون فعليّ عليه السلام وأبو بكر وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقّاص وطلحة بن عبيد الله وأبو عبيدة بن الجرّاح والزبير بن العوام، وأمّا الأنصار فالحباب بن المنذر وأبو دُجانة وعاصم بن ثابت والحارث بن الصمة وسهل بن حنيف وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير.

قال الواقديّ: وقد روي أنّ سعد بن عبادة ومحمّد بن مسلمة ثبتا يومئذٍ ولم يفرّا، ومن روى ذلك جعلهما مكان سعد بن معاذ وأسيد بن حضير.

قال الواقديّ: وبايعه يومئذٍ على الموت ثمانية: ثلاثة من المهاجرين: عليّ وطلحة والزبير، وخمسة من الأنصار: أبو دجانة والحارث بن الصمة والحباب بن المنذر وعاصم بن ثابت وسهل بن حنيف، ولم يقتل منهم ذلك اليوم أحد، وأمّا باقي المسلمين ففرّوا ورسول الله ﷺ يدعوهم في أخراهم حتّى انتهى من انتهى منهم إلى قريب من المهراس.

قال الواقديّ: وحدّثني عتبة بن جبيرة، عن يعقوب بن عمر بن قتادة قال: ثبت يومئذٍ بين يديه ثلاثون رجلاً كلّهم يقول: وجهي دون وجهك، ونفسي دون نفسك، وعليك السلام غير مودّع.

قلت: قد اختلف في عمر بن الخطّاب هل ثبت يومئذٍ أم لا، مع اتّفاق الرواة كافّة على أنّ عثمان لم يثبت، فالواقديّ ذكر أنّه لم يثبت، وأمّا محمّد بن إسحاق والبلاذريّ فجعلاه مع من ثبت ولم يفرّ، واتفقوا كلّهم على أنّ ضرار بن الخطّاب الفهريّ قرع رأسه بالرمح وقال: إنّها نعمة مشكورة يا ابن الخطّاب، إنّي آليت أن لا أقتل رجلاً من قريش. روى ذلك محمّد بن إسحاق وغيره ولم يختلفوا في ذلك، وإنّما اختلفوا هل قرعه بالرمح وهو فارّ هارب أم مقدم ثابت، ولم تختلف الرواة من أهل الحديث أنّ أبا بكر لم يفرّ يومئذٍ وأنّه ثبت فيمن ثبت، وإن لم يكن نقل عنه قتل أو قتال، والثبوت جهاد، وفيه وحده كفاية، وأمّا رواية الشيعة فإنّهم يروون أنّه لم يثبت إلاّ عليّ وطلحة والزبير وأبو دُجانة وسهل بن حنيف وعاصم بن ثابت، وفيهم من يروي أنّه ثبت معه أربعة عشر رجلاً من المهاجرين والأنصار، ولا يعدّون أبا بكر وعمر بينهم، وروى كثير من أصحاب الحديث أنّ عثمان جاء بعد ثالثة إلى رسول الله ﷺ، فسأله إلى أين انتهيت؟ فقال: إلى الأعوص، فقال: لقد ذهبت فيها عريضة.

قال ابن أبي الحديد: وحضرت عند محمّد بن معد العلويّ على رأي الإماميّة وقارئ يقرأ عنده مغازي الواقديّ، فقرأ: حدّثنا الواقديّ، عن ابن أبي سبرة، عن خالد بن رياح، عن أبي سفيان مولى ابن أبي أحمد، عن محمّد بن مسلمة قال: سمعت أذناي وأبصرت عيناي رسول الله ﷺ يقول يوم أُحد وقد انكشف الناس إلى الجبل وهو يدعوهم وهم لا يلوون عليه سمعته يقول: إليّ يا فلان، إليّ يا فلان، أنا رسول الله، فما عرج عليه واحد منهما ومضيا، فأشار ابن معد إليّ: أي اسمع، فقلت: وما في هذا؟ قال: هذه كناية عنهما، فقلت: ويجوز أن لا يكون عنهما، لعلّه عن غيرهما، قال: ليس في الصحابة من يحتشم من ذكره بالفرار وما شابهه من العيب فيضطرّ القائل إلى الكناية إلاّ هما، قلت له: هذا ممنوع، فقال: دعنا من جدلك ومنعك، ثمّ حلف أنّه ما عنى الواقديّ غيرهما، وأنّه لو كان غيرهما لذكرهما صريحاً.

قال الواقديّ: وكان ممّن ولّى عمر وعثمان والحارث بن حاطب وثعلبة بن حاطب وسواد ابن غزية وسعد بن عثمان وعقبة بن عثمان وخارجة بن عامر وأوس بن قبطي في نفر من بني حارثة.

واحتجّ أيضاً من قال بفرار عمر بما رواه الواقديّ في قصّة حديبيّة قال: قال عمر يومئذٍ: يا رسول الله ألم تكن حدّثتنا أنّك ستدخل المسجد الحرام، وتأخذ مفتاح الكعبة، وتعرّف مع المعرّفين، وهدينا لم يصل إلى البيت ولا نحر؟ فقال رسول الله ﷺ: أقلت لكم في سفركم هذا؟ قال عمر: لا، قال: أما إنّكم ستدخلونه، وآخذ مفتاح الكعبة، وأحلق رأسي ورؤوسكم ببطن مكّة وأعرّف مع المعرّفين، ثمّ أقبل على عمر وقال: «أنسيتم يوم أُحد إذ

تصعدون ولا تلوون على أحد، وأنا أدعوكم في أخراكم؟ أنسيتم يوم الأحزاب إذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم، وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر؟ أنسيتم يوم كذا؟» وجعل يذكّرهم أموراً، أنسيتم يوم كذا؟ فقال المسلمون: صدق الله ورسوله أنت يا رسول الله أعلم بالله منّا، فلمّا دخل عام القضيّة وحلق رأسه قال: «هذا الّذي كنت وعدتكم به» فلمّا كان يوم الفتح وأخذ مفتاح الكعبة قال: «ادعوا لي عمر بن الخطّاب» فجاء فقال: «هذا الّذي كنت قلت لكم».

قالوا: فلو لم يكن فرّ يوم أحد لما قال له: «أنسيتم يوم أحد إذ تصعدون ولا تلوون على أحد»(١).

هذا آخر ما أردنا نقله من كلام ابن أبي الحديد.

أقول: والعجب منه أنّه ادّعى هنا اتّفاق الرواة على أنّه ثبت أبو بكر ولم يفرّ، مع أنّه قال عند ذكر أجوبة شيخه أبي جعفر الإسكافيّ عمّا ذكره الجاحظ في فضل إسلام أبي بكر على إسلام عليّ عليه السلام حيث قال الجاحظ: وقد ثبت أبو بكر مع النبيّ صلى الله عليه وآله يوم أحد كما ثبت عليّ فلا فخر لأحدهما على صاحبه في ذلك اليوم قال شيخنا أبو جعفر: أمّا ثباته يوم أحد فأكثر المؤرّخين وأرباب السيرة ينكرونه وجمهورهم يروي أنّه لم يبق مع النبيّ صلى الله عليه وآله إلاّ عليّ عليه السلام وطلحة والزبير وأبو دجانة، وقد روي عن ابن عبّاس أنّه قال: ولهم خامس وهو عبد الله بن مسعود، ومنهم من أثبت سادساً وهو المقداد بن عمرو، وروى يحيى بن سلمة بن كهيل قال: قلت لأبي: كم ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وآله يوم أحد؟ كلٌّ منهم يدّعيه؟ فقال: اثنان قلت: من هما؟ قال: عليّ وأبو دجانة انتهى.

فقد ظهر أنّ ثبات أبي بكر أيضاً ليس ممّا أجمعت عليه رواتهم، واتّفقت رواياتهم مع اتّفاق روايات الشيعة على عدمه، وهي محفوفة بالقرائن الظاهرة، إذ من المعلوم أنّ مع ثباته لا بدّ أن ينقل منه إمّا ضرب أو طعن، والعجب منه أنّه حيث لم يكن من الطاعنين كيف لم يصر من المطعونين؟ ولمّا لم يكن من الجارحين لمَ لم يكن من المجروحين؟ وإن لم يتحرّك لقتال مع كونه بمرأى من المشركين ومسمع لمَ لم يذكر في المقتولين؟ إلاّ أن يقال: إنّ المشركين كانوا يرونه منهم باطناً، فلذا لم يتعرّضوا له، كما لم يقتل ضرار عمر، ولعمري يمكن أن يقال: لو كان حضر ميّت تلك الوقعة لكان يذكر منه بعض ما ينسب إلى الأحياء ولا يدّعي مثل ذلك إلاّ من ليس له حظّ من العقل والحياء.

ولنوضح بعض ما ربما اشتبه فيما نقلنا عنه: ضوى إليهم كرمى: انضمّ. ما فضّت أي كسرت، والتيه بالكسر: الكبر. والصياصي: الحصون. لم يكلموا على بناء المفعول، أي لم يجرحوا. والرصد بالتحريك: الّذين يرقبون العدوّ والجمع أرصاد.

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١٤ ص ٣٦٦.

وفي النهاية: فيه كمثل الجسد إذا اشتكى بعضه تداعى سائره بالسهر والحمّى كأنّه بعضاً دعا بعضاً، ومنه قولهم: تداعت الحيطان، أي تساقطت، أو كادت، ومنه تداعت إليكم الأمم، أي اجتمعوا ودعا بعضكم بعضاً انتهى.

وثعب الماء والدم كمنع: فجره فانثعب، ذكره الفيروزآباديّ، وقال: القتره بالفتح: الغبرة، والقتر بالضمّ: الناحية، والجانب، والقتر: القدر، ويحرّك وقال: الريح: الغلبة والقوّة والنصرة انتهى.

انحزت، أي عدلت عمّا كنت فيه متوجهاً إليه، والأعوص: موضع قرب المدينة.

ثمّ قال ابن أبي الحديد: في ذكر أسماء من قتل من المسلمين بأحد: قال الواقديّ: ذكر سعيد بن المسيّب وأبو سعيد الخدريّ أنّه قتل من الأنصار خاصّة أحد وسبعون، وبمثله قال مجاهد، قال: فأربعة من قريش، وهم حمزة قتله وحشيّ، وعبد الله بن جحش، قتله الأخنس ابن شريق وشماس بن عثمان، قتله أبيّ بن خلف، ومصعب بن عمير، قتله ابن قميئة، قال: وقد زاد قوم خامساً وهو سعد مولى حاطب من بني أسد، وقال قوم أيضاً: إنّ أبا سلمة بن عبد الأسد المخزوميّ جرح يوم أحد ومات من تلك الجراحة بعد أيّام.

قال الواقديّ: وقال قوم: قتل ابنا الهيث من بني سعد وهما عبد الله وعبد الرحمن، ورجلان من مزينة، وهما وهب بن قابوس وابن أخيه الحارث بن عتبة بن قابوس، فيكون جميع من قتل من المسلمين ذلك اليوم أحداً وثمانين رجلاً. انتهى.

أقول: الأصوب ما مرّ في الأخبار المعتبرة من أنّ المقتولين من المسلمين بأحد سبعون. ويحتمل أن يكون السبعون من المهاجرين والأنصار، والباقون ممّن لحقهم من خارج المدينة كما عرفت.

٥١ - **أقول:** وروى الكازرونيّ في المنتقى عن ربيعة بن الحارث قال: أعطى رسول الله ﷺ مصعب بن عمير اللواء يوم أحد، فقتل مصعب، فأخذه ملك في صورة مصعب فجعل رسول الله ﷺ يقول في آخر النهار: تقدّم يامصعب، فالتفت إليه الملك وقال: لست بمصعب، فعرف رسول الله ﷺ أنّه ملك أيّد به.

٥٢ - وقال ابن الأثير في كامل التواريخ: كان الّذي قتل أصحاب اللواء عليّ عليه السلام قاله أبو رافع. قال فلمّا قتلهم أبصر رسول الله ﷺ جماعة من المشركين فقال لعليّ: احمل عليهم، فحمل ففرّقهم، وقتل منهم، ثمّ أبصر جماعة أخرى فقال له: فاحمل عليهم، فحمل وفرّقهم وقتل منهم، فقال جبرئيل: يا رسول الله هذه المواساة، فقال رسول الله ﷺ: إنّه منّي وأنا منه، فقال جبرئيل: وأنا منكما، قال: فسمعوا صوتاً: لا سيف إلاّ ذو الفقار، ولا فتى إلاّ عليّ.

قال: وقاتل رسول الله ﷺ بأحد قتالاً شديداً، فرمى بالنبل حتّى فني نبله، وانكسرت

سية قوسه، وانقطع وتره، ولمّا جرح رسول الله جعل عليّ عليه السلام ينقل له الماء في درقته من المهراس، ويغسله فلم ينقطع الدم، فأتت فاطمة عليها السلام وجعلت تعانقه وتبكي، وأحرقت حصيراً وجعلت على الجرح من رماده فانقطع الدم، وقال: وانتهت الهزيمة بجماعة فيهم عثمان بن عفان وغيره إلى الأعوص فأقاموا به ثلاثة، ثمّ أتوا النبيّ صلى الله عليه وآله فقال لهم حين رآهم: لقد ذهبتم فيها عريضة.

وقال في ذكر غزوة حمراء الأسد: وظفر في طريقه بمعاوية بن المغيرة بن أبي العاص وبأبي عزّة الجمحيّ، وكان أبو عزّة أسر يوم بدر فأطلقه النبيّ صلى الله عليه وآله، لأنّه شكى إليه فقراً وكثرة العيال، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله عليه العهود أن لا يقاتله ولا يعين على قتاله، فخرج معهم يوم أُحد، وحرّض على المسلمين، فلمّا أُتي به رسول الله صلى الله عليه وآله قال: يا محمّد امنن عليّ، قال: «المؤمن لا يلدغ من جحر مرّتين» وأمر به فقتله، وأمّا معاوية وهو الّذي جدع أنف حمزة ومثّل به، مع من مثّل به وكان قد أخطأ الطريق، فلمّا أصبح أتى دار عثمان بن عفّان، فلمّا رآه قال له عثمان أهلكتني وأهلكت نفسك، فقال: أنت أقربهم منّي رحماً وقد جئتك لتجيرني، فأدخله عثمان داره وصيّره في ناحية منها ثمّ خرج إلى النبيّ صلى الله عليه وآله ليأخذ له منه أماناً فسمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنّ معاوية في المدينة وقد أصبح بها فاطلبوه، فقال بعضهم: ما كان ليعدو منزل عثمان فاطلبوه، فدخلوا منزل عثمان فأشارت أمّ كلثوم إلى الموضع الّذي صيّره فيه، فاستخرجوه من تحت حمارة لهم، فانطلقوا به إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فقال عثمان حين رآه: والّذي بعثك بالحقّ ما جئت إلاّ لأطلب له الأمان فهبه لي، فوهبه له، وأجّله ثلاثة أيّام، وأقسم لئن وجد بعدها يمشي في أرض المدينة وما حولها ليقتلنّه فخرج عثمان فجهّزه واشترى له بعيراً ثمّ قال له: ارتحل، وسار رسول الله صلى الله عليه وآله إلى حمراء الأسد، وأقام معاوية إلى اليوم الثالث ليعرف أخبار النبيّ صلى الله عليه وآله ويأتي بها قريشاً، فلمّا كان في اليوم الرابع قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ معاوية أصبح قريباً لم يبعد فاطلبوه، فأصابوه وقد أخطأ الطريق فأدركوه، وكان اللّذان أسرعا في طلبه زيد بن حارثة وعمّار بن ياسر، فوجداه بالحماء فضربه زيد بالسيف، فقال عمّار: إنّ لي فيه حقّاً، فرماه بسهم فقتلاه، ثمّ انصرفا إلى المدينة بخبره[1].

وروى هذا الخبر ابن أبي الحديد أيضاً، وأكثر اللفظ له، ثمّ قال: ويقال: إنّه أدرك على ثمانية أميال من المدينة، فلم يزل زيد وعمّار يرميانه بالنبل حتّى مات، وهذا كان جدّ عبد الملك بن مروان لأمّه انتهى.

أقول: هذه القصّة كانت سبب قتل عثمان ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله، كما سيأتي شرحه إن شاء الله في مثالبه، وباب أحوال أولاد رسول الله صلى الله عليه وآله وغيرهما.

---

(١) الكامل في التاريخ، ج ٢ ص ١٤٧.

وقال ابن الأثير: وفيها يعني السنة الثالثة من الهجرة قيل: ولد الحسن بن عليّ عليه السلام في النصف من شهر رمضان، وفيها علقت فاطمة بالحسين عليه السلام، وكان بين ولادتها وحملها خمسون يوماً[1].

٥٣ - وفي الديوان المنسوب إلى عليّ عليه السلام إنّ الحارث بن صمّة بعثه النبيّ صلى الله عليه وآله في أحد لحاجة فأبطأ فأنشأ أمير المؤمنين عليه السلام:

لا همّ إن الحارث بن صمة ... كان وفيّاً وبنا ذا ذمّة

أقبل في مهامه مهمّة ... في ليلة ليلاء مدلهمّة

بين رماح وسيوف جمّة ... يبغي رسول الله فيها ثمّة

لا بدّ من بليّة ملمّة[2]

١٣ - باب غزوة الرجيع وغزوة معونة

الآيات: آل عمران «٣»: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾ الآية «١٦٩».

تفسير: قال الطبرسي رحمه الله قيل: نزلت في شهداء بئر معونة، وكان سبب ذلك على ما رواه محمّد بن إسحاق بن يسار بإسناده عن أنس وغيره قال: قدم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الأسنّة وكان سيّد بني عامر بن صعصعة على رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة وأهدى له هديّة، فأبى رسول الله صلى الله عليه وآله أن يقبلها، وقال: «يا أبا براء لا أقبل هديّة مشرك فأسلم إن أردت أن أقبل هديّتك» وقرأ عليه القرآن فلم يسلم ولم يبعد، وقال يا محمّد: إنّ أمرك هذا الّذي تدعو إليه حسن جميل، فلو بعثت رجالاً من أصحابك إلى أهل نجد فدعوهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّي أخشى عليهم أهل نجد» فقال أبو براء: أنا لهم جار فابعثهم فليدعوا النّاس إلى أمرك، فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله المنذر بن عمرو أخا بني ساعدة في سبعين رجلاً من خيار المسلمين منهم الحارث بن الصمة وحرام بن ملحان وعروة بن أسماء بن الصلت السلميّ ونافع بن بديل بن ورقاء الخزاعي وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر وذلك في صفر سنة أربع من الهجرة على رأس أربعة أشهر من أحد، فساروا حتّى نزلوا بئر معونة، فلمّا نزلوا قال بعضهم لبعض: أيكم يبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وآله أهل هذا الماء؟ فقال حرام بن ملحان: أنا، فخرج بكتاب رسول الله صلى الله عليه وآله إلى عامر بن الطفيل، فلمّا أتاهم لم ينظر عامر في كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال حرام: يا أهل بئر معونة، إنّي رسول رسول الله إليكم، وإنّي أشهد أن لا إله إلاّ الله وأشهد أن محمّداً رسول الله، فآمنوا بالله ورسوله، فخرج إليه رجل من كسر البيت برمح فضرب به في جنبه حتّى خرج من الشقّ الآخر، فقال: الله أكبر فزت وربّ الكعبة، ثمّ استصرخ عامر بن الطفيل بني عامر على

---

(١) الكامل في التاريخ، ج ٢ ص ١٤٧. (٢) ديوان الإمام علي، ص ١٣٣.

المسلمين فأبوا أن يجيبوه إلى ما دعاهم إليه، وقالوا: لن نخفر أبا براء، وقد عقد لهم عقداً وجواراً، فاستصرخ عليهم قبائل من بني سليم: عصيّة ورعلاً وذكوان، فأجابوه إلى ذلك فخرجوا حتّى غشوا القوم فأحاطوا بهم في رحالهم، فلمّا رأوهم أخذوا السيوف فقاتلوهم حتّى قتلوا عن آخرهم إلاّ كعب بن زيد فإنّهم تركوه وبه رمق فارتثّ من بين القتلى فعاش حتّى قتل يوم الخندق، وكان في سرح القوم عمرو بن أميّة الضمريّ ورجل من الأنصار أحد بني عمرو بن عوف، فلم ينبئهما بمصاب أصحابهما إلاّ الطير، تحوم حول العسكر، فقالوا: والله إنّ لهذا الطير لشأناً، فأقبلا لينظرا إليه فإذا القوم في دمائهم، وإذا الخيل الّتي أصابتهم واقفة، فقال الأنصاريّ لعمرو بن أميّة: ماذا ترى؟ فقال: أرى أن نلحق برسول الله ﷺ فنخبره الخبر، فقال الأنصاريّ: لكنّي ما كنت لأرغب بنفسي عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو، ثمّ قاتل القوم حتّى قتل، وأخذوا عمرو بن أميّة أسيراً، فلمّا أخبرهم أنّه من مضر أطلقه عامر بن الطفيل، وجزّ ناصيته، وأعتقه عن رقبة زعم أنّها كانت على أبيه فقدم عمرو بن أميّة على رسول الله ﷺ وأخبره الخبر، فقال رسول الله ﷺ : «هذا عمل أبي براء، قد كنت لهذا كارهاً متخوّفاً» فبلغ ذلك أبا براء فشقّ عليه إخفار عامر إيّاه، وما أصاب رسول الله ﷺ بسببه، فقال حسّان بن ثابت يحرّض أبا براء على عامر بن الطفيل:

بني أمّ البنين ألم يرعكم ... وأنتم من ذوائب أهل نجد؟
تهكّمُ عامر بأبي براء ... ليخفره وما خطأ كعمد
الا ابلغ ربيعة ذا المساعي ... فما أحدثت في الحدثان بعدي
أبوك أبو الحروب أبو براء ... وخالك ماجد حكم بن سعد

وقال كعب بن مالك:

لقد طارت شعاعاً كلّ وجه ... خفارة ما أجار أبو براء
بني أمّ البنين أما سمعتم ... دعاء المستغيث مع النساء
وتنويه الصريخ بلى ولكن ... عرفتم أنّه صدق اللقاء

فلمّا بلغ ربيعة بن أبي براء قول حسّان وقول كعب حمل على عامر بن الطفيل فطعنه فخرّ عن فرسه، فقال: هذا عمل أبي براء إن متّ فدمي لعمّي فلا يتعنّ سواي وإن أعش فسأرى فيه الرأي، قال: فأنزل الله في شهداء بئر معونة قرآناً: «بلّغوا عنّا قومنا بأنّا لقينا ربّنا فرضي عنّا ورضينا عنه» ثمّ نسخت ورفعت بعد ما قرأناها وأنزل الله ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الآية(١).

بيان: ولم يبعد، أي ينكر كثيراً، وفي القاموس: بئر معونة بضمّ العين: قرب المدينة،

(١) مجمع البيان، ج ٢ ص ٤٤٠.

وقال: الكسر ويكسر: جانب البيت، وقال: خفره وبه خفراً وخفوراً: نقض عهده وغدره كأخفره، وعصيّة كسميّة: بطن من بني سليم، يقال: ارتثّ فلان على بناء المجهول، أي حمل من المعركة جريحاً وبه رمق، قوله في سرح القوم أي عند دوابّهم حيث ذهبت للرعي. والتحريض: الحثّ. وراعه أفزعه. والذؤابة من كلّ شيء: أعلاه. والتهكّم: الاستهزاء، وما خطأً كعمد، أي لم يفعل ذلك خطأً ليعفى عنه بل فعله عمداً. وفي القاموس، المسعاة: المكرمة، والمعلاة في أنواع المجد.

فما أحدثت استفهام على التعجّب، ويحتمل النفي.

وفي القاموس. ذهبوا شعاعاً: متفرّقين، وطار فؤاده شعاعاً: تفرّقت همومه، وقال: الخفارة بالضمّ: الذمّة، وقال: نوّهه وبه: دعاه، وقال: الصريخ: المغيث والمستغيث. وقال: الصدق: الصلب المستوي من الرماح والرجال، والكامل من كلّ شيء، وهي صدقة، وقوم صدقون، ونساء صدقات، ورجل صدق للقاء والنظر انتهى.

وضمير (إنه) لعامر.

أقول: روى مثل هذه القصّة في إعلام الورى وابن شهر آشوب في المناقب وفي الأوّل فبعث رسول الله ﷺ المنذر بن عمرو في بضعة وعشرين رجلاً، وقيل: في أربعين رجلاً، وقيل: في سبعين رجلاً من خيار المسلمين.

وفيه: فشقّ عليه إخفار عامر إيّاه، وما أصاب من أصحاب رسول الله ﷺ ونزل به الموت، فحمل ربيعة بن أبي براء على عامر بن طفيل وهو في نادي قومه، فأخطأ مقاتله فأصاب فخذه، فقال عامر: هذا عمل عمّي أبي براء إن متُّ فدمي لعمّي لا تطلبوه به.

١ - **قب، عم:** كانت بعد غزوة حمراء الأسد غزوة الرجيع، بعث رسول الله ﷺ مرثد ابن أبي مرثد الغنويّ حليف حمزة وخالد بن البكير وعاصم بن ثابت بن الأفلح وخبيب بن عديّ وزيد بن دثنة وعبدالله بن طارق، وأمير القوم مرثد، لمّا قدم عليه رهط من عضل والديش، وقالوا: ابعث معنا نفراً من قومك يعلّمونا القرآن ويفقّهوننا في الدين فخرجوا مع القوم إلى بطن الرجيع وهو ماء لهذيل فقتلهم حيّ من هذيل يقال لهم: بنو لحيان، وأصيبوا جميعاً.

وذكر ابن إسحاق أنّ هذيلاً حين قتلت عاصم بن ثابت أرادوا رأسه ليبيعوه من سلافة بنت سعد، وقد كانت نذرت حين أُصيب ابناها بأحد لئن قدرت على رأسه لتشربنّ في قحفه الخمر، فمنعتهم الدبر، فلمّا حالت بينهم وبينه قالوا: دعوه حتّى نمسي فتذهب عنه، فبعث الله الوادي فاحتمل عاصماً فذهب به، وقد كان عاصم أعطى الله عهداً أن لا يمسّ مشركاً ولا يمسّه مشرك أبداً في حياته، فمنعه الله بعد وفاته ممّا امتنع منه في حياته[1].

---

(١) المناقب لابن شهرآشوب، ج ١ ص ٢٤٦، اعلام الورى، ص ١٠٢.

بيان: الدبر بالفتح: جماعة النحل.

٢ - **أقول:** قال الكازروني: روى ابن إسحاق عن أشياخه أنّ قوماً من المشركين قدموا على رسول الله ﷺ فقالوا: إنّ فينا إسلاماً فابعث معنا نفراً من أصحابك يفقّهوننا ويقرئوننا القرآن ويعلّموننا شرائع الإسلام، فبعث معهم عشرة، منهم عاصم بن ثابت، ومرثد بن أبي مرثد وعبدالله بن طارق وخبيب بن عديّ وزيد بن الدثنة وخالد بن أبي البكير ومعقب بن عبيد، وأمّر عليهم مرثداً، وقيل: عاصماً، فخرجوا حتّى إذا كانوا بالرجيع وهو ماء لهذيل غدروا بالقوم واستصرخوا عليهم هذيلاً فخرج بنو لحيان فلم يرع القوم إلاّ رجال بأيديهم السيوف فأخذ أصحاب رسول الله ﷺ سيوفهم فقالوا لهم: إنّا والله ما نريد قتالكم، إنّما نريد أن نصيب بكم من أهل مكّة، ولكم العهد والميثاق أن لا نقتلكم، فأمّا عاصم ومرثد وخالد ومعقب فقالوا: والله لا نقبل من مشرك عهداً، فقاتلوهم حتّى قتلوا، وأمّا زيد وخبيب وابن طارق فاستأسروا وأمّا عاصم بن ثابت فإنّه نثر كنانته وفيها سبعة أسهم فقتل بكلّ سهم رجلاً من عظماء المشركين ثمّ قال: «اللّهمّ إنّي حميت دينك صدر النهار فارحم لحمي آخر النهار» ثمّ أحاط به المشركون فقتلوه وأرادوا رأس عاصم ليبيعوه من سلافة بنت سعد، وكانت نذرت أن تشرب في قحفه الخمر لأنّه قتل ابنيها يوم أحد فحمته الدبر فقالوا: امهلوه حتّى يمسي فتذهب عنه، فبعث الله الوادي فاحتمله، فسمّي حمى الدبر، وخرجوا بالنفر الثلاثة حتّى إذا كانوا بمرّ الظهران انتزع عبد الله بن طارق يده منهم وأخذ سيفه، واستأخر عنه القوم فرموه بالحجارة حتّى قتلوه، فقبر بمرّ الظهران، وقدموا بخبيب وزيد مكّة فابتاع حجير بن أبي أهاب خبيباً لابن أخته عقبة بن الحارث ليقتله بأبيه، وابتاع صفوان بن أميّة زيداً ليقتله بأبيه فحبسوهما حتّى خرجت الاشهر الحرم، ثمّ أخرجوهما إلى التنعيم فقتلوهما، وقال قائل لزيد عند قتله: أتحبّ أنّك الآن في أهلك وأن محمّداً مكانك؟ فقال: والله ما أحبّ أنّ محمّداً يشاك بشوكة وأنّي جالس في أهلي، فقال أبو سفيان: والله ما رأيت من قوم قطّ أشدّ حبّاً لصاحبهم من أصحاب محمد.

وبإسناده عن أبي هريرة قال: بعث رسول الله ﷺ عشرة عيناً وأمر عليهم عاصم بن ثابت حتّى إذا كانوا بالهدّة بين عسفان ومكّة ذكروا لحيّ من هذيل يقال لهم: بنو لحيان، فنفروا إليهم بقريب من مائة رجل رام فاقتصّوا آثارهم، فلمّا أحسّ بهم عاصم وأصحابه لجأوا إلى موضع فأحاط بهم القوم فقاولوا لهم: انزلوا فأعطوا بأيديكم ولكم العهد والميثاق أن لا نقتل منكم أحداً، فقال عاصم: أيّها القوم أمّا أنا فلا أنزل في ذمّة كافر، اللّهمّ أخبر عنّا نبيّك فرموهم بالنبل فقتلوا عاصماً، فنزل منهم ثلاثة على العهد منهم خبيب وزيد بن الدثنة ورجل آخر، فلمّا استمكنوا منهم أطلقوا أوتار قسيّهم فربطوهم بها، قال الرجل الثالث: هذا والله أوّل الغدر والله لا أصحبكم إنّ لي بهؤلاء أسوة، يريد القتلى، فجرّوه وعالجوه فأبى أن يصحبهم فقتلوه، وانطلقوا بخبيب وزيد حتّى باعوهما بمكّة، بعد وقعة بدر، فلبث

عندهم أسيراً حتّى أجمعوا على قتله، فاستعار من بعض بنات الحارث موسى يستحدّ بها فأعارته، فدرج بني لها وهي غافلة حتّى أتاه فوجدته جالساً على فخذه والموسى بيده، قال: ففزعت فزعة عرفها خبيب، فقال: أتخشين أن أقتله ما كنت لأفعل ذلك، إنّ الغدر ليس من شأننا، قالت: والله ما رأيت أسيراً قط خيراً من خبيب، والله لقد وجدته يوماً يأكل قطفاً من عنب في يده وإنّه لموثّق بالحديد، وما بمكّة من ثمرة، وكانت تقول: إنّه لرزق رزقه الله خبيباً، فلمّا أخرجوه من الحرم ليقتلوه في الحل قال لهم خبيب: دعوني أصلي ركعتين، فتركوه فركع ركعتين فقال: «والله لولا أن تحسبوا أنّ ما بي جزع لزدت، اللّهمّ احصهم عدداً، واقتلهم بدداً، ولا تبق منهم أحداً» وقال:

فلست أبالي حين أقتل مسلماً على أيّ جنب كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزّع

فصلبوه حيّاً فقال: اللّهمّ إنّك تعلم أنّه ليس لي أحد حوالي يبلغ سلامي رسولك فأبلغه سلامي ثمّ قام إليه أبو عقبة بن الحارث فقتله، فكان خبيب هو سنّ الصلاة لكلّ مسلم قتل صبراً. قال معاوية بن أبي سفيان: ولقد رأيت أبا سفيان يلقيني إلى الأرض فرقاً من دعوة خبيب، وكانوا يقولون: إنّ الرجل إذا دعي عليه فاضطجع زلّت عنه الدعوة، فلمّا بلغ النبيّ ﷺ هذا الخبر قال لأصحابه: أيّكم يختزل خبيباً عن خشبته؟ فقال الزبير أنا يا رسول الله وصاحبي المقداد بن الأسود فخرجا يمشيان باللّيل ويكمنان بالنهار حتّى أتيا التنعيم ليلاً، وإذا حول الخشبة أربعون من المشركين نيام نشاوى، فأنزلاه، فإذا هو رطب يتثنّى لم يتن منه شيء بعد أربعين يوماً، ويده على جراحته وهي تبضّ دماً، اللون لون الدم، والريح ريح المسك، فحمله الزبير على فرسه وساروا فانتبه الكفّار قد فقدوا خبيباً فأخبروا قريشاً فركب منهم سبعون، فلمّا لحقوهم قذف الزبير خبيباً فابتلعته الأرض فسمّي بليع الأرض، فقال الزبير: ما جرأكم علينا يا معشر قريش؟ ثمّ رفع العمامة عن رأسه، فقال: أنا الزبير بن عوام، وأمّي صفيّة بنت عبد المطّلب، وصاحبي المقداد بن الأسود أسدان رابضان يدفعان عن أشبالهما، فإن شئتم ناضلتكم، وإن شئتم نازلتكم، وإن شئتم انصرفتم، فانصرفوا إلى مكّة وقدما على رسول الله ﷺ.

بيان: مرثد كمسكن، وخبيب كزبير، والدثنة ككلمة، والموسى بضم الميم وفتح السين: ما يحلق به، والاستحداد: الاحتلاق بالحديد، والشلو بالكسر: العضو، والجسد من كلّ شيء، والتمزيع: التفريق، وتمزعوه بينهم: اقتسموه.

والمزعة بالضمّ والكسر: القطعة من اللحم، أو الشقّة منه، وبضّ الماء يبضّ بضاً سال قليلاً قليلاً.

٣ - **وقال ابن الأثير في الكامل:** لمّا قتل عاصم وأصحابه بعث رسول الله عمرو بن أميّة

الضمريّ إلى مكّة مع رجل من الأنصار وأمرهما بقتل أبي سفيان، قال عمرو: فخرجت أنا وصاحبي ومعي بعير لي وبرجل صاحبي علّة، فكنت أحمله على بعيري حتّى إذا جئنا ببطن احج فعقلنا بعيرنا في العشب، وقلت لصاحبي: انطلق بنا إلى أبي سفيان لنقتله، فإن خشيت شيئاً فالحق بالبعير فاركبه والحق برسول الله ﷺ وأخبره الخبر، وخلّ عنّي، فدخلنا مكّة ومعي خنجر إن عانقني إنسان ضربته به، فقال صاحبي: هل لك أن تبدأ فتطوف وتصلّي ركعتين؟ فقلت: إنّ أهل مكّة يجلسون بأفنيتهم، وأنا أعرف بها فلم يزل حتّى أتينا البيت فطفنا ثمّ خرجنا فمررنا بمجلس لهم فعرفني بعضهم فصرخ بأعلى صوته: هذا عمرو بن أميّة، فثار أهل مكّة إلينا، وقالوا: ما جاء إلاّ لشرّ وكان فاتكاً متشيطناً في الجاهليّة فقلت لصاحبي: النجاء هذا الّذي كنت أحذر! أمّا أبو سفيان فليس إليه سبيل فانج بنفسك فعدنا حتّى صعدنا الجبل فدخلنا في غار، فبينا نحن فيه ليلتنا ننتظر أن يسكن الطلب، قال: فوالله إنّي لفيه إذ أقبل عثمان بن مالك التيميّ بفرس له فقام على باب الغار فخرجت إليه فضربته بالخنجر فصاح صيحة أسمع أهل مكّة، فأقبلوا إليه، ورجعت إلى مكاني فوجدوه وبه رمق، فقالوا: من ضربك؟ فقال: عمرو بن أميّة ثمّ مات ولم يقدر أن يخبرهم بمكاني، وشغلهم قتل صاحبهم عن طلبي، فاحتملوه ومكثنا في الغار يومين حتّى سكن الطلب، ثمّ خرجنا إلى التنعيم، فإذا خشبة خبيب وحوله حرس فصعدت خشبته فاحتملته على ظهري، فما مشيت إلاّ نحواً من أربعين خطوة حتّى بدروا بي، فطرحته فاشتدّوا في أثري فأعيوا ورجعوا، وانطلق صاحبي فركب البعير، وأتى رسول الله ﷺ وأخبره، وأمّا خبيب فلم ير بعد ذلك، فكأن الأرض ابتلعته، قال: وسرت حتّى دخلت غار الضجنان ومعي قوسي وأسهمي فبينا أنا فيه اذ دخل من بني أعور طويل يسوق غنماً له فقال: من الرجل؟ فقلت من بني الدئل، فاضطجع معي ورفع عقيرته يتغنّى ويقول:

ولست بمسلم ما دمت حيّاً ولست أدين دين المسلمينا

ثمّ نام فقتلته، ثمّ سرت فإذا رجلان بعثهما قريش يتجسّسان أمر رسول الله ﷺ فرميت أحدهما بسهم فقتلته واستأسرت الآخر، فقدمت على رسول الله ﷺ وأخبرته الخبر فضحك ودعا لي بخير[1].

١٤ - باب غزوة بني النضير

الآيات: الحشر «٥٩»: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا ۖ وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ

---

(١) الكامل في التاريخ، ج ٢ ص ١٥١.

ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾﴾. إلى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ۖ ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾﴾.

تفسير: قال الطبرسيّ ﷺ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ﴾ قيل: نزلت السورة في إجلاء بني النضير من اليهود، فمنهم من خرج إلى خيبر، ومنهم من خرج إلى الشام عن مجاهد وقتادة، ذلك أنّ النبيّ ﷺ لمّا دخل المدينة صالحه بنو النضير على أن لا يقاتلوه ولا يقاتلوا معه، فقبل ذلك منهم، فلمّا غزا رسول الله ﷺ بدراً وظهر على المشركين قالوا: والله إنّه للنبيّ الّذي وجدنا نعته في التوراة لا تردّ له راية، فلمّا غزا ﷺ غزاة أحد وهزم المسلمون ارتابوا ونقضوا العهد، فركب كعب بن الأشرف في أربعين راكباً من اليهود إلى مكّة فأتوا قريشاً وحالفوهم وعاقدوهم على أن تكون كلمتهم واحدة على محمّد ﷺ، ثمّ دخل أبو سفيان في أربعين، وكعب في أربعين من اليهود المسجد، وأخذ بعضهم على بعض الميثاق بين الأستار والكعبة، ثمّ رجع كعب بن الأشرف وأصحابه إلى المدينة ونزل جبرئيل وأخبر النبيّ ﷺ بما تعاقد عليه كعب وأبو سفيان، وأمره بقتل كعب بن الأشرف، فقتله محمّد بن مسلمة الأنصاريّ وكان أخاه من الرضاعة.

قال محمّد بن إسحاق خرج رسول الله ﷺ إلى بني النضير يستعينهم في دية القتيلين من بني عامر اللّذين قتلهما عمرو بن أميّة الضمريّ وكان بين بني النضير وبين عامر عقد وحلف، فلمّا أتاهم رسول الله ﷺ يستعينهم في الدية، قالوا نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت، ثمّ خلا بعضهم ببعض فقال إنّكم لن تجدوا الرجل على مثل حالته هذه ورسول الله ﷺ إلى جانب جدار من بيوتهم قاعد فقالوا: من رجل يعلو على هذا البيت ويلقي عليه صخرة؟ ورسول الله ﷺ في نفر من أصحابه، فأتاه الخبر من السماء بما أراد القوم، فقام وقال لأصحابه: لا تبرحوا، فخرج راجعاً إلى المدينة، ولمّا استبطأوا النبيّ ﷺ قاموا في طلبه فلقوا رجلاً مقبلاً من المدينة فسألوه عنه فقال: رأيته داخلاً المدينة، فأقبل أصحاب النبيّ ﷺ حتّى انتهوا إليه فأخبرهم الخبر بما أرادت اليهود من الغدر، وأمر رسول الله ﷺ محمّد بن مسلمة بقتل كعب بن الأشرف، فخرج ومعه سلكان بن سلامة وثلاثة من

بني الحارث، وخرج النبيّ ﷺ على أثرهم وجلس في موضع ينتظر رجوعهم، فذهب محمّد بن مسلمة مع القوم إلى قرب قصره، وأجلس قومه عند جدار، وناداه: ياكعب، فانتبه وقال: من أنت؟ قال: أنا محمّد بن مسلمة أخوك، جئتك أستقرض منك دراهم فإنّ محمّداً يسألنا الصدقة وليس معنا الدراهم، فقال كعب: لا أقرضك إلاّ بالرهن، قال: معي رهن انزل فخذه، وكانت له امرأة بنى بها تلك الليلة عروساً، فقالت: لا أدعك تنزل لأني أرى حمرة الدم في ذلك الصوت، فلم يلتفت إليها، وخرج فعانقه محمّد بن مسلمة وهما يتحادثان حتّى تباعدا من القصر إلى الصحراء، ثمّ أخذ رأسه ودعا بقومه وصاح كعب، فسمعت امرأته فصاحت وسمع بنو النضير صوتها فخرجوا نحوه فوجدوه قتيلاً ورجع القوم سالمين إلى رسول الله ﷺ فلمّا أسفر الصبح أخبر رسول الله ﷺ أصحابه بقتل كعب ففرحوا، وأمر رسول الله ﷺ بحربهم والسير إليهم، فسار بالناس حتّى نزل بهم فتحصّنوا منه في الحصن، وأمر رسول الله ﷺ بقطع النخل والتحريق فيها، فنادوه: يا محمّد قد كنت تنهى عن الفحشاء، فما بالك تقطع النخل وتحرقها؟ فأنزل الله سبحانه: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا﴾ الآية، وهي البويرة في قول حسان:

وهان على سراة بني لؤي حريق بالبويرة مستطير

والبويرة تصغير بورة وهي إرة النّار أي حفرتها.

وقال ابن عبّاس: كان النبيّ ﷺ حاصرهم حتّى بلغ منهم كلّ مبلغ، فأعطوه ما أراد منهم، فصالحهم على أن يحقن لهم دماءهم وأن يخرجهم من أرضهم وأوطانهم، وأن يسيرهم إلى أذرعات بالشام، وجعل لكلّ ثلاثة منهم بعيراً وسقاء، فخرجوا إلى أذرعات وأريحا إلاّ أهل بيتين منهم: آل أبي الحقيق، وآل حيّ بن أخطب، فإنّهم لحقوا بخيبر، ولحقت طائفة منهم بالحيرة، وكان ابن عبّاس يسمي هذه السورة سورة بني النضير.

وعن محمّد بن مسلمة أنّ رسول الله ﷺ بعثه إلى بني النضير، وأمره أن يؤجّلهم في الجلاء ثلاث ليال.

وعن محمّد بن إسحاق كان إجلاء بني النضير مرجع النبيّ ﷺ من أحد، وكان فتح قريظة مرجعه من الأحزاب وبينهما سنتان، وكان الزّهريّ يذهب إلى أنّ إجلاء بني النضير كان قبل أحد على رأس ستّة أشهر من وقعة بدر.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ يعني يهود بني النضير من ديارهم بأن سلّط الله المؤمنين عليهم، وأمر نبيّه ﷺ بإخراجهم من منازلهم وحصونهم وأوطانهم ﴿لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ اختلف في معناه فقيل: كان جلاؤهم ذلك أوّل حشر اليهود إلى الشام، ثمّ يحشر النّاس يوم القيامة إلى أرض الشام أيضاً، وذلك الحشر الثاني عن ابن عبّاس والزّهريّ والجبائيّ، قال ابن عبّاس: قال لهم النبيّ ﷺ: اخرجوا، قالوا: إلى أين؟ قال: إلى أرض المحشر،

وقيل: معناه لأول الجلاء لأنّهم كانوا أوّل من أجلي من أهل الذمّة من جزيرة العرب، ثمّ أجلي إخوانهم من اليهود لئلا يجتمع في بلاد العرب دينان، وقيل: إنّما قال لأوّل الحشر لأنّ الله فتح على نبيّه ﷺ في أوّل ما قاتلهم ﴿مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا﴾ أي لم تظنوا أيّها المؤمنون أنّهم يخرجون من ديارهم لشدّتهم وشوكتهم.

﴿وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ﴾ أي وظنّ بنو النضير أنّ حصونهم لوثاقتها تمنعهم من سلطان الله وإنزال العذاب بهم على يد رسول الله ﷺ حيث حصّنوها وهيّأوا آلات الحرب فيها ﴿فَأَتَاهُمُ اللَّهُ﴾ أي أتاهم أمر الله وعذابه ﴿مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ أي لم يتوهموا أنّه يأتيهم لما قدروا في أنفسهم من المنعة ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ بقتل سيّدهم كعب بن الأشرف ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي يهدمون بيوتهم بأيديهم من داخل ليهربوا لأنهم خربوا ما استحسنوا منها حتّى لا يكون للمسلمين، ويخربها المؤمنون من خارج ليصلوا إليهم، وقيل: إن معنى تخريبها بأيدي المؤمنين أنّهم عرضوها لذلك، وقيل: إنّهم كانوا يخربون بيوتهم بأيديهم بنقض الموادعة وبأيدي المؤمنين بالمقاتلة.

﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ فيما نزل بهم والمراد استدلّوا بذلك على صدق الرسول إذ كان وعدهم ذلك ﴿وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ﴾ أي حكم عليهم أنّهم يجلون عن ديارهم وينقلون عن أوطانهم ﴿لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ بعذاب الاستئصال، أو بالقتل والسبي كما فعل ببني قريظة ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ مع الجلاء ﴿عَذَابُ النَّارِ﴾ لان أحداً منهم لم يؤمن ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي فعلنا بهم ﴿بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ﴾ أي خالفوا الله ﴿وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ﴾ أي يخالفه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ يعاقبهم على مشاقتهم أشدّ العقاب ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ﴾ أي نخلة كريمة، وقيل: كلّ نخلة سوى العجوة ﴿أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا﴾ فلم تقطعوها ولم تقلعوها ﴿فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي بأمره كلّ ذلك سائغ لكم ﴿وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾ من اليهود ويهينهم به[1].

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ فأبطنوا الكفر وأظهروا الإيمان ﴿يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ﴾ في الكفر يعني يهود بني النضير: ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ﴾ من دياركم وبلادكم ﴿لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ﴾ مساعدين لكم ﴿وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ﴾ أي في قتالكم ومخاصمتكم ﴿أَحَدًا أَبَدًا﴾ يعنون محمّداً وأصحابه ﴿وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ﴾ ولندفعن عنكم ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ فيما يقولونه من الخروج معهم والدفاع عنهم.

قوله: ﴿لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ﴾ أي ينهزمون أو يسلمونهم ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ أي لو كان لهم هذه القوّة وفعلوا لم ينتفع أولئك بنصرتهم نزلت الآية قبل إخراج بني النضير، وأخرجوا بعد ذلك وقوتلوا فلم يخرج معهم منافق ولم ينصروهم كما أخبر الله تعالى بذلك، وقيل: أراد بقوله

---

(١) مجمع البيان، ج ٩ ص ٤٢٤.

لإخوانهم بني النضير وبني قريظة. فأخرج بنو النضير ولم يخرجوا معهم، وقوتل بنو قريظة فلم ينصروهم ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً﴾ أي خوفاً ﴿فِي صُدُورِهِم﴾ أي في قلوب هؤلاء المنافقين ﴿مِّنَ اللَّهِ﴾ المعنى أنّ خوفهم منكم أشدّ من خوفهم من الله ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ الحقّ ولا يعلمون عظمة الله وشدّة عقابه ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا﴾ معاشر المؤمنين ﴿إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ﴾ أي ممتنعة حصينة، أي لا يبرزون لحربكم وإنّما يقاتلونكم متحصّنين بالقرى ﴿أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ أي يرمونكم من وراء الجدران بالنبل والحجر ﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾ أي عداوة بعضهم لبعض شديدة، أي ليسوا بمتّفقي القلوب، أو قوّتهم فيما بينهم شديدة، فإذا لاقوكم جبنوا وفزعوا منكم بما قذف الله في قلوبهم من الرعب ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا﴾ أي مجتمعين في الظاهر ﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ أي مختلفه متفرّقة خذلهم الله باختلاف كلمتهم، وقيل: إنّه عنى بذلك قلوب المنافقين وأهل الكتاب ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ ما فيه الرشد ممّا فيه الغيّ ﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا﴾ أي مثلهم في اغترارهم بعددهم وقوّتهم كمثل الّذين من قبلهم يعني المشركين الّذين قتلوا ببدر وذلك قبل غزاة بني النضير بستّة أشهر عن الزهريّ وغيره، وقيل: يعني بني قينقاع عن ابن عبّاس، وذلك أنّهم نقضوا العهد مرجع رسول الله ﷺ من بدر، فأمرهم رسول الله ﷺ أن يخرجوا، فقال عبد الله بن أُبي: لا تخرجوا فإنّي آتي النبيّ ﷺ فأكلّمه فيكم، أو أدخل معكم الحصن، فكان هؤلاء أيضاً في إرسال عبد الله بن أُبي إليهم ثم تركه نصرتهم كأُولئك ﴿ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ أي عقوبة كفرهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ﴾ أي مثل المنافقين في غرورهم بني النضير وخذلانهم إيّاهم كمثل الشيطان ﴿إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ﴾ وهو عابد بني إسرائيل ﴿فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ﴾ فكذلك بنو النضير اغترّوا بالمنافقين، ثمّ تبرؤا منهم عند الشدّة وأسلموهم، وقيل: كمثل الشيطان يوم بدر إذ دعا إلى حرب رسول الله ﷺ، فلمّا رأى الملائكة رجع القهقرى، وقال ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا﴾ أي الداعي والمدعوّ[1].

بيان: وهي البويرة، أي قصّة التحريق هي المشار إليها في هذا البيت، قال الجوهريّ: البؤرة: الحفرة بأرت أبار بأراً: حفرت بؤرة يطبخ فيها وهي الإرة، وقال: الإرة: موضع النّار، وأصله أرى والهاء عوض من الياء والسراة بالفتح جمع سريّ وهي الشريف وأذرعات بكسر الراء: موضع بالشام.

١ - **عم:** ثمّ كانت غزوة بني النضير، وذلك أنّ رسول الله ﷺ مشى إلى كعب بن الأشرف يستقرضه، فقال: مرحباً بك يا أبا القاسم وأهلاً، فجلس رسول الله ﷺ وأصحابه فقام كأنّه يصنع لهم طعاماً، وحدث نفسه أن يقتل رسول الله ﷺ، فنزل

---

(١) مجمع البيان، ج ٩ ص ٤٣٥.

جبرئيل عليه السلام فأخبره بما همّ به القوم من الغدر، فقام صلى الله عليه وآله كأنّه يقضي حاجة، وعرف أنّهم لا يقتلون أصحابه وهو حيّ، فأخذ صلى الله عليه وآله الطريق نحو المدينة، فاستقبله بعض أصحاب كعب الّذين كان أرسل إليهم يستعين بهم على رسول الله صلى الله عليه وآله، فأخبر كعباً بذلك، فسارالمسلمون راجعين، فقال عبد الله بن صوريا وكان أعلم اليهود: إنّ ربّه اطلعه على ما أردتموه من الغدر، ولا يأتيكم والله أوّل ما يأتيكم إلاّ رسول محمّد يأمركم عنه بالجلاء فأطيعوني في خصلتين لا خير في الثالثة: أن تسلموا فتأمنوا على دياركم وأموالكم، وإلا فإنّه يأتيكم من يقول لكم: اخرجوا من دياركم، فقالوا: هذه أحبّ إلينا، قال: أما إنّ الأولى خير لكم منها، ولولا أنّي أفضحكم لأسلمت، ثمّ بعث محمّد بن مسلمة إليهم يأمرهم بالرحيل والجلاء عن ديارهم وأموالهم، وأمره أن يؤجّلهم في الجلاء ثلاث ليال[1].

٢ - **أقول:** قال الكازرونيّ وغيره في شرح تلك القصّة: كانت غزوة بني النضير في ربيع الأوّل وكانت منازلهم بناحية الفرع وما والاها بقرية يقال لها: زهرة، وإنّهم لمّا نقضوا العهد، وعاقدوا المشركين على حرب النبيّ صلى الله عليه وآله خرج صلى الله عليه وآله يوم السبت وصلّى في مسجد قبا ومعه نفر من أصحابه، ثمّ أتى بني النضير فكلّمهم أن يعينوه في دية رجلين كان قد آمنهما فقتلهما عمرو بن أميّة وهو لا يعلم، فقالوا: نفعل وهمّوا بالغدر به فقال عمرو بن الحجاش: أنا أظهر على البيت فأطرح عليه صخرة، فقال سلام بن مشكم: لا تفعلوا فوالله ليخبرنّ بما هممتم، فجاء جبرئيل فأخبره صلى الله عليه وآله، فخرج راجعاً إلى المدينة، ثمّ دعا عليّاً وقال: لا تبرح من مكانك، فمن خرج عليك من أصحابي فسألك عنّي فقل: توجّه إلى المدينة، ففعل ذلك، ثمّ لحقوا به، فبعث النبيّ صلى الله عليه وآله محمّد بن مسلمة إليهم وأمرهم بالجلاء وقال: لا تساكنوني وقد هممتم بما هممتم به، وقد أجلتكم عشراً، فأرسل إليهم ابن أبيّ: لا تخرجوا، فإنّ معي ألفين من قومي وغيرهم يدخلون حصونكم فيموتون من آخرهم ويمدّكم قريظة وحلفاؤهم من غطفان، فطمع حييّ فيما قال ابن أبيّ، فخرج إليهم النبيّ صلى الله عليه وآله فصلّى العصر بفناء بني النضير، وعليّ عليه السلام يحمل رايته، واستخلف على المدينة ابن أمّ مكتوم، فلمّا رأوا رسول الله صلى الله عليه وآله قاموا على حصونهم معهم النبل والحجارة، فاعتزلتهم قريظة، وخذلهم ابن أبيّ، فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وآله وقطع نخلهم، وكانت النخلة من نخيلهم ثمن وصيف، وأحبّ إليهم من وصيف، وقيل قطعوا نخلة وأحرقوا نخلة، وقيل: كان جميع ما قطعوا وأحرقوا ستّ نخلات، فقالوا: نحن نخرج من بلادك فأجلاهم عن المدينة، وولّى إخراجهم محمّد ابن مسلمة، وحملوا النساء والصبيان، وتحمّلوا على ستّمائة بعير، وقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله: «اخرجوا ولكم دماؤكم وما حملت الإبل إلاّ الحلقة» وهي السلاح، فقبض رسول الله صلى الله عليه وآله الأموال والحلقة، فوجد من الحلقة خمسين درعاً، وخمسين بيضة،

(١) اعلام الورى، ص ١٠٤.

وثلاثمائة وأربعين سيفاً، وكانت غنائم بني النضير صفيّاً لرسول الله ﷺ خالصة لم يخمسها ولم يسهم منها لأحد، وقد أعطى ناساً منها، وروي أنّه حاصرهم إحدى وعشرين ليلة.

٣ - فس: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ فإنّه كان سبب نزولها أنّه كان بالمدينة بطنان من اليهود من بني هارون وهم النضير وقريظة، وكانت قريظة سبعمائة، والنضير ألفاً، وكانت النضير أكثر مالاً وأحسن حالاً من قريظة، وكانوا حلفاء لعبد الله بن أبيّ، فكان إذا وقع بين قريظة والنضير قتيل وكان القتيل من بني النضير قالوا لبني قريظة: لا نرضى أن يكون قتيل منّا بقتيل منكم، فجرى بينهم في ذلك مخاطبات كثيرة حتّى كادوا أن يقتتلوا حتّى رضيت قريظة، وكتبوا بينهم كتاباً على أنّه أيّ رجل من اليهود من النضير قتل رجلاً من بني قريظة أن يجنّبه ويحمّم والتجنية أن يقعد على جمل ويولّى وجهه إلى ذنب الجمل، ويلطخ وجهه بالحمأة ويدفع نصف الدية، وأيّما رجل من بني قريظة قتل رجلاً من النضير أن يدفع إليه الدية كاملة ويقتل به فلمّا هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة ودخل الأوس والخزرج في الإسلام ضعف أمر اليهود فقتل رجل من بني قريظة رجلاً من بني النضير فبعثوا إليهم بنو النضير ابعثوا إلينا بدية المقتول وبالقاتل حتّى نقتله، فقالت قريظة: ليس هذا حكم التوراة وإنّما هو شيء غلبتمونا عليه، فإمّا الدية، وإمّا القتل، وإلا فهذا محمّد بيننا وبينكم، فهلمّوا نتحاكم إليه، فمشت بنو النضير إلى عبد الله بن أبيّ وقالوا سل محمّداً أن لا ينقض شرطنا في هذا الحكم الّذي بيننا وبين قريظة في القتل، فقال عبد الله بن أبيّ: ابعثوا رجلاً يسمع كلامي وكلامه، فإن حكم لكم بما تريدون وإلا فلا ترضوا به، فبعثوا معه رجلاً فجاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنّ هؤلاء القوم قريظة والنضير قد كتبوا بينهم كتاباً وعهداً وثيقاً تراضوا به، والآن في قدومك يريدون نقضه وقد رضوا بحكمك فيهم فلا تنقض عليهم كتابهم وشرطهم، فإنّ بني النضير لهم القوّة والسلاح والكراع، ونحن نخاف الدوائر فاغتمّ رسول الله ﷺ من ذلك ولم يجبه بشيء فنزل عليه جبرئيل بهذه الآيات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ يعني اليهود ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ يعني عبد الله بن أبيّ وبني النضير ﴿يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟﴾ يعني عبد الله بن أبيّ حيث قال لبني النضير: إن لم يحكم لكم بما تريدونه فلا تقبلوا ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾﴾ إلى قوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ قوله: ﴿نَخْشَىٰٓ أَن

تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ هو قول عبد الله بن أُبيّ لرسول الله ﷺ: لا تنقض حكم بني النضير فإنا نخاف الدوائر(١).

بيان: أنّ يجنّيه بالجيم والنون كذا في أكثر النسخ وكأنه من الجناية، أي يظهر عليه أثر الجناية. في بعضها بالحاء المهملة، والظاهر أنّ يحمّمه من التحميم بدون ويحمم كما سيأتي.

وقال في النهاية: فيه مرّ يهوديّ محمّم مجلود، أي مسودّ الوجه الحممة: الفحمة، وجمعها حمم انتهى.

وكذا الظاهر بالحممة، وفي أكثر النسخ بالحمأة وهي الطين الأسوّد المنتن.

٤ - **فس:** ﴿هُوَ الَّذِيٓ أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟﴾ قال: سبب ذلك أنّه كان بالمدينة ثلاثة أبطن من اليهود: بني النضير وقريظة، وقينقاع وكان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد ومدّة فنقضوا عهدهم، وكان سبب ذلك في بني النضير في نقض عهدهم أنّه أتاهم رسول الله ﷺ يستسلفهم دية رجلين قتلهما رجل من أصحابه غيلةً، يعني يستقرض، وكان قصد كعب بن الأشرف، فلمّا دخل على كعب قال: مرحباً يا أبا القاسم وأهلاً، وقام كأنّه يصنع له الطعام، وحدّث نفسه أن يقتل رسول الله ﷺ ويتبع أصحابه، فنزل جبرئيل فأخبره بذلك، فرجع رسول الله ﷺ إلى المدينة، وقال لمحمّد بن مسلمة الأنصاريّ: اذهب إلى بني النضير فأخبرهم أنّ الله عزّ وجلّ قد أخبرني بما هممتم به من الغدر، فإما أنّ تخرجوا من بلدنا، وإمّا أن تأذنوا بحرب، فقالوا: نخرج من بلادك فبعث إليهم عبد الله بن أُبيّ ألا تخرجوا وتقيموا وتنابذوا محمّداً الحرب، فإنّي أنصركم أنا وقومي وحلفائي، فإن خرجتم خرجت معكم، وإن قاتلتم قاتلت معكم، فأقاموا وأصلحوا حصونهم وتهيّأوا للقتال، وبعثوا إلى رسول الله ﷺ إنّا لا نخرج فاصنع ما أنت صانع، فقام رسول الله ﷺ وكبّر وكبّر أصحابه، وقال لأمير المؤمنين عليه السلام تقدّم إلى بني النضير، فأخذ أمير المؤمنين عليه السلام الراية وتقدّم وجاء رسول الله ﷺ وأحاط بحصنهم، وغدر بهم عبد الله بن أُبيّ وكان رسول الله ﷺ إذا ظفر بمقدّم بيوتهم حصنوا ما يليهم وخربوا ما يليه، وكان الرجل منهم ممّن كان له بيت حسن خربه، وقد كان رسول الله ﷺ أمر بقطع نخلهم فجزعوا من ذلك، وقالوا: يا محمّد إنّ الله يأمرك بالفساد؟ إن كان لك هذا فخذه، وإن كان لنا فلا تقطعه، فلمّا كان بعد ذلك قالوا: يا محمّد نخرج من بلادك فأعطنا مالنا، فقال: لا ولكن تخرجون ولكم ما حملت الإبل، فلم يقبلوا ذلك فبقوا أياماً ثمّ قالوا: نخرج ولنا ما حملت الإبل، فقال: لا، ولكن تخرجون ولا يحمل أحد منكم شيئاً، فمن وجدنا معه شيئاً من ذلك قتلناه، فخرجوا على ذلك، ووقع قوم منهم إلى فدك ووادي القرى، وخرج قوم منهم إلى

(١) تفسير القمي، ج ١ ص ١٧٥.

الشام، فأنزل الله فيهم: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ إلى قوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ وأنزل عليه فيما عابوه من قطع النخل: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾ إلى قوله: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾أنزل عليه في عبد الله بن أبيّ وأصحابه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ إلى قوله: ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ ثم قال: ﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ يعني بني قينقاع ﴿قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ثمّ ضرب في عبد الله بن أبيّ وبني النضير مثلاً فقال: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ قوله: ﴿فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ فيه زيادة أحرف لم يكن في رواية عليّ بن إبراهيم حدّثنا به أحمد بن محمّد بن ثابت[1]، عن أحمد بن ميثم، عن الحسن ابن عليّ بن أبي حمزة، عن أبان بن عثمان، عن أبي بصير في غزوة بني نضير وزاد فيه: فقال رسول الله للأنصار: إن شئتم دفعت إليكم المهاجرين وقسمتها فيهم، وإن شئتم قسمتها بينكم وبينهم وتركتهم معكم، قالوا: قد شئنا أن تقسمها فيهم، فقسمها رسول الله ﷺ بين المهاجرين ودفعهم عن الأنصار ولم يعطه من الأنصار إلاّ رجلين وهما سهل بن حنيف وأبو دجانة فإنّهما ذكرا حاجة[2].

بيان: ظاهر الخبر أنّ النبيّ ﷺ لمّا جعل المهاجرين مع الأنصار وضمّنهم نفقاتهم خيّر الأنصار في هذا الوقت بين أن يقسم غنائم بني النضير بين الجمع ويكون المهاجرون مع الأنصار كما كانوا، وبين أن يخصّ بها المهاجرين ولا يكونوا بعد ذلك مع الأنصار فاختاروا الأخير.

٥ - وروى الطبرسيّ ﷺ في مجمع البيان عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله ﷺ يوم بني النضير للأنصار: إن شئتم قسمتم للمهاجرين من دياركم وأموالكم وتشاركونهم في هذه الغنيمة، وإن شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم ولم يقسم لكم شيء من الغنيمة فقال الأنصار: بل نقسم لهم من أموالنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها، فنزل ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ الآية[3].

٦ - **قب، شا:** ولمّا توجه رسول الله ﷺ إلى بني النضير عمد على حصارهم فضرب قبة في أقصى بني حطمة من البطحاء. فلمّا أقبل اللّيل رماه رجل من بني نضير بسهم فأصاب القبة فأمر النبيّ ﷺ أن تحوّل قبته إلى السفح وأحاط بها المهاجرون والأنصار، فلمّا اختلط

---

(١) في المصدر وفي تفسير البرهان ونور الثقلين: محمد بن أحمد بن ثابت [النمازي].

(٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٣٩.

(٣) مجمع البيان، ج ٩ ص ٤٣٠.

الظلام فقدوا أمير المؤمنين عليه السلام، فقال الناس: يا رسول الله لا نرى علياً، فقال عليه وآله السلام: أراه في بعض ما يصلح شأنكم، فلم يلبث أن جاء برأس اليهوديّ الّذي رمى النبيّ صلى الله عليه وآله، وكان يقال له: عزورا، فطرحه بين يدي النبيّ صلى الله عليه وآله، فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله: كيف صنعت؟ فقال: إنّي رأيت هذا الخبيث جريّاً شجاعاً فكمنت له وقلت: ما أجرأه أن يخرج إذا اختلط اللّيل يطلب منّا غرّة، فأقبل مصلتاً بسيفه في تسعة نفر من اليهود، فشددت عليه وقتلته فأفلت أصحابه ولم يبرحوا قريباً فابعث معي نفراً فإنّي أرجو أن أظفر بهم فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله معه عشرة فيهم أبو دجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف فأدركوهم قبل أن يلجوا الحصن، فقتلوهم وجاؤا برؤوسهم إلى النبيّ صلى الله عليه وآله، فأمر أن تطرح في بعض آبار بني حطمة، وكان ذلك سبب فتح حصون بني النضير.

وفي تلك الليلة قتل كعب بن الأشرف، واصطفى رسول الله صلى الله عليه وآله أموال بني النضير، وكانت أوّل صافية قسمها رسول الله صلى الله عليه وآله بين المهاجرين الأوّلين، وأمر علياً عليه السلام فحاز ما لرسول الله صلى الله عليه وآله منها فجعله صدقة، وكان في يده مدّة حياته ثمّ في يد أمير المؤمنين عليه السلام بعده، وهو في ولد فاطمة عليها السلام حتّى اليوم، وفيما كان من أمر أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الغزاة وقتله اليهوديّ ومجيئه إلى النبيّ صلى الله عليه وآله برؤوس التسعة النفر يقول حسّان بن ثابت:

لله أي كريهة أبليتها ... ببني قريظة والنفوس تطلع
أردى رئيسهم وآب بتسعة ... طوراً يشلّهم وطوراً يدفع[1]

بيان: قوله: طوراً أي تارة، وقال الجوهريّ: مرّ فلان يشلّهم بالسيف يكسؤهم ويطردهم.

١٥ - باب غزوة ذات الرقاع وغزوة عسفان

الآيات: النساء «٤»: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ﴾ - إلى قوله -: ﴿كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾. «١٠٢ و١٠٣».

تفسير: قال الطبرسيّ رحمه الله بعد تفسير الآيات في صلاة الخوف: وفي الآية دلالة على صدق النبيّ صلى الله عليه وآله وصحّة نبوّته، وذلك أنّها نزلت والنبيّ صلى الله عليه وآله بعسفان والمشركون بضجنان فتوافقوا فصلّى النبيّ صلى الله عليه وآله بأصحابه صلاة الظهر بتمام الركوع والسجود، فهمّ المشركون أن يغيروا عليهم فقال بعضهم: إنّ لهم صلاة أخرى أحبّ إليهم من هذه، يعنون صلاة العصر، فأنزل الله عليه هذه الآية فصلّى بهم العصر صلاة الخوف، وكان ذلك سبب إسلام خالد بن الوليد، وذكر أبو حمزة الثماليّ في تفسيره أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله غزا محارباً وبني أنمار، فهزمهم الله وأحرزوا الذراريّ والأموال، فنزل رسول الله صلى الله عليه وآله والمسلمون ولا يرون من العدوّ أحداً،

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب ج ١ ص ٢٤٨، الإرشاد للمفيد ص ٤٩.

فوضعوا أسلحتهم، وخرج رسول الله ﷺ لبعض حاجته وقد وضع سلاحه فجعل بينه وبين أصحابه الوادي، فأتى قبل أن يفرغ من حاجته السيل في الوادي والسماء ترشّ، فحال الوادي بين رسول الله ﷺ وبين أصحابه، وجلس في ظلّ سمرة، فبصر به غورث بن الحارث المحاربيّ فقال له أصحابه: يا غورث هذا محمّد قد انقطع من أصحابه، فقال: قتلني الله إن لم أقتله، وانحدر من الجبل ومعه السيف ولم يشعر به رسول الله ﷺ إلاّ وهو قائم على رأسه ومعه السيف قد سلّه من غمده، وقال: يا محمّد من يعصمك منّي الآن؟ فقال رسول الله ﷺ: الله، فانكب عدوّ الله لوجهه، فقام رسول الله ﷺ فأخذ سيفه، وقال: يا غورث من يمنعك منّي الآن؟ قال: لا أحد، قال: أتشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنّي عبد الله ورسوله؟ قال: لا، ولكنّي أعهد أن لا أقاتلك أبداً، ولا أعين عليك عدوّاً، فأعطاه رسول الله ﷺ سيفه، فقال له غورث: والله لأنت خير منّي، قال ﷺ: إنّي أحقّ بذلك، وخرج غورث إلى أصحابه، فقالوا: يا غورث لقد رأيناك قائماً على رأسه بالسيف فما منعك منه؟ قال: الله، أهويت له بالسيف لأضربه فما أدري من زلّخني بين كتفي فخررت لوجهي وخرّ سيفي وسبقني إليه محمّد فأخذه. ولم يلبث الوادي أن سكن، فقطع رسول الله ﷺ إلى أصحابه فأخبرهم الخبر وقرأ عليهم ﴿إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ﴾ الآية[1].

بيان: في القاموس: الزلخ: المزلّة تزلّ منها الأقدام لندوته أو ملاسته، وزلخه بالرمح: زجّه، وزلّخه تزليخاً: ملّسه.

١ - **عم:** ثمّ كانت بعد غزوة بني النضير غزوة بني لحيان، وهي الغزوة الّتي صلّى فيها صلاة الخوف بعسفان حين أتاه الخبر من السماء بما همّ به المشركون: وقيل: إنّ هذه الغزوة كانت بعد غزوة بني قريظة.

ثمّ كانت غزوة ذات الرقاع بعد غزوة بني النضير بشهرين.

قال البخاريّ: إنّها كانت بعد خيبر لقي بها جمعاً من غطفان ولم يكن بينهما حرب، وقد خاف النّاس بعضهم بعضاً حتّى صلّى رسول الله ﷺ صلاة الخوف، ثمّ انصرف بالناس.

وقيل: إنّما سميت ذات الرقاع لأنّه جبل فيه بقع حمرة وسواد وبياض فسمّي ذات الرقاع، وقيل: إنّما سمّيت بذلك لأنّ أقدامهم نقبت فيها فكانوا يلفون على أرجلهم الخرق[2].

٢ - **أقول:** قال ابن الأثير في الكامل: أقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعد بني النضير شهري ربيع، ثمّ غزا نجداً يريد بني محارب وبني ثعلبة من غطفان، وهي غزوة ذات الرقاع، فلقي المشركين ولم يكن قتال، وخاف النّاس بعضهم بعضاً، فنزلت صلاة الخوف، وأصاب المسلمون امرأة منهم، وكان زوجها غائباً، فلمّا أتى أهله أخبر الخبر، فحلف لا ينتهي حتّى

---

(١) مجمع البيان، ج ٣ ص ١٧٧. (٢) إعلام الورى، ص ١٠٥.

يهريق في أصحاب رسول الله ﷺ، فخرج يتبع أثر رسول الله ﷺ فنزل رسول الله فقال: من يحرسنا الليلة؟ فانتدب رجل من المهاجرين ورجل من الأنصار، فأقاما بفم شعب نزله النبيّ ﷺ، فاضطجع المهاجريّ وحرس الأنصاريّ أوّل اللّيل وقام يصلّي، وجاء زوج المرأة فرأى شخصه فرماه بسهم فوضعه فيه، فانتزعه وثبت قائماً يصلّي، ثمّ رماه بسهم آخر فأصابه، فنزعه وثبت يصلّي، ثمّ رماه الثالث فوضعه فيه فانتزعه، ثمّ ركع وسجد ثمّ أيقظ صاحبه وأعلمه فوثب، فلمّا رآهما الرجل عرف أنّهما علما به، فلمّا رأى المهاجريّ ما بالأنصاري قال: سبحان الله ألا أيقظتني أوّل ما رماك؟ قال: كنت في سورة أقرأها، فلم أحبّ أن أقطعها، فلمّا تتابع عليّ الرمي وركعت أعلمتك، وأيم الله لولا خوفي أن أضيّع ثغراً أمرني رسول الله ﷺ بحفظه لقطع نفسي قبل أن أقطعها، وقيل: إنّ هذه الغزوة كانت في المحرّم سنة خمس[1].

٣ - قب: غزوة بني لحيان في جمادى الأولى، وكان بينهما الرمي بالحجارة، وصلّى فيها صلاة الخوف بعسفان، ويقال: في ذات الرقاع مع غطفان. وكان ذلك بعد النضير بشهرين، وقال البخاريّ: بعد خيبر ولم يكن حرب[2].

٤ - أقول: قال الكازرونيّ في حوادث السنة الخامسة: وفيها كانت غزاة ذات الرقاع، وكان سببها أنّ قادماً قدم المدينة بجلب له، فأخبر أصحاب رسول الله ﷺ أنّ أنماراً وثعلبة قد جمعوا لهم الجموع، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فخرج ليلة السبت لعشر خلون من المحرّم في أربعمائة، وقيل: في سبعمائة، فمضى حتّى أتى محالّهم بذات الرقاع وهي جبل فلم يجد إلّا نسوة فأخذهنّ وفيهنّ جارية وضيئة، وهربت الأعراب إلى رؤوس الجبال، وخاف المسلمون أن يغيروا عليهم، فصلّى بهم النبيّ ﷺ صلاة الخوف، وكان أوّل ما صلّاها، وانصرف راجعاً إلى المدينة فابتاع من جابر بن عبد الله جملاً بأوقية وشرط له ظهره إلى المدينة وسأله عن ديْن أبيه فأخبره، فقال: إذا قربت المدينة وأردت أن تجدّ نخلك فآذنّي، واستغفر رسول الله ﷺ في تلك الليلة خمساً وعشرين مرّة.

وفي الترمذيّ: سبعين مرّة.

وفي مسلم من حديث أبي نضرة عن جابر قال: فقال رسول الله ﷺ: «أتبيعنيه بكذا وكذا والله يغفر لك» فما زال يزيدني: والله يغفر لك، قال أبو نضرة: وكانت كلمة تقولها المسلمون: افعل كذا والله يغفر لك، وكانت غيبته خمس عشرة ليلة.

٥ - وقال ابن الأثير: في جمادى الأولى من السنة السادسة خرج رسول الله ﷺ إلى بني لحيان يطلب بأصحاب الرجيع خبيب بن عديّ وأصحابه، وأظهر أنّه يريد الشام ليصيب

---

(١) الكامل في التاريخ، ج ٢ ص ١٥٦.
(٢) مناقب ابن شهرآشوب، ج ١ ص ٢٤٩.

من القوم غرّة، وأسرع السير حتّى نزل على منازل بني لحيان بين أثح وعسفان، فوجدهم قد حذروا وتمنعوا في رؤوس الجبال، فلمّا أخطأه ما أراد منهم خرج في مائتي راكب حتّى نزل عسفان تخوفاً لأهل مكّة، وأرسل فارسين من الصحابة حتّى بلغا كراع الغميم ثمّ عاد(١).

٦ - **كا:** حميد بن زياد، عن الحسن بن محمّد، عن محمّد بن أيّوب، وعليّ، عن أبيه جميعاً عن البزنطيّ، عن أبان بن عثمان، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: نزل رسول الله صلى الله عليه وآله في غزوة ذات الرقاع تحت شجرة على شفير واد، فأقبل سيل فحال بينه وبين أصحابه، فرآه رجل من المشركين والمسلمون قيام على شفير الوادي ينتظرون متى ينقطع السيل، فقال رجل من المشركين لقومه: أنا أقتل محمّداً، فجاء وشدّ على رسول الله صلى الله عليه وآله بالسيف. ثمّ قال: من ينجيك منّي يا محمّد؟ فقال: ربّي وربّك، فنسفه جبرئيل عليه السلام عن فرسه فسقط على ظهره، فقام رسول الله فأخذ السيف وجلس على صدره، وقال: من ينجيك منّي يا غورث؟ فقال: جودك وكرمك يا محمّد، فتركه، وقام وهو يقول: والله لأنت خير منّي وأكرم(٢).

عم: مرسلاً مثله(٣).

بيان: النسف: القلع.

١٦ - باب غزوة بدر الصغرى
وسائر ما جرى في تلك السنة إلى غزوة الخندق

الآيات: النساء «٤»: ﴿فَقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ «٨٤».

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ فِي ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ «١٠٤».

تفسير: قال الطبرسيّ رحمه الله في قوله تعالى: ﴿فَقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: قال الكلبيّ: إنّ أبا سفيان لمّا رجع إلى مكّة يوم أحد وأعدّ رسول الله صلى الله عليه وآله موسم بدر الصغرى وهي سوق يقوم في ذي القعدة، فلمّا بلغ الميعاد قال للناس: اخرجوا إلى الميعاد فتثاقلوا وكرهوا ذلك كراهة شديدة أو بعضهم، فأنزل الله عزّ وجلّ هذه الآية، فحرّض النبيّ صلى الله عليه وآله المؤمنين فتثاقلوا عنه ولم يخرجوا، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله في سبعين راكباً حتّى أتى موسم بدر فكفاهم الله بأس

(١) الكامل في التاريخ، ج ٢ ص ١٧٠. وكراع الغميم بالغين المعجمة كما في المجمع: واد بينه وبين المدينة نحو مائة وسبعين ميلاً وبينه وبين مكّة نحو ثلاثين ميلاً، ومن عسفان إليه ثلاثة أميال. [النمازي].

(٢) روضة الكافي، ص ٧٣٣ ح ٩٧. (٣) إعلام الورى ص ١٠٥.

العدوّ، ولم يوافهم أبوسفيان ولم يكن قتال يومئذ وانصرف رسول الله صلى الله عليه وآله بمن معه سالمين، ﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ أي إلاّ فعل نفسك ﴿وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ على القتال أي وحثّهم عليه ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي يمنع شدّة الكفّار، وعسى من الله موجب ﴿وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا﴾ أي أشدّ نكاية في الأعداء ﴿وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ أي عقوبة، وقيل: التنكيل: الشهرة بالأمور الفاضحة[1].

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا﴾ قيل: نزلت في الذهاب إلى بدر الصّغرى لموعد أبي سفيان يوم أحد[2].

١ - **عم:** ثمّ كانت بعد غزوة ذات الرقاع غزوة بدر الأخيرة في شعبان، خرج رسول الله صلى الله عليه وآله إلى بدر لميعاد أبي سفيان، فأقام عليها ثمان ليال، وخرج أبوسفيان في أهل تهامة، فلمّا نزل الظهران بدا له في الرجوع، ووافق رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه السوق فاشتروا وباعوا وأصابوا بها ربحاً حسناً[3].

٢ - **أقول:** قال في المنتقى في سياق حوادث السنة الرابعة: وفيها ولد الحسين عليه السلام لثلاث ليال خلون من شعبان، وفيها كانت غزوة بدر الصغرى لهلال ذي القعدة، وذلك أنّ أبا سفيان لمّا أراد أن ينصرف يوم أحد نادى: الموعد بيننا وبينكم بدر الصغرى رأس الحول نلتقي بها ونقتتل، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: قولوا: نعم إن شاء الله، فافترق النّاس على ذلك، وتهيأت قريش للخروج، فلمّا دنا الموعد كره أبو سفيان الخروج، وقدم نعيم بن مسعود الأشجعيّ مكّة، فقال له أبو سفيان: إنّي قد واعدت محمّداً وأصحابه أن نلتقي ببدر، وقد جاء ذلك الوقت، وهذا عام جدب، وإنّما يصلحنا عام خصب، وأكره أن يخرج محمّد ولا أخرج، فيجترئ علينا، فنجعل لك فريضة يضمنها لك سهيل بن عمرو عليّ إن تقدم المدينة وتعوّقهم عن الخروج، فقدم المدينة وأخبرهم بجمع أبي سفيان وما معه من العدّة والسلاح فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: والّذي نفسي بيده لأخرجنّ وإن لم يخرج معي أحدٌ، واستخلف على المدينة عبد الله بن رواحة، وحمل لواءه عليّ عليه السلام وسار معه ألف وخمسمائة، والخيل عشرة أفراس، وخرجوا ببضائع لهم وتجارات، وكانت بدر الصغرى مجتمعاً تجتمع فيه العرب وسوقاً يقوم لهلال ذي القعدة إلى ثمان تخلو منه، ثمّ تتفرّق النّاس إلى بلادهم، فانتهوا إلى بدر ليلة هلال ذي القعدة، وقامت السوق صبيحة الهلال، فأقاموا بها ثمانية أيّام وباعوا تجارتهم فربحوا للدرهم درهماً وانصرفوا، وقد سمع النّاس بمسيرهم، وخرج أبوسفيان من مكّة في قريش وهم ألفان، ومعه خمسون فرساً حتّى انتهوا إلى مرّ الظهران، ثمّ قال: ارجعوا فإنّه لا يصلحنا إلاّ عام خصب يرعى فيه الشجر، ويشرب فيه اللّبن، وهذا عام

---

(١) مجمع البيان، ج ٣ ص ١٤٥.
(٢) مجمع البيان، ج ٣ ص ١٧٩.
(٣) إعلام الورى، ص ١٠٥.

جدب، فسمّى أهل مكّة ذلك الجيش جيش السويق، يقولون: خرجوا يشربون السويق، فقال صفوان بن أميّة لأبي سفيان: قد نهيتك أن تعد القوم قد اجترؤا علينا ورأونا قد أخلفناهم، ثمّ أخذوا في الكيد والتهيّؤ لغزوة الخندق، وفيها رجم رسول الله ﷺ اليهوديّ واليهوديّة في ذي القعدة، ونزل قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[1] وفيها حرّمت الخمر، وجملة القول في تحريم الخمر أنّ الله تعالى أنزل في الخمر أربع آيات نزلت بمكّة: ﴿وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾[2] فكان المسلمون يشربونها وهي لهم حلال يومئذ، ثمّ نزلت في مسألة عمر ومعاذ بن جبل: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ الآية، فتركها قوم لقوله: ﴿إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ وشربها قوم لقوله: ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ إلى أن صنع عبد الرحمن بن عوف طعاماً فدعا ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ، وأتاهم بخمر فشربوا وسكروا، فحضرت صلاة المغرب فقدّموا بعضهم ليصلّي بهم، فقرأ: قل يا أيّها الكافرون، أعبد ما تعبدون هكذا إلى آخر السورة بحذف (لا) فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ﴾[3] الآية، فحرّم السكر في أوقات الصلوات، فلمّا نزلت في هذه الآية تركها قوم، وقالوا: لا خير في شيء يحول بيننا وبين الصّلاة، وتركها قوم في أوقات الصّلاة، وشربوها في غير حين الصلاة حتّى كان الرجل يشرب بعد صلاة العشاء فيصبح وقد زال عنه السكر، ويشرب بعد الصبح فيصحو إذا جاء وقت الظهر، ودعا عتبان بن مالك رجالاً من المسلمين فيهم سعد بن أبي وقّاص وكان قد شوى لهم رأس بعير، فأكلوا منه وشربوا الخمر حتّى سكروا منها، ثمّ إنّهم افتخروا عند ذلك وانتسبوا وتناشدوا الاشعار، فأنشد سعد قصيدة فيها هجاء الأنصار وفخر لقومه، فأخذ رجل من الأنصار لحي البعير فضرب به رأس سعد فشجّه موضحة، فانطلق سعد إلى رسول الله ﷺ وشكا إليه الأنصاريّ فقال عمر: اللّهمّ بيّن لنا رأيك في الخمر بياناً شافياً، فأنزل الله تعالى ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ﴾ الآية، وفيها سرق ابن أبيرق.

أقول: سيأتي شرح القصّة في باب أحوال أصحابه ﷺ.

ثمّ قال وفيها تزوّج رسول الله ﷺ أمّ سلمة في شوّالها، واسمها هند بنت أميّة بن المغيرة ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وكانت قبله ﷺ عند أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد، فولدت له سلمة وعمر وزينب، ثمّ توفّي، فخلف عليها رسول الله ﷺ.

روي أنّ أبا سلمة جاء إلى أمّ سلمة فقال: لقد سمعت من رسول الله ﷺ حديثاً أحبّ إليّ من كذا وكذا، سمعته يقول: «لا يصاب أحد بمصيبة فيسترجع عند ذلك ويقول: اللّهمّ عندك

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٤٧.
(٢) سورة النحل، الآية: ٦٧.
(٣) سورة النساء، الآية: ٤٣.

أحتسب مصيبتي هذه، اللّهمّ اخلفني فيها خيراً منها إلاّ أعطاه الله عزّ وجلّ قالت أمّ سلمة: فلمّا أصبت بأبي سلمة قلت: «اللّهمّ عندك أحتسب مصيبتي» ولم تطب نفسي أن أقول: «اللّهمّ اخلفني فيها خيراً منها ثمّ قلت: من خير من أبي سلمة؟ أليس أليس؟ ثمّ قلت ذلك، فلمّا انقضت عدّتها أرسل إليها أبو بكر يخطبها فأبت، ثمّ أرسل إليها عمر يخطبها فأبت، ثمّ أرسل إليها رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت: مرحباً برسول الله صلى الله عليه وآله، وقال الهيثم بن عديّ: أوّل من هلك من أزواج النبيّ صلى الله عليه وآله زينب هلكت في خلافة عمر، وآخر من هلك منهنّ أمّ سلمة، هلكت زمن يزيد بن معاوية سنة ثنتين وستّين.

وفيها توفّت زينب بنت خزيمة أمّ المؤمنين، وتوفّي عبد الله بن عثمان من رقيّة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ولد في الإسلام فاكتنى به عثمان، فبلغ ستّ سنين فنقره ديك في عينه فمرض، فمات في جمادى الأولى، وصلّى عليه رسول الله صلى الله عليه وآله، وفيها توفّي أبوسلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال، وفيها توفّت فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف أمّ عليّ عليه السلام، وكانت صالحة، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يزورها، ويقيل في بيتها، ولمّا توفّيت نزع رسول الله صلى الله عليه وآله قميصه فألبسها إيّاه.

١٧ - باب غزوة الأحزاب وبني قريظة

الآيات: البقرة: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ (٢١٤).

آل عمران «٣»: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾.

الأنفال «٨»: ﴿الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾.

الأحزاب «٣٣»: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ

أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ ﴾.

تفسير: قال الطبرسيّ رحمه الله في قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾: قيل: نزلت يوم الخندق لمّا اشتدّت المخافة وحوصر المسلمون في المدينة، فدعاهم الله إلى الصبر ووعدهم بالنصر، وقيل: نزلت في حرب أحد، لمّا قال عبد الله بن أبيّ لأصحاب رسول الله ﷺ إلى متى تقتلون أنفسكم؟ لو كان محمّد نبيّاً لما سلّط الله عليه الأسر والقتل، وقيل نزلت في المهاجرين من أصحاب النبيّ ﷺ إلى المدينة إذ تركوا ديارهم وأموالهم ومسّتهم الضرّاء ﴿وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم﴾ أي ولمّا تمتحنوا وتبتلوا بمثل ما امتحنوا به فتصبروا كما صبروا ﴿مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ﴾ البأساء: نقيض النعماء، والضرّاء: نقيض السرّاء ﴿وَزُلْزِلُوا۟﴾ أي حرّكوا بأنواع البلايا ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ قيل: استعجال للموعود، وإنّما قاله الرسول استبطاء للنصر على جهة التمنّي وقيل: إنّ معناه الدعاء لله بالنصر: ﴿أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ قيل: إنّ هذا من كلامهم فإنّهم قالوا عند الإياس: متى نصر الله، ثمّ تفكّروا فعلموا أنّ الله منجز وعده فقالوا ذلك، وقيل: إنّ الأوّل كلام المؤمنين، والثاني كلام الرسول(١).

وقال في قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ قيل: لمّا فتح رسول الله ﷺ مكّة ووعد أمته ملك فارس والروم قالت المنافقون واليهود: هيهات من أين لمحمّد ملك فارس والروم؟ ألم تكفه المدينة ومكّة حتّى طمع في الروم وفارس؟ فنزلت هذه الآية عن ابن عبّاس وأنس، وقيل: إنّ النبيّ ﷺ خطّ الخندق عام الأحزاب، وقطع لكلّ عشرة أربعين ذراعاً، فاحتجّ

---

(١) مجمع البيان، ج ٢ ص ٦٨.

المهاجرون والأنصار في سلمان وكان رجلاً قوياً، فقال المهاجرون: سلمان منّا، وقالت الأنصار سلمان منّا، فقال النبيّ ﷺ: «سلمان منّا أهل البيت» قال عمرو بن عوف: كنت أنا وسلمان وحذيفة والنعمان بن مقرن المزنيّ وستّة من الأنصار في أربعين ذراعاً، فحفرنا حتّى إذا كنّا بجب ذي باب أخرج الله من باطن الخندق صخرة مروة كسرت حديدنا وشقّت علينا، فقلنا: يا سلمان ارق إلى رسول الله ﷺ وأخبره خبر هذه الصخرة، فإمّا أن نعدل عنها، فإنّ المعدل قريب، وإمّا أن يأمرنا فيه بأمره، فإنا لا نحبّ أن نتجاوز خطّه، قال: فرقي سلمان إلى رسول الله ﷺ وهو ضارب عليه قبّة تركيّة، فقال: يا رسول الله خرجت صخرة بيضاء مروة من بطن الخندق فكسرت حديدنا وشقّت علينا حتّى ما يحيك فيها قليل ولا كثير، فمرنا فيها بأمرك فإنا لا نحبّ أن نتجاوز خطّك قال: فهبط رسول الله ﷺ مع سلمان الخندق، والتسعة على شفة الخندق، فأخذ رسول الله ﷺ المعول من يد سلمان فضربها به ضربة صدعها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها حتّى لكأن مصباحاً في جوف بيت مظلم، فكبّر رسول الله ﷺ تكبيرة فتح وكبّر المسلمون، ثمّ ضربها رسول الله ﷺ ثانية فبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها حتّى لكأن مصباحاً في جوف بيت مظلم، فكبّر رسول الله ﷺ تكبيرة فتح وكبّر المسلمون، ثمّ ضرب بها رسول الله ﷺ ثالثة فكسرها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها حتّى لكأن مصباحاً في جوف بيت مظلم، فكبّر رسول الله ﷺ تكبيرة فتح وكبر المسلمون، وأخذ بيد سلمان ورقي، فقال سلمان: بأبي أنت وأمّي يا رسول الله لقد رأيت منك شيئاً ما رأيته منك قطّ، فالتفت رسول الله ﷺ إلى القوم وقال: رأيتم ما يقول سلمان؟ فقالوا: نعم، قال: ضربت ضربتي الأولى فبرق الّذي رأيتم أضاءت لي منها قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنّها أنياب الكلاب، فأخبرني جبرئيل أنّ أمّتي ظاهرة عليها، ثمّ ضربت ضربتي الثانية فبرق الّذي رأيتم أضاءت لي منها قصور الحمر من أرض الروم، فكأنّها أنياب الكلاب، فأخبرني جبرئيل أنّ أمّتي ظاهرة عليها، ثمّ ضربت ضربتي الثالثة فبرق لي ما رأيتم أضاءت لي منها قصور صنعاء كأنّها أنياب الكلاب وأخبرني جبرئيل أنّ أمّتي ظاهرة عليها فأبشروا» فاستبشر المسلمون وقالوا: الحمد لله موعد صدق وعدنا النصر بعد الحصر، فقال المنافقون: ألا تعجبون؟ يمنّيكم ويعدكم الباطل ويعلمكم أنّه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنّها تفتح لكم وأنتم إنّما تحفرون الخندق من الفرق ولا تستطيعون أن تبرزوا فنزل القرآن: ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾.

وأنزل الله تعالى في هذه القصة ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ الآية رواه الثعلبيّ بإسناده عن عمرو ابن عوف.

قوله: ﴿مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ أي مالك كلّ مِلك ومُلك، وقيل: مالك العباد وما ملكوا، وقيل: مالك أمر الدنيا والآخرة، وقيل: مالك النبوّة ﴿تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ﴾ أي تؤتي الملك وأسباب الدنيا محمّداً وأصحابه وأمّته ﴿وَتَنزِعُ﴾ من صناديد قريش ومن الروم وفارس فلا تقوم الساعة حتّى

يفتحها أهل الإسلام، وقيل: تؤتي النبوّة والإمامة من تشاء من عبادك، وتولّيه التصرّف في خلقك وبلادك، وتنزع الملك على هذا الوجه من الجبّارين ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾ بالإيمان والطاعة ﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ بالكفر والمعاصي، وقيل: تعزّ المؤمن بتعظيمه والثناء عليه، وتذلّ الكافر بالجزية والسبي، وقيل: تعز محمّداً وأصحابه، وتذلّ أبا جهل وأضرابه من المقتولين يوم بدر في القليب، وقيل: تعزّ من تشاء من أوليائك بأنواع العزّة في الدنيا والدين، وتذلّ من تشاء من أعدائك في الدنيا والآخرة، لأنّه سبحانه لا يذلّ أولياءه وإن أفقرهم وابتلاهم، فإنّ ذلك ليس على سبيل الإذلال، بل ليكرمهم بذلك في الآخرة ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾ أي الخير كلّه في الدنيا والآخرة[1].

وقال في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ﴾ أي من جملتهم، أو عاهدتهم، قال مجاهد: أراد به يهود بني قريظة، فإنّهم كانوا قد عاهدوا النبيّ ﷺ على أن لا يضرّوا به ولا يمالئوا عليه عدوّاً، ثمّ مالأوا عليه الاحزاب يوم الخندق وأعانوهم عليه بالسلاح، وعاهدوا مرّة بعد أخرى فنقضوا، فانتقم الله منهم ﴿ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ﴾ أي كلّما عاهدتهم نقضوا العهد ولم يفوا به ﴿وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ نقض العهد أو عذاب الله ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ﴾ أي تصادفنهم في الحرب، أي ظفرت بهم ﴿فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ﴾ أي فنكّل بهم تنكيلاً يشرد بهم من بعدهم ويمنعهم من نقض العهد، والتشريد: التفريق ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ أي لكي يتذكّروا وينزجروا ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً﴾ أي إن خفت يا محمّد من قوم بينك وبينهم عهد خيانة ﴿فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ فألق ما بينك وبينهم من العهد، وأعلمهم بأنّك نقضت ما شرطت لهم لتكون أنت وهم في العلم بالنقض على استواء، وقيل: معنى ﴿عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ على عدل، قال الواقديّ: هذه الآية نزلت في بني قينقاع، وبهذه الآية سار النبيّ ﷺ إليهم[2].

وقال ؒ في قوله تعالى: ﴿إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾ وهم الّذين تحزبوا على رسول الله ﷺ أيّام الخندق ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا﴾ وهي الصبا، أرسلت عليهم حتّى أكفأت قدورهم فنزعت فساطيطهم ﴿وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ الملائكة وقيل: إنّ الملائكة لم يقاتلوا يومئذ، ولكن كانوا يشجّعون المؤمنين، ويجبّنون الكافرين ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾.

﴿إِذْ جَآءُوكُم﴾ أي اذكروا حين جاءكم جنود المشركين ﴿مِّن فَوْقِكُمْ﴾ أي من فوق الوادي قبل المشرق قريظة والنضير وغطفان ﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ أي من المغرب من ناحية مكّة أبو سفيان في قريش ومن تبعه ﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ أي مالت عن كلّ شيء فلم تنظر إلاّ عدوها مقبلاً من كلّ جانب، أو عدلت الأبصار عن مقرّها من الدهش والحيرة كما يكون الجبان فلا يعلم ما يبصر ﴿وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ الحنجرة: جوف الحلقوم، أي شخصت قلوب من مكانها، فلولا أنّه ضاق الحلقوم عنها أن تخرج لخرجت، عن قتادة، وقال أبو سعيد الخدريّ: قلنا يوم الخندق

(١) مجمع البيان، ج ٢ ص ٢٦٩.
(٢) مجمع البيان، ج ٤ ص ٤٨٣.

يا رسول الله هل من شيء نقوله فقد بلغت القلوب الحناجر؟ فقال: قولوا: «اللّهمّ استر عوراتنا وآمن روعاتنا» قال: فقلناها فضرب وجوه أعداء الله بالريح، فهزموا، قال الفرّاء: المعنى أنّهم جبنوا وجزع أكثرهم، وسبيل الجبان إذا اشتدّ خوفه أن ينتفخ سحره، والسحر الرئة، فإذا انتفخت الرئة رفعت القلوب إلى الحنجرة ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ أي اختلفت الظنون فظنّ بعضهم النصر، وبعضهم أيس وقنط، وقيل: ظنّ المنافقون أنّه يستأصل محمّد ﷺ، وظن المؤمنون أنّه ينصر، وقيل: ظنّ بعضهم أنّ الكفّار تغلبهم، وظنّ بعضهم أنّهم يستولون على المدينة وظنّ بعضهم أنّ الجاهلية تعود كما كانت، وظنّ بعضهم أنّ ما وعد الله ورسوله من نصرة الدين وأهله غرور، فأقسام الظنون كثيرة خصوصاً ظنّ الجبناء(١).

﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ أي اختبروا وامتحنوا ﴿وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ أي حرّكوا بالخوف تحريكاً شديداً ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أي شكّ: ﴿مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ قال ابن عبّاس: إنّ المنافقين قالوا: يعدنا محمّد أن يفتح مدائن كسرى وقيصر ونحن لا نأمن أن نذهب إلى الخلاء، هذا والله الغرور ﴿وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ يعني عبد الله بن أبيّ وأصحابه، وقيل: هم بنو سالم من المنافقين، وقيل: القائل أوس بن قيظي ومن وافقه على رأيه ﴿يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا﴾ أي لا إقامة لكم ههنا، أو لا مكان لكم تقومون فيه للقتال إذا فتح الميم، فارجعوا إلى منازلكم بالمدينة، وأرادوا الهرب من عسكر رسول الله ﷺ ﴿وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ﴾ في الرجوع إلى المدينة وهم بنو حارثة وبنو سلمة ﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ ليست بحريزة، مكشوفة ليست بحصينة، أو خالية من الرجال نخشى عليها السرّاق، وقيل: قالوا: بيوتنا ممّا يلي العدو لا نأمن على أهلينا ﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ﴾ بل هي رفيعة السمك حصينة عن الصادق عليه السلام ﴿إِن يُرِيدُونَ﴾ أي ما يريدون ﴿إِلَّا فِرَارًا﴾ وهرباً من القتال ونصرة المؤمنين ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ﴾ البيوت أو المدينة ﴿عَلَيْهِم﴾ أي لو دخل هؤلاء الّذين يريدون القتال وهم الأحزاب على الّذين يقولون: إنّ بيوتنا عورة وهم المنافقون ﴿مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾ من نواحي المدينة أو البيوت ﴿ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا﴾ أي ثمّ دعوا هؤلاء إلى الشرك لأشركوا ﴿وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا﴾ أي وما احتبسوا عن الإجابة إلى الكفر إلاّ قليلاً، أو لمّا أقاموا بعد إعطائهم الكفر إلاّ قليلاً حتّى يعاجلهم الله بالعذاب ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ﴾ أي من قبل الخندق ﴿لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ﴾ أي بايعوا النبيّ ﷺ وحلفوا له أنّهم ينصرونه ويدفعون عنه كما يدفعون عن نفوسهم ولا يرجعون عن مقاتلة العدوّ ولا ينهزمون، قال مقاتل: يريد ليلة العقبة ﴿وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾ يسئلون عنه في الآخرة ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ﴾ إن كان حضر آجالكم فإنّه لا بدّ من واحد منهما، وإن هربتم فالهرب لا يزيد في آجالكم ﴿وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي وإن لم يحضر آجالكم وسلمتم من

---

(١) مجمع البيان، ج ٨ ص ١٢٤.

الموت أو القتل في هذه الوقعة لم تمتّعوا في الدنيا إلاّ أياماً قلائل ﴿قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي يدفع عنكم قضاء الله ﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا﴾ أي عذاباً وعقوبة ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ أي نصراً وعزّاً، فإنّ أحداً لا يقدر على ذلك ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا﴾ يلي أمورهم ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ ينصرهم ويدفع عنهم ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ﴾ وهم الّذين يعوّقون غيرهم عن الجهاد مع رسول الله ﷺ ويثبّطونهم ويشغلونهم لينصرفوا عنه، وذلك بأنّهم قالوا لهم: ما محمّد وأصحابه إلاّ أكلة رأس، ولو كانوا لحماً لالتهمهم أبوسفيان وهؤلاء الأحزاب ﴿وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾ يعني اليهود، قالوا لاخوانهم المنافقين: ﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ أي تعالوا، وأقبلوا إلينا ودعوا محمّداً وقيل: القائلون هم المنافقون، قالوا لإخوانهم من ضعفة المسلمين: لا تحاربوا وخلّوا محمّداً فإنّا نخاف عليكم الهلاك ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ﴾ أي ولا يحضرون القتال في سبيل الله ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ يخرجون رياء وسمعة قدر ما يوهمون أنّهم معكم، وقيل لا يحضرون القتال إلاّ كارهين يكون قلوبهم مع المشركين ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ أي يأتون البأس بخلاً بالقتال معكم وقيل بخلاً بالنفقة في سبيل الله والنصرة ﴿كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ وهو الّذي قرب من حال الموت، وغشيته أسبابه فيذهل ويذهب عقله ويشخص بصره فلا يطرف، فكذلك هؤلاء تشخص أبصارهم وتحار أعينهم من شدّة خوفهم ﴿فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ﴾ وجاء الأمن والغنيمة ﴿سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ أي آذوكم بالكلام، وخاصموكم [بألسنة] سليطة ذربة، وقيل: معناه بسطوا ألسنتهم فيكم وقت قسمة الغنيمة يقولون: أعطونا فلستم بأحق بها منّا عن قتادة، قال: فأمّا عند البأس فأجبن قوم وأخذله للحق وأمّا عند الغنيمة فأشحّ قوم، وهو قوله: ﴿أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ﴾ أي بخلاً بالغنيمة يشاحّون المؤمنين عند القسمة، وقيل: بخلاً بأن يتكلّموا بكلام فيه خير ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟﴾ وإلا لما فعلوا ذلك ﴿فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ لأنها لم تقع على الوجوه الّتي يستحقّ عليها الثواب ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ﴾ أي الاحباط أو نفاقهم ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ أي هيّناً ﴿يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟﴾ أي يظنّون أنّ الجماعات من قريش وغطفان وأسد واليهود الّذين تحزّبوا على رسول الله ﷺ لم ينصرفوا وقد انصرفوا. وإنّما ظنّوا ذلك لجبنهم وفرط حبّهم قهر المسلمين ﴿وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ﴾ أي وإن يرجع الأحزاب إليهم ثانية للقتال ﴿يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ﴾ أي يودّ هؤلاء المنافقون أن يكونوا في البادية مع الأعراب يسألون النّاس عن أخباركم ولا يكونوا معكم حذراً من القتل وتربّصاً للدوائر ﴿وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي ولو كانوا معكم لم يقاتلوا إلاّ يسيراً ليوهموا أنّهم في جملتكم ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ﴾ معاشر المكلّفين ﴿فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ أي قدوة صالحة، أي كان لكم برسول الله اقتداء لو اقتديتم به في نصرته، والصبر معه في مواطن القتال ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ﴾ بدل من قوله: ﴿لَكُمْ﴾ يعني أنّ الأسوة برسول الله إنّما يكون لمن يرجو ما عند الله من الثواب والنعيم ﴿وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ أي ذكراً كثيراً ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ﴾ مع كثرتهم ﴿قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ قيل: إنّ

النبيّ صلى الله عليه وآله كان أخبرهم أنّه يتظاهر عليهم الأحزاب ووعدهم الظفر بهم، فلمّا رأوهم تبين لهم مصداق قوله، وكان ذلك معجزاً له، وقيل: إنّ الله وعدهم في سورة البقرة بقوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ ما سيكون من الشدّة الّتي تلحقهم من عدوهم، فلمّا رأوا الاحزاب يوم الخندق قالوا هذه المقالة علماً منهم أنّه لا يصيبهم إلاّ ما أصاب الأنبياء والمؤمنين قبلهم ﴿وَمَا زَادَهُمْ﴾ مشاهدة عدوهم ﴿إِلَّا إِيمَانًا﴾ أي تصديقاً بالله ورسوله ﴿وَتَسْلِيمًا﴾ لأمره ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ أي بايعوا أن لا يفروا فصدقوا في لقائهم العدو ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ﴾ أي مات أو قتل في سبيل الله فأدرك ما تمنّى، فذلك قضاء النحب، وقيل: قضى نحبه معناه فرغ من عمله ورجع إلى ربّه يعني من استشهد يوم أحد ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ وعد الله من نصرة، أو شهادة على ما مضى عليه أصحابه ﴿وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ أي ما غيّروا العهد الّذي عاهدوا ربّهم كما غيّر المنافقون ﴿لِّيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ في عهودهم ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ﴾ بنقض العهد ﴿إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ إن تابوا ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني الاحزاب أبا سفيان وجنوده وغطفان ومن معهم من قبائل العرب ﴿بِغَيْظِهِمْ﴾ أي بغمّهم الّذي جاؤا به وحنقهم لم يشفوا بنيل ما أرادوا ﴿لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا﴾ أمّلوه وأرادوه من الظفر بالنبيّ والمؤمنين وإنّما سماه خيراً لأنّ ذلك كان خيراً عندهم وقيل: أراد بالخير المال ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ أي مباشرة القتال بما أنزل على المشركين من الريح الشديدة الباردة الّتي أزعجتهم عن أماكنهم، وبما أرسل من الملائكة وبما قذف في قلوبهم من الرعب، وقيل: بعليّ بن أبي طالب عليه السلام وقتله عمرو بن عبد ودّ، وكان ذلك سبب هزيمة القوم، عن عبد الله بن مسعود وهو المرويّ عن أبي عبد الله عليه السلام . ﴿وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا﴾ أي قادراً على ما يشاء ﴿عَزِيزًا﴾ لا يمتنع عليه شيء من الأشياء.

ثمّ ذكر سبحانه ما فعل باليهود من بني قريظة فقال: ﴿وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم﴾ أي عاونوا المشركين من الاحزاب ونقضوا العهد بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وآله أن لا ينصروا عليه عدوّاً ﴿مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ يعني من اليهود، واتفق المفسّرون على أنّهم بنو قريظة إلاّ الحسن، فإنه قال: هم بنو النضير، والأوّل أصح ﴿مِن صَيَاصِيهِمْ﴾ أي من حصونهم ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ أي الخوف من النبيّ صلى الله عليه وآله وأصحابه ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ يعني الرجال ﴿وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ يعني الذراري والنساء ﴿وَأَوْرَثَكُمْ﴾ أي أعطاكم ﴿أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا﴾ أي وأورثكم أرضاً لم تطأوها بأقدامكم بعد وسيفتحها الله عليكم وهي خيبر وقيل: هي الروم وفارس وقيل: هي كلّ أرض يفتح إلى يوم القيامة، وقيل: هي ما أفاء الله على رسوله ممّا لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب[(١)].

أقول: قال الطبرسيّ رحمه الله في سياق غزوة الخندق: ذكر محمّد بن كعب القرظيّ وغيره من

(١) مجمع البيان، ج ٨ ص ١٣٩.

أصحاب السير قالوا: كان من حديث الخندق أنّ نفراً من اليهود منهم سلام بن أبي الحقيق وحيي بن أخطب في جماعة من بني النضير الّذين أجلاهم رسول الله ﷺ خرجوا حتّى قدموا على قريش بمكّة فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ، وقالوا: إنّا سنكون معكم عليهم حتّى نستأصلهم، فقالت لهم قريش: يا معشر اليهود إنكم أهل الكتاب الأوّل فديننا خير أم دين محمّد؟ قالوا: بل دينكم خير من دينه فأنتم أولى بالحقّ منهم، فهم الّذين أنزل الله فيهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾ إلى قوله: ﴿وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ فسرّ قريشاً ما قالوا، ونشطوا لما دعوهم إليه، فأجمعوا لذلك واتّعدوا له، ثمّ خرج أولئك النفر من اليهود حتّى جاؤا غطفان فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ وأخبروهم أنّهم سيكونون معهم عليه ﷺ، وأن قريشاً قد بايعوهم على ذلك فأجابوهم، فخرجت قريش وقائدهم أبو سفيان بن حرب وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصين في فزارة والحارث بن عوف في بني مرّة، ومسعر بن جبلة الاشجعيّ فيمن تابعه من أشجع، وكتبوا إلى حلفائهم من بني أسد، فأقبل طليحة فيمن اتّبعه من بني أسد وهما حليفان أسد وغطفان، وكتب قريش إلى رجال من بني سليم فأقبل أبوالاعور السلميّ فيمن اتبعه من بني سليم مدداً لقريش، فلمّا علم بذلك رسول الله ﷺ ضرب الخندق على المدينة، وكان الّذي أشار عليه بذلك سلمان الفارسيّ، وكان أوّل مشهد شهده سلمان مع رسول الله ﷺ وهو يومئذ حرّ، قال: يا رسول الله إنّا كنا بفارس إذا حوصرنا خندقنا علينا، فعمل فيه رسول الله ﷺ والمسلمون حتّى أحكموه.

فمما ظهر من دلائل النبوّة في حفر الخندق ما رواه أبو عبد الله الحافظ بإسناده عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزنيّ قال: حدّثني أبي، عن أبيه قال: خطّ رسول الله ﷺ الخندق عام الاحزاب أربعين ذراعاً بين عشرة، فاختلف المهاجرون والانصار في سلمان، وكان رجلاً قويّاً، فقالت الأنصار: سلمان منّا، وقالت المهاجرون، سلمان منّا، فقال رسول الله ﷺ: «سلمان منّا أهل البيت».

أقول: وساق الحديث في كسر الصخرة وظهور البرق ما مرّ برواية الثعلبيّ.

ثمّ قال: وممّا ظهر أيضاً من آيات النبوّة ما رواه أبو عبد الله الحافظ بالإسناد عن عبد الواحد بن أيمن المخزوميّ قال: حدّثني أيمن المخزوميّ قال: سمعت جابر بن عبد الله قال: كنّا يوم الخندق نحفر الخندق فعرضت فيه كدية وهي الجبل، فقلنا: يا رسول الله إنّ كدية عرضت فيه، فقال رسول الله ﷺ: رشوا عليها ماء ثمّ قام فأتاها وبطنه معصوب بحجر من الجوع، فأخذ المعول أو المسحاة فسمى ثلاثاً ثمّ ضرب فعادت كثيباً أهيل فقلت له: ائذن لي يا رسول الله إلى المنزل، ففعل فقلت للمرأة: هل عندك من شيء؟ فقالت: عندي صاع من شعير وعناق، فطحنت الشعير وعجنته وذبحت العناق وسلختها وخلّيت بين المرأة وبين ذلك

ثمّ أتيت إلى رسول الله ﷺ فجلست عنده ساعة، ثمّ قلت: ائذن لي يا رسول الله ففعل، فأتيت المرأة فإذا العجين واللحم قد أمكنا، فرجعت إلى رسول الله ﷺ فقلت: إنّ عندنا طعيماً لنا فقم يا رسول الله أنت ورجلان من أصحابك فقال: وكم هو؟ قلت: صاع من شعير وعناق، فقال للمسلمين جميعاً: قوموا إلى جابر، فقاموا فلقيت من الحياء ما لا يعلمه إلاّ الله، فقلت: جاء بالخلق على صاع شعير وعناق، فدخلت على المرأة وقلت: قد افتضحت، جاءك رسول الله ﷺ بالخلق، فقالت: هل كان سألك كم طعامك؟ قلت: نعم، فقالت: الله ورسوله أعلم قد أخبرناه ما عندنا، فكشفت عنّي غمّاً شديداً، فدخل رسول الله ﷺ فقال: خذي ودعيني من اللحم، فجعل رسول الله ﷺ يثرد ويفرّق اللحم، ثمّ يحم هذا، ويحمّ هذا فما زال يقرب إلى النّاس حتّى شبعوا أجمعين، ويعود التنّور والقدر أملأ ما كانا، ثمّ قال رسول الله ﷺ: كلي واهدي، فلم نزل نأكل ونهدي قومنا أجمع. أورده البخاريّ في الصحيح.

وعن البراء بن عازب قال: كان رسول الله ﷺ ينقل معنا التراب يوم الأحزاب وقد وارى التراب بياض بطنه، وهو يقول:

لا همّ لولا أنت لما اهتدينا ... ولا تصدّقنا ولا صلّينا
فأنزلن سكينةً علينا ... وثبّت الأقدام إن لاقينا
إنّ الألى قد بغوا علينا ... إذا أرادوا فتنة أبينا

يرفع بها صوته، رواه البخاريّ أيضاً في الصحيح عن أبي الوليد، عن شعبة، عن أبي إسحاق، عن البراء.

قالوا: ولمّا فرغ رسول الله ﷺ من الخندق أقبلت قريش حتّى نزلت بين الجرف والغابة في عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تابعهم من بني كنانة وأهل تهامة، وأقبلت غطفان ومن تابعهم من أهل نجد حتّى نزلوا إلى جانب أحد وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون حتّى جعلوا ظهورهم إلى سلع في ثلاثة آلاف من المسلمين، فضرب هناك عسكره، والخندق بينه وبين القوم، وأمر بالذراري والنساء فرفعوا في الآطام، وخرج عدوّ الله حيي بن أخطب النضيريّ حتّى أتى كعب بن أسد القرظيّ صاحب بني قريظة، وكان قد وادع رسول الله ﷺ على قومه وعاهده على ذلك، فلمّا سمع كعب صوت ابن اخطب أغلق دونه حصنه، فاستأذن عليه فأبى أن يفتح له، فناداه يا كعب افتح لي فقال: ويحك يا حيي إنّك رجل مشؤوم إنّي قد عاهدت محمّداً ولست بناقض ما بينه وبيني، ولم أر منه إلاّ وفاء وصدقاً، قال: ويحك افتح لي أكلمك، قال: ما أنا بفاعل، قال: إن أغلقت دوني إلاّ على جشيشة تكره أن نأكل منها معك، فأحفظ الرجل ففتح له فقال: ويحك يا كعب جئتك بعزّ الدهر وببحر طام، جئتك بقريش على سادتها وقادتها، وبغطفان على سادتها وقادتها، قد عاهدوني أن لا يبرحوا حتّى

يستأصلوا محمّداً ومن معه، فقال كعب: جئتني والله بذلّ الدهر بجهام قد أهراق ماؤه برعد وببرق وليس فيه شيء، فدعني ومحمّداً وما أنا عليه، فلم أر من محمّد إلاّ صدقاً ووفاء، فلم يزل حييّ بكعب يفتل منه في الذروة والغارب حتّى سمح له على أن أعطاه عهداً وميثاقاً لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمّداً أن أدخل معك في حصنك حتّى يصيبني ما أصابك، فنقض كعب عهده وبرئ ممّا كان عليه فيما بينه وبين رسول الله ﷺ، فلمّا انتهى الخبر إلى رسول الله ﷺ بعث سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس أحد بني عبد الاشهل وهو يومئذ سيّد الاوس، وسعد بن عبادة أحد بني ساعدة بن كعب بن الخزرج وهو يومئذ سيّد الخزرج، ومعهما عبد الله بن رواحة وخوات بن جبير، فقال: انطلقوا حتّى تنظروا أحقّ ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا، فإن كان حقّاً فالحنوا لنا لحناً نعرفه، ولا تفتوا أعضاد النّاس، وإن كانوا على الوفاء فاجهروا به للناس، فخرجوا حتّى أتوهم فوجدوهم على أخبث ممّا بلغهم عنهم، قالوا: لا عقد بيننا وبين محمّد ولا عهد، فشاتمهم سعد بن عبادة، وشاتموه، فقال سعد بن معاذ: دع عنك مشاتمتهم فإنّ ما بيننا وبينهم أعظم من المشاتمة. ثمّ أقبلوا إلى رسول الله ﷺ وقالوا: عضل والقارة، لغدر عضل والقارة بأصحاب رسول الله ﷺ خبيب بن عديّ وأصحابه أصحاب الرجيع، فقال رسول الله ﷺ: «الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين».

وعظم عند ذلك البلاء، واشتدّ الخوف، وأتاهم عدوّهم من فوقهم ومن أسفل منهم، حتّى ظنّ المؤمنون كلّ ظنّ، وظهر النفاق من بعض المنافقين، فأقام رسول الله ﷺ وأقام المشركون عليه بضعاً وعشرين ليلة لم يكن بينهم قتال إلاّ الرمي بالنبل إلاّ أنّ فوارس من قريش منهم: عمرو بن عبدوُدّ أخو بني عامر بن لؤي، وعكرمة بن أبي جهل، وضرار بن الخطّاب وهبيرة بن أبي وهب ونوفل بن عبد الله قد تلبّسوا للقتال، وخرجوا على خيولهم حتّى مرّوا بمنازل بني كنانة فقالوا: تهيّأوا للحرب يا بني كنانة، فستعلمون اليوم من الفرسان، ثمّ اقبلوا تعنق بهم خيولهم حتّى وقفوا على الخندق، فقالوا: والله إنّ هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها، ثمّ تيمموا مكاناً ضيقاً من الخندق فضربوا خيولهم فاقتحموا فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسلع، وخرج عليّ بن أبي طالب في نفر من المسلمين حتّى أخذ منهم الثغرة الّتي منها اقتحموا، وأقبلت الفرسان نحوهم وكان عمرو بن عبدوُدّ فارس قريش، وكان قد قاتل يوم بدر حتّى ارتُثّ وأثبته الجراح فلم يشهد أحداً، فلمّا كان يوم الخندق خرج مُعلماً ليرى مشهده، وكان يعدّ بألف فارس وكان يسمّى فارس يليل، لأنّه أقبل في ركب من قريش حتّى إذا هو بيليل وهو واد قريب من بدر عرضت لهم بنو بكر في عدد، فقال لأصحابه: امضوا، فمضوا فقام في وجوه بني بكر حتّى منعهم من أن يصلوا إليه، فعرف بذلك، وكان اسم الموضع الّذي حفر فيه الخندق المذاد، وكان أوّل من طفره عمرو وأصحابه، فقيل في ذلك:

عمرو بن عبد، كان أوّل فارس جزع المداد وكان فارس يليل

وذكر ابن إسحاق أنّ عمرو بن عبدود كان ينادي: من يبارز؟ فقام عليّ عليه السلام وهو مقنّع في الحديد، فقال: أنا له يا نبيّ الله، فقال: إنّه عمرو، اجلس، ونادى عمرو: ألا رجل ويؤنّبهم ويسبّهم، ويقول: أين جنّتكم الّتي تزعمون أنّ من قتل منكم دخلها، فقام عليّ عليه السلام فقال: أنا له يا رسول الله، ثمّ نادى الثالثة فقال:

ولقد بححت من النداء بجمعكم هل من مبارز
ووقفت إذ جبن المشجّع موقف البطل المناجز
إنّ السماحة والشجا عة في الفتى خير الغرائز

فقام عليّ عليه السلام فقال: يا رسول الله أنا فقال: إنّه عمرو، فقال: وإن كان عمرواً، فاستأذن رسول الله صلى الله عليه وآله فأذن له.

وفيما رواه لنا السيّد أبو محمّد الحسينيّ القائنيّ عن الحاكم أبي القاسم الحسكانيّ بالإسناد عن عمرو بن ثابت، عن أبيه، عن جدّه، عن حذيفة قال: فألبسه رسول الله صلى الله عليه وآله درعه ذات الفضول، وأعطاه سيفه ذا الفقار، وعمّمه عمامته السحاب على رأسه تسعة أكوار، ثمّ قال له: تقدّم، فقال لمّا ولّى: «اللّهمّ احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوق رأسه ومن تحت قدميه».

قال ابن إسحاق: فمشى إليه وهو يقول:

لا تعجلنّ فقد أتا ك مجيب صوتك غير عاجز
ذو نيّة وبصيرة والصدق منجي كلّ فائز
إنّي لأرجو أن أقيم عليك نائحة الجنائز
من ضربة نجلاء يبقى ذكرها عند الهزاهز

قال له عمرو: من أنت؟ قال: أنا عليّ، قال: ابن عبد مناف؟ فقال: أنا عليّ بن أبي طالب ابن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف، فقال: غيرك يا ابن أخي من أعمامك من هو أسنّ منك، فإنّي أكره أن أهريق دمك، فقال: لكنّي والله ما أكره أن أهريق دمك، فغضب ونزل وسلّ سيفه كأنّه شعلة نار، ثمّ أقبل نحو عليّ مغضباً فاستقبله عليّ بدرقته فضربه عمرو في الدرقة فقدّها وأثبت فيها السيف، وأصاب رأسه فشجّه، وضربه عليّ على حبل العاتق فسقط.

وفي رواية حذيفة: وتسيّف على رجليه بالسيف من أسفل فوقع على قفاه.

وثارت بينهما عجاجة، فسمع عليّ يكبّر، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: قتله والّذي نفسي بيده، فكان أوّل من ابتدر العجاج عمر بن الخطّاب، فإذا عليّ عليه السلام يمسح سيفه بدرع عمرو، فكرّ عمر بن الخطّاب وقال: يا رسول الله قتله، فجزّ عليّ رأسه وأقبل نحو رسول الله صلى الله عليه وآله

ووجهه يتهلّل، فقال عمر بن الخطّاب: هلا استلبته درعه، فإنّه ليس للعرب درع خيراً منها؟ فقال: ضربته فاتّقاني بسوأته فاستحييت من ابن عمّي أن أستلبه.

قال حذيفة: فقال النبيّ ﷺ: أبشر يا عليّ فلو وزن اليوم عملك بعمل أمة محمّد لرجح عملك بعملهم، وذلك أنّه لم يبق بيت من بيوت المشركين إلاّ وقد دخله وهن بقتل عمرو، ولم يبق بيت من بيوت المسلمين إلاّ وقد دخله عزّ بقتل عمرو.

وعن الحاكم أبي القاسم أيضاً بالإسناد عن سفيان الثوريّ، عن زبيد الشاميّ، عن مرّة، عن عبد الله بن مسعود قال: كان يقرأ «وكفى الله المؤمنين القتال بعلي».

وخرج أصحابه منهزمين حتّى طفرت خيولهم الخندق، وتبادر المسلمون فوجدوا نوفل بن عبد العزّى جوف الخندق، فجعلوا يرمونه بالحجارة فقال لهم: قتلة أجمل من هذه، ينزل بعضكم أقاتله، فقتله الزبير بن العوام.

وذكر ابن إسحاق أنّ عليّاً طعنه في ترقوته حتّى أخرجها من مراقه، فمات في الخندق، وبعث المشركون إلى رسول الله ﷺ يشترون جيفته بعشرة آلاف، فقال النبيّ ﷺ: هو لكم لا نأكل ثمن الموتى.

وذكر عليّ عليه السلام أبياتاً منها:

نصر الحجارة من سفاهة رأيه ... ونصرت ربّ محمّد بصواب
فضربته وتركته متجدّلاً ... كالجذع بين دكادك وروابي
وعففت عن أثوابه ولو إنّني ... كنت المقطّر بزّني أثوابي

روى عمرو بن عبيد، عن الحسن البصريّ قال: إنّ عليّاً عليه السلام لمّا قتل عمرو بن عبد ودّ حمل رأسه فألقاه بين يدي رسول الله ﷺ، فقام أبو بكر وعمر فقبّلا رأس عليّ عليه السلام.

وروي عن أبي بكر بن عيّاش أنّه قال: ضرب عليّ ضربة ما كان في الإسلام أعزّ منها. - يعني ضربة عمرو بن عبد ودّ - وضُرِبَ عليّ ضربة ما كان في الإسلام أشأم منها - يعني ضربة ابن ملجم عليه لعائن الله.

قال ابن إسحاق: ورمى حيّان بن قيس بن العرقة سعد بن معاذ بسهم وقال: خذها وأنا ابن العرقة، فقطع أكحله، فقال سعد: عرق الله وجهك في النّار، اللّهمّ إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبقني لها، فإنّه لا قوم أحبّ إليّ أن أجاهد من قوم آذوا رسولك وكذّبوه وأخرجوه، وإن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعله لي شهادة ولا تمتني حتّى تقرّ عيني من بني قريظة.

قال: وجاء نعيم بن مسعود الاشجعيّ إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنّي قد أسلمت ولم يعلم بي أحد من قومي، فمرني بأمرك، فقال له رسول الله ﷺ: «إنما أنت فينا رجل واحد، فخذّل عنّا ما استطعت، فإنّما الحرب خدعة» فانطلق نعيم بن مسعود حتّى أتى

بني قريظة فقال لهم: إنّي لكم صديق، والله ما أنتم وقريش وغطفان من محمّد بمنزلة واحدة إنّ البلد بلدكم وبه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم، وانما قريش وغطفان بلادهم غيرها، وإنّما جاؤا حتّى نزلوا معكم، فإن رأوا فرصة انتهزوها، وإن رأوا غير ذلك رجعوا إلى بلادهم، وخلّوا بينكم وبين الرجل، ولا طاقة لكم به، فلا تقاتلوا حتّى تأخذوا رهناً من أشرافهم تستوثقون به أن لا يبرحوا حتّى يناجزوا محمّداً، فقالوا له: قد أشرت برأي، ثمّ ذهب فأتى أبا سفيان وأشراف قريش، فقال: يا معشر قريش إنكم قد عرفتم ودّي إيّاكم وفراقي محمّداً ودينه، وإنّي قد جئتكم بنصيحة فاكتموا عليّ، فقالوا: نفعل ما أنت عندنا بمتّهم، فقال: تعلمون أنّ بني قريظة قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمّد، فبعثوا إليه أنّه لا يرضيك عنّا إلاّ أن نأخذ من القوم رهناً من أشرافهم وندفعهم إليك فتضرب أعناقهم، ثمّ نكون معك عليهم حتّى نخرجهم من بلادك فقال: بلى، فإن بعثوا إليكم يسألونكم نفراً من رجالكم فلا تعطوهم رجلاً واحداً، واحذروا، ثمّ جاء غطفان فقال: يا معشر غطفان إنّي رجل منكم، ثمّ قال لهم ما قال لقريش، فلمّا أصبح أبوسفيان وذلك يوم السبت في شوّال سنة خمس من الهجرة، بعث إليهم أبوسفيان عكرمة بن أبي جهل في نفر من قريش إنّ أبا سفيان يقول لكم: يا معشر اليهود إنّ الكراع والخفّ قد هلكتا، وإنّا لسنا بدار مقام فاخرجوا إلى محمّد حتّى نناجزه فبعثوا إليه إنّ اليوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئاً، ولسنا مع ذلك بالّذي نقاتل معكم حتّى تعطونا رهناً من رجالكم نستوثق بهم لا تذهبوا وتدعونا حتّى نناجز محمّداً، فقال أبو سفيان: قد حذرنا والله هذا نعيم فبعث إليهم أبوسفيان إنّا لا نعطيكم رجلاً واحداً، فإن شئتم أن تخرجوا وتقاتلوا، وإن شئتم فاقعدوا، فقالت اليهود: هذا والله الّذي قال لنا نعيم، فبعثوا إليهم إنّا والله لا نقاتل حتّى تعطونا رهناً وخذل الله بينهم وبعث سبحانه عليهم الريح في ليال شاتية باردة شديدة البرد حتّى انصرفوا راجعين.

قال محمّد بن كعب: قال حذيفة اليمانيّ: والله لقد رأينا يوم الخندق وبنا من الجهد والجوع والخوف ما لا يعلمه إلاّ الله، وقام رسول الله ﷺ فصلّى ما شاء الله من اللّيل، ثمّ قال: «ألا رجل يأتينا بخبر القوم يجعله الله رفيقي في الجنّة»؟ قال حذيفة: فوالله ما قام منّا أحد ممّا بنا من الخوف والجهد والجوع، فلمّا لم يقم أحد دعاني فلم أجد بدّاً من إجابته، قلت: لبيك، قال: «اذهب فجئني بخبر القوم ولا تحدثن شيئاً حتّى ترجع» قال: وأتيت القوم فإذا ريح الله وجنوده يفعل بهم ما يفعل ما يستمسك لهم بناء ولا يثبت لهم نار، ولا يطمئنّ لهم قدر، فإنّي لكذلك إذ خرج أبوسفيان من رحله، ثمّ قال: يا معشر قريش لينظر أحدكم من جليسه، قال حذيفة: فبدأت بالّذي عن يميني فقلت: من أنت؟ قال: أنا فلان، قال: ثمّ عاد أبوسفيان براحلته فقال: يا معشر قريش والله ما أنتم بدار مقام، هلك الخفّ والحافر، وأخلفتنا بنو قريظة، وهذه الريح لا يستمسك لنا معها شيء. ثمّ عجل فركب راحلته، وإنّها لمعقولة ما حلّ عقالها إلاّ بعدما ركبها، قال: قلت في نفسي: لو رميت عدو الله فقتلته كنت قد

صنعت شيئاً فوترت قوسي، ثمّ وضعت السهم في كبد القوس وأنا أريد أن أرميه فأقتله فذكرت قول رسول الله ﷺ: «لا تحدثن شيئاً حتّى ترجع» قال: فحططت القوس ثمّ رجعت إلى رسول الله ﷺ وهو يصلّي، فلمّا سمع حسّي فرج بين رجليه فدخلت تحته وأرسل عليّ طائفة من مرطه، فركع وسجد، ثمّ قال: ما الخبر؟ فأخبرته.

وروى الحافظ بالإسناد عن عبد الله بن أبي أوفى قال: دعا رسول الله ﷺ على الاحزاب فقال: اللّهمّ أنت منزل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الاحزاب اللّهمّ اهزمهم وزلزلهم.

وعن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ كان يقول: لا إله إلاّ الله وحده، أعزّ جنده، ونصر عبده، وغلب الاحزاب وحده، فلا شيء بعده.

وعن سلمان بن صرد قال: قال رسول الله ﷺ حين أجلي عنه الاحزاب: «الآن نغزوهم ولا يغزونا» فكان كما قال ﷺ فلم يغزهم قريش بعد ذلك وكان هو يغزوهم حتّى فتح الله عليهم مكّة(١).

ثمّ قال في غزوة بني قريظة: روى الزُهريّ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك، عن أبيه قال: لمّا انصرف النبيّ ﷺ مع المسلمين عن الخندق ووضع عنه اللأمة واغتسل واستحم تبدّى له جبرئيل فقال: عذيرك من محارب، الا أراك قد وضعت عنك اللأمة، وما ضعناها بعد، فوثب رسول الله ﷺ فزعاً، فعزم على النّاس أن لا يصلوا صلاة العصر حتّى يأتوا قريظة. فلبس النّاس السلاح فلم يأتوا بني قريظة حتّى غربت الشمس واختصم النّاس، فقال بعضهم: إنّ رسول الله ﷺ عزم علينا أن لا نصلي حتّى نأتي قريظة، وإنّما نحن في عزمة رسول الله ﷺ فليس علينا إثم، وصلّى طائفة من النّاس احتساباً، وتركت طائفة منهم الصلاة حتّى غربت الشمس، فصلوها حين جاؤا من بني قريظة احتساباً فلم يعنف رسول الله ﷺ واحداً من الفريقين.

وذكر عروة أنّه بعث عليّ بن أبي طالب عليه السلام على المقدم، ودفع إليه اللواء، وأمره أن ينطلق حتّى يقف بهم على حصن بني قريظة، ففعل، وخرج رسول الله ﷺ على آثارهم فمرّ على مجلس من أنصار في بني غنم ينتظرون رسول الله ﷺ، فزعموا أنّه قال: مرّ بكم الفارس آنفاً؟ فقالوا: مرّ بنا دحية الكلبيّ على بغلة شهباء تحته قطيفة ديباج، فقال رسول الله ﷺ: ليس ذلك بدحية، ولكنّه جبرئيل عليه السلام أرسل إلى بني قريظة ليزلزلهم، ويقذف في قلوبهم الرعب، قالوا: وسار عليّ عليه السلام حتّى إذا دنا من الحصن سمع منهم مقالة قبيحة لرسول الله ﷺ، فرجع حتّى لقي رسول الله ﷺ بالطريق: فقال: يا رسول الله لا عليك أن لا تدنو من هؤلاء الاخابث، قال: أظنّك سمعت لي منهم أذىً، فقال: نعم يا رسول الله،

---

(١) مجمع البيان، ج ٨ ص ١٢٥-١٣٦.

فقال: لو قد رأوني لم يقولوا من ذلك شيئاً، فلمّا دنا رسول الله ﷺ من حصنهم قال: «يا إخوة القردة والخنازير هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته»؟ فقالوا: يا أبا القاسم ما كنت جهولاً، وحاصرهم رسول الله ﷺ خمساً وعشرين ليلة حتّى أجهدهم الحصار، وقذف الله في قلوبهم الرعب، وكان حييّ بن أخطب دخل مع بني قريظة في حصنهم حين رجعت قريش وغطفان، فلمّا أيقنوا أنّ رسول الله ﷺ غير منصرف عنهم حتّى يناجز، قال كعب بن أسد: يا معشر اليهود قد نزل بكم من الأمر ما ترون، وإنّي عارض عليكم خلالاً ثلاثاً فخذوا أيّها شئتم، قالوا: ما هن؟ قال: نتابع هذا الرجل ونصدّقه، فوالله لقد تبيّن لكم أنّه نبيّ مرسل، وأنّه الّذي تجدونه في كتابكم فتأمنوا على دمائكم وأموالكم ونسائكم، فقالوا: لا نفارق حكم التوراة أبداً، ولا نستبدل به غيره، قال: فإذا أبيتم عليّ هذا فهلمّوا فلنقتل أبناءنا ونساءنا، ثمّ نخرج إلى محمّد رجالاً مصلتين بالسيوف لم نترك وراءنا ثقلاً يهمّنا حتّى يحكم الله بيننا وبين محمّد، فإن نهلك لم نترك وراءنا نسلاً يهمّنا، وإن نظهر لنجدنّ النساء والأبناء، فقالوا: نقتل هؤلاء المساكين؟ فلا خير في العيش بعدهم، قال: فإذا أبيتم عليّ هذه فإنّ الليلة ليلة السبت، وعسى أن يكون محمّد وأصحابه قد أمنوا فيها، فانزلوا فلعلّنا نصيب منهم غرّة، فقالوا: نفسد سبتنا ونحدث فيها ما أحدث من كان قبلنا فأصابهم ما قد علمت من المسخ، فقال: ما بات رجل منكم منذ ولدته أمّه ليلة واحدة من الدهر حازماً.

قال الزهريّ: وقال رسول الله ﷺ حين سألوه أن يحكّم فيهم رجلاً: اختاروا من شئتم من أصحابي، فاختاروا سعد بن معاذ، فرضي بذلك رسول الله ﷺ ونزلوا على حكم سعد ابن معاذ، فأمر رسول الله ﷺ بسلاحهم، فجعل في قبّة وأمر بهم فكتفوا وأوثقوا وجعلوا في دار أسامة، وبعث رسول الله ﷺ إلى سعد بن معاذ فجيء به، فحكم فيهم بأن يقتل مقاتليهم، ويسبي ذراريهم ونساءهم ويغنم أموالهم، وأنّ عقارهم للمهاجرين دون الانصار، وقال للأنصار: إنّكم ذوو عقار وليس للمهاجرين عقار، فكبّر رسول الله ﷺ وقال لسعد: لقد حكمت فيهم بحكم الله عزّ وجلّ.

وفي بعض الروايات: لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة.

وأرقعة جمع رقيع: اسم سماء الدنيا.

فقتل رسول الله ﷺ مقاتليهم، وكانوا فيما زعموا ستّمائة مقاتل، وقيل: قتل منهم أربع مائة وخمسين رجلاً، وسبى سبعمائة وخمسين. وروي أنّهم قالوا لكعب بن أسد وهم يذهب بهم إلى رسول الله ﷺ أرسالاً: يا كعب ما ترى يصنع بنا؟ فقال كعب: أفي كلّ موطن تقولون ألا ترون أنّ الداعي لا ينزع، ومن يذهب منكم لا يرجع، هو والله القتل.

وأتي بحيي بن أخطب عدوّ الله عليه حلّة فاختيّة قد شقّقها عليه من كلّ ناحية كموضع الأنملة لئلّا يسلبها، مجموعة يداه إلى عنقه بحبل، فلمّا بصر برسول الله ﷺ فقال: أما

والله ما لمت نفسي على عداوتك، ولكنّه من يَخذل الله يُخذل، ثمّ قال: أيّها النّاس إنّه لا بأس بأمر الله كتاب الله وقدره وملحمة كتبت على بني إسرائيل، ثمّ جلس فضرب عنقه، ثمّ قسم رسول الله ﷺ نساءهم وأبناءهم على المسلمين، وبعث سبايا منهم إلى نجد مع سعد بن زيد الأنصاريّ فابتاع بهم خيلاً وسلاحاً.

قال: فلمّا انقضى شأن بني قريظة انفجر جرح سعد بن معاذ، فرجعه رسول الله ﷺ إلى خيمته الّتي ضربت عليه في المسجد.

وروي عن جابر قال: جاء جبرئيل إلى رسول الله ﷺ فقال: من هذا العبد الصالح الّذي مات فتحت له أبواب السماء وتحرك له العرش؟ فخرج رسول الله ﷺ فإذا سعد بن معاذ قد قبض[1].

بيان: الكدية بالضمّ: قطعة غليظة صلبة لا تعمل فيها الفأس. ذكره الجزريّ، وفي بعض النسخ كذانة بفتح الكاف والذال المعجمة والنون، قال الجزريّ: الكذان: حجارة رخوة إلى البياض، وقال: في حديث المغيرة فإذا أنا معصوب الصدر كان من عادتهم إذا جاع أحدهم أن يشد جوفه بعصابة، وربما جعل تحته حجراً، وقال: فعادت كثيباً أهيل أي رملاً سائلاً.

وفي القاموس: ثرد الخبز: فتّه، وقال: حمّ له ذلك: قدّر، وحمّ حمّه: قصد قصده، وارتحل البعير: عجّله، والله له كذا: قضاه له، كأحمّه، واحتمّ: دنا وحضر، والأمر فلاناً: أهمّه كحمّه.

وفي المصباح: حمّ الشيء كضرب: قرب ودنا، وأحمّه غيره انتهى.

وأقول: الأظهر عندي أنّه كان يخمّر في الموضعين فصحّف، أي كان يستر القدر والتنّور بثوب لئلا يطّلع النّاس على ما فيهما، وكيف يبارك الله عليهما، وكان هذا دأبه ﷺ في سائر ما ظهرت فيه هذه المعجزة، ويؤيّده أنّ في روايات العامّة فجعل يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم ويخمّر البرمة والتنّور إذا أخذ منه، ويقرّب إلى أصحابه.

والآطام جمع أطم بالضمّ: وهو البناء المرتفع الاعلى. جشيشة في أكثر النسخ بالجيم المفتوحة والشين المكسورة، وهي أن تطحن الحنطة طحناً جليلاً ثمّ تجعل في القدور، ويلقى عليها لحم أو تمر وتطبخ ذكره الجزريّ.

وفي بعضها بالخاء المعجمة وهو كزبير: الغزال الصغير وأحفظه: حمله على الحفيظة وهي الحميّة والغضب. وطمى الماء: ارتفع. والجهام بالفتح: السحاب لا ماء فيه.

قوله: يفتل منه، قال الجزريّ جعل فتل وبر ذروة البعير وغاربه مثلاً لإزالته عن رأيه، كما يفعل بالجمل النفور إذا أريد تأنيسه وإزالة نفاره، والغارب: مقدّم السنام، والذروة: أعلاه.

---

(١) مجمع البيان، ج ٨ ص ١٤٧.

وفي القاموس: لحن له: قال قولاً يفهمه عنه، ويخفى على غيره. وقال: الفتّ الدقّ والكسر بالاصابع، وفتّ في ساعده: أضعفه. وقال: الرّجيع: ماء لهذيل على سبعة أميال من الهدّة وبه غدر بمرثد بن أبي مرثد وسريّته لمّا بعثها ﷺ مع رهط عضل والقارة فغدروا بهم انتهى.

ويليل بفتح اليائين وسكون اللام: وادي ينبع. والطفرة: الوثبة في ارتفاع.

وفي القاموس: جزع الأرض والوادي كمنع: قطعه، وقال: مراق البطن ما رقّ منه ولان.

وفي النهاية: فيه: الحرب خدعة، يروى بفتح الخاء وضمّها وسكون الدال وبضمّها مع فتح الدال، فالأوّل معناه أنّ الحرب ينقضي أمرها بخدعة واحدة من الخداع، أي أنّ المقاتل إذا خدع مرّة واحدة لم يكن لها إقالة، وهو أفصح الروايات وأصحّها، ومعنى الثاني هو الاسم من الخداع، ومعنى الثالث أنّ الحرب تخدع الرجال وتمنّيهم ولا تفي لهم، كما يقال: فلان رجل لعبة وضحكة، للّذي يكثر اللعب والضحك انتهى.

والكراع كغراب: اسم لجمع الخيل.

١ - **كنز الكراجكي:** عن أسد بن إبراهيم السلميّ، عن عمر بن عليّ العتكيّ عن محمّد ابن صفوة، عن الحسن بن عليّ العلويّ، عن أحمد بن العلا، عن صباح بن يحيى، عن خالد ابن يزيد، عن أبي جعفر الباقر، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ يوم الاحزاب: اللّهمّ إنّك أخذت منّي عبيدة بن الحارث يوم بدر، وحمزة بن عبد المطّلب يوم أحد، وهذا أخي عليّ بن أبي طالب، ربّ لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين[1].

٢ - **أقول:** وروى الكراجكيّ رحمه الله قصّة قتل عمرو نحواً ممّا مرّ، وذكر أنّه قال النبيّ ﷺ ثلاث مرات: «أيكم يبرز إلى عمرو وأضمن له على الله الجنة»؟ وفي كلّ مرّة كان يقوم عليّ عليه السلام، والقوم ناكسو رؤوسهم، فاستدناه وعمّمه بيده، فلمّا برز قال ﷺ: «برز الإيمان كلّه إلى الشرك كلّه» وكان عمرو يقول:

ولقد بححت من النداء بجمعهم هل من مبارز

إلى قوله:

إنّ الشجاعة في الفتى والجود من كرم الغرائز

إلى قوله: فما كان أسرع أن صرعه أمير المؤمنين عليه السلام وجلس على صدره، فلمّا همّ أن يذبحه وهو يكبّر الله ويمجده قال له عمرو: يا عليّ قد جلست مني مجلساً عظيماً، فإذا قتلتني فلا تسلبني حلّتي، فقال عليه السلام هي أهون عليّ من ذلك، وذبحه وأتى برأسه وهو يخطر في

(١) كنز الفوائد، ج ١ ص ٢٩٦.

مشيته، فقال عمر: ألا ترى يا رسول الله إلى عليّ كيف يمشي؟ فقال رسول الله ﷺ: «إنها لمشية لا يمقتها الله في هذا المقام» فتلقّاه ومسح الغبار عن عينيه، وقال: «لو وزن اليوم عملك بعمل جميع أمّة محمّد لرجح عملك على عملهم، وذاك أنّه لم يبق بيت من المشركين إلاّ وقد دخله ذلّ بقتل عمرو، ولم يبق بيت من المسلمين إلاّ وقد دخله عزّ بقتل عمرو ولمّا قتل عليّ عليه السلام عمرواً سمع منادياً ينادي ولا يرى شخصه:

قتل عليّ عمروا قصم عليّ ظهرا
أبرم عليّ أمرا

ووقعت الجفلة بالمشركين فانهزموا أجمعين، وتفرقت الأحزاب خائفين مرعوبين[1].

٣ - فس: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۝ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ الآية.

فإنّها نزلت في قصّة الأحزاب من قريش، والعرب الّذين تحزّبوا على رسول الله ﷺ، قال: وذلك أنّ قريشاً قد تجمّعت في سنة خمس من الهجرة، وساروا في العرب وجلبوا واستنفروهم لحرب رسول الله ﷺ فوافوا في عشرة آلاف ومعهم كنانة وسليم وفزارة، وكان رسول الله ﷺ حين أجلى بني النضير وهم بطن من اليهود من المدينة، وكان رئيسهم حيي بن أخطب، وهم يهود من بني هارون عليه السلام، فلمّا أجلاهم من المدينة صاروا إلى خيبر وخرج حييّ بن أخطب إلى قريش بمكّة وقال لهم: إنّ محمّداً قد وتركم ووترنا وأجلانا من المدينة من ديارنا وأموالنا، وأجلى بني عمّنا بني قينقاع، فسيروا في الأرض، واجمعوا حلفاءكم وغيرهم حتّى نسير إليهم فإنّه قد بقي من قومي بيثرب سبعمائة مقاتل وهم بنو قريظة، وبينهم وبين محمّد عهد وميثاق، وأنا أحملهم على نقض العهد بينهم وبين محمّد، ويكونون معنا عليهم فتأتونه أنتم من فوق، وهم من أسفل، وكان موضع بني قريظة من المدينة على قدر ميلين، وهو الموضع الّذي يسمّى ببئر بني المطلب، فلم يزل يسير معهم حيي بن أخطب في قبائل العرب حتّى اجتمعوا قدر عشرة آلاف من قريش وكنانة والأقرع بن حابس في قومه وعباس بن مرداس في بني سليم، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، واستشار أصحابه وكانوا سبعمائة رجل فقال سلمان: يا رسول الله إنّ القليل لا يقاوم الكثير في المطاولة، قال: فما نصنع؟ قال: نحفر خندقاً يكون بيننا وبينهم حجاباً، فيمكنك منعهم في المطاولة، ولا يمكنهم أن يأتونا من كلّ وجه، فإنا كنّا معاشر العجم في بلاد فارس إذا دهمنا دهم من عدوّنا نحفر الخنادق فيكون الحرب من مواضع معروفة، فنزل جبرئيل على رسول الله ﷺ فقال: أشار بصواب، فأمر رسول الله ﷺ بمسحه من ناحية أحد إلى راتج، وجعل على كلّ عشرين

---

(١) كنز الفوائد، ج ١ ص ٢٩٧.

خطوة وثلاثين خطوة قوم من المهاجرين والأنصار يحفرونه فأمر فحملت المساحي والمعاول، وبدأ رسول الله صلى الله عليه وآله وأخذ معولاً فحفر في موضع المهاجرين بنفسه، وأميرالمؤمنين عليه السلام ينقل التراب من الحفرة، حتّى عرق رسول الله صلى الله عليه وآله وعيّ وقال: «لا عيش إلاّ عيش الآخرة، اللّهمّ اغفر للانصار والمهاجرين» فلمّا نظر النّاس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يحفر اجتهدوا في الحفر ونقلوا التراب، فلمّا كان في اليوم الثاني بكروا إلى الحفر. وقعد رسول الله صلى الله عليه وآله في مسجد الفتح، فبينا المهاجرون والأنصار يحفرون إذ عرض لهم جبل لم تعمل المعاول فيه، فبعثوا جابر بن عبد الله الأنصاريّ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يعلمه ذلك، قال جابر: فجئت إلى المسجد ورسول الله صلى الله عليه وآله مستلقي على قفاه، ورداؤه تحت رأسه، وقد شدّ على بطنه حجراً، فقلت: يا رسول الله إنّه قد عرض لنا جبل لا تعمل المعاول فيه، فقام مسرعاً حتّى جاءه، ثمّ دعا بماء في إناء وغسل وجهه وذراعيه ومسح على رأسه ورجليه، ثمّ شرب ومج ذلك الماء في فيه ثمّ صبّه على ذلك الحجر، ثمّ أخذ معولاً فضرب ضربة، فبرقت برقة فنظرنا فيها إلى قصور الشام، ثمّ ضرب أخرى فبرقت برقة فنظرنا فيها إلى قصور المدائن، ثمّ ضرب أخرى فبرقت برقة فنظرنا فيها إلى قصور اليمن، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أما إنّه سيفتح الله عليكم هذه المواطن الّتي برقت فيها البرق، ثمّ انهال علينا الجبل كما ينهال الرمل.

فقال جابر: فعلمت أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله مقوي أي جائع لمّا رأيت على بطنه الحجر، فقلت: يا رسول الله هل لك في الغداء؟ قال: ما عندك يا جابر؟ فقلت: عناق وصاع من شعير، فقال: تقدّم وأصلح ما عندك، قال جابر: فجئت إلى أهلي فأمرتها فطحنت الشعير وذبحت العنز وسلختها، وأمرتها أن تخبز وتطبخ وتشوي فلمّا فرغت من ذلك جئت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت بأبي وأمّي أنت يا رسول الله قد فرغنا فاحضر مع من أحببت، فقام صلى الله عليه وآله إلى شفير الخندق ثمّ قال: يا معشر المهاجرين والأنصار اجيبوا جابراً، وكان في الخندق سبعمائة رجل، فخرجوا كلّهم ثمّ لم يمرّ بأحد من المهاجرين والانصار إلاّ قال: اجيبوا جابراً، قال جابر: فتقدمت وقلت لأهلي: قد والله أتاك رسول الله صلى الله عليه وآله بما لا قبل لك به، فقالت: أعلمته أنت ما عندنا؟ قال: نعم. قالت: هو أعلم بما أتى، قال جابر: فدخل رسول الله صلى الله عليه وآله فنظر في القدر ثمّ قال: اغرفي وأبقي، ثمّ نظر في التنّور، ثمّ قال: أخرجي وأبقي، ثمّ دعا بصحفة فثرد فيها وغرف، فقال: يا جابر أدخل عليّ عشرة، فأدخلت عشرة، فأكلوا حتّى نهلوا، وما يرى في القصعة إلاّ آثار أصابعهم، ثمّ قال: يا جابر عليّ بالذراع، فأتيته بالذراع فأكلوه، ثمّ قال: أدخل عليّ عشرة فدخلوا فأكلوا حتّى نهلوا وما يرى في القصعة إلاّ آثار أصابعهم، ثمّ قال: يا جابر عليّ بالذراع فأتيته فأكلوا وخرجوا، ثمّ قال: أدخل عليّ عشرة، فأدختلهم فأكلوا حتّى نهلوا وما يرى في القصعة إلاّ آثار أصابعهم، ثمّ قال: يا جابر عليّ بالذراع فأتيته بالذراع، فقلت: يا رسول الله كم للشاة من ذراع؟ قال:

ذراعان، فقلت: والذي بعثك بالحقّ نبيّاً لقد أتيتك بثلاثة، فقال: أما لو سكت يا جابر لأكلوا كلّهم من الذراع، قال جابر: فأقبلت أدخل عشرة عشرة، فيأكلون حتّى أكلوا كلّهم وبقي والله لنا من ذلك الطعام ما عشنا به أيّاماً.

قال: وحفر رسول الله ﷺ الخندق وجعل له ثمانية أبواب، وجعل على كلّ باب رجلاً من المهاجرين ورجلاً من الأنصار مع جماعة يحفظونه، وقدمت قريش وكنانة وسليم وهلال فنزلوا الزغابة، ففرغ رسول الله ﷺ من حفر الخندق قبل قدوم قريش بثلاثة أيّام، وأقبلت قريش ومعهم حييّ بن أخطب، فلمّا نزلوا العقيق جاء حييّ بن أخطب إلى بني قريظة في جوف اللّيل وكانوا في حصنهم قد تمسّكوا بعهد رسول الله ﷺ، فدقّ باب الحصن، فسمع كعب ابن أسيد قرع الباب، فقال لأهله: هذا أخوك قد شأم قومه، وجاء الآن يشأمنا ويهلكنا ويأمرنا بنقض العهد بيننا وبين محمّد وقد وفى لنا محمّد وأحسن جوارنا، فنزل إليه من غرفته فقال له: من أنت؟ قال: حييّ بن أخطب قد جئتك بعزّ الدهر، فقال كعب: بل جئتني بذلّ الدهر، فقال: يا كعب هذه قريش في قادتها وسادتها قد نزلت بالعقيق مع حلفائهم من كنانة، وهذه فزارة مع قادتها وسادتها قد نزلت الزغابة، وهذه سليم وغيرهم قد نزلوا حصن بني ذبيان، ولا يفلت محمّد وأصحابه من هذا الجمع أبداً، فافتح الباب وانقض العهد بينك وبين محمّد، فقال كعب: لست بفاتح لك الباب، ارجع من حيث جئت، فقال حييّ: ما يمنعك من فتح الباب إلاّ جشيشتك الّتي في التنّور تخاف أن أشركك فيها، فافتح فإنّك آمن من ذلك، فقال له كعب: لعنك الله لقد دخلت عليّ من باب دقيق، ثمّ قال: افتحوا له الباب ففتحوا له، فقال: ويلك يا كعب انقض العهد بينك وبين محمّد، ولا تردّ رأيي فإنّ محمّداً لا يفلت من هذا الجمع أبداً، فإن فاتك هذا الوقت لا تدرك مثله أبداً، قال: واجتمع كلّ من كان في الحصن من رؤساء اليهود مثل غزال بن شمول، وياسر بن قيس، ورفاعة بن زيد والزبير بن باطا، فقال لهم كعب: ما ترون؟ قالوا: أنت سيّدنا والمطاع فينا وصاحب عهدنا وعقدنا، فإن نقضت نقضنا معك، وإن أقمت أقمنا معك، وإن خرجت خرجنا معك، قال الزبير بن باطا، وكان شيخاً كبيراً مجرّباً قد ذهب بصره: قد قرأت التوراة الّتي أنزلها الله في سفرنا بأنّه «يبعث نبيّاً في آخر الزمان يكون مخرجه بمكّة، ومهاجره في هذه البحيرة، يركب الحمار العري، ويلبس الشملة، ويجتزئ بالكسيرات والتميرات، وهو الضحوك القتّال، في عينيه الحمرة، وبين كتفيه خاتم النبوّة، يضع سيفه على عاتقه، لا يبالي من لاقى، يبلغ سلطانه منقطع الخفّ والحافر» فإن كان هذا هو فإن يهولنّه هؤلاء وجمعهم، ولو نادى على هذه الجبال الرواسي لغلبها، فقال حييّ: ليس هذا ذاك. ذلك النبيّ من بني إسرائيل، وهذا من العرب من ولد إسماعيل، ولا يكونوا بني إسرائيل أتباعاً لولد إسماعيل أبداً، لأنّ الله قد فضّلهم على النّاس جميعاً، وجعل منهم النبوّة والملك، وقد عهد إلينا موسى أن لا نؤمن لرسول حتّى يأتينا بقربان تأكله النّار، وليس مع محمّد آية، وإنّما جمعهم جمعاً وسحرهم

ويريد أن يغلبهم بذلك فلم يزل يقلبهم عن رأيهم حتّى أجابوه، فقال لهم: أخرجوا الكتاب الّذي بينكم وبين محمّد فأخرجوه، فأخذه حييّ بن أخطب ومزقه، وقال: قد وقع الأمر فتجهزوا وتهيّأوا للقتال، وبلغ رسول الله ﷺ ذلك فغمّه غماً شديداً، وفزع أصحابه، فقال رسول الله ﷺ لسعد بن معاذ وأسيد بن حصين وكانا من الأوس، وكانت بنو قريظة حلفاء الأوس: ائتيا بني قريظة فانظروا ما صنعوا، فإن كانوا نقضوا العهد فلا تعلما أحداً إذا رجعتما إليّ وقولا: عضل والقارة، فجاء سعد بن معاذ وأسيد بن حصين إلى باب الحصن فأشرف عليهما كعب من الحصن فشتم سعداً وشتم رسول الله ﷺ، فقال له سعد: إنّما أنت ثعلب في جحر، لتولينّ قريش وليحاصرنّك رسول الله ﷺ، ولينزلنك على الصغر والقماً، وليضربنّ عنقك، ثمّ رجعا إلى رسول الله ﷺ فقالا له: عضل والقارة، فقال رسول الله ﷺ: «لعلنا نحن أمرناهم بذلك» وذلك أنّه كان على عهد رسول الله ﷺ عيون لقريش يتجسّسون خبره، وكانت عضل والقارة قبيلتان من العرب دخلا في الإسلام ثمّ غدرا، وكان إذا غدر أحد ضرب بهما المثل، فيقال: عضل والقارة.

ورجع حييّ بن أخطب إلى أبي سفيان وقريش فأخبرهم بنقض بني قريظة العهد بينهم وبين رسول الله ﷺ، ففرحت قريش بذلك، فلمّا كان في جوف اللّيل جاء نعيم بن مسعود الأشجعيّ إلى رسول الله ﷺ، وقد كان أسلم قبل قدوم قريش، بثلاثة أيّام، فقال: يا رسول الله قد آمنت بالله وصدّقتك وكتمت إيماني عن الكفرة، فإن أمرتني أن آتيك بنفسي وأنصرك بنفسي فعلت، وإن أمرت أن أخذّل بين اليهود وبين قريش فعلت حتّى لا يخرجوا من حصنهم، فقال رسول الله ﷺ: خذّل بين اليهود وبين قريش، فإنّه أوقع عندي، قال: فتأذن لي أن أقول فيك ما أريد؟ قال: قل ما بدا لك، فجاء إلى أبي سفيان فقال له: تعرف مودّتي لكم ونصحي ومحبّتي أن ينصركم الله على عدوّكم، وقد بلغني أنّ محمّداً قد وافق اليهود أن يدخلوا بين عسكركم ويميلوا عليكم، ووعدهم إذا فعلوا ذلك أن يردّ عليهم جناحهم الّذي قطعه بني النضير وقينقاع، فلا أرى أن تدعوهم يدخلوا عسكركم حتّى تأخذوا منهم رهناً تبعثوا بهم إلى مكّة، فتأمنوا مكرهم وغدرهم، فقال له أبو سفيان: وفّقك الله وأحسن جزاءك، مثلك أهدى النصائح، ولم يعلم أبو سفيان بإسلام نعيم ولا أحد من اليهود، ثمّ جاء من فوره ذلك إلى بني قريظة فقال له: يا كعب تعلم مودّتي لكم، وقد بلغني أنّ أبا سفيان قال: نخرج هؤلاء اليهود فنضعهم في نحر محمّد، فإن ظفروا كان الذكر لنا، وإن كانت علينا كانوا هؤلاء مقاديم الحرب، فلا أرى لكم أن تدعوهم يدخلوا عسكركم حتّى تأخذوا منهم عشرة من أشرافهم يكونون في حصنكم، إنّهم إن لم يظفروا بمحمّد لم يبرحوا حتّى يردّوا عليكم عهدكم وعقدكم بين محمّد وبينكم، لأنّه إن ولّت قريش ولم يظفروا بمحمّد غزاكم محمّد فيقتلكم، فقالوا: أحسنت وأبلغت في النصيحة، لا نخرج من حصننا حتّى نأخذ منهم رهناً يكونون في حصننا.

وأقبلت قريش فلمّا نظروا إلى الخندق قالوا: هذه مكيدة ما كانت العرب تعرفها قبل ذلك، فقيل لهم: هذا من تدبير الفارسيّ الّذي معه، فوافى عمرو بن عبد ودّ وهبيرة بن وهب وضرار بن الخطّاب إلى الخندق، وكان رسول الله ﷺ قد صفّ أصحابه بين يديه، فصاحوا بخيلهم حتّى طفروا الخندق إلى جانب رسول الله ﷺ فصاروا أصحاب رسول الله ﷺ كلّهم خلف رسول الله ﷺ، وقدّموا رسول الله ﷺ بين أيديهم، وقال رجل من المهاجرين وهو فلان لرجل بجنبه من أخوانه: أما ترى هذا الشيطان عمرو؟ ألا والله ما يفلت من يديه أحد، فهلمّوا ندفع إليه محمّداً ليقتله، ونلحق نحن بقومنا، فأنزل الله على نبيّه في ذلك الوقت: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ إلى قوله: ﴿أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ وركز عمرو ابن عبد ودّ رمحه في الأرض وأقبل يجول جولة ويرتجز ويقول:

ولقد بححت من النداء ... بجمعكم هل من مبارز
ووقفت إذ جبن الشجاع ... مواقف القرن المناجز
إنّي كذلك لم أزل ... متسرّعاً نحو الهزاهز
إنّ الشجاعة في الفتى ... والجود من خير الغرائز

فقال رسول الله ﷺ: من لهذا الكلب؟ فلم يجبه أحد، فوثب إليه أمير المؤمنين عليه السلام فقال: أنا له يا رسول الله، فقال: يا عليّ هذا عمرو بن عبد ودّ فارس يليل، قال: أنا عليّ بن أبي طالب، فقال له رسول الله ﷺ: ادن منّي، فدنا منه فعمّمه بيده، ودفع إليه سيفه ذا الفقار، وقال له: «اذهب وقاتل بهذا، اللّهمّ احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته» فمر أمير المؤمنين عليه السلام يهرول في مشيته وهو يقول:

لا تعجلنّ فقد أتاك ... مجيب صوتك غير عاجز
ذو نيّة وبصيرة ... والصدق منجي كلّ فائز
إنّي لأرجو أن أقيم ... عليك نائحة الجنائز
من ضربة نجلاء يبقى ... صوتها بعد الهزاهز

فقال له عمرو: من أنت؟ قال: أنا عليّ بن أبي طالب ابن عمّ رسول الله وختنه، فقال: والله إنّ أباك كان لي صديقاً ونديماً، وإنّي أكره أن أقتلك، ما آمن ابن عمّك حين بعثك إليّ أن أختطفك برمحي هذا، فأتركك شائلاً بين السماء والأرض لا حيّ ولا ميّت؟ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام قد علم ابن عمّي أنّك إن قتلتني دخلت الجنّة وأنت في النّار، وإن قتلتك فأنت في النّار وأنا في الجنّة، فقال عمرو: كلتاهما لك يا عليّ تلك إذاً قسمة ضيزى، فقال عليّ: دع هذا يا عمرو، إنّي سمعت منك وأنت متعلّق بأستار الكعبة تقول: لا يعرض عليّ أحد في الحرب ثلاث خصال إلاّ أجبته إلى واحدة منها، وأنا أعرض عليك ثلاث خصال فأجبني إلى

واحدة، قال: هات يا عليّ، قال: تشهد أن لا إله إلاّ الله، وأن محمّداً رسول الله، قال: نحّ عنّي هذا، قال: فالثانية، أن ترجع وتردّ هذا الجيش عن رسول الله، فإن يك صادقاً فأنتم أعلى به عيناً، وإن يك كاذباً كفتكم ذؤبان العرب أمره، فقال: إذاً تتحدّث نساء قريش بذلك وينشد الشعراء في أشعارها أنّي جبنت ورجعت على عقبي من الحرب، وخذلت قوماً رأسوني عليهم، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام فالثالثة أن تنزل إليّ فإنّك راكب وأنا راجل حتّى أنابذك، فوثب عن فرسه وعرقبه، وقال: هذه خصلة ما ظننت أنّ أحداً من العرب يسومني عليها، ثمّ بدأ فضرب أمير المؤمنين عليه السلام بالسيف على رأسه، فاتّقاه أمير المؤمنين عليه السلام بالدرقة فقطها، وثبت السيف على رأسه، فقال له عليّ: يا عمرو أما كفاك أنّي بارزتك وأنت فارس العرب حتّى استعنت عليّ بظهير؟ فالتفت عمرو إلى خلفه فضربه أمير المؤمنين عليه السلام مسرعاً على ساقيه فأطنّهما جميعاً، وارتفعت بينهما عجاجة، فقال المنافقون: قتل عليّ بن أبي طالب، ثمّ انكشفت العجاجة ونظروا فإذا أمير المؤمنين عليه السلام على صدره قد أخذ بلحيته يريد أن يذبحه، ثمّ أخذ رأسه وأقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله والدماء تسيل على رأسه من ضربة عمرو، وسيفه يقطر منه الدم، وهو يقول والرأس بيده:

أنا عليّ بن عبد المطّلب الموت خير للفتى من الهرب

فقال رسول الله: يا عليّ ماكرته؟ قال: نعم يا رسول الله الحرب خديعة، وبعث رسول الله صلى الله عليه وآله الزبير إلى هبيرة فضربه على رأسه ضربة فلق هامته، وأمر رسول الله صلى الله عليه وآله عمر بن الخطّاب أن يبارز ضرار بن الخطّاب فلمّا برز إليه ضرار انتزع له عمر سهماً فقال ضرار: ويلك يابن صهّاك ارمي في مبارزة، والله لئن رميتني لا تركت عدويّاً بمكّة إلاّ قتلته، فانهزم عنه عمر، ومر نحوه ضرار وضرب بالقناة على رأسه، ثمّ قال: احفظها يا عمر، فإنّي آليت أن لا أقتل قرشيّاً ما قدرت عليه، فكان عمر يحفظ له ذلك بعدما ولي وولاه.

فبقي رسول الله يحاربهم في الخندق خمسة عشر يوماً، فقال أبو سفيان لحييّ بن أخطب: ويلك يا يهوديّ أين قومك؟ فصار حييّ بن أخطب إليهم فقال: ويلكم اخرجوا فقد نابذتم محمّداً الحرب، فلا أنتم مع محمّد ولا أنتم مع قريش، فقال كعب: لسنا خارجين حتّى يعطينا قريش عشرة من أشرافهم رهناً يكونون في حصننا، إنّهم إن لم يظفروا بمحمّد لم يبرحوا حتّى يردّ علينا محمّد عهدنا وعقدنا، فإنا لا نأمن أن تمرّ قريش ونبقى نحن في عقر دارنا، ويغزونا محمّد فيقتل رجالنا ويسبي نساءنا وذرارينا، وإن لم نخرج لعلّه يردّ علينا عهدنا، فقال له حييّ بن أخطب: تطمع في غير مطمع، فقد نابذت محمّداً الحرب، فلا أنتم مع محمّد، ولا أنتم مع قريش، فقال كعب: هذا من شؤمك، إنّما أنت طائر تطير مع قريش غداً وتتركنا في عقر دارنا ويغزونا محمّد، فقال له: لك الله عليّ وعهد موسى أنّه إن لم تظفر قريش بمحمّد أنّي أرجع معك إلى حصنك يصيبني ما يصيبك، فقال كعب: هو الّذي قد قلته

لك إن أعطتنا قريش رهناً يكونون عندنا، وإلاّ لم نخرج، فرجع حييّ بن أخطب إلى قريش فأخبرهم، فلمّا قال يسألون الرهن، فقال أبو سفيان: هذا والله أوّل الغدر، قد صدق نعيم بن مسعود، لا حاجة لنا في إخوان القردة والخنازير، فلمّا طال على أصحاب رسول الله ﷺ الأمر واشتدّ عليهم الحصار وكانوا في وقت برد شديد، وأصابتهم مجاعة، وخافوا من اليهود خوفاً شديداً، وتكلم المنافقون بما حكى الله عنهم، ولم يبق أحد من أصحاب رسول الله ﷺ إلاّ نافق إلاّ القليل، وقد كان رسول الله ﷺ أخبر أصحابه أنّ العرب تتحزّب عليّ، ويجيئونا من فوق، تغدر اليهود ونخافهم من أسفل، وإنّه يصيبهم جهد شديد، ولكن تكون العاقبة لي عليهم، فلمّا جاءت قريش وغدرت اليهود قال المنافقون: ما وعدنا الله ورسوله إلاّ غروراً، وكان قوم لهم دور في أطراف المدينة فقالوا: يا رسول الله تأذن لنا أن نرجع إلى دورنا، فإنّها في أطراف المدينة وهي عورة، ونخاف اليهود أن يغيروا عليها، وقال قوم: هلمّوا فنهرب ونصير في البادية ونستجير بالأعراب، فإنّ الّذي كان يعدنا محمّد كان باطلاً كلّه، وكان رسول الله ﷺ أمر أصحابه أن يحرسوا المدينة بالليل، وكان أمير المؤمنين عليه السلام على العسكر كلّه باللّيل يحرسهم، فإن تحرّك أحد من قريش نابذهم، وكان أمير المؤمنين عليه السلام يجوز الخندق ويصير إلى قرب قريش حيث يراهم، فلا يزال اللّيل كلّه قائم وحده يصلي، فإذا أصبح رجع إلى مركزه، ومسجد أمير المؤمنين عليه السلام هناك معروف يأتيه من يعرفه فيصلي فيه، وهو من مسجد الفتح إلى العقيق أكثر من غلوة نشاب، فلمّا رأى رسول الله ﷺ من أصحابه الجزع لطول الحصار صعد إلى مسجد الفتح وهو الجبل الّذي عليه مسجد الفتح اليوم، فدعا الله وناجاه فيما وعده وقال: «يا صريخ المكروبين ويا مجيب المضطرين ويا كاشف الكرب العظيم أنت مولاي ووليّي ووليّ آبائي الأوّلين اكشف عنّا غمّنا وهمّنا وكربنا، واكشف عنّا كرب هؤلاء القوم بقوّتك وحولك وقدرتك» فنزل جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمّد إنّ الله قد سمع مقالتك، وأجاب دعوتك، وأمر الدبور مع الملائكة أن تهزم قريشاً والأحزاب، وبعث الله على قريش الدبور فانهزموا، وقلعت أخبيتهم، ونزل جبرئيل فأخبره بذلك، فنادى رسول الله ﷺ حذيفة بن اليمان وكان قريباً منه فلم يجبه، ثمّ ناداه ثانياً فلم يجبه، ثمّ ناداه ثالثاً فقال: لبّيك يا رسول الله، فقال: أدعوك فلا تجيبني؟ قال: يا رسول الله بأبي أنت وأمّي من الخوف والبرد والجوع، فقال: ادخل في القوم وآتني بأخبارهم، ولا تحدثن حدثاً حتّى ترجع إلي، فإنّ الله قد أخبرني أنّه قد أرسل الرياح على قريش وهزمهم، قال حذيفة: فمضيت وأنا أنتفض من البرد، فوالله ما كان إلاّ بقدر ما جزت الخندق حتّى كأنّي في حمام، فقصدت خباء عظيماً فإذا نار تخبو وتوقد، وإذا خيمة فيها أبو سفيان قد دلّى خصيتيه على النّار، وهو ينتفض من شدّة البرد، ويقول: يا معشر قريش إن كنّا نقاتل أهل السماء بزعم محمّد فلا طاقة لنا بأهل السّماء، وإن كنّا نقاتل أهل الأرض فنقدر عليهم، ثمّ

قال: لينظر كلّ رجل منكم إلى جليسه لا يكون لمحمّد عين فيما بيننا، قال حذيفة: فبادرت أنا فقلت للّذي عن يميني من أنت؟ قال أنا عمرو بن العاص، ثمّ قلت للذي عن يساري: من أنت؟ قال: أنا معاوية، وإنّما بادرت إلى ذلك لئلا يسألني أحد من أنت، ثمّ ركب أبو سفيان راحلته وهي معقولة، ولولا أنّ رسول الله ﷺ قال: لا تحدث حدثاً حتّى ترجع إليّ لقدرت أن أقتله، ثمّ قال أبوسفيان لخالد بن الوليد: يا أبا سليمان لا بدّ من أن أقيم أنا وأنت على ضعفاء النّاس، ثمّ قال: ارتحلوا إنّا مرتحلون، ففرّوا منهزمين، فلمّا أصبح رسول الله ﷺ قال لاصحابه: لا تبرحوا، فلمّا طلعت الشمس دخلوا المدينة وبقي رسول الله ﷺ في نفر يسير، وكان ابن عرقة الكنانيّ رمى سعد بن معاذ رحمه الله بسهم في الخندق فقطع أكحله، فنزفه الدم، فقبض سعد على أكحله بيده ثمّ قال: «اللّهمّ إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبقني لها فلا أحد أحبّ إليّ محاربتهم من قوم حاربوا الله ورسوله، وإن كانت الحرب قد وضعت أوزارها بين رسول الله ﷺ وبين قريش فاجعلها لي شهادة، ولا تمتني حتّى تقر عيني من بني قريظة» فأمسك الدم وتورّمت يده فضرب له رسول الله ﷺ في المسجد خيمة وكان يتعاهده بنفسه، فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ إلى قوله: ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ بني قريظة حين غدروا وخافوهم أصحاب رسول الله ﷺ ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ إلى قوله: ﴿إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ وهم الّذين قالوا لرسول الله ﷺ تأذن لنا نرجع إلى منازلنا فإنّها في أطراف المدينة، ونخاف اليهود عليها، فأنزل الله فيهم: ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ إلى قوله: ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ ونزلت هذه الآية في الثاني لمّا قال لعبد الرحمن بن عوف: هلم ندفع محمّداً إلى قريش ونلحق نحن بقومنا ﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا﴾ إلى قوله: ﴿وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ ثم وصف الله المؤمنين المصدقين بما أخبرهم رسول الله ما يصيبهم في الخندق من الجهد فقال: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا﴾ يعني ذلك البلاء والجهد والخوف إلاّ إيماناً ﴿وَتَسْلِيمًا﴾.

وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ الا يفرّوا أبداً ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ﴾ أي أجله، وهو حمزة وجعفر بن أبي طالب ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾ أجله يعني عليّاً عليه السلام، يقول الله: ﴿وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (٢٣) لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ﴾ الآية.

وقال عليّ بن إبراهيم في قوله ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾: بعلي بن أبي طالب عليه السلام ﴿وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾.

ونزل في بني قريظة ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ إلى قوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾.

فلما دخل رسول الله ﷺ المدينة واللواء معقود أراد أن يغتسل من الغبار، فناداه جبرائيل: عذيرك من محارب، والله ما وضعت الملائكة لأمتها، كيف تضع لأمتك؟ إنّ الله يأمرك أن لا تصلّي العصر إلاّ ببني قريظة، فإنّي متقدّمك ومزلزل بهم حصنهم، إنّا كنّا في آثار القوم نزجرهم زجراً حتّى بلغوا حمراء الأسد، فخرج رسول الله ﷺ فاستقبله حارثة بن نعمان فقال له: ما الخبر يا حارثة؟ فقال: بأبي وأمي يا رسول الله هذا دحية الكلبيّ ينادي في الناس: ألا لا يصلّينّ العصر أحد إلاّ في بني قريظة، فقال: ذاك جبرئيل، ادعوا عليّاً، فجاء عليّ عليه السلام فقال له: «ناد في النّاس أن لا يصلّينّ أحد العصر إلاّ في بني قريظة» فجاء أمير المؤمنين عليه السلام فنادى فيهم فخرج النّاس فبادروا إلى بني قريظة، وخرج رسول الله ﷺ وعليّ عليه السلام بين يديه مع الراية العظمى وكان حيي بن أخطب لمّا انهزمت قريش جاء فدخل حصن بني قريظة فجاء أمير المؤمنين عليه السلام فأحاط بحصنهم، فأشرف عليهم كعب بن اسيد من الحصن يشتمهم ويشتم رسول الله ﷺ، فأقبل رسول الله ﷺ على حمار، فاستقبله أمير المؤمنين عليه السلام فقال: بأبي وأمي يا رسول الله لا تدنُ من الحصن، فقال رسول الله ﷺ: يا عليّ لعلّهم شتموني إنّهم لو رأوني لأذلّهم الله، ثمّ دنا رسول الله ﷺ من حصنهم فقال: «يا أخوة القردة والخنازير وعبدة الطاغوت أتشتموني إنّا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباحهم» فأشرف عليهم كعب بن أسيد من الحصن فقال: والله يا أبا القاسم ما كنت جهولاً، فاستحيا رسول الله ﷺ حتّى سقط الرداء من ظهره حياء ممّا قاله، وكان حول الحصن نخل كثير، فأشار إليه رسول الله ﷺ بيده فتباعد عنه وتفرّق في المفازة، وأنزل رسول الله ﷺ العسكر حول حصنهم فحاصرهم ثلاثة أيّام فلم يطلع أحد منهم رأسه، فلمّا كان بعد ثلاثة أيّام نزل إليه غزال بن شمول فقال: يا محمّد تعطينا ما أعطيت إخواننا من بني النضير: احقن دماءنا، ونخلّي لك البلاد وما فيها ولا نكتمك شيئاً؟ فقال: لا، أو تنزلون على حكمي، فرجعوبقوا أيّاماً فبكى النساء والصبيان إليهم، وجزعوا جزعاً شديداً، فلمّا اشتد عليهم الحصار نزلوا على حكم رسول الله ﷺ، فأمر رسول الله ﷺ بالرجال فكتفوا وكانوا سبعمائة، وأمر بالنساء فعزلن وقامت الاوس إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله حلفاؤنا وموالينا من دون النّاس، نصرونا على الخزرج في المواطن كلّها، وقد وهبت لعبدالله بن أبيّ سبعمائة دارع، وثلاثمائة حاسر في صبيحة واحدة، وليس نحن بأقلّ من عبد الله بن أبيّ فلمّا أكثروا على رسول الله ﷺ قال لهم: أما ترضون أن يكون الحكم فيهم إلى رجل منكم؟ فقالوا: بلى، فمن هو؟ قال: سعد بن معاذ، قالوا: قد رضينا بحكمه فأتوا به في محفّة واجتمعت الأوس حوله يقولون له: يا أبا عمرو اتق الله وأحسن في حلفائك ومواليك، فقد نصرونا ببغاث والحدائق والمواطن كلّها، فلمّا أكثروا عليه قال: قد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم، فقالت الاوس: وا قوماه ذهب والله بنو قريظة وبكى النساء

والصبيان إلى سعد، فلمّا سكتوا قال لهم سعد: يا معشر اليهود أرضيتم بحكمي فيكم؟ قالوا: بلى قد رضينا بحكمك والله قد رجونا نصفك ومعروفك وحسن نظرك، فأعاد عليهم القول، فقالوا: بلى يا أبا عمرو، فالتفت إلى رسول الله ﷺ إجلالاً له فقال: ما ترى بأبي أنت وأمي؟ فقال: احكم فيهم يا سعد، فقد رضيت بحكمك فيهم، فقال: قد حكمت يا رسول الله أن تقتل رجالهم، وتسبي نساءهم وذراريهم، وتقسّم غنائمهم وأموالهم بين المهاجرين والأنصار، فقام رسول الله ﷺ فقال: حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة، ثمّ انفجر جرح سعد بن معاذ فما زال ينزفه الدم حتّى مضى رحمه الله وساقوا الأسارى إلى المدينة، وأمر رسول الله ﷺ بأخدود، فحفرت بالبقيع، فلمّا أمسى أمر بإخراج رجل رجل وكان يضرب عنقه، فقال حييّ بن أخطب لكعب بن اسيد: ما ترى يصنع بهم؟ فقال له: ما يسوؤك، أما ترى الداعي لا يقلع، والّذي يذهب لا يرجع؟ فعليكم بالصبر والثبات على دينكم، فأخرج كعب بن أسيد مجموعة يديه إلى عنقه وكان جميلاً وسيماً، فلمّا نظر إليه رسول الله ﷺ قال له: يا كعب أما نفعك وصيّة ابن الحواس الحبر الذكيّ الّذي قدم عليكم من الشام؟ فقال: «تركت الخمر والخمير وجئت إلى البؤس والتمور لنبيّ يبعث مخرجه بمكّة ومهاجره في هذه البحيرة يجتزئ بالكسر والتميرات ويركب الحمار العريّ في عينيه حمرة وبين كتفيه خاتم النبوّة يضع سيفه على عاتقه لا يبالي من لاقى يبلغ سلطانه منقطع الخفّ والحافر» فقال: قد كان ذلك يا محمّد، ولولا أنّ اليهود يعيروني أنّي جزعت عند القتل لآمنت بك وصدقتك، ولكنّي على دين اليهود عليه أحيا وعليه أموت، فقال رسول الله ﷺ: قدموه واضربوا عنقه فضربت، ثمّ قدم حيي بن أخطب فقال رسول الله ﷺ يا فاسق كيف رأيت الله صنع بك؟ فقال: والله يا محمّد ما ألوم نفسي في عداوتك، ولقد قلقلت كلّ مقلقل، وجهدت كلّ الجهد، ولكن من يَخذل الله يُخذل ثمّ قال حين قدّم للقتل:

لعمري ما لام ابن أخطب نفسه ... ولكنّه من يخذل الله يخذل

فقدّم وضرب عنقه، فقتلهم رسول الله ﷺ في البردين: بالغداة والعشيّ في ثلاثة أيّام، وكان يقول: «اسقوهم العذب وأطعموهم الطيّب وأحسنوا إسارهم»، حتّى قتلهم كلّهم، وأنزل الله على رسوله فيهم: ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ﴾ أي من حصونهم ﴿وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ إلى قوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾[1].

بيان: الموتور: الّذي قتل له قتيل فلم يدرك بدمه، تقول منه: وتره يتره وتراً وترة.

قوله ﷺ: «لا عيش» أقول: في بعض روايات المخالفين:

اللّهمّ إنّ العيش عيش الآخرة ... فاغفر للانصار والمهاجرة

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ١٧٦-١٩٢ في تفسيره لسورة الأحزاب.

وفي بعضها: كانت الانصار: تقول:

نحن الّذين بايعوا محمّدا على الجهاد ما بقينا أبدا

فأجابهم النبيّ ﷺ:

اللّهمّ لا عيش إلاّ عيش الآخرة فأكرم الأنصار والمهاجرة

وفي بعضها:

اللّهمّ لا خير إلاّ خير الآخرة فبارك في الأنصار والمهاجرة

ويقال: مجّ الشراب من فيه: إذا رمى به، ولعلّ المراد هنا المضمضة، ويقال: هال عليه التراب فانهال، أي صبه فانصب. وأقوى الرجل: أي فني زاده، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾ وقوي كرضي: جاع شديداً. والعناق كسحاب الأنثى من أولاد المعز. ويقال: ما لي به قبل بكسر القاف وفتح الباء، أي طاقة. والنهل محركة: أوّل الشرب، ومن الطعام: ما أكل، والناهل: الريّان، والمراد هنا الشبع. والزغابة بالضمّ: موضع بقرب المدينة، ويقال: شأمهم وعليهم كمنع، أي صار شؤماً عليهم.

وقال الجزريّ البحيرة، ومدينة الرسول ﷺ، وهي تصغير البحرة، وقد جاء في رواية مكبّراً، والعرب تسمّي المدن والقرى البحار انتهى.

والمناواة بالهمز: المعاداة، وقد يترك الهمز. والقمأ: الذّل والصغار.

قوله ﷺ: لُعنا على بناء المجهول، أي لعن العضل والقارة، والمراد كلّ من غدر ثمّ قال ﷺ على سبيل التورية: «نحن أمرناهم بذلك» أي نحن أمرنا بني قريظة أن يظهروا الغدر للمصلحة، وهم موافقون لنا في الباطن، وإنّما قال ذلك لئلا يكون هناك عين من عيون قريش فيعلموا بالغدر فيصير سبباً لجرأتهم، ويقال: خذّل عنه أصحابه تخذيلاً، أي حملهم على خذلانه.

قوله: وقال رجل من المهاجرين أي عمر، والرجل الّذي بجنبه عبد الرحمن بن عوف كما سيأتي آنفاً، ويقال: بححت بالكسر: إذا أخذته بحّة وخشونة وغلظ في صوته، والمناجزة في الحرب: المبارزة والمقاتلة، والهزاهز: تحريك البلايا والحروب بين الناس. والغريزة الطبيعة. وفي الديوان المنسوب إلى أمير المؤمنين عليه السلام:

يا عمرو ويحك قد أتاك مجيب صوتك غير عاجز

إلى قوله:

ولقد دعوت إلى البراز فتى يجيب إلى المبارز
يعليك أبيض صارماً كالملح حتفاً للمناجز

ويقال: طعنة نجلاء أي واسعة، قوله شائلاً أي مرتفعاً قوله: كلتاهما لك، قاله لعنه الله

على سبيل الاستهزاء، قوله: قسمة ضيزى، أي جائرة. قوله: أعلى به عيناً، أي أبصر به وأعلم بحاله. وذؤبان العرب: لصوصها، وقد يترك الهمز، ويقال سام فلاناً الامر: كلّفه إيّاه، أو أولاه إيّاه كسوّمه، وأكثر ما يستعمل في العذاب والشرّ وسوّم فلاناً: خلّاه، وسوّمه لما يريده في ماله: حكّمه. وقال الجوهريّ: الطنين: صوت الذباب. وضربه فأطنّ ساقه، أي قطعه، يراد بذلك صوت القطع. والعجاج كسحاب: الغبار.

قوله: انترع له، أي السهم. والمنابذة: المكاشفة والمقاتلة. والغلوة بالفتح مقدار رمية. والنشّاب بالضمّ والتشديد: السهام، الواحد نشّابة. والأكحل: عرق في اليد أو هو عرق الحياة. ونزفه الدم، أي سال كثيراً حتّى أضعفه. وقال الجزريّ: يقال: عذيرك من فلان بالنصب، أي هات من يعذرك فيه، فعيل بمعنى فاعل انتهى. واللأمة: الدرع. وكتف فلاناً كضرب شدّ يديه إلى خلف بالكتاف وهو حبل يشدّ به. والحاسر: الّذي لا مغفر عليه ولا درع.

وقال الجزريّ في قوله: سبعة أرقعة: يعني سبع سماوات، وكلّ سماء يقال لها: رقيع، والجمع أرقعة، وقيل: الرقيع: اسم سماء الدنيا فأعطي كلّ سماء اسمها انتهى.

والأخدود: الحفرة المستطيلة. قوله: «ما يسوؤك» أي لا تحزن من ذلك، أو ما استفهاميّة، أي أيُّ شيء يعتريك من السوء فصرت بحيث لا تعقل مثل هذا الأمر الواضح أو موصولة، أي الّذي يسوؤك وهو القتل. قوله: لا يقلع، أي لا يكفّ عن دعوتهم وإذهابهم، يذهب بواحد بعد واحد والوسيم: الحسن الوجه. ويقال: قلقله فتقلقل: إذا حرّكه فتحرك. والأبردان والبردان: الغداة والعشي.

٤ - ل، لي: محمّد بن أحمد المعاذي ومحمّد بن إبراهيم بن أحمد الليثيّ عن محمّد ابن عبد الله بن الفرج الشروطيّ، عن محمّد بن يزيد بن المهلب، عن أبي أسامة، عن عوف، عن ميمون، عن البراء بن عازب قال: لمّا أمر رسول الله صلى الله عليه وآله بحفر الخندق عرضت له صخرة عظيمة شديدة في عرض الخندق لا تأخذ منها المعاول، فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله فلمّا رآها وضع ثوبه وأخذ المعول وقال: «بسم الله» وضرب ضربة فكسر ثلثها وقال: «الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام، والله إنّي لأبصر قصورها الحمراء الساعة» ثم ضرب الثانية فقال: «بسم الله» ففلق ثلثاً آخر فقال: «الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس والله إنّي لأبصر قصر المدائن الابيض». ثم ضرب الثالثة ففلق بقيّة الحجر وقال: «الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس والله إنّي لأبصر أبواب الصنعاء مكاني هذا»[1].

٥ - فس: أبي رفعه قال: قال الصادق عليه السلام كان النكاح والأكل محرّمين في شهر رمضان باللّيل بعد النوم، يعني كلّ من صلّى العشاء ونام ولم يفطر ثمّ انتبه حرّم عليه الافطار،

(١) الخصال، ص ١٦٢ باب الثلاثة ح ٢١٢، أمالي الصدوق، ص ٢٥٨ مجلس ٥١ ح ١٣.

وكان النكاح حراماً باللّيل والنهار في شهر رمضان وكان رجل من أصحاب النبيّ ﷺ يقال له: خوات بن جبير أخو عبد الله بن جبير الّذي كان رسول الله ﷺ وكله بفم الشعب في يوم أحد في خمسين من الرماة، ففارقه أصحابه، وبقي في اثني عشر رجلاً فقتل على باب الشعب، وكان أخوه هذا خوات بن جبير شيخاً ضعيفاً وكان صائماً، فأبطأت عليه أهله بالطعام، فنام قبل أن يفطر، فلمّا انتبه قال لأهله: قد حرم عليّ الأكل في هذه الليلة، فلمّا أصبح حضر حفر الخندق فأغمي عليه، فرآه رسول الله ﷺ فرقّ له، وكان قوم من الشباب ينكحون باللّيل سرّاً في شهر رمضان فأنزل الله: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾[1] فأحلّ الله تبارك وتعالى النكاح باللّيل في شهر رمضان، والأكل بعد النوم إلى طلوع الفجر لقوله: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ قال: هو بياض النهار من سواد الليل[2].

٦ - **فس:** في رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا﴾ قال: هو عمرو بن عبد ودّ حين عرض عليه عليّ بن أبي طالب عليه السلام الإسلام يوم الخندق وقال: فأين ما أنفقت فيكم مالاً لبداً؟ وكان أنفق مالاً في الصدّ عن سبيل الله فقتله عليّ عليه السلام[3].

بيان: مالاً لبداً، أي كثيراً، من تلبّد الشيء: إذا اجتمع.

٧ - **فس:** ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ نزلت في عثكن يوم الخندق، وذلك أنّه مرّ بعمّار بن ياسر وهو يحفر الخندق وقد ارتفع الغبار من الحفر، فوضع عثكن كمّه على أنفه ومرّ، فقال عمّار:

لا يستوي من يبتني المساجدا ... يظلّ فيها راكعاً وساجدا
كمن يمرّ بالغبار حائدا ... يعرض عنه جاحداً معاندا

فالتفت إليه عثكن فقال: يابن السوداء إيّاي تعني؟ ثمّ أتى رسول الله ﷺ فقال له: لم ندخل معك لتسبّ أعراضنا، فقال له رسول الله ﷺ: قد أقلتك إسلامك فاذهب، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ أي ليس هم صادقين[4].

بيان: قوله: في عثكن المراد به عثمان كما هو المصرّح في بعض النسخ وسائر الأخبار.

أقول: نسب في الديوان الأبيات إلى أمير المؤمنين عليه السلام هكذا:

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.
(٢) تفسير القمي، ج ١ ص ٧٥.
(٣) تفسير القمي، ج ٢ ص ٤٢٠.
(٤) تفسير القمي، ج ٢ ص ٩٧.

لا يستوي من يعمر المساجدا ومن يبيت راكعاً وساجدا
يدأب فيها قائماً وقاعدا ومن يكرّ هكذا معاندا
ومن يرى عن الغبار حائدا

٨ - **ل:** في خبر اليهوديّ الّذي سأل أمير المؤمنين عليه السلام عن خصال الأوصياء فقال عليه السلام فيما قال: وأمّا الخامسة يا أخا اليهود فإنّ قريشاً والعرب تجمّعت وعقدت بينها عقداً وميثاقاً لا ترجع من وجهها حتّى تقتل رسول الله صلى الله عليه وآله، وتقتلنا معه معاشر بني عبد المطلب، ثمّ أقبلت بحدّها وحديدها حتّى أناخت علينا بالمدينة واثقة بأنفسها فيما توجهت له، فهبط جبرئيل عليه السلام على النبيّ صلى الله عليه وآله فأنبأه بذلك، فخندق على نفسه ومن معه من المهاجرين والأنصار، فقدمت قريش فأقامت على الخندق محاصرة لنا، ترى في أنفسها القوّة وفينا الضعف، ترعد وتبرق، ورسول الله صلى الله عليه وآله يدعوها إلى الله عزّ وجلّ، ويناشدها بالقرابة والرحم، فتأبى ولا يزيدها ذلك إلاّ عتوّاً، وفارسها وفارس العرب يومئذ عمرو بن عبد ودّ يهدر كالبعير المغتلم يدعو إلى البراز ويرتجز، ويخطر برمحه مرّة، وبسيفه مرة، لا يقدم عليه مقدم ولا يطمع فيه طامع، لا حميّة تهيجه، ولا بصيرة تشجّعه، فأنهضني إليه رسول الله صلى الله عليه وآله، وعمّمني بيده، وأعطاني سيفه هذا - وضرب بيده إلى ذي الفقار - فخرجت إليه ونساء أهل المدينة بواكي إشفاقاً عليّ من ابن عبد ودّ، فقتله الله عزّ وجلّ بيدي والعرب لا تعدلها فارساً غيره، وضربني هذه الضربة وأومأ بيده إلى هامته، فهزم الله قريشاً والعرب بذلك، وبما كان منّي فيهم من النكاية، ثمّ التفت عليه السلام إلى أصحابه فقال: أليس كذلك؟ قالوا: بلى يا أمير المؤمنين[1].

بيان: رعد وبرق، وأرعد وأبرق: إذا توعّد وتهدد ذكره الجزريّ. وهدر البعير يهدر هدراً وهديراً: صوّت في غير شقشقة. واغتلام البعير: هيجانه من شهوة الضراب. ويقال: نكيت في العدو أنكي نكاية: إذا أكثرت فيهم الجراح والقتل.

٩ - **ما:** أبو عمرو، عن ابن عقدة، عن أحمد بن يحيى، عن عبد الرحمن، عن أبيه، عن محمّد بن إسحاق، عن يحيى بن عباد، عن أبي الزبير، عن أبيه، عن صفية بنت عبد المطّلب أنّها قالت: كنّا مع حسّان بن ثابت في حصن فارع والنبيّ صلى الله عليه وآله بالخندق، فإذا يهوديّ يطوف بالحصن فخفنا أن يدلّ على عورتنا، فقلت لحسان: لو نزلت إلى هذا اليهوديّ فإني أخاف أن يدلّ على عورتنا، قال: يا بنت عبد المطّلب لقد علمت ما أنا بصاحب هذا، قالت فتحزّمت ثمّ نزلت وأخذت عموداً وقتلته به، ثمّ قلت لحسان: اخرج فاسلبه، قال: لا حاجة لي في سلبه[2].

بيان: في القاموس: فارع: حصن بالمدينة.

---

(١) الخصال، ص ٣٦٨ باب السبعة ح ٥٨. (٢) أمالي الطوسي، ص ٢٦١ مجلس ١٠ ح ٤٧٦.

١٠ - **ن:** بالأسانيد الثلاثة، عن الرضا، عن آبائه، عن عليّ عليه السلام قال: كنّا مع النبيّ صلى الله عليه وآله في حفر الخندق إذ جاءته فاطمة ومعها كسيرة من خبز فدفعتها إلى النبيّ صلى الله عليه وآله، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: ما هذه الكسيرة؟ قالت: قرصاً خبزته للحسن والحسين جئتك منه بهذه الكسيرة، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: أما إنّه أوّل طعام دخل فم أبيك منذ ثلاث[١].

صح: عنه عليه السلام مثله[٢].

١١ - **ب:** أبو البختريّ، عن جعفر، عن أبيه، عن عليّ عليه السلام أنه قال: الحرب خدعة إذا حدّثتكم عن رسول الله صلى الله عليه وآله حديثاً فوالله لأن أخرّ من السماء أو يخطفني الطير أحبّ إليّ من أن أكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله، وإذا حدّثتكم عنّي فإنّما الحرب خدعة، فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله بلغه أنّ بني قريظة بعثوا إلى أبي سفيان انكم إذا التقيتم أنتم ومحمّد أمددناكم وأعنّاكم، فقام النبيّ صلى الله عليه وآله فخطبنا فقال: إنّ بني قريظة بعثوا إلينا انا إذا التقينا نحن وأبوسفيان أمددونا وأعانونا، فبلغ ذلك أبا سفيان فقال: غدرت يهود، فارتحل عنهم[٣].

١٢ - **ب:** أبو البختري، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه عليه السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله بعث عليّاً عليه السلام يوم بني قريظة بالراية، وكانت سوداء تدعى العقاب، وكان لواؤه أبيض[٤].

بيان: الراية: العلم الكبير، واللواء: أصغر منها، قال في المصباح: لواء الجيش: علمه، وهو دون الراية.

١٣ - **ب:** عنه، عن جعفر، عن أبيه عليه السلام أنه قال: عرضهم رسول الله صلى الله عليه وآله يومئذ يعني بني قريظة على العانات، فمن وجده أنبت قتله، ومن لم يجده أنبت ألحقه بالذراريّ[٥].

١٤ - **ما:** ابن مخلّد، عن جعفر بن محمّد بن نصير عن الحسين بن كميت عن المعلى بن مهديّ، عن أبي شهاب، عن الحجّاج بن أرطاة، عن عبد الملك بن عمر عن عطيّة رجل من بني قريظة قال: عرضنا على رسول الله صلى الله عليه وآله فمن كانت له عانة قتله، ومن لم تكن له عانة تركه، فلم تكن لي عانة فتركني[٦].

١٥ - **ك:** أبي، عن عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير البزنطيّ معاً، عن أبان بن عثمان، عن أبان بن تغلب، عن عكرمة، عن ابن عبّاس قال: لمّا دعا رسول الله صلى الله عليه وآله بكعب بن أسد ليضرب عنقه فأخرج وذلك في غزوة بني قريظة نظر إليه رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال له: يا كعب أما نفعك وصيّة ابن حواش الحبر المقبل من الشام فقال: «تركت الخمر والخمير، وجئت

---

(١) عيون أخبار الرضا، ج ٢ ص ٤٣ باب ٣١ ح ١٢٣.

(٢) صحيفة الإمام الرضا، ص ٥٩ ح ٥١.

(٣) - (٥) قرب الإسناد، ص ١٣٣ ح ٤٦٦ و٤٥٧ و٤٦٧.

(٦) أمالي الطوسي، ص ٣٩٠ مجلس ١٤ ح ٨٥٧.

إلى البؤس والتمور لنبيّ يبعث هذا أوان خروجه يكون مخرجه بمكّة وهذه دار هجرته وهو الضحوك القتال يجتزئ بالكسرة والتميرات ويركب الحمار العاري في عينيه حمرة وبين كتفيه خاتم النبوّة يضع سيفه على عاتقه لا يبالي بمن لاقى يبلغ سلطانه منقطع الخفّ والحافر» قال كعب: قد كان ذلك يا محمّد، ولولا أنّ اليهود تعيّرني أنّي جبنت عند القتل لآمنت بك وصدّقتك، ولكنّي على دين اليهوديّة عليه أحيا وعليه أموت، فقال رسول الله ﷺ: قدّموه فاضربوا عنقه، فقدّم وضربت عنقه[1].

١٦ - **يج**: روي أنّ عام الخندق أصاب أصحاب النبيّ ﷺ مجاعة لمّا حاصرهم المشركون، فدعا بكفّ من تمر، وأمر بثوب فبسط، وألقى ذلك التمر عليه، وأمر منادياً ينادي في الناس: هلمّوا إلى الغداء، فاجتمع أهل المدينة فأكلوا وصدروا والتمر تبضّ من أطراف الثوب[2].

بيان: بضّ الماء: سال قليلاً قليلاً.

١٧ - **يج**: روي أنّ الحصار لمّا اشتدّ على المسلمين في حرب الخندق، ورأى رسول الله ﷺ منهم الضجر لما كان فيه من الضر صعد على مسجد الفتح فصلّى ركعتين ثمّ قال: «اللّهمّ إن تهلك هذه العصابة لم تعبد بعدها في الأرض» فبعث الله ريحاً قلعت خيم المشركين، وبدّدت رواحلهم، وأجهدتهم بالبرد، وسفّت الرمال والتراب عليهم، وجاءته الملائكة فقالت يا رسول الله إنّ الله قد أمرنا بالطاعة لك، فمرنا بما شئت، قال: زعزعي المشركين وارعبيهم، وكونوا من ورائهم ففعلت بهم ذلك، وأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾ يعني أحزاب المشركين ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۝٩ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ﴾ أي أحزاب العرب ﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾[3] يعني بني قريظة حين نقضوا عهد رسول الله ﷺ، وصاروا مع الأحزاب على المسلمين ثمّ رجع من مسجد الفتح إلى معسكره فصاح بحذيفة بن اليمان وكان قد ناداه ثلاثاً فقال في الثالثة: لبّيك يا رسول الله، قال: تسمع صوتي ولا تجيبني؟ فقال: منعني شدّة البرد، فقال: اعبر الخندق فاعرف خبر قريش والأحزاب وارجع ولا تحدث حدثاً حتّى ترجع إليّ» قال: فقمت وأنا أنتفض من البرد، فعبرت الخندق وكأنّي في الحمّام فصرت إلى معسكرهم فلم أجد هناك إلاّ خيمة أبي سفيان وعنده جماعة من وجوه قريش، وبين أيديهم نار تشتعل مرّة وتخبو أخرى، فانسللت فجلست بينهم فقال أبو سفيان: إن كنّا نقاتل أهل الأرض فنحن بالقدرة عليه، وإن كنا نقاتل أهل السماء كما يقول محمّد فلا طاقة لنا بأهل السّماء، انظروا بينكم لا يكون لمحمّد عين بيننا، فليسأل بعضكم بعضاً، قال حذيفة: فبادرت إلى الّذي عن

---

(١) كمال الدين، ص ١٩١.
(٢) الخرائج والجرائح، ج ١ ص ١٢٣.
(٣) سورة الأحزاب، الآيتان: ٩-١٠.

يميني فقلت: من أنت؟ قال: خالد بن الوليد، وقلت للذي عن يساري: من أنت؟ قال: فلان، فلم يسألني أحد منهم، ثمّ قال أبو سفيان لخالد: إمّا أن تتقدّم أنت فتجمع النّاس ليلحق بعضهم بعضاً فأكون على الساقة، وإمّا أن أتقدم أنا وتكون على الساقة قال: بل أتقدّم أنا وتتأخر أنت، فقاموا جميعاً فتقدموا وتأخر أبو سفيان، فخرج من الخيمة واختفيتُ في ظلّها، فركب راحلته وهي معقولة من الدهش الّذي كان به، فنزل يحل العقال فأمكنني قتله، فلمّا هممت بذلك تذكرت قول رسول الله ﷺ: «لا تحدثنّ حدثاً حتّى ترجع إليّ» فكففت ورجعت إلى رسول الله ﷺ وقد طلع الفجر، فحمد الله، ثمّ صلّى بالناس الفجر، ونادى مناديه: «لا يبرحن أحد مكانه إلى أن تطلع الشمس» فما أصبح إلاّ وقد تفرّق عنه الجماعة إلاّ نفراً يسيراً فلمّا طلعت الشمس انصرف رسول الله ﷺ ومن كان معه، فلمّا دخل منزله أمر فنودي: ألا لا يصلّي أحد إلاّ في بني قريظة، فسار المسلمون إليهم، فوجدوا النخل محدقاً بقصرهم، ولم يكن للمسلمين معسكر ينزلون فيه، ووافى رسول الله ﷺ فقال: «ما لكم لا تنزلون»؟ فقالوا: ما لنا مكان، فنزل من اشتباك النخل فدخل في طريق بين النخل فأشار بيده يمنةً، فانضم النخل بعضه إلى بعض، وأشار بيده يُسرة فانضم النخل كذلك واتّسع لهم الموضع فنزلوا[1].

١٨ - يج: روي عن الصادق عليه السلام أنّه قال: لمّا قتل عليّ عليه السلام عمرو بن عبد ودّ أعطى سيفه الحسن عليه السلام وقال: قل لأمّك تغسل هذا الصيقل، فردّه وعليّ عليه السلام عند النبيّ ﷺ وفي وسطه نقطة لم تنق، قال: أليس قد غسلته الزهراء؟ قال: نعم قال: فما هذه النقطة؟ قال النبيّ ﷺ: يا عليّ سل ذا الفقار يخبرك، فهزّه وقال: أليس قد غسلتك الطّاهرة من دم الرجس النجس؟ فأنطق الله السيف فقال: بلى، ولكنّك ما قتلت بي أبغض إلى الملائكة من عمرو بن عبد ودّ، فأمرني ربّي فشربت هذه النقطة من دمه، وهو حظّي منه، فلا تنتضيني يوماً إلاّ ورأته الملائكة وصلّت عليك[2].

بيان: نضى السيف وانتضاه: سلّه.

١٩ - **شا:** كانت غزاة الأحزاب بعد بني النضير، وذلك أنّ جماعة من اليهود منهم سلاّم ابن أبي الحقيق النضيريّ وحييّ بن أخطب وكنانة بن الربيع وهوذة بن قيس الوالبيّ وأبو عمارة الوالبيّ في نفر من بني والبة خرجوا حتّى قدموا مكّة فصاروا إلى أبي سفيان صخر بن حرب لعلمهم بعداوته لرسول الله ﷺ وتسرّعه إلى قتاله، فذكروا له ما نالهم منه، وسألوه المعونة لهم على قتاله، فقال لهم أبو سفيان: أنا لكم حيث تحبّون، فاخرجوا إلى قريش فادعوهم إلى حربه واضمنوا النصرة لهم والثبوت معهم حتّى تستأصلوه، فطافوا على وجوه قريش ودعوهم إلى حرب النبيّ ﷺ وقالوا لهم: أيدينا مع أيديكم، ونحن معكم حتّى نستأصله، فقالت

---

(١) الخرائج والجرائح، ج ١ ص ١٥٦ ح ٤٥. (٢) الخرائج والجرائح، ج ١ ص ٢١٥ ح ٥٩.

لهم قريش: يا معشر اليهود أنتم أهل الكتاب الاوّل، والعلم السابق، وقد عرفتم الدين الّذي جاء به محمّد، وما نحن عليه من الدين، فديننا خيرمن دينه، أم هو أولى بالحقّ منّا؟ فقالوا لهم: بل دينكم خير من دينه، فنشطت قريش لما دعوهم إليه من حرب رسول الله ﷺ، وجاءهم أبوسفيان فقال لهم: قد مكّنكم الله من عدوّكم وهذه اليهود تقاتله معكم ولن تنفكّ عنكم حتّى يؤتى على جميعها أو نستأصله ومن اتبعه، فقويت عزائمهم إذ ذاك في حرب النبيّ ﷺ، ثمّ خرج اليهود حتّى جاؤا غطفان وقيس غيلان فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ وضمنوا لهم النصرة والمعونة وأخبروهم باتّباع قريش لهم على ذلك، فاجتمعوا معهم، وخرجت قريش وقائدها إذ ذاك أبو سفيان صخر بن حرب، وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن في بني فزارة، والحارث بن عوف في بني مرّة، ووبرة بن طريف في قومه من أشجع، واجتمعت قريش معهم، فلمّا سمع رسول الله ﷺ اجتماع الأحزاب عليه وقوّة عزيمتهم في حربه استشار أصحابه فأجمع رأيهم على المقام بالمدينة وحرب القوم إن جاؤا إليهم على أنقابها، فأشار سلمان الفارسيّ رحمه الله على رسول الله ﷺ بالخندق، فأمر بحفره، وعمل فيه بنفسه، وعمل فيه المسلمون، وأقبلت الأحزاب إلى رسول الله ﷺ، فهال المسلمين أمرهم وارتاعوا من كثرتهم وجمعهم، فنزلوا ناحية من الخندق وأقاموا بمكانهم بضعاً وعشرين ليلة لم يكن بينهم حرب إلاّ الرّمي بالنبل والحصا، فلمّا رأى رسول الله ﷺ ضعف قلوب أكثر المسلمين من حصارهم لهم ووهنهم في حربهم بعث إلى عيينة بن حصن والحارث بن عوف وهما قائدا غطفان يدعوهما إلى صلحه والكفّ عنه، والرجوع بقومهما عن حربه على أن يعطيهما ثلث ثمار المدينة، واستشار سعد بن عبادة فيما بعث به إلى عيينة والحارث، فقال: يا رسول الله إن كان هذا الأمر لا بدّ لنا من العمل به لأنّ الله أمرك فيه بما صنعت والوحي جاءك به فافعل ما بدا لك، وإن كنت تختار أن تصنعه لنا كان لنا فيه رأي، فقال ﷺ: «لم يأتني وحي به ولكنّي رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وجاءوكم من كلّ جانب فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما» فقال سعد بن معاذ: قد كنّا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان، لا نعرف الله ولا نعبده، ونحن لا نطعمهم من ثمرنا إلاّ قرى أو بيعاً، والآن حين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا به وأعزّنا بك نعطيهم أموالنا؟ ما بنا إلى هذا من حاجة، والله لا نعطيهم إلاّ السيف حتّى يحكم الله بيننا وبينهم، فقال رسول الله ﷺ: الآن قد عرفت ما عندكم، فكونوا على ما أنتم عليه، فإنّ الله تعالى لن يخذل نبيّه ولن يسلمه حتّى ينجز له ما وعده.

ثمّ قام رسول الله ﷺ في المسلمين يدعوهم إلى جهاد العدوّ ويشجعهم ويعدهم النصر من الله، فانتدبت فوارس من قريش للبراز، منهم عمرو بن عبد ودّ بن أبي قيس بن عامر بن لؤي بن غالب، وعكرمة بن أبي جهل، وهبيرة بن أبي وهب المخزوميّان، وضرار بن الخطّاب، ومرداس الفهريّ، فلبسوا للقتال، ثمّ خرجوا على خيلهم حتّى مرّوا بمنازل بني

كنانة فقالوا: تهيّؤا يا بني كنانة للحرب ثمّ أقبلوا تعنق بهم خيلهم حتّى وقفوا على الخندق، فلمّا تأمّلوه قالوا: والله إنّ هذه مكيدة ما كانت العرب تكيدها، ثمّ تيمّموا مكاناً من الخندق فيه ضيق فضربوا خيلهم فاقتحمته، وجاءت بهم في السبخة بين الخندق وسلع، وخرج أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في نفر معه من المسلمين حتّى أخذوا عليهم الثغرة الّتي اقتحموها فتقدّم عمرو بن عبد ودّ الجماعة الّذين خرجوا معه، وقد أعلم ليرى مكانه، فلمّا رأى المسلمين وقف هو والخيل الّتي معه، وقال: هل من مبارز؟ فبرز له أمير المؤمنين عليه السلام، فقال له عمرو: ارجع يا ابن الأخ فما أحبّ أن أقتلك، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام قد كنت يا عمرو عاهدت الله أن لا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خصلتين إلاّ اخترتها منه، قال أجل. فما ذاك؟ قال: إنّي أدعوك إلى الله ورسوله والإسلام، قال: لا حاجة لي إلى ذلك، قال: فإنّي أدعوك إلى النزال، فقال: ارجع فقد كان بيني وبين أبيك خلّة وما أحبّ أن أقتلك، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام لكنّني والله أحبّ أن أقتلك ما دمت آبياً للحقّ، فحمي عمرو عند ذلك وقال: أتقتلني؟ ونزل عن فرسه فعقره وضرب وجهه حتّى نفر، وأقبل على عليّ عليه السلام مصلتاً بسيفه وبدره بالسيف، فنشب سيفه في ترس عليّ عليه السلام فضربه أمير المؤمنين ضربة فقتله، فلمّا رأى عكرمة بن أبي جهل وهبيرة بن أبي وهب وضرار بن الخطّاب عمرواً صريعاً ولّوا بخيلهم منهزمين حتّى اقتحموا الخندق لا يلوون إلى شيء وانصرف أمير المؤمنين عليه السلام إلى مقامه الأوّل وقد كادت نفوس القوم الّذين خرجوا معه إلى الخندق تطير جزعاً، وهو يقول:

نصر الحجارة من سفاهة رأيه ونصرت ربّ محمّد بصواب
فضربته وتركته متجدّلاً كالجذع بين دكادك وروابي
وعففت عن أثوابه ولو أنني كنت المقطّر بزّني أثوابي
لا تحسبنّ الله خاذل دينه ونبيّه يا معشر الأحزاب

وقد روى محمّد بن عمر الواقديّ قال: حدّثني عبد الله بن جعفر، عن أبي عون عن الزهريّ قال:

جاء عمرو بن عبد ودّ وعكرمة بن أبي جهل وهبيرة بن أبي وهب ونوفل بن عبد الله بن المغيرة وضرار بن الخطّاب في يوم الأحزاب إلى الخندق، فجعلوا يطوفون به يطلبون مضيقاً منه فيعبرون حتّى انتهوا إلى مكان أكرهوا خيولهم فيه فعبرت وجعلوا يجيلون خيلهم فيما بين الخندق وسلع، والمسلمون وقوف لا يقدم منهم أحد عليهم، وجعل عمرو بن عبد ودّ يدعو إلى البراز ويعرض للمسلمين ويقول:

ولقد بححت من النداء بجمعهم هل من مبارز

وفي كلّ ذلك يقوم عليّ بن أبي طالب عليه السلام ليبارزه فيأمره رسول الله صلى الله عليه وآله بالجلوس انتظاراً منه ليتحرّك غيره، والمسلمون كأنّ على رؤوسهم الطير لمكان عمرو بن عبد ودّ

والخوف منه وممّن معه ووراءه فلمّا طال نداء عمرو بالبراز وتتابع قيام أمير المؤمنين عليه السلام قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: ادن منّي يا عليّ، فدنا منه فنزع عمامته من رأسه وعمّمه بها وأعطاه سيفه، وقال له: «امض لشأنك» ثم قال: «اللّهمّ أعنه» فسعى نحو عمرو ومعه جابر بن عبد الله الأنصاريّ رحمه الله لينظر ما يكون منه ومن عمرو، فلمّا انتهى أمير المؤمنين عليه السلام إليه قال له: يا عمرو إنّك كنت في الجاهلية تقول: لا يدعوني أحد إلى ثلاث واللاّت والعزى إلاّ قبلتها أو واحدة منها، قال: أجل، قال: فإنّي أدعوك إلى شهادة أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمّداً رسول الله، وأن تسلم لربّ العالمين، قال: يا ابن أخ أخّر هذه عنّي، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام أما إنّها خير لك لو أخذتها، ثمّ قال: فههنا أخرى، قال: وما هي؟ قال: ترجع من حيث جئت، قال: لا تحدّث نساء قريش بهذا أبداً، قال: فههنا أخرى، قال: وما هي؟ قال: تنزل فتقاتلني، فضحك عمرو وقال: إنّ هذه الخصلة ما كنت أظن أنّ أحداً من العرب يرومني عليها، إنّي لأكره أن أقتل الرجل الكريم مثلك، وقد كان أبوك لي نديماً. قال عليّ عليه السلام لكنّي أحبّ أن أقتلك فانزل إن شئت، فأسف عمرو ونزل وضرب وجه فرسه حتّى رجع، فقال جابر رحمه الله: فثارت بينهما قترة، فما رأيتهما، فسمعت التكبير تحتها، فعلمت أنّ عليّاً قد قتله، فانكشف أصحابه حتّى طفرت خيولهم الخندق، وتبادروا أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله حين سمعوا التكبير ينظرون ما صنع القوم، فوجدوا نوفل بن عبد الله في جوف الخندق لم ينهض به فرسه، فجعلوا يرمونه بالحجارة، فقال لهم: قتلة أجمل من هذه ينزل إليّ بعضكم أقاتله، فنزل إليه أمير المؤمنين عليه السلام فضربه حتّى قتله، ولحق هبيرة فأعجزه وضرب قربوس سرجه وسقطت درع كانت عليه، وفرّ عكرمة، وهرب ضرار بن الخطّاب، فقال جابر: فما شبّهت قتل عليّ عمرواً إلاّ بما قصّ الله من قصّة داود وجالوت حيث يقول جل شأنه: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ﴾[1].

وقد روى قيس بن الربيع قال: حدّثنا أبوهارون العبديّ، عن ربيعة السعديّ قال: أتيت حذيفة بن اليمان فقلت له: يا أبا عبد الله إنّا لنتحدّث عن عليّ ومناقبه فيقول لنا أهل البصرة: إنكم تفرطون في عليّ، فهل أنت محدّثي بحديث فيه؟ فقال حذيفة: يا ربيعة وما تسألني عن عليّ؟ فوالّذي نفسي بيده لو وضع جميع أعمال أصحاب محمّد في كفّة الميزان منذ بعث الله محمّداً إلى يوم القيامة ووضع عمل عليّ عليه السلام في الكفة الأخرى لرجح عمل عليّ عليه السلام على جميع أعمالهم، فقال ربيعة: هذا الّذي لا يقام له ولا يقعد له ولا يحمل، فقال حذيفة: يا لكع وكيف لا يحمل؟ وأين كان أبو بكر وعمر وحذيفة وجميع أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله يوم عمرو بن عبد ودّ، وقد دعا إلى المبارزة فأحجم النّاس كلّهم ما خلا عليّاً عليه السلام فإنّه برز إليه

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥١.

وقتله الله على يده؟ والّذي نفس حذيفة بيده لعمله ذلك اليوم أعظم أجراً من عمل أصحاب محمّد ﷺ إلى يوم القيامة.

وقد روى هشام بن محمّد، عن معروف بن خرّبوذ قال: قال عليّ بن أبي طالب في يوم الخندق:

أعليّ تقتحم الفوارس هكذا ... عنّي وعنها خبّروا أصحابي
اليوم يمنعني الفرار حفيظتي ... ومصمّم في الرأس ليس بنابي
أرديت عمرواً إذ طغى بمهنّد ... صافي الحديد مجرّب قضّاب
فصددت حين تركته متجدّلاً ... كالجذع بين دكادك ورواب
وعففت عن أثوابه ولو أنّني ... كنت المقطّر بزّني أثوابي

وروى يونس بن بكير، عن محمّد بن إسحاق قال: لمّا قتل عليّ بن أبي طالب عليه السلام عمرواً أقبل نحو رسول الله ﷺ ووجهه يتهلّل، فقال له عمر بن الخطّاب: هلاّ سلبت يا عليّ درعه؟ فإنّه ليس في العرب درع مثلها، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: إنّي استحييت أن أكشف سوأة ابن عمّي.

وروى عمر بن الازهر عن عمرو بن عبيد، عن الحسن أنّ عليّاً عليه السلام لمّا قتل عمرو بن عبد ودّ اجتزّ رأسه وحمله فألقاه بين يدي النبيّ ﷺ، فقام أبو بكر وعمر فقبّلا رأس عليّ عليه السلام.

وروى عليّ بن الحكيم الاوديّ قال: سمعت أبا بكر بن عيّاش يقول: لقد ضرب عليّ ضربة ما كان في الإسلام أعزّ منها، يعني ضربة عمرو بن عبد ودّ، ولقد ضُرب عليه السلام ضربة ما ضُرب في الإسلام أشأم منها، يعني ضربة ابن ملجم لعنه الله.

وفي الأحزاب أنزل الله تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾.

إلى قوله: ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾.

فتوجّه العتب إليهم والتوبيخ والتقريع ولم ينج من ذلك أحد بالاتّفاق إلاّ أمير المؤمنين عليه السلام، إذ كان الفتح له وعلى يديه، وكان قتله عمرواً ونوفل بن عبد الله سبب هزيمة المشركين، وقال رسول الله ﷺ بعد قتله هؤلاء النفر: الآن نغزوهم ولا يغزونا، وقد روى يوسف بن كليب، عن سفيان بن زيد، عن قرة وغيره عن عبد الله بن مسعود أنّه كان يقرأ: «وكفى الله المؤمنين القتال بعليّ وكان الله قويّاً عزيزاً».

وفي قتل عمرو بن عبد ودّ يقول حسّان بن ثابت:

أمسى الفتى عمرو بن عبد يبتغي ... بجنوب يثرب غارة لم تنظر
ولقد وجدت سيوفنا مشهورة ... ولقد وجدت جيادنا لم تقصر

ولـقـد رأيـت غـداة بـدر عـصـبـة ضربوك ضرباً غير ضرب المحسر
أصبحت لا تدعى ليوم عظيمة يا عمرو أو لجسيم أمر منكر

ويقال: إنّه لمّا بلغ شعر حسّان بن ثابت بني عامر اجابه فتى منهم فقال يردّ عليه في افتخاره بالانصار:

كذبتم وبيت الله لا تقتلوننا ولكن بسيف الهاشميّين فافخروا
بسيف ابن عبد الله أحمد في الوغا بكفّ عليّ نلتم ذاك فاقصروا
ولم تقتلوا عمرو بن عبد ببأسكم ولكنّه الكفو الهزبر الغضنفر
عليّ الّذي في الفخر طال بناؤه ولا تكثروا الدّعوى علينا فتحقروا
ببدر خرجتم للبراز فردّكم شيوخ قريش جهرةً وتأخروا
فلمّا أتاهم حمزةٌ وعبيدةٌ وجاء عليّ بالمهنّد يخطرُ
فقالوا: نعم أكفاء صدق فأقبلوا إليهم سراعاً إذ بغوا وتجبّروا
فجال عليّ جولةً هاشميّة فدمرهم لمّا عتوا وتكبّروا
فليس لكم فخر علينا بغيرنا وليس لكم فخر يعدّ ويذكر

وقد روى أحمد بن عبد العزيز قال: حدّثنا سليمان بن أيّوب، عن أبي الحسن المدائنيّ قال: لمّا قتل عليّ بن أبي طالب عليه السلام عمرو بن عبد ودّ نعي إلى أخته فقالت: من ذا الّذي اجترأ عليه؟ فقالوا: ابن أبي طالب عليه السلام، فقالت: لم يعد موته على يد كفو كريم، لا رقأت دمعتي إن هرقتها عليه، قتل الابطال، وبارز الأقران، وكانت منيّته على يد كفو كريم من قومه، ما سمعت بأفخر من هذا يا بني عامر.

ثم أنشأت تقول:

لو كان قاتل عمرو غير قاتله لكنت أبكي عليه آخر الأبد
لكنّ قاتل عمرو لا يعاب به من كان يدعى قديماً بيضة البلد

وقالت أيضاً في قاتل أخيها وذكر عليّ بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه:

اسدان في ضيق المكرّ تصاولا وكلاهما كفوٌ كريمٌ باسلُ
فتخالسا مهج النفوس كلاهما وسط المدار مخاتل ومقاتل
وكلاهما حضر القراع حفيظةً لم يثنه عن ذاك شغلٌ شاغلُ
فاذهب عليّ فما ظفرت بمثله قول سديد ليس فيه تحامل
والثأر عندي يا عليّ فليتني أدركته والعقل منّي كامل
ذلت قريش بعد مقتل فارس فالذلّ مهلكها وخزيٌ شاملُ

ثمّ قالت: والله لا ثأرت قريش بأخي ما حنّت النيب.

ولما انهزم الأحزاب وولّوا عن المسلمين الدبر عمل رسول الله على قصد بني قريظة، وأنفذ أمير المؤمنين عليه السلام إليهم في ثلاثين من الخزرج، وقال له: انظر بني قريظة هل نزلوا حصونهم، فلمّا شارف سورهم سمع منهم الهجر، فرجع إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فأخبره، فقال: دعهم فإنّ الله سيمكّن منهم، إنّ الّذي أمكنك من عمرو بن عبد ودّ لا يخذلك، فقف حتّى يجتمع النّاس إليك، وأبشر بنصر من عند الله، فإنّ الله تعالى قد نصرني بالرعب من بين يدي مسيرة شهر، قال عليّ عليه السلام فاجتمع النّاس إليّ وسرت حتّى دنوت من سورهم فأشرفوا عليّ، فلمّا رأوني صاح صائح منهم: قد جاءكم قاتل عمرو، وقال آخر: قد أقبل إليكم قاتل عمرو، وجعل بعضهم يصيح ببعض ويقولون ذلك، وألقى الله في قلوبهم الرعب، وسمعت راجزا يرتجز:

قتل عليّ عمروا صاد عليّ صقرا
قصم عليّ ظهرا أبرم عليّ أمرا
هتك عليّ سترا

فقلت: الحمد لله الّذي أظهر الإسلام وقمع الشرك، وكان النبيّ صلى الله عليه وآله قال لي حين توجهت إلى بني قريظة: «سر على بركة الله تعالى، فإن الله قد وعدكم أرضهم وديارهم» فسرت متيقّناً لنصر الله عزّ وجلّ حتّى ركزت الراية في أصل الحصن، فاستقبلوني في صياصيهم يسبّون رسول الله صلى الله عليه وآله، فلمّا سمعت سبّهم له كرهت أن يسمع رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك فعملت على الرجوع إليه، فإذا به صلى الله عليه وآله قد طلع وسمع سبّهم له، فناداهم: «يا أخوة القردة والخنازير، إنّا إذا حللنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين» فقالوا له: يا أبا القاسم ما كنت جهولاً ولا سبّاباً فاستحيى رسول الله صلى الله عليه وآله ورجع القهقرى قليلاً ثمّ أمر فضربت خيمته بإزاء حصونهم، فأقام النبيّ صلى الله عليه وآله حاصراً لبني قريظة خمساً وعشرين ليلة حتّى سألوه النزول على حكم سعد بن معاذ، فحكم فيهم سعد بقتل الرجال وسبي الذراري والنساء وقسمة الأموال، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: «يا سعد لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة» وأمر النبيّ صلى الله عليه وآله بإنزال الرجال منهم وكانوا تسعمائة رجل فجيء بهم إلى المدينة، وقسّم الأموال، واسترقّ الذراري والنسوان، ولمّا جيء بالأسارى إلى المدينة حبسوا في دار من دور بني النجّار، وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله إلى موضع السوق اليوم فخندق فيه خنادق، وحضر أمير المؤمنين عليه السلام ومعه المسلمون وأمر بهم أن يخرجوا، وتقدّم إلى أمير المؤمنين عليه السلام أن يضرب أعناقهم في الخندق، فأخرجوا أرسالاً، وفيهم حييّ بن أخطب وكعب بن أسد، وهما إذ ذاك رئيسا القوم، فقالوا لكعب بن أسد وهم يذهب بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله: يا كعب ما تراه يصنع بنا؟ فقال: في كلّ موطن لا تعقلون؟ ألا ترون الداعي لا ينزع، ومن ذهب منكم لا يرجع، هو والله القتل، وجيء بحييّ بن أخطب مجموعة يداه إلى عنقه، فلمّا نظر إلى

رسول الله ﷺ قال: أما والله ما لمت نفسي على عداوتك، ولكن من يَخذل الله يُخذل، ثمّ أقبل على النّاس فقال: أيّها النّاس إنّه لا بدّ من أمر الله، كتاب وقدر وملحمة كتبت على بني إسرائيل، ثمّ أُقيم بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام وهو يقول: قتلة شريفة بيد شريف. فقال له أمير المؤمنين عليه السلام إنّ خيار النّاس يقتلون شرارهم، وشرارهم يقتلون خيارهم، فالويل لمن قتله الأخيار الأشراف، والسعادة لمن قتله الأرذال الكفّار، فقال: صدقت لا تسلبني حلّتي، فقال: هي أهون عليّ من ذاك، فقال: سترتني سترك الله، ومدّ عنقه فضربها عليّ عليه السلام ولم يسلبه من بينهم، ثمّ قال أمير المؤمنين عليه السلام لمن جاء به: ما كان يقول حييّ وهو يقاد إلى الموت؟ قال كان يقول:

لعمرك ما لام ابن أخطب نفسه ... ولكنّه من يخذل الله يخذل

فجاهد حتّى بلغ النفس جهدها ... وحاول يبغي العزّ كلّ مقلقل

فقال أمير المؤمنين عليّ عليه الصلاة والسلام:

لقد كان ذاجدٌ وجدٌ بكفره ... فقيد إلينا في المجامع يعتلُ

فقلّدته بالسيف ضربة مُحفظ ... فصار إلى قعر الجحيم يكبّل

فذاك مآب الكافرين ومن يطع ... لأمر إله الخلق في الخلد ينزل

واصطفى رسول الله ﷺ من نسائهم بنت عمرة خناقة وقتل من نسائهم امرأة واحدة كانت أرسلت عليه حجراً، وقد جاء باليهود يناظرهم قبل مباينتهم له فسلّمه الله تعالى من ذلك الحجر، وكان الظفر ببني قريظة وفتح الله على النبيّ ﷺ بأميرالمؤمنين عليه السلام، وما كان من قتله من قتل منهم، وما ألقاه الله عزّ وجلّ في قلوبهم من الرعب فيه وماثلت هذه الفضيلة ما تقدّمها من فضائله، وشابهت هذه المنقبة ما سلف ذكره من مناقبه عليه السلام (١).

بيان: قوله: إلاّ قرى، أي ضيافة. قوله: تعنق بهم من باب الإفعال أي تسرع، والعنق بالتحريك: ضرب من سير الدابة. وسلع: جبيل بالمدينة. قوله عليه السلام نصر الحجارة، أقول في الديوان المنسوب إليه عليه السلام زيادة وتغيير:

أعليّ تقتحم الفوارس هكذا ... عنّي وعنهم أخّروا أصحابي

اليوم تمنعني الفرار حفيظتي ... ومصمّم في الهام ليس بنابي

آلى ابن عبد حين شدّ أليّة ... وحلفت فاستمعوا من الكذّاب

أن لا يصدّ ولا يهلّل فالتقى ... رجلان يضطربان كلّ ضراب

فصددت حين رأيته متقطّرا ... كالجذع بين دكادك وروابي

وعففت عن أثوابه ولو إنّني ... كنت المقطّر بزّني أثوابي

(١) الإرشاد، ص ٥٠.

عبد الحجارة من سفاهة رأيه وعبدت ربّ محمّد بصواب
عرف ابن عبد حين أبصر صارماً يهتزّ أنّ الأمر غير لعاب
أرديت عمرواً إذ طغى بمهنّد صافي الحديد مهذّب قضّاب
لا تحسبوا الرحمن خاذل دينه ونبيّه يا معشر الأحزاب

قوله عليه السلام أخّروا أصحابي، أي أخّروا أنفسكم يا أصحابي، ويحتمل أن يكون أصحابي مفعولاً، والحفيظة: الغضب والحميّة. وصمّم السيف: أي مضى في العظم وقطعه، ويقال نبا السيف: إذا لم يعمل في الضريبة. قوله: آلى، أي حلف. والأليّة بكسر اللام وتشديد الياء: اليمين. وشدّ عليه أي حمل عليه. قوله: أن لا يصدّ، أي لا يعرض عن الحرب ولا يرجع. ولا يهلّل، أي لا يسلم. . والاضطراب: التضارب. وقطّره تقطيراً، أي ألقاه على أحد جنبيه فتقطّر. والدكادك جمع الدكداك، وهو ما التبد من الرمل بالأرض ولم يرتفع. والرابية: ما ارتفع من الأرض. ويقال: طعنه فجدله، أي رماه بالأرض فانجدل، أي سقط. وبزّه ثوبه، أي سلبه. والصارم: السيف القاطع. والاهتزاز: التحرّك. قوله: غير لعاب، أي ملاعبة. والمهنّد: السيف المطبوع من حديد الهند. والقضب: القطع. قوله: كأنّ على رؤوسهم الطير، أي لا يتحركون للخوف، فإنّ الطير إنّما يجلس على شيء ساكن، أو لأنّ من كان على رأسه طير يريد أن يصيده لا يتحرّك. وأسف عليه كعلم: غضب. والقترة بالتحريك: الغبار. وأحجم عن الأمر: كفّ وتأخّر. وخطر الرجل بسيفه: رفعه مرّة ووضعه أخرى. قولها: لم يعد موته، أي لم يتجاوز موته عن أن كان على يد كفو كريم. وقولها: لا رقأت دمعتي، دعاء على نفسها على وجه الحلف، أي لا سكنت دمعتي أبداً إن صببتها عليه بعد سماع هذا الخبر. وبيضة البلد: واحده الّذي يجتمع إليه ويقبل قوله. والتصاول: التواثب. والباسل: الشجاع قولها: وسط المدار، أي عليهما يدور أمر الحرب، أو كلّ أمر. والمخاتلة: المخادعة. وقال الجوهريّ: الناب: المسنّة من النوق، والجمع النيب. وفي المثل: لا أفعل ذلك ما حنّت النيب. وقال: عتلت الرجل أعتُله وأعتِله: إذا جذبته جذباً عنيفاً.

٢٠ - فر: جعفر بن أحمد معنعناً عن محمّد بن كعب قال: لمّا رجع رسول الله صلى الله عليه وآله من الأحزاب قال له جبرئيل: عفى الله عنك وضعت السلاح؟ ما زلت بمن معي من الملائكة نسوق المشركين حتّى نزلنا بهم حمراء الأسد. اخرج وقد أمرت بقتالهم. وإنّي غاد بمن معي، فنزلزل بهم حصونهم حتّى تلحقونا، فأعطى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام الراية، وخرج في أثر جبرئيل عليه السلام، وتخلّف النبيّ صلى الله عليه وآله، ثمّ لحقهم، فجعل كلّما مرّ رسول الله صلى الله عليه وآله بأحد فقال: مرّ بكم الفارس؟ فقالوا: مرّ بنا دحية بن خليفة، وكان جبرئيل يشبه به، قال: فخرج يومئذ على فرس وكف بقطيفة أرجوان أحمر، فلمّا نزلت بهم جنود الله نادى مناديهم: يا أبا لبابة بن عبد المنذر ما لك؟ قال النبيّ صلى الله عليه وآله: هذا يدعون فأتهم وقل

معروفاً، فلمّا اطّلع عليهم انتحبوا في وجهه يبكون، وقالوا: يا أبا لبابة لا طاقة لنا اليوم بقتال من وراءك[١].

٢١ - **كا:** محمّد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان وأحمد بن إدريس، عن محمّد بن عبد الجبّار جميعاً، عن صفوان بن يحيى، عن ابن مسكان، عن أبي بصير، عن أحدهما عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ﴾ الآية، فقال: نزلت في خوات بن جبير الأنصاريّ، وكان مع النبيّ صلى الله عليه وآله في الخندق وهو صائم، فأمسى وهو على تلك الحال. وكانوا قبل أن تنزل هذه الآية إذا نام أحدهم حرّم عليه الطعام والشراب، فجاء خوات إلى أهله حين أمسى فقال: هل عندكم طعام؟ فقالوا: لا تنم حتّى نصلح لك طعاماً، فاتّكأ فنام، فقالوا له: قد فعلت، قال: نعم، فبات على تلك الحال فأصبح، ثمّ غدا إلى الخندق فجعل يغشى عليه فمرّ به رسول الله صلى الله عليه وآله فلمّا رأى الّذي به أخبره كيف كان أمره، فأنزل الله عزّ وجلّ فيه الآية: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾[٢].

٢٢ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن محمّد بن الحسين عن محمّد بن عبد الله بن هلال، عن عقبة بن خالد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: تأتي مسجد الأحزاب فتصلّي فيه وتدعو الله فيه، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله دعا فيه يوم الأحزاب، وقال: «يا صريخ المكروبين ويا مجيب دعوة المضطرّين ويا مغيث المهمومين، اكشف همّي وكربي فقد ترى حالي وحال أصحابي»[٣].

٢٣ - **كا:** عليّ، عن أبيه، عن البزنطيّ، عن هشام بن سالم، عن أبان بن عثمان عمّن حدّثه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قام رسول الله صلى الله عليه وآله على التلّ الّذي عليه مسجد الفتح في غزوة الأحزاب في ليلة ظلماء قرة، فقال: «من يذهب فيأتينا بخبرهم وله الجنة»؟ فلم يقم أحد ثمّ أعادها فلم يقم أحد، فقال أبو عبد الله عليه السلام بيده: وما أراد القوم؟ أرادوا أفضل من الجنة؟ ثمّ قال: «من هذا؟» فقال: حذيفة، فقال: «أما تسمع كلامي منذ الليلة ولا تكلم؟ اقترب» فقام حذيفة وهو يقول: القرّ والضرّ جعلني الله فداك منعني أن أُجيبك، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «انطلق حتّى تسمع كلامهم وتأتيني بخبرهم» فلمّا ذهب قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «اللّهمّ احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله حتّى تردّه» وقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا حذيفة لا تحدث شيئاً حتّى تأتيني» فأخذ سيفه وقوسه وحجفته، قال حذيفة: فخرجت وما لي من ضرّ ولا قرّ، فمررت على باب الخندق وقد اعتراه المؤمنون والكفار، فلمّا توجّه حذيفة قام رسول الله صلى الله عليه وآله ونادى: «يا صريخ المكروبين ويا مجيب المضطرّين اكشف همّي وغمّي وكربي فقد ترى حالي وحال أصحابي» فنزل عليه جبرئيل عليه السلام فقال: يا

---

(١) تفسير فرات الكوفي، ج ١ ص ١٧٤ ح ٢٢٦. (٢) الكافي، ج ٤ ص ٣٤٨ باب ٦٢ ح ٤.
(٣) الكافي، ج ٤ ص ٥٧٨ باب ٣٤٨ ح ٢.

رسول الله إنّ الله عزّ ذكره قد سمع مقالتك ودعاءك وقد أجابك وكفاك هول عدوّك، فجثا رسول الله ﷺ على ركبتيه وبسط يديه وأرسل عينيه، ثمّ قال: «شكراً شكراً كما رحمتني ورحمت أصحابي» ثم قال رسول الله ﷺ: قد بعث الله عزّ وجلّ عليهم ريحاً من سماء الدنيا فيها حصى، وريحاً من السماء الرابعة فيها جندل، قال حذيفة: فخرجت فإذا أنا بنيران القوم وأقبل جند الله الأوّل ريح فيها حصى فما تركت لهم ناراً إلاّ أذرّتها، ولا خباء إلاّ طرحته، ولا رمحاً إلاّ ألقته حتّى جعلوا يتترّسون من الحصى، فجعلنا نسمع وقع الحصى في الأترسة، فجلس حذيفة بين رجلين من المشركين فقام إبليس في صورة رجل مطاع في المشركين فقال: أيّها النّاس إنّكم قد نزلتم بساحة هذا الساحر الكذّاب، ألا وإنّه لن يفوتكم من أمره شيء فإنّه ليس سنة مقام، قد هلك الخفّ والحافر، فارجعوا فلينظر كلّ رجل منكم من جليسه، قال حذيفة: فنظرت عن يميني فضربت بيدي فقلت: من أنت؟ فقال معاوية، فقلت للذي عن يساري: من أنت؟ فقال: سهيل بن عمرو، قال حذيفة: وأقبل جند الله الأعظم، فقام أبو سفيان إلى راحلته، ثمّ صاح في قريش: النجاء النجاء، وقال طلحة الأزديّ: لقد زادكم محمّد بشرّ، ثمّ قام إلى راحلته وصاح في بني أشجع: النجاء النجاء، وفعل عيينة بن حصن مثلها، ثمّ فعل الحارث بن عوف المزنيّ مثلها، ثمّ فعل الأقرع بن حابس مثلها، وذهب الأحزاب، ورجع حذيفة إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر، وقال أبو عبد الله عليه السلام إنّه كان ليشبه بيوم القيامة[1].

بيان: القرّ بالضمّ: البرد. والضرّ بالضمّ: سوء الحال. والجندل: الحجارة، وهي أكبر من الحصى قوله: النجاء، قال الجزريّ: هو مصدر منصوب بفعل مضمر، أي انجوا النجاء، وتكراره للتأكيد، والنجاء: السرعة، ونجا من الأرض: خلص، وأنجاه غيره. والرود: الطلب.

٢٤ - **كا:** العدّة، عن سهل، عن البزنطيّ، عن أبان بن عثمان، عن بعض رجاله عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا حفر رسول الله ﷺ الخندق مرّوا بكدية فتناول رسول الله ﷺ المعول من يد أمير المؤمنين عليه السلام أو من يد سلمان رضي الله عنه فضرب بها ضربة فتفرّق بثلاث فرق، فقال رسول الله ﷺ: لقد فتح عليّ في ضربتي هذه كنوز كسرى وقيصر، فقال أحدهما لصاحبه: يعدنا كنوز كسرى وقيصر وما يقدر أحدنا يخرج يتخلّى[2].

بيان: الكدية بالضمّ: الأرض الصلبة، والضمير في أحدهما راجع إلى أبي بكر وعمر.

أقول: قد مضى كثير من أخبار تلك الواقعة في أبواب المعجزات.

وذكر الطبرسيّ في إعلام الورى وابن شهر آشوب في المناقب نحواً ممّا مرّ، وقالا: كان غزوة الخندق في شوّال سنة خمس.

---

(١) روضة الكافي، ص ٨٠٤ ح ٤٢٠. (٢) روضة الكافي، ص ٧٧٥ ح ٢٦٤.

٢٥ - وقال ابن شهرآشوب: كان المشركون ثمانية عشر ألف رجل والمسلمون ثلاثة آلاف، وكان المشركون على الخمر والغناء والمدد والشوكة، والمسلمون كأنّ على رؤوسهم الطير لمكان عمرو، والنبي ﷺ جاث على ركبتيه، باسط يديه، باك عينيه ينادي بأشجى صوت: «يا صريخ المكروبين يا مجيب دعوة المضطرّين اكشف همّي وكربي فقد ترى حالي» ودعا عليهم فقال: «اللّهمّ منزل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب» وكانت غزوة بني قريظة في ذي القعدة[1].

٢٦ - وقال الطبرسيّ: لمّا رجع رسول الله ﷺ من غزوة الأحزاب ودخل المدينة ضربت له ابنته فاطمة غسولاً فهي تغسل رأسه إذ أتاه جبرئيل على بغلة معتجراً بعمامة بيضاء، عليه قطيفة من إستبرق، معلق عليها الدرّ والياقوت، عليه الغبار، فقام رسول الله ﷺ فمسح الغبار عن وجهه، فقال له جبرئيل: «رحمك ربّك وضعت السلاح ولم يضعه أهل السماء؟ ما زلت أتبعهم حتّى بلغت الروحاء» ثم قال جبرئيل عليه السلام «انهض إلى إخوانهم من أهل الكتاب فوالله لأدقّنهم دقّ البيضة على الصخرة» فدعا رسول الله ﷺ عليّاً فقال: «قدم راية المهاجرين إلى بني قريظة» وقال: «عزمت عليكم أن لا تصلّوا العصر إلاّ في بني قريظة» فأقبل عليّ عليه السلام ومعه المهاجرون وبنو عبد الأشهل وبنو النجّار كلّها لم يتخلف عنه منهم أحد، وجعل النبيّ ﷺ يسرّب إليه الرجال، فما صلّى بعضهم العصر إلاّ بعد العشاء، فأشرفوا عليه وسبوه، وقالوا: «فعل الله بك وبابن عمّك» وهو واقف لا يجيبهم، فلمّا أقبل رسول الله ﷺ والمسلمون حوله تلقّاه أمير المؤمنين عليه السلام وقال: لا تأتهم يا رسول الله جعلني الله فداك فإنّ الله سيجزيهم، فعرف رسول الله ﷺ أنهم قد شتموه فقال: «أما إنّهم لو رأوني ما قالوا شيئاً ممّا سمعت» وأقبل ثمّ قال: «يا إخوة القردة إنّا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين يا عبّاد الطواغيت اخسأوا أخسأكم الله» فصاحوا يميناً وشمالاً: يا أبا القاسم ما كنت فحّاشاً، فما بدا لك؟

قال الصادق عليه السلام فسقطت العنزة من يده، وسقط رداؤه من خلفه، ورجع يمشي إلى ورائه حياء ممّا قال لهم[2].

٢٧ - **أقول:** قال عبد الحميد بن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: فأمّا الجراحة الّتي جرحها يوم الخندق إلى عمرو بن عبد فإنّها أجلّ من أن يقال: جليلة، وأعظم من أن يقال: عظيمة، وما هي إلاّ كما قال شيخنا أبو الهذيل، وقد سأله سائل: أيما أعظم منزلة عند الله؟ عليّ أم أبو بكر فقال: يا ابن أخي والله لمبارزة عليّ عمرواً يوم الخندق تعدل أعمال المهاجرين والأنصار وطاعاتهم كلّها، فضلاً عن أبي بكر وحده، وقد روي عن حذيفة بن

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب، ج ١ ص ١٧٠.
(٢) إعلام الورى، ص ١٠٨.

اليمان ما يناسب هذا بل ما هو أبلغ منه، ثمّ ذكر خبر حذيفة كما مرّ في رواية المفيد رحمه الله، وذكر أكثر الروايات الّتي رواها المفيد في هذا الباب، وقال: وجاء في الحديث المرفوع أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال ذلك اليوم حين برز إليه: «برز الإيمان كلّه إلى الشرك كلّه» وفي الحديث المرفوع أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال عند قتل عمرو: «ذهب ريحهم ولا يغزوننا بعد اليوم ونحن نغزوهم إن شاء الله».

ثم ساق القصّة إلى أن قال: فقال عمرو: من أنت؟ وكان شيخاً كبيراً قد جاوز الثمانين، وكان نديم أبي طالب في الجاهليّة، فانتسب عليّ عليه السلام له، وقال: أنا ابن أبي طالب، فقال: أجل لقد كان أبوك نديماً لي وصديقاً، فارجع فإنّي لا أحبّ أن أقتلك.

وكان شيخنا أبو الخير مصدّق بن شبيب النحويّ يقول إذا مررنا في القراءة عليه بهذا الموضع: والله ما أمره بالرجوع إبقاء عليه، بل خوفاً منه، فقد عرف قتلاه ببدر وأحد، وعلم أنّه إنّ ناهضه قتله، فاستحى أن يظهر الفشل فأظهر الإبقاء وإنّه لكاذب فيها.

ثمّ ساق القصة إلى أن قال: لمّا قتل عمرو فرّ أصحابه ليعبروا الخندق فظفرت بهم خيلهم إلاّ نوفل بن عبد الله، فإنّه قصر فرسه فوقع في الخندق، فنزل إليه عليّ عليه السلام فقتله، وناوش عمر بن خطّاب ضرار بن عمرو فحمل عليه ضرار حتّى إذا وجد عمر مسّ الرمح رفعه عنه، وقال: إنّها لنعمة مشكورة فاحفظها يا ابن الخطّاب إنّي كنت آليت أن لا يمكنني يداي من قتل قرشي فأقتله، وانصرف ضرار راجعاً إلى أصحابه، وقد كان جرى له معه مثل هذه في يوم أحد، ذكرهما الواقديّ في كتاب المغازي[1].

٢٨ - **أقول:** وقال الكازرونيّ: إنّ بني قريظة لمّا حوصروا بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله أن ابعث إلينا أبا لبابة عبد المنذر أخا بني عمرو بن عوف، وكانوا حلفاء الأوس، نستشيره في أمورنا، فأرسله صلى الله عليه وآله إليهم فلمّا رأوه قام إليه الرجال وجهش إليه الصبيان والنساء يبكون في وجهه، فرقّ لهم، فقالوا: يا أبا لبابة أترى أن ننزل على حكم محمّد؟ قال: نعم، وأشار بيده إلى حلقه إنّه الذبح، قال أبو لبابة: فوالله ما زالت قدماي حتّى عرفت أنّي قد خنت الله ورسوله، ثمّ انطلق أبو لبابة على وجهه ولم يأت رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى ارتبط في المسجد إلى عمود من عمده، قال: لا أبرح مكاني حتّى يتوب الله عليّ ممّا صنعت، وعاهد الله لا يطأ بني قريظة أبداً، ولا يراني الله في بلد خنت الله ورسوله فيه أبداً، فلمّا بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله خبره وأبطأ عليه قال: «أما إنّه لو جاءني لاستغفرت له، فأمّا إذا فعل ما فعل ما أنا بالذي أطلقه عن مكانه حتّى يتوب الله عليه» ثمّ إنّ الله أنزل توبة أبي لبابة على رسول الله صلى الله عليه وآله وهو في بيت أمّ سلمة، قالت أمّ سلمة: فسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يضحك، فقلت: مم تضحك يا رسول الله؟

---

(١) شرح نهج البلاغة، ج ١٩ ص ٣٨.

أضحك الله سنّك، قال: تيب على أبي لبابة، فقلت: ألا أبشّره بذلك يا رسول الله؟ قال: بلى إن شئت، قال فقامت على باب حجرتها وذلك قبل أن يضرب عليهنّ الحجاب، فقالت: يا أبا لبابة أبشر فقد تاب الله عليك، قال: فثار النّاس عليه ليطلقوه، قال: لا والله حتّى يكون رسول الله ﷺ هو الّذي يطلقني بيده، فلمّا مرّ عليه رسول الله ﷺ خارجاً إلى الصبح أطلقه.

قال: ثمّ إنّ ثعلبة بن سعية وأسيد بن سعية وأسيد بن عبيد، وهم نفر من بني هذيل ليسوا من بني قريظة ولا النضير، نسبهم فوق ذلك، هم بنو عمّ القوم، أسلموا تلك الليلة الّتي نزلت فيها بنو قريظة على حكم رسول الله ﷺ.

وخرج في تلك الليلة عمرو بن سُعدى القرظي فمرّ بحرس رسول الله ﷺ وعليها محمّد ابن مسلمة الأنصاريّ تلك الليلة، فلمّا رآه قال: من هذا؟ قال: عمرو بن سعدى، وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بني قريظة في غدرهم برسول الله ﷺ، وقال: لا أغدر بمحمّد أبداً، فقال محمّد بن مسلمة حين عرفه: اللّهمّ لا تحرمني عثرات الكرام، ثمّ خلّى سبيله، فخرج على وجهه حتّى بات في مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة تلك الليلة، ثمّ ذهب فلا يدرى أين ذهب من أرض الله، فذكر لرسول الله ﷺ شأنه فقال: «ذاك رجل قد نجاه الله بوفائه» وبعض النّاس يزعم أنّه كان قد أوثق برمّته فيمن أوثق من بني قريظة حين نزلوا فأصبحت رمّته ملقاة لا يدرى أين ذهب، فقال رسول الله ﷺ تلك المقالة.

وروى محمّد بن إسحاق عن الزهريّ أنّ الزبير بن باطا كان قد مرّ على ثابت بن قيس بن شماس في الجاهليّة يوم بغاث، فأخذه فجزّ ناصيته ثمّ خلّى سبيله، فجاء يوم قريظة وهو شيخ كبير فقال: يا أبا عبد الرحمن هل تعرفني؟ قال: وهل يجهل مثلي مثلك؟ قال: إنّي أريد أن أجزيك بيدك عندي، قال: إنّ الكريم يجزي بجزاء الكريم، قال: ثمّ أتى ثابت رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله قد كان للزبير عندي يد وله عليّ منّة، وقد أحببت أن أجزيه بها فهب لي دمه، فقال رسول الله ﷺ: هو لك، فأتاه فقال له: إنّ رسول الله ﷺ قد وهب لي دمك. فقال: شيخ كبير لا أهل له ولا ولد فما يصنع بالحياة؟ فأتى ثابت رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أهله وولده، قال: هم لك، فأتاه فقال: إنّ رسول الله ﷺ أعطاني امرأتك وولدك، قال: أهل بيت بالحجاز لا مال لهم فما بقاؤهم على ذلك! فأتى ثابت رسول الله ﷺ فقال: ماله يا رسول الله، قال: هو لك، فأتاه فقال: إنّ رسول الله ﷺ قد أعطاني مالك فهو لك وفاء، فقال: أي ثابت ما فعل الّذي كان وجهه مرآة حسنة تتراءى فيه عذارى الحيّ: كعب بن أسد؟ قال: قتل، قال: فما فعل سيّد الحاضر والبادي: حييّ بن أخطب؟ قال: قتل، قال: فما فعل مقدّمتنا إذا شددنا، وحسامنا إذا كررنا: غزال بن شمول؟ قال: قتل، قال: فإنّي أسألك بيدي عندك يا ثابت إلّا ما ألحقتني بالقوم، فوالله ما في العيش بعد هؤلاء من خير، فما أنا بصابر حتّى ألقى الأحبة فقدّمه ثابت فضرب عنقه.

ثم قسّم النبيّ ﷺ أموال بني قريظة ونساءهم على المسلمين، ثمّ بعث رسول الله ﷺ

سعد بن زيد الأنصاريّ بسبايا بني قريظة إلى نجد فابتاع له بهم خيلاً وسلاحاً.

وكان رسول الله ﷺ قد اصطفى لنفسه من نسائهم ريحانة بنت عمرو بن خناقة إحدى نساء بني عمرو بن قريظة، فكانت عند رسول الله ﷺ حتّى توفّي عنها، وهي في ملكه، وقد كان رسول الله ﷺ يحرص عليها أن يتزوّجها ويضرب عليها الحجاب، فقالت: يا رسول الله بل تتركني في ملكك فهو أخفّ عليّ وعليك فتركها، وقد كانت حين سباها كرهت الإسلام وأبت إلاّ اليهوديّة، فعزلها رسول الله ﷺ، ووجد في نفسه بذلك من أمرها، فبينا هو مع أصحابه إذ سمع وقع نعلين خلفه فقال: «إنّ هذا لثعلبة بن سعية يبشّرني بإسلام ريحانة» فجاءه فقال: يا رسول الله قد أسلمت ريحانة، فبشّر بذلك رسول الله ﷺ.

أقول: سيأتي بعض أخبار غزوة الخندق في باب أحوال أولاد النبيّ ﷺ.

٢٩ - وفي الديوان وصف الظفر في الخندق:

وكانوا على الإسلام إلباً ثلاثة ... فقد خرّ من تلك الثلاثة واحد
وفرّ أبو عمرو هبيرة لم يعد ... ولكن أخو الحرب المجرّب عائد
نهتهم سيوف الهند أن يقفوا لنا ... غداة التقينا والرماح مصائد

بيان: الضمير في (كانوا) راجع إلى بني قريظة وغطفان وقريش. وألبُ الجيش: جمعته، وهم ألب بالفتح والكسر: إذا كانوا مجتمعين، والّذي خرّ: قريش، إذ قتل منهم ابن عبد ودّ، ونوفل بن عبد الله. وغداة مضاف إلى الجملة.

ومنه في مثله قاله يوم الخندق رواه محمّد بن إسحاق:

الحمد لله الجميل المفضل ... المسبغ المولي العطاء المجزل
شكراً على تمكينه لرسوله ... بالنصر منه على الغواة الجهّل
كم نعمة لا أستطيع بلوغها ... جهداً ولو أعلمت طاقة مقول
لله أصبح فضله متظاهراً ... منه عليّ سألت أم لم أسأل
قد عاين الأحزاب من تأييده ... جند النبيّ وذي البيان المرسل
ما فيه موعظة لكلّ مفكّر ... إن كان ذا عقل وإن لم يعقل

بيان: المقول بالكسر: اللسان. و«اللام» في لله للقسم، و«الجند» مفعول التأييد، و«ما فيه» مفعول «عاين». ومنه مخاطباً لعمرو بن عبد ودّ:

يا عمرو قد لاقيت فارس بهمة ... عند اللقاء معاود الإقدام
من آل هاشم من سناء باهر ... ومهذبين متوّجين كرام
يدعو إلى دين الإله ونصره ... وإلى الهدى وشرائع الإسلام
بمهند عضب رقيق حدّه ... ذي رونق يفري الفقار حسام

ومـحـمّـد فـيـنـا كـأنّ جـبـيـنـه شـمـس تـجـلّـت مـن خـلال غـمـام
والله نـاصـر ديـنـه ونـبـيّـه ومـعـيـن كـلّ مـوحّـد مـقـدام
شـهـدت قـريـش والـقـبـائـل كـلّـهـا أن لـيـس فـيـهـا مـن يـقـوم مـقـامـي

بيان: قال الجوهريّ: البهمة بالضمّ: الفارس الّذي لا يدرى من أين يؤتى من شدّة بأسه، ويقال أيضاً للجيش: بهمة، ومنه قولهم: فلان فارس بهمة، وليث غابة. ومعاود الإقدام: أي معاود فيه، ويقال: الشجاع معاود.

١٨ - باب غزوة بني المصطلق في المريسيع وسائر الغزوات والحوادث إلى غزوة الحديبية

الآيات: سورة (المنافقون) إلى آخرها.

تفسير: قال الطبرسيّ رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ نزلت الآيات في عبد الله بن أبيّ المنافق وأصحابه، وذلك أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله بلغه أنّ بني المصطلق يجمعون لحربه وقائدهم الحارث بن أبي ضرار أبو جويرية زوج النبيّ صلى الله عليه وآله فلمّا سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وآله خرج إليهم حتّى لقيهم على ماء من مياههم يقال له: المريسيع من ناحية قديد إلى الساحل، فتزاحف النّاس واقتتلوا فهزم الله بني المصطلق وقتل منهم من قتل، ونفّل رسول الله صلى الله عليه وآله أبناءهم ونساءهم وأموالهم فبينا النّاس على ذلك الماء إذ وردت واردة النّاس ومع عمر بن الخطّاب أجير له من بني غفار يقال له: جهجاه بن سعيد[1]، يقود له فرسه، فازدحم جهجاه وسنان الجهنيّ من بني عوف بن الخزرج على الماء فاقتتلا، فصرخ الجهنيّ: يا معشر الانصار، وصرخ الغفاريّ: يا معشر المهاجرين، فأعان الغفاريّ رجل من المهاجرين يقال له: جعال وكان فقيراً، فقال عبد الله بن أبيّ لجعال: وإنّك لهناك؟ فقال: وما يمنعني أن أفعل ذلك؟ واشتدّ لسان جعال على عبد الله، فقال عبد الله: والّذي يحلف به لأذرنّك ويهمّك غيرهذا، وغضب ابن أبيّ وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم حديث السنّ، فقال ابن أبيّ: قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا، والله ما مثلنا ومثلهم إلاّ كما قال القائل: سمن كلبك يأكلك أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ، يعني بالأعزّ نفسه، وبالأذل رسول الله صلى الله عليه وآله، ثمّ أقبل على من حضره من قومه فقال: هذا ما فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو أمسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم، ولأوشكوا أن يتحوّلوا من بلادكم ويلحقوا بعشائرهم ومواليهم، فقال زيد ابن أرقم: أنت والله الذليل القليل المبغض في قومك، ومحمّد في عزّ من الرحمن ومودّة من

---

(١) جهجاه بن سعيد الغفاري من أهل بيعة الشجرة الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه بنص القرآن الكريم، وهو ممّن عارض عثمان في ملأ من الناس. تفصيل ذلك في كتاب الغدير ج ٩ ص ١٢٢ [النمازي].

المسلمين، والله لا أحبّك بعد كلامك هذا، فقال عبد الله: اسكت فإنّما كنت ألعب، فمشى زيد بن أرقم إلى رسول الله ﷺ وذلك بعد فراغه من الغزو فأخبره الخبر، فأمر رسول الله ﷺ بالرحيل، وأرسل إلى عبد الله فأتاه فقال: ما هذا الّذي بلغني عنك؟ فقال عبد الله: والّذي أنزل عليك الكتاب ما قلت شيئاً من ذلك قط، وإنّ زيداً لكاذب، وقال من حضر من الأنصار: يا رسول الله شيخنا وكبيرنا لا تصدّق عليه كلام غلام من غلمان الأنصار، عسى أن يكون هذا الغلام وهم في حديثه، فعذّره ﷺ وفشت الملامة من الأنصار لزيد، ولمّا استقلّ رسول الله فسار لقيه أسيد بن حضير فحيّاه بتحية النبوّة، ثمّ قال: يا رسول الله لقد رحت في ساعة منكرة ما كنت تروح فيها؟ فقال له رسول الله ﷺ: «أوما بلغك ما قال صاحبكم؟ زعم أنّه إن رجع إلى المدينة أخرج الأعزّ منها الأذلّ» فقال أسيد: فأنت والله يا رسول الله تخرجه إن شئت، هو والله الذليل، وأنت العزيز، ثمّ قال: يا رسول الله ارفق به، فوالله لقد جاء الله بك وإنّ قومه لينظمون له الخرز ليتوّجوه، وإنّه ليرى أنّك قد استلبته ملكاً وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبيّ ما كان من أمر أبيه فأتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنّه قد بلغني أنّك تريد قتل أبي، فإن كنت لا بدّ فاعلاً فمرني به، فأنا أحمل إليك رأسه، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها رجل أبرّ بوالديه منّي، وإنّي أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أن أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبيّ أنّ يمشي في النّاس، فأقتله، فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النّار، فقال ﷺ: بل ترفق به وتحسن صحبته ما بقي معنا.

قالوا: وسار رسول الله ﷺ بالناس يومهم ذلك حتّى أمسى وليلتهم حتّى أصبح، وصدر يومهم ذلك حتّى آذتهم الشمس، ثمّ نزل بالناس فلم يكن إلاّ أن وجدوا مسّ الأرض وقعوا نياماً، وإنّما فعل ذلك ليشتغل النّاس عن الحديث الّذي خرج من ابن أبيّ، ثمّ راح بالناس حتّى نزل على ماء بالحجاز فويق البقيع يقال له: بقعاء فهاجت ريح شديدة آذتهم وتخوّفوها، وضلّت ناقة رسول الله وذلك ليلاً، فقال ﷺ: «مات اليوم منافق عظيم النفاق بالمدينة» قيل: من هو؟ قال: رفاعة، فقال رجل من المنافقين: كيف يزعم أنّه يعلم الغيب ولا يعلم مكان ناقته؟ ألا يخبره الّذي يأتيه بالوحي؟ فأتاه جبرئيل فأخبره بقول المنافق وبمكان النّاقة، وأخبر رسول الله بذلك أصحابه، وقال: «ما أزعم أنّي أعلم الغيب وما أعلمه ولكن الله تعالى أخبرني بقول المنافق وبمكان ناقتي هي في الشعب» فإذا هي كما قال فجاؤا بها وآمن ذلك المنافق، فلمّا قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد في التابوت أحد بني قينقاع وكان من عظماء اليهود قد مات ذلك اليوم.

قال زيد بن أرقم: فلمّا وافى رسول الله ﷺ المدينة جلست في البيت لما بي من الهمّ والحياء، فنزلت سورة المنافقين في تصديق زيد وتكذيب عبد الله، ثمّ أخذ رسول الله ﷺ بأذن زيد فرفعه عن الرحل ثمّ قال: «يا غلام صدق فوك ووعت أذناك ووعى قلبك وقد أنزل الله فيما قلت قرآناً».

وكان عبد الله بن أبيّ بقرب المدينة فلمّا أراد أن يدخلها جاء ابنه عبد الله بن عبد الله حتّى أناخ على مجامع طرق المدينة، فقال: ما لك ويلك؟ قال والله لا تدخلها إلاّ بإذن رسول الله صلى الله عليه وآله، ولتعلمن اليوم من الأعزّ ومن الأذلّ، فشكا عبد الله ابنه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فأرسل إليه أن خلّ عنه يدخل، فقال: أمّا إذا جاء أمر رسول الله فنعم، فدخل فلم يلبث إلاّ أيّاماً قلائل حتّى اشتكى ومات، فلمّا نزلت هذه الآيات وبان كذب عبد الله قيل له: إنّه نزل فيك آي شداد فاذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يستغفر لك، فلوى رأسه ثمّ قال: أمرتموني أن أؤمن فقد آمنت، وأمرتموني أن أعطي زكاة مالي فقد أعطيت، فما بقي إلاّ أن أسجد لمحمّد فنزل: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا﴾ أي هلمّوا ﴿يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ﴾ أي أكثروا تحريكها استهزاء، وقيل: أمالوها إعراضا عن الحقّ ﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ عن سبيل الحقّ ﴿وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ مظهرون أنّه لا حاجة لهم إلى استغفاره، ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ أي يتساوى الاستغفار لهم وعدمه ﴿لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ لأنهم يبطنون الكفر ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ أي لا يهدي القوم الخارجين عن الدين والإيمان إلى طريق الجنّة، قال الحسن: أخبره سبحانه أنّهم يموتون على الكفر فلم يستغفر لهم ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ من المؤمنين المحتاجين ﴿حَتَّىٰ يَنْفَضُّوا﴾ أي يتفرّقوا عنه ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وما بينهما من الأرزاق والأموال والأعلاق، فلو شاء لأغناهم، ولكنّه تعالى يفعل ما هو الأصلح لهم ويمتحنهم بالفقر ويتعبّدهم بالصبر ليصبروا فيؤجروا وينالوا الثواب وكريم المآب ﴿وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ ذلك لجهلهم بوجوه الحكمة ﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ﴾ من غزوة بني المصطلق ﴿لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ﴾ يعنون نفوسهم ﴿مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ يعنون رسول الله صلى الله عليه وآله والمؤمنين ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ﴾ بإعلاء الله كلمته، وإظهار دينه على الأديان ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ بنصرته إيّاهم في الدنيا، وإدخالهم الجنّة في العقبى ﴿وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فيظنّون أنّ العزّة لهم[1].

١ - فس: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ قال: نزلت في غزوة المريسيع وهي غزوة بني المصطلق في سنة خمس من الهجرة، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله خرج إليها فلمّا رجع منها نزل على بئر وكان الماء قليلاً فيها، وكان أنس بن سيّار حليف الأنصار، وكان جهجاه بن سعيد الغفاريّ أجيراً لعمر بن الخطّاب فاجتمعوا على البئر، فتعلّق دلو سيّار بدلو جهجاه، فقال سيّار: دلوي، وقال جهجاه: دلوي، فضرب جهجاه يده على وجه سيّار، فسال منه الدم، فنادى سيّار بالخزرج، ونادى جهجاه بقريش، وأخذ النّاس السلاح، وكاد أن تقع الفتنة، فسمع عبد الله بن أبيّ النداء فقال: ما هذا؟ فأخبروه الخبر، فغضب غضباً شديداً، ثمّ قال: قد كنت كارهاً لهذا المسير

(١) مجمع البيان، ج ١٠ ص ٢١.

إنّي لأذلّ العرب، ما ظننت أنّي أبقى إلى أن أسمع مثل هذا فلا يكون عندي تغيير، ثمّ أقبل على أصحابه فقال: هذا عملكم، أنزلتموهم منازلكم، وواسيتموهم بأموالكم، ووقيتموهم بأنفسكم، وأبرزتم نحوركم للقتل فأرملت نساؤكم وأيتم صبيانكم، ولو أخرجتموهم لكانوا عيالاً على غيركم، ثمّ قال: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ، وكان في القوم زيد بن أرقم وكان غلاماً قد راهق، وكان رسول الله ﷺ في ظلّ شجرة في وقت الهاجرة وعنده قوم من أصحابه من المهاجرين والأنصار، فجاء زيد فأخبره بما قال عبد الله بن أبيّ، فقال رسول الله ﷺ: «لعلّك وهمت ياغلام»؟ قال: لا والله ما وهمت، فقال: «فلعلّك غضبت عليه»؟ قال: لا والله ما غضبت عليه، قال: «فلعلّه سفه عليك» قال: لا والله، فقال رسول الله ﷺ لشقران مولاه: «احدج» فحدج راحلته وركب، وتسامع النّاس بذلك، فقالوا: ما كان رسول الله ﷺ ليرحل في مثل هذا الوقت، فرحل النّاس ولحقه سعد بن عبادة فقال: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، فقال: «وعليكم السلام» فقال: ما كنت لترحل في مثل هذا الوقت، فقال: «أوما سمعت قولاً قال صاحبكم»؟ قال: وأيّ صاحب لنا غيرك يا رسول الله؟ قال: «عبدالله بن أبيّ زعم أنّه إن رجع إلى المدينة ليخرجن الأعزّ منها الأذلّ» فقال يا رسول الله فأنت وأصحابك الأعزّ، وهو وأصحابه الأذلّ فسار رسول الله يومه كلّه لا يكلّمه أحد فأقبلت الخزرج على عبد الله بن أبيّ يعذلونه، فحلف عبد الله أنّه لم يقل شيئاً من ذلك، فقالوا: فقم بنا إلى رسول الله ﷺ حتّى تعتذر إليه، فلوى عنقه فلمّا جنّ اللّيل سار رسول الله ﷺ ليله كلّه والنهار، فلم ينزلوا إلاّ للصلاة، فلمّا كان من الغد نزل رسول الله ﷺ ونزل أصحابه وقد أمهدهم الأرض من السهر الّذي أصابهم، فجاء عبد الله بن أبيّ إلى رسول الله ﷺ فحلف له أنّه لم يقل ذلك، وأنّه ليشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنك لرسول الله، وأن زيداً قد كذب عليّ، فقبل رسول الله منه، وأقبلت الخزرج على زيد بن أرقم يشتمونه ويقولون له كذبت على عبد الله سيّدنا، فلمّا رحل رسول الله ﷺ كان زيد معه يقول: اللّهمّ إنّك لتعلم أنّي لم أكذب على عبد الله بن أبيّ فما سار إلاّ قليلاً حتّى أخذ رسول الله ﷺ ما كان يأخذه من البرحاء عند نزول الوحي عليه، فثقل حتّى كادت ناقته تبرك من ثقل الوحي، فسري عن رسول الله ﷺ وهو يسلت العرق عن جبهته، ثمّ أخذ بأذن زيد فرفعه من الرحل ثمّ قال: «يا غلام صدق قولك ووعى قلبك وأنزل الله فيما قلت قرآناً» فلمّا نزل جمع أصحابه وقرأ عليهم سورة (المنافقون).

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾﴾ إلى قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾. ففضح الله عبد الله بن أبيّ.

حدّثنا محمّد بن أحمد بن ثابت قال: حدّثنا أحمد بن ميثم، عن الحسن بن عليّ بن أبي حمزة، عن أبان بن عثمان قال: سار رسول الله ﷺ يوماً وليلة ومن الغد حتّى ارتفع الضحى

فنزل، ونزل النّاس، فرموا بأنفسهم نياماً، وإنّما أراد رسول الله ﷺ أن يكفّ النّاس عن الكلام، وإنّ ولد عبد الله بن أبيّ أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن كنت عزمت على قتله فمرني أن أكون أنا الّذي أحمل إليك رأسه، فوالله لقد علمت الاوس والخزرج أنّي أبرّهم ولداً بوالد، فإنّي أخاف أن تأمر غيري فيقتله فلا تطيب نفسي أن أنظر إلى قاتل عبد الله، فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النّار، فقال رسول الله ﷺ: بل تحسن لك مصاحبته مادام معنا.

وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ يقول: «لا يسمعون ولا يعقلون».

قوله: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ يعني كلّ صوت ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ فلمّا نعتهم الله لرسوله وعرّفه مشى إليهم عشائرهم فقالوا لهم: قد افتضحتم، ويلكم فأتوا نبيّ الله يستغفر لكم فلوّوا رؤوسهم، وزهدوا في الاستغفار يقول الله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ﴾[1].

بيان: قال الفيروزآباديّ: المريسيع مصغّر مرسوع: بئر أو ماء لخزاعة على يوم من الفرع، وإليه تضاف غزوة بني المصطلق. وقال الجزريّ: الحدج: شدّ الأحمال وتوثيقها، وشدّ الحداجة وهي القتب بأداته. والعذل: الملامة كالتعذيل.

قوله وقد أمهدهم الأرض، أي صارت لهم مهاداً، فلمّا وقعوا عليها ناموا. وبرحاء الحمّى وغيرها: شدّة الأذى: وسرّي عنه الهمّ على بناء المجهول مشدّداً وانسرى: انكشف، ويقال: سلت الدم، أماطه.

٢ - **شا:** ثمّ كان من بلائه عليه السلام ببني المصطلق ما اشتهر عند العلماء، وكان الفتح له في هذه الغزاة بعد أن أصيب يومئذ ناس من بني عبد المطلب، فقتل أمير المؤمنين عليه السلام رجلين من القوم، وهما مالك وابنه، وأصاب رسول الله ﷺ منهم سبياً كثيراً وقسمه في المسلمين، وكان ممّن أصيب يومئذ من السبايا جويرية بنت الحارث أبي ضرار، وكان شعار المسلمين يوم بني المصطلق: «يا منصور أمت» وكان الّذي سبا جويرية أمير المؤمنين عليه السلام، فجاء بها إلى النبيّ ﷺ فاصطفاها النبيّ ﷺ فجاء أبوها إلى النبيّ ﷺ بعد إسلام بقيّة القوم فقال: يا رسول الله إنّ ابنتي لا تسبى، لأنّها امرأة كريمة، فقال له: اذهب فخيّرها، قال: أحسنت وأجملت، وجاء إليها أبوها فقال لها: يا بنيّة لا تفضحي قومك، فقالت: قد اخترت الله ورسوله، فقال لها أبوها: فعل الله بك وفعل، فأعتقها رسول الله ﷺ وجعلها في جملة أزواجه[2].

٣ - **عم:** كانت بعد غزوة بني قريظة غزوة بني المصطلق من خزاعة، ورأسهم الحارث بن

---

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٥٠. (٢) الإرشاد، ص ٦٢.

أبي ضرار، وقد تهيّأ للمسير إلى رسول الله ﷺ وهي غزوة المريسيع وهو ماء، وقعت في شعبان سنة خمس، وقيل: في شعبان سنة ست والله أعلم، قالت جويرية بنت الحارث زوجة الرسول: أتانا رسول الله ﷺ ونحن على المريسيع، فأسمع أبي وهو يقول: أتانا ما لا قبل لنا به، قالت وكنت أرى من النّاس والخيل والسلاح ما لا أصف من الكثرة، فلمّا أن أسلمت وتزوّجني رسول الله ﷺ ورجعنا جعلت أنظر إلى المسلمين فليسوا كما كنت أرى، فعرفت أنّه رعب من الله عزّوجلّ يلقيه في قلوب المشركين، قالت: ورأيت قبل قدوم النبيّ ﷺ بثلاث ليال كأنّ القمر يسير من يثرب حتّى وقع في حجري، فكرهت أن أخبر بها أحداً من النّاس فلمّا سبينا رجوت الرؤيا فأعتقني رسول الله ﷺ وتزوّجني، وأمر رسول الله ﷺ أصحابه أن يحملوا عليهم حملة رجل واحد، فما أفلت منهم إنسان، وقتل عشرة منهم وأسر سائرهم، وكان شعار المسلمين يومئذ: «يا منصور أمت» وسبى رسول الله ﷺ الرجال والنساء والذراري والنعم والشاء، فلمّا بلغ النّاس أنّ رسول الله ﷺ تزوّج جويرية بنت الحارث قالوا: أصهار رسول الله ﷺ، فأرسلوا ما كان في أيديهم من بني المصطلق، فما علم امرأة أعظم بركة على قومها منها.

وفي هذه الغزوة قال عبد الله بن أبي: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ، وأنزلت الآيات. وفيها كانت قصّة إفك عائشة.

وبعث رسول الله ﷺ في سنة ستّ في شهر ربيع الأوّل عكاشة بن محصن في أربعين رجلاً إلى الغمرة، وبكر القوم فهربوا وأصاب مائتي بعير لهم فساقها إلى المدينة.

وفيها بعث أبا عبيدة بن الجرّاح إلى القصّة في أربعين رجلاً فأغار عليهم وأعجزهم هرباً في الجبال، وأصابوا رجلاً واحداً، فأسلم.

وفيها كانت سريّة زيد بن حارثة إلى الجموم من أرض بني سليم فأصابوا نعماً وشاء وأسرى.

وفيها كانت سريّة زيد بن حارثة إلى العيص في جمادى الأولى.

وفيها سريّة زيد بن حارثة إلى الطرف إلى بني ثعلبة في خمسة عشر رجلاً فهربوا وأصاب منهم عشرين بعيراً.

وفيها كانت غزوة عليّ بن أبي طالب عليه السلام إلى بني عبد الله بن سعد من أهل فدك، وذلك أنّه بلغ رسول الله ﷺ أنّ لهم جمعاً يريدون أن يمدّوا يهود خيبر.

وفيها سريّة عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل في شعبان، وقال له رسول الله ﷺ: «إن أطاعوا فتزوّج ابنة ملكهم» فأسلم القوم وتزوج عبد الرحمن تماضر بنت الأصبغ، وكان أبوها رأسهم وملكهم.

وفيها بعث رسول الله ﷺ في قول الواقديّ إلى العرنيين الّذين قتلوا راعي رسول

الله ﷺ، واستاقوا الإبل عشرين فارساً، فأتي بهم فأمر بقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم وتركوا بالحرّة حتّى ماتوا.

وعن جابر بن عبد الله أنّ رسول الله ﷺ دعا عليهم فقال: «اللّهمّ اعم عليهم الطريق» قال: فعمي عليهم الطريق.

وفيها أخذت أموال أبي العاص بن الربيع، وقد خرج تاجراً إلى الشام، ومعه بضائع قريش، فلقيته سريّة لرسول الله واستاقوا عيره وأفلت، وقدموا على رسول الله ﷺ فقسّمه بينهم، وأتى أبوالعاص فاستجار بزينب بنت رسول الله ﷺ وسألها أن تطلب من رسول الله ﷺ ردّ ماله عليه، وما كان معه من أموال النّاس، فدعا رسول الله ﷺ السريّة وقال: «إنّ هذا الرجل منّا بحيث قد علمتم فإن رأيتم تردّوا عليه فافعلوا» فردّوا عليه ما أصابوا، ثمّ خرج وقدم مكّة وردّ على النّاس بضائعهم، ثمّ قال: أما والله ما منعني أن أسلم قبل أن أقدم عليكم إلاّ توقياً أن تظنوا أنّي أسلمت لأذهب بأموالكم، وإنّي أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمّداً عبده ورسوله[1].

٤ - **أقول:** قال الكازرونيّ في حوادث السنة الخامسة: في هذه السنة كانت غزاة المريسيع: وذلك أنّ بني المصطلق كانوا ينزلون على بئر يقال لها: المريسيع، وكان سيّدهم الحارث بن أبي ضرار، فسار في قومه ومن قدر عليه، فدعاهم إلى حرب رسول الله ﷺ فأجابوه، وتهيّأوا للمسير معه فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأرسل بريدة بن الحصيب ليعلم علم ذلك، فأتاهم ولقي الحارث بن أبي ضرار وكلمه ورجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره، فندب رسول الله ﷺ النّاس إليهم فأسرعوا الخروج، ومعهم ثلاثون فرساً، وخرج معهم جماعة من المنافقين، واستخلف رسول الله ﷺ على المدينة زيد بن حارثة، وخرج يوم الاثنين لليلتين خلتا من شعبان، وبلغ الحارث بن أبي ضرار ومن معه مسير رسول الله ﷺ، وأنّه قتل عينه الّذي كان يأتيه بخبر رسول الله ﷺ، فسيء بذلك وخاف وتفرّق من معه من العرب، وانتهى رسول الله ﷺ إلى المريسيع وضرب عليه قبّته ومعه عائشة وأمّ سلمة فتهيّأوا للقتال وصفّ رسول الله ﷺ وأصحابه فتراموا بالنبل ساعة ثمّ أمر رسول الله ﷺ أصحابه فحملوا حملة رجل واحد، فقتل عشرة من العدوّ، وأسر الباقون، وسبى رسول الله ﷺ الرجال والنساء والذرّيّة والنعم والشاء وكانت الإبل ألفي بعير، والشاء خمسة آلاف والسبي مائتي أهل بيت، سوى رجل واحد، ولمّا رجع المسلمون بالسبي قدم أهاليهم فافتدوهم، وخلصت جويرية بنت الحارث في سهم ثابت بن قيس وابن عمّ له فكاتباها، فسألت رسول الله ﷺ في كتابتها فأدّى عنها وتزوّجها وسمّاها برّة، وقيل: إنّه جعل

---

(١) إعلام الورى، ص ١٠٩.

صداقها عتق أربعين من قومها وبعث رسول الله ﷺ أبا نضلة الطائيّ بشيراً إلى المدينة بفتح المريسيع.

وروي عن عائشة أنّها قالت: أصاب رسول الله ﷺ نساء بني المصطلق، فأخرج الخمس منه، ثمّ قسمه بين النّاس، فأعطى الفارس سهمين، فوقعت جويرية بنت الحارث في سهم ثابت بن قيس، وكانت تحت ابن عمّ لها يقال له: صفوان بن مالك فقتل عنها، وكاتبها ثابت بن قيس على تسع أواق، وكانت امرأة حلوة لا يكاد يراها أحد إلاّ أخذت بنفسه، فبينا النبيّ ﷺ عندي إذ دخلت عليه جويرية تسأله في كتابتها، فوالله ما هو إلاّ أن رأيتها فكرهت دخولها على النبيّ ﷺ، وعرفت أنّه سيرى منها مثل الّذي رأيت، فقالت: يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث سيّد قومه وقد أصابني من الأمر ما قد علمت، فوقعت في سهم ثابت بن قيس، وكاتبني على تسع أواق، فأعنّي في فكاكي، فقال: «أو خير من ذلك»؟ فقالت: وما هو؟ فقال: «أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك» فقالت: نعم يا رسول الله، فقال: «قد فعلت» وخرج الخبر إلى النّاس فقالوا: أصهار رسول الله ﷺ يسترقّون؟ فأعتقوا ما كان في أيديهم من نساء بني المصطلق، فبلغ عتقهم مائة أهل بيت بتزويجه إيّاها، ولا أعلم امرأة أعظم بركة على قومها منها. وفي هذه الغزاة نزلت آية التيمم. وفيها كان حديث الإفك.

وفيها تزوّج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش بن رباب، وأمّها أميمة بنت عبد المطلب، وكانت ممّن هاجر مع رسول الله ﷺ فخطبها رسول الله ﷺ لزيد، فقالت: لا أرضاه لنفسي، قال: فإنّي قد رضيته لك، فتزوّجها زيد بن حارثة، ثمّ تزوّجها رسول الله ﷺ لهلال ذي القعدة سنة خمس من الهجرة، وهي يومئذ بنت خمس وثلاثين سنة.

أقول: ستأتي قصّتها في أبواب أحوال أزواجه ﷺ.

ثم قال: وفي هذه السنة في ذي الحجّة ركب رسول الله ﷺ فرساً إلى الغابة فسقط عنه، فجحش فخذه الأيمن، فأقام في البيت خمساً يصلّي قاعداً.

وفي هذه السنة نزلت فريضة الحجّ وأخره رسول الله ﷺ من غير مانع فإنّه خرج إلى مكّة سنة سبع لقضاء العمرة، ولم يحجّ، وفتح مكّة سنة ثمان، وبعث أبابكر على الحاج سنة تسع، وحج رسول الله سنة عشر.

وقال عند ذكر حوادث السنة السادسة: فيها زار رسول الله ﷺ أمّه مرجعه من غزاة بني لحيان، وكانوا بناحية عسفان، وكانت في ربيع الأوّل سنة ستّ، فسمعت بنو لحيان فهربوا في رؤوس الجبال، فلم يقدروا على أحد منهم، فجاز على قبر أمّه.

وفيها كانت غزاة رسول الله ﷺ الغابة وهي على بريد من المدينة بطريق الشام في ربيع الاوّل، روي عن سلمة بن الاكوع قال: خرجت قبل أن يؤذن بالأولى، وكانت لقاح رسول الله ﷺ ترعى بذي قرد، قال: فلقيني غلام لعبد الرحمن بن عوف فقال: أخذت لقاح

رسول الله ﷺ، فقلت: من أخذها؟ قال: غطفان، قال: فصرخت ثلاث صرخات: يا صباحاه، فأسمعت ما بين لابتي المدينة، ثمّ اندفعت على وجهي حتّى أدركتهم، وقد أخذوا يستقون من الماء فجعلت أرميهم بنبل وكنت رامياً، وأقول:

أنـــا ابـــن الأكـــوع   والـيـوم يـوم الـرضّـع

وأرتجز حتّى استنقذت اللّقاح منهم، واستلبت منهم ثلاثين بردة قال: وجاء النبيّ ﷺ والناس، فقلت: يا رسول الله قد حميت الماء وهم عطاش فابعث إليهم الساعة، فقال: «يابن الاكوع إذا ملكت فأسجح» قال: ثمّ رجعنا ويردفني رسول الله ﷺ ناقته حتّى دخلنا المدينة.

وفي هذه السنة صلّى رسول الله ﷺ صلاة الاستسقاء بالإسناد عن الزهريّ، عن أنس قال: قحل النّاس على عهد رسول الله ﷺ فأتاه المسلمون فقالوا: يا رسول الله قحط المطر، ويبس الشّجر وهلكت المواشي، وأسنت النّاس، فاستسق لنا ربّك عزّ وجلّ، فقال إذا كان يوم كذا وكذا فاخرجوا وأخرجوا معكم بصدقات» قال: فلمّا كان ذلك اليوم خرج رسول الله ﷺ والنّاس معه يمشي ويمشون عليهم السكينة والوقار، حتّى أتوا المصلّى، فتقدّم النبيّ ﷺ فصلّى بهم ركعتين يجهر فيهما بالقراءة وكان ﷺ يقرأ في العيدين والاستسقاء في الأولى بفاتحة الكتاب والأعلى، وفي الثانية بفاتحة الكتاب والغاشية، فلمّا قضى صلاته استقبل القوم بوجهه، وقلب رداءه لكي ينقلب القحط إلى الخصب، ثمّ جثا على ركبتيه ورفع يديه وكبّر تكبيرة قبل أن يستسقي، ثمّ قال «اللّهمّ اسقنا وأغثنا غيثاً مغيثاً وحياً ربيعاً وجداً طبقاً غدقاً مغدقاً عاماً هنيئاً مريئاً مريعاً وابلاً شاملاً مسبلاً مجلجلاً دائماً درراً نافعاً غير ضار عاجلاً غير رائث غيثاً اللّهمّ تحيي به البلاد وتغيث به العباد وتجعله بلاغاً للحاضر منّا والباد اللّهمّ أنزل في أرضنا زينتها وأنزل عليها سكنها اللّهمّ أنزل علينا من السماء ماء طهوراً تحيي به بلدة ميتاً وأسقه ممّا خلقت أنعاماً وأناسي كثيراً قال: فما برحنا حتّى أقبل قزع من السحاب فالتأم بعضه إلى بعض، ثمّ مطرت عليهم سبعة أيّام ولياليهنّ لا تقلع عن المدينة، فأتاه المسلمون فقالوا: يا رسول الله قد غرقت الأرض، وتهدمت البيوت، وانقطعت السبل فادع الله تعالى أن يصرفها عنها، فضحك رسول الله ﷺ وهو على المنبر حتّى بدت نواجذه تعجباً لسرعة ملالة ابن آدم، ثمّ رفع يديه ثمّ قال: «حوالينا ولا علينا اللّهمّ على رؤوس الظراب ومنابت الشّجر وبطون الأودية وظهور الآكام» فتصدّعت عن المدينة حتّى كانت في مثل الترس عليها كالفسطاط تمطر مراعيها ولا تمطر فيها قطرة.

وفي بعض الروايات: إنّه لمّا صارت المدينة كالفسطاط ضحك رسول الله ﷺ حتّى بدت نواجذه، ثمّ قال: «لله [درّ] أبي طالب لو كان حيّاً قرّت عيناه من الّذي ينشدنا قوله» فقام عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال: يا رسول الله كأنك أردت:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل
يلوذ به الهلّاك من آل هاشم فهم عنده في نعمة وفواضل
كذبتم وبيت الله يبزى محمّد ولمّا نقاتل دونه ونُناضل
ونسلمه حتّى نصرّع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل

فقال رسول الله ﷺ : «أجل» فقام رجل من كنانة فقال:

لك الحمد والشكر ممّن شكر سقينا بوجه النبيّ المطر
دعا الله خالقه دعوة إليه وأشخص منه البصر
فلم يك إلّا كإلقا الردا وأسرع حتّى رأينا المطر
دفاق العزايل جمّ البعاق أغاث به الله عليّاً مضر
وكان كما قاله عمّه أبو طالب أبيض ذو غرر
به الله يسقي صوب الغمام وهذا العيان لذاك الخبر
فمن يشكر الله يلقى المزيد ومن يكفر الله يلقى الغير

فقال رسول الله ﷺ : أنْ يك شاعر أحسن فقد أحسنت.

بيان: الجحش: سحج الجلد أي تقشّره. قوله يوم الرضّع، بضمّ الراء وتشديد الضاد جمع راضع، وهو اللئيم، أي خذ الرمية، واليوم يوم هلاك اللئام. قوله: فأسجح، أي فسهّل وأحسن العفو. قوله: قحل النّاس، قال الجزريّ: أي يبسوا من شدّة القحط، وقد قحل يقحل قحلاً: إذا التزق جلده بعظمه من الهزال.

وأسنت النّاس، أي دخلوا في السنة وهي القحط. والحيا مقصوراً: المطر، وقيل: الخصب وما يحيى به الناس. والجدا بالقصر أيضاً: المطر العام. والطبق: الّذي يطبق الأرض، أي يعمّ وجهها. والغدق: الكبير القطر.

قوله ﷺ : مريعاً، أي عامّاً يغني عن الارتياد والنجعة، فالناس يربعون حيث شاؤا، أي يقيمون ولا يحتاجون إلى الانتقال في طلب الكلاء، أو من أربع الغيث: إذا أنبت الربيع، ويروى «مرتعاً» بالتاء المثناة من فوق، من رتعت الإبل إذا رعت، وأرتعها الله، أي أنبت لها ما ترتع فيه، والوابل: المطر الشديد الكبير القطر. والمسبل من السبل وهو المطر أيضاً. والمجلّل: الّذي يستر الأرض بمائه أو بالنبات الّذي ينبت بمائه كأنّه يكسوها ذلك. قوله ﷺ : دائماً، وفي بعض النسخ «ديماً» وهي جمع ديمة، وهي مطر يدوم في سكون. والدرر جمع الدرّة. ودرّة السحاب: صبّه. والرائث: البطيء.

قوله: بلاغاً، أي ما يكفي أهل حضرنا وبدونا. وزينة الارض: حياتها بنباتها. والسكن: القوت الّذي يسكن به في الدار، كالنزل، وهو الطعام الّذي ينزل عليه ويكتفى به.

قوله: حوالينا، في موضع نصب، أي أمطر حواليتا، ولا تمطر علينا، والظراب جمع ظرب

ككتف، وهي الجبال الصغار. والقزع بالتحريك، قطع من السحاب رقيقة، الواحدة قزعة وهو ما يفرق بين جمعه وواحده بالتاء كما يقال: سحاب وسحابة. وقوله: عليها أي على المدينة، وكلمة (في) كأنها زائدة، أي حتّى كانت المدينة أو السماء مثل الترس وسط السحاب، والسحاب عليها كالفسطاط، وهي الخيمة. والثمال بالكسر: الملجأ والغياث، أو المطعم في الشدة. عصمة للأرامل أي يمنعهنّ من الضياع والحاجة. ويبزى، أي يقهر ويغلب.

قوله: ممّن شكر، أي الّذي يحمد الله، إنّما يشكره بما أولاه من نعمه، أوالحمد بتوفيق الله الّذي شكر من عباده العمل اليسير في جنب النعمة الكثيرة. قوله: إليه، أي إلى إنزال الغيث، قوله: كإلقا الردا، هذا من الممدود الّذي قصر لأجل الشعر كما يمدّ المقصور للشعر. والدفاق: المطر الواسع الكثير المتدفق والعزايل مقلوب من العزالي جمع العزلاء، وهي فم المزادة، شبّه ما يمطر من السحاب بما يتدفّق من فم المزادة. والبعاق بالضمّ: السحاب الّذي يتبعق بالماء، أي يتصبّب وقيل: البعاق: المطر العظيم، والجمّ الكثير. قوله: به الله يسقي، فيه انكسار اللّفظ والوزن، ويرويه بعضهم: به الله أنزل. والصوب: نزول المطر. والغير: التغيّر ومن يكفر الله في نعمه تغيّر حاله.

قال: وفي هذه السنة كانت سريّة عبد الله بن عتيك لقتل أبي رافع عبد الله بن أبي الحقيق، وقيل: سلاّم بن أبي الحقيق، باسنادي في سماع البخاريّ إليه بإسناده عن البراء قال: بعث رسول الله ﷺ إلى أبي رافع اليهوديّ جماعة من الأنصار، وأمّر عليهم عبد الله، وكان أبورافع يؤذي رسول الله ﷺ ويعين عليه، وكان في حصن له بأرض الحجاز، فلمّا دنوا منه وقد غربت الشمس وراح النّاس بسرحهم قال عبد الله لأصحابه: اجلسوا مكانكم فإنّي منطلق ومتلطّف للبواب لعليّ أدخل، فأقبل حتّى دنا من الباب، ثمّ تقنع بثوبه كأنّه يقضي حاجته، وقد دخل النّاس فهتف به البواب يا عبد الله إن كنت تريد أن تدخل فادخل فإنّي أريد أن أغلق الباب، فدخلت فكمنت فلمّا دخل النّاس أغلق الباب، ثمّ علق الأغاليق على ودّ. قال: فقمت على الأقاليد فأخذتها ففتحت الباب، وكان أبو رافع يسمر عنده وكان في علاليّ، فلمّا ذهب عنه أهل سمره صعدت إليه فجعلت كلّما فتحت باباً أغلق عليّ من داخل فقلت: إن القوم نذروا بي لم يخلصوا إليّ حتّى أقتله، فانتهيت إليه فإذا هو في بيت مظلم وسط عياله لا أدري أين هو من البيت، قلت: أبا رافع! قال: من هذا؟ فأهويت نحو الصوت فأضربه ضربة بالسيف وأنا دهش فما أغنيت شيئاً، وصاح فخرجت من البيت، فأمكث غير بعيد ثمّ دخلت إليه فقلت: ما هذا الصوت يا أبا رافع؟ فقال: لأمك الويل إنّ معي رجلاً في البيت ضربني قبل بالسيف، قال: فأضربه ضربة أثخنته ولم أقتله، ثمّ وضعت ظبة السيف في بطنه حتّى أخذ في ظهره، فعرفت أنّي قتلته، فجعلت أفتح الأبواب باباً باباً حتّى انتهيت إلى درجة له، فوضعت رجلي وأنا أرى أنّي قد انتهيت إلى الأرض، فوقعت في ليلة مقمرة فانكسرت ساقي

فعصبتها بعمامتي، ثمّ انطلقت حتّى جلست على الباب فقلت: لا أخرج الليلة حتّى أعلم أقتله، فلمّا صاح الديك قام الناعي على السور، فقال: أنعي أبا رافع تاجر أهل الحجاز، فانطلقت إلى أصحابي فقلت: النجاء، فقد قتل الله أبا رافع، فانتهيت إلى النبي ﷺ فحدّثته، فقال: ابسط رجلك فبسطت رجلي فمسحها وكأنما لم أشتكها قطّ.

السّرح: الإبل والمواشي تسرح للرعي بالغداة، والأغاليق: المفاتيح والأقاليد جمع إقليد وهو المفتاح في لغة اليمن، والودّ بفتح الواو: الوتد، وهي لغة تميم. والعلالي جمع عليّة وهي الغرفة. قوله: نذروا، بكسر الذال. أي علموا.

وفي هذه السنة كان قصة العرنيين في شوّالها. قالوا: قدم نفر من عرنية ثمانية على رسول الله ﷺ فأسلموا واجتووا المدينة، فأمر بهم رسول الله ﷺ إلى لقاحه، وقال: «لو خرجتم إلى ذود لنا فشربتم من ألبانها» فقتلوا الرّاعي وقطعوا يده ورجله، وغرسوا الشّوك في لسانه وعينيه حتّى مات، وبلغ رسول الله ﷺ الخبر فبعث في أثرهم عشرين فارساً، واستعمل عليهم كرز بن جابر الفهريّ فأدركهم فأحاطوا بهم وأسروهم وربطوهم حتّى قدموا بهم المدينة، وكان رسول الله ﷺ بالغابة فخرجوا بهم نحوه فأمرهم فقطعت أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم، وصلبوا هناك، وكانت اللقاح خمس عشرة لقحة فردّوها إلّا واحدة نحروها.

٥ - **أقول:** وقال ابن الاثير في الكامل في حوادث السنة السادسة: كانت غزوة بني لحيان في جمادى الأولى منها، خرج رسول الله ﷺ إلى بني لحيان يطلب بأصحاب الرجيع خبيب بن عديّ وأصحابه، وأظهر أنّه يريد الشام ليصيب من القوم غرة، وأغذّ السير حتّى نزل على عرار منازل بني لحيان فوجدهم قد حذروا وتمنّعوا في رؤوس الجبال، فلمّا أخطأه ما أراد منهم خرج في مائتي راكب حتّى نزل عسفان تخويفاً لاهل مكّة، وأرسل فارسين من الصحابة حتّى بلغا كراع الغميم ثمّ عادوا.

ثمّ ذكر بعد ذلك غزوة ذي قرد كما ذكرناها سابقاً، وقال: والرّواية الصحيحة عن سلمة أنّها كانت بعد مقدمه المدينة منصرفاً من الحديبية[1].

٦ - **فس:** ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ فإنها نزلت في أشجع وبني ضمرة، وكان خبره أنّه لمّا خرج رسول الله ﷺ إلى بدر لموعد مرّ قريباً من بلادهم، وقد كان رسول الله ﷺ صادر بني ضمرة ووادعهم قبل ذلك، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: يا رسول الله هذه بنو ضمرة قريباً منّا ونخاف أن يخالفونا إلى المدينة، أو يعينوا علينا قريشاً، فلو بدأنا بهم، فقال رسول الله ﷺ: «كلا إنّهم أبرّ العرب

---

(١) الكامل في التاريخ، ج ٢ ص ١٧٠.

بالوالدين وأوصلهم للرحم وأوفاهم بالعهد» وكان أشجع بلادهم قريباً من بلاد بني ضمرة، وهم بطن من كنانة، وكانت أشجع بينهم وبين بني ضمرة حلف بالمراعاة والأمان، فأجدبت بلاد أشجع، وأخصبت بلاد بني ضمرة، فصارت أشجع إلى بلاد بني ضمرة، فلمّا بلغ رسول الله ﷺ مسيرهم إلى بني ضمرة تهيأ للمسير إلى أشجع فيغزوهم للموادعة الّتي كانت بينه وبين بني ضمرة، فأنزل الله: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا﴾ الآية، ثمّ استثنى بأشجع فقال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾.

وكانت أشجع محالّها البيضاء والحلّ والمستباح، وقد كانوا قربوا من رسول الله ﷺ، فهابوا لقربهم من رسول الله ﷺ أن يبعث إليهم من يغزوهم، وكان رسول الله ﷺ قد خافهم أن يصيبوا من أطرافه شيئاً، فهمّ بالمسير إليهم، فبينا هو على ذلك إذ جاءت أشجع ورئيسها مسعود بن رجيلة وهم سبعمائة، فنزلوا شعب سلع، وذلك في شهر ربيع الآخر سنة ستّ، فدعا رسول الله ﷺ أسيد بن حصين فقال له: «اذهب في نفر من أصحابك حتّى تنظر ما أقدم أشجع» فخرج أسيد ومعه ثلاثة نفر من أصحابه فوقف عليهم فقال: ما أقدمكم؟ فقام إليه مسعود بن رُجيلة وهو رئيس أشجع فسلم على أسيد وعلى أصحابه، وقالوا: جئنا لنوادع محمّداً، فرجع أسيد إلى رسول الله ﷺ فأخبره، فقال رسول الله ﷺ: «خاف القوم أن أغزوهم فأرادوا الصلح بيني وبينهم، ثمّ بعث إليهم بعشرة أحمال تمر فقدمها أمامه، ثمّ قال: نعم الشيء الهديّة أمام الحاجة، ثمّ أتاهم فقال: يا معشر أشجع ما أقدمكم؟ قالوا: قربت دارنا منك، وليس في قومنا أقلّ عدداً منّا، فضقنا بحربك لقرب دارنا منك وضقنا لحرب قومنا لقلتنا فيهم، فجئنا لنوادعك، فقبل النبيّ ﷺ ذلك منهم ووادعهم فأقاموا يومهم ثمّ رجعوا إلى بلادهم، وفيهم نزلت هذه الآية: ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾ الآية[(١)].

٧ - قب: ثمّ بعد غزاة بني قريظة بعث رسول الله ﷺ عبد الله بن عتيك إلى خيبر فقتل أبا رافع بن أبي الحقيق.

بنو المصطلق من خزاعة وهو المريسيع، غزاهم عليّ عليه السلام في شعبان، ورأسهم الحارث ابن أبي ضرار، وأصيب يومئذ ناس من بني عبد المطّلب، فقتل عليّ عليه السلام مالكاً وابنه، فأصاب النبيّ ﷺ سبياً كثيراً، وكان سبى عليّ عليه السلام جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار، فاصطفاها النبيّ ﷺ، فجاء أبوها إلى النبيّ ﷺ بفداء ابنته، فسأله النبيّ ﷺ عن جملين خبأهما في شعب كذا، فقال الرجل: أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنك رسول الله، والله

(١) تفسير القمي، ج ١ ص ١٥٣.

ما عرفهما أحد سواي، ثمّ قال: يا رسول الله إنّ ابنتي لا تسبى، إنّها امرأة كريمة، قال: «فاذهب فخيرها» قال: قد أحسنت وأجملت، وجاء إليها أبوها فقال لها: يا بنيّة لا تفضحي قومك، فقالت: قد اخترت الله ورسوله، فدعا عليها أبوها، فأعتقها رسول الله ﷺ وجعلها في جملة أزواجه. وفي هذه الغزاة نزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُو بِالْإِفْكِ﴾.

وفيها: قال عبد الله بن أبيّ: ﴿لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ﴾[1].

٨ - قب: سنة ستّ في شهر ربيع الأوّل بعث عكاشة بن محصن في أربعين رجلاً إلى الغمرة فهربوا وأصاب مائتي بعير.

وفيها بعث أبا عبيدة بن الجرّاح إلى القصّة في أربعين رجلاً فأغار عليهم.

وفيها سريّة زيد بن حارثة إلى الجموم من أرض بني سليم فأصابوا، ووصلوا إلى بني ثعلبة في خمسة عشر رجلاً فهربوا، وأصاب منهم عشرين بعيراً.

وغزوة زيد إلى العيص في جمادى الأولى.

وغزوة بني قرد، وذلك أنّ أناساً من الاعراب قدموا وساقوا الابل، فخرج إليهم رسول الله ﷺ، وقدّم أبا قتادة الأنصاريّ مع جماعة فاستردّ منهم.

وبعث محمّد بن مسلمة إلى قوم من هوازن فكمن القوم لهم وأفلت محمّد وقتل أصحابه.

ذات السلاسل وهو حصن، وذلك أنّ أعرابيّاً جاء إلى النبيّ ﷺ فقال: إنّ لي نصيحة، قال: «وما نصيحتك»؟ قال: اجتمع بنو سليم بوادي الرمل عند الحرّة على أن يبيتوك بها القصّة.

وفيها غزوة عليّ بن أبي طالب عليه السلام إلى بني عبد الله بن سعد من أهل فدك، وذلك أنّه بلغ رسول الله ﷺ أنّ لهم جمعاً يريدون أن يمدّوا يهود خيبر.

وفيها سريّة عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل في شعبان. وسريّة العرنيين الّذين قتلوا راعي النبيّ ﷺ واستاقوا الإبل، وكانوا عشرين فارساً.

وفيها أخذت أموال أبي العاص بن الربيع. وفيها غزوة الغابة[2].

١٩ - باب آخر في قصة الإفك

الآيات: النور «٢٤»: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُو بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَاءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ

(١) - (٢) مناقب ابن شهرآشوب، ج ١ ص ٢٥٢ وص ٢٥٣.

اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾.

تفسير: قال الطبرسيّ رحمه الله في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ﴾ روى الزهريّ، عن عروة بن الزبير وسعيد بن المسيّب وغيرهما عن عائشة أنّها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه، فأيّتهن خرج سهمها خرج بها، فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي، وذلك بعدما أنزل الحجاب، فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى فرغ من غزوه وقفل. وروي أنّها كانت غزوة بني المصطلق من خزاعة.

قالت: ودنونا من المدينة فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتّى جاوزت الجيش، فلمّا قضيت شأني أقبلت إلى الرحل فلمست صدري فإذا بعقد من جزع ظفار قد انقطع، فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه.

وأقبل الرهط الّذين كانوا يرحلونني فحملوا هودجي على بعيري الّذي كنت أركب وهم يحسبون أنّي فيه، وكانت النساء إذ ذاك خفافاً [و] لم يهبلهنّ اللحم وإنّما يأكلن العلقة من الطعام، فبعثوا الجمل وساروا، ووجدت عقدي وجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب، فدنوت من منزلي الّذي كنت فيه، وظننت أنّ القوم سيفقدونني فيرجعون إليّ، فبينا أنا جالسة إذ غلبتني عيناي فنمت، وكان صفوان بن المعطّل السلميّ قد عرّس من وراء الجيش، فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم فعرفني حين رآني، فخمرت وجهي بجلبابي، ووالله ما كلّمني بكلمة حتّى أناخ راحلته فركبتها، فانطلق يقود الراحلة حتّى أتينا الجيش بعدما نزلوا موغرين في حرّ الظهيرة، فهلك من هلك فيّ، وكان الّذي تولّى كبره منهم عبد الله بن أبي سلول، فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمتها شهراً، والنّاس يفيضون في قول أهل الإفك ولا أشعر بشيء من ذلك وهو يريبني في وجعي غير أنّي لا أعرف من رسول الله صلى الله عليه وآله اللطف الّذي كنت أرى منه حين أشتكي إنّما يدخل ويسلم ويقول: «كيف تيكم»؟ فذلك يحزنني ولا

أشعر بالشر حتّى خرجت بعدما نقهت، وخرجت معي أمّ مسطح قبل المصانع وهو متبرزنا ولا نخرج إلاّ ليلاً إلى ليل، وذلك قبل أنّ يتّخذ الكنف، وأمرنا أمر العرب الأول في التنزّه، وكنا نتأذّى بالكنف أن نتّخذها عند بيوتنا، فانطلقت أنا وأمّ مسطح وأمّها بنت صخر بن عام خالة أبي، فعثرت أمّ مسطح في مرطها، فقالت: تعس مسطح، فقلت لها: بئس ما قلت، أتسبّين رجلاً قد شهد بدراً؟ قالت: أي هنتاه ألم تسمعي ما قال؟ قلت: وما ذا؟ قالت: فأخبرتني بقول أهل الإفك، فازددت مرضاً إلى مرضي، فلمّا رجعت إلى منزلي دخل عليّ رسول الله ﷺ ثمّ قال «كيف تيكم»؟ قلت تأذن لي أن آتي أبويّ؟ قالت: وأنا أريد أتيقّن الخبر من قبله، فأذن لي رسول الله، فجئت أبويّ وقلت لأمّي: يا أمه ماذا يتحدّث الناس؟ فقالت: أي بنيّة هوّني عليك، فوالله لعلّ ما كانت امرأة قطّ وضيئة عند رجل يحبّها ولها ضرائر إلاّ أكثرن عليها، قلت: سبحان الله أوقد تحدّث النّاس بهذا؟ قالت: نعم فمكثت تلك الليلة حتّى أصبحت لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم حتّى أصبحت أبكي، ودعا رسول الله ﷺ أسامة بن زيد وعليّ بن أبي طالب عليه السلام حين استلبث الوحي يستشيرهما في فراق أهله، فأمّا أسامة فأشار على رسول الله ﷺ بالّذي علم من براءة أهله بالّذي يعلم في نفسه من الودّ، فقال رسول الله ﷺ هم أهلك ولا نعلم إلاّ خيراً وأمّا عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال: لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك، فدعا رسول الله ﷺ بريرة فقال: «يا بريرة هل رأيت شيئاً يريبك من عائشة؟» قالت بريرة: والّذي بعثك بالحقّ ان رأيت عليها أمراً قط أغمصه عليها أكثر من أنّها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها، قالت: وأنا والله أعلم أني بريئة، وما كنت أظن أن ينزل في شأني وحي يتلى، ولكني كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ رؤيا يبرئني الله بها، فأنزل الله على نبيّه وأخذه ما كان يأخذه من برحاء الوحي حتّى أنّه لينحدر عنه مثل الجمان من العرق وهو في اليوم الشاتي من القول الّذي انزل عليه، فلمّا سرّي عن رسول الله ﷺ قال: أبشري يا عائشة، أما والله فقد برأك الله، فقالت أمّي: قومي إليه، فقلت: والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلاّ الله وهو الّذي برأني، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ﴾[1].

بيان: الجزع بالفتح: الخرز اليماني. وظفار: بلد باليمن.

وقال الجزريّ: في حديث الإفك: والنساء يومئذ لم يهبلهنّ اللحم، أي لم يكثر عليهنّ، يقال: هبله اللحم: إذا كثر عليه وركب بعضه بعضاً.

والعلقة بالضم: البلغة من الطعام.

وقال: موغرين في نحر الظهيرة، أي في وقت الهاجرة وقت توسّط الشمس السماء يقال:

---

(١) مجمع البيان، ج ٧ ص ٢٢٨.

وغرت الهاجرة وغراً، وأوغر الرجل: دخل في ذلك الوقت. وقال: نحر الظهيرة، هو حين تبلغ الشمس منتهاها من الارتفاع كأنها وصلت إلى النحر وهو أعلى الصدر.

وقال الجوهري: (تا) اسم يشار به إلى المؤنّث مثل ذا للمذكّر، فإن خاطبت جئت بالكاف فقلت: تيك وتلك وتاك.

وقال الجزريّ: في حديث الإفك: وكان متبرّز النساء بالمدينة قبل أن تبنى الكنف في الدور المناصع، هي المواضع الّتي يتخلّى فيها لقضاء الحاجة، واحدها منصع لأنّه يبرز إليها ويظهر، قال الأزهريّ: أراها مواضع مخصوصة خارج المدينة. وقال: تنزّه تنزهاً: بعد. وقال: يا هنتاه أي يا هذه، وتفتح النون وتسكن وتضم الهاء الأخيرة وتسكن. وقال: الداجن هو الشاة الّتي يعلفها النّاس في منازلهم، وقد يقع على غير الشاة من كلّ ما يألف البيوت من الطير وغيرها. وفي حديث الإفك: يدخل الداجن فيأكل عجينها.

والغمص: العيب. والطعن على الناس. والجمان كغراب: اللّؤلؤ أو هنوات أشكال اللّؤلؤ من فضّة.

وقال البيضاويّ في قوله تعالى: ﴿بِالْإِفْكِ﴾ أي بأبلغ ما يكون من الكذب ﴿عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾ جماعة منكم، وهي من العشرة إلى الأربعين، يريد عبد الله بن أبي وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم وهي خبر ﴿إِنَّ﴾ وقوله: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ﴾ مستأنف، والخطاب للرسول ﷺ وأبي بكر وعائشة وصفوان، والهاء للإفك ﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ لاكتسابكم به الثواب ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ﴾ لكلّ جزاء ما اكتسب بقدر ما خاض فيه مختصّاً به ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ﴾ معظمه ﴿مِنْهُمْ﴾ من الخائضين وهو ابن أبي، فإنّه بدأ به وأذاعه عداوة لرسول الله ﷺ، أو هو وحسّان ومسطح فإنّهما شايعاه في التصريح به، و﴿الَّذِي﴾ بمعنى الّذين ﴿لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في الآخرة أو في الدنيا بأن جلدوا. وصار ابن أبي مطروداً مشهوراً بالنفاق، وحسّان أعمى أشلّ اليدين، ومسطح مكفوف البصر ﴿لَوْلَا﴾ هلا ﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات ﴿وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾ كما يقول المستيقن المطّلع على الحال ﴿لَوْلَا جَاءُوا﴾ إلى قوله: ﴿الْكَاذِبُونَ﴾ من جملة المقول تقريراً لكونه كذباً، فإنّ ما لا حجّة عليه فكذب عند الله، أي في حكمه، ولذلك رتّب عليه الحدّ ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ في الدنيا بأنواع النعمة الّتي من جملتها الإمهال للتوبة ﴿ورحمته في الآخرة﴾ بالعفو والمغفرة المقدّران لكم ﴿لَمَسَّكُمْ﴾ عاجلاً ﴿فِي مَا أَفَضْتُمْ﴾ خضتم ﴿فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ يستحقر دونه اللوم والجلد.

(إذ) ظرف لمسّكم أو أفضتم ﴿تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ يأخذ بعضكم من بعض بالسؤال عنه ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ﴾ بلا مساعدة من القلوب ﴿مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ لأنه ليس تعبيراً عن علم به في قلوبكم ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا﴾ سهلاً لا تبعة له ﴿وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ في الوزر ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ

قلتم ﴿مَا يَكُونُ لَنَآ﴾ ما ينبغي وما يصحّ لنا ﴿أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا﴾ إشارة إلى القول المخصوص أو إلى نوعه ﴿سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ تعجّب من ذلك، وأصله أن يذكر عند كلّ متعجّب تنزيهاً لله تعالى من أن يصعب عليه مثله، ثمّ كثر فاستعمل لكلّ متعجب، أو تنزيه لله من أن تكون حرم نبيّه فاجرة، فإنّ فجورها تنفير عنه بخلاف كفرها ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ﴾ كراهة أن تعودوا، أو في أن تعودوا ﴿أَبَدًا﴾ ما دمتم أحياء مكلّفين ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ فإنّ الإيمان يمنع منه ﴿وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ الدالة على الشرائع ومحاسن الآداب كي تتّعظوا وتتأدّبوا ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بالاحوال كلّها ﴿حَكِيمٌ﴾ في تدابيره ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ﴾ يريدون ﴿أَن تَشِيعَ﴾ أن تنتشر ﴿ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ الحد والسعير إلى غير ذلك ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ ما في الضمائر ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ فعاقبوا في الدنيا على ما دلّ عليه الظاهر، والله سبحانه يعاقب على ما في القلوب من حبّ الإشاعة ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ تكرير للمنّة بترك المعاجلة بالعقاب للدلالة على عظم الجريمة ولذا عطف ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ على حصول فضله ورحمته عليهم، وحذف الجواب وهو مستغنى عنه لذكره مرّة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ بإشاعة الفاحشة ﴿وَمَن يَتَّبِعْ﴾ إلى قوله: ﴿بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ الفحشاء: ما أفرط قبحه [قبيحه] والمنكر ما أنكره الشرع ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ بتوفيق التوبة الماحية للذنوب وشرع الحدود المكفّرة لها ﴿مَا زَكَىٰ﴾ ما طهر من دنسها ﴿مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ آخر الدهر ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ﴾ بحمله على التوبة وقبولها ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لمقالهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بنياتهم.

﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾ ولا يحلف أو ولا يقصر، روي أنّه نزل في أبي بكر وقد حلف أن لا ينفق على مسطح بعد، وكان ابن خالته، وكان من فقراء المهاجرين ﴿أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ﴾ في المال ﴿أَن يُؤْتُوٓاْ﴾ على أن لا يؤتوا، أو في أن يؤتوا ﴿أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ صفات لموصوف واحد أي ناساً جامعين لها لأنّ الكلام فيمن كان كذلك، أو لموصوفات أقيمت مقامها، فيكون أبلغ في تعليل المقصود ﴿وَلْيَعْفُواْ﴾ ما فرط منهم ﴿وَلْيَصْفَحُوٓاْ﴾ بالاغماض عنهم ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ على عفوكم وصفحكم وإحسانكم إلى من أساء إليكم ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ مع كمال قدرته فتخلقوا بأخلاقه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ العفائف ﴿ٱلْغَٰفِلَٰتِ﴾ مما قذفن به ﴿ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ بالله ورسوله استباحة لعرضهنّ وطعناً في الرسول كابن أبيّ ﴿لُعِنُواْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ لما طعنوا فيهنّ ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ لعظم ذنوبهم.

قوله ﴿دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ﴾ أي جزاؤهم المستحقّ، قوله: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾ أي الخبيثات يتزوّجن الخبائث وبالعكس، وكذا أهل الطيب فيكون كالدليل على قوله ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أي أهل بيت النبيّ ﷺ أو الرسول أو عائشة وصفوان ﴿مبرؤن ممّا يقولون﴾ إذ لو صدق لم تكن

زوجته ولم تقرر عليه ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ يعني الجنّة[1].

١ - فس: قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُو بِالْإِفْكِ﴾ إنّ العامّة روت أنّها نزلت في عائشة وما رميت به في غزوة بني المصطلق من خزاعة[2]، وأمّا الخاصّة فإنّهم رووا أنّها نزلت في مارية القبطيّة، وما رمتها به عائشة[3].

أقول: سيأتي ذكر القصّة في باب أحوال إبراهيم ومارية.

٢ - وفي تفسير النعمانيّ عن أمير المؤمنين عليه السلام ومنه الحديث في أمر عائشة وما رماها به عبد الله بن أبي سلول وحسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُو بِالْإِفْكِ﴾ الآية فكلّ ما كان من هذا وشبهه في كتاب الله فهو ممّا تأويله قبل تنزيله.

٢٠ - باب غزوة الحديبية وبيعة الرضوان وعمرة القضاء وسائر الوقائع

الآيات: البقرة «٢»: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾ «١١٤».

وقال سبحانه: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾. إلى قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ﴾ «١٩٦».

المائدة «٥»: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾﴾.

الأنفال «٨»: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾﴾.

الحج «٢٢»: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾.

الفتح «٤٨»: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ

(١) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ١٨٧.
(٢) راجع كتاب التاج الجامع للأصول في تفسير سورة النور.
(٣) تفسير القمي، ج ٢ ص ٧٥.

عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ ﴾.

إلى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ ﴾.

الممتحنة «٦٠»: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ ﴾.

تفسير: قال الطبرسيّ رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾: اختلفوا في المعنى بهذه الآية، فقال ابن عبّاس ومجاهد أنّهم الروم غزوا بيت المقدس وسعوا في خرابه

حتّى كان أيّام عمر فأظهر الله المسلمين عليهم، وصاروا لا يدخلونها إلاّ خائفين.

وقال الحسن وقتادة: هو بخت نصّر خرب بيت المقدس وأعانه عليه النصارى وروي عن أبي عبد الله عليه السلام أنّهم قريش حين منعوا رسول الله صلى الله عليه وآله دخول مكّة والمسجد الحرام، وبه قال البلخيّ والرمانيّ والجبائيّ(١).

وقال في قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: عن ابن عبّاس نزلت هذه الآية في صلح الحديبيّة، وذلك أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا خرج هو وأصحابه في العام الّذي أرادوا فيه العمرة وكانوا ألفاً وأربعمائة فساروا حتّى نزلوا الحديبية فصدهم المشركون عن البيت الحرام فنحروا الهدي بالحديبيّة، ثمّ صالحهم المشركون على أن يرجع في عامه ويعود العام القابل ويخلوا له مكّة ثلاثة أيّام فيطوف بالبيت ويفعل ما يشاء، فيرجع إلى المدينة من فوره، فلمّا كان العام المقبل تجهّز النبيّ صلى الله عليه وآله وأصحابه لعمرة القضاء وخافوا أن لا تفي لهم قريش بذلك، وأن يصدّوهم عن البيت الحرام ويقاتلوهم، فكره رسول الله صلى الله عليه وآله قتالهم في الشهر الحرام في الحرم، فأنزل الله هذه الآية، وعن الربيع بن أنس وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم هذه أولى آية نزلت في القتال، فلمّا نزلت كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقاتل من قاتله ويكفّ عمّن كفّ عنه حتّى نزلت: ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ فنسخت هذه الآية ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ﴾ أي لا تجاوزوا من قتال من هو أهل القتال إلى قتال من لم تؤمروا بقتاله، وقيل: معناه لا تعتدوا بقتال من لم يبدأكم بقتال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ واختلف في الآية فقال بعضهم: منسوخة كما ذكرنا، وروي عن ابن عبّاس ومجاهد أنّها غير منسوخة بل هي خاصة في النساء والذراري، وقيل: أمر بقتال أهل مكّة، وروي عن أئمتنا عليهم السلام أنّ هذه الآية ناسخة لقوله تعالى: ﴿كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ وكذلك قوله: ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ ناسخ لقوله: ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ﴾(٢).

﴿وَٱقْتُلُوهُمْ﴾ أي الكفّار ﴿حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ أي وجدتموهم ﴿وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾ يعني أخرجوهم من مكّة كما أخرجوكم منها ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ أي شركهم بالله وبرسوله أعظم من القتل في الشهر الحرام، وذلك أنّ رجلاً من الصحابة قتل رجلاً من الكفّار في الشهر الحرام فعابوا المؤمنين بذلك، فبيّن الله سبحانه أنّ الفتنة في الدين وهو الشرك أعظم من قتل المشركين في الشهر الحرام وإن كان غير جائز ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ﴾ نهي عن ابتدائهم بقتال أو قتل في الحرم حتّى يبتدئ المشركون بذلك ﴿فَإِن قَٰتَلُوكُمْ﴾ أي بدأوكم بذلك ﴿فَٱقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أن يقتلوا حيث ما وجدوا ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ﴾ أي امتنعوا من كفرهم بالتوبة ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ أي شرك عن

(١) مجمع البيان، ج ١ ص ٣٥٤.
(٢) مجمع البيان، ج ٢ ص ٢٨.

ابن عبّاس، وهو المرويّ عن أبي جعفر عليه السلام ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ أي وحتى تكون الطاعة لله والانقياد لأمره، أو حتّى يكون الإسلام لله ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا﴾ عن الكفر ﴿فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي فلا عقوبة عليهم، وإنّما العقوبة بالقتل على الكافرين المقيمين على الكفر فسمّى القتل عدواناً من حيث كان عقوبة على العدوان وهو الظلم ﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾ المراد به ههنا ذو القعدة وهو شهر الصدّ عام الحديبيّة، والأشهرالحرم أربعة: ذو القعدة وذو الحجّة والمحرّم ورجب، كانوا يحرّمون فيها القتال، وإنّما قيل: ذو القعدة لقعودهم فيه عن القتال، وقيل في تقديره وجهان: أحدهما: قتال الشهر الحرام بقتال الشهر الحرام فحذف المضاف وقيل: إنّه الشهر الحرام على جهة العوض لمّا فات في السنة الاولى، ومعناه الشهر الحرام ذو القعدة الّذي دخلتم فيه مكّة واعتمرتم وقضيتم منها وطركم في سنة سبع بالشهر الحرام ذي القعدة الّذي صددتم فيه عن البيت ومنعتم من مرادكم سنة ستّ ﴿وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنّ الحرمات قصاص بالمراغمة بدخول البيت في الشهر الحرام، قال مجاهد: لأنّ قريشاً فخرت بردّها رسول الله عام الحديبيّة محرماً في ذي القعدة عن البلد الحرام فأدخله الله تعالى مكّة في العام المقبل في ذي القعدة وقضى عمرته، وروي ذلك عن أبي جعفر عليه السلام، والثاني أنّ الحرمات قصاص بالقتل في الشهر الحرام أي لا يجوز للمسلمين إلاّ قصاصاً، قال الحسن: إنّ مشركي العرب قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله: أنهيت عن قتالنا في الشهر الحرام؟ قال: نعم، وإنّما أراد المشركون أن يغيروه في الشهر الحرام فيقاتلوه، فأنزل الله سبحانه هذا أي إن استحلوا منكم في الشهر الحرام شيئاً فاستحلوا منهم مثل ما استحلوا منكم، وإنّما جمع الحرمات لأنّه أراد حرمة الشهر، وحرمة البلد، وحرمة الإحرام، وقيل: أراد كلّ حرمة تستحل فلا تجوز إلاّ على وجه المجازاة ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ أي ظلمكم ﴿فَٱعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ أي فجازوه باعتدائه وقابلوه بمثله ﴿وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ﴾ فيما أمركم به ونهاكم عنه ﴿وَٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ بالنصرة لهم ﴿وَأَتِمُّوا ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ أي أتمّوهما بمناسكهما وحدودهما، واقصدوا بهما التقرّب إلى الله ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾ أي إن منعكم خوف أو عدوّ أو مرض فامتنعتم لذلك، وهو المرويّ عن أئمتنا عليهم السلام ﴿فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾ أي فعليكم ما سهل من الهدي، أو فاهدوا ما تيسّر من الهدي إذا أردتم الإحلال.

﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْيُ مَحِلَّهُۥ﴾ أي لا تتحلّلوا من إحرامكم حتّى يبلغ الهدي محله، وينحر أو يذبح، واختلف في محلّ الهدي فقيل: إنّه الحرم، وقيل: إنّه الموضع الّذي يصد فيه، لأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله نحر هديه بالحديبيّة وأمر أصحابه ففعلوا ذلك، وليست الحديبية من الحرم، وأمّا على مذهبنا فالاول حكم المحصر بالمرض، والثاني حكم المحصور بالعدوّ، وإن كان الإحرام بالحج فمحلّه منى يوم النحر، وإن كان الإحرام بالعمرة فمحلّه مكّة[1].

(١) مجمع البيان، ج ٢ ص ٣٠.

قوله تعالى: ﴿لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ﴾. قال البيضاويّ: نزلت عام الحديبية ابتلاهم الله بالصيد، وكانت الوحوش تغشاهم في رحابهم بحيث يتمكّنون من صيدها أخذاً بأيديهم، وطعناً برماحهم وهم محرمون، والتقليل والتحقير في ﴿بِشَيْءٍ﴾ للتنبيه على أنّه ليس من العظائم الّتي تدحض الأقدام كالابتلاء ببذل الأنفس والأموال، فمن لم يثبت عنده كيف يثبت عند ما هو أشدّ منه ﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾ ليتميز الخائف من عقابه وهو غائب منتظر لقوة إيمانه ممّن لا يخافه لضعف قلبه وقلّة إيمانه، فذكر العلم وأراد وقوع المعلوم وظهوره، أو تعلّق العلم ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ بعد ذلك الابتلاء بالصيد[١].

قوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾ قال البيضاويّ: أي وما لهم ممّا يمنع تعذيبهم متى ذلك؟ وكيف لا يعذّبون ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ وحالهم ذلك، ومن صدّهم عنه إلجاء الرسول ﷺ والمؤمنين إلى الهجرة، وإحصارهم عام الحديبيّة ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ﴾ مستحقّين ولاية أمره مع شركهم، وهو رد لما كانوا يقولون: نحن ولاة البيت والحرم فنصدّ من نشاء وندخل من نشاء ﴿إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ﴾ من الشرك الّذين لا يعبدون فيه غيره، وقيل: الضميران لله ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن لا ولاية لهم عليه[٢].

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ لا يريد به حالاً ولا استقبالاً، وإنّما يريد استمرار الصدّ منهم، ولذلك حسن عطفه على الماضي، والمسجد الحرام عطف على اسم الله ﴿الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾ أي المقيم والطارئ ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ﴾ مما ترك مفعوله ليتناول كلّ متناول ﴿بِإِلْحَادٍ﴾ عدول عن القصد ﴿بِظُلْمٍ﴾ بغير حقّ، وهما حالان مترادفان، أو الثاني بدل من الأوّل بإعادة الجارّ أو صلة له، أي ملحداً بسبب الظلم كالإشراك واقتراف الآثام ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ جواب لمن[٣].

وقال الطبرسيّ رحمه الله: قيل: إنّ الآية نزلت في الّذين صدّوا رسول الله ﷺ عام الحديبيّة[٤].

وقال رحمه الله في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾: المراد بالبيعة هنا بيعة الحديبيّة، وهي بيعة الرضوان بايعوا رسول الله ﷺ على الموت ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ يعني أنّ المبايعة معك تكون مبايعة مع الله، لأنّ طاعتك طاعة الله، وإنّما سمّيت بيعة لأنّها عقدت على بيع أنفسهم بالجنّة للزومهم في الحرب النصرة ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ أي عقد الله في هذه البيعة فوق عقدهم، لأنّهم بايعوا الله ببيعة نبيّه فكأنّهم بايعوه من غير واسطة، وقيل: معناه قوّة الله في نصرة نبيّه فوق نصرتهم إيّاه، أي ثق بنصرة الله لك لا بنصرتهم وإن بايعوك، وقيل: نعمة الله عليهم بنبيّه فوق أيديهم بالطاعة والمبايعة، وقيل: يد الله بالثواب وما وعدهم على بيعتهم من

---

(١) تفسير البيضاوي، ج ١ ص ٤٥٦.
(٢) تفسير البيضاوي، ج ٢ ص ١٤٨.
(٣) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ١٣٩.
(٤) مجمع البيان، ج ٧ ص ١٤٤.

الجزاء فوق أيديهم بالصّدق والوفاء ﴿فَمَن نَّكَثَ﴾ أي نقض ما عقد من البيعة ﴿فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ أي يرجع ضرر ذلك النقض عليه، وليس له الجنّة ولا كرامة ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ﴾ أي ثبت على الوفاء ﴿بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ﴾ من البيعة ﴿فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ أي ثواباً جزيلاً ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ أي الّذين تخلّفوا عن صحبتك في وجهتك وعمرتك، وذلك أنه ﷺ لمّا أراد المسير إلى مكّة عام الحديبيّة معتمراً وكان في ذي القعدة من سنة ستّ من الهجرة استنفر من حول المدينة من الأعراب إلى الخروج معه، وهم غفار وأسلم ومزينة وجهينة وأشجع والدئل، حذراً من قريش أن يعرضوا له بحرب، أو بصدّ، وأحرم بالعمرة، وساق معه الهدي ليعلم النّاس أنّه لا يريد حرباً، فتثاقل عنه كثير من الأعراب فقالوا: نذهب معه إلى قوم قد جاءوه وقتلوا أصحابه فتخلّفوا عنه واعتلّوا بالشغل، فقال سبحانه: إنّهم يقولون لك إذا انصرفت إليهم فعاتبتهم على التخلف عنك: ﴿شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا﴾ عن الخروج معك ﴿فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا﴾ في قعودنا عنك فكذّبهم الله تعالى فقال: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ﴾ أي لا يبالون استغفر لهم النبيّ أم لا ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا﴾ أي غنيمة، وذلك أنّهم ظنّوا أنّ تخلّفهم عن النبيّ ﷺ يدفع عنهم الضر، أو يعجّل لهم النفع بالسلامة في أنفسهم وأموالهم، فأخبرهم سبحانه أنه إن أراد بهم شيئاً من ذلك لم يقدر أحد على دفعه عنهم ﴿بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا﴾ أي عالماً بما كنتم تعملون في تخلّفكم ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا﴾ أي ظننتم أنّهم لا يرجعون إلى من خلفوا بالمدينة من الأهل والأولاد، لأنّ العدو يستأصلهم ويصطلمهم ﴿وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ أي زين الشيطان ذلك الظن في قلوبكم ﴿وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾ في هلاك النبيّ ﷺ والمؤمنين، وكلّ هذا من الغيب الّذي لا يطلع عليه أحد إلاّ الله، فصار معجزاً لنبينا ﷺ ﴿وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا﴾ أي هلكى لا تصلحون لخير، وقيل: قوماً فاسدين.

﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ﴾ يعني هؤلاء ﴿إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا﴾ يعني غنائم خيبر ﴿ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ﴾ أي اتركونا نجيء معكم، وذلك أنّهم لمّا انصرفوا من الحديبية بالصلح وعدهم الله سبحانه فتح خيبر وخص بغنائمها من شهد الحديبية، فلمّا انطلقوا اليها قال هؤلاء المخلفون: ﴿ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ﴾ فقال سبحانه: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾ أي مواعيد الله لأهل الحديبيّة بغنيمة خيبر خاصة، أرادوا تغيير ذلك بأن يشاركوهم فيها، وقيل: يريد أمر الله لنبيّه أن لا يسير معه منهم أحد ﴿قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ أي قال الله بالحديبية قبل خيبر وقبل مرجعنا إليكم: إنّ غنيمة خيبر لمن شهد الحديبيّة لا يشركهم فيها غيرهم ﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾ أن نشارككم في الغنيمة ﴿بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ﴾ الحق ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي إلاّ فقهاً قليلاً أو شيئاً قليلاً.

قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ قد مرّ تفسيره في باب نوادر الغزوات.

﴿لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾ أي ضيق في ترك الحضور مع المؤمنين في الجهاد قال مقاتل: عذر الله أهل الزمانة والآفات الّذين تخلّفوا عن المسير إلى الحديبيّة بهذه الآية.

قوله تعالى: ﴿إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ يعني بيعة الحديبيّة تحت الشجرة المعروفة، وهي شجرة السمرة، وتسمّى بيعة الرضوان لهذه الآية، ورضى الله سبحانه عنهم هو إرادته تعظيمهم وإثابتهم ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من صدق النيّة في القتال والكراهة له لأنّه بايعهم على القتال. وقيل: ما في قلوبهم من الصبر واليقين والوفاء ﴿فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ وهي اللطف المقوّي لقلوبهم والطمأنينة ﴿وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ يعني فتح خيبر، وقيل: فتح مكّة ﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾ يعني غنائم خيبر، فإنّها كانت مشهورة بكثرة المال والعقار، وقيل: يعني غنائم هوازن بعد فتح مكّة[1].

أقول: قد مضى تفسير بقيّة الآيات في باب نوادر الغزوات.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾ أي بالرعب، قيل: سبب نزوله أنّ المشركين بعثوا أربعين رجلاً عام الحديبيّة ليصيبوا من المسلمين، فأُتي بهم إلى النبيّ ﷺ أسارى فخلّى سبيلهم عن ابن عبّاس، وقيل: إنّهم كانوا ثمانين رجلاً من أهل مكّة هبطوا من جبل التنعيم عند صلاة الفجر عام الحديبيّة ليقتلوهم، فأخذهم رسول الله ﷺ وأعتقهم، عن أنس وقيل: كان رسول الله ﷺ جالساً في ظلّ شجرة وبين يديه عليّ عليه السلام يكتب كتاب الصلح فخرج ثلاثون شابّاً عليهم السلاح، فدعا عليهم النبيّ ﷺ فأخذ الله تعالى بأبصارهم فقمنا فأخذناهم فخلّى ﷺ سبيلهم، فنزلت هذه الآية عن عبد الله بن المغفّل ﴿وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم﴾ بالنهي ﴿مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ ذكر الله تعالى منّته على المؤمنين بحجزه بين الفريقين حتّى لم يقتتلا، وحتى اتّفق بينهم الصلح الّذي كان أعظم من الفتح ﴿وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أن تطوفوا وتحلّوا من عمرتكم، يعني قريشاً ﴿وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ﴾ أي وصدّوا الهدي وهي البدن الّتي ساقها رسول الله ﷺ معه، وكانت سبعين بدنة حتّى بلغ ذا الحليفة، فقلد البدن الّتي ساقها وأشعرها وأحرم بالعمرة حتى نزل بالحديبيّة ومنعه المشركون، وكان الصلح، فلمّا تمّ الصلح نحروا البدن، وذلك قوله: ﴿مَعْكُوفًا﴾ أي محبوساً من ﴿أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ﴾ أي منحره يعني مكّة ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ﴾ يعني المستضعفين الّذين كانوا بمكّة بين الكفّار من أهل الإيمان ﴿لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾ بأعيانهم لاختلاطهم بغيرهم ﴿أَن تَطَئُوهُمْ﴾ بالقتل وتوقعوا بهم ﴿فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ﴾ أي إثم وجناية، أو عيب يعيبكم المشركون بأنّهم قتلوا أهل دينهم، وقيل: هي غرم الدية والكفّارة في قتل الخطأ عن ابن عبّاس، وذلك أنّهم لو كبسوا مكّة وفيها قوم مؤمنون لم يتميّزوا من الكفّار ولم يأمنوا أن يقتلوا المؤمنين فتلزمهم الكفّارة، وتلحقهم السبّة بقتل من على دينهم، فهذه المعرّة الّتي صان الله المؤمنين عنها،

---

(١) مجمع البيان، ج ٩ ص ١٨٨.

وجواب ﴿لَوْلَا﴾ محذوف وتقديره: لولا المؤمنون الّذين لم تعلموهم لوطئتم رقاب المشركين بنصرنا إيّاكم، وقوله: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ موضعه التقديم، لأنّ التقدير لولا أنّ تطأوهم بغير علم وقوله: ﴿لِيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ اللام متعلّق بمحذوف دلّ عليه معنى الكلام، تقديره فحال بينكم وبينهم ليدخل الله في رحمته من يشاء، يعني من أسلم من الكفّار بعد الصلح، وقيل: ليدخل الله في رحمته أولئك بسلامتهم من القتل، ويدخل هؤلاء في رحمته بسلامتهم من الطعن والعيب ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا۟﴾ أي لو تميز المؤمنون من الكافرين ﴿لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ﴾ أي من أهل مكّة ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ بالسيف والقتل بأيديكم، ولكن الله يدفع بالمؤمنين عن الكفّار ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ﴾ إذ يتعلّق بقوله: ﴿لَعَذَّبْنَا﴾ أي لعذّبنا الّذين كفروا وأذنّا لك في قتالهم حين جعلوا في قلوبهم الأنفة الّتي تحمي الإنسان، أي حميت قلوبهم بالغضب، ثمّ فسّر تلك الحمية فقال: ﴿حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ أي عادة آبائهم في الجاهلية أن لا يذعنوا لأحد ولا ينقادوا له، وذلك أنّ كفّار مكّة قالوا: قد قتل محمّد وأصحابه آباءنا وإخواننا ويدخلون علينا في منازلنا فتحدّث العرب أنّهم دخلوا علينا على رغم أنفنا، واللّات والعزّى لا يدخلونها علينا، فهذه حميّة الجاهليّة الّتي دخلت قلوبهم، وقيل: هي أنفتهم من الإقرار لمحمّد ﷺ بالرسالة، والاستفتاح ببسم الله الرحمن الرحيم، حيث أراد أن يكتب كتاب العهد بينهم عن الزهريّ ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ﴾ إلى قوله: ﴿كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ وهي قول: لا إله إلاّ الله ﴿وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ قيل: إنّ فيه تقديماً وتأخيراً، والتقدير كانوا أهلها وأحقّ بها، أي كان المؤمنون أهل تلك الكلمة وأحقّ بها من المشركين، وقيل: كانوا أحقّ بنزول السكينة عليهم وأهلاً لها، وقيل: كانوا أحقّ بمكّة أن يدخلوها وأهلها ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ لما ذم الكفّار بالحميّة، ومدح المؤمنين بلزوم الكلمة والسكينة بيّن علمه ببواطن سرائرهم وما ينطوي عليه عقد ضمائرهم ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ﴾ قالوا: إنّ الله تعالى أرى نبيّه في المنام بالمدينة قبل أن يخرج إلى الحديبيّة أنّ المسلمين دخلوا المسجد الحرام، فأخبر بذلك أصحابه، ففرحوا وحسبوا أنّهم داخلوا مكّة عامهم ذلك، فلمّا انصرفوا ولم يدخلوا مكّة قال المنافقون: ما حلقنا ولا قصّرنا ولا دخلنا المسجد الحرام، فأنزل الله هذه الآية، وأخبر أنّه أرى رسوله الصدق في منامه لا الباطل، وأنهم يدخلونه، وأقسم على ذلك فقال: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾ يعني العام المقبل ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ قال أبو العباس: استثنى الله فيما يعلم ليستثني النّاس فيما لا يعلمون، وقيل: إنّ الاستثناء من الدخول، وكان بين نزول الآية والدخول سنة. وقد مات منهم ناس في السنة، فيكون تقديره ليدخلنّ كلّكم إن شاء الله، إذ علم أنّ منهم من يموت قبل السنة أو يمرض فلا يدخلها فأدخل الاستثناء لئلا يقع في الخبر خلف، وقيل: إنّ الاستثناء داخل على الخوف والأمن، فأمّا الدخول فلا شكّ فيه، وتقديره لتدخلنّ آمنين من العدوّ إن شاء الله،

وقيل: إنّ (إن) هٰهنا بمعنى (إذ) أي إذ شاء الله حين أرى رسوله، ذلك عن أبي عبيدة ﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾ أي محرمين يحلق بعضكم رأسه، ويقصر بعض، وهو أن يأخذ بعض الشعر ﴿لَا تَخَافُونَ﴾ مشركاً ﴿فَعَلِمَ﴾ من الصلاح في صلح الحديبية ﴿مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾ وقيل: علم في تأخير دخول المسجد الحرام من الخير والصلاح ما لم تعلموا أنتم، وهو خروج المؤمنين من بينهم، وغير ذلك ﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ﴾ أي قبل الدخول ﴿فَتْحًا قَرِيبًا﴾ يعني فتح خيبر، أو صلح الحديبية[1].

ثم قال رحمه الله: قصّة فتح الحديبية: قال ابن عبّاس: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله خرج يريد مكّة، فلمّا بلغ الحديبيّة وقفت ناقته وزجرها فلم تنزجر، وبركت الناقة، فقال أصحابه: خلأت الناقة، فقال صلى الله عليه وآله: «ما هذا لها عادة ولكن حبسها حابس الفيل» ودعا عمر بن الخطّاب ليرسله إلى أهل مكّة ليأذنوا له بأن يدخل مكّة ويحلّ من عمرته وينحر هديه، فقال: يا رسول الله ما لي بها حميم، وإنّي أخاف قريشاً لشدّة عداوتي إيّاها، ولكن أدلّك على رجل هو أعزّ بها مني: عثمان بن عفّان، فقال: صدقت، فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله عثمان فأرسله إلى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنّه لم يأت لحرب، وإنّما جاء زائراً لهذا البيت، معظّماً لحرمته، فاحتبسته قريش عندها. فبلغ رسول الله صلى الله عليه وآله والمسلمين أنّ عثمان قد قتل، فقال صلى الله عليه وآله: «لا نبرح حتّى نناجز القوم» فدعا النّاس إلى البيعة، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الشجرة فاستند إليها وبايع النّاس على أن يقاتلوا المشركين ولا يفرّوا، قال عبد الله بن مغفّل: كنت قائماً على رأس رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك اليوم وبيدي غصن من السّمرة أذبّ عنه وهو يبايع النّاس، فلم يبايعهم على الموت، وإنّما بايعهم على أن لا يفرّوا.

وروى الزهريّ وعروة بن الزبير والمسور بن مخرمة قالوا: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله من المدينة في بضع عشرة مائة من أصحابه حتّى إذا كانوا بذي الحليفة قلد رسول الله صلى الله عليه وآله الهدي وأشعره وأحرم بالعمرة، وبعث بين يديه عيناً له من خزاعة يخبره عن قريش، وسار رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى إذا كان بغدير الأشطاط قريباً من عسفان أتاه عينه الخزاعيّ فقال: إنّي تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي قد جمعوا لك الأحابيش وجمعوا لك جموعاً وهم قاتلوك أو مقاتلوك وصادّوك عن البيت، فقال صلى الله عليه وآله: «روحوا» فراحوا حتّى إذا كانوا ببعض الطريق، قال النبيّ صلى الله عليه وآله: «إنّ خالد بن الوليد بالغميم في خيل قريش طليعة فخذوا ذات اليمين» وسار صلى الله عليه وآله حتّى إذا كان بالثنيّة بركت راحلته، فقال صلى الله عليه وآله: «ما خلأت القصوى ولكن حبسها حابس الفيل» ثم قال: «والله لا يسألوني خطّة يعظّمون فيها حرمات الله إلاّ أعطيتهم إيّاها» ثمّ زجرها فوثبت به قال: فعدل حتّى نزل بأقصى الحديبيّة على ثمد قليل الماء إنّما يتبرّضه النّاس تبرّضاً، فشكوا إليه العطش، فانتزع سهماً من كنانته ثمّ أمرهم أن يجعلوه

(١) مجمع البيان، ج ٩ ص ٢٠٥.

في الماء فوالله ما زال يجيش لهم بالري حتّى صدروا عنه، فبينما هم كذلك إذ جاءهم بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من خزاعة وكانوا عيبة نصح رسول الله ﷺ من أهل تهامة، فقال: إنّي تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي ومعهم العوذ المطافيل، وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت، فقال رسول الله ﷺ: «إنا لم نجئ لقتال أحد ولكنّا جئنا معتمرين وإنّ قريشاً قد نهكتهم الحرب وأضرّت بهم فإن شاءوا ماددتهم مدّة ويخلّوا بيني وبين النّاس وإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه النّاس فعلوا وإلا فقد جموا وإن أبوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنّهم على أمري هذا حتّى تنفرد سالفتي أو لينفذن الله تعالى أمره» فقال بديل: سأبلغهم ما تقول، فانطلق حتّى أتى قريشاً فقال: إنّا قد جئناكم من عند هذا الرجل، وإنّه يقول كذا وكذا، فقام عروة بن مسعود الثقفيّ فقال: إنّه قد عرض عليكم خطّة رشد فاقبلوها ودعوني آته، فقالوا: ائته، فأتاه فجعل يكلّم النبيّ ﷺ وقال له رسول الله ﷺ نحواً من قوله لبديل فقال عروة عند ذلك: أي محمّد أرأيت إن استأصلت قومك هل سمعت بأحد من العرب اجتاح اصله قبلك، وإن تكن الأخرى فوالله إنّي لأرى وجوهاً وأرى أوباشاً من النّاس خلقاء أن يفرّوا ويدعوك، فقال له أبو بكر: امصص بظر اللّات أنحن نفرّ عنه وندعه؟ فقال: من ذا، قالوا: أبو بكر، قال: أما والّذي نفسي بيده لولا يد كانت لك عندي لم أجزك بها لأجبتك، قال: وجعل يكلّم النبيّ ﷺ، وكلّما كلّمه أخذ بلحيته، والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبيّ ﷺ ومعه السيف وعليه المغفر، فكلّما أهوى عروة بيده إلى لحية رسول الله ﷺ ضرب يده بنعل السيف، وقال: أخّر يدك عن لحية رسول الله ﷺ قبل أن لا ترجع إليك، فقال: من هذا؟ قالوا المغيرة بن شعبة، قال: أي غدر أولست أسعى في غدرتك؟ قال: وكان المغيرة صحب قوماً في الجاهليّة فقتلهم وأخذ أموالهم، ثمّ جاء فأسلم، فقال النبيّ ﷺ: «أما الإسلام فقد قبلنا، وأمّا المال فإنّه مال غدر لا حاجة لنا فيه».

ثم إنّ عروة جعل يرمق صحابة النبيّ ﷺ إذا أمرهم رسول الله ﷺ ابتدروا أمره، وإذا توضأ ثاروا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلّموا خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدّون إليه النظر تعظيماً له، قال: فرجع عروة إلى أصحابه وقال: أي قوم! والله لقد وفدت على الملوك، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشيّ، والله إن رأيت ملكاً قطّ يعظّمه أصحابه ما يعظّم أصحاب محمّد محمّداً، إذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضّأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدّون إليه النظر تعظيماً له، وإنّه قد عرض عليكم خطّة رشد فاقبلوها، فقال رجل من بني كنانة: دعوني آته، فقال: ائته، فلمّا أشرف عليهم قال رسول الله ﷺ: «هذا فلان وهو من قوم يعظّمون البدن فابعثوها» فبعثت له، واستقبله القوم يلبّون، فلمّا رأى ذلك قال [لأصحابه]: سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدّوا عن البيت، فقام رجل منهم يقال له: مكرز بن حفص فقال: دعوني آته، فقالوا: ائته، فلمّا أشرف عليهم قال النبيّ ﷺ: «هذا مكرز وهو رجل فاجر» فجعل يكلّم النبيّ ﷺ فبينا هو يكلمه إذ جاء

سهيل بن عمرو فقال صلى الله عليه وآله: قد سهّل الله عليكم أمركم، فقال: اكتب بيننا وبينك كتاباً، فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال له: «اكتب بسم الله الرحمن الرحيم» فقال سهيل: أمّا الرحمن فوالله ما أدري ما هو ولكن اكتب باسمك اللهم، فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلاّ بسم الله الرحمن الرحيم، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: «اكتب باسمك اللّهم، هذا ما قاضى عليه محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله» فقال سهيل: لو كنّا نعلم أنّك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب محمّد بن عبد الله، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: «إني لرسول الله وإن كذّبتموني» ثم قال لعليّ عليه السلام «امح رسول الله» فقال: يا رسول الله إنّ يدي لا تنطلق بمحو اسمك من النبوّة فأخذه رسول الله صلى الله عليه وآله فمحاه، ثمّ قال: «اكتب هذا ما قاضى عليه محمّد بن عبد الله سهيل بن عمرو واصطلحا على وضع الحرب عن النّاس عشر سنين يأمن فيهنّ النّاس، ويكفّ بعضهم عن بعض، وعلى أنّه من قدم مكّة من أصحاب محمّد حاجّاً أو معتمراً أو يبتغي من فضل الله فهو آمن على دمه وماله، ومن قدم المدينة من قريش مجتازاً إلى مصر أو الشام فهو آمن على دمه وماله، فإن بيننا عيبة مكفوفة، وإنّه لا إسلال ولا إغلال، وإنّه من أحبّ أن يدخل في عقد محمّد وعهده دخل فيه، ومن أحبّ أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه».

فتواثبت خزاعة فقالوا: نحن في عقد محمّد وعهده، وتواثبت بنو بكر فقالوا: نحن في عقد قريش وعهدهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «على أن يخلّوا بيننا وبين البيت فنطوف» فقال سهيل: والله ما تتحدّث العرب أنّا أخذنا ضغطة، ولكن ذلك من العام المقبل. فكتب، فقال سهيل: على أنّه لا يأتيك منّا رجل وإن كان على دينك إلاّ رددته إلينا، ومن جاءنا ممّن معك لم نردّه عليك، فقال المسلمون سبحان الله كيف يردّ إلى المشركين وقد جاء مسلماً؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من جاءهم منّا فأبعده الله ومن جاءنا منهم رددناه إليهم، فلو علم الله الإسلام من قلبه جعل له مخرجاً» فقال سهيل: وعلى أنّك ترجع عنّا عامك هذا فلا تدخل علينا مكّة فإذا كان عام قابل خرجنا عنها لك فدخلتها بأصحابك فأقمت بها ثلاثاً ولا تدخلها بالسلاح إلاّ السيوف في القراب وسلاح الراكب، وعلى أنّ هذا الهدي حيث ما حبسناه محلّه لا تقدمه علينا، فقال صلى الله عليه وآله: «نحن نسوق وأنتم تردّون؟» فبينا هم كذلك إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده قد خرج من أسفل مكّة حتّى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين، فقال سهيل: هذا يا محمّد أوّل ما أقاضيك عليه أن تردّه، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: «إنا لم نرض بالكتاب بعد» قال: والله إذاً لا أصالحك على شيء أبداً، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: «فأجره لي» قال: ما أنا بمجيره لك، قال: «بلى فافعل» قال: ما أنا بفاعل، قال مكرز: بلى قد أجرناه، قال أبو جندل بن سهيل: معاشر المسلمين أردّ إلى المشركين وقد جئت مسلماً؟ ألا ترون ما قد لقيت؟ وكان قد عذّب عذاباً شديداً، فقال عمر بن الخطّاب: والله ما شككت منذ أسلمت إلاّ يومئذ فأتيت النبيّ صلى الله عليه وآله فقلت: ألست نبيّ الله؟ قال: «بلى» قلت: ألسنا على الحقّ وعدوّنا على الباطل؟ قال: «بلى» قلت: فلم نعطي الدنيّة في ديننا إذاً؟ قال: «إنّي رسول الله،

ولست أعصيه، وهو ناصري» قلت: أولست تحدّثنا أنا سنأتي البيت ونطوف حقّاً؟ قال: «بلى» أفأخبرتك أنّا نأتيه العام؟» قلت: لا، قال: «فإنك تأتيه وتطوف به» فنحر رسول الله ﷺ بدنه ودعا بحالقه فحلق شعره ثمّ جاءه نسوة مؤمنات فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ﴾ الآية.

قال محمّد بن إسحاق بن بشار: وحدّثني بريدة بن سفيان، عن محمّد بن كعب أنّ كاتب رسول الله ﷺ في هذا الصلح كان عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فقال له رسول الله ﷺ: «اكتب هذا ما صالح عليه محمّد بن عبد الله سهيل بن عمرو» فجعل عليّ عليه السلام يتلكأ ويأبى أن يكتب إلاّ محمّد رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «فإن لك مثلها تعطيها وأنت مضطهد» فكتب ما قالوا، ثمّ رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة فجاء أبو بصير رجل من قريش وهو مسلم فأرسلوا في طلبه رجلين، فقالوا: العهد الّذي جعلت لنا، فدفعه إلى الرجلين فخرجا به حتّى بلغا ذا الحليفة فنزلوا يأكلون من تمر لهم، فقال أبو بصير لأحد الرجلين: إنّي لأرى سيفك هذا جيداً، فاستلّه وقال: أجل إنّه لجيّد وجرّبت به ثمّ جرّبت، فقال أبو بصير: أرني أنظر إليه، فأمكنه منه فضربه به حتّى برد، وفرّ الآخر حتّى بلغ المدينة فدخل المسجد يعدو، فقال رسول الله ﷺ حين رآه: «لقد رأى هذا ذعراً» فلما انتهى إلى النبيّ ﷺ قال: قتل والله صاحبي وإنّي لمقتول، قال: فجاء أبو بصير فقال: يا نبيّ الله قد أوفى الله ذمتك ورددتني إليهم ثمّ أنجاني الله منهم، فقال النبيّ ﷺ: «ويل أمّه مسعر حرب لو كان له أحد» فلمّا سمع ذلك عرف أنّه سيردّه إليهم، فخرج حتّى أتى سيف البحر، وانفلت منهم أبو جندل بن سهيل فلحق بأبي بصير، فلا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلاّ لحق بأبي بصير حتّى اجتمعت عليه عصابة، قال: فوالله لا يسمعون بعير لقريش قد خرجت إلى الشام إلاّ اعترضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم، فأرسلت قريش إلى النبيّ ﷺ تناشده الله والرحم لمّا أرسل إليهم، فمن أتاه منهم فهو آمن، فأرسل ﷺ إليهم فأتوه[1].

ثم قال رحمه الله في ذكر عمرة القضاء: وكذلك جرى الأمر في عمرة القضاء في السنة التالية للحديبيّة وهي سنة سبع من الهجرة في ذي القعدة، وهو الشهر الّذي صده فيه المشركون عن المسجد الحرام، فخرج النبيّ ﷺ ودخل مكّة مع أصحابه معتمرين، وأقاموا بمكّة ثلاثة أيّام، ثمّ رجعوا إلى المدينة.

وعن الزهريّ قال: بعث رسول الله ﷺ جعفر بن أبي طالب بين يديه إلى ميمونة بنت الحارث العامريّة فخطبها ﷺ فجعلت أمرها إلى العبّاس بن عبد المطّلب، وكانت تحته أختها أمّ الفضل بنت الحارث، فزوّجها العبّاس من رسول الله ﷺ، فلمّا قدم رسول الله ﷺ أمر أصحابه فقال: «اكشفوا عن المناكب واسعوا في الطواف» ليرى المشركون

---

(١) مجمع البيان، ج ٩ ص ١٩٤.

جلدهم وقوّتهم، فاستكفّ أهل مكّة الرجال والنساء والصبيان ينظرون إلى رسول الله ﷺ وأصحابه وهم يطوفون بالبيت، وعبدالله بن رواحة يرتجز بين يدي رسول الله متوشّحاً بالسيف يقول:

خلّوا بني الكفّار عن سبيله قد أنزل الرحمن في تنزيله
في صحف تتلى على رسوله اليوم نضربكم على تأويله
كما ضربناكم على تنزيله ضرباً يزيل الهام عن مقيله
ويذهل الخليل عن خليله يا ربّ إنّي مؤمن بقيله
إنّي رأيت الحقّ في قبوله

ويشير بيده إلى رسول الله ﷺ، وأنزل الله في تلك العمرة: ﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾ وهو أنّ رسول الله ﷺ اعتمر في الشهر الحرام الّذي صدّ فيه[1].

وقال في قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ﴾: قال ابن عبّاس: صالح رسول الله ﷺ بالحديبيّة مشركي مكّة على أنّ من أتاه من أهل مكّة ردّه عليهم ومن أتى أهل مكّة من أصحاب رسول الله ﷺ فهو لهم ولم يردّوه عليه، وكتبوا بذلك كتاباً وختموا عليه، فجاءت سبيعة بنت الحارث الأسلميّة مسلمة بعد الفراغ من الكتاب والنبي ﷺ بالحديبيّة، فأقبل زوجها مسافر من بني مخزوم - وقال مقاتل: هو صيفي بن الراهب - في طلبها، وكان كافراً، فقال: يا محمّد اردد عليّ امرأتي فإنّك قد شرطت لنا أن تردّ علينا من أتاك منّا، وهذه طينة الكتاب لم تجف بعد فنزلت الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ﴾ من دار الكفر إلى دار الإسلام ﴿فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾ قال ابن عبّاس: امتحانهنّ، أن يستحلفن ما خرجن من بغض زوج ولا رغبة عن أرض إلى أرض، ولا التماس دنيا، ولا خرجت إلاّ حبّاً لله ولرسوله، فاستحلفها رسول الله ﷺ ما خرجت بغضاً لزوجها، ولا عشقاً لرجل منّا، وما خرجت إلاّ رغبة في الإسلام، فحلفت بالله الّذي لا إله إلاّ هو على ذلك، فأعطى رسول الله ﷺ زوجها مهرها وما أنفق عليها ولم يردّها عليه، فتزوّجها عمر بن الخطّاب، فكان رسول الله ﷺ يردّ من جاءه من الرجال، ويحبس من جاءه من النساء إذ امتحن ويعطي أزواجهن مهورهنّ، قال الزهريّ ولمّا نزلت هذه الآية وفيها قوله: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾ طلق عمر بن الخطّاب امرأتين كانتا له بمكّة مشركتين: قريبة بنت أميّة بن المغيرة، فتزوّجها بعده معاوية بن أبي سفيان وهما على شركهما بمكّة، والأخرى أمّ كلثوم بنت عمرو بن جرول الخزاعية أمّ عبد الله بن عمر، فتزوجها أبو جهم بن حذافر بن غانم رجل من قومه وهما على شركهما، وكانت عند طلحة بن عبيد الله أروى بنت ربيعة بن الحارث بن عبد المطّلب ففرّق بينهما الإسلام حين نهى القرآن عن التمسّك بعصم الكوافر، وكان طلحة قد هاجر وهي بمكّة

(١) مجمع البيان، ج ٩ ص ٢١١.

عند قومها كافرة، ثمّ تزوّجها في الإسلام بعد طلحة خالد بن سعيد بن العاص بن أميّة، وكانت ممّن فرّ إلى رسول الله ﷺ من نساء الكفّار، فحبسها وزوّجها خالداً، وأميمة بنت بشر كانت عند ثابت بن الدحداحة ففرّت منه وهو يومئذ كافر إلى رسول الله ﷺ، فزوّجها رسول الله ﷺ سهل بن حنيف فولدت عبد الله بن سهل.

قال الشعبيّ: وكانت زينب بنت رسول الله ﷺ امرأة أبي العاص بن الربيع فأسلمت ولحقت بالنبي ﷺ في المدينة، وأقام أبو العاص مشركاً بمكّة ثمّ أتى المدينة فأمنته زينب، ثمّ أسلم فردها عليه رسول الله ﷺ.

وقال الجبائيّ: لم يدخل في شرط صلح الحديبيّة إلاّ ردّ الرجال دون النساء ولم يجر للنساء ذكر، وإنّ أمّ كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط جاءت مسلمة مهاجرة من مكّة فجاء أخواها إلى المدينة فسألا رسول الله ﷺ ردّها عليهما، فقال رسول الله ﷺ: «إن الشرط بيننا في الرجال لا في النساء» فلم يردّها عليهما قال الجبائيّ وإنّما لم يجر هذا الشرط في النساء لأنّ المرأة إذا أسلمت لم تحلّ لزوجها الكافر فكيف تردّ عليه وقد وقعت الفرقة بينهما؟ ﴿فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾ بالإيمان أي استوصفوهنّ الإيمان وسمّاهن مؤمنات قبل أن يؤمنّ، لأنّهن اعتقدن الإيمان ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ﴾ أي كنتم تعلمون بالامتحان ظاهر إيمانهنّ، والله يعلم حقيقة إيمانهنّ في الباطن، ثمّ اختلفوا في الامتحان على وجوه:

أحدها: إنّ الامتحان أن يشهدن أن لا إله إلاّ الله، وأن محمّداً رسول الله عن ابن عبّاس.

وثانيها: ما روي عن ابن عبّاس أيضاً في رواية أخرى أنّ امتحانهنّ أن يحلفن ما خرجن إلاّ للدين والرغبة في الإسلام، ولحبّ الله ورسوله، ولم يخرجن لبغض زوج ولا لالتماس دنيا وروي ذلك عن قتادة.

وثالثها: أنّ امتحانهنّ بما في الآية الّتي بعد وهو ﴿أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ﴾ الآية عن عائشة، ثمّ قال سبحانه: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ﴾ يعني في الظاهر ﴿فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ أي لا تردّوهن إليهم ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ وهذا يدلّ على وقوع الفرقة بينهما لخروجها مسلمة وإن لم يطلّق المشرك. ﴿وَآتُوهُم مَّا أَنفَقُوا﴾ أي وآتوا أزواجهنّ الكفّار ما أنفقوا عليهنّ من المهر، عن ابن عبّاس ومجاهد وقتادة، قال الزهريّ: لولا الهدنة لم يردّ إلى المشركين الصداق كما كان يفعل قبل ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ أي ولا جناح عليكم معاشر المسلمين أن تنكحوا المهاجرات إذا أعطيتموهنّ مهورهنّ الّتي يستحلّ بها فروجهنّ، لأنّهم بالإسلام قد بِنَّ من أزواجهنّ ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ أي لا تمسكوا بنكاح الكافرات، وأصل العصمة المنع، وسمّي النكاح عصمة لأنّ المنكوحة تكون في حبالة الزوج وعصمته ﴿وَاسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ﴾ أي إن لحقت امرأة منكم بأهل العهد من الكفّار مرتدّة فاسألوهم ما أنفقتم من المهر إذا منعوها ولم يدفعوها إليكم، كما يسألونكم «.

نسائهم إذا هاجرن إليكم، وهو قوله: ﴿وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ذَٰلِكُمْ﴾ يعني ما ذكر الله في هذه الآية ﴿حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بجميع الأشياء ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما يفعل ويأمر به، قال الحسن: كان في صدر الإسلام تكون المسلمة تحت الكافر، والكافرة تحت المسلم فنسخته هذه الآية، قال الزهريّ: ولمّا نزلت هذه الآية آمن المؤمنون بحكم الله وأدوا ما أمروا به من نفقات المشركين على نسائهم، وأبى المشركون أن يقرّوا بحكم الله فيما أمرهم به من أداء نفقات المسلمين، فنزل ﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ﴾ أي أحد من أزواجكم ﴿إِلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ فلحقن بهم مرتدّات ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾ معناه فغزوتم وأصبتم من الكفّار عقبى وهي الغنيمة وظفرتم وكانت العاقبة لكم، وقيل: معناه فخلفتم من بعدهم وصار الأمر إليكم، وقيل: إنّ عقّب وعاقب بمثل صغّر وصاغر بمعنى، وقيل: عاقبتم بمصير أزواج الكفّار إليكم إمّا من جهة سبي أو مجيئهنّ مؤمنات ﴿فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم﴾ أي نساؤهم من المؤمنين ﴿مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟﴾ من المهور عليهنّ من رأس الغنيمة، وكذلك من ذهبت زوجته إلى من بينكم وبينه عهد فنكث في إعطاء المهر فالذي ذهبت زوجته يعطى المهر من الغنيمة، ولا ينقص شيء من حقه بل يعطى كملاً عن ابن عبّاس والجبائيّ، وقيل: معناه إن فاتكم أحد من أزواجكم إلى الكفّار الّذين بينكم وبينهم عهد فغنمتم فأعطوا زوجها صداقها الّذي كان ساق إليها من الغنيمة، ثمّ نسخ هذا الحكم في براءة فنبذ إلى كلّ ذي عهد عهده عن قتادة، وقال عليّ بن عيسى: معناه فأعطوا الّذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا من المهور كما عليهم أن يردّوا عليكم مثل ما أنفقتم لمن ذهب من أزواجكم. ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾ أي اجتنبوا معاصي الله الّذي أنتم تصدّقون به، ولا تجاوزوا أمره. وقال الزُهريّ: فكان جميع من لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين راجعات عن الإسلام ستّ نسوة: أمّ الحكم بنت أبي سفيان، كانت تحت عياض بن شدّاد الفهريّ، وفاطمة بنت أبي أميّة بن المغيرة، أخت أمّ سلمة، كانت تحت عمر بن الخطّاب، فلمّا أراد عمر أن يهاجر أبت وارتدّت، وبروع بنت عقبة كانت تحت شماس بن عثمان، وعبدة بنت عبد العزّى بن فضلة، وزوجها عمرو بن عبد ودّ، وهند بنت أبي جهل بن هشام كانت تحت هشام بن العاص بن وائل، وكلثوم بنت جرول كانت تحت عمر، فأعطاهم رسول الله ﷺ مهور نسائهم من الغنيمة انتهى[1].

ولنوضح بعض ما ربما يشتبه على بعض من اللغات: قال الجزريّ: الحديبية قرية قريبة من مكّة، سمّيت ببئر هناك، وهي مخفّفة، وكثير من المحدّثين يشدّدونها[2].

---

(١) مجمع البيان، ج ٩ ص ٤٥٢.

(٢) في المجمع: الحديبيّة بالتخفيف: عند الأكثر هي بئر بقرب مكّة على طريق جدّة دون مرحلة، ثم أطلق على الموضع، ويقال: نصفه في الحل ونصفه في الحرم؛ انتهى. وفي القاموس: حديبية كدويهية وقد يشدد: بئر بقرب مكّة. [النمازي].

وقال الجوهريّ: خلأت الناقة، أي حرنت وبركت من غير علّة.

وقال الجزريّ: الخطة بالضمّ: الحال، والأمر، والخطب. وقال: الثمد بالتحريك: الماء القليل، وقال: يتبرّضه النّاس تبرّضاً، أي يأخذونه قليلاً قليلاً، والبرض: الشيء القليل. وقال: يجيش، أي يفور ماؤه ويرتفع.

قوله: عيبة نصح رسول الله ﷺ، قال في جامع الأصول: يقال عيبة نصح فلان: إذا كان موضع سرّه وثقته في ذلك.

قوله: معهم العوذ المطافيل، قال الجزريّ: يريد النساء والصبيان، والعوذ في الأصل جمع عائذ، وهي الناقة إذا وضعت، وبعدما تضع أيّاماً حتّى يقوى ولدها. والمطافيل: الإبل مع أولادها، والمطفل: الناقة القريب العهد بالنتاج معها طفلها، يقال: أطفلت، فهي مطفل ومطفلة، والجمع مطافل ومطافيل، بالإشباع يريد أنّهم جاءوا بأجمعهم كبارهم وصغارهم.

قوله: قد نهكتهم الحرب، أي أضرّت بهم وأثّرت فيهم. قوله: ماددتهم، أي جعلت بيني وبينهم أمداً طويلاً أصالحهم فيه، وهو فاعل من المدّ قوله: فقد جمّوا، أي استراحوا، الجمام: الراحة بعد التعب، أو كثروا من الجمّ الغفير. قوله ﷺ: حتّى تنفرد سالفتي، السالفة: صفحة العنق، وهما سالفتان من جانبيه، كنّى بانفرادها عن الموت، لأنّها لا تنفرد عمّا يليها إلاّ بالموت، وقيل: أراد حتّى يفرق بين رأسي وجسدي، ذكره الجزريّ، وقيل: السالفة: حبل العنق. وهو العرق الّذي بينه وبين الكتف. قوله: أوباشاً، أي أخلاطاً وسفلة، وفي بعض النسخ: أشواباً بمعناه، وفي بعضها: أشاباً، وفي بعضها أوشاباً، والمعنى واحد.

قوله: امصص ببظر اللّات، قال الجزريّ: البظر بفتح الباء: الهنة الّتي تقطعها الخافضة من فرج المرأة عند الختان، ومنه الحديث يا ابن المقطّعة البظور، ودعاه بذلك لأنّ أمّة كانت تختن النساء، والعرب تطلق هذا اللّفظ في معرض الذمّ، وإن لم تكن أمّ من يقال له خاتنة انتهى.

وقيل: البظر: هنة بين ناحيتي الفرج، وهي ما تبقيه الخافضة عند القطع، واللّات المراد بها الصنم.

وقال الفيروزآباديّ: هو يمصّه ويبظّره، أي قال له: امصص بظر فلانة.

وقال الجزريّ: فيه قال عروة بن مسعود للمغيرة: يا غدر، وهل غسلت غدرتك إلاّ بالأمس؟ غدر معدول عن غادر للمبالغة، يقال للذكر: غدر، وللأنثى غدار كقطام، وهما مختصّان بالنداء في الغالب انتهى.

وفي جامع الأصول: ثمّ إنّ عروة جعل يرمق أصحاب النبيّ ﷺ بعينه. قال: فوالله ما تنخّم رسول الله ﷺ نخامة إلاّ وقعت في كفّ رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره إلى آخر القصّة.

قوله: هذا ما قضى، وفي بعض النسخ: قاضى، قال الجزريّ: في صلح الحديبيّة: «هذا

ما قاضى عليه محمّد، هو فاعل من القضاء: الفصل، والحكم، لأنّه كان بينه وبين أهل مكّة».

قوله: عيبة مكفوفة قال الجزريّ: أي بينهم صدر نقيّ من الغلّ والخداع، مطويّ على الوفاء بالصلح، والمكفوفة: المشرجة المشدودة، وقيل: أراد أنّ بينهم موادعة ومكافّة عن الحرب تجريان مجرى المودّة الّتي تكون بين المتصافين الّذين يثق بعضهم إلى بعض، وقال في مكفوفة: أي مُشرجة على ما فيها مقفلة، ضربها مثلاً للصدور، وأنّها نقيّة من الغلّ والغشّ فيما اتّفقوا عليه من الصلح والهدنة، وقيل: معناه أن يكون الشرّ بينهم مكفوفاً، كما تكفّ العيبة على ما فيها من المتاع، يريد أنّ الدخول الّتي كانت بينهم اصطلحوا على أن لا ينشروها، فكأنّهم قد جعلوها في وعاء وأشرجوا عليه. وقال: الإسلال: السرقة الخفيّة، يقال: سلّ البعير أو غيره في جوف الليل: إذا انتزعه من بين الإبل، وهي السلّة، وأسلّ أي صار ذا سلّة، ويقال: الإسلال: الغارة الظاهرة، والإغلال: الخيانة أو السرقة الخفيّة، يقال: غلّ يغلّ، فأمّا أغلّ وأسلّ فمعناه صار ذا غلول وذا سلّة، ويكون أيضاً أن يعين غيره عليهما، وقيل: الإغلال: لبس الدروع، والإسلال: سلّ السيوف.

قوله: ضغطة، قال الجزريّ: أي قهراً، يقال: أخذت فلاناً ضغطة بالضمّ إذا ضيّقت عليه لتكرهه على الشيء.

قوله ﷺ: نحن نسوق، الظاهر أنّه على الاستفهام الإنكاري قوله: يرسف، بضمّ السين وكسرها الرسف: مشي المقيّد إذا جاء يتحامل برجله مع القيد. قوله: أجزه لي في جامع الأصول بالزاء المعجمة من الإجازة، أي اجعله جائزاً غير ممنوع، أو أطلقه، أو بالراء المهملة من الإجارة بمعنى الحماية والحفظ والأمان، وكأنّ سهيلاً لم يجز أمان مكرز، أو كان أراد مكرز إجارته من التعذيب، وفي بعض رواياتهم بعد ذلك: ثمّ جعل سهيل يجرّه ليردّه إلى قريش.

وقال الجزريّ: الدنيّة: الخصلة المذمومة، والأصل فيه الهمز وقد يخفّف وقال: تلكّأت، أي توقّفت وتباطأت. وقال: سعرت النّار والحرب: أوقدتهما، وسعّرتهما بالتشديد للمبالغة، والمسعر والمسعار: ما تحرّك به النّار من آلة الحديد، يصفه بالمبالغة في الحرب والنجدة.

أقول: روى في جامع الأصول عند سياق قصة الحديبية عن عليّ عليه السلام قال: لمّا كان يوم الحديبية خرج إلينا ناس من المشركين، منهم سهيل بن عمرو وأناس من رؤساء المشركين فقالوا: يا رسول الله قد خرج إليك ناس من أبنائنا وإخواننا وأرقّائنا وليس بهم فقه في الدين، وإنّما خرجوا فراراً من أموالنا وضياعنا فارددهم إلينا فإن لم يكن فقه في الدين سنفقّههم، فقال رسول الله ﷺ: «يا معشر قريش لتنتهنّ أو ليبعثنّ الله عليكم من يضرب رقابكم

بالسيف على الذين قد امتحن الله قلوبهم على الإيمان؟» قال أبو بكر وعمر: من هو يا رسول الله؟ قال: «هو خاصف النعل» وكان قد أعطى عليّاً نعله يخصفها، ثمّ التفت إلينا عليّ عليه السلام فقال: قال رسول الله: «من كذب عليّ متعمّداً فليتبوّأ مقعده من النار».

قوله: فاستكفّ أهل مكّة، يقال: استكفّوا حوله، أي أحاطوا به ينظرون إليه.

أقول: قال الطبرسيّ رحمه الله في قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ قيل: المراد بالفتح هنا صلح الحديبية، وكان فتحاً بغير قتال، وقال الزهريّ: لم يكن فتح أعظم من صلح الحديبية، وذلك أنّ المشركين اختلطوا بالمسلمين، فسمعوا كلامهم فتمكّن الإسلام في قلوبهم وأسلم في ثلاث سنين خلق كثير، وكثر بهم سواد الإسلام. وقال الشعبيّ بويع بالحديبية بيعة الرضوان، واطعم نخيل خيبر، وظهرت الروم على فارس، وفرح المسلمون بظهور أهل الكتاب وهم الروم على المجوس إذ كان فيه مصداق قوله تعالى: إنهم سيغلبون وبلغ الهدي محلّه والحديبية: بئر. وروي أنّه نفد ماؤها فظهر فيها من أعلام النبوّة ما اشتهرت به الروايات، قال البراء بن عازب: تعدّون أنتم الفتح فتح مكّة وقد كان فتح مكّة فتحاً ونحن نعدّ الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية، كنّا مع النبيّ صلى الله عليه وآله أربع عشر مائة، والحديبية: بئر، فنزحناها فما ترك منها قطرة، فبلغ ذلك النبيّ صلى الله عليه وآله فأتاها فجلس على شفيرها ثمّ دعا بإناء من ماء فتوضّأ ثمّ تمضمض ودعا ثمّ صبه فيها وتركها، ثمّ إنّها أصدرتنا نحن وركابنا.

وفي حديث سلمة بن الأكوع إمّا دعا أو بصق فيها فجاشت فسقينا واستقينا.

وعن محمّد بن إسحاق عن الزهريّ عن عروة بن الزبير عن مسور بن مخرمة أن رسول الله صلى الله عليه وآله خرج لزيارة البيت لا يريد حرباً - فذكر الحديث إلى أن قال - قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «انزلوا» فقالوا: يا رسول الله ما بالوادي ماء، فأخرج رسول الله صلى الله عليه وآله من كنانته سهماً فأعطاه رجلاً من أصحابه فقال له: «انزل في بعض هذه القلب فاغرزه في جوفه» ففعل فجاش بالماء الرواء حتّى ضرب النّاس بعطن.

وعن عروة وذكر خروج رسول الله صلى الله عليه وآله قال: وخرجت قريش من مكّة فسبقوه إلى بلدح وإلى الماء فنزلوا عليه، فلمّا رأى رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قد سبق نزل على الحديبية وذلك في حرّ شديد، وليس فيها إلاّ بئر واحدة، فأشفق القوم من الظمأ والقوم كثير فنزل فيها رجال يميحونها، ودعا رسول الله صلى الله عليه وآله بدلو من ماء فتوضّأ من الدلو ومضمض فاه ثمّ مجّ فيه، وأمر أن يصبّ في البئر، ونزع سهماً من كنانته وألقاه في البئر، ودعا الله تعالى ففارت بالماء حتّى جعلوا يغترفون بأيديهم منها وهم جلوس على شفيرها.

وروى سالم بن أبي الجعد قال: قلت لجابر: كم كنتم يوم الشجرة؟ قال: كنا ألفاً وخمسمائة، وذكر عطشاً أصابهم قال: فأُتي رسول الله صلى الله عليه وآله بماء في تور فوضع يده فيه، فجعل الماء يخرج من بين أصابعه كأنّه العيون، قال: فشربنا ووسعنا وكفانا، قال: قلت: كم

كنتم؟ قال: لو كنّا مائة ألف لكفانا، كنّا ألفاً وخمسمائة[1].

١ - **كا:** عليّ، عن أبيه، عن حمّاد وابن أبي عمير، عن معاوية بن عمّار، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾[2] قال حشرت لرسول الله صلى الله عليه وآله في عمرة الحديبية الوحوش حتّى نالتها أيديهم ورماحهم[3].

شي: عن معاوية مثله وفي آخره: ليبلوهم الله به[4].

٢ - **كا:** عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حمّاد، عن الحلبيّ قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾ قال: حشر عليهم الصيد في كلّ مكان حتّى دنا منهم ليبلوهم الله به[5].

شي: عن الحلبيّ مثله[6].

٣ - **شي:** عن سماعة، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله: ﴿لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ﴾ قال: ابتلاهم الله بالوحش فركبتهم من كلّ مكان[7].

٤ - **فس:** ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا﴾ قال: فإنّه حدّثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن ابن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان سبب نزول هذه السورة وهذا الفتح العظيم أنّ الله عزّ وجلّ أمر رسول الله صلى الله عليه وآله في النوم أن يدخل المسجد الحرام ويطوف ويحلق مع المحلّقين، فأخبر أصحابه وأمرهم بالخروج، فخرجوا، فلمّا نزل ذا الحليفة أحرموا بالعمرة وساقوا البدن، وساق رسول الله صلى الله عليه وآله ستّة وستّين بدنة وأشعرها عند إحرامه، وأحرموا من ذي الحليفة ملبّين بالعمرة، وقد ساق من ساق منهم الهدي معرات مجلّلات، فلمّا بلغ قريش ذلك بعثوا خالد ابن الوليد في مائتي فارس كميناً ليستقبل رسول الله صلى الله عليه وآله فكان يعارضه على الجبال، فلمّا كان في بعض الطريق حضرت صلاة الظهر فأذّن بلال وصلّى رسول الله صلى الله عليه وآله بالناس، فقال خالد بن الوليد: لو كنا حملنا عليهم في الصلاة لأصبناهم، فإنّهم لا يقطعون صلاتهم، ولكن يجيء لهم الآن صلاة أخرى أحبّ إليهم من ضياء أبصارهم، فإذا دخلوا في الصلاة أغرنا عليهم، فنزل جبرئيل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله بصلاة الخوف في قوله: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾ الآية[8].

فلما كان في اليوم الثاني نزل رسول الله صلى الله عليه وآله الحديبية وهي على طرف الحرم، وكان

---

(١) مجمع البيان، ج ٩ ص ١٨٢.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٩٤.
(٣) الكافي، ج ٤ ص ٤٩٥ باب ٢٤٢ ح ١.
(٤) تفسير العياشي، ج ١ ص ٣٧١ ح ١٩٤.
(٥) الكافي، ج ٤ ص ٤٩٥ باب ٢٤٢ ح ٢.
(٦) - (٧) تفسير العياشي، ج ١ ص ٣٧١ ح ١٩٥ و١٩٣ من سورة المائدة.
(٨) سورة النساء، الآية: ١٠٢.

رسول الله ﷺ يستنفر الأعراب في طريقه معه، فلم يتبعه منهم أحد، ويقولون: أيطمع محمّد وأصحابه أن يدخلوا الحرم وقد غزتهم قريش في عقر ديارهم فقتلوهم، إنّه لا يرجع محمّد وأصحابه إلى المدينة أبداً فلمّا نزل رسول الله ﷺ الحديبية خرجت قريش يحلفون باللّات والعزّى لا يدعون محمّداً يدخل مكّة وفيهم عين تطرف، فبعث إليهم رسول الله ﷺ إنّي لم آت لحرب وإنما جئت لأقضي نسكي، وأنحر بدني، وأخلّي بينكم وبين لحماتها. فبعثوا عروة بن مسعود الثقفيّ وكان عاقلاً لبيباً وهو الّذي أنزل الله فيه: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ فلما أقبل إلى رسول الله ﷺ عظّم ذلك وقال: يا محمّد تركت قومك وقد ضربوا الأبنية، وأخرجوا العوذ المطافيل يحلفون باللّات والعزّى لا يدعوك تدخل حرمهم وفيهم عين تطرف، أفتريد أن تبير أهلك وقومك يا محمّد؟ فقال رسول الله ﷺ: ما جئت لحرب وإنّما جئت لأقضي نسكي فأنحر بدني وأخلّي بينكم وبين لحماتها، فقال عروة: بالله ما رأيت كاليوم أحداً صدّ عمّا صددت، فرجع إلى قريش وأخبرهم، فقالت قريش: والله لئن دخل محمّد مكّة وتسامعت به العرب لتذلّن ولتجترئنّ علينا العرب، فبعثوا حفص بن الأحنف وسهيل بن عمرو، فلمّا نظر إليهما رسول الله ﷺ قال: «ويح قريش قد نهكتهم الحرب ألا خلّوا بيني وبين العرب؟ فإن أك صادقاً فإنّما أجرّ الملك إليهم مع النبوّة وإن أك كاذباً كفتهم ذؤبان العرب لا يسأل اليوم امرؤ من قريش خطّة ليس لله فيها سخط إلاّ أجبتهم إليه» قال: فوافوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمّد إلى أن ننظر إلى ماذا يصير أمرك وأمر العرب على أن ترجع من عامك هذا، فإن العرب قد تسامعت بمسيرك فإن دخلت بلادنا وحرمنا استذلّتنا العرب واجترأت علينا ونخلّي لك البيت في القابل في هذا الشهر ثلاثة أيّام حتّى تقضي نسكك وتنصرف عنّا، فأجابهم رسول الله ﷺ إلى ذلك، وقالوا له: وتردّ إلينا كلّ من جاءك من رجالنا، ونردّ إليك كلّ من جاءنا من رجالك، فقال رسول الله ﷺ: «من جاءكم من رجالنا فلا حاجة لنا فيه ولكن على أنّ المسلمين بمكّة لا يؤذون في إظهارهم الإسلام ولا يكرهون ولا ينكر عليهم شيء يفعلونه من شرائع الإسلام» فقبلوا ذلك، فلمّا أجابهم رسول الله ﷺ إلى الصلح أنكر عليه عامّة أصحابه وأشدّ ما كان إنكاراً عمر، فقال: يا رسول الله ألسنا على الحقّ وعدوّنا على الباطل؟ فقال: «نعم» قال: فنعطي الدنيّة في ديننا؟ فقال: إنّ الله قد وعدني ولن يخلفني قال: لو أنّ معي أربعين رجلاً لخالفته، ورجع سهيل بن عمرو وحفص بن الأحنف إلى قريش فأخبراهم بالصلح، فقال عمر: يا رسول الله ألم تقل لنا أن ندخل المسجد الحرام ونحلق مع المحلّقين؟ فقال: «أمن عامنا هذا وعدتك؟ قلت لك: إنّ الله عزّ وجلّ قد وعدني أن أفتح مكّة وأطوف وأسعى وأحلق مع المحلقين» فلما أكثروا عليه قال لهم إن لم تقبلوا الصلح فحاربوهم، فمرّوا نحو قريش وهم مستعدّون للحرب وحملوا عليهم، فانهزم أصحاب رسول الله ﷺ، هزيمةً قبيحة ومرّوا برسول الله ﷺ فتبسّم رسول الله ﷺ، ثمّ قال: «يا عليّ خذ السيف واستقبل قريشاً

فأخذ أمير المؤمنين عليه السلام سيفه وحمل على قريش، فلمّا نظروا إلى أميرالمؤمنين عليه السلام تراجعوا، وقالوا: يا عليّ بدا لمحمّد فيما أعطانا؟ قال: لا، فرجع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله مستحيين وأقبلوا يعتذرون إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله «ألستم أصحابي يوم بدر إذ أنزل الله فيكم: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾(١) ألستم أصحابي يوم أحد ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ﴾(٢)؟ ألستم أصحابي يوم كذا؟ ألستم أصحابي يوم كذا؟» فاعتذروا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وندموا على ما كان منهم، وقالوا: الله أعلم ورسوله، فاصنع ما بدا لك.

ورجع حفص بن الأحنف وسهيل بن عمرو إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالا: يا محمّد قد أجابت قريش إلى ما اشترطت من إظهار الإسلام وأن لا يكره أحد على دينه، فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله بالمكتب ودعا أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: اكتب، فكتب أميرالمؤمنين عليه السلام ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ قال سهيل بن عمرو: لا نعرف الرحمن اكتب كما كان يكتب آباؤك «باسمك اللّهمّ» فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «اكتب باسمك اللّهمّ فإنّه اسم من أسماء الله» ثم كتب: «هذا ما تقاضى عليه محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله والملأ من قريش» فقال سهيل بن عمرو: ولو علمنا أنّك رسول الله صلى الله عليه وآله ما حاربناك، اكتب هذا ما تقاضى عليه محمّد بن عبد الله، أتأنف من نسبك يا محمّد؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنا رسول الله وإن لم تقرّوا» ثم قال: امح يا عليّ واكتب محمّد بن عبد الله، فقال أمير المؤمنين عليه السلام ما أمحو اسمك من النبوّة أبداً، فمحاه رسول الله صلى الله عليه وآله بيده ثمّ كتب: هذا ما تقاضى عليه محمّد بن عبد الله والملأ من قريش وسهيل بن عمرو، اصطلحوا على وضع الحرب بينهم عشر سنين، على أن يكف بعضنا عن بعض، وعلى أنّه لا إسلال ولا إغلال، وأن بيننا وبينهم عيبة مكفوفة، وأنّه من أحبّ أن يدخل في عهد محمّد وعقده فعل، وأنّه من أحبّ أن يدخل في عهد قريش وعقدها فعل، وأنّه من أتى محمّداً بغير إذن وليّه يردّه إليه، وأنّه من أتى قريشاً من أصحاب محمّد لم يردّوه إليه، وأن يكون الإسلام ظاهراً بمكّة لا يكره أحد على دينه ولا يؤذى ولا يعيّر، وأن محمّداً يرجع عنهم عامه هذا وأصحابه ثمّ يدخل علينا في العام القابل مكّة، فيقيم فيها ثلاثة أيّام، ولا يدخل علينا بسلاح إلاّ سلاح المسافر السيوف في القرب، وكتب علي بن أبي طالب وشهد على الكتاب المهاجرون والانصار» ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا عليّ إنّك أبيت أن تمحو اسمي من النبوّة فوالّذي بعثني بالحقّ نبيّاً لتجيبنّ أبناءهم إلى مثلها وأنت مضيض مضطهد» فلما كان يوم صفّين ورضوا بالحكمين كتب: «هذا ما اصطلح عليه امير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان» فقال عمرو بن العاص: لو علمنا أنّك أمير المؤمنين ما حاربناك، ولكن اكتب هذا ما اصطلح عليه عليّ بن أبي طالب ومعاوية بن

(١) سورة الأنفال، الآية: ٩.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٥٣.

أبي سفيان فقال أمير المؤمنين عليه السلام «صدق الله وصدق رسوله صلى الله عليه وآله، أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك» ثم كتب الكتاب.

قال: فلمّا كتبوا الكتاب قامت خزاعة فقالت: نحن في عهد محمّد وعقده، وقامت بنو بكر فقالت: نحن في عهد قريش وعقدها، وكتبوا نسختين: نسخة عند رسول الله صلى الله عليه وآله، ونسخة عند سهيل بن عمرو، ورجع سهيل بن عمرو وحفص بن الأحنف إلى قريش فأخبراهم، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله لأصحابه: «انحروا بدنكم واحلقوا رؤوسكم» فامتنعوا وقالوا: كيف ننحر ونحلق ولم نطف بالبيت ولم نسع بين الصفا والمروة؟ فاغتمّ رسول الله صلى الله عليه وآله من ذلك، وشكى ذلك إلى أمّ سلمة فقالت: يا رسول الله انحر أنت واحلق، فنحر رسول الله صلى الله عليه وآله وحلق، فنحر القوم على خبث يقين وشكّ وارتياب، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله تعظيماً للبدن: «رحم الله المحلّقين» وقال قوم لم يسوقوا البدن: يا رسول الله والمقصّرين؟ لأنّ من لم يسق هدياً لم يجب عليه الحلق، فقال رسول الله ثانياً: رحم الله المحلّقين الذين لم يسوقوا الهدي فقالوا: يا رسول الله والمقصّرين، فقال: «رحم الله المقصرين».

ثم رحل رسول الله صلى الله عليه وآله نحو المدينة فرجع إلى التنعيم ونزل تحت الشجرة، فجاء أصحابه الّذين أنكروا عليه الصلح واعتذروا وأظهروا الندامة على ما كان منهم وسألوا رسول الله صلى الله عليه وآله أن يستغفر لهم، فنزلت آية الرضوان.

وقال عليّ بن إبراهيم في قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ﴾ الآية فهم الّذين لم يخالفوا رسول الله صلى الله عليه وآله ولم ينكروا عليه الصلح، ثمّ قال: ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ هم الّذين أنكروا الصلح واتّهموا رسول الله صلى الله عليه وآله.

ونزلت في بيعة الرضوان: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ اشترط عليهم أن لا ينكروا بعد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وآله شيئاً يفعله، ولا يخالفوه في شيء يأمرهم به، فقال الله عزّ وجلّ بعد نزول آية الرضوان: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ وإنما رضي عنهم بهذا الشرط أن يفوا بعد ذلك بعهد الله وميثاقه، ولا ينقضوا عهده وعقده، فبهذا العقد رضي عنهم، فقد قدموا في التأليف آية الشرط على بيعة الرضوان، وإنّما نزلت أولاً بيعة الرضوان، ثمّ آية الشرط عليهم فيها.

ثم ذكر الأعراب الّذين تخلّفوا عن رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا﴾ أي قوم سوء، وهم الّذين استنفرهم في الحديبية، ولمّا رجع رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المدينة من الحديبية غزا خيبراً فاستأذنه المخلّفون أن يخرجوا معه، فقال الله عزّ وجلّ: ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ﴾ ثمّ قال: ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ﴾ يعني فتح خيبر، ثمّ قال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ

﴿أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ أي من بعد أن أممتم من المدينة إلى الحرم وطلبوا منكم الصلح بعد أن كانوا يغزونكم بالمدينة صاروا يطلبون الصلح بعد إذ كنتم أنتم تطلبون الصلح منهم، ثمّ أخبر بعلّة الصلح وما أجاز الله لنبيّه ﷺ فقال: ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ﴾ يعني بمكّة ﴿لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَئُوهُمْ﴾ فأخبر الله أنّ علّة الصلح إنّما كان للمؤمنين والمؤمنات الّذين كانوا بمكّة، ولو لم يكن صلح وكانت الحرب لقتلوا، فلمّا كان الصلح أمنوا وأظهروا الإسلام، ويقال: إنّ ذلك الصلح كان أعظم فتحاً على المسلمين من غلبهم، ثمّ قال: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾ يعني هؤلاء الّذين كانوا بمكة من المؤمنين والمؤمنات، يعني لو زالوا عنهم وخرجوا من بينهم، ثمّ قال: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ يعني قريشاً وسهيل بن عمرو حين قالوا: لا نعرف الرحمن الرحيم. وقولهم: ولو علمنا أنّك رسول الله ما حاربناك، فاكتب: محمّد بن عبد الله، ونزل في تطهير الرؤيا الّتي رآها رسول الله ﷺ: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾ إلى قوله: ﴿فَتْحًا قَرِيبًا﴾ يعني فتح خيبر، لأنّ رسول الله ﷺ لمّا رجع من الحديبية غزا خيبراً[1].

بيان: قوله: معرات، أي كانت بعضها عرات، وبعضها مجلّلات، والمكتب على بناء الإفعال: الّذي يعلم الكتابة، وقراب السيف بالكسر: جفنته، وهو وعاء يكون فيه السيف بغمده وحمالته. ومضّه الشيء: مضّاً ومضيضاً: بلغ من قلبه الحزن به. ومضض كفرح: ألم. واضطهده: قهره.

٥ - **يج:** روي عن عيسى بن عبد الله الهاشميّ، عن أبيه، عن جدّه، عن عليّ عليه السلام قال: لمّا كان يوم القضيّة حين ردّ المشركون النبيّ ﷺ ومن معه ودافعوه عن المسجد أن يدخلوه هادنهم رسول الله ﷺ فكتبوا بينهم كتاباً، قال عليّ عليه السلام فكنت أنا الّذي كتب، فكتبت: «باسمك اللّهمّ هذا كتاب بين محمّد رسول الله ﷺ وبين قريش» فقال سهيل بن عمرو: لو أقررنا أنّك رسول الله لم ينازعك أحد، فقلت: بل هو رسول الله وإنّك راغم، فقال لي رسول الله ﷺ: «اكتب له ما أراد ستعطي يا عليّ بعدي مثلها» قال: فلمّا كتبت الصلح بيني وبين أهل الشام كتبت: «بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب بين عليّ أمير المؤمنين وبين معاوية بن أبي سفيان» فقال معاوية وعمرو بن العاص: لو علمنا أنّك امير المؤمنين لم ننازعك، فقال: اكتبوا ما رأيتم، فعلمت أنّ قول رسول الله حقّ قد جاء[2].

٦ - **يج:** روي أنّه لمّا صدّه المشركون بالحديبية شكا إليه النّاس قلّة الماء فدعا بدلو من ماء البئر فتوضّأ منه، ثمّ تمضمض ومجّ في الدلو، وأخرج من كنانته سهماً ثمّ أمر بأن يصب في البئر تلك الدلو، وأن يغرز ذلك السهم في أسفل البئر، فعملوا ففارت البئر بالماء إلى

---

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٨٥.
(٢) الخرائج والجرائح، ج ١ ص ١١٦ ح ٩٢.

شفيرها، واغترف النّاس، فعند ذلك قال أوس بن خولي لعبدالله بن أبي سلول: أبعد هذا شيء؟ أما آن لك أن تبصر؟(١).

٧ - **يج:** روي أنّه لمّا أصاب النّاس بالحديبية جوع شديد وقلّت أزوادهم لأنّهم أقاموا بها بضعة عشر يوماً، فشكوا إليه ذلك، فأمر بالنطع أن يبسط، وأمرهم أن يأتوا ببقيّة أزوادهم فيطرحوا، فأتوا بدقيق قليل وتميرات، فقام ودعا بالبركة فيها، وأمرهم بأن يأتوا بأوعيتهم فملأوها حتّى لم يجدوا لها محلاً(٢).

٨ - **يج:** من معجزاته ﷺ أنّه لمّا خرج رسول الله ﷺ للعمرة سنة الحديبية منعت قريش من دخوله مكّة، وتحالفوا أنّه لا يدخلها ومنهم عين تطرف، وقال لهم رسول الله ﷺ: «ما جئت محارباً لكم إنّما جئت معتمراً» قالوا: لا ندعك تدخل مكّة على هذه الحال فتستذلّنا العرب وتعيّرنا، ولكن اجعل بيننا وبينك هدنة لا تكون لغيرنا، فاتّفقوا عليه وقد نفد ماء المسلمين وكظّهم وبهائمهم العطش، فجيء بركوة فيها قليل من الماء فأدخل يده فيها ففاضت الركوة، ونودي في العسكر: من أراد الماء فليأته، فسقوا واستقوا وملأوا القرب(٣).

بيان: يقال: كظّني هذا الأمر، أي جهدني من الكرب.

٩ - **شا:** ثمّ تلا بني المصطلق الحديبية، وكان اللّواء يومئذ إلى أمير المؤمنين عليه السلام كما كان إليه في المشاهد قبلها، وكان من بلائه في ذلك اليوم عند صفّ القوم في الحرب والقتال ما ظهر خبره واستفاض ذكره. وذلك بعد البيعة الّتي أخذها النبيّ ﷺ على أصحابه والعهود عليهم في الصبر، وكان أمير المؤمنين عليه السلام المبايع للنساء عن النبيّ ﷺ فكانت بيعته لهنّ يومئذ أن طرح ثوباً بينهنّ وبينه، ثمّ مسحه بيده فكانت مبايعتهنّ للنبي ﷺ بمسح الثوب، ورسول الله ﷺ يمسح ثوب عليّ عليه السلام ممّا يليه، ولمّا رأى سهيل بن عمرو توجّه الأمر عليهم ضرع إلى النبيّ ﷺ في الصلح ونزل عليه الوحي بالإجابة إلى ذلك، وأن يجعل أمير المؤمنين عليه السلام كاتبه يومئذ، والمتولّي لعقد الصلح بخطّه، فقال له النبيّ ﷺ: «اكتب يا عليّ بسم الله الرحمن الرحيم» فقال سهيل بن عمرو هذا كتاب بيننا وبينك يا محمّد فافتتحه بما نعرفه، واكتب باسمك اللّهم، فقال النبيّ ﷺ لأميرالمؤمنين عليه السلام «امح ما كتبت واكتب باسمك اللّهمّ» فقال أمير المؤمنين عليه السلام لولا طاعتك يا رسول الله ما محوت بسم الله الرحمن الرحيم، ثمّ محاها وكتب باسمك اللّهم، فقال النبيّ ﷺ: «اكتب هذا ما قاضى عليه محمّد رسول الله سهيل بن عمرو» فقال سهيل: لو أجبتك في الكتاب الّذي بيننا إلى هذا لأقررت لك بالنبوّة، فسواء شهدت على نفسي بالرضاء بذلك أو أطلقته من لساني،

---

(١) - (٢) الخرائج والجرائح، ج ١ ص ١٢٣ ح ٢٠٣-٢٠٤.

(٣) الخرائج والجرائح، ج ١ ص ١٥٨ ح ٢٤٦.

امح هذا الاسم، واكتب هذا ما قاضى عليه محمّد بن عبد الله، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام إنّه والله لرسول الله على رغم أنفك، فقال سهيل: اكتب اسمه يمضي الشرط، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام ويلك يا سهيل كفّ عن عنادك، فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله: «امحها يا عليّ» فقال: يا رسول الله إنّ يدي لا تنطلق بمحو اسمك من النبوّة، قال له: «فضع يدي عليها» فمحاها رسول الله صلى الله عليه وآله بيده، وقال لأمير المؤمنين عليه السلام «ستدعى إلى مثلها فتجيب وأنت على مضض» ثم تمّم أمير المؤمنين عليه السلام الكتاب، ولمّا تمّ الصلح نحر رسول الله صلى الله عليه وآله هديه في مكانه، فكان نظام تدبير هذه الغزاة معلّقاً بأمير المؤمنين، وكان ما جرى فيها من البيعة وصفّ النّاس للحرب ثمّ الهدنة والكتاب كلّه لأميرالمؤمنين، وكان فيما هيّأه الله له من ذلك حقن الدماء وصلاح أمر الإسلام، وقد روى النّاس له في هذه الغزاة بعد الّذي ذكرناه فضيلتين اختصّ بهما، وانضافتا إلى فضائله العظام ومناقبه الجسام:

فروى إبراهيم بن عمر عن رجاله، عن فائد مولى عبد الله بن سالم قال: لمّا خرج رسول الله صلى الله عليه وآله في غزوة الحديبية نزل الجحفة فلم يجد فيها ماء، فبعث سعد بن مالك بالروايا حتّى إذا كان غير بعيد رجع سعد بالروايا، وقال: يا رسول الله ما أستطيع أن أمضي، لقد وقفت قدماي رعباً من القوم، فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله: اجلس ثمّ بعث رجلاً آخر فخرج بالروايا حتّى إذا كان بالمكان الّذي انتهى إليه الأوّل رجع، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: «لم رجعت؟» فقال: يا رسول الله والّذي بعثك بالحقّ نبيّاً ما استطعت أن أمضي رعباً، فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين عليه السلام فأرسله بالروايا وخرج السقاة وهم لا يشكّون في رجوعه لما رأوا من جزع من تقدمه، فخرج عليّ عليه السلام بالروايا حتّى ورد الحرار واستسقى ثمّ أقبل بها إلى النبيّ صلى الله عليه وآله ولها زجل، فلمّا دخل كبّر النبيّ صلى الله عليه وآله ودعا له بخير.

وفي هذه الغزاة أقبل سهيل بن عمرو إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فقال له: يا محمّد إنّ أرقاءنا لحقوا بك فارددهم علينا، فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى تبيّن الغضب في وجهه، ثمّ قال: «لتنتهنّ يا معاشر قريش أو ليبعثنّ الله عليكم رجلاً امتحن الله قلبه بالإيمان، يضرب رقابكم على الدين» فقال بعض من حضر: يا رسول الله أبو بكر ذلك الرجل؟ قال: لا، قال: فعمر؟ قال: «لا ولكنّه خاصف النعل في الحجرة» فتبادر النّاس إلى الحجرة ينظرون من الرجل، فإذا هو أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

وقد روى هذا الحديث جماعة عن أمير المؤمنين عليه السلام وقالوا فيه: إنّ عليّاً قص هذه القصة ثمّ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «من كذب عليّ متعمّداً فليتبوأ مقعده من النار». وكان الّذي أصلحه أمير المؤمنين عليه السلام من نعل النبيّ صلى الله عليه وآله شسعها، فإنّه كان انقطع فخصف موضعه وأصلحه[1].

---

(١) الإرشاد للمفيد، ص ٦٢.

١٠ - عم: في سنة خمس كانت غزوة الحديبية في ذي القعدة، وخرج في ناس كثير من أصحابه يريد العمرة، وساق معه سبعين بدنة، وبلغ ذلك المشركين من قريش فبعثوا خيلاً ليصدّوه عن المسجد الحرام، وكان ﷺ يرى أنّهم لا يقاتلونهم لأنّه خرج في الشهر الحرام، وكان من أمر سهيل بن عمرو، وأبي جندل ابنه وما فعله رسول الله ﷺ ما شكّ به من زعم أنّه ما شكّ إلاّ يومئذ في الدين، وأتى بديل بن ورقاء إلى قريش فقال لهم: يا معشر قريش خفّضوا عليكم وإنّه لم يأت يريد قتالكم، وإنّما يريد زيارة هذا البيت، فقالوا: والله لا نسمع منك، ولا تحدّث العرب أنّه دخلها عنوة، ولا نقبل منه إلاّ أن يرجع عنّا، ثمّ بعثوا إليه بكرز بن حفص وخالد بن الوليد وصدّوا الهدي، وبعث ﷺ عثمان بن عفّان إلى أهل مكّة يستأذنهم في أن يدخل مكّة معتمراً فأبوا أن يتركوه، واحتبس عثمان فظنّ رسول الله ﷺ أنّهم قتلوه، فقال لأصحابه: «أتبايعوني على الموت؟» فبايعوه تحت الشجرة على أن لا يفرّوا عنه أبداً، ثمّ إنّهم بعثوا سهيل بن عمرو فقال: يا أبا القاسم إنّ مكّة حرمنا وعزّنا، وقد تسامعت العرب بك أنّك قد غزوتنا، ومتى ما تدخل علينا مكّة عنوة تطمع فينا فنتخطّف، وإنا نذكّرك الرحم، فإن مكّة بيضتك الّتي تفلّقت عن رأسك قال: «فما تريد؟» قال: أريد أن أكتب بيني وبينك هدنة على أن أخلّيها لك في قابل فتدخلها، ولا تدخلها بخوف ولا فزع ولا سلاح إلاّ سلاح الراكب: السيف في القراب والقوس، فدعا رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب عليه السلام فأخذ أديماً أحمر فوضعه على فخذه، ثمّ كتب بسم الله الرحمن الرحيم، فقال سهيل بن عمرو: هذا كتاب بيننا وبينك يا محمّد فافتحه بما نعرفه، اكتب باسمك اللّهم، فقال: «اكتب باسمك اللّهمّ وامح ما كتبت» فقال: لولا طاعتك يا رسول الله لما محوت، فقال النبيّ ﷺ: «اكتب هذا ما قاضى عليه محمّد رسول الله سهيل بن عمرو» فقال سهيل: لو أجبتك في الكتاب إلى هذا لأقررت لك بالنبوّة، فامح هذا الاسم، واكتب محمّد بن عبد الله، فقال لهعليّ عليه السلام إنّه والله لرسول الله على رغم أنفك، فقال النبيّ ﷺ: «امحها يا عليّ» فقال له: يا رسول الله إن يدي لا تنطلق لمحو اسمك من النبوّة، قال: فضع يدي عليها، فمحاها رسول الله ﷺ بيده، وقال لعليّ عليه السلام «ستدعى إلى مثلها فتجيب وأنت على مضض». ثمّ كتب: «باسمك اللّهمّ هذا ما قاضى عليه محمّد بن عبد الله بن عبد المطّلب ومن معه من المسلّمين سهيل بن عمرو ومن معه من أهل مكّة على أنّ الحرب مكفوفة، فلا إغلال ولا إسلال ولا قتال، وعلى أن لا يستكره أحد على دينه، وعلى أن يعبد الله بمكّة علانيةً، وعلى أن محمّداً ينحر الهدي مكانه، وعلى أن يخلّيها له في قابل ثلاثة أيّام فيدخلها بسلاح الراكب، ويخرج قريش كلّها من مكّة إلاّ رجل واحد من قريش يخلفونه مع محمّد وأصحابه، ومن لحق محمّداً وأصحابه من قريش فإنّ محمّداً يردّه إليهم، ومن رجع من أصحاب محمّد إلى قريش بمكّة فإن قريشاً لا تردّه إلى محمّد - وقال رسول الله ﷺ: «إذا

سمع كلامي ثمّ جاءكم فلا حاجة لي فيه» - وأن قريشاً لا يعين على محمّد وأصحابه أحداً بنفس ولا سلاح إلى آخره.

فجاء أبو جندل إلى النبيّ ﷺ حتّى جلس إلى جنبه، فقال أبوه سهيل: رده علي، فقال المسلمون: لا نردّه، فقام ﷺ وأخذ بيده فقال: «اللّهمّ إن كنت تعلم أنّ أبا جندل لصادق فاجعل له فرجاً ومخرجاً» ثم أقبل على النّاس وقال: «إنه ليس عليه بأس إنّما يرجع إلى أبيه وأمّه وإنّي أريد أن أتمّ لقريش شرطها» ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة، وأنزل الله في الطريق سورة الفتح: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾.

قال الصادق عليه السلام فما انقضت تلك المدّة حتّى كاد الإسلام يستولي على أهل مكّة، ولمّا رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة انفلت أبو بصير بن أسيد بن حارثة الثقفيّ من المشركين، وبعث الأخنس بن شريق في أثره رجلين فقتل أحدهما، وأتى رسول الله ﷺ مسلماً مهاجراً، فقال: «مسعر حرب لو كان معه واحد» ثم قال: «شأنك بسلب صاحبك واذهب حيث شئت» فخرج أبو بصير ومعه خمسة نفر كانوا قدموا معه مسلمين حتّى كانوا بين العيص وذي المروة من أرض جهينة على طريق عيرات قريش ممّا يلي سيف البحر، وانفلت أبو جندل بن عمرو في سبعين راكباً أسلموا فلحق بأبي بصير، واجتمع إليهم ناس من غفار وأسلم وجهينة حتّى بلغوا ثلاثمائة مقاتل وهم مسلمون لا يمرّ بهم عير لقريش إلاّ أخذوها وقتلوا أصحابها، فأرسلت قريش أبا سفيان بن حرب إلى رسول الله ﷺ يسألونه ويتضرّعون إليه أن يبعث إلى أبي بصير وأبي جندل ومن معهم فيقدموا عليه، وقالوا: من خرج منّا إليك فأمسكه غير حرج أنت فيه، فعلم الّذين كانوا أشاروا على رسول الله ﷺ أن يمنع أبا جندل من أبيه بعد القصّة أنّ طاعة رسول الله ﷺ خير لهم فيما أحبّوا وفيما كرهوا، وكان أبو بصير وأبو جندل وأصحابهما هم الّذين مرّ بهم أبو العاص بن الربيع من الشام في نفر من قريش فأسروهم فأخذوا ما معهم ولم يقتلوا منهم أحداً لصهر أبي العاص رسول الله ﷺ، وخلّوا سبيل أبي العاص، فقدم المدينة على امرأته، وكان أذن لها حين خرج إلى الشام أن تقدم المدينة فتكون مع رسول الله ﷺ، وأبو العاص هو ابن أخت خديجة بنت خويلد(١).

بيان: قال في النهاية: في حديث الإفك: ورسول الله يخفّضهم، أي يسكّنهم ويهوّن عليهم الأمر، من الخفض: الدعة والسكون، ومنه حديث أبي بكر قال لعائشة في شأن الإفك: خفّضي عليك، أي هوّني الأمر عليك ولا تحزني له. وقال: عنوة، أي قهراً وغلبة. وقال: الخطف: استلاب الشيء وأخذه بسرعة.

١١ - **عم:** ربعيّ بن خراش، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: أقبل سهيل بن عمرو ورجلان

---

(١) إعلام الورى، ص ١١١.

أو ثلاثة معه إلى رسول الله ﷺ في الحديبية فقالوا له: إنّه يأتيك قوم من سفلتنا وعبداننا فارددهم علينا، فغضب حتّى احمارّ وجهه. وكان إذا غضب ﷺ يحمارّ وجهه، ثمّ قال: «لتنتهنّ يا معشر قريش أو ليبعثنّ الله عليكم رجلاً امتحن الله قلبه للإيمان يضرب رقابكم وأنتم مجفلون عن الدين» فقال أبو بكر: أنا هو يا رسول الله؟ قال: لا، قال عمر: أنا هو يا رسول الله؟ قال: لا ولكنّه ذلكم خاصف النعل في الحجرة وأنا أخصف نعل رسول الله ﷺ، ثمّ قال: أما إنّه قد قال ﷺ: من كذب عليّ متعمّداً فليتبوّأ مقعده من النار[1].

بيان: في القاموس: العبد: الإنسان حرّاً كان أو رقيقاً، والمملوك، والجمع عبدون وعبيد وأعبد وعباد وعُبدان وعِبدان وعبدّان بكسرتين مشدّدة الدال. وقال: جفل الظليم جفولاً: أسرع وذهب في الأرض كأجفل.

١٢ - **كا:** العدّة، عن أحمد بن محمّد، عن معاوية بن حكيم، عن ابن أبي عمير، عن الحسن بن عليّ الصيرفيّ، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ رسول الله ﷺ في عمرة القضاء شرط عليهم أن يرفعوا الأصنام من الصفا والمروة، فتشاغل رجل حتّى ترك السعي حتّى انقضت الأيّام وأعيدت الأصنام، فجاؤا إليه فقالوا: يا رسول الله إنّ فلاناً لم يسع بين الصفا والمروة وقد أعيدت الأصنام، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ أي وعليهما الأصنام[2].

١٣ - **كا:** عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير وغيره، عن معاوية بن عمّار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا خرج النبيّ ﷺ في غزوة الحديبية خرج في ذي القعدة، فلمّا انتهى إلى المكان الذي أحرم فيه أحرموا، ولبسوا السلاح، فلمّا بلغه أنّ المشركين قد أرسلوا إليه خالد بن الوليد ليردّه قال: ابغوني رجلاً يأخذني على غير هذا الطريق، فأُتي برجل من مزينة أو جهينة فسأله فلم يوافقه، قال: «ابغوني رجلاً غيره» فأُتي برجل آخر إمّا من مزينة وإمّا من جهينة، قال فذكر له فأخذه معه حتّى انتهى إلى العقبة، فقال: من يصعدها حطّ الله عنه كما حطّ الله عن بني إسرائيل فقال لهم: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ﴾[3] قال: فابتدرها خيل الأنصار: الأوس والخزرج، قال: وكانوا ألفاً وثمانمائة، قال: فلمّا هبطوا إلى الحديبية إذا امرأة، معها ابنها على القليب فسعى ابنها هارباً، فلمّا أثبتت أنّه رسول الله صرخت به: هؤلاء الصابئون، ليس عليك منهم بأس، فأتاها رسول الله ﷺ فأمرها فاستقت دلواً من ماء، فأخذه رسول الله ﷺ فشرب وغسل وجهه فأخذت فضلته فأعادته في البئر فلم تبرح حتّى الساعة، وخرج رسول الله ﷺ فأرسل إليه المشركون أبان بن سعيد في

---

(١) إعلام الورى، ص ١٩٨.

(٢) الكافي، ج ٤ ص ٥١٦ باب ٢٧٠ ح ٨.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٦١.

الخيل، فكان بإزائه، ثمّ أرسلوا الجيش فرأى البدن وهي تأكل بعضها أوبار بعض، فرجع ولم يأت رسول الله ﷺ، وقال لأبي سفيان: يا أبا سفيان أما والله ما على هذا حالفناكم، على أن تردّوا الهدي عن محلّه، فقال: اسكت فإنّما أنت أعرابيّ، فقال: أما والله لتخلينّ عن محمّد وما أراد أو لأنفردنّ في الأحابيش، فقال: اسكت حتّى نأخذ من محمّد ولثاً.

فأرسلوا إليه عروة بن مسعود، وقد كان جاء إلى قريش في القوم الّذين أصابهم المغيرة بن شعبة، كان خرج معهم من الطائف وكانوا تجّاراً فقتلهم، وجاء بأموالهم إلى رسول الله ﷺ، فأبى رسول الله ﷺ أن يقبلها، وقال: «هذا غدر ولا حاجة لنا فيه» فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله هذا عروة بن مسعود قد أتاكم وهو يعظّم البدن، قال: «فأقيموها» فأقاموها، فقال: يا محمّد مجيء من جئت؟ قال: «جئت أطوف بالبيت وأسعى بين الصفا والمروة وأنحر هذه الإبل وأخلّي عنكم وعن لحمانها» قال: لا واللّات والعزّى فما رأيت مثلك ردّ عمّا جئت له، إنّ قومك يذكرونك الله والرحم أن تدخل عليهم بلادهم بغير إذنهم، وأن تقطع أرحامهم، وأن تجرّئ عليهم عدوّهم، فقال رسول الله ﷺ: «ما أنا بفاعل حتّى أدخلها» قال: وكان عروة بن مسعود حين كلّم رسول الله ﷺ تناول لحيته، والمغيرة قائم على رأسه، فضرب بيده، فقال: من هذا يا محمّد؟ فقال: «هذا ابن أخيك المغيرة» فقال: يا غدر والله ما جئت إلاّ في غسل سلحتك، قال: فرجع إليهم، فقال لأبي سفيان وأصحابه: لا والله ما رأيت مثل محمّد ردّ عمّا جاء له.

فأرسلوا إليه سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزّى، فأمر رسول الله ﷺ فأثيرت في وجوههم البدن، فقالا: مجيء من جئت؟ قال «جئت لأطوف بالبيت وأسعى بين الصفا والمروة وأنحر البدن وأخلي بينكم وبين لحمانها» فقالا: إنّ قومك يناشدونك الله والرحم أن تدخل عليهم بلادهم بغير إذنهم، وتقطع أرحامهم، وتجرّئ عليهم عدوّهم، قال: فأبى عليهما رسول الله ﷺ إلاّ أن يدخلها، وكان رسول الله ﷺ أراد أن يبعث عمر فقال: يا رسول الله إنّ عشيرتي قليل وإنّي فيهم على ما تعلم، ولكنّي أدلك على عثمان بن عفان، فأرسل إليه رسول الله فقال: «انطلق إلى قومك من المؤمنين فبشّرهم بما وعدني ربّي من فتح مكة» فلمّا انطلق عثمان لقي أبان بن سعيد فتأخّر عن السرج، فحمل عثمان بين يديه ودخل عثمان فأعلمهم، وكانت المناوشة، فجلس سهيل بن عمرو عند رسول الله ﷺ وجلس عثمان في عسكر المشركين، وبايع رسول الله ﷺ المسلمين وضرب بإحدى يديه على الأُخرى لعثمان، وقال المسلمون: طوبى لعثمان قد طاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة وأحلّ، فقال رسول الله ﷺ: «ما كان ليفعل» فلمّا جاء عثمان قال له رسول الله ﷺ: «أطفت بالبيت؟» فقال: ما كنت لأطوف بالبيت ورسول الله ﷺ لم يطف به، ثمّ ذكر القضيّة وما كان فيها.

فقال لعليّ عليه السلام «اكتب بسم الله الرحمن الرحيم».

فقال سهيل: ما أدري ما الرحمن الرحيم؟ إلاّ أنّي أظن هذا الّذي باليمامة ولكن اكتب كما نكتب: «باسمك اللهمَّ». قال: «واكتب هذا ما قاضى رسول الله ﷺ سهيل بن عمرو».

فقال سهيل: فعلى ما نقاتلك يا محمّد؟ فقال: «أنا رسول الله وأنا محمّد بن عبد الله».

فقال الناس: أنت رسول الله، قال: اكتب، فكتب هذا ما قاضى عليه محمّد بن عبد الله، فقال الناس: أنت رسول الله، وكان في القضية: «إن [من] كان منّا اتى إليكم رددتموه إلينا ورسول الله ﷺ غير مستكره عن دينه، ومن جاء إلينا منكم لم نردّه إليكم» فقال رسول الله ﷺ: «لا حاجة لنا فيهم» وعلى أن يعبد الله فيكم علانية غير سرّ، وإن كانوا ليتهادون السيور في المدينة إلى مكّة، وما كانت قضيّة أعظم بركة منها، لقد كاد أن يستولي على أهل مكّة الإسلام.

فضرب سهيل بن عمرو على أبي جندل ابنه فقال: أوّل ما قاضينا عليه، فقال رسول الله ﷺ: «وهل قاضيت على شيء؟» فقال: يا محمّد ما كنت بغدّار، قال: فذهب بأبي جندل فقال: يا رسول الله تدفعني إليه؟ قال: «ولم أشترط لك» قال: وقال: اللّهمَّ اجعل لأبي جندل مخرجاً[1].

بيان: قال الجزريّ: يقال ابغني كذا بهمزة الوصل، أي اطلب لي، وأبغني بهمزة القطع، أي أعنّي على الطلب. قوله: أو من جهينة، الترديد من الراوي في الموضعين. ويقال: أثبته، أي عرفه حقّ المعرفة، ويقال: صبأ فلان: إذا خرج من دين إلى غيره. قوله عليه السلام فلم تبرح، أي لم يزل الماء من تلك البئر، قوله عليه السلام فكان بإزائه، أي أتى حتّى قام بحذاء النبيّ ﷺ، أو المراد أنّه كان قائد عسكر المشركين، كما أنه ﷺ كان قائد عسكر المسلمين. قوله: وهي تأكل، كناية عن كثرتها وازدحامها واجتماعها. قوله: حالفناكم، لأنّهم كان وقع بينهم الحلف على معاداة النبيّ ﷺ، أو على تعاونهم مطلقاً.

قوله: أو لأنفردنّ في الأحابيش، أي أعتزل معهم عنكم وأمنعهم عن معاونتكم.

قال الجزريّ: في حديث الحديبية: إنّ قريشاً جمعوا لك الاحابيش، هي أحياء من القارة انضمّوا إلى بني ليث في محاربتهم قريشاً، والتحبّش: التجمّع. وقيل: حالفوا قريشاً تحت جبل يسمّى حبشيا فسمّوا بذلك.

وقال الفيروزآبادي: حبشيّ بالضمّ: جبل بأسفل مكّة، ومنه أحابيش قريش لأنّهم تحالفوا بالله إنّهم ليد على غيرهم ما سجى ليل، ووضح نهار، وما رسى حبشيّ انتهى.

والولث. العهد بين القوم يقع من غير قصد، أو يكون غير مؤكّد.

قوله: وقد كان جاء، كانت هذه القصّة على ما ذكره الواقديّ أنّه ذهب المغيرة مع ثلاثة

---

(١) روضة الكافي المطبوع مع الأصول، ص ٨٢٣ ح ٥٠٣.

عشر رجلاً من بني مالك إلى مقوقس سلطان الإسكندرية، وفضّل مقوقس بني مالك على المغيرة في العطاء، فلمّا رجعوا وكانوا في الطريق شرب بنو مالك ذات ليلة خمراً وسكروا فقتلهم المغيرة حسداً، وأخذ أموالهم، وأتى النبيّ ﷺ وأسلم فقبل ﷺ إسلامه، ولم يقبل من ماله شيئاً، ولم يأخذ منه الخمس لغدره، فلمّا بلغ ذلك أبا سفيان أخبر عروة بذلك، فأتى عروة رئيس بني مالك وهو مسعود بن عمرة فكلّمه في أن يرضى بالدية، فلم يرض بنو مالك بذلك، وطلبوا القصاص من عشائرالمغيرة، واشتعلت بينهم نائرة الحرب فأطفأها عروة بلطائف حيله، وضمن دية الجماعة من ماله. فضمير الفاعل في قوله: (جاء) راجع إلى عروة. وقوله في القوم أي لأن يتكلّم ويشفع في أمر المقتولين، والضمير في (خرج) راجع إلى المغيرة.

قوله: فأرسلوا، أي قريش عروة إلى رسول الله ﷺ لذلك، فقالوا أي الصحابة، أو ضمير أرسلوا أيضاً راجع إلى الصحابة، أي الّذين كانوا بإزاء العدوّ. قوله: ما رأيت مثلك، هذا تعجّب منه، أي كيف يكون مثلك في الشرافة وعظم الشأن مردوداً عن مثل هذا المقصد الذي لا ينبغي أن يردّ عنه أحد؟!.

قوله: إلاّ في غسل سلحتك، قال في المغرب: السلح التغوّط. أقول: الظاهر أنّ (جئت) بصيغة المتكلم أي جئت الآن أو قبل ذلك عند إطفاء نائرة الفتنة لإصلاح قبائح أعمالك، ويمكن أن يقرأ بصيغة الخطاب، أي لم يكن مجيئك إلى النبيّ ﷺ للإسلام، بل للهرب ممّا صنعت من الخيانة، وأتيت من الجناية.

قوله: وكانت المناوشة، المناوشة: المناولة في القتال، أي كان المشركون في تهيئة القتال. قوله: وضرب بإحدى يديه، لعلّه ﷺ إنّما فعل ذلك لتتأكّد عليه الحجّة والعهد والميثاق، فيستوجب بنكثه أشدّ العذاب كما قال تعالى فيه وفي أخويه وأضرابهم: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾.

قوله: ثمّ ذكر، لعلّه كلام الراوي، أي ثمّ ذكر الصادق القضيّة وكتابة الكتاب وما جرى فيها، وترك الراوي ذكرها اختصاراً، ويحتمل أن يكون كلامه، أي ثمّ ذكر عثمان ما جرى بينه وبين قريش من حبسه ومنعه عن الرجوع، أو من طلبهم الصلح، أو إصرارهم في عدم دخوله ﷺ في تلك السنة.

قوله: هذا الّذي باليمامة، إنّهم كانوا يقولون لمسيلمة: رحمن اليمامة.

قوله ﷺ: وإن كانوا ليتهادون السيور، في بعض النسخ بالتاء المثنّاة الفوقانيّة وفي بعضها بالمثنّاة التحتانيّة، فعلى الأوّل هو جمع الستر المعلق على الابواب وغيرها، وعلى الثاني إمّا المراد السير المعروف المتخذ من الجلود، أو نوع من الثياب، قال الفيروز آباديّ: السير بالفتح: الّذي يقدّ من الجلود والجمع سيور. وقال الجوهريّ: السير من الثياب الّذي

فيه خطوط كالسيور، وعلى التقادير هذا كلام الصادق عليه السلام لبيان ثمرة تلك المصالحة وكثرة فوائدها بأنّها صارت موجبة لأمن المسلمين بحيث كانوا يبعثون الهدايا من المدينة إلى مكّة من غير منع ورعب، ورغب أهل مكّة في الإسلام وأسلم جمّ غفير منهم من غير حرب.

قوله ﷺ: وهل قاضيت على شيء. أي لم يتمّ الصلح ولم يكتب الكتاب بعد، فليس هذا داخلاً فيما نقاضي عليه قوله ﷺ: «ولم أشترط لك» أي ليس هذا شرطاً يخصّك، بل هذا ما قاضينا عليه لمصلحة عامّة المسلمين، ولابدّ من ذلك، أو لم تكن داخلاً فيه لمجيئك قبل تمام الكتاب، لكنّ هؤلاء يجبروننا عليه، أو ما كنت اشترطت لك عليهم أن تكون مستثنى من ذلك، ولا يمكننا الغدر معهم، ولعلّه أظهر، ويحتمل على بعد أن يكون استفهاماً إنكارياً، أي ألم أشترط لك وأعدك بالنجاة منهم قريباً.

أقول: إنّما أوردت آيات عمرة القضاء وأخبارها في هذا الباب لاشتراك بعض الآيات والأخبار وشدّة الارتباط بينهما، وسيأتي لها ذكر في موضعه إن شاء الله تعالى.

١٤ - وروى في جامع الأصول من صحاحهم عن البراء بن عازب قال: اعتمر رسول الله ﷺ في ذي القعدة فأبى أهل مكّة أن يدعوه يدخل مكّة حتّى قاضاهم على أن يدخل، يعني من العام المقبل، يقيم فيها ثلاثة، فلمّا كتبوا الكتاب كتبوا: «هذا ما قاضى عليه محمّد رسول الله» قالوا: ما نقرّ بها، فلو نعلم أنّك رسول الله ما منعناك، ولكن أنت محمّد بن عبد الله، فقال: «أنا رسول الله وأنا محمّد بن عبد الله» ثمّ قال لعليّ بن أبي طالب: «امح رسول الله» فقال: لا والله لا أمحوك أبداً، فأخذ رسول الله ﷺ وليس يحسن يكتب، فكتب: «هذا ما قاضى عليه محمّد بن عبد الله لا يدخل مكّة السلاح إلاّ السيف في القراب وأن لا يخرج من أهلها بأحد إن أراد أن يتبعه وأن يمنع من أصحابه أحداً إن أراد أن يقيم بها» فلمّا دخلها ومضى الأجل أتوا عليّاً فقالوا: قل لصاحبك اخرج عنّا فقد مضى الأجل، فخرج النبيّ ﷺ فتبعته ابنة حمزة تنادي: يا عمّ، ياعمّ فتناولها عليّ وقال لفاطمة: دونك بنت عمّك، فحملتها فاختصم فيها عليّ وزيد وجعفر، قال عليّ: أنا أخذتها.

قال الحميديّ: أنا أحقّ بها وهي بنت عمّي وقال جعفر: بنت عمّي وخالتها تحتي، وقال زيد: بنت أخي، فقضى بها النبيّ ﷺ لخالتها، وقال: «الخالة بمنزلة الأم» وقال لعليّ: «أنت منّي وأنا منك» وقال لجعفر: «أشبهت خَلقي وخُلقي» وقال لزيد: «أنت أخونا ومولانا».

١٥ - **أقول:** ذكر ابن الاثير في الكامل في حوادث السنة السادسة: فيها نزلت سورة الفتح، وهاجر إلى رسول الله ﷺ نسوة مؤمنات فيهنّ أمّ كلثوم ابنة عقبة بن أبي معيط، فجاء أخواها عمارة والوليد يطلبانها، فأنزل الله: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ فلم يرسل امرأة مؤمنة إلى مكّة، وأنزل الله: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾ فطلق عمر بن الخطاب امرأتين له.

وفيها كانت سريّة عكاشة بن محصن في أربعين رجلاً إلى الغمر فنذر القوم بهم فهربوا فسعت الطلائع فوجدوا مائتي بعير فأخذوها إلى المدينة، وكانت في ربيع الآخر.

وفيها كانت سريّة محمّد بن مسلمة أرسله رسول الله ﷺ في عشرة فوارس في ربيع الأوّل إلى بني ثعلبة بن سعد، فكمن القوم له حتّى نام هو وأصحابه فظهروا عليهم فقتل أصحابه ونجا هو وحده جريحاً.

وفيها كانت سريّة أبي عبيدة بن الجرّاح إلى ذي القصّة في ربيع الآخر في أربعين رجلاً، فهرب أهله منهم وأصابوا نعماً ورجلاً فأسلم، فتركه رسول الله ﷺ.

وفيها كانت سريّة زيد بن حارثة بالجموم فأصاب امرأة من مزينة اسمها حليمة فدلّتهم على محلّة من محالّ بني سليم، فأصابوا نعماً وشاء وأسرى فيهم زوجها، فأطلقها رسول الله ﷺ وزوجها معها.

وفيها سريّة زيد أيضاً إلى العيص في جمادى الأولى.

وفيها أخذت الاموال الّتي كانت مع أبي العاص بن الربيع، واستجار بزينب بنت رسول الله ﷺ فأجارته كما تقدّم.

وفيها سريّة زيد أيضاً إلى الطرف في جمادى الآخرة في بني ثعلبة في خمسة عشر رجلاً فهربوا منه، وأصاب من تميم عشرين بعيراً.

وفيها سريّة زيد بن حارثة إلى خمس في جمادى الآخرة، وسببها أنّ رفاعة بن زيد الجدليّ ثمّ الضبّي قدم على رسول الله ﷺ في هدنة الحديبية، وأهدى لرسول الله ﷺ غلاماً وأسلم فحسن إسلامه، وكتب له رسول الله ﷺ كتاباً إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام فأسلموا ثمّ ساروا إلى الحرّة، ثمّ إنّ دحية بن خليفة أقبل من الشام من عند قيصر حتّى إذا كان بأرض حذام أغار إليه الهنيد وابنه العوص الضّليعيان وهو بطن من حذام، فأخذا كلّ شيء معه، فبلغ ذلك نفراً من بني الضبّ: قوم رفاعة ممّن كان أسلم، فنفروا إلى الهنيد وابنه فلقوهم، فاقتتلوا فظفر بنو الضب واستنقذوا كلّ شيء كان أخذ من دحية، وردّوه عليه فخرج دحية حتّى لقي رسول الله ﷺ وطلب منه دم الهنيد وابنه العوص، فبعث رسول الله ﷺ إليهم زيد بن حارثة في جيش فأغاروا وجمعوا ما وجدوا من مال، وقتلوا الهنيد وابنه، فلمّا سمع ذلك بنو الضبّ رهط رفاعة سار بعضهم إلى زيد بن حارثة، فقالوا: إنّا قوم مسلمون فقال زيد نادوا في الجيش إن الله حرم علينا ما أخذ من طريق القوم الّذين جاءوا منها وأراد أن يسلم إليهم سباياهم، فأخبره بعض أصحابه عنهم بما أوجب أن يحتاط، فتوقّف في تسليم السبايا، وقال: هم في حكم الله تعالى، ونهى الجيش أن يهبطوا واديهم، وعاد أولئك الركب إلى رفاعة بن زيد لم يشعر بشيء من أمرهم، فقال له بعضهم: إنّك لجالس تحلب المعزى ونساء حذام أسارى، فسار رفاعة والقوم معه إلى المدينة، وعرض كتاب رسول الله ﷺ

عليه فقال: كيف أصنع بالقتيل؟ فقالوا: لنا من كان حيّاً، ومن قتل فهو تحت أقدامنا فأجابهم إلى ذلك، وأرسل معهم عليّ بن أبي طالب إلى زيد بن حارثة فردّ على القوم مالهم حتّى كانوا ينتزعون لبد المرأة من تحت الرجل.

وفيها سريّة زيد أيضاً إلى وادي القرى في رجب.

وفيها سريّة عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل في شعبان، فأسلموا فتزوج عبد الرحمن تمامة بنت الإصبع رئيسهم وهي أمّ أبي سلمة.

وفيها سريّة عليّ بن أبي طالب عليه السلام إلى فدك في شعبان في مائة رجل، وذلك أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله بلغه أنّ حيّاً من بني سعد قد تجمعوا له يريدون أن يمدّوا أهل خيبر، فسار إليهم عليّ عليه السلام فأصاب عيناً لهم فأخبره أنّهم ساروا إلى أهل خيبر يعرضون عليهم نصرهم على أن يجعلوا لهم تمر خيبر(١).

١٦ - **أقول:** ذكر في روضة الاحباب أنه عليه السلام سار باللّيل وكمن بالنهار حتّى أتى الهمج فأصاب عيناً لهم، فذهب بعسكر المسلمين إليهم، فأغاروا عليهم فانهزم بنو سعد، وغنم المسلمون منهم مائة بعير وألفي شاة، فاصطفى عليّ عليه السلام للنبي صلى الله عليه وآله عدّة من الإبل، وقسّم سائر المال على أهل السريّة ورجع.

قال: وفيها أجدب النّاس جدباً شديداً، فاستسقى رسول الله صلى الله عليه وآله بالناس في شهر رمضان.

وفيها سريّة زيد بن حارثة إلى وادي القرى، وذلك أنّ زيداً كان يذهب إلى الشام في تجارة، ومعه بضائع من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله، فلمّا قربوا من وادي القرى أغار عليهم قوم من فزارة، فقتلوا المسلمين، وهرب زيد إلى المدينة، وفي رواية: ارتثّ زيد من بين القتلى، فنذر أن لا يمس طيباً ولا ماء من جنابة حتّى يغزو فزارة فبعثه رسول الله صلى الله عليه وآله إلى بني فزارة فلقيهم بوادي القرى فأصاب منهم وقتل وأسر أمّ فروة وهي فاطمة بنت ربيعة فقتلها.

٢١ - باب مراسلاته صلّى الله عليه وآله إلى ملوك العجم والروم وغيرهم، وما جرى بينه وبينهم، وبعض ما جرى إلى غزوة خيبر

١ - **يج:** روي أنّ كسرى كتب إلى فيروز الديلميّ وهو من بقيّة أصحاب سيف بن ذي يزن: أن احمل إليّ هذا العبد الّذي يبدأ باسمه قبل اسمي، فاجترأ عليّ ودعاني إلى غير ديني، فأتاه فيروز وقال له: إنّ ربّي أمرني أن آتيه بك، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّ ربّي خبّرني أنّ ربّك قتل البارحة» فجاء الخبر أنّ ابنه شيرويه وثب عليه فقتله في تلك الليلة. فأسلم فيروز ومن

(١) الكامل في التاريخ، ج ٢ ص ١٨٦.

معه، فلمّا خرج الكذاب العبسيّ أنفذه رسول الله ﷺ ليقتله فتسلّق سطحاً فلوى عنقه فقتله[١].

بيان: فتسلّق أي صعد.

٢ - **يج:** روي أنّ هرقل بعث رجلاً من غسان وأمره أن يأتيه بخبر محمّد، وقال له: احفظ لي من أمره ثلاثاً: انظر على أيّ شيء تجده جالساً، ومن على يمينه، وإن استطعت أن تنظر إلى خاتم النبوّة فافعل، فخرج الغسانيّ حتّى أتى النبيّ ﷺ فوجده جالساً على الأرض، ووجد عليّ بن أبي طالب عليه السلام عن يمينه، وجعل رجليه في ماء يفور، فقال: من هذا على يمينه؟ قيل: ابن عمّه، فكتب ذلك ونسي الغسانيّ الثالثة، فقال له رسول الله ﷺ: تعال فانظر إلى ما أمرك به صاحبك، فنظر إلى خاتم النبوّة، فانصرف الرجل إلى هرقل، قال: ما صنعت؟ قال: وجدته جالساً على الأرض، والماء يفور تحت قدميه، ووجدت عليّاً ابن عمّه عن يمينه، وأنسيت ما قلت لي في الخاتم، فدعاني فقال: «هلمّ إلى ما أمرك به صاحبك» فنظرت إلى خاتم النبوة، فقال هرقل: هذا الّذي بشر به عيسى بن مريم، إنّه يركب البعير فاتبعوه وصدقوه، ثمّ قال للرسول: اخرج إلى أخي فاعرض عليه فإنّه شريكي في الملك، فقلت له فما طاب نفسه عن ذهاب ملكه[٢].

بيان: قوله: فقلت له، لعلّه من كلام الراوي، قال للامام عليه السلام إنّما قال هرقل: شريكي، لأنّه لم يطب نفسه أن يذهب ملكه، ويحتمل أن يكون في الأصل فقال، أي النبيّ ﷺ، والأظهر أنّ المراد أنّ هرقل قال لرسوله: اخرج إلى أخي فاعرض عليه الإسلام، فإن أسلم أسلمت، وكان أخوه شريكه في السلطنة وقوله: فقلت، كلام الرسول على الالتفات، وضمير (له) للأخ وكذا ضمير (نفسه).

٣ - **يج:** روي أنّ دحية الكلبيّ قال: بعثني رسول الله ﷺ بكتاب إلى قيصر فأرسل إلى الأسقف فأخبره بمحمّد وكتابه، فقال: هذا النبيّ الّذي كنّا ننتظره بشّرنا به عيسى بن مريم، وقال الأسقف: أمّا أنا فمصدّقه ومتّبعه، فقال قيصر: أمّا أنا إن فعلت ذهب ملكي، ثمّ قال قيصر: التمسوا لي من قومه ههنا أحداً أسأله عنه، وكان أبو سفيان وجماعة من قريش دخلوا الشام تجّاراً فأحضرهم، وقال: ليدن منّي أقربكم نسباً به، فأتاه أبو سفيان فقال: أنا سائل عن هذا الرجل الّذي يقول: إنّه نبيّ، ثمّ قال لاصحابه: إن كذب فكذّبوه، قال أبو سفيان: لولا حيائي أن يأثر أصحابي عنّي الكذب لأخبرته بخلاف ما هو عليه، فقال: كيف نسبه فيكم؟ قلت: ذو نسب، قال: هل قال هذا القول منكم أحد؟ قلت: لا، قال: فهل كنتم تتّهمونه بالكذب قبل؟ قلت: لا، قال: فأشراف النّاس اتّبعوه أو ضعفاؤهم؟ قلت

(١) الخرائج والجرائح، ج ١ ص ٦٤ ح ١١١.
(٢) الخرائج والجرائح، ج ١ ص ١٠٤ ح ١٦٩.

ضعفاؤهم، قال: فهل يزيدون أو ينقصون؟ قلت يزيدون، قال: يرتدّ أحد منهم سخطاً لدينه، قلت: لا، قال: فهل يغدر؟ قلت: لا، قال: فهل قاتلتموه؟ قلت: نعم، قال: فكيف حربكم وحربه؟ قلت: ذو سجال: مرّة له، ومرّة عليه قال: هذا آية النبوّة، قال: فما يأمركم؟ قلت: يأمرنا أن نعبد الله وحده، ولا نشرك به شيئاً، وينهانا عمّا كان يعبد آباؤنا، ويأمرنا بالصلاة والصوم والعفاف والصدق وأداء الأمانة والوفاء بالعهد، قال: هذه صفة نبيّ وقد كنت أعلم أنه يخرج ولم أظن أنّه منكم، فإنّه يوشك أن يملك ما تحت قدميّ هاتين، ولو أرجو أن أخلص اليه لتجشّمت لقياه، ولو كنت عنده لغسلت قدميه، وإنّ النصارى اجتمعوا على الأسقف ليقتلوه، فقال: اذهب إلى صاحبك فاقرأ عليه السلام وأخبره أنّي أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأن محمّداً رسول الله، وأنّ النصارى أنكروا ذلك علي، ثمّ خرج إليهم فقتلوه(١).

بيان: قال الجوهريّ تقول: أثرت الحديث آثره: إذا ذكرته عن غيرك، وقال الجزريّ: السجل: الدلو الملأى ماء، ويجمع على سجال، ومنه حديث أبي سفيان وهرقل: والحرب بيننا سجال، أي مرّة لنا، ومرّة علينا، وأصله أنّ المستقين بالسجل يكون لكلّ واحد منهم سجل. وقال: تجشّمت الأمر تكلّفته.

٤ - **يج:** روي أنّه لمّا بعث محمّد ﷺ بالنبوّة بعث كسرى رسولاً إلى باذان عامله في أرض المغرب: بلغني أنّه خرج رجل قبلك يزعم أنّه نبيّ فلتقل له: فليكفف عن ذلك، أو لأبعثن إليه من يقتله ويقتل قومه، فبعث باذان إلى النبيّ ﷺ بذلك فقال «لو كان شيء قلته من قبلي لكففت عنه ولكنّ الله بعثني» وترك رسل باذان وهم خمسة عشر نفراً لا يكلّمهم خمسة عشر يوماً ثمّ دعاهم، فقال: اذهبوا إلى صاحبكم فقولوا له: إنّ ربّي قتل ربّه الليلة، إنّ ربّي قتل كسرى الليلة، ولا كسرى بعد اليوم، وقتل قيصر ولا قيصر بعد اليوم، فكتبوا قوله فإذا هما قد ماتا في الوقت الّذي حدّثه محمّد ﷺ(٢).

٥ - **يج:** روي عن جرير بن عبد الله البجليّ قال: بعثني النبيّ ﷺ بكتابه إلى ذي الكلاع وقومه فدخلت عليه فعظّم كتابه، وتجهّز وخرج في جيش عظيم، وخرجت معه نسير إذ رفع لنا دير راهب، فقال: أريد هذا الراهب، فلمّا دخلنا عليه سأله أين تريد؟ قال: هذا النبيّ الّذي خرج في قريش وهذا رسوله، قال الراهب: لقد مات هذا الرسول، فقلت: من أين علمت بوفاته؟ قال: إنكم قبل أن تصلوا إليّ كنت أنظر في كتاب دانيال، مررت بصفة محمّد ونعته وأيّامه وأجله فوجدت أنّه توفّي في هذه الساعة، فقال ذو الكلاع: أنا أنصرف، قال جرير: فرجعت فإذا رسول الله ﷺ توفّي ذلك اليوم(٣).

---

(١) الخرائج والجرائح، ج ١ ص ١٣١ ح ٢١٧.
(٢) الخرائج والجرائح، ج ١ ص ١٣٢ ح ٢١٨.
(٣) الخرائج والجرائح، ج ٢ ص ٥١٨ ح ٢٧.

٦ - قب: الزهريّ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال: بعث الله إلى كسرى ملكاً وقت الهاجرة وقال: يا كسرى تسلم أو أكسر هذه العصا، فقال: بهل بهل، فانصرف عنه فدعا حرّاسه وقال: من أدخل هذا الرجل عليّ؟ فقالوا: ما رأيناه، ثمّ أتاه في العام المقبل وقته فكان كما كان أوّلاً، ثمّ أتاه في العام الثالث فقال: تسلم أو أكسر هذه العصا، فقال: بهل بهل، فكسر العصا، ثمّ خرج فلم يلبث أن وثب عليه ابنه فقتله[(١)].

٧ - قب: ابن مهديّ المامطيريّ في مجالسه: إنّ النبيّ كتب إلى كسرى «من محمّد رسول الله إلى كسرى بن هرمزد، أمّا بعد فأسلم تسلم، وإلا فأذن بحرب من الله ورسوله، والسلام على من اتّبع الهدى».

فلمّا وصل إليه الكتاب مزّقه واستخفّ به، وقال: من هذا الّذي يدعوني إلى دينه، ويبدأ باسمه قبل اسمي. وبعث إليه بتراب فقال ﷺ: «مزق الله ملكه كما مزّق كتابي أما إنّه ستمزقون ملكه وبعث إليّ بتراب أما إنّكم ستملكون أرضه» فكان كما قال.

الماورديّ في أعلام النبوة: إنّ كسرى كتب في الوقت إلى عامله باليمن باذان ويكنى أبا مهران: أن احمل إليّ هذا الّذي يذكر أنّه نبيّ، وبدأ باسمه قبل اسمي ودعاني إلى غير ديني، فبعث إليه فيروز الديلميّ في جماعة مع كتاب يذكر فيه ما كتب به كسرى، فأتاه فيروز بمن معه، فقال له: إنّ كسرى أمرني أحملك إليه، فاستنظره ليلة، فلمّا كان من الغد حضر فيروز مستحثاً، فقال النبيّ ﷺ: «أخبرني ربّي أنّه قتل ربّك البارحة سلّط الله عليه ابنه شيرويه على سبع ساعات من اللّيل فأمسك حتّى يأتيك الخبر» فراع ذلك فيروز وهاله وعاد إلى باذان فأخبره فقال له باذان: كيف وجدت نفسك حين دخلت عليه؟ فقال: والله ما هبت أحداً كهيبة هذا الرجل، فوصل الخبر بقتله في تلك الليلة من تلك الساعة، فأسلما جميعاً، وظهر العبسيّ وما افتراه من الكذب فأرسل عليه السلام إلى فيروز: «اقتله قتله الله» فقتله[(٢)].

٨ - أقول: قال الكازرونيّ في المنتقى في حوادث السنة السادسة: فيها اتّخذ رسول الله ﷺ الخاتم، وذلك أنّه قيل: إنّ الملوك لا يقرأون كتاباً إلاّ مختوماً.

وفيها بعث رسول الله ﷺ ستّة نفر فخرجوا مصطحبين في ذي الحجّة: حاطب من أبي بلتعة إلى المقوقس، ودحية بن خليفة الكلبيّ إلى قيصر، وعبد الله بن حذافة إلى كسرى، وعمرو بن أميّة الضمري إلى النجاشيّ، وشجاع بن وهب إلى الحارث بن أبي شمر الغساني، وسليط بن عمرو العامريّ إلى هوذة بن علي النخعيّ، أمّا المقوقس فإنّه لمّا وصل إليه حاطب أكرمه وأخذ كتاب رسول الله ﷺ، وكتب في جوابه: قد علمت أنّ نبيّاً قد بقي، وقد أكرمت

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب، ج ١ ص ٥٠.

(٢) مناقب ابن شهرآشوب، ج ١ ص ١١٢.

رسولك، أهدى إلى رسول الله ﷺ أربع جوار منهنّ مارية أمّ إبراهيم، وأختها سيرين، وحماراً يقال له: عفير، وقيل: يعفور، وبغلة يقال لها: الدلدل، ولم يسلم فقبل رسول الله ﷺ هديّته، وقال: «ضنّ الخبيث بملكه، ولا بقاء لملكه»، واصطفى مارية لنفسه، وأمّا سيرين فوهبها لحسان بن وهب، وأمّا الحمار فنفق منصرفه من حجّة الوداع، وأمّا البغلة فبقيت إلى زمان معاوية.

وأمّا قيصر وهو هرقل ملك الروم فإنّه أصبح يوماً مهموماً، فقالت له بطارقته في ذلك، فقال: أجل أريت في هذه الليلة أنّ ملك الختان صار ظاهراً، قالوا: ما نعلم أمّة تختتن إلاّ يهود، وهم في سلطانك. وسألوه أن يقتلهم جميعاً فيستريح، فبينا هم في ذلك من رأيهم إذ أتاهم رسول صاحب بصرى برجل من العرب يقوده فقال: أيّها الملك إنّ هذا من العرب، يحدّث عن أمر حدث ببلاده عجب، فقال هرقل لترجمانه: سله ما هذا الحدث الّذي كان ببلاده، فسأله فقال: خرج من بين أظهرنا رجل يزعم أنّه نبيّ، فاتّبعه ناس، وخالفه الآخرون، وكانت بينهم ملاحم فتركتهم على ذلك، قال: جرّدوه، فجرّدوه فإذا هو مختون، فقال هرقل: هذا والله الّذي رأيت، أعطوه ثوبه انطلق ثمّ دعا صاحب شرطته فقال: قلّب لي الشام ظهراً وبطناً حتّى تأتيني برجل من قوم هذا الرجل يعني النبيّ ﷺ، قال أبوسفيان وكنت قد خرجت في تجارة في زمن الهدنة فهجم علينا صاحب شرطته، فقال: أنتم من قوم هذا الرجل؟ فقلنا: نعم فدعانا.

وبإسنادي في سماع البخاريّ إليه بإسناده عن عبد الله بن عبّاس أنّ أبا سفيان بن حرب أخبره أنّ هرقل أرسل إليه في ركب من قريش، وكانوا تجاراً بالشام في المدّة الّتي كان رسول الله ﷺ مادّ فيها أبا سفيان وكفّار قريش، فأتوهم بإيليا فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم، ثمّ دعاهم ودعا ترجمانه، فقال: أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل الّذي يزعم أنّه نبي؟ فقال أبو سفيان: فقلت: أنا أقربهم نسباً، فقال: ادنوه منّي وقرّبوا أصحابه فاجعلوه عند ظهره، ثمّ قال لترجمانه: قل لهم: إنّي سائل هذا عن هذا الرجل، فإن كذبني فكذّبوه، قال أبو سفيان: فوالله لولا الحياء من أن يأثروا عليّ كذباً لكذبت عنه، ثمّ كان أوّل ما سألني عنه أن قال: كيف نسبه فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نسب، قال: فهل قال هذا القول منكم أحد قبله قط؟ قلت: لا، قال: فهل كان في آبائه من ملك؟ قلت: لا، قال: فأشراف النّاس اتّبعوه أم ضعفاؤهم؟ قلت: بل ضعفاؤهم، قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قلت: بل يزيدون، قال: فهل يرتد منهم أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قلت: لا، قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا، قال فهل يغدر؟ قلت: لا، ونحن في مدّة لا ندري ما هو فاعل فيها، قال: ولم يمكنّي كلمة أدخل فيها شيئاً غير هذه الكلمة، قال: فهل قاتلتموه؟ قلت: نعم، قال: فكيف كان قتالكم إيّاه؟ قلت: الحرب بيننا وبينه سجال، ينال منّا وننال منه،

قال: فماذا يأمركم؟ قلت: يقول: اعبدوا الله وحده، ولا تشركوا به شيئاً، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والصدقة والعفاف والصلة، فقال للترجمان: قل له: سألتك عن نسبه فذكرت أنّه ذو نسب، وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها، وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول؟ فذكرت أنّه لا، فقلت: لو قال أحد هذا القول قبله لقلت رجل يأتيني بقول قيل قبله، وسألتك هل كان من آبائه من ملك؟ فذكرت أن لا، قلت: فلو كان من آبائه من ملك لقلت: رجل يطلب ملك أبيه، وسألتك هل كنتم تتّهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فذكرت أن لا، فقد علمت أنّه لم يكن ليذر الكذب على النّاس، ويكذب على الله، وسألتك أشرف النّاس اتّبعوه أم ضعفاؤهم؟ فذكرت أنّ ضعفاءهم اتبعوه، وهم أتباع الرسل، وسألتك أيزيدون أم ينقصون؟ فذكرت أنّهم يزيدون، وكذلك أمر الإيمان حتّى يتمّ، وسألتك أيرتدّ أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ فذكرت أن لا، وكذلك الإيمان حين يخالط بشاشة القلوب، وسألتك هل يغدر؟ فذكرت أن لا، وكذلك الرسل لا تغدر، وسألتك بما يأمركم؟ فذكرت أنّه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وينهاكم عن عبادة الأوثان، ويأمركم بالصلاة والصدقة والعفاف، فإن كان ما تقول حقّاً فسيملك موضع قدميّ هاتين، وقد كنت أعلم أنّه خارج لم أكن أظنّ أنّه منكم، فلو أنّي أعلم أنّي أخلص إليه لتجشّمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت قدمه، ثمّ دعا بكتاب رسول الله ﷺ الّذي بعث به دحية إلى عظيم بصرى فدفعه إلى هرقل فقرأه فإذا فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم. من محمّد رسول الله عبده ورسوله إلى هرقل عظيم الروم وسلام على من اتّبع الهدى. أمّا بعد فإنّي أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم أسلم يؤتك الله أجرك مرّتين فإن تولّيت فإنّ عليك إثم اليريسين ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألاّ نعبد إلاّ الله، ولا نشرك به شيئاً، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله، فإن تولّوا فقولوا اشهدوا بأنّا مسلمون.

قال أبو سفيان: فلمّا قال ما قال وفرغ من قراءة الكتاب كثر عنده الصخب وارتفعت الاصوات فأخرجنا، فقلت لأصحابي حين أخرجنا: لقد أمِر أمْر ابن أبي كبشة، إنّه يخافه ملك بني الأصفر، فما زلت موقناً أنّه سيظهر حتّى أدخل الله عليّ الإسلام.

هرقل عظيم الروم، ملك إحدى وثلاثين سنة، وفي ملكه توفّي النبيّ ﷺ.

مادّ فيها، أي ضرب لهم مدّة في الهدنة إلى انقضاء المدّة، وإيليا: بيت المقدس ومعناه بيت الله، وحكي فيه القصر، وبلغة ثالثة: «إلياء» بحذف الياء الأولى، وسكون اللام والمدّ والترجمان بفتح التاء وضمّ الجيم، وروى بضمّهما، وهو المفسّر لغة بلغة. قوله: أن يأثروا عليّ أي عنّي والسخطة: الكراهية للشيء وعدم الرضاء به. قوله: سجال أي مرّة على هؤلاء، ومرّة على هؤلاء من مساجلة المستقين على البئر بالدلاء. وبشاشة القلوب: أُنسها ولطفها. قوله: لتجشّمت، أي تكلّفت ما فيه من مشقّة وبصرى: مدينة قيصارية من الشام.

والدعاية: الدعوة، وهي من دعوت، كالشكاية من شكيت. قوله: يؤتك الله أجرك مرّتين: مرّة لاتّباع عيسى أو غيره، ومرّة لاتّباعه ﷺ. قوله: إثم الأريسيّين هكذا أورده جلّ الرواة وروي «اليريسين» وروي «الأريسين» قيل: هم الأكارون، وقيل: الخدم والأعوان، معناه انّ عليك إثم رعاياك ممّن صددته عن الإسلام فاتبعوك على كفرك، أي إنّ عليك مثل إثمهم قوله: أمِر أمْر ابن أبي كبشة، أي عظم، وأبو كبشة اسم الحارث بن عبد العزّى رجل من خزاعة خالف قريشاً في عبادة الأصنام وعبد الشعرى، وقد مرّ ذكره في آباء النبيّ ﷺ، وقيل: هو زوج حليمة مرضعة النبي ﷺ، وبنو الأصفر: الروم وجدّهم الأصفر بن روم بن إسحاق، وقيل: بل لأنّ جيشاً من الحبش غلب عليهم في الزمان الأوّل فوطئ نساءهم فولدوا أولاداً أصفر نسبوا إليهم.

وأمّا كسرى فلمّا بلغه كتاب رسول الله ﷺ قرأه فمزّقه، فدعا عليهم رسول الله ﷺ أن يمزّقوا كلّ ممزّق.

وروي عن محمّد بن إسحاق قال: قال: بعث رسول الله ﷺ عبد الله بن حذافة بن قيس إلى كسرى بن هرمز ملك فارس، وكتب: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمّد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأن محمّداً عبده ورسوله، وأدعوك بداعية الله عزّ وجلّ، فإنّي أنا رسول الله ﷺ إلى النّاس كافّة، لأنذر من كان حيّاً ويحق القول على الكافرين، فأسلم تسلم، فإن أبيت فإنّ إثم المجوس عليك».

فلما قرأ كتاب رسول الله ﷺ شقّقه وقال: يكتب إليّ بهذا الكتاب وهو عبدي؟ فبلغني أنّ رسول الله ﷺ قال: «مزق الله ملكه» حين بلغه أنّه شقّق كتابه، ثمّ كتب كسرى إلى باذان وهو على اليمن أن ابعث إلى هذا الرجل الّذي بالحجاز من عندك رجلين جلدين فليأتياني به.

وفي رواية كتب إلى باذان أن بلغني أنّ في أرضك رجلاً يتنبّأ فاربطه وابعث به إليّ، فبعث باذان قهرمانه وهو بانويه وكان كاتباً حاسباً، وبعث معه برجل من الفرس يقال له: خرخسك، فكتب معهما إلى رسول الله ﷺ يأمره أن يتصرف معهما إلى كسرى، وقال لبانويه: ويلك انظر ما الرجل وكلّمه وأتني بخبره، فخرجا حتّى قدما المدينة على رسول الله ﷺ وكلّمه بانويه، وقال: إنّ شاهنشاه ملك الملوك كسرى كتب إلى الملك باذان يأمره أن يبعث إليك من يأتيه بك، وقد بعثني إليك لتنطلق معي، فإن فعلت كتبت فيك إلى ملك الملوك بكتاب ينفعك ويكفّ عنك به، وإن أبيت فهو من قد علمت، فهو مهلكك ومهلك قومك ومخرّب بلادك، وكانا قد دخلا على رسول الله ﷺ وقد حلقا لحاهما وأعفيا شواربهما، فكره النظر إليهما، وقال: «ويلكما من أمركما بهذا؟» قالا: أمرنا بهذا ربّنا، يعنيان كسرى، فقال رسول الله ﷺ: «لكن ربّي أمرني بإعفاء لحيتي وقصّ شاربي» ثم قال لهما: «ارجعا حتّى تأتياني

غداً» وأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء أنّ الله عزّوجلّ قد سلّط على كسرى ابنه شيرويه فقتله في شهر كذا وكذا لكذا وكذا من اللّيل، فلمّا أتيا رسول الله ﷺ قال لهما: إنّ ربّي قد قتل ربّكما ليلة كذا وكذا من شهر كذا وكذا بعدما مضى من اللّيل كذا وكذا، سلّط عليه شيرويه فقتله فقالا: هل تدري ما تقول؟! إنّا قد نقمنا منك ما هو أيسر من هذا، فنكتب بها عنك ونخبر الملك، قال: «نعم أخبراه ذلك عنّي وقولا له: «إنّ ديني وسلطاني سيبلغ ما بلغ ملك كسرى، وينتهي إلى منتهى الخفّ والحافر، وقولا له: إنّك إن أسلمت أعطيتك ما تحت يديك، وملّكتك على قومك».

ثمّ أعطى خرخسك منطقة فيها ذهب وفضّة كان أهداها له بعض الملوك، فخرجا من عنده حتّى قدما على باذان وأخبراه الخبر، فقال: والله ما هذا بكلام ملك، وإنّي لأرى الرجل نبيّاً كما يقول، ولننظر ما قد قال، فلئن كان ما قد قال حقّاً، ما فيه كلام أنّه نبيّ مرسل، وإن لم يكن فسنرى فيه رأينا، فلم يلبث باذان أن قدم عليه كتاب شيرويه:

أمّا بعد فإنّي قد قتلت كسرى، ولم أقتله إلاّ غضباً لفارس، لما كان استحلّ من قتل أشرافهم، فإذا جاءك كتابي هذا فخذ لي الطاعة ممّن قبلك، وأنظر الرجل الّذي كان كسرى كتب إليك فيه فلا تهجه حتّى يأتيك أمري فيه.

فلما انتهى كتاب شيرويه إلى باذان قال: إنّ هذا الرجل لرسول فأسلم وأسلمت الأبناء من فارس من كان منهم باليمن.

وأما النجاشيّ فإنّ رسول الله ﷺ بعث عمرو بن أميّة إليه في شأن جعفر بن أبي طالب وأصحابه، وكتب: «بسم الله الرحمن الرحيم: من محمّد رسول الله إلى النجاشيّ ملك الحبشة، إنّي أحمد إليك الله الملك القدّوس السلام المهيمن، وأشهد أنّ عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيّبة، فحملت بعيسى، وإنّي أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، فإن تبعتني وتؤمن بالذي جاءني فإنّي رسول الله، وقد بعثت إليك ابن عمّي جعفراً ومعه نفر من المسلمين، والسلام على من اتّبع الهدى».

فكتب النجاشيّ إلى رسول الله ﷺ:

«بسم الله الرحمن الرحيم، إلى محمّد رسول الله من النجاشيّ، سلام عليك يا نبيّ الله ورحمة الله وبركاته، الّذي لا إله إلاّ هو، الّذي هداني إلى الإسلام، أمّا بعد فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى، فوربّ السماء والأرض إنّ عيسى ما يزيد على ما ذكرت ثفروقاً، إنّه كما قلت وقد عرفنا ما بعثت به إلينا، وقدم ابن عمّك وأصحابك، وأشهد أنّك رسول الله، وقد بايعتك وبايعت ابن عمّك، وأسلمت على يديه لله ربّ العالمين، وقد بعثت إليك يا نبيّ الله فإن شئت أن آتيك فعلت يا رسول الله، فإنّي أشهد أنّ ما تقول حقّ والسلام عليك ورحمة الله وبركاته».

قال ابن إسحاق: فذكر لي أنّه بعث ابنه في ستّين من الحبشة في سفينة حتّى إذا توسّطوا البحر غرقت بهم السفينة فهلكوا.

قال الواقديّ عن أشياخه: كتب رسول الله إلى النجاشيّ كتابين يدعوه في أحدهما إلى الإسلام، ويتلو عليه القرآن، فأخذ كتاب رسول الله ﷺ فوضعه على عينه، ونزل من سريره، ثمّ جلس على الأرض تواضعاً، ثمّ أسلم وشهد شهادته الحقّ، وقال: لو كنت أستطيع أن آتيه لآتيته، وكتب إلى رسول الله ﷺ بإجابته وتصديقه وإسلامه على يد جعفر بن أبي طالب.

وفي الكتاب الآخر يأمره أن يزوّجه أمّ حبيبة بنت أبي سفيان، وكانت قد هاجرت إلى الحبشة مع زوجها عبد الله بن جحش الأسديّ، فتنصّر هناك، ومات وأمره في الكتاب أن يبعث إليه بمن قبله من أصحابه. ففعل ذلك، وهذه الاخبار دالّة على أنّ النجاشيّ هو الّذي كانت الهجرة إلى أرضه وروي أنّه غير ذلك.

وأمّا الحارث بن أبي الشمر الغسانيّ، فقال شجاع بن وهب: انتهيت بكتاب رسول الله وهو بغوطة دمشق وهو مشغول بتهيئة الأنزال والألطاف لقيصر، وهو جاء من حمص إلى إيليا، فأقمت على بابه يومين أو ثلاثة، فقلت لحاجبه: إنّي رسول رسول الله ﷺ، فقال: لا تصل إليه حتّى يخرج يوم كذا وكذا، وجعل حاجبه وكان روميّاً يسألني عن رسول الله ﷺ، فكنت أحدّثه عن صفة رسول الله ﷺ وما يدعو إليه فيرقّ حتّى يغلبه البكاء، ويقول: إنّي قرأت الانجيل وأجد صفة هذا النبيّ بعينه، وأنا أؤمن به وأصدقه، وأخاف من الحارث أن يقتلني، وكان يكرمني ويحسن ضيافتي، فخرج الحارث يوماً فجلس ووضع التاج على رأسه وأذن لي عليه فدفعت إليه كتاب رسول الله ﷺ فقرأه ثمّ رمى به وقال: من ينتزع منّي ملكي؟ أنا سائر إليه، ولو كان باليمن جئته، عليّ بالناس، فلم يزل يعرض حتّى قام وأمر بالخيول تنعّل، ثمّ قال: أخبر صاحبك بما ترى، وكتب إلى قيصر يخبره خبري وما عظم عليه، فكتب إليه قيصر: أن لا تسر إليه واله عنه ووافني بإيليا، فلمّا جاءه جواب كتابه دعاني فقال: متى تريد أن تخرج إلى صاحبك؟ فقلت: غداً، فأمر لي بمائة مثقال ذهب ووصلني حاجبه بنفقة وكسوة، فقال: اقرأ على رسول الله ﷺ منّي السلام فقدمت على النبيّ ﷺ فأخبرته فقال: «باد ملكه» ومات الحارث بن أبي الشمر عام الفتح.

وأمّا هوذة بن عليّ فإنّه كان من الملوك العقلاء إلاّ أنّ التوفيق عزيز.

قال الواقديّ عن أشياخه: بعث رسول الله ﷺ سليط بن عمرو العامريّ إلى هوذة بن عليّ الحنفي يدعوه إلى الإسلام، وكتب معه كتاباً فقدم عليه فأنزله وحيّاه وقرأ كتاب رسول الله ﷺ وكتب إليه: «وأجمله وأنا شاعر قومي وخطيبهم والعرب تهاب مكاني، فاجعل لي بعض الأمر أتّبعك.

وأجاز سليط بن عمرو بجائزة وكساه أثواباً من نسج هجر، فقدم بذلك كلّه على رسول الله ﷺ وأخبره عنه بما قال فقرأ كتابه وقال: «لو سألني سيّابة من الأرض ما فعلت باد وباد ما في يده» فلمّا انصرف رسول الله ﷺ من الفتح جاءه جبرئيل فأخبره أنّه قد مات.

بيان: قال الجزريّ: البشّ: فرح الصديق بالصديق، واللطف في المسألة، والإقبال عليه، ومنه حديث قيصر: «وكذلك الإيمان إذا خالط بشاشة القلوب» بشاشة اللقاء: الفرح بالمرئيّ والانبساط إليه والأنس به.

وقال: في كتابه إلى هرقل «أدعوك بدعاية الإسلام» أي بدعوته، وهي كلمة الشهادة يدعى إليها أهل الملل الكافرة، وفي رواية «بداعية الإسلام»، وهي مصدر بمعنى الدعوة كالعافية والعاقبة. وقال: أمِر، أي كثر وارتفع شأنه، وقال: كان المشركون ينسبون النبيّ ﷺ إلى أبي كبشة، وهو رجل من خزاعة خالف قريشاً في عبادة الأوثان وعبد الشعرى العبور، فلمّا خالفهم النبيّ ﷺ في عبادة الأوثان شبّهوه به، وقيل: إنّه كان جدّ النبيّ ﷺ من قبل أمّه، فأرادوا أنّه نزع في الشبه إليه.

وقال: في كتاب النبيّ ﷺ إلى هرقل: «فإن أبيت فعليك إثم الأريسين» قد اختلف في هذه اللفظة صفة ومعنى، فروي الأريسين بوزن الكريمين وروي الأرّيسيين بوزن الشرّيبيين، فقال أبوعبيد: هم الخدم والخول، يعني بصدّهم إيّاهم عن الدين، كما قال: «ربّنا إنّا أطعنا سادتنا وكبراءنا» أي عليك مثل إثمهم، وقال ابن الأعرابيّ: أرس يأرس أرساً، فهو أريس، وأرّس يؤرّس تأريساً فهو إرّيس، وجمعها أريسون وإرّيسون وأرارسة هم الأكّارون، وإنّما قال ذلك لأنّ الأكّارين كانوا عندهم من الفرس، وهم عبدة النّار فجعل عليه إثمهم، وقال أبو عبيدة: أصحاب الحديث يقولون: الأريسيين منسوباً مجموعاً، والصحيح الأريسين، يعني بغير نسب، وردّه الطحاويّ عليه، وقال بعضهم: إنّ في رهط هرقل فرقة تعرف بالأروسية، فجاء على النسب إليهم، وقيل: إنّهم أتباع عبدالله بن أريس: رجل كان في الزمن الأوّل قتلوا نبيّاً بعث الله إليهم، وقيل: الأريسون: الملوك واحدهم أريس، وقيل: هم العشارون انتهى.

قوله: ثفروقاً، أي شيئاً، قال الفيروزآباديّ: الثفروق بالضمّ: قمع التمرة، أو ما يلتزق به قمعها، وما له ثفروق، أي شيء.

أقول: ثمّ قال الكازرونيّ: وفي هذه السنة جاءت خولة بنت ثعلبة، وكان زوجها أوس بن الصامت فأخبرت رسول الله ﷺ بأنّه ظاهر منها.

أقول: سيأتي شرح القصة في باب ما جرى بينه ﷺ وبين أصحابه.

ثمّ قال: وفيها ماتت أمّ رومان أمّ عائشة، وفيها أسلم أبو هريرة.

٩ - وقال ابن الأثير: وأرسل العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن شادي أخي عبد القيس، وقيل: إنّ إرساله كان سنة ثمان، فلمّا أتاه العلاء يدعوه ومن معه بالبحرين إلى الإسلام أو

الجزية، وكانت ولاية البحرين للفرس، فأسلم المنذر، وأسلم جمع من العرب، فأمّا أهل البلاد من اليهود والنصارى والمجوس فإنّهم صالحوا العلاء والمنذر على الجزية ولم يكن بالبحرين قتال، إنّما بعضهم أسلم، وبعضهم صالح[1].

١٠ - نقل من خط الشهيد رحمه الله قيل: كتب النجاشي رحمه الله كتاباً إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام «اكتب جواباً وأوجز» فكتب:

«بسم الله الرحمن الرحيم أمّا بعد فكأنّك من الرقة علينا منّا وكأنا من الثقة بك منك لأنّا لا نرجو شيئاً منك إلاّ نلناه ولا نخاف منك أمراً إلاّ أمنّاه وبالله التوفيق» فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: الحمد لله الّذي جعل من أهلي مثلك، وشدّ أزري بك.



(١) الكامل في التاريخ، ج ٢ ص ١٩١.

فهرس الجزء التاسع عشر

فهرس الجزء العشرون